النداءات الإلهية

للمؤمنين برب البرية



محمد حسن نور الدين إسماعيل





يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا .....

النِّدَاءَاتُ الإِلَهِيَّةُ

لِلْمُؤْمِنِينَ بِرَبِّ الْبَرِيَّةِ

إعداد

محمد حسن نور الدين إسماعيل





(رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا وَهَبْ لَنا مِن لَدُنَّكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ)



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحَمْدُ للهِ الذِى عَلا قَدْرُه، وكَثُرَ خَيْرُه، وتَتَابَع بِرُّه، وتَعَالى جَدُّه، وتَوَاصَل وُدُّه، وكَمُلَ سُؤْدَدُه، وعَظُمَ حِلمُه، وزَادَ فَضْلُه، وفَاضَ عَطَاؤه، وأسْبِغَتْ نَعْمَاؤه، وعَمَّتْ آلاؤه، ونَفَذَتْ مَشِيئَتُه، وجَلَّتْ حِكْمَتُه، وَوَسِعَتْ كُلَّ شَئٍ رَحْمَتُه، فَأعْطَى ومَنَعَ، وخَفَضَ ورَفَعَ، وأباحَ وَحَظَرَ، وكُلّ شَئٍ خَلَقَه بِقَدَرٍ، وكُلّ صَغِيرٍ وكَبيرٍ مُسْتَطَر، الفَرْدُ الصَّمَد، الذِى لا نِدَّ لَهُ فِى ذَاتِه ولا فِى صِفَاتِه ولا فِى أفْعَالِه، تَفَرَّدَ بالمُلْكِ والبَقاء، والعِزَّةِ والكِبْرِياءِ، فلا يُعْجِزُه شَئٌ فِى الأرْضِ ولا فِى السَّماءِ، السَّمِيع الذِى يَسْمَعُ ضَجيجَ الأصْوَاتِ عَلَى اخْتِلافِ اللُّغاتِ، فَلا يَشْغَلُه سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ، ولا تُغْلِطُه كَثْرَةُ المَسَائِلِ، ولا يَتَبَرَّمُ بِإلْحَاحِ المُلِحِّينَ فِى سُؤَالِهِ، البَصِير الذِى يَرَى دَبِيبَ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ فِى اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ، حَيْثُ كانَتْ مِنْ سَهْلِهِ أوْ جِبالِهِ، أحاطَ بِكُلِّ شَئٍ عِلْمَاً، وأحْصَى كُلَّ شَئٍ عَدَداً، القُلوبُ لَهُ مُفْضِيَة، والسِّرُّ عِنْدَه عَلانِيَة، لا يُعَاجِلُ بِالْعُقُوبَةِ مَنْ عَصَاه، ويُجِيبُ دُعاءَ مَن دَعاه، ويَسْمَعُ نَجْوَى مَنْ ناجاه، يَغْفِرُ ذَنْبَاً، ويَكْشِفُ كَرْباً، ويَقْضِى دَيْناً، ويُفَرِّجُ هَمَّاً، ويَجْبُرُ كَسِيراً، ويَقْبَلُ تائِباً ويَنْصُرُ مَظْلُوماً، ويَقْصِمُ ظالِماً، ويُقِيلُ عاثِراً، ويُعافِى مَرِيضاً، ويَرْحَمُ مَيتاً، ويُغْنِى فَقِيراً، ويَفُكُّ عانِيَاً، يَقْبَلُ القَلِيلَ مِنَ العَمَلِ، ويَغْفِرُ الكَثيرَ مِنَ الزَّلَلِ، ويُجازِى بِالإحْسانِ إحْساناً، وبِالسَّيِّئاتِ عَفْواً وغُفْراناً، مَن أخْلَصَ لَهُ أخْلَصَه، ومَنْ تَقَرَّبَ إلَيْهِ قَرَّبَه، ومَنْ تَوَاضَعَ لَهُ رَفَعَه، ومَنْ تَكَبَّرَ عَلَيْهِ وَضَعَه، ومَنْ سَعَى فِى مَرْضاتِهِ نَالَ رِضاه، وكانَ نَاصِرَهُ وَمَوْلاهُ، أحْمَدُهُ أبْلَغَ حَمْدٍ وَأسْناه، وَأزْكاهُ وَأشْمَلَهُ وَأنْمَاهُ، وَأشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلا الله، البَرّ الكَرِيم الرَّؤوف الرَّحيم، وأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَحَبيبُهُ وَخَلِيلُهُ الهادِى إلَى صِراطٍ مُسْتَقيم، والدَّاعِى إلَى دِينِه القَوِيم، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى سائِرِ النَّبِيينَ والصَّحابَةِ والتَّابِعِينَ وآلِ كُلٍّ وَسائِرِ الصَّالِحِينَ أمَّا بَعْدُ،

فَقَدِ استعنتُ باللهِ تَعالى وَوَدِتُّ أن أُقَدِّمَ شيئاً لِدِينِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَسَى أن يَنتفِعَ بِه كُلُّ مَن قَرَأهُ وعَمِلَ به وأن يجعله فى مِيزانِ الحَسَناتِ، فَهذا الجُهْدُ المُقِل الذى شَرَعْتُ فى تأليفه يَحْمِل بَيْنَ طَيَّاتِهِ النِّدَاءَاتِ الإلَهِيَّة للمؤمنين فى القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ولا مِن خَلفِهِ تنزيلٌ مِن حَكيمٍ حَميد .

سبب تأليف الكتاب :

فى إحْدَى اللَّيالِى وأنا آوى إلى فِراشِى جالَ بِخاطِرِى قولُ ابن مَسْعُود رضى الله عنه (إذا سَمِعْتُـم " يا أيُّها الذِينَ ءامَنُوا " فَارْعَوْها أسْمَاعَكُم فإنَّما هُوَ أمْرٌ تَأْتَمِرُونَ بِهِ أوْ نَهْىُ تَنْتَهُونَ عَنْهُ) فقلتُ فى نَفْسِى لو أننى جَمَعْتُ النِّداءات الإلَهِيَّة للمُؤْمِنِينَ فى القُرْآن الكَرِيم وقُمْتُ بتفسيرها واسْتِخْراجِ الفَوَائد والأحْكامِ الفقهية مِنها، مُسْتَعِيناً بِأقوال المُفَسِّرِينَ والفُقَهاء وأهْل اللُّغَة فَسَيَكُون ذلك بَحْثاً نافِعاً إنْ شاءَ اللهُ تَعَالى جامِعاً لِنِداءَاتِ رَبِّ العالَمِين التى تَحْمِلُ الكَثيرَمِن الأوامِر والنَّوَاهِى فى القرآن الكريم وبالفعل استعنتُ باللهِ تعالى وشرعتُ فى إعداد الكِتاب





ووضعتُ الخُطَّة التى سأسير عليها فرجعتُ إلى ما عندى مِـــن المَراجِع واجْتَهَدتُ وُسْعَ طاقتِى فى أنْ أُوَفِّى هذا الكِتابَ حَقَّهُ، وأسْمَيْتُهُ (النِّدَاءَات الإلَهيَّة لِلمُؤْمِنِيـــنَ برَبِّ البَرِيَةِ)

مَنْهَجِي فى الكِتاب :

هو تفسير تحليلىّ مَنهجىّ من القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية وأقوال السلف رحمهم الله تعالى، وكانت طريقة تصنيفه على النحو التالى :

أولاً : حَصَرْتُ آيات النداءات ثُمَّ رَتَّبْتُها بدءاً من أول نداء إلهى حسب ترتيب المصحف الشريف، وهو فى سورة البقرة الآية رقم ١٠٤ وهى قوله تعالى (يا أيُّها الذِينَ ءامَنُوا لا تَقُولُوا راعِنا وَقُولُوا انظرْنا واسْمَعُوا وَلِلكافِرِينَ عَذابٌ ألِيمٌ) ثم قُمْتُ بالتعريف اللُّغَوىّ لِغَريب مُفْرَدات الآية، وإذا كان هناك وَجْه مِن وُجُوه القِراءاتِ المُتواتِرَة ذكرتُه، ثم أذْكُرُ أقوال المُفَسِّرِينَ فيها بما يُجَلِّى المراد، وأكثر ما اعتمدت عليه من كتب التفسير هو : تفسير (ابن كثير) و (أيسر التفاسير) للجَزائِرى وتفسيـــر (السَّعْدِى) وذلك لسهولة العبارة، والإحاطة بمراد الآية، وذكر الأحاديث وأقوال الصحابة والتابعين، وإذا وَجَدْتُ أقوالاً أُخْرَى تُعَضِّد معنى الآية والمراد منها ذَكَرْتُها مُستعينا بتفسيـــــر (البَغَوىّ) و (زُبْدَة التفسير) للأشْقَر ثم أذكر أيضا سبب نزول الآية على ما أوْرَدَهُ المُفَسِّرونَ وقد أستعين أحيانا بكتاب (أسباب النزول) للواحِدِىّ رحمه الله تعالى.

ثانياً : عندما يظهر لِى فى الآية حُكْمٌ فِقهىّ أو مَسْألة عقائِدِيَّة أو أدَب مِنَ الآداب أو خُلُق من الأخلاق فقد أُفْرِدُ له فَصْلاً مُستقلا أو أسْتَطْرِد فيه القَوْل، فإن كان حُكْماً فِقْهيّاً سَرَدْتُ الأدِلَّة مِن القُرْآن والسُّنَّة الصحيحة وأقوال العُلماء والرَّاجِح فى المسألة مُسْتعيناً بِكُتُبِ الفِقه، وإنْ كانتْ مسألة عقائدية فَصَّلْتُ فيها تفصيلاً كافِيَاً، وإن كان أدَباً مِن الآداب اسْتَفَضْتُ فى ذِكْر فَضْلِه وأدِلَّته وهكذا،وإذا احتاج المَقام إسْهاباً واسْتِطْراداً لَمْ آلُ فى ذلك جُهْداً، وإذا تَكَرَّرَتْ آية مُشابِهَة لآية قد تَقَدَّمَ تفسيرها، أو ذِكْرُ حُكْمٍ فيها اكتفيتُ بالإحالة إلى الموضع المُشابه أو التعليق خَشْيَةَ الإطالة والتَّكرار.

ومن الآيات التى اسْتَفَضْتُ فيها قوله تعالى (يا أيُّها الذِينَ ءامَنُوا ءامِنُوا بالله ورَسولِه والكِتَابِ الذى نَزَّلَ عَلَى رَسُولِه .....) الآية ١٣٦ من سورة النساء وهو النداء رقم ٢٦ وسبب ذلك أن هذه الآية اشتملت على أغلب أركان الإيمان، كما استفضت فى الحديث عن الرَّافِضَة وهم غُلاةُ الشِّيعَة عند تفسير الآية رقم ١٠٢ من سورة آل عمران وهى قوله تعالى (يا أيُّها الذِينَ ءامَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِه ولاتَمُوتُنَّ إلا وَأنْتُم مُسْلِمُونَ) كما استفضت فى الحديث عن (البَهائِيَّة والبَابِيَّة) عند تفسير نفس الآية وذلك لما حدث من هجمات شَرِسَة ضد الإسلام من هذه الفِرَق والأدْيان وظهور فِتْنَة البَهَائِيَّة بشكل واضح وقد تَصَدَّى لهذه الفتنة عدد كبير من العلماء والدعاة حفظهم اللهُ تعالى وأجْزَلَ لهم المَثُوبَة.

ثالثاً : أذكر فوائد وهدايات الآيات والأحكام المُسْتَنْبَطَة منها ونحو ذلك، والمتأمل فى آيات النداءات الإلهية للمؤمنين فى القرآن الكريم يجد أنها تدور حول مجموعة عظيمة من الأوامر والنواهى الشرعية التى يجب على المسلم أن يتمسك بها، وأكثر ما دعت إليه تلك الآيات هو :



١ ــ الأمر بتقوى الله عز وجل .

٢ ــ مَعْرِفَة أسْماءِ اللهِ تعالى وصفاتِه وتعظيم قَدْرِهِ سبحانه والأمر بطاعَتِه وطاعَة رَسُولِه صلى الله عليه وسلم .

٣ ــ الأمر بالجِهاد فى سبيل الله تعالى والحث عليه والتَّرْغِيب فيه .

٤ ــ النَّهْى عن مُوالاة الكافرينَ والمنافقين والأمر بمُوالاة المؤمنين .

٥ ــ الأمر بالمُداوَمَة على ذِكْر اللهِ تعالى والأعمال الصالِحَة والنَّهْى عن اتِّباع الشَّيْطان وخُطُواتِه .

٦ ــ الأمر بالتَّحَلِّى بمكارم الأخلاق والتَّخَلِّى عن الرَّذائِل .

٧ ــ الأمر بالتَّوْبَة إلى الله تعالى .

٨ ــ الأمر بالمُسارَعَة إلى فِعْلِ الخَيْراتِ .

٩ ــ الأمر بالتَّأدُّب مَعَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ومع رسوله صلى الله عليه وسلم ومع الخَلْق .

١٠ ــ الأمر بإيفاء العُهُود وأداء الأمانات إلى أهلها وعدم الخِيانَة .

١١ ــ الأمر بالتمسك بأركان الإيمان الستة وخاصة الإيمان باليوم الآخر ومُشْتَمَلاتِه كالبَعْثِ والجَزاء .

١٢ ــ النَّهْى عن الرُّكُون إلى الدُّنيا والمُحافَظَة على مَقاصد الشَّرْع مِن دِين ونَفْسٍ ومَالٍ وعِرْضٍ وعَقْل .

ومما ينبغى أن يُذكر أيضا أنه يوجد ارتباط وثيق بين آيات القرآن الكريم فقد أذكر النداء ثم أفسر ما قبله أو ما بعده لارتباط المعنى وإتمامه بذلك، كما ورد فى تفسير قوله تعالى (يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) فى سورة آل عمران الآية رقم ١٠٢ وما بعدها إذ هناك ارتباط بما يليها وتتمة لمعنى الآية .

رابعاً : عندما أجد لطِيفَةً أو إعجازاً بلاغياً أذكر طرَفا من ذلك، فإن القرآن الكريم مُعْجِزٌ بلَفْظِه ومَعْناه وهو بَحْرٌ زاخِر بالعلوم والمَعْرِفَة لا يُبْلَغُ مُنْتَهَاهُ .

خامسا : قُمْتُ بِعَمِل فهْرس مُسْتَقِل لأطْرافِ آيات النِّداءاتِ الإلهيَّة، التى يَبْلُغ عَدَدُها تِسْعٌ وثَمانُونَ آية، وفهرس آخَر لِمَوْضوعات الكِتاب لِيَسْهُل عَلَى القارئ التَّعَرُّف على مُحْتَواه، مَع عَمَل قائِمة بِمَصَادِر ومَرَاجِع الكِتاب .

سادسا: قُمْتُ بِعَزْوِ الكلام إلى قائِلِيه ومَصَادره مِن المَراجِع العِلْمِيَّة المُعْتَمَدَة والمُشْتَهَرَة، كما قُمْتُ بِعَزْوِ الأحاديث النبوية إلى مصادرها مِن كُتُبِ الحَدِيث، واجْتَهَدتُ ما استطعتُ بأن لا يكون فى هذا الكتاب إلا الصحيح أو الحَسَن، وأكثر ما كنتُ أَرْجِع إليه فى ذلك كتاب (صَحِيح الجامِع) والذى أَرْمُز إليه بـ (ص. ج) و كتاب (ضَعِيف الجامِع) والذى أرمز إليه بـ (ض.

ج) ، وإذا كان فى السلسلة الصحيحة أرمز إليه بـ (س. ص) وكُلُّهم للشيخ محمد ناصر الدين الألبانى ـ رحمه الله ـ

سابعا: أوْرَدَ الشيخُ أبو بكر الجزائرى حفظه الله تعالى فى كتابه القَيِّم (نداءات الرحمن لأهل الإيمان) تسعين نداءً، فقد ألْحَقَ حفظه اللهُ نداءَ اللهِ تعالى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم الذى فى صدر سورة الطلاق وهو قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إلا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا) إلى النداءات الإلهية للمؤمنين، وقد أحسن فى ذلك حفظه الله تعالى، حيث اعتَبَرَ هذا النداء مُوَجَّهًا للمؤمنين أيضا لأنه ذُكِر فيه بعض أحكام الطلاق والعِدّة والرَّجْعَة، وقد اقتصرتُ فى كتابى هذا على كل آية تبدأ بقوله تعالى (يا أيها الذين ءَامَنُوا) وقد ذكرت تلك الأحكام فى مواضع أُخَر متفرقة على حسب ما يقتضيه السياق.

فالمؤلفات تتفاضل بالزَّهْرِ والثَّمَر، لا بالهَذْر، وبالمُلَح، لا بالكِبَر، وبجَمُوم اللطائف، لا بتكثير الصحائف، وبفخامة الأسرار، لا بضخامة الأسفار، وبرِقّةِ الحَوَاشي، لا بكثرة الغَوَاشي. ومُؤَلَّف الإنسان على فَضْلِه أو نَقْصِه عنوان، وهو بأصْغَرَيْهِ اللفظ اللطيف والمَعْنَى الشَّريف، لا بأكْبَرَيْه اللفظ الكثير والمَعْنَى الكَثِيف. وهنالك يُعْرَفُ الفَرْض مِن النَّافِلة، وتُعْرَضُ الإبلُ، فَرُبَّ مِئَة لا تجد فيها راحلة. وأرجو أن أكون قد ألممتُ بالغرض المقصود، وأن يَعُمَّ بهذا الكِتاب النَّفْع للمسلمين، وأسألُ اللهَ تَعَالى أن يجعله خالِصاً لِوَجْهِهِ الكَريم وأعُوذ باللهِ تعالى أنْ أذَكِّركُم به وأنْسَاه وصلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وعلى وآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وآخِرُ دَعْوانا أنِ الحَمْدَ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ

بِاللهِ يا نَاظِراً فِيهِ ومُنْتَفِعَــــــا ... مِنْهُ سَلِ اللهَ تَوْفِيقاً لِجَامِعِــــهِ
وَقُلْ أنِلْهُ إلَهَ العَرْشِ مَغْفِـــرَةً ... وَاقْبَلْ دُعَاهُ وَجَنِّبْ عَنْ مَوَانِعِهِ
وَخُصَّ نَفْسَكَ مِنْ خَيْرٍ دَعَوْتَ بِهِ ... وَمَنْ يَقُومُ بِمَا يَكْفِى لِطَابِعِــهِ
وَالمُسْلِمِينَ جَمِيعاً مَا بَدَا قَمَـــرٌ ... أوْ كَوْكَبٌ مُسْتَنِيرٌ مِنْ مَطَالِعِـهِ

بِاللهِ يَا قَارِئًا كُتُبِي وَسَامِعَــــهَا ... أسْبِلْ عَلَيْهَا رِدَاءَ الحُكْمِ وَالكَـرَمِ
وَاسْتُرْ بِلُطْفِكَ مَا تَلْقَاهُ مِنْ خَطَـأٍ ... أوْ أَصْلِحَنْهُ تُثَبْ إنْ كُنْتَ ذَا فَهَمِ
فَكَمْ جَوَادٍ كَبَى وَالسَّبْقُ عَادَتُــهُ ... وَكَمْ حُسَامٍ نَبَا أوْ عَادَ ذُو ثُلَـــمِ
وَكُلُّنَا يَا أخِي خَطَّاءُ ذُو زَلَـــلِ ... وَالعُذْر يَقْبَلُهُ ذُو الفَضْلِ وَالشِّيَـمِ

أخَا العِلْمِ لا تَعْجَلْ لِعَيْبِ مُصَنِّـفٍ ... وَلَمْ تَتَيَقَّنْ زَلَّةً مِنْهُ تُعْـــــــرَفُ
فَكَمْ أفْسَدَ الرَّاوِي كَلامًا بِنَقْـــلِهِ ... وَكَمْ حَرَّفَ المَنْقُولَ قَوْمٌ وَصَحَّفُوا
وَكَمْ نَاسِخٍ أضْحَى لِمَعْنَى مُغَيِّـرًا ... وَجَاءَ بِشَيْءٍ لَمْ يُرِدْهُ المُصَنِّـــفُ



الفقير إلى عفو ربه؛

مُحَمَّد حَسَن نُوُر الدِّينِ إسْمَاعِيلَ

عفا اللهُ عنه وعن والديه

الخامس والعشرين من شهر صفر عام ١٤٢٨ هجرية

الموافق الرابع عشر من شهر مارس عام ٢٠٠٧ ميلادية





القرآن الكريم :

هو كلامُ اللهِ تَعالى المُعْجِز بِلَفْظِه ومَعْناه، وَصِفَة مِن صِفاته العُلى، فهو ليس بمَخْلُوق؛ لأنَّ صِفاتِ اللهِ تعالى غير مَخْلُوقة، تَكَلَّمَ اللهَ تعالى به بلا كيفية نعلمها قَوْلاً بالصَوْتِ والحُرُوف، باللفْظ والمَعْنَى، وأنزلَه على عبدِه ورسولِه مُحَمَّدٍ بْن عَبْدِ اللهِ بْن عَبْدِ المُطَّلِب ،وَحْياً بواسطة أمِين الوَحْي جِبْرِيلَ عليه السلام، المَكْتُوب بَيْنَ دَفَّتَيّ المُصْحَف، المَنْقُول إلينا بالتَّواتُر،المَبْدُوء بِسُورَةِ الفاتِحَة، المُخْتَتَم بِسُورَةِ النَّاس، الذى تَعَهَّد اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِحِفْظِه مِن التَّحْرِيف والتَّبْدِيل، المُهَيْمِن عَلى جميع الكُتُب، والإيمان بكل ما جاء به واجِب، وأنْزَلَه اللهُ تعالى لِتَدَبُّره والعَمَلِ بما فيه، والتَّعَبُّد بتلاوته، فيه الهُدَى والرَّحْمَة والشِّفاء، وعَجَزَ الخَلْقُ جَميعاً عَنِ الإتْيانِ بِمِثْلِ أقْصَر سُورَة مِنه، والاشْتِغال به مِن أفْضَل العِبادات ، فالقُرْآنُ الكَرِيم كلام اللهِ تَعَالَى وليس كُلّ كلام اللهِ تعالى قُرْآناً.

وَرَدَ بالمُصْحَف الكُوفِيّ الذى نَتْبَعُه والذى كُتِبَ وضُبِط عَلَى ما يُوافِق رواية حَفْص بن سُلَيْمان بن المُغِيرَة الأسدى الكُوفِي ما يصل إلى ٧٧٨٦٥ كَلِمَة وَرَدَتْ فى ٦٢٣٦ آية فى ١١٤ سورة، ونزل القرآن الكريم متضمنا موضوعات كثيرة ومتعددة تبين للإنسان النهج الصحيح الذى يجب اتباعه عند مزاولته لأعماله، مع معالجة سليمة للمشكلات التى قد تعترضه فى حياته اليومية، وعندما تختلف الآراء فى أمر من الأمور التى نعيشها، يجب الرجوع إلى القرآن الكريم، لِمَعْرِفَة ما يجب اتّباعه إزاء هذا الأمر (١) .

لَفظ السُّورَة مُشْتَق إمَّا مِن سُور البَلَد أو لارْتِفاعها وعُلُوّ شأنِها أو مِن سُور الشَّراب وهى البَقِيَّة إذ هى بَقِيَّة مِن كِتاب اللهِ تعالى أى قِطْعَة منه وكونها مُشْتَقة مِنَ الرِّفْعَة وعلو الشأن أوْلى ويشهد لذلك قول الشاعر :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أعْطاكَ سُورَةً   تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَها يَتَذَبْذَبُ

والسورة من القرآن : قطعة من كتاب الله تشتمل على ثلاث آيات فأكثر، وأطولها سورة البقرة (٢٨٦) آية وأقصرها سورة الكوثر (٣) آيات، والآية لُغَة : العَلامَة وتجمع على : آيات، وآى.

وفى القرآن الكريم جملة من كلام الله تعالى تحمل الهدى للناس بدلالتها على وجود الله تعالى وقُدْرَته وعلمه، وعلى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته، ويسن لكل من يريد قراءة شيئا من القرآن أن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ . أعُوُذ : أسْتَجير وأتَحَصَّن .

بالله : بِرَبِّ كُلِ شئ والقادِر على كل شئ والعليم بكل شئ وإله الأولين والآخِرين .

الشَّيْطان : إبْليس لَعَنَه الله .الرَّجيم : المَرْجُوم المُبْعَد المَطْرُود مِن كل رَحْمَة وخَيْر (٢)





(١) الدليل المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – د / حسين محمد فهمى الشافعى

(٢) أيسر التفاسير – الشيخ / أبو بكر جابر الجزائرى ج ١ ص ١١

النداء الأول - قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) ﴾

سورة البقرة : ١٠٤

سورة البقرة أطول سورة فى القرآن الكريم وآياتها ٢٨٦ آية وهى مَدَنِيَّة وقيل هى أول سورة نزلت بالمَدِينَة المُنَوَّرَة، وترتيبها فى المُصْحَف الشَّرِيف السورة الثانية، ورد فى فضلها وفضل قراءتها،أحاديث صِحَاح، قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(اقْرَؤوا سُورَةَ البَقَرَة فإنَّ أَخْذَها بَرَكَة وتَرْكَها حَسْرَة ولا تَسْتَطيعها البَطَلَة)(١) وقال :

(اقْرَؤوا سورة البقرة فى بيوتكم فإن الشيطان لا يَدْخُل بَيْتاً يقرأ فيه سورة البقرة)(٢) وبها أعظم آية فى القرآن الكريم وهى آية الكُرْسِيّ (الله لا إله إلا هو الحَيّ القيوم)(٣) قال صلى الله عليه وسلم (يا أبا المُنْذِر أتدرى أى آية فى كتاب الله معك أعظم ؟ قلت :الله لا إله إلا هو الحَيّ القيوم. فضرب فى صدرى وقال : لِيَهْنِكَ العِلْمُ أبا المُنْذِر)(٤) وهى كُنْيَة أُبَيُّ بن كعب رضى الله عنه، وقال صلى الله عليه وسلم : (من قرأ آية الكرسى دُبُرَ كُلّ صلاة لَمْ يَمْنَعْه مِن دُخُول الجَنَّةِ إلا أن يَمُوت)(٥). وبها أطول آية فى القرآن الكريم وهى آية الدَّيْن (يا أَيُّها الذِينَ ءامَنُوا إذا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمَّىً فَاكْتُبُوهُ ...)(٦) وبها آخر آية نزلت من القرآن الكريم وهى قوله تعالى (واتقوا يوماً تُرْجَعُونَ فِيه إلى الله ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ)(٧) وبها آخر آيتين واللتين أُنْزِلتا مِنْ تَحْتِ العَرْش وهما قوله تعالى (ءَامَنَ الرَّسُولُ بِما أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَبِّهِ والمُؤْمِنُونَ كُلٌ ءَامَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ....)(٨) وقال صلى الله عليه وسلم (اقرؤوا هاتين الآيتين اللتين فى آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ فإنَّ رَبِّى أَعْطَانِيهِما مِن تَحْتِ العَرْش)(٩) وقال (مَن قَرَأَ الآيتين مِن آخِرِ سورة البقرة فى لَيلةٍ كَفَتَاهُ)(١٠)

---

(١) رواه أحمد ومسلم رحمهما الله عن أبى أمامة رضى الله عنه ص.ج رقم ١١٦٥. والبَطَلَة أى : السَّحَرَة

(٢) رواه الحاكم والبيهقى رحمهما الله فى شعب الإيمان عن ابن مسعود رضى الله عنه ـ ص.ج رقم ١١٧٠

(٣) سورة البقرة : ٢٥٥ (٤) رواه مسلم رحمه الله تعالى

(٥) رواه النسائى وابن حبان رحمهما الله تعالى عن أبى أمامة رضى الله عنه ـ ص.ج رقم ٦٤٦٤

(٦) سورة البقرة : ٢٨٢ (٧) سورة البقرة : ٢٨١ (٨) سورة البقرة : ٢٨٥ ، ٢٨٦

(٩) رواه أحمد والطبرانى رحمهما الله تعالى عن عقبة بن عامر رضى الله عنه ـ ص.ج رقم ١١٧٢



(١٠) رواه أصحاب السنن رحمهم الله تعالى - ص.ج رقم ٦٤٦٥

وسُميت هذه السورة الكريمة بهذا الاسم إحْياءً لِذِكْرَى تلك المُعْجِزَة الباهِرَة التى ظهرت فى زمن موسى عليه السلام كليم الله حيث قُتِلَ شَخْصٌ من بني إسرائيل ولم يعرفوا قاتله فعرضوا الأمر على موسى لعله يعرف القاتل فأوحى الله تعالى إليه أن يأمرهم بذبح بقرة وأن يضربوا المَيت بجزء منها فيحيا بإذن الله ويخبرهم عن القاتل وتكون برهانا على قدرة الله جل وعلا فى إحياء الخلق بعد الموت قال تعالى (فَقُلنا اضْرِبُوه بِبَعْضِها كَذلِكَ يُحْيي اللهُ المَوْتَى وَيُريكُم آياتِهِ لَعَلَّكُم تَعْقِلُونَ)(١)(٢)

وبها آية فَرْض الصِّيَام وتناولَتْ الحديثَ عن بَنِى إسْرائيلَ وبعضاً مِن القَصَص كَقِصَّة إبراهيم عليه السلام مع النّمْرُوذ بن كَنْعَان وقِصة طالُوت وجالُوت كما تناولت أحكاماً كثيرة كأحكام النِّكاح والطَّلاق والعِدَّة والجِهاد والحَجّ والعُمْرَة، وغير ذلك من الأوامر والنواهى الشرعية، وبها أحَد عَشَر نِدَاء مِن اللهِ تَعَالى للمؤمنين خاصَّة وأوَّل نِداء فى هذه السورة هو قوله تعالى (يا أيُّها الذِينَ ءامَنُوا لا تَقُولُوا راعِنا وقُولُوا انظُرْنا واسْمَعُوا وللكافِرينَ عَذابٌ أليمٌ)(٣)

يا : حرف نداء للبعيد وينادَى بها للقريب تعظيماً له نحو يا رب يا الله .

أى : صِلَة للتَّوَصل بها لنداء ما فيه (ال) نحو (يا أيها الناس) .

ها : حرف تنبيه أُقْحِمَتْ بَيْنَ أىّ والمُنادَى.

وإذا جاء نداء اسم فيه (ال) أتى قبله بلفظ (أىّ) للمُذَكَّر و (أيَّة) للمُؤَنَّث أو باسم الإشارة المناسب فالمذكر كقول الشاعر :

يا أيُّها الرَّجُلُ المُعَلِّمُ غَيْرَهُ هَلَّا لِنَفْسِكَ كانَ ذا التَّعْلِيمَ

وللمؤنث مثل قوله تعالى (يا أيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّة) .

وحُكْمُ (أىّ) أو (أيَّة) البناء على الضَّم، وما فيه (ال) بعدها مرفوع على أنه صِفَة، ويُسْتَثْنَى من ذلك لفظ الجَلالة (الله) فينادَى مِن غَيْر (أىّ) أو هذا فيقال (يا اللهُ) ويكثر معه حذف حرف النداء والتعويض عنه بميم مشددة فيقال (اللَّهُمَّ) .

الذِينَ : اسم موصول لجمع الذُّكُور، والاسم الموصول هو ما يدل على مُعَيَّن بوساطة جملة تُذْكَر بَعْدَه تسمى (صِلَة المَوْصُول) وصلة الموصول تكون دائما فِعْلِية مِثْل (إنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَن الذِينَ ءَامَنُوا) أو اسمية مثل (قَدْ أفْلَحَ المُؤْمِنُونَ * الذِينَ هُمْ فِى صَلاتِهِم خاشِعُونَ) ويشترط فى جملة الصلة أن تشتمل على ضمير يربطها بالموصول ويطابقه فى النوع والعدد، ويسمى هذا الضمير (العائد) وقد يحذف العائد إذا فهم مع حذفه، وأكثر ما يكون ذلك إذا كان ضميرا متصلا منصوبا بفعل مثل (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) أى ما تسرونه وما تعلنونه وقد يلى الموصول ظرف أو جار ومجرور مثل : (أنْفَقْتُ ما مَعِى، أدَّيْتُ ما عَلَىَّ)، وحينئذ يتعلق



(١) سورة البقرة : ٧٣ (٢) صفوة التفاسير– الصابونى ج١ ص ١٦

(٣) سورة البقرة : ١٠٤

كل منهما بفعل محذوف ومن ذلك يتضح أن الصلة لابد أن تكون جملة (١)

والمنادَى هم المؤمنون، ءامَنُوا : أى يا من ءامَنْتُم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وءامنتم بما جاء به الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وصَدَّقْتُمُوه .

مناسبة الآية الكريمة :

لما ذكَرَ اللهُ تعالى قبائِحَ اليهودِ وما اخْتُصُّوا به مِن ضُروب السِّحْرِ والشَّعْوَذَة؛ أعقبه ببيان نوع آخر من السوء والشر الذى يُضْمِرُونه للنبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين من الطعن والحقد والحسد وتمنى زوال النعمة عن المؤمنين (٢)

معنى الآية الكريمة :

أمر الله تعالى المؤمنين أن يراعوا الأدب فى مخاطبتهم نبيهم تجنباً للكلمات المشبوهة ككلمة (راعِنا) إذ قد تكون من الرُّعُونَة (٣) ولِما تدل عليه صيغة المُفاعَلَة، إذ كأنهم يقولون (راعِنا نُرَاعِك) وهذا لا يليق أن يخاطب به الرسول صلى الله عليه وسلم وأرشدهم إلى كلمة سليمة من كل شُبْهَة تنافى الأدب وهى (انظرْنا) وأمرهم أن يسمعوا لنبيهم إذا خاطبهم حتى لا يُضْطَرُوا إلى مراجعته، إذ الاستهزاء بالرسول والسُّخْرِية منه ومخاطبته بما يفهم منه الاستخفاف بحقه وعلو شأنه وعظيم منزلته كُفْر بَوَاح .

سبب نزول الآية الكريمة :

أن اليهود استغلوا كلمة (راعِنا) وصاروا يقولونها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يَنْوُون بها سَبَّ الرَّسولِ صلى الله عليه وسلم لوجود كلمة فى العِبْرِيَّة مثلها ومعناها السب والشتم فأرشد الله تعالى فيها المؤمنين إلى ترك كلمة (راعنا) وإبدالها بـ (انظرنا) فانقطع الطريق عن اليهود لعنهم الله ومعنى (انظرنا) هو معنى (راعنا) بمعنى أمهلنا لكن استعملها اليهودُ ينوون بها سب النبى صلى الله عليه وسلم وفى هذه الآية إرشاد المسلمين إلى عدم مشابهة الكافرين فى القول والعمل وحتى الزِّى واللِّباس (٤)

---

(١) القواعد الأساسية فى النحو والصرف (٢) صفوة التفاسير – الصابونى ج١ص٧١



(٣) الرُّعُونَة : الحُمْق والاسْتِرْخاء ورَجُلٌ أرْعَن، وامرأة رَعْناء، بَيِّناً الرعونة (مختار الصِّحاح)

(٤) أيسر التفاسير – الجزائرى ج ١ ص٥٤

ويشهد لذلك أحاديث كثيرة منها قول النبى صلى الله عليه وسلم :

(.... وجُعِلَ الذُّلُّ والصَّغارُ عَلَى مَن خالَفَ أمْرِى ومَن تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنهُم)(١) وقوله :

(خالِفُوا اليَهُودَ فإنَّهُم لا يُصلُّونَ فى نِعالهم (٢) ولا خِفافهم (٣))(٤) وقوله :

(خالفوا المشركين احْفُوا الشَّوَارِبَ وأوْفِرُوا اللِّحَى)(٥)

الشَّوَارِب : جمع شارِب وهو ما يَنْبُت على الشَّفَة العُلْيا مِن الشَّعْر (المعجم الوجيز)

اللِّحَى : جمع لِحْيَة وهى شَعْر الخَدَّيْنِ والذَّقْن (المعجم الوجيز)

ثم ختم الله تعالى الآية بقوله (وللكافرين عذاب أليم) أى للجاحدين المكذبين لله ورسوله لهم عذاب شديد الإيجاع، ثم تلا هذه الآية ببيان اليهود و النصارى والوثنيين من العرب وغيرهم الذين لا يحبون أن يُنَزَّلَ عليهم من خير من الله سواء كان قريباً يحمل الهدى للناس، أو غير ذلك من أنواع الخيرات وذلك حَسَداً منهم للمؤمنين؛ فأخبرهم الله تعالى أنه يَخْتَصُّ برحمته من يشاء من عباده فَحَسَدُ الكافرين لكم لا يمنع فضل الله عليكم ورحمته متى أرادَكُم بذلك .

---

(١) رواه أحمد وأبو يَعْلَى رحمهما الله تعالى عن ابن عمر رضى الله عنهما – ص . ج رقم ٢٨٣١

(٢) نِعالهم : النِّعال جمع نَعْل وهو الحِذاء (المعجم الوجيز)

(٣) خِفافهم : الخِفاف جمع خُف وهو ما يُلْبَس فى الرِّجْل من جِلْد رَقِيق (المعجم الوجيز)



(٤) رواه أبوداود والحاكم رحمهما الله تعالى عن شداد بن أوس رضى الله عنه – ص . ج رقم ٣٢١٠

(٥) رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى عن ابن عمر رضى الله عنهما

النداء الثانى - قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣) ﴾

سورة البقرة : ١٥٣

بعد أن تحدث الله تعالى عما سيقول السفهاء من المنافقين واليهود والمشركين من أمر تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وبَيَّنَ أن هذه الأمة وسط بين الإفراط والتفريط ، خيار عُدُول وأن أمر تغيير القبلة العلّة منه هو اختبار وامتحان المؤمنين وأنه لا يضيع أجرهم فى الصلاة التى صلوها إلى بيت المقدس قرابة سبعة عشر شهراً؛ بل يجزيهم بها كاملة وهذا مظهر من مظاهر رأفة الله بعباده ثم أخبرهم الله بأن أرسل إليهم النبى صلى الله عليه وسلم رسولا منهم يتلو عليهم آيات الله ويعلمهم القرآن والسنة وما كانوا يجهلون من العلوم الشرعية ثم أمرهم أن يستعينوا بالصبر والصلاة، فقال سبحانه (يا أيها الذين ءامنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين) .

الاستعانة : هى طَلَب العَوْن مِن الله عَزَّ وَجَلَّ قال تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين)(١) أى لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك، ونبرأ من كل معبود دونك ومن عابديه، ونبرأ من الحول والقوة إلا بك فلا حَوْلَ لأحد عن معصيتك ولا قوة على طاعتك إلا بتوفيقك ومعونتك، وقال عن نبيه يعقوب عليه السلام (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)(٢) وقال النبى صلى الله عليه وسلم لابن عمه عبد الله بن عباس رضى الله عنهما (إذا سألتَ فاسْألِ اللهَ وإذا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِن باللهِ)(٣) وقال فى دعائه (اللّهُمَ أعِنِّى عَلَى ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْن عِبادَتِكَ)(٤)(٥)

وهناك ماهو جائز من الاستعانة بالمخلوقين فيما يقدرون عليه كاستعانة المسلم بأخيه أن يناوله شيئاً أو أن يقضى له حاجة ويؤيد ذلك قوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان)(٦)

لكن ما يفعله بعض الجُهَّال من الذهاب إلى القُبُور والأضْرحَة لِيَسْتَعِينُوا بأصحابها ويسألوهم من دُون اللهِ جَلْبَ نَفْعٍ أوْ دَفْعَ ضُر فهذا شرك بالله مَنْهِىّ عنه؛ لأنهم يسألونهم الأولادَ، والأرزاقَ، وشفاءَ المَرْضَى، وغير ذلك مما لا يَقْدِر عليه إلا اللهُ عز وجل ـ فالله المستعان ـ

---

(١) سورة الفاتحة : ٥ **(٢) سورة يوسف : ١٨**

(٣) رواه الترمذى رحمه الله تعالى عن ابن عباس ص.ج رقم ٧٩٥٧



(٤) رواه الترمذى رحمه الله تعالى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه.

(٥) مختصر معارج القبول – هشام عقدة ص ١٢٥ (٦) سورة المائدة : ٢

الصَّبْر لُغَة : الحَبْس وهو حَمْل النَّفْس على المَكْرُوه وتوطينها على احْتِمال المَكاره (١)

وهو كَفُّ النَّفْس عن الجَزَع والسَّخَط وحبسها عن شهواتها وكف اللسان عن الشكوى والثبات على أحكام الكتاب والسنة (٢)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى :

والصبر صبران : فصبر على ترك المحارم والمآثم وصبر على فعل الطاعات والقُرُبات والثانى أكثر ثواباً لأنه المقصود وأما الصبر الثالث فهو على المصائب والنوائب (٣)

والصبر على طاعة الله تعالى هو وصية الله إلى خلقه قال تعالى (فاعبده واصطبر لعبادته)(٤) والصبر لا يفيد شيئا إذا لم يقترن بالتقوى سواء كان فى مجابهة النفس أو مجابهة الأعداء قال تعالى (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً)(٥)

ولا تستعيد الأمةُ مركزها القِيادِىّ وعزتها ومجدها إلا بهذا الأسلوب ولذلك قال تعالى (لَتُبْلَوُنَّ فى أموالكم وأنفسكم وَلَتَسْمَعُنَّ مِن الذين أُوتُوا الكِتابَ مِن قَبْلِكُم ومِنَ الذين أشْرَكُوا أذىً كثيراً وإنْ تَصْبِرُوا وتَتَّقُوا فإنَّ ذلك مِن عَزْمِ الأمُور)(٦) والمؤمن يحتاج إلى زاد من الصبر للوقوف عند حدود الله، قال تعالى (إنَّهُ مَن يَتَّقِ ويَصْبِر فإنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أجْرَ المُحْسِنِينَ)(٧) وفى قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العَزِيزِ المَثَل الطَّيِّب والقُدْوَة الصَّالِحَة للصابرين عند حُدُود الله تعالى، قال سبحانه (كذلك لِنَصْرِفَ عنه السُّوءَ والفَحْشاء إنَّهُ مِن عِبادِنا المُخْلَصِين)(٨)

ولما كان الإيمان بالقضاء والقدر من مقتضيات الإيمان بالله فقد أوصت النصوص الكثيرة بالصبر على الابتلاء والمصائب ليستطيع الداعية مواجهة المشكلات التى تواجهه فى الحياة فلا يكترث بما يصيبه من عنف وإيذاء وفتنة قال تعالى فى وصية لقمان لابنه (يا بُنَىَّ أقِمِ الصَّلاةَ وأمُرْ بالمَعْرُوف وَانْهَ عن المُنْكَر واصْبِر عَلَى ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور)(٩)

---

(١) أيسر التفاسير – الجزائرى ج ١ ص ٧٥ (٢) أصول المنهج الإسلامى - العبيد ص ٥١٨

(٣) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى (٤) سورة طه : ١٣٢ (٥) سورة آل عمران : ١٢٠

(٦) سورة آل عمران : ١٨٦ (٧) سورة يوسف : ٩٠ (٨) سورة يوسف : ٢٤





(٩) سورة لقمان : ١٧

قال ابن كثير رحمه الله : فكل من قام بحق أو أمَرَ بمعروف أو نَهَى عن منكر فلا بد أن يُؤْذَى فما له من دواء إلا الصبر فى الله والاستعانة به والرجوع إليه ا.هـ.

والصبر على المصائب يعنى التسليم لأمر الله والخضوع لقضاء الله وقدره. قال ابن كثير : قال سعيد بن جبير : الصبر اعتراف العبد لله بما أصاب به واحتسابه عند الله رجاء ثوابه ا. هـ.

ومن الصبر على المصائب كذلك الصبر على المرض والمِحَن وهو مُكَفِّر للذنوب وللجنة ثَمَن مُقَدَّمُه الصبر فى جميع الحالات، قال تعالى (وجَزاهُم بما صَبَرُوا جَنَّةً وحَريراً)(١) وأجود ما يستعان به على تحمل المصائب والقلق وضيق الصدر الصبر والصلاة (٢)

الصلاة لغة : الدعاء والاستغفار، والدعاء هو أصل معانيها، ومنه قوله تعالى (وَصَلِّ عليهم إن صلاتك سَكَنٌ لَهُم)(٣) أى اُدْعُ لهم، والصلاة من الله : الرحمة وحسن الثَّناء، ومن ذلك قوله تعالــى (هو الذى يُصَلِّى عليكم وملائِكتُه .....)(٤) والصَّلاة من الإنْس والجِنِّ : القيام والركوع والسُّجود والدعاء والتَّسبيح.

وأصل الصلاة اللزوم، وصَلَّى أى لَزِمَ فتكون الصلاة لُزُوم ما فَرَضَ اللهُ تعالى، وقيل : أصلها فى اللغة التعظيم وسُمِّيَت الصلاة المخصوصة صلاة؛ لِما فيها من تعظيم الرب تعالى وقيل مشتقة من الصلة لأنها تَصِلِ الإنسانَ بِخالِقِه وتُقَرِّبُه مِن رَحْمَة رَبِّهِ .

والصلاة شرعاً : هى أقوال وأفعال مخصوصة يقصد بها التقرب إلى الله تعالى تُفْتَتَح بالتكبير وتُخْتَتَم بالتسليم، لها شروط، وأركان، وواجبات، وسنن خاصة متعلقة بها.

والمراد بالأقوال : التكبير والقراءة والتسبيح ونحو ذلك. والمراد بالأفعال : القيام والركوع والسجود والجلوس ونحوه (٥)

والصلاة هى الركن الثانى من أركان الإسلام بعد الشهادتين وأجمع المسلمون من السَّلَف والخَلَفِ على وُجوب خَمْس صَلَوات فى اليوم والليلة على كل مسلم ومسلمة بالِغَيْن عاقِلَيْن، على أن تكون المرأةُ غيرُ حائضٍ ولا نُفَساء، ويُؤْمَر بها الصَّبى متى بَلَغَ سَبْعَ سنين، ويُضْرَب على أدائها متى بلغ عَشْر سِنين (٦)

وله الحمد سبحانه وتعالى جعل الصلاة فرقانا بين الإيمان والكفر، وناهية عن الفحشاء والمنكر، وجعلها من أكبر العَوْن على تحصيل المصالح الدنيوية والأخروية ومغفرة للخطايا والذنوب، وإصلاح وشفاء الصُّدور والقلوب، وتهذيب الجوارح والنفس، وجعلها جالبة للرزق، ودافعة للظلم، وناصرة للمظلوم، وقامِعَة للشهوات، وحافظة للنِّعْمَة، ودافِعَة للنقمة ومُنْزِلة للرَّحْمَة، وكاشِفَة للغُمَّة، ودافِعَة لأدْواء القلوب والأجساد، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى

---

(١) سورة الإنسان : ١٢ **(٢) أصول المنهج الإسلامى – العبيد** **(٣) سورة التوبة : ١٠٣**





(٤) سورة الأحزاب : ٤٣ (٥) ، (٦) الصلاة قرة عيون المؤمنين – الشيخ د / طلعت زهران

هريرة رضى الله عنه (قُمْ فَصَلِّ فإنَّ فى الصَّلاةِ شِفاء) وقد رُوِىَ هذا الحديث مَوْقُوفاً عَلى أبى هريرة (١)

(إنَّ اللهَ مَعَ الصَّابرينَ)

من الصفات الثابتة لله عز وجل المَعِيَّة، فهو مع عباده سبحانه وتعالى أينما كانوا فقال سبحانه (وهو معكم أينما كنتم)(٢) وقال (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا)(٣) وهذه معية عامة فالمعية نوعان :

١ – مَعِيَّة عامَّة، كقوله تعالى (وهو معكم أين ما كنتم) ومعناها إحاطته بهم عِلماً وقُدْرَةً وهو إجماع الصحابة والتابعين.

٢ – مَعِيَّة خاصَّة، فَهِىَ مَعِيَّتُه سبحانه لأحْبابه وأوليائه فتلك غير المعية العامة فهو معهم بالرِّعايَة والإعانة والكفاية والنصر والتأييد والهداية والتوفيق وغير ذلك مما تجفو عبارة المخلوق عنه ويقصر تعريفه دونه كقوله تعالى (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)(٤) وقوله لموسى وهارون (إنني معكما أسمع وأرى)(٥) وكل ذلك لم يَنْفِ العُلُوّ، فهو سبحانه وتعالى مُسْتَوٍ على عَرْشِه بائِن (مُنْفَصِل) مِن خَلْقِه (إليه يَصْعَد الكَلِمُ الطَّيِّبُ والعَمَلُ الصَّالِح يَرْفَعه) وليس معنى مَعِيَّته مع عِبادِه أن يكون ذلك بالجوارح أو أنه تعالى مختلط بالخَلْق؛ فهو خلاف ما أجمع عليه سَلَفُ الأمَّة وخِلاف ما فَطَرَ اللهُ عليه الخَلق؛ بل القمر آية من آيات الله ومن أصْغَر مَخْلُوقاته وهو موضوع فى السماء وهو مع المُسافر وغير المسافر أينما كان ومن أشار إلى غير هذا فإنما يشير إلى الإلحاد والحلول والاتحاد والله ورسوله بَريئان مِنه (٦)

معنى الآية الكريمة :

نادَى الرَّبُّ تعالى عباده المؤمنين وهم أهل مِلَّةِ الإسلام ليرشدهم إلى ما يكون لهم عَوْناً على الثبات على قِبْلَتهم التى اختارها لهم، وعلى ذكر ربهم وشكره وعدم نسيانه، فقال (يا أيها الذين ءامنوا استعينوا ...) أى على ما طُلِبَ منكم من الثبات والذِّكر والشكر وترك النسيان والكفر؛ بالصبر الذى هو توطين النفس وحملها على ما أمر الله تعالى به وبإقام الصلاة وأعْلَمَهُم أنه مع الصابرين يَمُدُّهم بِالعَوْن والقُوَّة، فإذا صبروا نالهم عَوْنُ اللهِ وتقويته، والآية التى تليها رقم ١٥٤

---

(١) الصلاة قُرَّة عُيون المؤمنين - الشيخ د / طلعت زهران ص ٤

(٢) سورة الحَدِيد : ٤ (٣) سورة المُجَادَلَة : ٧ (٤) سورة النَّحْل : ١٢٨



(٥) سورة طه : ٤٦ (٦) معارج القبول – حافظ حكمى ص ١٦٤ (بتصرف يسير)

فقد تضمنت نهيه تعالى لهم أن يقولوا أن من قتل فى سبيل الله مَيْت إذ هو حَـيٌّ فى البَرْزَخ (١) وليس بميت؛ بل هو حى يرزق فى الجَنَّة، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أرواح الشهداء فى حَواصِلِ طيور خُضْر تَسْرَح فى الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى قنادِيلَ مُعَلَّقة تَحْتَ العَرْش)(٢) حَواصِلِ : جمع حوصلة، فلذلك لا يقال لمن قُتِلَ فى سبيل الله مات ولكن اسْتُشْهد، وهو شَهيدٌ، وَحَيٌّ عند ربه حياة لا نَحسُّها ولا نَشْعُر بها لِمُفارَقتها للحياة التى فى هذه الدَّار(٣)

النداء الثالث – قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢) ﴾

سورة البقرة : ١٧٢

الطَّيِّبات : جمع طيِّب يُقال طابَ الشَّئ يطيب طَيِّباً فهو طيب قال تعالى (فانْكِحُوا ما طابَ لَكُم مِن النِّساء ... فإن طِبْنَ لَكُم ..) وأصل الطَّيِّب : ما تستلذه الحَوَاس وما تستلذه النفس .

والطعام الطيب فى الشرع : ما كان متناوَلاً من حيث ما يجوز وبقدر ما يجوز ومن المكان الذى يجوز، والطيب من الإنسان : مَن تَعَرَّى مِن نَجاسة الجهل والفسق وقبائح الأعمال، وتحلى بالعلم والإيمان ومحاسن الأعمال وإياهم قصد سبحانه بقوله (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين)

وصَعِيداً طيباً أى تراباً لا نجاسة به وسمى الاستنجاء استطابة لما فيه من التَّطيُّب والتَّطهُّر، وقيل الأطْيَبان الأكل والنِّكاح، وطعام مطيبة للنفس إذا طابت به النفس (٤)

خاطب الله عز وجل فى الآية ١٦٨ من سورة البقرة جميع البشر أن يأكلوا مما أحله الله من الطيبات حال كونه مستطاباً فى نفسه غير ضار بالأبدان والعقول، ثم نهاهم أن يقتدوا بآثار الشيطان فيما يزينه من المعاصى والفواحش والمنكرات ونهاهم أن يَتَّبعُوا خُطُواتِه، وأنه عظيم العداوة وعداوته ظاهرة لا تخفى على عاقل، كما نهاهم أن يفتروا على الله بتحريم ما أحل أو تحليل ما حرم، وخاطب اللهُ المؤمنين لأنهم الذين ينتفعون بالتوجيهات الرَّبَّانِيَّة والمعنى : كلوا يا أيها المؤمنون من المستلذات وما طاب لكم من الرزق الحلال الذى رزقكم الله إياه (واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون) أى واشكروا اللهَ على نِعَمِه التى لا تُحْصَى إن كنتم تَخُصُّونَه بالعِبادَة ولا تَعْبُدونَ أحداً سِواه (٥)

---

(١) البَرْزَخ هو الحاجِز والحَدُّ بينَ الشيئين، وقيل أصلُه : بَرْزَهُ فعُرِّبَ، وقوله تعالى (بينهما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيان) والبرزخ فى القيامة : الحائِل بين الإنسان وبين بُلوغ المنازل الرَّفِيعة فى الآخِرَة (المفردات للراغب الأصفهانى)

(٢) رواه مسلم رحمه الله تعالى (٣) أيسر التفاسير- الجزائرى ج ١ ص ٧٥

(٤) المفردات فى غريب القرآن – الراغب الأصفهانى (٥) صفوة التفاسير – الصابونى ج١

معنى الآية الكريمة :

نادَى الجَبَّار عَزَّ وَجَلَّ عباده المؤمنين : يا أيها الذين ءامنوا بالله رباً وإلهاً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا اللهَ رَبَّكُم على ما أنعم عليكم من حلال اللحوم ولا تحرموها كما حرمها مُقلّدَة المشركين، فإنه تعالى لَمْ يُحَرِّم عليكم إلا أكْلَ المَيْتَة والدَّمَ ولَحْمَ الخِنْزير وما أُهِلَّ به لغيره تعالى، ومع هذا مَن ألجأته الضرورة فخاف على نفسه الهلاك فأكل فلا إثم عليه، بشرط أن لا يكون فى سَفَره باغياً على المسلمين، ولا عادِيَاً بطريق يقطعها عليهم؛ لأن الله غفور لأوليائه التائبين رحيم بهم لا يتركهم فى ضِيقٍ ولا حَرَجٍ (١)

أخرج مسلم فى صحيحه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (يا أيها الناسُ إنَّ اللهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلا طَيِّباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : (يا أيها الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيبات واعْمَلُوا صالِحاً إنّى بِما تَعملون عَليم) وقال : (يا أيها الذين ءامَنُوا كلوا مِن طَيبات ما رزقناكم) الآية ثم ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أغْبَر يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السماء : يا رَبّ يا رَبّ ومَطْعَمه حَرام ومَشْرَبه حرام ومَلْبَسه حرام وغُذّىَ بالحرام فَأَنَّى يُسْتَجابُ لَهُ ؟) (٢)

ثم بَيَّنَ الله لهم واسْتَثْنَى من ذلك أشياءَ مُحَرَّمَة، وذَكَرها لهم وهى المَيْتة، والدم، ولحم الخِنْزير وما أُهِلَّ به لِغَيْرِ اللهِ.

فالمَيْتَة بفتح الميم : الحيوان تزول حياته دون ذبح شرعى وفى القرآن (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ)

والمِيتَة بكسر الميم : الحال التى تقع على الموت، يقال مات فلان مِيتَة رَضِيَّة.

والمَوْت : ضد الحياة، والمُوات بضم الميم : الموت الذى يقع على الدواب، والمَوات بفتح الميم : الأرض التى لم تُزرَع ولا تُعمر ولا جَرَى عليها مِلك لأحد) (٣)

والمَيْت والمَيْتة بفتح الميم وسكون الياء، هو ما مات قَطْعاً وانتهتْ حياتُه.

والمَيِّت والمَيِّتَة بتشديد الياء، هو ما لم يمت بعد ولكنَّه آيلٌ أمْرُه إلى المَوْت، هكذا يرى أرباب اللغة واستشهدوا بقوله تعالى (إنَّكَ مَيِّتٌ وإنَّهُم مَيِّتُونَ) وهذا دليل على إطلاق مَيِّت بالتشديد على مَن لَمْ يَمُتْ بَعْدُ، كما استشهدوا بقول الشاعر الجاهِلِىّ عَدِىّ بن الرَّعْلاء الغَسَّانِىّ :

ليس مَن ماتَ فاسْتَراحَ بِمَيِّتٍ إنَّما المَيِّتُ مَيِّتُ الأحْياءِ
إنَّما المَيِّتُ مَن يَعِيشُ كَئِيبــاً كاسِفاً بالُه قليل الرَّجاءِ

---

(١) أيسر التفاسير – الجزائرى ج ١ ص٨٣ (٢) رواه مسلم رحمه الله تعالى

(٣) المُعْجَم الوجيز



والمَيْتة : ما مات من الحيوان حتف أنفه بدون تذكية، وأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى أكل السَّمَك والجَراد، وهما من المَيْتة، لحديث (أُحِلَّ لنا مَيْتتان الحُوتُ والجَرادُ، ودَمَان الكَبِدُ والطُّحالُ) وحَرَّمَ أكْلَ كُلِّ ذِى نابٍ مِنَ السِّباعِ وَ ذِى مِخْلَبٍ مِن الطُّيور، لحديث (نَهَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عن أكل كل ذى ناب من السِّباع و ذى مِخْلَبٍ مِن الطُّيور)

والدَّم أى : الدَّمُ المَسْفُوح السائل لا المُخْتَلِط باللَّحْم .

الخِنْزِير : حيوان خَبيث معروف يأكل العَذِرة ولا يَغار عَلَى أنْثاه.

ما أُهِلَّ به لغير اللهِ : رفع الصوت باسم مَن تُذْبَح له مِن الآلِهَة (١)

الإهْلال : هو رَفْعُ الصَّوْت عند رؤية الهلال ثم استعمل لكل صوت، وبه شُبه إهْلال الصَّبِىّ وقوله (وما أُهِلَّ به لِغَيْرِ اللهِ) أى ما ذُكر عليه غَيْرُ اسم الله، وهو ما كان يُذْبَح لأجل الأصْنام وقيل الإهلال والتَّهْليل أن يقول (لا إله إلا الله) ومنه الإهلال بالحَجِّ (٢)

فهذه أصُول المُحَرَّمات الأربعة، وأما المُنْخَنِقة، والمَوْقُوذة، والمُتَرَدِيَة، والنَّطِيحَة، وما أكل السَبُع، وما ذُبح على النُصُب؛ فهى متفرعة من تلك الأصُول، وهى مَذْكُورة فى فواتح سورة المائدة وسيأتى بيان ذلك إن شاء الله تعالى فى قوله تعالى (يا أيها الذين ءامَنُوا أوْفُوا بالعُقُودِ أحِلَّت لكُم بَهيمَةُ الأنْعام إلا ما يُتْلَى عَلَيْكم ...) فى أول سورة المائدة وما تلاها.

النداء الربع - قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى(٣) الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨)﴾ سورة البقرة : ١٧٨

كَتَبَ من باب نَصَرَ وكِتاباً أيضاً وكِتابة، والكتاب أيضاً الفَرْض والحُكم والقَدَر، والكاتِب عند العرب العالِم، ومن قوله تعالى (أمْ عِندَهُم الغَيْب فَهُم يَكْتُبُونَ) والمُكْتِب بوزن المُخرج الذى يُعَلِّم الناس الكتابة والمُكاتَب بفتح التاء : العبد الذى يُكاتِب نفسه بثمنه فإذا سَعى وأدَّاه عُتِق (٤)

---

(١) أيسر التفاسير – الجزائرى ج ١ ص٨٣ (٢) المفردات فى غريب القرآن - الراغب الأصفهانى

(٣) القَتْلَى جمع قَتِيل وهو الذى أزْهِقَتْ رُوحُه فمات بأى آلة ويستوى المذكر والمؤنث فيقال رَجُلٌ قَتِيل، وامرأة قَتِيل. (٤) مختار الصِّحَاح

قيل (كُتِبَ) هنا فى الآية : هو إخبار عما كُتِبَ فى اللَّوْح المَحْفُوظ وسبق به القضاء، ولا مُنافاة بين ما شُرِعَ وفُرِضَ علينا فى القرآن والسنة وما كُتِبَ فى كتاب المقادير إذ الكل سَبَقَ به عِلْمُ اللهِ وأراده فكان كما أراد (١)

القِصاص : القَصُ تَتَبُّع الأثر يقال : قَصَصْتُ أثَرَه، والقَصَص الأثر، قال تعالى (فارْتَدَّا على آثارهما قَصَصا – وقالت لأخته قُصِّيه) والقَصَص : الأخبار المتَتَبَعة، قال تعالى (إن هذا لَهُوَ القَصَص الحَقّ – لقد كان فى قَصَصِهم عِبْرَة) والقِصاص هو تَتَبُع الدم بالقَوَد قال تعالى (ولكم فى القِصاص حَياة – والجُرُوح قِصاص)(٢)

والقِصاص : المُساوَاة فى القتل والجِراحات وفى آلة القَتْلِ أيضاً(٣)

سبب نزول الآية الكريمة :

وهذه الآية نزلت فى حَيَيْن من العرب كان أحد الحَيَيْن يرى أنه أشرف من الآخر فلذا يُقتَل الحر بالعبد والرجل بالمرأة تطاولاً وكبرياءً فحدث بين الحيين قتل وهم فى الإسلام فَشَكَوْا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت الآية تُبطل ذَحْل(٤) الجاهلية وتُقرِّر مبدأ العدل والمساواة(٥) فى الإسلام، فقال تعالى (يا أيها الذين ءامنوا كُتِبَ عليكم القِصاص فى القَتْلى ..)

فلا يُقتَل بالرَّجُل رَجُلان، ولا بالمَرْأةِ رَجُلٌ ولا امْرأتان، ولا بالعَبْدِ حُرٌ ولا عَبْدان، فَمَن تَنازَل له أخُوهُ(٦) وهو وَلِيّ الدَّم عن القِصاص إلى الدِيَة أو العَفْو مطلقاً فليتبع ذلك، ولا يَقُلْ لا أَقْبَلُ إلا القِصاص؛ بل عليه أن يَقْبَل بإعطاء الدِّيَة، أو العفو، وليَطْلُب وَلِيُّ الدَّم الدِّيَة بالرِّفْق والأدَب ولْيؤَدِ القاتِلُ الدِّيَة بإحسانٍ بحيث لا يُماطِل ولا يُنْقِص منها شيئاً(٧)

---

(١) أيسر التفاسير للجزائرى ج١ ص٨٦ (٢) المفردات فى غريب القرآن - الراغب الأصفهانى

(٣) أيسر التفاسير للجزائرى ج ١ ص٨٧

(٤) ذَحْل الجاهلية : أى ثأر الجاهلية وعادتها، قال صلى الله عليه وسلم (إنَّ مِن أعْتَى الناس يوم القيامة ثلاثة : رَجُلٌ قتَلَ غيرَ قاتِلِه ، ورجل قتَلَ فى الحَرَم ، ورجل أخذ بذُحُول الجاهلية.

(٥) الجمهور على أن الجماعة تقتل بالواحد وذلك إذا باشروا القتل، لقول عمر بن الخطاب فى قتل غلام قتله سبعة، فقتلهم وقال : لو تَمالأ عليه أهل صَنْعاءَ لقتلتُهم، ولم يُخالِفْه أحَدٌ فكان إجْماعاً.

(٦) أى أخوه فى الإسلام إذ لا يقتل المسلم بالذِمِى لحديث (لا يُقْتَل المُسْلِمُ بكافِر) وهو مذهب الجمهور لعدم تكافؤ الدم .

(٧) أيسر التفاسير للجزائرى ج ١ ص٨٧

ثم ذكر تعالى مِنَته على المسلمين حيث وَسَّعَ عليهم فى هذه المسألة فجعل وَلِىَّ الدم مُخَيَّراَ بين ثلاثة : العفو، أو الدِيَة، أو القَوَد (القِصاص) فى حين أن اليهود كان مفروضا ًعليهم القصاص فقط، والنصارى الدية فقط، وأخبر تعالى بحكم أخير فى هذه القضية وهو أن مَن أخذ الدية وعفا عن القتل ثم تراجع وقتل فقد قال تعالى (فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم)

واختُلِف فى هذا العذاب الأليم هل هو عذاب الدنيا بالقتل أو عذاب الآخرة ؟ ومن هنا قال مالك والشافعى رحمهما الله تعالى : حكم هذا المعتدى كحكم القاتل ابتداءً إن عُفى عنه قبِل وإن طُولِبَ بالقود أو الدية أعْطى، وقال آخرون : ترد منه الدية ويترك لأمر الله وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : يُرَدُ أمره إلى الإمام يحكم فيه بما يحقق المصلحة العامة ثم أخبر تعالى أن القصاص الذى شرعه لنا وكتبه علينا مع التخفيف حياة عظيمة لما فيه من الكف عن إزهاق الأرواح وسفك الدماء (١)

واخْتَلَفَ أهلُ العِلْم : هل يُقْتَلُ الرَّجُلُ بِوَلَدِه ؟ فذهب الجمهورُ إلى عدم قَتْله به وذهب مالك إلى أنه إذا أَضْجَعَهُ وقَتَلَه يُقْتَل به وإذا رماه بِحَجَر أو بِعَصا أو بأى سبب فيه شبهة أنه لم يُرِد قتله فلا يُقْتَل به لحديث (ادْرءوا الحدودَ بالشبهات) وذهب بعض أهل العلم إلى أن الرجل لا يقتل بالمرأة وخالفهم الجمهور لآية المائدة (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ....) (٢)(٣) والحكمة التشريعية متجلية فى هذه الآية البليغة (ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب)(٤)

قال الشوكانى رحمه الله تعالى : (أى لكم فى هذا الحكم الذى شرعه الله لكم حياة) ا . هـ

لأن الرجل إذا علم أنه يقتل قصاصاً إذا قتل آخر كفَ عن القتل وانْزَجَرَ عن التسرع إليه والوقوع فيه فيكون ذلك بمنزلة الحياة للنفوس الإنسانية وهذا نوع من البلاغة بليغ وجنس من الفصاحة فصيح فإنه جعل القصاص الذى هو موت حياة باعتبار ما يَؤول إليه من ارتداع الناس عن قتل بعضهم بعضاً إبقاءً على أنفسهم واستدامة لحياتهم ولهذا نَجِدُ كثرة القتل والجرائم عند الأمم التى زعمت المدنية فحكمت بالقوانين الوضعية فلم تجازِ الجَانِى بما يستحق بل حكمت بالسجن تمدناً ورحمة ولم ترحم المقتول الذى فقده أهله وبَنُوه ولم ترحم الإنسانية التى أصبحت غير آمِنَة على دمائها بِيَدِ هؤلاء السفهاء والذين لا تَلَذُّ لهم الحياة إلا فى غياهب السجون فهؤلاء الذين عدلوا عن القوانين السماوية إلى القوانين الأرضية لم يفكروا فى عواقب الأمور لأنهم ليسوا من (أولى الألباب) الذين يتدبرون فيعقلون (٥)

---

(١) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ ص ٨٧　　**(٢) سورة المائدة : ٤٥**

(٣) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ ص ٨٧

(٤) الألباب جمع لُب واللُب العَقْل الخالِص من الشوائب وسمى بذلك لكونه خالص ما فى الإنسان كاللُباب واللُب من الشئ وقيل هو ما زَكَى من العقل فكل لُبٍ عقل وليس كل عقل لُباً لذلك علق الله الأحكام التى لا يدركها إلا العقول الزكية بأولى الألباب (المفردات للراغب الأصفهانى)

(٥) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام – البسام ج ٢ ص ٨٥٥



والقاتل يُقتل بما قتل به فإن قتل بسيف قُتل به، وإن قتل ببندقية قُتل بها، أو بغرق غرق أو بتحريق حرق جزاءً لما فعل وعملا بقوله تعالى (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به)(١)(وجزاء سيئة سيئة مثلها)(٢)(فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)(٣) وهى إحدى الروايتين عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى واختارها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وقال (هذا أشبه بالكتاب والسنة والعدل).

قال الزَّرْكَشِىّ : (وهى أصح دليلاً) وهو مذهب عمر بن عبد العزيز ومذهب الأئمة مالك والشافعى وأحمد وأبى ثور واختارها شيخنا (عبد الرحمن بن سعدى) وهذا يظهر العدل ويكمل معنى القصاص ويرتدع المجرمون .

أما المشهور من مذهب الحنابلة فلا يستوفى القصاص فى النفس إلا بالسيف لقوله صلى الله عليه وسلم (لا قَوَدَ إلا بالسيف) رواه ابن ماجه لكن الحديث ضعيف فقد قال ابن عدى : طرقه كلها ضعيفة (٤)

وفى قوله تعالى (فمن عفى له من أخيه شئ ...) أثبت الله لهم الأخوة الإيمانية ولم يخرجهم عن دائرة الإسلام وفيه رد على من كَفَّرَ أهلَ القِبْلَة بالمعاصى وحكموا عليهم بتخليدهم فى النار كالخوارج .

والخوارج نسبة إلى الخروج من الطاعة ولكن صار هذا الاسم عَلَماً على الحَرورِيَّة (٥) الذين كَفَّروا أهل القبلة بالمعاصى وحكموا بتخليدهم فى النار بذلك واستحلوا دماءهم وأموالهم حتى الصحابة السابقين الأولين من أهل بدر وغيرهم حتى على بن أبى طالب وعمار بن ياسر لكل من اتبع مذاهبهم الفاسدة وسلك طريقهم الخائبة وكل ذنب يُكَفِّرُون به المؤمنين تكفير لأنفسهم من وجوه عديدة وهم لا يشعرون :

---

(١) سورة النحل : ١٢٦ **(٢) سورة الشورى : ٤٠**

(٣) سورة البقرة : ١٣٤

(٤) تيسير العلام – البسام ج ٢ ص ٨٦٤

(٥) الحَروريَّة : نسبة إلى حَروراء وهو المكان الذى نزلوا فيه وأبَوا أن يساكنوا علياً بالكوفة وقال النووي رحمه الله : الحرورية هم الخوارج سُمُّوا حرورية لأنهم نزلوا حروراء وتعاقدوا عندها على قتال أهل العدل وحروراء بفتح الحاء والمد قرية بالعراق قريبة من الكوفة وسُمُّوا خوارج لخروجهم على الجماعة وقيل لخروجهم عن طريق الجماعة .

- فمنها : أن تكفير المؤمن إن لم يكن كذلك كَفَرَ فاعِلُه كما فى الحديث (أيُّما امْرِئٍ قال لأخيه يا كافر فَقَدْ باء بها أحَدُهُما إن كان كما قال وإلا رَجَعَتْ إليه)(١)

- ومنها : أن من أكبر الكبائر التى يُكَفِّرُون بها المؤمنين قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق وهم أسرع الناس فى ذلك يقتلون أهل الأيمان ويَدَعون أهل الأوثان.

- ومنها : أن المؤمن وإن عَمِلَ المعاصى فهو لا يستحلها؛ وإنما يقع فيها لغلبة نفسه إياه وتسويل الشيطان له وهو مُقِرٌّ بتحريمها وبما يترتب عليه من الحدود الشرعية فيما ارتكبه وهم يقتلون النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق ويأخذون الأموال التى حرم الله أخذها إلا بالحق ويفعلون الأفاعيل القبيحة مستحلين لها إذ هو تكذيب بالكتاب وبما أرسل الله تعالى به رسله عليهم السلام وإنما توقف الصحابة رضى الله عنهم عن تكفير أهل النَّهْرَوان لأنهم كانوا يتأوَّلون فحكموا أنهم طغاة (٢)

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَة رحمه اللهُ تعالى :

الخوارج كانوا من أظهر الناس بدعة وقتالاً للأمة وتكفيراً لها ولم يكن فى الصحابة مَن يُكَفِّرهم لا على بن أبى طالب ولا غيره بل حكموا فيهم بحكمهم فى المسلمين الظالمين المعتدين كما ذكرت الآثار عنهم بذلك فى هذا الموضع وقال أيضا رحمه الله تعالى : ومن قال إن الثنتين وسبعين فرقة كل واحدة منهم يكفر كفراً ينقل عن الملة فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة رضوان الله عليهم وإجماع الأئمة الأربعة وغير الأربعة (٣)

قال الإمامُ الطَّحاوىّ(٤) رحمه الله تعالى :

وأهل الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم مُوَحِّدون وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقَوا الله عارفين (مؤمنين) وهم فى مشيئته وحُكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله كما ذكر عز وجل فى كتابه (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)(٥) وإن شاء عذبهم فى النار بعدله ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ثم يبعثهم إلى جنته ولا نُكَفِّرُ أحَدَاً مِنْ أهْلِ القِبْلَةِ بِذَنْبٍ ما لَمْ يَسْتَحِلَّه (٦)

---

(١) رواه مسلم رحمه الله تعالى **(٢) مختصر معارج القبول – هشام عقدة ص ٣٩٣**

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية رحمه الله ج ٧ ص ٢١٧ ، ٢١٨

(٤) هو الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوى رحمه الله (٢٢٩ – ٣٢١ هـ)

(٥) سورة النساء : ٤٨ ، ١١٦

(٦) العقيدة الطَّحاويَّة للإمام الطحاوى رحمه الله تعالى.



قال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله فى التعليق على العقيدة الطحاوية :

قوله : (ولا نُكَفِّرُ أَحَدَاً مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ بِذَنْبٍ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ) مراده - رحمه الله – أن أهل السنة والجماعة لا يُكَفِّرون المسلم المُوَحِّد المؤمن بالله واليوم الآخِر بذنب يرتكبه كالزنا وشرب الخمر وعقوق الوالدين وأمثال ذلك ما لم يستحل فإن استحلَّه كفر لكونه بذلك مُكَذِّباً لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم خارجاً عن دينه أما إذا لم يستحل فإنه لا يكفر عند أهل السنة والجماعة؛ بل يكون ضعيف الإيمان وله حكم ما تعاطاه من التفسيق وإقامة الحدود وغير ذلك حسبما جاء فى الشرع المُطَهَّر هذا هو قول أهل السنة والجماعة خلافاً للخَوَارِج والمُعْتَزِلة فإن الخوارج يُكَفِّرون بالذنوب والمعتزلة يجعلونه فى منزلة بين المنزلتين يعنى : بين الإسلام والكفر فى الدنيا وأما فى الآخرة فيتفقون مع الخوارج بأنه مخلد فى النار، وقول الطائفتين باطل بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وقد التبس أمرهما على بعض الناس لقلة علمه ولكن أمرهما بحمد الله واضح عند أهل الحق كما بينا وبالله التوفيق . انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

النداء الخامس – قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)﴾ سورة البقرة : ١٨٣

لقد مر بنا معنى (كُتِبَ) عند تفسير قوله تعالى (يا أيها الذين ءامنوا كُتِبَ عليكم القصاص ..)

والصَّوْم فى الأصل الإمساك عن الفعل مَطْعَماً كان أو كلاما أو مَشْيَاً ولذلك قيل للفَرَس المُمْسِك عن السَّيْر والعَلَف صائم قال الشاعر : خيلٌ صِيامٌ وأخرى غيرُ صائمةٍ. وقيل للريح الراكدة صَوْم ولاستواء النهار صَوْم تصوراً لوقوف الشمس فى كبد السماء ولذلك قيل قام قائم الظهيرة.

والصَّوْم فى الشرع : إمْساك المُكَلَّف بالنية من الخيط الأبيض إلى الخيط الأسود عن تناول الأطْيَبَيْن (الأكْل والجِماع) والاستمناء والاستقاء وقوله تعالى (إنِّى نَذَرْتُ للرَّحْمَن صَوْماً) فقد قيل عُنى به الإمساك عن الكلام بدلالة قوله تعالى (فلن أُكَلِّمَ اليومَ إنْسيًّا)(١)(٢)

لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأصبحت دار إسلام أَخَذَ التشريع ينزل ويتوالى، ففى الآيات السابقة كان حكم القصاص والوصية ومراقبة الله فى ذلك وكان أعظم ما يكون فى المؤمن مِن مَلَكَة التَّقْوَى الصيام، فأنزل الله فَرْضَ الصيام فى السنة الثانية للهجرة فناداهم الله بعنوان الإيمان (يا أيها الذين ءامنوا)

---

(١) سورة مريم : ٢٦　　**(٢) المفردات فى غريب القرآن ـ الراغب الأصفهانى**

وأعلمهم أنه كَتَبَ عليهم الصيام كما كَتَبَه على الأمم السابقة (١) من قبلهم فقال (كما كُتب على الذين من قبلكم) وعلل ذلك بقوله (لعلكم تتقون) أى لِيُعِدَّكم به للتقوى التى هى امتثال الأوامر واجتناب النواهى لما فى الصيام من مراقبة الله تعالى وقوله (أياماً معدودات) ذكَرَه لِيُهَوِّنَ به عليهم كلفة الصوم ومشقته إذ لم يجعله شهوراً(٢) ولا أعواماً وزاد فى التخفيف أن أذن للمريض والمسافر أن يُفْطِر ويَقْضِى بعد الصحة أو العودة من السفر فقال (فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيامٍ أخر) كما أن المريض(٣) والمسافر إذا كانا يطيق الصيام بمشقة وكلفة شديدة فله أن يفطر ويطعم عن كل يوم مسكينا وأعلمهم أن الصيام فى هذه الحال خير ، ثم نسخ هذا الحكم الأخير بقوله تعالى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وقوله (إن كنتم تعلمون) يريد : تعلمون فوائد الصوم الدنيوية والأخروية وهى كثيرة أجلها مغفرة الذنوب وذهاب الأمراض (٤)

فصيام شهر رمضان إذا صِيمَ بحقه يكون سبباً فى مغفرة الذنوب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) (٥) وقال (من صام يوماً فى سبيل الله بَعَّدَ الله وجهه عن النار سبعين خَرِيفاً)(٦)

قال تعالى (شَهْرُ رَمَضانَ الذِى أُنزل فيه القرآنُ هُدَىً للنَّاس وبَيِّناتٍ مِنَ الهُدَى والفُرْقان فَمَن شَهِدَ مِنكُم الشَّهْر فَلْيَصُمْهُ ....) الآية

رمضان : شهر وهو من الرَّمْض أى شدة وقع الشمس، يقال أرْمَضْتَه فرَمِضَ أى أحرقته، والرَّمْضاء هى شدة حر الشمس وأرض رَمِضة ورَمِضَتْ الغنم رَعَتْ فى الرَّمْضاء فقرحت أكبادها(٧) ويجمع على رمضانات وأرْمِضاء، ورمضان هو الشهر التاسع من شهور السنة القمرية ولفظ الشهر مأخوذ من الشُّهَرة وهذه آية فضله عن سائر الشهور حيث أنزل فيه القرآن وذلك فى ليلة القدر منه لقوله تعالى (إنا أنزلناه فى ليلة القدر)(٨) وقوله (إنا أنزلناه فى ليلةٍ مُبارَكَة)(٩)

---

(١) ويشهد لذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم (أفْضَلُ الصَّوْمِ صَوْمِ أخِى داودَ كان يَصُومُ يَوْماً ويُفْطِرُ يَوْماً ولا يَفِرُّ إذا لاَقى) رواه الترمذى رحمه الله تعالى عن ابن عمر رضى الله عنه - ص . ج للألبانى رقم ١١٢٠

(٢) بداية الآية (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ...) البقرة : ١٨٥

(٣) المريض له حالتان الأولى : أن يكون مرضه شديدا فهذا يجب أن يفطر والثانية : أن يكون غير شديد فيستحب له الفطر .

(٤) أيسر التفاسير للجزائرى ج١ص٩٠ (٥) رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى

(٦) رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي رحمهم الله تعالى

(٧) المفردات فى غريب القرآن - الراغب الأصفهانى (٨) سورة القَدْر : ١ (٩) سورة الدُّخان : ٣



أنزلَ القُرْآنُ جُمْلَةً واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة فى سماء الدنيا ثم نزل نَجْماً بعد نَجْم (١) وابتُدِئ نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان أيضا ، (هدى للناس) أى هاديا للناس إلى ما فيه كمالهم وسعادتهم فى الدارين (وبينات من الهدى والفرقان) البينات جمع بَينة والهُدَى : الإرشاد .

والمراد أن القرآن نزل هادياً للناس ومبيناً لهم سبيل الهدى موضحاً طريق الفوز والنجاة فارقاً لهم بين الحق والباطل فى كل شؤون الحياة (شهد منكم الشهر) أى من حضر الإعلان(٢) عن رؤيته (فعدة من أيام أُخَر) فعليه القضاء بعدد الأيام التى أفطرها مريضاً أو مسافراً (ولتكملوا العدة) وجب القضاء من أجل إكمال عدة الشهر ثلاثين أو تسعة وعشرين يوما (ولتكبروا الله على ما هداكم) وذلك عند إتمام صيام رمضان من رؤية الهلال إلى العودة إلى صلاة العيد والتكبير مشروع وفيه أجر كبير وصفته المشهورة (الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد) (ولعلكم تشكرون) فرض عليكم الصيام وندبكم إلى التكبير لتكونوا من الشاكرين لله تعالى على نعمه لأن الشكر هو الطاعة (٣)

ثم قال تعالى فى الآية التى تليها : (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب) فهو قريب لعباده ولا يحتاج إلى واسطة، وإذا تأملنا إلى لفظة (يسألونك) فى القرآن الكريم نجدها اقترنت بفعل الأمر (قُل) كقوله تعالى : (يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول) وقوله سبحانه (يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى) وما شابه ذلك من الآيات . أما فى هذه الآية الكريمة (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب) لَمْ يَقُلِ الله عز وجل قُلْ إنى قريب ، وهذا يدل على أن الدعاء لا يحتاج إلى واسطة لأن الدعاء عبادة لا تُصْرَفُ إلا لله لقوله صلى الله عليه وسلم (الدُّعاء هو العِبَادَة)(٤)

وهذا رد ودليل واضح بَيِّن على من يذهبون إلى أصحاب القبور والأضرحة فيتوسلون بهم ويَدْعونهم من دون الله ليدفعوا عنهم الضر أو يجلبوا لهم النفع ، فهذا من الشرك المنهى عنه ، فدعاء الله لا يحتاج إلى واسطة لأنه سبحانه وتعالى أقرب إلينا من حبل الوريد ويعلم ما توسوس به أنفسنا وهو عليم بذات الصدور ، ويحب الملحين فى الدعاء ، ومما يُحْرَمُ به إجابة الدعاء أَكْل الحرام والاستعجال بأنْ يقول العبد دعوتُ فلم يُستجَب لى فهذا ليس من آداب الدعاء .

---

(١) نَجَمَ الشَّئ ظهَر وطلَعَ والنَّجْم الوقت المضروب ومنه سُمِّى (المُنَجَّم) (مختار الصِّحَاح) ، والقرآن المُنَجَّم المُنَزَّل قدْراً فقدْرا (المفردات للراغب الأصفهانى)

(٢) أكثر أهل العلم على أن شهادة الواحد العَدْل تقبل فى رؤية هلال رمضان أما رؤية هلال شوال فلا بد من شاهدين اثنين عَدْلَيْن

(٣) أيسر التفاسير للجزائرى ج ١ص٩١

(٤) رواه أحمد وأصحاب السنن رحمهم الله تعالى ص. ج . رقم ٣٤٠٧ ، أما حديث (الدعاء مخ العبادة) فهو ضعيف السند.



مِن حِكَم وأسرار الصيام :

١ ـ عبادة الله وحده والخضوع له؛ ليكون الصائم مُقْبِلا على الله تعالى خاضِعاً خاشعاً بين يديه حينما ينكر سلطان الشهوة ، فإن القوة تغرى بالطغيان والبطر قال تعالى (كلا إنَّ الإنسانَ لَيَطْغَى * أن رآه اسْتَغْنَى)(١) فليعلمْ أنه ضعيف فقير بين يدى الله حينما يرى ضعفه وعجزه فينكر فى نفسه الكبر والعظمة فيستكين لربه ويَلِين لِخَلْقِه .

٢ ـ حِكَمٌ اجتماعية من اجتماعهم على عبادة واحدة فى وقت واحد، وصبرهم جميعا قَوِيِّهم وضعيفهم، شريفهم ووضيعهم، غَنِّيهم وفقيرهم، على معاناتها وتحملها مما يسبب رَبْط قلوبهم وتآلف أرواحهم وجمع كلمتهم وليس شئ أقوى من هذه الإرادات المتينة التى لا تحكمها أقوى الدِعايات كما أنه سبب عطف بعضهم على بعض ورحمة بعضهم بعضا حينما يحس الغَنِىُّ أَلَمَ الجُوع ولَذْع الظَّمَأ فيتذكر أن أخاه الفقير يعانى هذه الآلام دهْرَه كله فيجود عليه من ماله بشئ يزيل الضغائن والأحقاد ويحل محلها المحبة والوئام وبهذا يتم السِّلْمُ بين الطبقات .

٣ ـ حِكَمٌ أخلاقية تربوية فهو يُعَلِّم الصبر والتحمل ويقوى العزيمة والإرادة ويُمَرِّن على ملاقاة الشدائد وتذليلها والصِّعاب وتهوينها .

٤ ـ حِكَمٌ صحية فإن المعدة بيت الداء والحِمْيَة (٢) رأس الدواء ولا بد للمعدة أن تأخذ فترة استراحة واستجمام بعد تعب توالى الطَّعام عليها واشتغالها بإصلاحه ، فهذه نُبَذٌ تشير إلى شئ من حِكَم الله تعالى ، واستقصاء ما يحيط به العقل البشرى يحتاج إلى تصانيف مستقلة وفضلا عما لا يعلمه إلا الله تعالى من الأسرار الحكيمة الرشيدة (٣)

فوائد فقهية فى أحكام الصيام :

١ ـ يُنْهَى عن تَقَدُّم رمضان بصيام يوم أو يومين ويُرَخَّص فى ذلك لمن صادف قبل رمضان له عادة صيام كيوم الخميس والاثنين ، ومِن حِكَمِه كذلك والله أعلم تمييز فرائض العبادات من نوافلها، والاستعداد لرمضان بنشاط ورغبة وليكون الصيام شعاره المميز .

٢ ـ صيام شهر رمضان مُعلَّق برؤية الهلال للناس أو بعضهم وكذلك الفطر وإن لم يُرَ الهلال لم يصوموا إلا بتكميل شعبان ثلاثين يوما وكذلك لم يُفْطِرُوا إلا بتكميل رمضان ثلاثين يوماً.

---

(١) سورة العلق : ٦ ، ٧

(٢) الحِمْيَة : حِمْيَة المريض أى منعه ما يضره ، والحَمِىّ : المريض الممنوع ما يَضُرُّه ، والحَمِيَّة : الأَنَفَة وفى القرآن (إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحَمِيَّة حَمِيَّة الجاهلية) ، والحَمِيَّة: المحافظة على المَحْرَم والدِّين من التُّهْمَة (المعجم الوجيز)

(٣) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام – الشيخ البسام ج ١ ص٣٩٦



٣ ـ وقت الإمساك يكون بطلوع الفجر قال تعالى (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر وبهذا نعلم أن ما يجعله الناس من وقتين وقت للإمساك، ووقت لطلوع الفجر بدعة ما أنزل الله بها من سلطان، وإنما هو وَسْوَسَة من الشيطان ليلبس عليهم دينهم وإلا فالسنة المحمدية أن يكون الإمساك عند أول طلوع الفجر.

٤ ـ يصح صوم من أصبح جُنُباً من جماع الليل ويقاس على الجماع الاحتلام لأنه إذا كان مُرَخَّصاً فيه من المختار فغيره أولى .

٥ ـ جمهور العلماء على أن الأكل والشُّرْب من الناسى لا يُفْسِد الصوم والخلاف بينهم فى الجِماع فذهب الأئمة أبو حنيفة والشافعى وداود وابن تيمية وغيرهم إلى أنه لا يفسد الصيام بالجماع إذا كان ناسياً.

٦ ـ يرى عامة الفقهاء وجوب الكفارة على من جَامَعَ مُتَعَمِّدَاً فى نهار رمضان واختلفوا فى الناسى والصحيح أن الناسى ليس عليه كفارة والكفارة عِتْق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكيناً وذلك على الترتيب لا على التخيير وإن عجز سقطت عنه .

٧ ـ يجوز الصيام فى السفر ويجوز أَخْذُ الرخصة بالفطر وذهب جماهير ومنهم الأئمة الأربعة رحمهم الله إلى جواز الصيام والفطر فى السفر ومقدار السفر الذى يباح فيه الفطر وقصر الصلاة ما عُدَّ سفرا عُرْفَاً فالشرع أطلق السَّفَر فنطلقه كما أطلقه .

٨ ـ يحرم صوم يَوْمَىّ الفِطْرِ والأَضْحَى وهو رأى الجمهور .

٩ ـ الصيام يقضى عن المَيْت سواء كان نذراً أو واجبا أصلياً كصيام رمضان .

١٠ ـ يحرم الوِصال فى الصيام باليومين فأكثر وهو ترك ما يفطر بالنهار عَمْداً فى ليالي الصيام ، والوصال من خصائص النبى صلى الله عاليه وسلم لأنه هو الذى يقدر وحده عليه ولا يلحقه أحد فى هذا المقام .

١١ ـ يُكْرَه صيام يوم الجمعة منفردا ولكِنْ يُباح صومُه ويزيل كراهة صومه أن يقترن إليه صوم يوم قبله أو بعده أو أن يكون ضمن صوم يوم معتاد كأن يصادف يوم عرفة أو يوم عاشوراء أو أيام الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الشهر الهجْرِىّ (١)

ومن الفوائد الفقهية أيضاً :

١- من عجز عن صيام رمضان لِكِبَرٍ أو مرض لا يُرْجَى بُرْؤه (شِفَاؤُه) فيفطر ويطعم عن كل يوم مسكيناً.

٢- المسافر والمريض الذى يُرْجَى بُرْؤه (شفاؤه) لهما الفطر وعليهما القضاء.

---

(١) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام – الشيخ البسام ج ١



٣- الحامِل والمُرْضِع إذا خافتا على ولديهما أفطرتا وأطعمتا وقضتا ، وفى الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى (إن كانت الحامل تخاف على جنينها فإنها تُفْطِر وتَقْضِى عن كل يوم يوما وتطعم عن كل يوم مسكينا رطلا مِن خُبْزٍ بأدمه ، أما إذا خافتا على نَفْسَيْهما - الحامل والمرضع ـ فلهما الفطر وعليهما القضاء بلا خلاف)

٤- الحائِض والنُّفَساء يجب عليهما الفطر والقضاء ويحرم عليهما الصيام .

٥- يجب الفطر على من احتيج إليه لإنقاذ معصوم من مَهْلَكَة كَغَرَقٍ ونحوه لأنه يمكنه تدارُك الصوم بالقضاء ويحرم على مَن لا عُذر له الفطر فى رمضان وعليه القضاء والتوبة إلى الله .

٦- لا بأس بالحُقْنَة (الإبْرَة) أثناء الصيام ولو كانت للتغذية والأحْوَط تركها ، ولا بأس بالاكْتِحال والتَّطَيُّب .

٧- لا يفسد الصوم بخروج دَم رُعاف أو جُرْح أو قلع سِنٍ أو مُداواة جرح أو التبرع بالدم أو الحِجَامَة .

٨- يحرم صيام أيام التَّشْرِيق وهى الحادى عشر، والثانى عشر، والثالث عشر، من شهر ذِى الحِجَّة إلا لِمُتَمَتِّع أو قارنٍ لا يَجِدُ الهَدْى (١)

---

(١) أصول المنهج الإسلامى ـ العبيد ج١ ص ٢٥٠

النداء السادس – قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَــدُوٌّ مُــبِينٌ (٢٠٨) ﴾ سورة البقرة : ٢٠٨

الدُّخول نقيض الخُرُوج ويستعمل ذلك فى المكان والزمان ويقال : دخل مكان كذا قال تعالــى (ادخلوا هذه القرية – ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون)(١)

السَّلم بفتحتين السَّلَف والسَّلَم أيضا الاستسلام والسَّلَم أيضا شجر مِن العِضاة واحدها سَلَمَة والسِّلْم السَّلام والسَّلَم الصُّلح بفتح السين وكسرها يُذَكَّر ويؤنَّث والسِّلَم المسالِم تقول أنا سِلم لمن سالَمَنى والسَّلام الاستسلام . والسَّلام الاسم من التسليم ، والتسليم بذل الرضا بالحكم ، وأسلم أمره إلى الله أى سَلَّمَ ، وأَسْلَمَ دخل فى السَّلم بفتحتين وهو الاستسلام وأَسْلَمَ من الإسلام وأَسْلَمَهُ خَذَلَه واسْتَسْلَمَ أى انْقادَ (٢)

(ادْخُلُوا فى السِّلْمِ) قرأ المَدَنِيَّان(٣) والمَكِّىّ(٤) والكِسائى(٥) بفتح السين والباقون بكسرها(٦)

اخْتُلِفَ فى تحديد معنى السِّلْمِ فى الآية، والراجح أنها بمعنى الإسلام ويكون الخطاب مَعْنِيّاً به بعض مَن ءامَنَ مِن أهل الكتاب وبقى مُتَمَسِّكاً ببعض شرائع التوراة كتحريم يوم السبت ، وتحريم شُرْب لَبَن الإبل، أُمِروا بالدخول فى الإسلام كافة أى بقبول شرائعه كلها وترك شرائع غيره وتكون بمعنى الصُّلح وترك الحرب والتَّهارُج ويكون الخطاب للمسلمين عامة بترك التَّهارُج بينهم والتقاتل (٧)

وقد وبخ اللهُ تعالى يهودَ المَدينَة وهم ثلاث طوائِف : بَنُو قَيْنُقاع وبَنُو النَّضِير وقُرَيْظَة، وندد بصنيعهم الذى أدَّى بهم إلى إهمال الواجب تبعاً لأهوائهم فكانوا كمن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، وقد قال الله تعالى (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعضِ الكِتابِ وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك

---

(١) المفردات فى غريب القرآن - الراغب الأصفهانى (٢) مختار الصِّحاح - الرازى

(٣) المدنيان : نافع وهو أبو رُوَيْم نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم الليثى المَدَنى ، أصله من أصفهان وتوفى بالمدينة سنة ١٦٩ هـ ، وأبو جعفر المدنى وهو يزيد بن القعقاع وتوفى بالمدينة سنة ١٢٨ هـ وهما من القُرَّاء العَشَرَة رحمهم الله تعالى .

(٤) المَكِّى : وهو (ابن كثير) عبد الله بن كثير المكى وهو من التابعين وتوفى بمكة سنة ١٢٠ هـ

(٥) الكِسائى الكُوفِى : هو على بن حمزة النحوى ويكنى أبا الحسن وقيل له الكِسائى لأنه أَحْرَمَ فى كِساء وتوفى سنة ١٨٩ هـ

(٦) البُدُور الزَّاهِرة فى القراءات العَشْر المُتواتِرَة من طريق الشاطِبِيَّة والدُّرَّة - الشيخ / عبد الفتاح القاضى

(٧) أيسر التفاسير - الجزائرى ج ١ص١٠٤



مِنكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يُرَدُّون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون * أولئك الذين اشترَوا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يُخَفَّف عنهم العذابُ ولا هم يُنْصَرُونَ)(١)

(كافَّة) اسم يفيد الإحاطة بأجزاء ما وُصِف به ، فقوله تعالى (ادخلوا فى السِّلْمِ كافَّة) أى لا يَبقى مَشْروع به ولا يبقى فَرْدٌ إلا ويدخله.

معنى الآية الكريمة الكريمة :

ينادِى الحَقُّ تَبارَكَ وتَعالى عبادَه المؤمنين آمِراً إياهم بالدخول فى الإسلام دخولا شموليا بحيث يتخيرون من شرائعه وأحكامه ما وافق مصالحهم وأهوائهم قبِلُوه وعملوا به وما لم يوافق ردوه أو تركوه أو أهملوه وإنما عليهم أن يَقْبَلُوا شرائع الإسلام وأحكامه كافة ونهاهم عن اتِّباع خُطوات الشيطان فى تحسين القبائح وتزيين المنكر إذ هو الذى زين لبعض مُؤمِنِى أهْلِ الكتاب تعظيم السبت وتحريم أكل الإبل بِحُجَّة أن هذا من الدِّين الذى كان عليه صُلَحاءُ بنى إسرائيل فنزلت فيهم تأمرهم وتأمر سائر المؤمنين بقبول شرائع الإسلام وأحكامه وتحذرهم من عاقبة اتِّباع الشيطان فإنها الهلاك التام وهو ما يريده الشيطان بحكم عداوته للإنسان (٢)

قال الشيخ عبد الرحمن السعدى رحمه الله تعالى فى تفسير الآية :

هذا أمر من الله تعالى للمؤمنين أن يدخلوا (فى السِلْم كافَّة) أى فى جميع شرائع الدين ولا يتركوا منها شيئا وأن لا يكونوا ممن اتخذ إلهه هواه، إن وافق الأمر المشروع هواه فعله، وإن خالفه تركه، بل الواجب أن يكون الهوى تبعاً للدين وأن يفعل كل ما يقدر عليه من أفعال الخير وما يعجز عنه يلتزمه وينويه فيدركه بنيته، ولما كان الدخول فى السلم كافة لا يمكن أن يتصور إلا بمخالفة الشيطان قال تعالى (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أى فى العمل بمعاصى الله (إنه لكم عدو مبين) ظاهره العداوة، والعدو المبين لا يأمر إلا بالسوء والفحشاء وما به الضرر عليكم، ولما كان العبد لا بد أن يقع منه خلل وزلل، قال تعالى (فإن زللتم) أى أخطأتم ووقعتم فى الذنوب (من بعد ما جاءتكم البينات) أى على عِلمٍ ويقين (فاعلموا أن الله عزيز حكيم) وفيه من الوعيد الشديد والتخويف ما يوجب ترك الزَّلَل (٣) فإن الله العزيز المقام الحكيم إذا عَصَاهُ العاصِى قَهَرَهُ بقوته، وعَذَّبَه بمقتضى حكمته، فإن من حكمته تعذيب العُصاة والجُنَاة، وهذا فيه من الوعيد والتهديد ما تنخلع منه القلوب (٤)

---

(١) سورة البقرة : ٨٥ ، ٨٦

(٢) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ص١٠٤

(٣) أصل الزلل : الزلق وهو اضطراب القدم وتحركها فى الموضع المراد إثباتها فيه والمراد هنا عدم الثبات على طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بفعل الأمر وترك النهى بتزيين الشيطان ذلك للعبد حتى يقع فى الضرر (أيسر التفاسير – ج١ ص ١٠٤)

(٤) تفسير السعدى رحمه الله تعالى ص ٨٣





تعريف الإسلام :

الإسلام لغة : الانقياد والإذعان ، أما فى الشريعة فلإطلاقه حالتان :

الحالة الأولى : أن يطلق على انفراد غير مقترن بذكر الإيمان فهو حينئذ يراد به الدين كلّه، أصوله وفروعه، من اعتقاداته وأقواله وأفعاله، لقوله تعالى (إنَّ الّدينَ عِندَ اللهِ الإسْلامُ)(١) وقوله (ورَضِيتُ لكم الإسلام دِيناً) (٢) وقوله تعالى (يا أيها الذين ءامنوا ادخلوا فى السِّلْم كافَّة)(٣) أى فى كافة شرائعه ، ويقول صلى الله عليه وسلم (إذا أسلم العبد فحسن إسلامه كتب الله له كل حسنة كان أزلفها ومُحِيَتْ عنه كل سَيِّئَة كان أزْلَفَها)(٤) ، فإن الانقياد ظاهِراً بدون إيمان لا يكون حُسْن إسلام بل هو من النفاق ، فكيف تكتب له حسنات أو تُمحَى عنه سيئات ؟؟؟

أما الحالة الثانية : أن يطلق مقترناً بالاعتقاد، فهو حينئذ يراد به الأعمال والأقوال الظاهِرَة، كقوله تعالى (قالت الأعرابُ ءامَنَّا قُل لَم تُؤمِنوا ولَكِنْ قولوا أسْلَمْنا ولَمَّا يَدْخِلِ الإيمانُ فى قلوبكم)(٥)

أركان الإسلام :

الركن لغة : الجانب الأقوى، وهو بحسب ما يطلق عليه كَرُكْنِ البناء وَرُكْن القَوْم ونحو ذلك ، ومن الأركان مالا يتم البناء إلا به ومنها ما لا يقوم بالكلية إلا به، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بُنِىَ الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان)(٦) فَشَبَّهَهُ بِالبُنْيان المُرَكّب على خمس دَعائِم .

---

(١) سورة آل عمران : ١٩

(٢) سورة المائدة : ٣

(٣) سورة البقرة : ٢٠٨

(٤) رواه النَّسائى بإسناد حسن، ورواه البخارى مختصرا (انظر فتح البارى ج١ ص١٢٢)

(٥) سورة الحجرات : ١٤

(٦) رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى عن ابن عمر رضى الله عنهما



وأركان الإسلام على قِسْمَيْن : قَوْلِيَّة وعَمَلِيَّة

فالقولية الشهادتان، والعملية باقى أركان الإسلام وهى على ثلاثة أقسام : بدنية وهى الصلاة والصوم، ومالية وهى الزكاة ، وبدنية ومالية وهى الحج، وقول القلب وعمله شرط فى ذلك (١)

وقوله تعالى (ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين)

دليل على أن الشيطان عدو ظاهر العداوة لِبَنِى آدم وقال تعالى (يا أيها الناسُ إنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فلا تَغُرَّنَّكم الحَياةُ الدُّنيا ولا يَغُرَّنَّكم باللهِ الغَرور * إنَّ الشَّيْطانَ لَكُم عُدُوٌّ فاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إنَّما يَدْعُو حِزْبَه لِيَكُونُوا مِن أصْحابِ السَّعِير)(٢) والغَرور : هو الشيطان، فبين الله تعالى وأكد عداوة الشيطان لبنى آدم وأمرنا باتخاذه عدوا فقال (فاتخذوه عدوا) ثم بين السبب فى ذلك وهو دعوة الشيطان للناس إلى الشر والضلال والكفر حتى يكونوا من أهل النار كما كتب الله عليه ذلك كما بين الله أن الشيطان يأمر بكل معصية وذنب وفحشاء وفقر فقال تعالى (الشَّيْطانُ يَعِدُكُم الفَقْرَ ويَأمُرُكُم بالفَحْشاءِ واللهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنه وفَضْلا واللهُ واسِعٌ عَلِيمٌ)(٣)

وسوف يَتَبَرَّأ الشيطان يوم القيامة من أتباعِه عندما يجلس على عَرْشٍ من نار ويقول (وما كان لِىَ عَلَيْكُم مِن سُلطانٍ إلا أن دَعَوْتُكم فاسْتَجَبْتم لِى فلا تَلُومونِى ولُومُوا أنفسَكم ما أنا بِمُصْرِخِكُم وما أنتم بِمُصْرِخِىَّ ...)(٤) ، وسيأتى التفصيل عن ذلك عند تفسير النداء رقم ٥٧ بالآية رقم ٢١ من سورة النور إن شاء الله تعالى .

---

(١) مختصر معارج القبول – هشام عقدة ص ١٦٩

(٢) سورة فاطر : ٥ ، ٦

(٣) سورة البقرة : ١٦٨

(٤) سورة إبراهيم : ٢٢

النداء السابع – قال تعالى :



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٤) ﴾ سورة البقرة : ٢٥٤

نَفَق الشئ مضى ونَفَدَ ، والإنفاق قد يكون بالمال وفى غيره وقد يكون واجبا وتطوعا ، قال تعالى (وأنفقوا فى سبيل الله – وأنفقوا مما رزقناكم – لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح) وقوله (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق) أى خشية الإقتار ، يقال أنفق فلانٌ إذا نفقَ ماله فافتقر ، فالإنفاق هاهنا كالإملاق فى قوله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق) والنفقة اسم لِما يُنْفَق ، قال تعالى (وما أنفقتم من نَفَقَةٍ)(١)

الرِّزْق : كل ما يُنْتَفَعُ به ، أو العطاء الجارى ، وجمعه أرزاق (المعجم الوجيز)

والرزق : يقال للعطاء الجارى تارةً دنيوياً كان أم أُخروياً وللنصيب تارة ، ولِما يصل إلى الجوف ويُتَغَذَّى به تارة ، يقال أعطى السلطانُ رزْقَ الجُنْدِ ، ورُزِقتُ عِلماً ، قال تعالى (وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدَكم الموتُ) أى من المال والجاه والعِلم ، وقوله تعالى (كلوا من طيبات ما رزقناكم) وقوله سبحانه (وتجعلون رزقكم أن تُكَذِّبون) أى وتجعلون نصيبكم من النِّعْمَة تَحَرِّى الكذب ، فما يُؤكل ويلبس ويستعمل وكل ذلك مما يخرج من الأرضين، وقد قيضه الله بما ينزل من السماء من الماء وما يفيض من النِّعَم الأُخْرَوِيَّة كقوله تعالى (ولا تَحْسَبَنَّ الذين قُتِلوا فى سبيل الله أمْواتاً بَلْ أحْياءٌ عِندَ رَبِّهِم يُرْزَقونَ)(٢)

من صفات المؤمن أن يكون كريما ، ينفق على نفسه وأهله من والد وولد وزوجة كما ينفق من ماله للفقراء والمساكين واليتامى وكل من هم بحاجة إلى عَوْن ومُؤازَرَة من إخوانه المسلمين ، قال تعالى (يَسْألُونَكَ ماذا يُنفِقُونَ قُل ما أنفَقْتُم مِن خَيْرٍ فَلِلْوالِدَين والأقرَبينَ واليَتامَى والمَساكِين ...)(٣)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : أى اصرفوها فى هذه الوجوه كما جاء فى الحديث الصحيح (أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك فأدناك) وتلا ميمون هذه الآية ثم قال هذه مواضع النفقة ما ذكر فيها طبلا ولا مزمارا ولا تصاوير خشب ولا كسوة الحيطان ومن الإنفاق ما هو واجب كأداء الزَّكَوَات والنَّذْر ونفقة الأهل والولد والوالدين ، ومنه ما هو مستحب كالمشاركة فى مشاريع الخير التى يتعدى نفعها إلى الآخَرين وكذلك الصدقات عامة ، ومن صفات أهل الجنة أنهم تقاةٌ مُنفِقون ، قال تعالى (وسارعُوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أُعِدَّت للمتقين * الذين ينفقون فى السراء والضراء ...)(٤)

---

(١) ، (٢) المفردات فى غريب القرآن – الراغب الأصفهانى **(٣) سورة البقرة : ٢١٥**

(٤) سورة آل عمران : ١٣٣ ، ١٣٤



ويلفت الرسولُ صلى الله عليه وسلم نَظَرَ أُمَّتِه إلى نتيجة الإنفاق ومَغَبَّةِ الإمساك فيقول (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا مَلَكان يَنْزِلان فيقول أَحَدُهُما : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنفِقاً خَلَفا ، ويقول الآخَرُ اللهم أعط مُمْسِكاً تَلَفا)(١) ، ويُقْسِمُ صلى الله عليه وسلم على أن الصدقة لا تنقص المال فيقول (ثلاث أقسم عليهن وأُحَدِّثكم حديثا فاحفظوه : ما نَقَصَ مالُ عَبْدٍ مِن صَدَقَة، ولا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَة صَبَرَ عليها إلا زادَه اللهُ عِزًّا ، ولا فَتَحَ عَبْدٌ بابَ مَسْألَةٍ إلا فَتَحَ اللهُ عليه بابَ فَقْرٍ)(٢)

والإنفاق يدل على سماحة النَّفْس وصدق الإيمان والثقة بما عند الله، وأعمال الخير تُعتبر سبباً لمرضاة الله الذى لن يضيع عنده شئ ، قال تعالى (وما أنفَقْتُم مِن شئ فهو يُخْلِفُه وهو خير الرازقين)(٣)، وصدقة التطوع مستحبة فى جميع الأوقات، وصدقة السر أفضل من صدقة العلانية ويستحب الإكثار منها وقت الحاجة وتستحب على ذى القرابة وعلى مَن اشتدت به حاجته . قاله فى المُغْنى (٤)

(البَيْعُ) إعطاءُ المُثْمَن وأخْذ الثمَن، والشِّرَاء إعطاء الثمن وأخذ المثمن ، ويقال للبيع الشراءُ و للشراءِ البيعُ وذلك بحسب ما يتصور من الثمن والمُثْمَن وعلى ذلك قوله تعالى (وشَرَوْه بثمنٍ بخسٍ) وقوله صلى الله عليه وسلم (لا يَبِيعَنَّ أحدُكم على بَيْع أخيه) أى لا يشترى على شِراه ، والمبايعة والمُشَارَاة تُقالان فيهما ، قال تعالى (وأحل الله البيع وحرم الربا) وقال (وَذَرُوا البيع) وقال (لا بَيْعٌ فيه ولا خُلَّة)(٥)

---

(١) رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى عن أبى هريرة رضى الله عنه.

(٢) رواه أحمد رحمه الله تعالى وهو حسن صحيح. ص.ج رقم ٣٠٢٤

(٣) سورة سبأ : ٣٩

(٤) أصول المنهج الإسلامى – العبيد ص ٥٢٣

(٥) المفردات فى غريب القرآن - الراغب الأصفهانى



(الخُلّة) بالضم الخليل يستوى فيه المُذكّر والمُؤنَّث لأنه فى الأصل مصدر قولك : خليلٌ بَيِّن الخُلّة والخُلولة، وجمعه خِلال كَقُلّة وقِلال، والخِلّ : الوُد والصَّدِيق، والخَلِيل : الصَّدِيق، والأنثى خَلِيلَة (١)

(الشَّفاعة) الشَّفْع ضَم الشئ إلى مِثْله ويقال للمشفوع شَفْعٌ ، والشفاعة الانضمام إلى آخَر ناصِرا له وسائلا عنه ، وأكثر ما يستعمل فى انضمام ما هو أعلى حُرْمَة ومرتبة إلى مَن هو أدنَى .

ومنه الشفاعة يوم القيامة قال تعالى (لا يملكون الشفاعة إلا مَن اتَّخَذَ عند الرحمن عَهْدا) وقوله (لا تنفع الشفاعة إلا من أذِن له الرحمن) وقوله (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) وقوله (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) أى لا يشفع لهم وقوله (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) وقوله (من يشفع شفاعة حسنة) وقوله (ومن يشفع شفاعة سيئة) أى من انضم إلى غيره وعاونه وصار شَفْعاً له أو شفيعا فى فعل الخير والشر فعاونه وَقوَّاه وشارَكَه فى نفعه وضره ، واستشفعتُ بفلان على فلان فتَشَفَّع لى وشَفَّعَه أجاب شفاعته، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم (القرآن شافِعٌ مُشَفَّع)(٢)(٣)

ولفظ الشَّفْع الذى هو خلاف الوِتْر – الفَرْد – وبيان ذلك أن صاحب الحاجة كان واحداً فَضُمَّ إليه الواسِطَة ، وهو مَن اسْتُشْفِع به وطلب شفاعته فكان معه شَفْعاً أى اثنين بعد أن كان فَرْدَاً ، مِن هذا المعنى أُخِذَتْ كلمات الاسْتِشْفاع والتَّشَفُّع والشَّفاعة (٤)

والشَّفاعة نَوْعان : شفاعة فى الدنيا، وشفاعة يوم القيامة، ولا بأس باسْتِشْفاع أحدٌ بِآخَر عند ذى مَنْصِب أو مال، أو سلطان ليشفع عنده برفع حاجته إليه حيث عجز عن رفعها إليه لخموله أو نحو ذلك، ويُؤْجَرُ الشافِعُ على شفاعته ولو لم تُقْضَ حاجةُ مَن شَفَعَ لَهُ لقوله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) مختار الصحاح - الرازى

(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه والبيهقى فى شُعَب الإيمان - ص . ج رقم ٤٤٤٣

(٣) المفردات فى غريب القرآن - الأصفهانى

(٤) عقيدة المؤمن – أبو بكر الجزائرى ص ١٥٤



(اشْفَعُوا تُؤجَروا ويَقْضِي اللهُ على لِسانِ نَبِيِّه ما شاء)(١) ، وجواز الاستشفاع مشروط بأن يكون فى حقٍ ضاع أو حقٍ يُخْشَى ضياعه أو فى شئ مباح ينتفع به ، أما أن يكون فى إثمٍ بإسقاط حق من الحقوق أو تعطيل حد من الحدود فلا ، لقوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان)(٢)(٣)

وقد أنكر النبىُ صلى الله عليه وسلم على أسامة بن زَيْدٍ رضى الله عنه حِبِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما أراد أن يشفع للمرأة المَخْزُومِيَّة التى سَرَقَتْ وهى فاطمة بنت عبد الأسد من بنى مخزوم وهم من أشراف القبيلة فقال له (أَتَشْفَع فِى حَدٍّ مِن حُدُود اللهِ ؟؟)(٤)

والشفاعة يوم القيامة تنقسم إلى شفاعة منفية تماماً لا حقيقة لها ولا واقع ولا وجود ، وشفاعة واقعة لها حقيقة ووجود.

وللشفاعة المنفية صور منها :

١ – شفاعة الآلهة التى عُبِدَت من دون الله أو معه، فهذه شفاعة لا وجود لها البَتَّة وسواء كان المعبود المرجو الشفاعة مَلَكاً، أو نبياً، أو صالحاً، أو دون ذلك من الجن والشياطين أو الحيوانات والجَمادات، لقوله تعالى (أمِ اتخَذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون * قل لله الشفاعة جميعا له ملك السماوات والأرض ثم إليه يُرجعون)(٥) ، ولأن من عَبَدَ غير الله تعالى مشرك وكافر ولا شفاعة لكافر ، لقوله تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين)(٦)

٢ – الشفاعة بدون إذن الله تعالى للشافع أو عدم رضاه عن المشفوع له وذلك لقوله تعالى (مَن ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه)(٧) وقوله (ولا يشفعون إلا لمنِ ارتضَى)(٨)

والشفاعة المُثْبَتَة قِسْمان :

الأول : شفاعات النبى صلى الله عليه وسلم وهى كثيرة منها الشفاعة العُظْمَى وهى شفاعة فصل القضاء وهى المقام المحمود ، ومن شفاعته فى أُناسٍ من أُمَّته فيدخلون الجنة بغير حساب ، ولقوله صلى الله عليه وسلم (لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجابَة، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وإنِّى خَبَّأتُ دَعْوَتِى شَفَاعَةً لأُمَّتِى يَوْمَ القِيامَةِ، فَهِىَ نائِلَةٌ إنْ شاءَ اللهُ مَن ماتَ مِن أُمَّتِى لا يُشْرِكُ باللهِ شَيْئاً)(٩)

---

(١) رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه

(٢) سورة المائدة : ٢ **(٣) عقيدة المؤمن – الجزائرى ص ١٥٥**

(٤) رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى **(٥) سورة الزُّمَر : ٤٣ ، ٤٤**

(٦) سورة المدثر : ٤٨ **(٧) سورة البقرة : ٢٥٥** **(٨) سورة الأنبياء : ٢٨**

(٩) رواه ومسلم والترمذى وابن ماجه رحمهم الله تعالى – ص.ج رقم ٥١٧٦





الثانى : شفاعة الملائكة والأنبياء والعلماء والشهداء وشفاعتهم ثابتة بعموم القرآن وخصوص السنة، لقوله صلى الله عليه وسلم ، وقوله (يشفع الشهيد فى سبعين من أهل بيته)(١) ، وصح أن القرآن يشفع لأهله كذلك لقوله صلى الله عليه وسلم (اقْرَؤوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه)(٢)

وهذه الشفاعات مُقيَّدَة بثلاثة قيود :

الأولى : أن لا يشفع أحد فى آخَر إلا إذا كان الله قد رَضِيَ عن المشفوع فيه بارتضائه قوله وعمله

الثانية : أن لا يشفع أحد فيمن مات على الشرك والكفر وذلك لحكم الله بخلود الكافرين والمشركين فى النار .

الثالثة : أن لا يشفع أحد إلا بعد إذن الرب تبارك وتعالى له ، ولهذا وجب أن ينقطع طمع العبد فى غير الله ، فلا يَطْلُب الشفاعة من أحد ولا يسألها من غير الله إذ الشفاعات كلها لله تعالى وليس لأحد سواه منها شئ ، قال تعالى (قُل لله الشفاعة جميعا)(٣)

معنى الآية الكريمة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ)

قال الشيخ أبو بكر الجزائرى :

نادى الله عباده المؤمنين وأمرهم بالإنفاق فى سبيل الله تقربا إليه وتزودا للقائه قبل يوم القيامة حيث لا فداء ببيع ولا شراء ، ولا صداقة تجدى ولا شفاعة تنفع والكافرون بنعم الله وشرائعه هم الظالمون المستوجبون(٤) للعذاب والحِرْمان والخُسْرَان)(٥)

ثم أخبر الله تعالى فى الآية التى تليها وهى آية الكرسى أنه هو المعبود بحق وأنه لا يشفع عنده فى الدنيا أو الآخِرة أحد كائن من كان بدون إذن الله تعالى فى الشفاعة.

---

(١) رواه أبو داود رحمه الله تعالى عن أبى الدرداء رضى الله عنه – ص.ج رقم ٨٠٩٣

(٢) رواه مسلم عن أبى أمامة رضى الله عنه

(٣) عقيدة المؤمن ـ الجزائرى

(٤) قال القرطبى فى هذه الاية (... والكافرون هم الظالمون) : أى فكافحوهم بالقتال بالأنفس وإنفاق المال.

(٥) أيسر التفاسير- الجزائرى ج١ص ١٣٤

قال الشيخ حافظ حكَمِى فى أرْجوزة سُلَّم الوُصُولِ إلَى عِلْمِ الأُصُولِ :



كذا له الشَّفاعَةُ العُظْمَى كَمـا قَدْ خَصَّه اللهُ بِها تَكَرُّمــــــــا

مِن بَعدِ إذن اللهِ لا كَما يــَرَى كُل ُّ قُبُورِىٍّ عَلَى اللهِ افْتَـــرَى

يَشْفَعُ أَوَّلاً إِلَى الرَّحْمَــنِ فِى فَصلْ القَضاءِ بَيْنَ أَهْلِ المَوْقِفِ

مِن بَعْدِ أَنْ يَطْلُبَها النَّاسُ إِلى كُلِّ أُولِى العَزْمِ الهُداةِ الفُضَــلا

وثانِياً يَشْفَعُ فى اسْتِفْتَــــاحِ دارِ النَّعيم لِأُولِى الفَــــــلاحِ

هَذا وهاتانِ الشَّفاعَتَــــانِ قَدْ خُصَّتا به بِلا نُكْــــــرانِ

وثالِثاً يَشْفَعُ فِى أقْــــوامِ ماتُوا عَلَى دِينِ الهُدَى والإسْلامِ

وأَوْبَقَتْهم كَثْرَةُ الآثــــامِ فَأُدْخِلوا النَّارَ بِذا الإجْـــــرامِ

أَنْ يَخرُجُوا مِنها إلى الجِنان بِفَضْلِ ربِّ العَرْشِ ذِى الإحْسانِ

وبَعدُ يَشْفَعُ كُلُّ مُرْسَـــلِ وَكُلُّ عَبْدٍ ذِى صَلاحٍ ووَلِــــى



النداء الثامن– قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤) ﴾

سورة البقرة : ٢٦٤

قوله تعالى (لا تُبْطِلُوا)

بَطَلَ الشئ بُطْلا وبُطْلانا : ذهب ضياعا ، وأبْطَلَ : جاء بالباطل ، والإبطال : يقال فى إفساد الشئ وإزالته ، حقا كان ذلك الشئ أو باطلا ، قال تعالى (لِيُحِقَ الحَقَّ ويُبْطِلَ الباطِلَ)

(المَنّ) : المِنَّة : النعمة الثقيلة ، ويقال ذلك على وجهين :

أحدهما : أن يكون بالفعل فيقال : مَنَّ فلانٌ على فلان إذا أثقله بالنعمة وعلى ذلك قوله تعالى (لقد مَنَّ الله على المؤمنين – كذلك كنتم مِن قبل فَمَنَّ اللهُ عليكم – بل الله يَمُنُّ عليكم) وذلك على الحقيقة لا يكون إلا لله تعالى .

والثانى : أن يكون ذلك بالقول وذلك مُستقبح فيما بين الناس إلا عند كُفْران النعمة ، ولقبح ذلك قيل (المِنَّة تهدم الصَّنِيعة) ، ولحسن ذِكْرها عند الكُفْران قيل إذا كُفِرَتْ النعمة حَسُنَتْ المِنَّة .

وقوله تعالى (يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علىَّ إسلامكم) فالمِنَّة منهم بالقول ومِنَّة اللهِ عليهم بالفعل وهى هدايته إياهم كما ذكر . وقوله تعالى (فإما مَنَّاً بَعْدُ وإما فِداءً) فالمَنُّ إشارة إلى الإطلاق بلا عِوَض ، وقوله تعالى (هذا عطاؤنا فامْنُن أو أمْسِك بغير حساب) أى أنْفِقْه ، وقوله (ولا تَمْنُن تَسْتَكْثِر) فقد قيل هو المِنَّة بالقول ، وذلك أن يمتن به ويستكثره ، وقيل معناه لا تُعْطِ مُبْتَغياً به أكثر مِنْه ، وقوله تعالى (لهم أجر غير ممنون) قيل : غير معدود كما قيل (بغير حساب)، وقيل : غير مقطوع ولا منقوص، وأما (المَنّ) فى قوله تعالى (وأنزلنا عليكم المَنَّ والسَّلْوَى) ، فقد قيل المَنّ شئ كالطَّلّ فيه حلاوة يسقط على الشجر ، والسَّلْوَى طائر(١)

(الأذَى) ما يصل إلى الحيوان(٢) من الضَّرَر إما بنفسه، أو جسمه، أو تَبِعاته، دنيوياً كان أو أُخْرَوِياً(٣)

---

(١) المفردات فى غريب القرآن ـ الراغب الأصفهانى

(٢) المقصود بالحيوان كل مَن فيه حياة.

(٣) المفردات فى غريب القرآن ـ الراغب الأصفهانى

(صَفْوان) حَجَر أمْلس واحِده صَفْوانة، (وابل) مَطر شديد، (صَلْداً) أملس ليس عليه تُراب .

قالت العلماءُ : إن الصَّدَقة التى يَعْلَمُ اللهَ مِن صاحبها أنه يَمُنُّ بها أو يؤذِى بها فإنها لا تقبل ، وهو كما قالوا ، لأن الله تعالى قال (لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى) وإبطالها هو عدم قبولها ، وإذا لم تقبل فلا يُعْطَى صاحِبُها ثَوَاباً عليها وهو معنى لا تُقْبَل (١)

إذا تأملنا الآية رقم ٢٦١ من سورة البقرة بدءاً من قوله تعالى (مَثَلُ الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كَمَثَلِ حَبَّةٍ أنبتت سبع سنابل ...) إلى قوله تعالى (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ....) ، لَعَلِمنا مدى الارتباط بين هذه الآيات وبين قوله تعالى (يا أيها الذين ءامنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى .....) حيث رَغَّبَ الله تعالى المؤمنين فى الصدقة وأنه يضاعفها إلى سبعمائة ضعف بل يضاعف بأكثر لمن يشاء حسب النية والإخلاص ، ومدح الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله أى ابتغاء وجه الله لا يريد بذلك عَرَضاً من أعراض الدنيا لا مالاً ولا جاهاً ولا سمعة ولا يَمُنُّونَ بها ولا يُؤذون بها المُتَصَدَّق عليه، كقوله : أحْسَنْتُ إليك، أو يَذْكُرُه لغيره، فقد وعدهم الله عز وجل بالأجر والثواب والأمن فى الدنيا والآخِرَة.

وأخبر تعالى أن رد السائل بالتي هى أحسن والصفح عن إلحاحه فهذا خير عند الله وأفضل من إعطائه ثم إيذائه أو تعييره بذُلِّ السؤال، فقال تعالى (قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِن صَدَقَةٍ يَتْبَعُها أذىً وَاللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ) أى مُسْتَغْنٍ عن الخلق حليم لا يعاجل بالعقوبة من يخالف أمره.

وتدل الآيات على فضل النفقة فى الجهاد وأنها أفضل النفقات ، وفضل الصدقات وعواقبها الحميدة وحرمة المَنِّ بالصدقة ، وفى الحديث (ثلاثةٌ لا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُم يَوْمَ القِيامَة صَرْفاً ولا عَدْلاً : عاقٌ، ومَنَّانٌ، وَمُكَذِّبٌ بِالقَدَرِ)(٢) ، فبعد أن رغَّب الله فى الصدقات ونَبَّه إلى ما يبطل أجرها وهو المَنّ والأذى ، نادى عباده المؤمنين فقال (يا أيها الذين ءامنوا) ناهيا عن إفساد صدقاتهم وإبطال ثوابها فقال (لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى) ، مشبها حال إبطال الصدقات بحال صدقات المرائي الذى لا يؤمن بالله واليوم الآخر فى بطلانها فقال (كالذى ينفق(٣) ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر)(٤)، وضرب مثلاً لِبُطْلان صدقات مَن يُتْبِع صدقاته مَناً وأذى أو يرائي بها الناس أو هو كافر لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخِرِ فقال (فمثله كمثل صفوان عليه تراب) أى حَجَر أملس عليه تراب (فأصابه وابل) أى نزل عليه مطر شديد فأزال التراب عنه فتركه أملس عارياً ليس عليه شئ ، فكذلك تذهب الصدقات الباطلة ولم يبقَ منها لصاحبها شئ ينتفع به يوم القيامة فقال تعالى :

---

(١) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ص١٤١

(٢) رواه الطبرانى رحمه الله تعالى عن أبى أمامة رضى الله عنه – ص.ج رقم ٣٠٦٥

(٣) إن الكافر قد يُعْطِى المالَ ولكن ليراه الناس فيمدحوه ويشكروه وهذا عمل أهل الجاهلية .

(٤) أى إنفاقا كإنفاق الذى ينفق ماله رئاء الناس طلبا لِمَحْمَدَتِهم أو خوفا مِن مَذَمَّتِهِ.

(لا يقدرون على شئ مما كسبوا) أى ما تصدقوا به (والله لا يهدى القوم الكافرين)(١) إلى ما يسعدهم (٢)



وهنا وقفة عند هذه الآية لا بد أن نقف عليها لِما لها من أهمية عظيمة وهى ذكر داء الرياء (الشرك الخَفِىّ) – والعياذ بالله – هذا الداء الذى يفتك بصاحبه والذى قد يسرى على كل شئ لا على الإنفاق فحسب.

فقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة من الآيات والأخْبار على تحريمه وذم فاعله ، قال تعالى (فويلٌ للمُصَلِّينَ * الذين هُم عَن صَلاتِهم ساهُون * الذِينَ هُم يُراءون * ويَمْنَعُونَ الماعُونَ)(٣) وقوله سبحانه (فَمَن كان يَرجُو لِقاء رَبِّه فَلْيَعْمَل عَمَلا صالِحاً ولا يُشْرِكْ بِعِبادَة رَبِّه أحَداً)(٤) وفى الحَدِيث القُدُسى (أنا أغْنَى الشُّرَكاء عن الشِّرْكِ مَن عَمِلَ عَمَلاً أشْرَكَ فِيه مَعِىَ غيرى تركتُه وشِركَه)(٥) ، ومعناه أنا أغنى عن المشاركة وغيرها ، فمن عمل شيئا لى ولغيرى لم أقبله بل أتركه لذلك الغير، والمراد أن عمل المرائى باطل الثواب فيه ويأثم به، وقال صلى الله عليه وسلم (إنَّ أخْوَفَ ما أخافُ على أُمَّتِى الشرك الأصغر، قالوا وما الشِّرك الأصْغَر يا رسولَ اللهِ ؟ قال : الرياء ، يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازَى العبادَ بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تُراءون فى الدنيا فانظروا هل تَجِدُون عِندهُم الجَزاء)(٦)(٧)

فالرياء قناع خَدَّاع يحجب وجهاً كالِحاً ونفساً لئيمة و قلبا صَلْدا ، والرياء طِلاء رقيق يخفى سَوْءات بعضها فوق بعض ، والرياء زَيْف كاسد فى سوق التجارة .

قال وَهْب بن مُنَبِّه : مَن طلب الدنيا بعمل الآخرة نَكَّس اللهُ قلبه وكتب اسمه فى دِيوان أهْلِ النار

وقال أبو العالية وهو تابِعِى (قال أصحابُ محمد صلى الله عليه وسلم : لا تعمل لِغَيْرِ اللهِ فَيَكِلِكَ الله إلى مَن عَمِلْتَ له)

وقال ابنُ أبى مُلَيْكَة (أدركتُ ثلاثين من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاقَ على نفسه)، ومن علم شدة حاجته إلى صافى الحسنات غداً يوم القيامة غلب على قلبه حذر الرياء وتصحيح الإخلاص بعمله حتى يوافى الله تعالى يوم القيامة بالخالص المقبول، إذا علم أنه لا يخلص إلى الله – جل ثناؤه – إلا ما خلص منه ولا يقبل يوم القيامة إلا ما كان صافيا لوجهه لا تشوبه إرادة شئ بغيره (٨)

---

(١) هذه الجملة ذَيَّلَ بها الكلام لتحمل تحذيرا شديداً للمؤمنين أن يسلكوا مسالك الكافرين فى إنفاقهم وأعمالهم، فإنها باطلة خاسرة

(٢) أيسر التفاسير ج١ ص ١٤٢ (٣) سورة الماعون : ٤ – ٧ (٤) سورة الكهف : ١١٠

(٥) رواه مسلم رحمه الله تعالى فى كتاب الزهد

(٦) رواه أحمد وابن حبان وصححه الألبانى رحمهم الله تعالى (٧) البحر الرائق – الشيخ د / أحمد فريد

(٨) إخوانى احذروا الشرك الخفى – الشيخ د / طلعت زهران حفظه الله تعالى

والرياء مشتق من الرؤيَة، وأصله طلب المنزلة فى قلوب الناس برؤيتهم خصال الخير، ويجمعه أقسام :





١- الرياء بالبَدَن : ويكون بإظهار النُّحول والصَّفَار لِيوهِم بذلك شدة الاجتهاد فى العبادة وعِظَم الحُزْن على أمر الدين وغَلَبة خوف الآخِرَة.

٢- الرياء بالهيئة والزِّى : بتشعيث الرأس وإطراق الرأس فى المشى والهدوء فى الحركة وإبقاء أثر السجود على وجهه وتحرى لبس الثياب الخَشِنة أو لبس المُرَقَّعات.

٣- الرياء بالقول : كرياء أهل الدِّين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الأخبار لاستعمالها فى المحاورة وإظهارا لغزارة العلم وتحريك الشفتين بالذكر فى محضر الناس وإظهار الغضب للمنكرات والأسف على مقارفة المعاصى .

٤- الرياء بالعمل : كمراءاة الناس بطول القيام، والركوع، والسجود، وكذلك بالصوم، والغزون والحج، والصدقة.

٥- الرياء بالأصحاب والزائرين : كالذى يتكلف أن يستزير عالماً أو عابداً، ليقال : إن فُلاناً قد زار فلانا، كالذى يكثر زيارة الشيوخ لِيُرَى أنه لَقِى شيوخا كثيرة واستفاد منهم ويتباهى بشيوخه عند المُخاصَمة .

وأصل الرياء حب الجاه ، والجاه هو قيام المنزلة فى قلوب الناس ، وهو اعتقاد القلوب نعتا من نعوت الكمال فى هذا الشخص، إما لعلم أو عبادة أو نسب أو قوة أو حسن منظر أو غير ذلك مما يعتقده الناس كمالا ، فبقدر ما يعتقدون له من ذلك تذعن قلوبهم لطاعته ومدحه وخدمته وتوقيره، ومن غلب على قلبه حب هذا صار فى أقواله وأفعاله ملتفتا إلى ما يعظم منزلته لديهم وذلك بذر النفاق وأصل الفساد لأن من طلب هذه المنزلة فى قلوب الناس اضطر أن ينافقهم بإظهار ما هو خالٍ عنه وَيَجُرُّ إلى المُراءاة بالعبادات واقتحام المحظورات والتوصل إلى اقتناص القلوب، وهذا باب غامض لا يعرفه إلا العلماء بالله العارفون به المحبون له وإذا فُصِّل رجع الأمر إلى ثلاثة أصول هى : حُبُّ لَذَّةٍ الحَمْد ، والفِرار مِن الذَّم ، والطَّمَع فيما فى أيدى الناس.

والرِّياء مِنه الجَلِىّ ومنه الخَفِىّ :

فالرياء الجَلِىّ : هو الذى يبعث على العمل ويحمل عليه.

والرياء الخَفِى : فهو الذى لا يحمل على العمل بمجرده إلا أنه يخفف مشقة العمل على النفس كالذى يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه فإذا نزل به ضيف تَنَشَّطَ للقيام وخف عليه .

ومن الرِّياء الخَفِىّ : أن الإنسانَ يذم نفسه بين الناس يريد بذلك أن يُرَى أنه متواضع عند نفسه فيرتفع بذلك عندهم ويمدحونه بذلك.

قال الحَسَن البَصْرِىّ رَحِمَه اللهُ (مَن ذَمَّ نَفْسَه فى الملأ فقد مَدَحَها وذلك مِن علامات الرياء)

وللمُرَائي لأجله درجات :



١- فأقبحها أن يقصد التمكن من معصية كمن يظهر الورع والزهد حتى يُعْرَف به فيُولَّى المناصب والوصايا وتُودَع عنده الأموال أو يُفَوَّض إليه تَفْرقة الصدقات ، وقصده بذلك الخِيانة فيه .

٢ – ويليها مَن يُتَّهَم بمعصية أو خيانة فَيُظْهِر الطاعة والصدقة قَصْدًا لِدَفْع تلك التُّهْمَة .

٣ – ويليها أن يقصد نَيل حَظٍّ مباح من نحو مال أو نِكاح أو غيرهما مِن حُظُوظ الدنيا .

٤ – ويليها أن يقصد بإظهار عبادته وورعه وتخشعه ونحو ذلك أنْ لا يُحتَقَر ويُنظر إليه بعين النقص ، أو أن يُعَدَّ من جملة الصالحين ، وفى الخلوة لا يفعل شيئا من ذلك .

قال الغزالى : وجميعهم تحت مقت الله تعالى وغضبه ، وهو من أشد المهلكات

وقال الفُضَيْل بن عِياض رحمه الله تعالى (العمل من أجل الناس شرك، وترك العمل من أجل الناس رياء، والإخلاص أن يعافيك الله منهما) (١)

--- ----------

(١) إخْوَانِى احْذَرُوا الشِّرْكَ الخَفِىَّ – الشيخ د / طلعت زهران حفظه الله تعالى

النداء التاسع – قال تعالى :



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٢٦٧) ﴾

سورة البقرة : ٢٦٧

تقدم تعريف الإنفاق فى الآية رقم ٢٥٤ من سورة البقرة عند تفسير النداء السابع .

الطَّيب ضد الخَبيث، وطاب يطيبه طِيب طِيبة بكسر الطاء وتَطيابا بفتح التاء (مختار الصحاح)

وتقدم معنى الطيبات فى الآية رقم ١٧٢ من سورة البقرة عند تفسير النداء الثالث .

(ولا تيمموا) : يَمَّمْتُ كذا وتيممته قصدته ، قال تعالى (فتيمموا صعيدا طيبا) وتيممت برُمْحِي قصدته دون غيره(١)

(الخَبيث) ما يُكْرَه رَداءَةً وخَساسَة محسوسا كان أو معقولا ، وأصله من الردئ الدِّخْلَة الجارى مَجْرَى خَبَث الحديد ، وذلك يتناول الباطل من الاعتقاد والكذب فى المَقال والقبيح فى الفِعال ، كما قال تعالى (ويُحَرِّم عليهم الخبائث) أى ما لا يوافق النفس من المحظورات

وقال تعالى (ما كان الله لِيَذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يَميزَ الخَبيث من الطيب) أى الأعمال الخبيثة من الأعمال الصالحة والنفوس الخبيثة من النفوس الزكية وقال (ولا تتبدلوا الخبيث بالطَّيب) أى الحرام بالحلال ، وقال تعالى (قل لا يستوى الخبيث والطَّيب) أى الكافر والمؤمن والأعمال الفاسدة والأعمال الصالحة ، وقال تعالى (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة) إشارة إلى كل كلمة قبيحة من كُفْرٍ وكذب ونميمة ، ويقال خبيث مُخْبِث أى فاعل الخُبْث(٢)

(ولا تُغْمِضوا فيه) : الغَمْض النوم العارض ، تقول ما ذُقْتُ غَمْضا ولا غِماضاً ، وغَمَّضَ عينه وأغْمَضها وضع إحدى جَفْنَيْهِ على الأُخْرَى ثم يستعار للتغافل والتساهل ، قال تعالى (ولستم بآخِذِيه إلا أن تُغْمِضوا فيه)(٣)

يقال أغْمَضَ الرجل فى أمر كذا إذا تساهل فيه ورَضِيَ ببعض حقه وتجاوز ، وما فى تفسير الآية فهو مأخوذ من تغميض العين لعدم رؤية العيب والرَّداءة(٤)

---

(١)(٢)(٣) المفردات فى غريب القرآن - الراغب الأصفهانى

(٤) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ص١٤٣

معنى الآية الكريمة :

بعدما رَغَّب الله تعالى عباده المؤمنين فى الإنفاق فى سبيله فى الآيات السابقة بدءاً من قوله تعالى (وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٦٥) أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢٦٦))(١)، ناداهم هنا بعنوان الإيمان، وأمرهم بإخراج زكاة أموالهم من جيد ما يكسبون، يريد الحبوب والثمار، كما أن ما يكسبونه يشمل النقدين والماشية من إبل وبقر وغنم، ونهاهم عن التصدق بالردئ من أموالهم فقال (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه) يريد لا ينبغى لكم أن تنفقوا الردئ، وأنتم لو أُعْطِيتُمُوه فى حق لكم ما كنتم لتقبلوه لولا أنكم تُغْمِضون وتتساهلون فى قبوله، وهذا منه تعالى تأديب لهم وتربية، وأعلمهم أخيرا أنه تعالى غَنِيٌّ عن خلقه ونفقاتهم، فلم يأمرهم بالزكاة والصدقات لحاجة به، وإنما أمرهم بذلك لإسعادهم وأنه تعالى حميد محمود بماله من إنْعام على سائر خَلْقِه (٢)

سبب نزول الآية الكريمة :

روى الحاكم وصححه على شرط الشيخين فى سبب نزول هذه الآية عن البَراء قال : هذه الآية نزلت فينا ، كنا أصحاب نَخْلٍ ، فكان الرجل يأتى من نخله بقدر كثرته وقلته فيأتى الرجل بالقِنْو فيعلقه فى المسجد، وكان أهل الصُّفَّة ليس لهم طعام، فكان أحدهم إذا جاع فضربه بعصاه فيسقط منه البُسْر(٣) والتمر فيأكل وكان أناس ممن لا يرغبون فى الخير يأتى بالقِنو(٤) الحَشَف(٥) والشَّيْص(٦) فيعلقه، فنزلت الآية (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ...) الآية

وفى الآية التى تليها يحذر الله تعالى عباده من وسوسة الشيطان ، فقال سبحانه (الشيطان يَعِدُكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) أى الشيطان يخوفكم من الفقر إن تصدقتم ويُغْريكم بالبخل ومنع الزكاة (والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) أى هو سبحانه يعدكم على إنفاقكم فى سبيله مغفرة للذنوب وخَلَفاً لِما أنفقْتُمُوه، زائداً على الأصل (والله واسع عليم) أى واسع الفضل والعطاء عليم بما يستحق الثناء(٧)

---

(١) سورة البقرة : ٢٦٥ ، ٢٦٦ (٢) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ ص ١٤٤

(٣) البُسْر : أول طلع ثم خَلال بالفتح ثم بَلَح بفتحتين ثم بُسْر ثم رُطب ثم تَمْر ، الواحدة بُسْرَة وبُسُرَة ، والجمع بُسُرات وبُسُر (مختار الصحاح)

(٤) القِنْو : العِذْق وتثنيته قِنْوان وجَمْعُه قنْوان (٥) الحَشَف : أردأ التَّمْر

(٦) الشَّيْص : التمر الذى لا يَشْتَدُّ نُوَاه وإنما يَتَشَيَّص إذا لم تُلقح النَّخْل (مختار الصحاح)

(٧) صفوة التفاسير – الصابونى



ويَحْسُن هنا الحديث عن الزكاة، لمناسبتها للآية الكريمة (يا أيها الذين ءامنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض) سورة البقرة : ٢٦٧

فالزَّكاة لُغَةً : تُطْلَق على النَّماء والتَّطهير والزِّيادة والمَدْح .

وفى الاصطلاح : تطلق على الصدقة التى فرضها الله عز وجل، وهى ركن من أركان الإسلام، دل على وجوبها قوله تعالى (خُذْ من أموالهم صَدَقَة تُطَهِّرُهُم وَتُزَكِّيهم بها)(١) وقوله تعالى (وأقيموا الصَّلاةَ وءَاتُوا الزَّكاةَ (٢)، وقوله صلى الله عليه وسلم (بُنِىَ الإسلام على خَمْسٍ وعَدَّ منها وإيتاء الزكاة)(٣)

ولا تجب الزكاة إلا على مسلم حُرّ مالك النصاب (سواء كان صغيرا أو كبيرا أو عاقلا أو مجنونا)(٤) بتمام الحَوْل ، لحديث (لا زكاة فى مالٍ حتى يَحُولَ عليه الحَوْل(٥))(٦)، وما كان خارج يد الإنسان كالدَّيْن، فإن كان على معترف غنى فعلى صاحبه زكاته، وإن كان على مُعْسِر أو جاحد أو مماطل ففى وجوب الزكاة فيه روايتان، والراجح أنه يزكيه بعد قبضه .

ومن وجد النِّصاب الكامل جاز له تقديم الزكاة قبل مُضِىّ الحول كأن يدفعها لحاجة أو مجاعة نحوهما، ويجب إخراج الزكاة بعد التمكن على الفور إلا أن يؤخرها يسيرا ليدفعها إلى مَن هو أحوج إليها فلا بأس، وتسقط الزكاة بتلف المال قبل التمكن من الأداء على الصحيح، ولا تسقط بموت رب المال وتخرج من تركته، وإن ضاعت الزكاة بعينها وجب أن يغرمها حتى يوصلها إلى يد مستحقيها ولا بأس أن يخرج الزوج الزكاة التى على زوجته بإذنها وربح المال تُؤدَى زكاته مع أصله لأنه تابع له فى الملك وأما المستفاد فلا يُضَم، بل له حول مستقل كوظيفة وَعَطِيَّةِ وارث ونحوها، والحَوْل معتبر فى جميع أنواع الزكاة إلا فى الخارج من الأرض كالزُّرُوع والثِّمار والمَعادن، ولا زكاة فى شئ من ذلك حتى يبلغ نِصاباً (٧)

مسائل فى إخراج الزكاة :

١ - يُشْتَرَط لإخراجها نية المُكَلَّف.

٢ - إنْ وَكَّل المُسْلِمُ مُسْلِماً يقوم بإخراجها أجْزَأهُ .

٣ - تُصْرَفُ زكاةُ كل مالٍ لفقراء بلده ويجوز نقلها لمصلحة شرعية كأقارب أو مجاهدين .

٤ - الأوْلَى أن يُفَرِّق المُزَكِّى زكاة ماله على أقاربه المستحقين لها شرعاً، ولا يدفعها لِمَن تلزمه نفقتهم ممن يرثون بفرضٍ أو تعصيب كالأب والزوجة والابن والبنت، وجائز أن يدفع الزكاة

---

(١) سورة التوبة : ١٠٣ **(٢) سورة البقرة : ٤٣**

(٣) رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى (٤) المُغْنِى ج ٢ ص ٤٨٨ (٥) الحَوْل : العام

(٦) رواه الترمذى وأبو داود وابن ماجه رحمهم الله تعالى (٧) أصول المنهج الإسلامى - العبيد ص ٢٣٥



إلى سائر الأقارب الذين لا يرثون أصلا أو كان حرمانهم مِنَ الإرث لمانع كالحَجْب، وإن كان للمرأة الفقيرة زوج مُوسِر ينفق عليها لم يَجُز دفع الزكاة لها.

٥ - يجب أن تكون الزكاة من الكسب الطيب ويستحب إظهارها (١)

الحكمة من الزكاة :

الزكاة من محاسن الإسلام الذى جاء بالمساواة والتراحم والتعاطف والتعاون وقطع دابر كل شر يهدد الفضيلة والأمن والرخاء وغير ذلك من مقومات البقاء لصلاح الدنيا والآخرة ، فقد جعلها الله تعالى طُهْرَةً لصاحبها من رذيلة البخل وتنمية حسية ومعنوية من آفة النقص، ومساواةً بين خَلْقِهِ بما خَوَّلهم من مال وإعانة من الأغنياء لإخوانهم الفقراء الذين لا يقدرون على ما يقيم أَودَهُم(٢) من مال ولا قوة على عمل وتحقيقا للسلام الذى لا يستقر بوجود طائفة جائعة ترى المال المحرومة منه وتأليفاً للقلوب ، وجمعاً للكلمة حينما يجود الأغنياء على الفقراء بنصيب أموالهم ، وبمثل هذه الشرائع الكريمة يُعْلَم أن الإسلام هو دين العدالة الاجتماعية الذى يكفل للفقير العاجز العيشَ والقوت وللغَنِىِّ حرية التملك مقابل سَعْيه وكدحه ، وهذا هو المَذْهَب المستقيم الذى به عَمَار الكون وصلاح الدين والدنيا ، فلا شيوعية متطرفة ولا رأسمالية مُمْسِكَة شاحَّة (٣)

أهل الزكاة : (مَن يستحق الزكاة)

وأهل الزكاة ثمانية أمر الله بصرفها لهم ، قال تعالى (إنَّما الصَّدقاتُ للفُقَراءِ والمَساكين والعامِلِينَ عَلَيْها والمُؤَلَّفةِ قُلوبُهم وَفِى الرِّقابِ والغارمِينَ وَفِى سَبيلِ اللهِ وابْن السَّبيلِ فَريضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)(٤)

١ - الفقير : هو المُعْدَم ومَن لم يجد أكثر الكفاية .

٢ – المِسْكِين : مَن يجد أغلب حاجته دون تمامها . قال فى الكافى (وإن كان للرَّجُلِ دار يسكنها، أو دابة يحتاج إلى ركوبها، أو خادم يحتاجه أو بضاعة يَتَّجِر بها أو صَنْعَة يمارسها ولا تقوم بكفايته فله أخذ ما يتم به الكفاية من الزكاة له ولأولاده) ا. هـ

٣ – العامِل : عليها وهو الجابى لها (الجابى : الجامع للزكاة)

٤ - المُؤَلَّف قلبه : وهو السيد المُطاع فى قومه يرجى إسلامه أو يُخشَى شَره على المسلمين .

٥ - وفى الرِّقاب : أى يجوز العتق من الزكاة .

٦ - الغارِم : وهو مَن استدان للإصلاح بين الناس أو لنفسه فَأَعْسِر .

---

(١) أصول المنهج الإسلامى– العبيد ص٢٣٦ **(٢) أودَ الشئ أى اعْوَجَّ**

(٣) تيسير العلام – البسام ج١ ص ٣٨٦ **(٤) سورة التوبة : ٦٠**

٧ - الغازى فى سبيل الله : وهو مَن لا راتِبَ له ، فَيُعْطَى ولو كان غَنِيًّا؛ لأنه لحاجة المسلمين.



٨ - ابن السبيل : وهو الغريب المنقطع فى غير بلده ، ويُعطى الجميع من الزكاة بقدر حاجتهم إلا العامل عليها فيُعْطَى بقدر أُجرته.

ولا يجوز دفع الزكاة الواجبة لكافر ، ولا بأس بصدقة التطوع ، لكن المسلم أوْلَى ولا يُجزئ دفعها للرقيق ولا لِغَنِيّ مُكْتَسِب ولا لمن تلزمه نفقته كزوجة وولد ووالديه ولا تدفع للزوج ولا تُدْفَع لبنى هاشم (١) ولا لمَوالِيهم، قاله فى الكافى.

والذى لا يُزَكَّى يستحيل نارا على صاحبه يوم القيامة ، قال تعالى (والذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفِضَّة ولا يُنْفِقُونَهَا فى سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْها فى نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بها جِباهُهُم وجُنُوبُهُم وَظُهورُهُم هَذا ما كَنَزْتُمْ لأنفُسِكُمْ فَذُوقُوا ما كُنتُم تَكْنِزُونَ)(٢)

وقال صلى الله عليه وسلم (مَن آتاه اللهُ مالاً فَلَمْ يُؤَدِّ زكاتَه مُثِّلَ له مالُه يوم القيامة شُجاعا أقرعَ له زَبيبتانِ (٣) يُطَوِّقه ثم يأخذ بِلِهْزِمَتَيْه ثم يقول : أنا مالُك أنا كَنْزُك ، ثم تلا هذه الآية (ولا يَحْسَبَنَّ الذين يَبْخَلُونَ بما آتاهُم اللهُ مِن فَضْلِه هُوَ خَيْراً لَهُم بَلْ هُوَ شَرٌ لَهُم سَيُطَوَّقُون ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ ولله مِيراثُ السَّماواتِ والأرْض واللهُ بما تَعْمَلُونَ خَبيرٌ)(٤)(٥) ومعنى اللِّهْزِمَة : عظم ناتِئ فى اللَّحْى تحت الحَنَك وهما لِهْزِمَتان والجمع لَهَازِم (المعجم الوجيز)

ومَن مَنَعَ الزكاة جاحدا لها أو باخِلا بها فللإمام تحصيلها منه قهْراً، وإن استوجب الأمر قتاله قَتَلَه، ومَن أنكر وجوب الزكاة بعد العلم بوجوبها فهو مرتد، والله أعلم (٦)

والزكاة حق واجب فى مال مخصوص ، وهو بهيمة الأنعام والخارج من الأرض والنَّقْدان وعُروض التِّجارة، ونقتصر هنا على بيان زكاة النَّقْدَيْن، ويُرْجَع فى باقى الأموال إلى كتب الفقه وذلك خشية الإطالة.

النَّقْدَان : الذَّهَب والفِضَّة، وما فى حكمهما من الأوراق المالية كالدولار، أو الجنيه الإنجليزىّ، أو الرِّيال السُّعودىّ، أو الدِّينار الكُوَيْتِىّ، ونِصَاب الذَّهَب عِشْرُونَ مِثْقالاً(٧) إسلامياً، والمِثقال وَثُلُثا المثقال بوزن جنيه إنجليزى أو جنيه سعودى، فيكون نِصاب الذَّهَب فيهما اثنتَى عَشْرَةَ

---

(١) بنو هاشم : وهم آل البيت مِن آل العَبَّاس، وآل عَلِيّ، وآل جَعْفَر، وآل عَقِيل بن أبى طالب، وآل الحارث بن عبد المُطَّلِب بن هاشم ثانى أجداد النبي صلى الله عليه وسلم، واختلفوا فى بَنِي المُطَّلِب.

(٢) سورة التوبة : ٣٤ ، ٣٥

(٣) زبيبتان : أى نُكْتَتَانِ سَوْدَاوان فوق عينه ، والشُّجاع : الذَّكَر مِن الحَيَّات.

(٤) سورة آل عمران : ١٨٠ **(٥) رواه البخارى رحمه الله تعالى**

(٦) أصول المنهج الإسلامى – العبيد ص ٣٤١

(٧) المِثْقال = ٤.٢٥ جرام ذهب عيار ٢٤ ، وعشرون مِثْقالا = ٨٥ جرام ذهب.





جنيهاً سُعُوديَّاً أو إنجليزياً؛ لأن وزنهما واحد، ونصاب الفِضَّة مائتا دِرْهم وبالريال الفِرنْسىّ اثنا وعشرون ريالاً، و بالريال العربى السعودى خمسة وخمسون ريالاً (١) ومن الفضة بالجرام = ٥٩٥ جراماً.

أما الحُلِىّ الذى تلبسه المرأةُ أو تُعِيرُه فليس عليه زكاة فى ظاهر المذهب ، وأوجبه أبو حنيفة ، ولكن خالفه الجمهور ، وقال الإمام أحمد : زكاته إعارته، وليس فيه زكاة، رُوِىَ ذلك عن أنس وجابر وابن عمر وعائشة وأسماء أختها رضى الله عن الجميع.

وقال الترمذى : ليس يصح فى هذا الباب شئ يعنى زكاة الحُلِىّ.

وقال أنس بن مالك كما فى المُحَلَّى لابن حَزْمٍ والسُّنَن الكبرى : يزكيه مَرَّة واحِدَة فى العُمْر .

ويلحق بزكاة النقدين التى هى صدقة الأثمان ريع العَقار والشركات والأسهم المُقْتَنَاة الثابتة، حيث إن العَقار والشركات والأسهم يجب فى ريعها دون أعيانها، ويجوز فى زكاة كسب العمل والوظيفة الشهرية أن يجعل لنفسه حَوْلاً فيزكى عند تمامه عن كل ما توفر لديه ولو لم يَحُل عليه الحول، وذلك بنية تعجيل الزكاة، ولا يجب إلا فى تمام الحَوْل(٢)

فوائد ومسائل فى الزكاة :

١ - زكاة المال لا تجب فى العَبْد للخِدْمَة ، والفَرَس المُعَدَّة للرُّكوب .

٢ - كل ما أُعِدَّ للاستعمال والاقتناء لا تجب فيه زكاة، لأنه غير نامى .

٣ - مشروعية بَعْث الإمام السُّعاة لِجِباية الزكاة .

٤ - الأشياء الموقوفة فى سبيل الله أو المُعَدَّة للاستعمال ليس فيها زكاة .

٥ - وجوب زكاة الفِطْر عن كل مسلم صغير أو كبير ذَكَر أو أنْثى حر أو عبد، ولا تجب على الجَنِين، ويستحب إخراجها عنه، وقول أكثر العلماء أنها تخرج طعاما، والواجب صاع (٣) من تَمْرٍ أو شَعِير أو أَقِط (٤) أو زَبيب .

٦ - يستحب إخراج زكاة الفطر بتقديمها قبل يوم عيد الفطر بيوم أو يومين (٥)

---

(١) تيسير العلام – البسام ج١ص ٣٧٨

(٢) أصول المنهج الإسلامى – العبيد ص٢٤٣

(٣) الصاع أربعة أمْداد ، والمُدّ : مِلء الكَفَّيْن.

(٤) الأقِط أو الأقط أو الإقِط : يعمل من اللَّبن المَخِيض وأحسنه ما كان من لَبَن الغَنم.

(٥) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام - الشيخ / البسام ج١ ص٣٨٠

النداء العاشر – قال تعالى :





﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩) ﴾

سورة البقرة : ٢٧٨ ، ٢٧٩

لمَّا أمر الله تعالى المؤمنين بالإنفاق مِن طيبات ما كسبوا وحَضَ على الصدقة ورغَّبَ فى الإنفاق فى سبيل الله، ذكر هنا ما يقابل ذلك وهو الربا الخبيث الذى هو شُحٌ وقذارة ودنس وأكل أموال الناس بالباطل بينما الصدقة عطاء وسماحة وطهارة ، وقد جاء عَرْضُه مباشرة بعد عرض ذلك الوجه الطيب من الإنفاق فى سبيل الله ليظهر الفارق بين الكسب الطيب والكسب الخبيث، وكما قيل : وبضدها تتميز الأشياء . وبين هنا أن الربا غير البيع، فإن البيع حلال والربا حرام، وأن الذى يأكل الربا يتخبط فى عشوائه ويتخبطه الشيطان إذا مَسَهُ (١)، ثم بَيَّن أنه سبحانه يمحق (٢) الربا ولكنه يُرْبِى الصَّدَقات أى يزيد بها الأموال وينميها وأنه إذا تعامل بالربا وتاب فلا يأخذ إلا رأس المال دون زيادة ولو قليلة ، ونهى فى آية أخرى سبحانه قائلا (يا أيها الذين ءامنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة ....) سورة آل عمران : ١٣٠ وسيأتى شرحها بالتفصيل فى موضعها إن شاء الله تعالى عند تفسير النداء الخامس عشر ، ففى آية البقرة نادى الله عز وجل المؤمنين ونهاهم أن يتعاملوا بالربا لِمَا له من عاقبة وَخِيمة فى الدنيا والآخِرَة فقال (.. اتقوا الله وذَرُوا ما بقى من الربا ...)

سبب نزول الآية الكريمة :

أنه كان لبنى عمرو مِن ثَقِيف ديون ربا على بَنِى المُغِيرَة، فلما حَلَّ الأجَلُ أرادوا أن يتقاضوا الربا منهم، فنزلت الآية، فقالت ثَقِيف : لا يَدَّ لَنَا أى لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله وتابوا وأخَذُوا رُءوس أموالهم فقط (٣)

الرِّبا لُغَة : الزِّيَادَة ، قال تعالى (فإذا أنْزَلْنَا عَلَيْها المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ) أى زادت ، والربا : الزيادة على رأس المال، لكن خُصَّ فى الشرع على وجه دون وجه، وباعتبار الزيادة ، قال تعالى (وما آتَيْتُم مِن ربا لِيَرْبوَ فى أموال الناس فلا يَرْبُوا عِنْدَ اللهِ ...) ونَبَّه بقوله (يَمْحَقُ اللهُ الرِّبا وَيُرْبِى الصَّدَقات) أن الزيادة المعقولة المعبر عنها بالبَرَكَة مرتفعة عن الربا، ولذلك قال فى مقابلته (وما آتيتم من زكاة تريدون وَجْهَ اللهِ فأولئك هُمُ المُضْعِفونَ)(٤)

---

(١) المَسّ : الجنون وأصله مِن المَسّ باليد كأن الشيطان يَمَسّ الإنسانَ فيحصل له الجنون.

(٢) المَحْق : نُقْصَان الشئ حالاً بَعْدَ حالٍ

(٣) صفوة التفاسير - الصابونى

(٤) المفردات فى غريب القرآن – الراغب الأصفهانى



ويجدر أن نبدأ فى معنى الآية بَدْءاً من قوله تعالى (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يَقُومُ الذى يَتَخَبَطُه الشَّيْطان مِنَ المَس ..) الآية ٢٧٥ من سورة البقرة لأنها وما تلاها من الآيات ترتبط ارتباطا وثيقا بمعنى قوله تعالى (.. اتقوا الله وذَرُوا ما بَقِىَ مِن الرِّبا ..)

فقوله تعالى (يأكلون الربا) يأخذونه ويتصرفون فيه بالأكل فى بطونهم وبغير الأكل، والربا هنا ربا النَّسِيئَة، وحقيقته أن يكون لك على المَرء دَيْن، فإذا حَلَّ أجَلُه ولم يقدِر على تسديده تقول له : أخِّرِ وَزِدْ فتؤخره أجلا وتزيد فى رأس المال قدرا مُعَيَّناً، هذا هو ربا الجاهلية ، والعمل به اليوم فى البنوك الرِّبَوِيَّة، فيُسْلِفُونَ المَرْءَ مَبْلغاً إلى أجَلٍ ويزيدون قَدْرَاً آخَرَ نحو العُشْر أو أكثر أو أقل، والربا حرام بالكتاب والسنة والإجماع، وسواء كان ربا فَضْلٍ (١) أو ربا نسيئة ، (لا يقومون) أى مِن قبورهم يوم القيامة (يتخبطه الشيطان) يضربه الشيطان ضربا غير منتظم (من المس) الجنون (موعظة) أمر ونهى بترك الربا (فَلَهُ ما سَلَفَ) ليس عليه أن يَرُدَّ الأموالَ التى سبقتْ توبته (يمحق الله الربا) أى يذهب شيئا فشيئا، حتى لا يبقى منه شئ (ويُرْبِى الصدقاتِ) يبارك فى المال الذى أُخْرِجَت منه ويزيد فيه ويضاعف أجرها أضعافا كثيرة، (كَفَّار أثيم) الكَفَّار شديد الكُفْر يكفر بكل حق وعدل وخير، (أثيم) مُنْغَمِسُ فى الذنوب لا يترك كبيرة ولا صغيرة إلا ارتكبها، فلما حث الله على الصدقات وواعد عليها بِعِظَمِ الأجْر ومُضَاعَفَة الثواب، ذَكَرَ المُرَابينَ الذين يضاعِفون مكاسبهم المالية بالربا وهم بذلك يَسُدُّون طرق البر ويصدون عن سبيل المعروف فبدل أن ينموا أموالهم بالصدقات نَمَّوْها بالربويات، فذكر تعالى حالهم عند القيام من قبورهم وهم يقومون ويصرعون حالهم حال من يُصْرَع فى الدنيا بمس الجنون علامة يُعرَفون بها يوم القيامة كما يعرفون بانتفاخ بطونهم وكأنهم خَيْمَة مضروبة بين أيديهم، وهذا الذى أصابهم من الخِزْى والعذاب بسبب ردهم حكم الله بتحريم الربا، وقالوا (إنما البيع مثل الربا) إذ الربا الزيادة فى نهاية الأجل والبيع فى أوله، فقال (وأحل الله البيع وحرم الربا) فما دام قد حرم الربا فلا معنى للاعتراض، ونسَوْا أن الزيادة فى البيع هى فى قيمة سلعة تَغْلو وترخص وهى جارية على قانون الإذن فى التجارة، وأما الزيادة فى آخر البيع فهى زيادة فى الوقت فقط .

ثم قال تعالى مُبَيِّناً لعباده سبيل النجاة مُحَذِّراً مِن طريق الهلاك (فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ) وهى تحريمه تعالى للربا ونهيه عنه فانتهى فله ما سلف قبل معرفته للتحريم أو قبل توبته وأمره بعد ذلك إلى الله إن شاء ثَبَّتَهُ على التوبة ونَجَّاه، وإن شاءَ خَذَلَه لِسُوءِ عَمَلِه، وفَساد نِيَّتِه فأهْلَكَه وأرْدَاه، وهذا معنى قوله تعالى (وَمَنْ عادَ فأولئكَ أصْحابَ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ)

---

(١) ربا الفضل بيانه فى صحيح مسلم قال صلى الله عليه وسلم (الذَّهَب بالذهب، والفِضَّة بالفضة، والبُرُّ بالبُرّ، والشَّعِير بالشعير، والتَّمْر بالتمر، والمِلْح بالملح، مِثْلا بمِثْل، يَدَاً بيَد، فمن اسْتَزَاد فقدْ أرْبَى الآخِذ والمُعْطِى سَوَاء) وقال (فإذا اختلفتِ الأجْناسُ فَبِيعُوا كَيْفَ شِئْتُم إذا كان يَدَاً بيَدٍ)





وبمناسبة ذِكر عقوبة آكلى الربا، نادى الله تعالى عباده المؤمنين آمِراً إياهم بتقواه تعالى وذلك بطاعته وترك معصيته وبالتَّخَلِّى عَمَّا بَقِى عند بعضهم من المعاملات الربوية مُذَكِّراً إياهم بإيمانهم إذ مِن شأن المؤمن الاستجابة لنداء ربه وفعل ما يأمره وترك ما ينهاه عنه ثم هدد المُتَبَاطِئِينَ بقوله (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ ...) فاعْلَمُوا بِحَرْبٍ قاسِيَة ضَرُوس مِنَ اللهِ ورسولِه، فقد قال صلى الله عليه وسلم (لَعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبَا ومُوكِلَه وَشَاهِدَيْهِ وَكَاتِبَه هُم فِيه سَوَاء)(١)

واللَّعْن هو الطَّرْد من رحمة الله تعالى، ثم بَيَّنَ لهم طريق التوبة وسبيل الخلاص مِن مِحْنَةِ الربا وَفِتْنَتِهِ بقوله تعالى (وإنْ تُبْتُم) بترك الربا (فَلَكُم رُءوسُ أَمْوَالِكُم) لا غير دون زيادة ولا نقصان . وإن وُجِدَ مَدِين لكم فى حالة إعْسار فالواجب انتظاره إلى مَيْسَرَة (٢) وشئ آخَر وهو خير لكم أن تتصدقوا بالتنازل عن ديونكم كلها تطهيرا لأموالكم التى لامَسَها الربا وتزكية لأنفسكم مِن آثاره السيئة .

ثم ذَكَّرَ اللهُ تعالى سائر عباده بيوم القيامة وما فيه من أهوال ومواقف صعبة، حيث يتم الحساب الدقيق وتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ مؤمِنة أو كافرة بارَّة أو فاجِرة ما كَسَبَتْهُ مِن خَيْرٍ وَشَرٍّ وهم لا يُظْلَمونَ بنقص حسناتهم أو زيادة سيئاتهم، فقال تعالى (واتَّقُوا يَوْمَاً تُرْجَعونَ فيه إلى اللهِ ثمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ) سورة البقرة : ٢٨١ وهذا التوجيه الذى حملته الآية، آخِر تَوْجِيهٍ تَلَقَّتْه البَشَرِيَّةُ مِنْ رَبِّها تعالى، إذ هى آخِر ما نَزَلَ مِن السَّماء على رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣)

هداية الآيتين الكريمتين :

١ - وجوب التوبة من الرِّبا ومِن كل المعاصى .

٢ - المُصِرُّ على المعاملات الربوية يجب على الحاكم أن يحاربه بالضرب على يده حتى يترك الربا .

٣ - مَن تاب مِنَ الربا لا يُظْلَمُ بالأخذ مِن رأس ماله بل يُعْطاه وافياً كاملاً إلا أن يتصدق بالتنازل عن ديونه الربوية فذلك خير له حالاً ومَآلاً .

٤ - وجوب ذِكْر الآخرة والاستعداد لها بالإيمان والعمل الصالح وترك الربا والمعاصى (٤)

---

(١) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ص١٤٩

(٢) قال صلى الله عليه وسلم (مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرا أو وَضَعَ عنه أظَلَّه الله يوم القيامة تحت ظِل عَرْشِه يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّه) رواه أحمد والترمذى عن أبى هريرة، وقال (مِنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً فله بكل يوم مِثْلِه صدقة قبل أن يَحِلَّ الدَّيْن، فإذا حَلَّ الدين فأَنْظَرَه فله بكل يوم مِثْلاه صدقة) رواه أحمد وابن ماجه والحاكم عن بُرَيدة
(٣) ، (٤) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ص١٥٠

فوائد فقهية من كتاب تيسير العلام شرح عمدة الأحكام :



١ - يَحْرُم بَيْع الذهب بالفِضَّة والعكس، وفساده إذا لم يتقابض المُتَبايعان قبل التَّفَرُّق مِن مَجْلِس العَقْد وهذه هى المُصارَفة، ويُراد بمجلِس العقد مكان التبايع سواء كانا جالِسَيْن، أو ماشِيَيْن، أو راكِبَيْن، ويُراد بالتَّفَرُّق تَفَرُّقاً عُرْفِيّاً بين الناس .

٢ - يَحْرُم بَيْع البُر بالبُر، أو الشَّعير بالشَّعير، وفساده إذا لم يتقابض المُتَبايعَان قبل التفرق من مجلس العقد .

٣ - قال فى المُغْنِى : فالحاصِل أن ما اجتمع فيه الكَيْل والوَزْن والطَّعْم مِن جِنْسٍ واحد ففيه رِبا كالأرْز، وما يُعْدَم فيه الكيل والوزن والطعم واختَلَفَ جِنْسُه فلا ربا، وهو قوْل أكثر العلماء، وذلك كالتِّين والنَّوَى، وما وُجِدَ فيه الطعم وَحْدَه أو الكيل والوزن مِن جِنْس واحد ففيه روايتان، واختلف أهل العلم، والأوْلى إن شاء الله حِلُّه، إذ ليس فى تحريمه دليل مَوْثوق به، ولا معنى يقوى التَّمَسُّك.

٤ - يَحْرُم ربا الفضل بالتمر، بأن يُباع بعضه ببعض وأحدهما أكثر مِن الآخَر كَتَمْر رَدِئ بِآخَرَ جَيِّد، ولكن يبيع التمر الردئ ثم يقبض ثَمَنَه ثُمَّ يشترى آخَر (١)

الترهيب مِن أكْلِ الربا :

قال صلى الله عليه وسلم (دِرْهَم ربا يَأكُلُه الرَّجُلُ وهو يَعْلَم أشَدُّ عِند اللهِ مِن سِتَّةٍ وثلاثينَ زَنْيَة)(٢)

وقال (اجتنبوا السَّبْعَ المُوبِقات (٣) ، قالوا : يارسول الله وما هن ؟ قال : الشِّرْك بالله، والسِّحْر، وقَتْل النَّفْس التى حَرَّمَ اللهُ إلا بالحق، وأكْل الربا، وأكْل مال اليَتيم، والتَّوَلِّى يوم الزَّحْف،(٤) وقَذْف المُحْصناتِ المُؤمِنات الغافِلات) (٥)

---

(١) تيسير العلام – البسام ج١ص٦٤٦

(٢) رواه أحمد والطَّبَرانى رحمهما الله تعالى عن عبد الله بن حنظلة رضى الله عنه . ص.ج رقم ٣٣٧٥

(٣) المُوبِقات : أى المُهْلِكات التى تُوبق صاحبها فى النار أى تُوقِعُه و تُهْلِكُه.

(٤) التَّوَلِّى يوم الزَّحْف : أى التولى وقت لقاء الجَيْش للكفار فِراراً.

(٥) رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى .

النِّداءُ الحادِى عَشَرَ – قال تعالى :



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٨٢) ﴾

سورة البقرة : ٢٨٢

لما ذكر الله تعالى الربا وما فيه من قُبْح وشناعة لأنه زيادة متقطعة مِن عَرَق المَدِين ولَحْمِه وهو كسبٌ خبيث يمقته الإسلام ويحرمه، أعقبه بذكر القرض الحسن بلا فائدة، وذكر الأحكام الخاصة بالدَّيْن والتجارة والرَّهْن وكلها طرق شريفة لتنمية المال وزيادته بما فيه صلاح الفرد والمجتمع، وآية الدَّيْن هى أطول آية فى القرآن الكريم على الإطلاق مما يدل على عناية الإسلام بالنُّظُم الاقتصادية .

فينادِى سبحانه وتعالى المؤمنين فيقول (يا أيها الذين ءامنوا إذا تداينتم بدَيْن)(١) أى إذا دايَن بعضكم بعضا فى شراء أو بَيْع أو سَلَم أو قَرْض (إلى أجل مسمى) وقت محدد بالأيام أو الشهور أو الأعوام (بالعدل) بلا زيادة أو نقصان ولا غِش أو احتيال بل بالحق والإنصاف (ولَا يَأْبَ) أى لا يمتنع الذى يحسن الكتابة أن يكتب (وليملل الذى عليه الحق) لأن إملاءه اعتراف منه وإقرار بالذى عليه من الحق (ولا يبخس منه شيئا) لا ينقص من الدين الذى عليه ولو قَلَّ ، ولْيَذْكُره كلـه (سفيهاً أو ضعيفاً) السفيه : الذى لا يحسن التصرفات المالية ، والضعيف : العاجز عن الإملاء كالأخرس أو الشيخ الهَرِم ، (ولِيُّه) مَن يَلِى شُؤونه لعجزه وقصوره ، (مِن رجالكم) أى المسلمين الأحرار دون الكُفَّار والعَبِيد ، (أن تَضِلَّ إحداهما) تَنْسَى أو تُخْطِئ لِقِصَر إدراكها (ولا تسأموا) لا تضجروا أو تملوا من الكتابة ولو كان الدين صغيراً مبلغه ، (أقسط عند الله) أعدل فى حكم الله وشرعه (وأقوم للشهادة) أثبت لها وأكثر تقريرا لأن الكتابة لا تُنسَى والشهادة تُنْسى أو يموت الشاهد أو يغيب (وأدنى ألا ترتابوا) أقرب أن تَشُكُّوا بخلاف الشهادة بدون كتابة (تديرونها بينكم)

---

(١) تَدَايَنَ تفاعل من الدَّيْن يقال دايَنْتُ الرَّجُل عامَلْتُه بدَيْن مُعطِيَاً أوآخِذاً كما بايَعْتُه إذا بِعْتَه أوباعَكَ

أى تتعاطونها ، البائع يعطى البضاعة والمشترى يعطى النقود ، فلا حاجة إلى كتابتها ولا حرج أو إثم يترتب عليها (وأشهدوا إذا تبايعتم) إذا باع أحد أحداً داراً، أو بُسْتاناً، أو حَيَواناً، يشهد



على ذلك البيع (ولا يُضارَّ كاتب ولا شهيد) بأن يُكَلَّف ما لا يقدر عليه، بأن يُدعَى ليشهد فى مكان بعيد يَشُقّ عليه أو يُطْلَب منه أن يكتب زُوراً أو يَشْهَد به (فُسُوق بكم) أى خروج عن طاعة ربكم لاحَقَ بكم إثمه وعليكم تَبِعَتُه يوم القيامة (واتقوا الله) فى أوامره فافعلوها وفى نواهيه فاتركوها وكما علمكم هنا يعلمكم ما تحتاجون فاحْمَدُوه بألسنتكم واشكروه بأعمالكم وسَيَجْزِيكُم بها وهو بكل شئ عليم.

معنى الآية الكريمة :

لمَّا حث تعالى على الصدقات وحرَّم الربا ودعا إلى العفو عن المُعْسِر والتصدق عليه بإسقاط الدَّيْن الأمر الذى يتبادر إلى الذهن أن المال لا شأن له ولا قيمة فى الحياة فجاءت هذه الآية ، آية الدين الكريمة لتعطى للمال حقه وترفع شأنه فإنه قِوام الحياة ، فقررت واجب الحفاظ عليه وذلك بكتابة الديون والإشهاد عليها بمن ترضى عدالتهم ، وكون الشهادة رجلين مُسْلِمَيْن حُرَّيْن . فإن انعدم رجل من الاثنين قامت امرأتان (١) مقامه ، واستحث اللهُ تعالى من يُحْسِن الكتابة أن يكتب إذا كان ذا سَعَة (٢) مِن أمره وحَرَّم على الشهود إذا ما دُعُوا لأداء الشهادة أن يتخلوا عنها، وحَرَّم على المُتداينَيْن أن لا يكتبوا ديونهم ، ولو كانت قليلة ، فقال تعالى (ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله) ورَخَّصَ تعالى منه عدم كتابة التجارة الحاضرة التى يدفع فيها السلعة فى المجلس ويقبض الثمن فيه فقال (إلا أن تكون تجارة حاضِرَة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها) وأمر بالإشهاد على البيع فقال (وأشهدوا إذا تبايعتم ..) ونهى عن الإضرار بالكاتب أو الشهيد بأن يُلْزِم الكاتبَ أن يكتب إذا كان فى شُغْلِه أو الشاهد بأن يطلب منه أن يشهد وهو فى شغله أو أن يُدْعَى إلى مسافات بعيدة تشق عليه إذ أَمْره تطوع وفِعْل خير لا غير فَيُطْلَب كاتب وشاهد غيرهما إذا تَعَذَّر ذلك منهما لانشغالهما ، وحذر من كِتْمان الشهادة أو الحَيْف والجَور فى الكتابة والإضرار بالكاتب والشهيد فقال (وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم) وأكد ذلك بأمره وتقواه فقال (واتقوا الله)(٣)

---

(١) الجمهور على أن اليمين تقوم مقام الشاهد أى : إذا انعدم الشاهد الثانى قضى القاضى بالشاهد واليمين التى يحلِفها المُطالِب بالبينة ومن هنا إن وُجِدَ من الشهود امرأتان فقط اعتُبِرَتا شاهِدا واحِداً وزيدَتْ اليمين وقضى القاضى بذلك ، وهذا فى الأموال الخاصَّة .

(٢) إذا كان الكاتب فى سَعَة من أمره فليكتب على سبيل النَّدْب وإن لم يوجد غيره وجب عليه أن يكتب، وفى قوله (كما علمه الله فليكتب) أمر له أن يكتب الوثائق على طريقتها فلا يُبَدِّل ولا يُغَيِّر ، وفيه تذكير له بنعمة الله .

(٣) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ص١٥٢

فوائد من الآية الكريمة :



١ - العِلم نوعان : كَسْبِى، ووَهْبِىّ ، أما الأول فيكون تحصيله بالاجتهاد والمثابرة والمذاكرة ، وأما الثانى فطريقه تقوى الله والعمل الصالح كما قال تعالى (واتقوا الله ويعلمكم الله) وهذا يسمى العلم اللَّدُنِّى (وآتيناه من لدُنّا علما) وهو العلم النافع الذى يَهَبُهُ الله تعالى لِمَن يشاء مِن عِباده المُتَّقِين (١)

٢ - كون الشهود لا يَقِلُّونَ عن اثنين، هذا عامٌّ فى كل شهادة إلا شهادة الزِّنا فإنهم لا يَقِلُّونَ عن أربعةٍ أبداً .

٣ - قوله تعالى (إذا ما دُعُوا) دَلَّ على أن الشهود يأتون الحاكم ليشهدوا ، وَدَلَّ على أنَّ مَن لم يُدْعَ ليس عليه أن يشهد ، ولكنْ وَرَدَ فى السُّنَّة الترغيب فى أداء الشهادة ولو لم يُدْعَ إليها المُسْلِم لا سِيَّمَا إذا تَوَقَّفَ على شهادته إثبات حق من الحقوق ، فقد قال صلى الله عليه وسلم (خَيْرُ الشُّهود مَن أدَّى شهادته قبل أن يُسْألها)(٢)

٤ - جواز النِّيَابة فى الإملاء لِعَجْزٍ عنه وعدم القدرة عليه .

٥ - وجوب العدل والإنصاف فى كل شئ لا سيما فى كتابة الديون المُسْتَحَقَّة المُؤَجَّلة .

٦ - وجوب الإشهاد على الكتابة لتأكدها به وعدم نسيان قدْر الدَّيْن وأجَلِه .

٧ - الحِرْص على كتابة الديون والعزم على ذلك ولو كان الدين صغيرا تافِهاً .

٨ - الرخصة فى عدم كتابة التجارة الحاضرة السِّلْعة والثَّمَن المُدارة بين البائِع والمُشتَرى .

٩ - وجوب الإشهاد على بيع العَقارات والمَزَارِع والمصانع مما هو ذو بالٍ .

١٠ - حُرْمَة الإضرار بالكاتب أو الشهيد لقوله تعالى (وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم) .

١١ - تقوى الله تسبب العلم وتكسب المَعْرِفة بإذن الله تعالى لقوله (إنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُم فُرْقاناً) أى تُفَرِّقون به بين الحَقِّ والباطِل (٣)

١٢ - تكرار لفظ الجَلالة (الله) فى الجُمَل الثلاث (واتقوا الله) (ويعلمكم الله) (والله بكل شئ عليم) لإدخال الرَّوْعَة (٤) وتربية المَهابة فى النفوس .

---

(١) صفوة التفاسير – الصابونى

(٢) رواه ابن ماجه رحمه الله تعالى عن زيد بن خالد – ص.ج للألبانى رقم ٣٢٧٧

(٣) أيسر التفاسير – الجزائرى ج ١ص١٥٢

(٤) الرَّوْعَة : الفَزْعَة والرَّوْع بالفتح : الفَزَع ، والرُّوع بالضم : القَلْب والعقل ، يقال : وَقع فى رُوُعِى أى فى خُلْدِى وبالِى ، وفى الحديث (إنَّ الرُّوحَ الأمينَ نَفَثَ فى رُوُعِى) (مختار الصِّحاح)

١٣ - (وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّه) جمع ما بين الاسم الجليل والنعت الجميل مبالغة فى التَّحذير (١)



فوائد من الآية الكريمة من كتاب تفسير السعدى رحمه الله تعالى :

١ - ثبوت الولاية على القاصرين من الصغار والمجانين والسفهاء ونحوهم .

٢ - أنَّ الوَلِيَّ يقوم مقام مُوَلّيه فى جميع اعترافاته المتعلقة بحقوقه .

٣ - وجوب الإعتراف بالحقوق الخفية وأن ذلك من أعظم خِصال التقوى، كما أن عدم الاعتراف بها من نواقض التقوى ونواقصها .

٤ - الإرشاد إلى إشهاد رَجُلَيْن عَدْلَيْن، فإن لم يمكن أو تعذَّر فَرَجُل وامرأتان، وذلك شامل لجميع المعاملات : بيوع الإدارة وبيوع الدَّيْن وتوابعها من الشروط والوثاق وغيرها، وإذا قيل قد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قضَى بالشاهد الواحد واليمين، والآية الكريمة ليس فيها إلا شهادة رجلين، أو رَجُلُ وامرأتان، قيل الآية فيها إرشاد البارى عبادَه إلى حفظ حقوقهم، ولهذا أتى فيها بأكمل الطرق وأقواها وليس فيها ما ينافى ما ذَكَرَه النبى صلى الله عليه وسلم من الحكم بالشاهد واليمين فباب حفظ الحقوق فى ابتداء الأمر يرشد فيه العبدَ إلى الاحتراز والتَّحَفُّظ التام، وباب الحكم بين المتنازعين يُنْظَر فيه إلى المُرَجِّحَات والبَيِّنات بحسب حالها .

٥ - أن شهادة المرأتين قائمة مقام الرجل الواحد فى الأمور الدنيوية، أما فى الأمور الدينية كالرواية والفتوى، فإن المرأة فيه تقوم مقام الرجل الواحد .

٦ - أنه لا يجوز أخذ الأجْرَة على الكتابة والشهادة حيث وَجَبَتْ ، لأنه حقٌ أوْجَبَه اللهُ على الكاتب والشهيد .

٧ - أنَّ تَعَلُّمَ الكِتابة من الأمور الدينية لأنها وسيلة إلى حفظ الدِّين والدُّنْيا وسبب للإحْسان .

٨ - الإرشاد إلى حكمة جَعْل الشَّارع شهادة المرأتين تقوم مقام شهادة الرجل وذلك لضعف ذاكرة المرأة غالباً وقوة حافِظَة الرَّجُل (٢)

٩ - مشروعية الوثيقة بالحقوق وهو الرُّهون والضَّمانات التى تَكْفُلُ للعبد حصوله على حقه سواء عَامَلَ بَرّاً أو فاجراً أو أَمِيناً أو خائِناً ، فكَم فى الوثائق مِن حِفْظِ حُقُوق وانقطاع مُنازَعات .

١٠ - أنه كما مِن العِلْمِ النافع تعليم الأمور الدِّينيَّة المُتَعَلِّقَة بالعِبادات ، فَمِنْهُ أيضا تعليم الأمور الدُّنْيَوِيَّة المتعلقة بالمعاملات ، فإن الله تعالى حفظ على العباد أمور دِينِهِم وَدُنْيَاهُم وكِتَابه العَظيم الذى فيه تِبْيَان لِكُلِّ شَئ (٣)

---

(١) صفوة التفاسير – الصابونى(٢) لفظ هذه الفائدة ليس مِن كلام الشيخ السعدى رحمه الله تعالى، وإنَّما هو لفظ الشَّيْخَيْن عبد الله ابن عبد العزيز بن عَقيل و محمد الصالح العُثَيْمين فى تقديمهما وتعليقهما على كِتاب (تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المَنَّان) للشيخ عبد الرحمن السعدى رحمه الله تعالى . (٣) تفسير الشيخ السعدى رحمه الله

النداء الثانى عشر – قال تعالى :



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ(١٠٠)﴾ سورة آل عِمْران : ١٠٠

سورة آل عِمْران مَدَنِيَّة بالإجماع وآياتها مِائتا آية، صَدْرُها إلى ثلاث وثمانين آية نزلت فى وفد نَجْرَان، وكانوا قد قدِموا سَنَة تِسْعٍ من الهجرة، وكانوا ستين راكِباً فيهم أربعة عشر رجلاً مِن أشرافهم، وجادَلوا مُحَمَّداً صلى الله عليه وسلم فى عيسى عليه السلام وعقائدهم النَّصْرانية، فنزل فى هذه السورة ما بَيَّنَ الحقَّ فيما كانوا يَزْعُمون (١)

وهذه الآية الكريمة ترتبط بما قبلها وما بعدها مِن الآيات بدءاً مِن الآية رقم ٩٣ من سورة آل عمران وهى قوله تعالى (كُلُّ الطَّعام كان حِلاً لبنى إسرائيل إلا ما حرَّمَ إسرائيل على نَفْسِه ....)

وإسرائيل هو لقب يَعْقُوبَ عليه السلام ، بنى إسرائيل هم المنحدرون من أبنائه الاثنَى عَشَر إلى يومنا هذا ، وسياق الآيات فى الحِجَاج مع أهل الكتاب فقد قال يهودٌ للنبى صلى الله عليه وسلم : كيف تَدَّعِى أنك على دين إبراهيم وتأكل ما هو مُحَرَّم فى دينه مِن لحوم الإبل وألبانها ، فردَّ اللهُ على هذا الزَّعْم الكاذب بقوله (كل الطعام كان حِلا....) أى حلالا لبنى إسرائيل وهم ذُرِيَّة يعقوب عليه السلام ولم يَكُن هناك شئ مُحَرَّم عليهم فى دين إبراهيم اللهم إلا ما حَرَّمَ إسرائيل (يعقوب) على نفسه خاصَّة وهو لحوم الإبل وألبانها لِنَذْرٍ نَذَرَه ، وهو أنه مَرِضَ مَرَضاً آلَمَه ، فَنَذَرَ للهِ إنْ شَفَاهُ تَرَكَ لُحوم الإبل وألبانها وهى مِن أحَبِّ الأطعمة إليه فتركها لله ، وذلك قبل أن تُنَزَّلَ التوراة ، إذ التوراة نزلت على موسى بعد إبراهيم ويعقوب بعِدَّةِ قُرون فكيف تَدَّعُونَ أن إبراهيم كان لا يأكل لحوم الإبل ولا يشرب ألبانها، فَأْتُوا بالتوراة فاقرؤوها فسوف تجدون أن ما حرم اللهُ تعالى على اليهود إنما كان لظلمهم واعتدائهم ، فحرم عليهم أنواعا من الأطعمة وذلك بعد إبراهيم ويعقوب بقرون طويلة، قال تعالى فى سورة النساء (فَبِظُلْمٍ مِنَ الذِينَ هادُوا حَرَّمْنا عليهم طيباتٍ أُحِلَّتْ لهم ...) وقال فى سورة الأنعام (وَعَلَى الذِينَ هادُوا حَرَّمْنا كُلَّ ذِى ظُفُر ومِنَ البَقَرِ والغَنَم حَرَّمْنا عليهم شُحُومَهُمَا ..) الآية، ولمَّا طُولِبُوا بالإتيان بالتوراة وقراءتها بُهِتوا ولم يفعلوا فقامت الحُجَّة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (٢)

وكذلك رَدَّ اللهُ على اليهود الذين قالوا إن بيت المَقْدِس هو أول قِبلة شُرِعَتْ للناس لاستقبالها فلِمَ يعدل محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه عنها إلى استقبال الكعبة ، وهى مُتَأخِرة الوجود فأخبرهم الله أن أول بيت وُضِعَ للناس هو الكعبة لا بيت المقدس وأنه جعله مباركا يدوم بدوام الدنيا والبركة لا تفارقه، فكل من يلتمس بزيارته وحجه والطواف به يجدها ويحظى بها كما جعله هُدَى للعالمِين، فالمؤمنون يأتون حُجَّاجاً وعُمَّارا فتحصل لهم بذلك أنواع الهداية، وفى

---

(١) صفوة التفاسير – الصابونى **(٢) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ص١٩٠**



المسجد الحرام دلائل واضحات منها مَقام إبراهيم وهو الحَجَر الذى كان يقوم عليه أثناء بناء البيت حيث بقى أثرُ قدَمَيْه عليه مع أنه صَخْرَة مِنَ الصُّخُور، ومنها زَمْزَم والحِجْر والصَّفا والمَرْوَة وسائر المشاعِر كلها آيات. ومنها الأمن لِمَنْ دَخَلَه فلا يخاف (١)

وبعد أن دَحَضَ اللهُ شُبَهَ أهْلِ الكِتاب وأبْطَلَها أمَرَ رَسُولَه صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم مُوَبِّخاً مُسَجِّلا عليهم الكفر : يا أهل الكتاب لِمَ تَكْفُرُونَ بحُجَجِ الله تعالى وبراهينه المُثْبِتَة لِنُبُوَّةِ محمد ودِينِه الإسلام، تلك الحجة التى جاء بها القرآن والتوراة والإنجيل معاً ؟ ثم أمر تعالى رسولَه أن يقول لهم مُؤَنِّبَاً مُوَبِّخاً لهم على صَرْفِهِم المؤمنين عن الإسلام بأنواع الحِيَل والتَّضْلِيل : يا أهْلَ الِكتَاب (٢) أى يا أهل العِلْمِ الأوَّل لِمَ تَصْرِفُونَ المؤمنين عن الإسلام الذى هو سبيل الله بما تُثيرونه بينهم من الشكوك والأوهام تطلبون للإسلام العِوَج لينصرف المؤمنون عنه .

وبعد أن وَبَّخَ اللهُ تعالى اليهودَ على خِداعِهِم ومَكْرِهِم وتضليلهم للمؤمنين وتَوَعَّدَهم على ذلك ، نادى المؤمنين مُحَذِّراً إياهم من الوقوع فى شِبَاكِ المُضِلِّينَ مِن اليهود فقال (يا أيها الذين ءامنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين) وذلك أنَّ نَفَراً مِن الأوْس والخَزْرَج كانوا جالسين فى مَجْلِس يَسُودهم الوُد والتَّصَافِى ببركة الإسلام الذى هداهم الله إليه فمَرَّ بهم (شاس بن قَيْس) اليهودى فآلمه ذلك التَّصَافِى والتَّحابُب وأحْزَنَه بعد أن كان اليهود يعيشون فى مَنْجَاةٍ مِن الخوف من جيرانهم الأوس والخزرج لِمَا كان بينهم مِن الدمار والخراب فأمر شاس بن قيس شابَّاً أن يُذَكِّرَهم بيوم بُعَاث (أيام حروب كانت بين الأوس والخزرج) فذَكَروه وتناشدوا الشِّعْرَ فثارت الحَمِيَّة القَبَلِيَّة بينهم فتَسَابُّوا وتَشَاتَموا حتى هَمُّوا بالقتال فنَهاهُم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم (أبِدَعْوَى الجاهلية وأنا بين أظْهُرِكم) وذَكَّرَهُم بالله وبمقامه بينهم فهَدَأوا وذهب الشَّرُّ فنَزَلَتْ الآيةُ .

ثم حَذَّرَهُم اللهُ تعالى مِن مَكْر أهل الكتاب من اليهود والنصارى وأنْكَرَ عليهم ما حَدَثَ مِنهم حامِلاً لهم عن التعجب من حالهم لو كفروا بعد إيمانهم فقال (وكيف تَكْفُرونَ وأنْتُم تُتْلَى عَلَيْكُم آيَاتُ اللهِ وَفِيكُم رَسُولُهُ) صَبَاحَ مَسَاء فى الصلوات وغيرها هادياً ومُبَشِّراً وَنَذِيراً .

---

(١) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ص١٩١

(٢) عِصْمَة الأمَّة من الذنوب والسقوط فى فى هذين الأمرين : الكتاب والسنة، فمتى تَمَسَّكَتْ الأمَّةُ بهما فإنها لا تَضِلُّ ولا تسقط ولو كادَها أهلُ الأرض أجْمَعُونَ ومتى أعْرَضَتْ عنهما سَقَطتْ وهانت ولو دَعَمَها أهل الأرض أجمعون .



هداية الآيات الكريمات :

١ - طاعة كثير من علماء اليهود والنصارى بالأخذ بنصائحهم وتوجيهاتهم وما يشيرون به على المسلم تؤدى بالمسلم إلى الكفر شعر بذلك أم لم يشعر فلذا وجب الحذر كل الحذر منهم .

٢ - شدة قبح كفر وظلم مَن كان عالِما مِن أهل الكتاب بالحق ثم كفره وجحده بَغْيَاً وَحَسَدَاً .

٣ - حُرْمَة صَرْفِ الناس عن الحق والمعروف بأنواع الحِيَل وَضُرُوب الكَذِب والخِداع .

٤ - عِلْمُ اللهِ تعالى بكل أعمال عباده مِن خَير أو شَر وسيجزيهم بها فضلاً مِنه وعَدْلاً .

فاليهود هم اليهود والنصارى، هم النصارى فى كل زمان ومكان، هم أعداء الإسلام يشنون الحروب الشَّعْوَاءَ على الإسلام بكل ما توفر لديهم من طاقات ووسائل، لذلك أمعن النبي صلى الله عليه وسلم فى مخالفتهم والتحذير منهم فقال :

(خالِفُوا المُشْرِكِينَ احْفُوا الشَّوَارِبَ وأَوْفِرُوا اللِّحَى)(١) وقال :

(خالِفُوا اليَهُودَ فإنَّهُم لا يُصَلُّونَ فِى نِعَالِهِم ولا خِفافِهِم)(٢) وقال :

(لَعَنَ اللهُ اليَهودَ والنَّصارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أنْبِيائِهِم مَسَاجِدَ)(٣) وقال :

(لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ الذين مِن قبلكم شِبْرا بِشِبْرٍ وذِراعاً بِذِراع حتى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوه ، قالوا : اليهود والنَّصارى ؟ قال : فَمَنْ ؟)(٤)

---

(١) رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى عن ابن عمر رضى الله عنهما

(٢) رواه أبو داود والحاكم والبيهَقى رحمهم الله تعالى عن شَدَّادِ بنِ أوْس رضى الله عنه - ص.ج رقم ٣٢١٠

(٣) رواه أحمد والبخارى ومسلم والنَّسائى رحمهم الله تعالى عن عائشة وابن عباس رضى الله عنهم، ومسلم رحمه الله تعالى عن أبى هريرة رضى الله عنه

(٤) رواه أحمد والبخارى ومسلم والبيهقى رحمهم الله تعالى عن أبى سعيد رضى الله عنه

النداء الثالث عَشَر – قال تعالى :





﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا(١) اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ(٢) وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ (١٠٨) ﴾

سورة آل عمران : ١٠٢ - ١٠٨

كرر الله تبارك وتعالى نداءه بعنوان الإيمان تذكيراً لهم به ، وأمرهم أن يبذلوا وسعهم فى تقوى الله عز وجل وذلك بامتثال أمره واجتناب نهيه حاضًّا لهم على الثَّبَات على دين الله حتى يموتوا عليه فلا يُبَدِّلوا ولا يُغَيِّرُوا، وأمَرهُم بالتَّمَسُّك بالإسلام عَقِيدةً وَشَرائِعَ، وَنَهاهُم عَن التَّفَرُّق والاخْتِلاف وأرْشَدَهُم مختلفين فَألَّفَ بَيْنَ قُلُوبهم فأصبحوا إخْوَاناً مُتحابِّينَ مُتَعاوِنينَ، كما كانوا قَبْلَ نِعْمَة الهدايَة إلى الإيمان على شفا جَهَنَّم لو مات أحَدُهم يَوْمَئِذ لوَقع فيها خالِداً أبَداً، وكما أنْعَمَ عليهم وأنقذهم من النار مازال يُبَيِّن لَهُم الآيات الدَّالَّة على طَرِيقة الهداية الدَّاعِيَة إليه يُثَبِّتهُم على الهداية (٣)

فوائد من الآيات الكريمات :

١- العِصْمَة فى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فَمَن تمسك بهما لم يضل، قال صلى الله عليه وسلم (تَرَكْتُ فِيكُم شَيْئَيْن لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُما : كِتابَ اللهِ وَسُنَّتِى وَلَن يَتَفَرَّقا حَتَّى يَرِدا عَلَىَّ الحَوْض)(٤)

---

(١) من مظاهر إكرام الله للمؤمنين أن ناداهم مباشرة بـ (يا أيُّها الذِينَ ءَامَنُوا) بخِلاف أهل الكتاب فإنه أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يناديهم إشْعاراً لهم بعَدم الرِّضَا وغضَبه عليهم بـ (قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ ...)

(٢) حق التقوى لله أن يُطاع ولا يُعصَى ويُشكر ولا يُكْفَر ويُذْكَر ولا يُنسَى وخَصَّصَتْها آية التغابُن بقوله تعالى (فاتَّقُوا اللهَ ما استَطَعْتُم ..) إذ لا تكليف مع العجز عن القيام به (لا تَكْلِيفَ إلا بمَقْدُور)

(٣) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ص١٩٤ (٤) رواه الحاكم – ص.ج رقم ٢٩٣٧



وقال تعالى (فاسْتَمْسِكْ بالذِى أوحِىَ إليكَ إنَّكَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيم)(١)، وما أُوحِىَ للنبى صلى الله عليه وسلم هو القرآن والسُّنَّة.

٢ - الأخذ بالإسلام جُمْلَة واحِدَة والتَّمَسك به عَقيدة وشَرِيعَة أمان مِنَ الزَّيْغ والضَّلال فى الدنيا ومن الهلاك والخُسْران فى الآخِرة .

٣ - وجوب التمسك بشدة بالدين الإسلامى وحرمة التفرق والاختلاف فيه، فقد قال صلى الله عليه وسلم (إنَّ اللهَ تعالى يَرْضَى لكم ثلاثاً، ويَكْرَه لكم ثلاثا، فَيَرْضَى لكم أن تَعْبُدوه ولا تُشْرِكُوا به شيئاً، وأن تَعْتَصِموا بِحَبْلِ اللهِ جَميعاً ولا تَفَرَّقوا، وأن تُنَاصِحُوا مَن ولاه أمْرَكُم، ويَكْرَه لكم قِيلَ وقال، وكَثْرَة السُّؤال، و إضاعَة المَال)(٢) ، وقال تعالى (ولا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وتَذْهَبَ رِيحُكُم واصْبِرُوا إنَّ اللهَ مَعَ الصَّابرِينَ)(٣)

٤ – وُجُوبُ ذِكْرِ النِّعَم لأجْلِ شُكْر نِعْمَة اللهِ تعالى عليها بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فقال تعالى (وإنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوها)(٤) وقال (رَبِّ أوْزِعْنِى أنْ أشْكُرَ نِعْمَتَكَ التِى أنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىَ وَالِدَىَّ وأنْ أعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ ....)(٥)

٥ - القيام على الشرك والمعاصى وقوف على شفير جهنم ، فَمَن مات على ذلك وقع فى جهنم حَتْماً بِقضاء الله وحِكْمَتِه وَحُكْمِه . والمَوْت على دِين الإسلام هو دُعاء ورَجَاء الأنبياء فقد قال يوسفُ عليه السلام (تَوَفَّنِى مُسْلِماً وألْحِقْنِى بالصَّالِحِينَ ..)(٦) وقال تعالى (وَوَصَّى بها إبراهيمُ بَنِيهِ ويَعْقوبُ يا بَنِىَّ إنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فلا تَمُوتُنَّ إلا وأنتم مُسْلِمُونَ)(٧) وقال تعالى (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الآخِرةِ مِنَ الخاسِرِينَ)(٨)

وفى الآية الكريمة النَّهْى عن التفرق فى الدِّين فى الحُكْم ، فكلاهما مُحَرَّم لِمَا يُفْضِى بالمُتَفَرِّقِين إلى الهلاك والخُسْران، وعَرَفَ هذا أعداءُ الإسلام فعَمِلُوا على تَفْرِقَة أُمَّةِ الإسلام وفرَّقوها مَذاهِبَ وطوائِفَ ثم دُوَيْلات وحُكُومات ثُمَّ أذَلُّوها وأهانوها، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال (يُوشِك أن تَتَداعَى(٩) عليكم الأُمَمُ كَمَا تَتَدَاعَى الأكَلَةُ إلى قَصْعَتِها (١٠)، فقال

---

(١) سورة الزخرف : ٤٣ **(٢) رواه مسلم رحمه الله تعالى عن أبى هريرة رضى الله عنه**

(٣) سورة الأنفال : ٤٦

(٤) سورة إبراهيم : ٣٤ ، سورة والنحل : ١٨

(٥) سورة الأحقاف : ١٥

(٦) سورة يوسف : ١٠١

(٧) سورة البقرة : ١٣٢

(٨) سورة آل عمران : ٨٥ **(٩) أى تجتمع**

(١٠) القَصْعَة : وعاء يؤكل ويُثْرَد فيه وكان يُتَّخَذ مِن الخشب غالبا والجمع قِصاع (المعجم الوجيز)



قائلُ : أوَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ؟ قال : بَلْ أنتُم كَثِير، وَلَكِنَّكُم غُثَاءٌ(١) كَغُثَاء السَّيْل، ولَيَنْزِعَنَّ الله مِن صدور عدوكم المَهَابَة منكم، ولَيَقْذِفَنَّ فى قلوبكم الوَهَن . فقال قائل : وما الوهن ؟ قال : حُبُّ الدُّنيا وكَرَاهِيَة المَوْت)(٢)

وقد نهى اللهُ تعالى عن التفرق والاختلاف وقد وقع ما نهاهم عنه وثبت ما أخْبَر به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال (افْتَرَقَتْ اليَهُودُ عَلَى إحْدَى وَسَبْعِين فِرْقَة، فَوَاحِدَة فِى الجَنَّة وَسَبْعُونَ فِى النَّار، وافْتَرَقَتْ النَّصارَى عَلَى اثْنَتَيْن وَسَبْعِينَ فِرْقَة فَإحْدَى وَسَبْعونَ فِى النَّار وَوَاحِدَة فِى الجَنَّة، والذِى نَفسُ مُحَمَّدٍ بيَدِه لَتَفْتَرِقَنَّ أمَّتِى عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَة، فَوَاحِدَة فِى الجَنَّة واثنان وَسَبْعُونَ فِى النَّار)(٣)

وقد وُجِدَتْ فِعْلاً سِتُّ فِرَقٍ وهى : الحَرُورِيَّة والرَّافِضَة (الشِّيعَة) والجَهْمِيَّة والمُرْجِئَة والقَدَرِيَّة والجَبْرِيَّة . انقسمت كل فرقة من هذه الفرق إلى اثنتى عشرة فرقة فصارت اثنتين وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة وهى أهل السنة والجماعة .

وقال تعالى (وَأَنَّ هَذا صِراطِى مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُم وَصَّاكم به لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ)(٤)

قال ابنُ كثير رحمه اللهُ تعالى : { قال عَلِىُّ بن أبى طلحة عن ابن عباس قال فى تفسير هذه الآية : أمَرَ اللهُ المؤمنين بالجَماعة ونهاهم عن الاختلاف والتَّفْرِقة وأخبرهم أنه إنما أهلك مَن كان قبلهم بالمِراء والخصومات فى دين الله }

وفى تحديد دقيق لمصدر الفتن وَرَدَ سؤالُ حذيفة عندما سأل الرسولَ صلى الله عليه وسلم عن الخير والشر، وجواب رسول الله صلى الله عليه وسلم له، وقول حذيفة بعد ذلك : وما دَخَنَه ؟ قال : (نعم دُعاة على أبواب جهنم مَن أجابهم إليها قذفوه فيها) قال يا رسول الله : صِفْهُم لنا . قال (هُمْ مِن جِلْدَتنا ويتكلمون بألسِنَتِنا) قال : فما تأمرنى إن أدْرَكَنى ذلك ؟ قال : (فاعْتَزِل تِلْكَ الفِرَق كُلَّها ولو أنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَة حتى يُدْرِكَّ المَوْت وأنتَ عَلَى ذلك)(٥)

---

(١) غُثاء السَّيْل : ما يحمله السَّيْلُ مِن رَغْوَة وَمِن فُتات الأشياء التى على وجه الأرض، واحدته غُثاءَة (المعجم الوجيز)

(٢) رواه أبو داود رحمه الله تعالى – ص.ج رقم ٨١٨٣

(٣) رواه ابن ماجه رحمه الله تعالى عن عوف بن مالك رضى الله عنه – ص . ج رقم ١٠٨٢

(٤) سورة الأنعام : ١٥٣

(٥) رواه البخارى رحمه الله تعالى.



ومنه يتبين أن هؤلاء الذين يَهْدُونَ بغير الهَدْى النَّبَوى يُخْرِجون المُسْلِمَ مِن رِبْقة (١) الإسلام إذا تابعهم ونَهَجَ مَنْهَجَهُم، وهم دُعاة إلى نار جهنم مِن جِلْدَتنا ويتكلمون بألسنتنا أى : عَرَب . وهذه المُغَيَّبَات التى أخبر عنها النبىُّ صلى الله عليه وسلم قد وقعت بالفعل، ويؤخَذ منه وجوب اتباع الخير بعد معرفته وتجنب الشر بعد معرفته ومعرفة دعاته مِن أهل الأحزاب والمذاهب والضلالات، ولذا فإنه يجب على المؤمن الانضمام إلى الأمَّة التى تقيم شَرْع اللهِ حتى لا يقع فيما نهى الله عنه ، وأصل ذلك ما ورد عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (مَن خَرَجَ مِن الطاعة وفارَقَ الجماعة ، فمات مات مِيتَة جاهلية، ومَن قاتَلَ تحت رايةٍ عُمِّيَّةٍ (٢) يغضب لعصبية، أو يدعو إلى عصبية أو ينصر عصبية، فقُتِلَ فقِتْلته جاهلية، ومَن خَرَجَ على أمتى يضرب بَرَّها وفاجِرَها، ولا يتحاشا مِن مؤمنها، ولا يَفِى لِذِى عُهْدَةٍ عَهْدَه، فليس منى ، ولستُ مِنه)(٣)

أى مَن لم يَرْضَ بما عليه المسلمون فى وحدتهم المتماسكة حيث يحكمون الشريعة فهو متبع للعصبية والحَمِيَّة .وقال صلى الله عليه وسلم (ستكون بعدى هَنَات (٤) وهَنَات فمَن رأيْتُمُوه يُفَرِّق أمْرَ أمَّة محمد وهى جَمِيع فاقتلوه كائِناً مَن كان)(٥)(٦)

والعَالِم يكتشف الحقَّ إذا وقعت الفِتَن ويُبَين للناس دِينهم حينما يحتارون، والفتن مصدر الشر ومنها ما يبثه الحاقِدون ويذيعه المُفْسِدُون، ومنها التحلل الأخلاقى والفكر الإلحادى، ومنها تهتك النساء وتَبَرُّجْهُنَّ، ومنها عدم الحُكْم بما أنْزَلَ اللهُ وارتكاب الكبائر وتضييع الحدود والفرائض والواجبات، ومنها الانصراف للدنيا بما فيها مِن شَهَوات وَمَلَذَّات إلى غير ذلك مِمَّا يكون سَبَباً لدخول النار واستحقاق العذاب، قال تعالى (واتقوا فِتْنَة لا تُصِيبَنَّ الذين ظَلَموا منكم خاصَّة واعْلَموا أنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقابِ) سورة الأنفال : ٢٥

واتقاء الفتنة يكون بالإخلاص والعمل الصالح والأمر بالمعروف والنَّهْى عن المُنْكَر واتباع سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وعدم مخالفة أمره ، قال تعالى (فَلْيَحْذَرِ الذِينَ يُخالِفُونَ عَن أمْرِه أن تُصِيبَهُم فِتْنَة أو يُصِيبَهم عذابٌ أليمٌ) سورة النور : ٦١ ، وأمْرُه صلى الله عليه وسلم هو شَرْعه الذى بَيَّنَه للناس ودعا إليه ، قال تعالى (ولا تَكُونُوا مِنَ المُشْرِكِينَ مِن الذِينَ فَرَّقُوا دِينَهم وكانوا شِيَعاً كل حِزْبٍ بما لَدَيْهِم فَرِحُونَ) سورة الروم : ٣١ ، ٣٢

---

(١) الرِّبْقة بالكسر حَبْل فيه عِدَّة عُراً تُشَد به البُهْم، والجمع ربَق، وأرْباق، ورباق (المعجم الوجيز)

(٢)العُمِّيَّة : الجَهْل ، رَجُل عَمِى القلب أى جاهل وامرأة عَمِيَّة عن الصواب وعَمِية القلب، وقوم عَمُون (مختار الصِّحاح)

(٣) رواه أحمد ومسلم والنَّسائى رحمهم الله تعالى عن أبى هريرة رضى الله عنه – ص.ج رقم ٦٢٢٧

(٤) هَنَات وهَنَوات : جمع هَنَة والهَنَة الشئ الصغير والهَن كناية عن الشئ الصغير يُسْتَقبح ذكره .

(٥) رواه مسلم رحمه الله تعالى

(٦) أصول المنهج الإسلامى - العبيد ص ٩٦

قال ابن كثير رحمه الله تعالى :

أى لا تكونوا مِن المشركين الذين فَرَّقوا دينهم وكانوا شِيَعا أى بَدَّلوه وغَيَّروه، وءامَنوا ببعض وكفروا ببعض ، فكانوا فِرَقاً وأحزاباً ، وهذه الأمة اختلفوا فيما بينهم كما اختلف أهل الأديان قَبْلَهم ، فقد اختلفت هذه الأمة على نِحَل (١) كلها ضالَّة ، إلا واحدة وَهُم أهْل السُّنَّةِ والجَمَاعَة المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وبما كان عليه الصدر الأول مِن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين (٢)

الفِرْقَــة النَّاجِيَــة :

وأمام السَّيْل العارِم مِن فِرَق الضلال ومِن الفِتَن بَيَّنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم صِفَة الفِرْقَة النَّاجِيَة ، فعَن ثَوْبان رضى الله عنه عَن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (لا تَزالُ طائِفَة مِن أمَّتِى ظاهِرِين عَلَى الحَقِّ لا يَضُرُّهُم مَن خَذَلَهم حتى يأتِىَ أمْرُ الله)(٣) ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (بَدَأَ الإسلامُ غَرِيباً وَسَيَعُودُ غَرِيباً كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى للغُرَباءِ)(٤) وقال تعالى (واتَّبِع سَبِيلَ مَن أنابَ إلَىَّ ....) سورة لقمان : ١٥ . وظاهِر الآية وُجُوب الاقتداء بالسَّلَف الصَّالِح وهم المؤمنون، وتحريم الاتجاه فيما يُخالِفهم بصريح قوله تعالى (وَمَن يُشاقِق الرسولَ مِن بَعد ما تَبَيَّن لَهُ الهُدَى وَيَتَّبِع غَيْرَ سبيلِ المؤمنين نُوَلِّه ما تَوَلَّى وَنُصْلِه جَهنم وساءت مَصيراً) سورة النساء : ١١٥

ومِمَّا لا شَكَّ فيهِ أن الفِرْقَة النَّاجِيَة تظهر فى كل مكان وزمان ، وعلامتها أنها تلتزم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم امتثالا لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التى قال فيها (فعليكم بِسُنَّتِى وَسُنَّة الخلفاء الراشِدِين المَهْدِيين، عَضُّوا عليها بالنَّوَاجِذ وإيَّاكم ومُحْدَثاتِ الأمُور فإنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضلالة)(٥)، وبهذا يُعْلَم أن الفرقة النَّاجِيَة هم أهل السُّنَّة والجماعة (٦) والله أعلم .

وَمِن سُنَن اللهِ فى خَلْقِه أن يكيد للحق الأكْثَرون وأن يستمر الصراع بين الحق والباطل ولكن يخرج الحق منتصراً قوياً بفضل الله، وهو أمر واقع مُشاهَد، وأسْوَأ معاول الهَدْم ضد الإسلام هم اليهود، فقد قاوموه منذ تكوين الدولة الإسلامية واستمروا يكيدون له حتى الساعة (٧) ثم فئة مِن المشركين الذين عُرِفوا بِحِقْدِهم على اختلاف أجناسهم وهؤلاء هم أشد الناس عداوة للحق، كما قال تعالى (لَتَجِدَنَّ أشد الناس عداوة للذين ءامَنوا اليهود والذين أشركوا..) سورة المائدة : ٨٢

---

(١) نِحَل جمع نِحْلَة أى : الدِّين والعقيدة (المعجم الوجيز)

(٢) أصول المنهج الإسلامى – العبيد ص ٩٨

(٣) رواه مسلم رحمه الله تعالى وغيره عن ثوبان رضى الله عنه، وللحديث روايات أخرى تزيد عن تسع.

(٤) رواه مسلم والترمذى رحمهما الله تعالى

(٥) رواه أبو داود والترمذى رحمهما الله تعالى   (٦) أصول المنهج الإسلامى – العبيد ص ٩٩

(٧) انظر بروتوكولات صهيون وتصريحاتهم المُعْلَنَة للاستيلاء على فلسطين وإقامة إسرائيل الكبرى.



ولكن الله سبحانه وتعالى يرد كيدهم فى نحورهم إذا تَمَسَّكَ المسلمون بعقيدتهم وثابروا على جهادهم ، قال تعالــــى (وإنْ تصبروا وتتقوا لا يَضُرُّكم كَيْدُهُم شَيْئاً) سورة آل عمران : ١٢٠ ويدخل فى ذلك عداوة النصارى ومايُخَطِّطونَ له ضد الإسلام ، قال تعالى (وَلَن تَرْضَى عَنْكَ اليَهُودُ ولا النَّصارى حتى تتبع ملتهم ..) سورة البقرة : ١٢٠ ، ويظهر ذلك جَلِيًّا فى حركة التنصير والتبشير فى كثير مِن بلاد المسلمين التى أُصيبت بالضعف والوهن.

ومِن مَعاوِل الهَدْم تفرق الأمة واختلافها، وقد ظهر ذلك جَلِيًّا بعد استشهاد عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فبينما بايع الصحابةُ رضى الله عنهم عَلِيًّا رضى الله عنه رأى مُعاوِيَةُ رضى الله عنه وَالِى الشامِ أن يَقْتَصَّ مِن قَتَلَةِ عثمان رضى الله عنه فى حين كان اجتهاد عَلِيٍّ رضى الله عنه أن يُرْجِئَ ذلك حتى تَهْدَأَ الفِتْنَة، وكان ذلك الاختلاف فى الاجتهاد سَبَباً فيما حدث مِن فِتْنَة وحروب بين الفَرِيقَيْن وظهرت فرق التشيع المختلفة بعد ذلك . ومِنهم الغُلاة الذين ادَّعَوا أنَّ عَلِيًّا إلَهٌ وبعضهم ادَّعَى أن النبوة له، ولكن جبريل عليه السلام حولها إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وكل هذا مِن أشْنَع الباطِل، ومِن فِرَقِهم الزَّيْدِيَّة والقَرامِطَة والعُبَيْديون الذين سَمُّوا أنْفُسَهم بالفاطِمِيينَ، وما تَفَرَّعَ عنهم كالنُّصَيْرِيَّة (١) والدُّروز والشيخية والحشاشين . وضرر هذا كما قال شيخُ الإسْلام ابنُ تيمية رحمه الله تعالى (أعظم مِن ضرر اليهود ولا يُؤمنون على ثُغور المسلمين)(٢)، ومنهم الإسماعيلية وظاهرها التشيع وحقيقتها هدم الإسلام ومنهم البَهَرَة والأغاخانِيَّة (٣)

إن الخُصُومَة المزعومة التى تظهر على سطح السياسة الدولية بين الأمريكان وإيران أو حِزْب الله، هى خصومة خادِعَة ومكر خبيث الهدف منها القضاء على كِيان أهل السنة واستئصال تاريخهم الذى بدأ بناؤه فى العهد الرَّاشِدِى الذى يبغضه مَن يَدَّعُونَ الإسلام ومحبة أهل البيت، هذا العهد الذى قضَى على الدولة الفارسية وأقام الحضارة الإسلامية التى أوقدتْ نار الحِقْد فى قلوب المهزومين الذين كانوا يَتَرَبَّعون على عَرْش إمْبراطُورِيَّة مترامية الأطراف، وقد كَشَّرَ المُخطط الشِّيعى ضد أهل السنة فى العالم الإسلامى ومنه الدول العربية مِن عام ١٩٧٩ م الذى قامت فيه أول حكومة أعلنت تصدير سياستها للسيطرة على العالم الإسلامى وبدأ بأحداث الاضطرابات فى مواسم الحج واستضافة كثير مِن شباب أهل السنة للدراسة فى مدينة (قُم) ليعودوا إلى بلدانهم آياتٍ وحُجَجاً يُحْدِثون فيها فِتَناً واضطرابا بين أهل السنة، وقد حصل ذلك فعلا وانخدع بهم فى حِينه كثير مِن أهل السنة فى الدول العربية وغيرها ومنهم بعض العلماء والدعاة ، وأيدتهم الصحف الإسلامية ظَنًّا منهم أن الخِلافة الإسلامية التى ستجمع المسلمين فى كل الأقطار الإسلامية فى ظل رايتها قد آذَنَت بالرجوع إلى هذه الأمة ، ثم اكتشف المتفائلون أن ما كانوا يظنونه ماءً ليس سَراباً بقيعة فقط، بل هو مشروع لتصدير مذاهب بالقوة إلى المسلمين الذين استمروا فى السير على مذهب أهل السنة والجماعة المُسْتَنِد إلى كتاب الله وسنة رسول الله

---

(١) النُّصَيْرِيَّة : مِن غُلاة الشِّيعَة أطلق الاستعمارُ الفِرَنْسِيّ عليهم اسم (العَلَويين)

(٢) منهاج أهل السنة النبوية – ابن تيمية رحمه الله تعالى

(٣) أصول المنهج الإسلامى – العبيد ص١٠١

صلى الله عليه وسلم الذى طبقة الجيل المباشر لتلقى الهَدْى الرَّبَّانِى مِن القدوة الحسنة للأمة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم (١)

متى تنتهى العداوة بين الشِّيعَة والسنة ؟؟

يقول الشيعة : لن تنتهى إلا بِمَحْو دينكم مِن الوُجُود وقتلكم، كما قال الخُمِينى لأحد الأئمة حين دخل طهران قادماً مِن المَنْفَى، قال : آن الأوان لتنفيذ وصايا الأئمة صلوات الله عليهم، سنسفك دماء النَّوَاصِب أهل السنة نقتل أبناءهم ونَسْتَحى نساءهم ولا نترك أحدا مِنهم يفلت مِن العِقاب ، وستكون أموالهم خالصة للشيعة أهل البيت وسنمحو مكة والمدينة مِن وجه الأرض ، لأن هاتين المدينتين صارتا مَعْقِل الوَهابيين ولا بد أن تكون كَرْبلاء أرض الله المباركة المقدسة قبلة للناس فى الصلاة وسنحقق بذلك حُلم الأئمة عليهم السلام . وكما روى المَجْلِسِى عن المُنْتَظر أنه قال : (ما بقى بيننا وبين العرب إلا الذبح وأومأ بيده إلى حَلْقِه) (بحار الأنوار جزء ٥٢ ص ٣٤٩) ، وهذا الذى جعل الخمينى يَتَرَحَّم على نصير الدين الطُّوسى وابن العَلْقَمِى حين تحالفا مع هولاكو وذبحوا المسلمين بعد إسقاطهم بغداد .

ويروى الكلّينى صفحة ٢٣٩ عن محمد بن على الباقر (أن الناس كلهم أولاد بَغايا ما خلا شِيعتنا)، ويروى عن جعفر بن محمد الصادق أنه قال (إن الشيطان لَيَجيئ حين يقعد مِن المرأة كما يقعد الرجل منها ويحدث كما يحدث وينكح كما ينكح . قال السائل : بأى شئ يعرف ذلك ؟ أى بأى شئ نعرف هل الذى نكح هذه المرأة هو الشيطان أم الإنسان (أى زوجها) ؟ قال : بِحُبِّنا وَبُغْضِنا . فَمَن أحبنا كان نطفة العبد ومِن أبغَضَنا كان نطفة الشيطان (الكافى الجزء الخامس صفحة ٥٠٢)(٢)

إن الرافضة (الشيعة) يضطهدون السُّنَّة فى بلادهم ويستبيحون دماءهم مِن أيام القَرامِطة إلى أيامنا الحالية فى إيران ويسبونهم، ولو أن شتائمهم كانت موجهة إلينا فَحَسْب لكان هَيِّناً، ولكن لَعَناتهم موجهة إلى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه أمهات المؤمنين وإلى أصْهاره وأصحابه ومَن تبع سنته .

هل مِن فُرْصَة للتقريب ؟؟

كيف يمكن التقريب مع مَن يؤمِن بتحريف كتاب الله ، ويزعم بتنزيل كتب إلهية على أئمته بعد القرآن الكريم ويرى الإمامة أعلى مِن النبوة والأئمة عندهم كالأنبياء أو أفضل ، ويفسد عبادة الله وحده التى هى رسالة الرسل كلهم بغير معناها الحقيقى ويزعم أنها طاعة الأئمة وأن الشرك بالله طاعة غيرهم معهم ، وَيُكَفِّر خيار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويَلْعَن زوجاته أمهات المؤمنين ويحكم بِردَّة جميع الصحابة إلا ثلاثة أو أربعة أو سبعة على اختلاف رواياتهم ويشذ عن جماعة المسلمين بعقائد فى الإمامة والعِصْمَة والتَّقِيَّة ويقول بالرجعة والغيبة والبَداء؟؟

---

(١) الشيعة الخَطر القادِم – الشيخ د / طلعت زهران حفظه الله تعالى

(٢) نفس المصدر السابق





كيف نتقارب وهم يشككون فى هذا المصحف الذى بين أيدينا (١) وذلك ثابت فى كُتُبهم وسورة الولاية التى زعموا أنها مِن القرآن تفضحهم وتُبَيِّن كذب ادعائهم، أنُصَدِّقُ العظيمَ الذى تَكَفَّلَ بِحِفْظ كِتابه فقال (إنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا الذِّكْرَ وإنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)(٢) أم نصدقهم ونرمى كتاب الله وراء ظهورنا؟

جَعَلُوا الصحابة كلهم مرتدين كفارا، ولَم يستثنوا منهم إلا قِلَّة كأبى ذر وبلال والمقداد وسلمان الفارسى رضى الله عنهم، فإذا سَبُّوا هؤلاء وكَفَّروهم فَمَن الذى نَقَل إلينا الشرع والقرآن والسنة إلا أولئك ؟ وكما قال بعض السَّلَف : هم يريدون أن يجرحوا شهودنا ، فإذا اعتقدنا ذلك فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - والعياذ بالله فكيف نَثِق بما نقلوه إلينا ؟ وكيف نصدقهم فيما قالوه؟

كيف نتقارب مع الذين يتهمون أُمَّنَا عائشة رضى الله عنها وعن أبيها بالزِّنَى وحاشاها أن تفعل ذلك، والله بَرَّأها مِن فوق سبع سموات وأنزل فيها آياتٍ تُتْلى إلى يوم القيامة، وهم أبَوا إلا تكذيب القرآن، والمكذب بالقرآن كافر.

ونحن التابعون بإحسان مِمَّن قال الله عنهم (والذين جاءوا مِن بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غِلًا للذين ءَامَنوا ....)(٣)

ونحن الذين ينتهجون المنهج الوسط فلا نُبْغِض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يفعل الشيعة، ولا نعبد قبورهم مِن دون الله، وإنما نحن على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهج السلف الصالح (٤)

ومِن معاول الهَدْم أهل البدع (كالخوارج) ، ومِن ضلالاتهم الخروج على الإمام الحق، والحُكْم على مَن خَالَفهم بالكُفْر، ورَدُّ السُّنَّةِ إذا لم يَرد ما يؤيدها صراحة من القرآن، ومِن فِرَقِهم (الإباضِيَّة) وهى معروفة حتى عصرنا هذا ، ومنهم (المُعْتَزِلة) القائلون ببدعة القول بِخَلْق القرآن و (القَدَرِيَّة) وهى نُفاة القَدَر، و(الجَهْمِيَّة) وهم المُعَطِّلة الذين يعطلون النصوص الواردة فى صفات الله تعالى ، و (الجَبْرِيَّة) وهم الذين ينفون الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى.

---

(١) دار بينى وبين أحد زملاء العمل بدولة الكويت مناقشة، وكان هذا الزميل شيعياً مِن دولة الباكستان، وتحدثت معه عن فضل أبى بكر رضى الله عنه، وأنه مذكور فى القرآن فى قوله تعالى (إذْ هُمَا فى الغار إذْ يَقُولُ لِصاحِبِهِ لا تَحْزَن إن الله معنا ....) الآية فى سورة التوبة ، فقال لى : لا ليست كلمة الغار ولا كلمة صاحبه موجودة فى القرآن، وأنكر وجود أبى بكر مع النبى صلى الله عليه وسلم فى رحلة الهِجْرَة، وكان يستدل بضعاف الأحاديث كحديث (أنا مدينة العِلْم وعَلِىٌّ بابها) . ومما ذكره أيضا أنه لم يكن للنبى صلى الله عليه وسلم مِن البنات إلا فاطمة رضى الله عنها حيث قال لى : إن رقية وزينب وأم كلثوم لم يَكُنَّ بنات النبى وإنما كُنَّ خادِمات عند خديجة فقط . فالله المستعان على ما يقول هذا الرجل ويعتقده ومن قال بقوله من تكذيب وإنكار لما فى القرآن الكريم.

(٢) سورة الحِجْر (٣) سورة الحَشْر : ١٠ (٤) الشيعة الخطر القادم – الشيخ د / طلعت زهران حفظه الله تعالى



ومن هذه الفِرَق (المُرْجِئَة) وهم الذين يُؤَخِّرون الأعمال عن مُسَمَّى الإيمان، وقد تعرض شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى إلى مذاهبهم وأرْجَعَ أصول الخطأ عنهم إلى ظنهم أن الإيمان فى مرتبة واحدة ، وعدم فطنتهم إلى تفاضل الناس فى الإتيان بالأعمال ، ويقولون : لا تضر الكبائر إذا وُجِدَ الإيمان فى القلب ، ومنهم (الأشاعِرَة) وهم الذين عُرِفُوا بتأويل الصفات ، وهو خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة (١)

وَمِن الفرق والمذاهب المعاصِرَة :

(البابِيَّة) و(البَهَائِيَّة) و (القادْيَانِيَّة)(٢)، وكلها معاول هدم مدبر للإسلام وأهله ولذلك يجب على المسلمأن يفشى أخبارها ويحذر مِن ضلالها، فإن هذا مِن أعظم الجهاد فى هذا العصر ، وقد بلغ الضلال بأحدهم إلى ادِّعاء النُّبُوَّة كما فعل الدَّجَّال (على محمد الشيرازى) وغيره مِمَّن تعظمهم (البابية) و(البهائية) و (القاديانية) ، وينتشر بعضهم فى أمريكا وإفريقيا وجنوب شرق آسيا، وتعتبر فارس والهند أعظم مَهْد لفئات الضلال، ففيهما الجمعيات السرية والفرق الباطنية التى تبث سمومها وتكيد للإسلام، وفيهما تنتشر هذه الفرق التى بَشَّرَتْ بأن بيت المقدس سيكون لهم (٣)

والبَهَائِيَّة : دِيانَة مُنْحَرِفَة أسستها طائفة خَرَجَتْ مِن إيران جعلت لها كِتاباً سَمُّوه (البَيَان) وكتاباً آخَر سَمّوه (الأقْدَس) ، وهم يعتقدون أن البيان والأقدس أفضل مِن القرآن، وأنهما ناسِخان له ، وأن قول الله تعالى (خَلَقَ الإنسان * عَلَّمَه البَيَان) سورة الرحمن : ٣ ، ٤ أى عَلَّمَه كِتاب الميرْزَا الذى ألَّفَه ، ومقرهم فى (عَكَّا)، ولهم انتشار فى الولايات المتحدة وغرب أوروبا، وقد اتَّفَقَ علماء المسلمين على تكفيرهم ، وكذلك كَفَّرَهم علماء الرَّوافِض فى عصرهم ، وقد انْشَقَّتْ البهائية عن البابية الضَّالَّة المنحرفة لتصبح دِيناً مُسْتَقِلا .

تأسست البابية فى إيران على يد الميرزا (على بن محمد رضا الشيرازى) الذى ظهر حوالى سنة ١٨١٧ م بكَرْبلاء فى العراق، وهو رجل مجهول الأصل والمولد والنَّسَب، ويَذْكُر بعض الباحِثين أن الذى أظهر البابية هو قِسيس نصرانى ادَّعَى أن إسمه (كاظِم الرشْتى)، ورَشْت قرية مِن قُرَى إيران بالرغم مِن أن أهل رشت لا يعرفون عنه شيئاً، وقد استغلَّ مِن مبادِئ الشيعة الاثنَى عَشَرِيَّة فِكْرة الغائب بالسرداب المنتظر، فعمل على إيجاد شخص يضفى عليه هذا اللقب ليصل بواسطة هذا الباب إلى كل ما يريد وقد ادَّعَى أن الشَّخْص الجديد هو (باب الله) وروَّجَ له الرُّوسُ وجَهَلَة الناس بأحكام الإسلام ، واتَّخَذَ الرشتى لنفسه مَجْلِساً ، واستطاع أن يستميل إليه بعض ذوى النفوس المنحرفة والقلوب المريضة وجعلهم تلاميذ له ، وكان مِن أخْبَث هؤلاء رَجُل يقال له (حسين البشروئى) نسبة إلى (بوشير أو بوشهر) إحدى قُرى خُراسان أضفَى عليه المَدْعُو (كاظم الرشتى) لقب كبير التلاميذ واختاره ليكون المُنَفِّذ الحقيقى لهذه

---

(١) أصول المنهج الإسلامى - العبيد ص ١٠٢ ، ١٠٣

(٢) القاديانية : حركة نشأت سنة ١٩٠٠م بقيادة مِيرزا غُلام أحمد القاديانى بتخطيط مِن الاستعمار.

(٣) أصول المنهج الإسلامى – العبيد ص١٠٤

المؤامَرَة البَشِعَة ولَقَّبه باب الباب (١)

وأعلن على محمد الشيرازى تشجيع من حسين البشروئى الجاسوس الروسى (كنياز دالكوركى) الذى كانت وظيفته الظاهرة مُتَرْجِماً بالسِّفارة الروسية فى طهران ، الذى اعتنقَ الإسلام وأخذَ يلازِم مجلس كاظِم الرشتِي وأنه الباب إلى الغائب الذى بالسرداب ، ثم تَوَجَّه إلى شِيراز ثم إلى بوشَهر مُخْتَفياً ، وأخذ البشروئى يذيع أنه الباب بعينه وأخذ يدعو الناس إلى متابعته وأطلق على مَن تبعه اسم (البابية) ، ثم لم يلبث البشروئى أن حَوَّله مِن باب المهدى إلى المهدى نفسه وأطلق عليه (قائم الزمان) ، وانضم إليه فى ذلك رَجُل يقال له : (محمد البارفروشى) وآخَرون بلغ عددهم سبعة عشر رَجُلاً وامْرَأة وهى المُلَقَّبَة لديهم بـ (قُرَّة العين) وتوجَّهوا إلى بوشهر واجتمعوا بزعيمهم الجديد (الباب) وصاروا معه تسعة عشر شخصاً .

فلذلك قرر أن يجعل عِدَّة الشُّهور تسعة عشر شهراً، والشهر تسعة عشر يوماً، واعتبر اليوم الذى أعلن فيه دعوته يوم ٥ جُمادَى الأولى سنة ١٢٦٠ هـ هو بدء التاريخ، ثم جمع جُمَلاً مُتناقِضَة مملوءة بالسُّفْسَطات (٢) والأكاذيب وجعلها أساس دِينه الجديد وسمَّاها البيان .

ثم ادَّعَى أنه المُمَثِّل الحقيقى لجميع الأنبياء ، وزعم أنه يجمع بين اليهودية والنصرانية والإسلام وأنه لا فَرْق بينهم ، ثم أنكر أن يكون محمد – صلى الله عليه وسلم - خاتم النبيين ، وحَرَّمَ قراءة القرآن، ثم زعم أن الله حَلَّ فيه وادَّعَى أنه أكمل هيكل بشرى ظهرت فيه الحقيقة الإلهيَّة، وأنه هو الذى خلق كل شئ بكلمته، وألْغَى الصلوات الخمس، وصلاة الجمعة، وصلاة الجماعة، إلا فى الجنازة، وقرر أن الطُّهْر مِن الجَنَابة غير واجب وأن القِبْلة هى البيت الذى وُلِدَ به (شيراز) أو البيوت التى يعيش فيها هو وأتباعه، وجعل الحَجَّ هو زيارة هذه البيوت (٣)

أما الصوم فيكون مِن شروق الشمس إلى غروبها لمدة شهر بابىّ أى تسعة عشر يوما، وتنتهى بعيد (النَّيْرُوز) المَجُوسِى ، وأباح لأتباعه خمسة أيام قبل الصوم يرتكبون فيها ما شاءوا مِن الشهوات، وأوْجَبَ أن يُؤخَذ فى الزكاة خُمْس المال . وأوجب الزواج على مَن بلغ الحادية عشر مِن الذُّكور والإناث، ولا يحتاج لأكثر مِن رضا الذَّكَر والأنثى ، ويُجَوِّز إيقاع الطلاق تسع عشرة مَرَّة، وعِدَّة المُطَلَّقَة تسعة عشر يوما، ولا يجوز الزواج بأرمَلة إلا بعد دفع دِيَة وبعد انقضاء عدتها ومقدارها خمسة وتسعون يوماً، وحَرَّمَ على المرأة الحِجاب، وقرر أنه لا وجود للنَّجَاسَة وأوجب دفن المَيت فى قبر مِن البِلَّوْر أو المَرمَر المصقول مع وضع خاتم فى يمناه منقوش عليه فقرة مِن كتاب البيان، وأوجب استقبال قرص الشمس ساعة عند شروقها (٤)

---

(١) البهائية – الشيخ د / طلعت زهران حفظه الله تعالى

(٢) سَفْسَط : غالط وأتى بحُجَّةٍ مُضَلِّلَة. والسُّفْسَطات : جمع السُّفْسَطة وهى نوع من الاستدلال يقوم على الخِداع والمُغالطة. والسُّوفِسْطائِيَّة : فِرْقة يونانية قديمة، عارَضَها سُقراط وكَشَف عن مغالطتها، واحدها سُوفِسْطائِى.

(٣) ، (٤) البهائية – الشيخ د / طلعت زهران حفظه الله تعالى



عقيدة البَهَائِيَّة وعبادتهم :

١ - الإيمان بحلول الله فى بعض خَلقه وأن الله قد حَلَّ فى (الباب) و (البَهاء).

٢ - جَحَدوا كُلَّ أسماء الله الحُسْنَى وصفاته العُلا .

٣ - الإيمان بتناسخ الكائنات وأن الثواب والعِقاب يقع على الأرواح فقط .

٤ - الاعتقاد بأن جميع الأديان صحيحة وأن التوراة والإنجيل غير مُحَرَّفَيْن ويريدون ضرورة توحيد الأديان فى دين واحد هو البهائية .

٥ - يقولون بنبوة (بُوذا، وكنفوشيوس، وبراهما، وزرادشت) وأمثالهم مِن حُكَماء الهند والصين والفرس .

٦ - يُنْكِرُون مُعْجِزات الأنبياء .

٧ - يحرمون الحِجاب على المرأة ويُحَلِلون المُتْعَة وَيَدْعُونَ إلى شيوعية النساء والأموال .

٨ - يقولون إن دِين الباب ناسِخ لِشَرِيعَة محمد صلى الله عليه وسلم .

٩ - كِتاب (الأقْدَس) الذى وَضَعه (البهاء حسين) والكتب المقدسة لدى البهائية فإنها تربو على مائة كِتاب أبرزها (الكتاب الأقدس) الذى يتضمن كل أفكار (بهاء الله) ويعتقدون أنه ناسخ لجميع الكتب السماوية بما فيها القرآن الكريم بالإضافة إلى كتاب الإشراقات، والبشارات، والإيقان.

١٠ - يعتقدون بألوهية الفرد وبوحدة الوجود والحلول .

١١ - يقولون : إن الوَحْى لا يزال مستمرا وأن المقصود بكون محمد خاتم النبيين هو أنه زينة .

١٢ - يَصِفُونَ المسلمين بأوصاف قبيحة ، جاء فى كتاب (الإيقان) : (وجميع هؤلاء الهَمَج والرِّعاع يَتْلُون الفرقان (القرآن الكريم) فى كل صباح وما فازوا للآن بحرف من المقصود .

١٣ - يُحَرِّمون ذِكْر الله فى الأماكن العامة ولو بصوت خافت ، جاء فى كتاب الأقدس : ليس لأحد أن يحرك لسانه ويلهج بذكر الله أمام الناس، حين يمشى فى الطرقات والشوارع .

١٤ - يعتقدون بِقُدْسِيَّة العدد ١٩ فالسَّنَة ١٩ شهران والشهر ١٩ يوما، والتركيز على رقم ١٩ يعود إلى أن البهائية يؤمِنون - فيما يؤمِنون به مِن خُرافات - بالقيمة العددية للحروف التى تفتح الباب على مِصْراعَيْه للتأمُلات والتفسيرات الأهوائية، والقاعدة فى هذا المجال تقوم على أن عدد حروف البسملة هو ١٩، وكلمة (واحِد) تسوى وفق القيمة العددية للحروف ١٩، حيث الواو = ٦، والألِف = ١، والحاء = ٨، والدال = ٤

١٥ - يعتقدون أن القيامة مَجِيئ البَهاء فى مَظْهَر الله تعالى .

١٦ - لا يُؤْمِنون بالجَنَّة أو النَّار.





١٧ - جَرَأت البهائية على التلاعب بالنصوص وأوَّلتها على طريقتها الباطنية المُلْحِدَة ، ومِن ذلك :

- القيامة فى القرآن بها قيامة البهاء بدعوته وانتهاء الرسالة المُحَمَّدِيَّة .

- النفخ فى الصُّور دعوة الناس إتِّباع البهاء .

- البَرْزَخ هى المُدَّة بين الرَسُولَيْن محمد صلى الله عليه وسلم والباب الشيرازى .

- (إذا الشمس كُوِّرَتْ) أى انتهت الشريعة المحمدية وجاءت الشريعة البهائية .

- (وإذا النُّفُوس زُوِّجَتْ) أى اجتمعت اليهود والنصارى والمَجُوس على دِين البهاء .

- (وإذا البِحار سُجِّرَتْ) لِمَن عارَضَ البهاء .

- (وإذا الجنَّة أُزْلِفَتْ) لاتّباع البهاءَ المؤمنين به .

- (فَريقا هَدَى) أى الذين ءَامَنوا بالبهاء و (فريقا حق عليهم الضلالة) الذين أَبَوْا الإيمان به .

١٨ - لا يؤمِنون بالملائِكَة والجنِّ .

١٩ - لا يؤمِنون بالحياة البرزخية بعد الموت، بل يقولون إنها المُدَّة بين محمد والباب والشيرازى .

٢٠ - يُحَرِّمُون الجهاد والحرب تحريما قطعيا ومطلقا، وهذا أحد أسرار علاقتهم بالقُوَى الاستعمارية

٢١- يُبيحون المُتْعَة الحرام بالنساء والزِّنى بالإكْراه له عُقوبَة ماليَّة فقط .

٢٢ -لا يعتقدون بالانْتِماء للوَطَن تحت دَعْوَى وحدة الأوطان .

٢٣ - يَتَّبِعون التَّقِيَّة فى عقيدتهم فَيُظْهِرُون خِلافَ ما يُبْطِنُونَ، ولقد بَيَّنَ الشيخ محمد متولى الشعراوى - رحمه الله تعالى - ذلك وقال : إن شِعارهم (احْفَظ مَذْهَبَكَ وَذَهَبَك وذِهابك) .

٢٤ - أَلْغَوا العُقُوبات جميعاً ما عدا الدِّيَة .

٢٥ - الزكاة ١٩% مِن رأس المال تُدْفَع مَرَّة واحِدَة .

٢٦ - لا يعتقدون بالنجاسة لأن مَن اعتَقَدَ بالبهائية فقد طهر .

٢٧ - الوُضُوء فقط للوجه واليدين بماء الوَرْد وإن لَم يُوجَد فيقولون : باسم الله الأطْهَر خمس مرات





٢٨ - الزواج لواحدة أو اثنتَيْن على الأكثر مع إباحة زواج الشَّاذِّين ، كما يحرم زواج الأرامِل إلا بعد دفع دِيَة مُعَيَّنَة ، والأرمَل يتزوج بعد ٩٠ يوما والأرملة بعد ٩٥ يوما ، وجعلوا المَهْر تسعة عشر مِثْقالا (١)

نماذج مِن كلام البهائية :

- كان المشركون أنفسهم يَرَوْنَ أن يوم القيامة خمسون ألف سنة فانقَضَت فى ساعة واحدة (كتاب البديع ص ١١٣)

- كُتِبَ عليكم تجديد الأثاث فى كل تسعة عشر عاماً (كتاب الأقدَس ص ٤١)

- أحِلَّ للرَّجُل لبس الحرير، لقد رفع اللهُ حُكْم التحديد فى اللباس واللِّحَى (كتاب الأقدس ص ٤١)

رأى علماء المسلمين فى البهائية :

البهائية دين مستقل وليست فرقة كما يُرَوِّج البعض، وقد حكمت المحكمة الشرعية العُلْيا فى مِصْر سنة ١٩٢٥ م أن الدِّين البهائى دين مستقل عن الدين الإسلامى، وأفتى علماء السُّنَّة والشِّيعَة بكفرهم وبُطْلان عقائدهم، فعُلماء السنة أمثال د / محمد سعيد البوطِى، و د / يوسف القرضاوى، والشيخ محمد متولى الشعراوى، ومَشْيَخَة الأزهر الشريف وعلماء السعودية والعراق واليمن وفلسطين، وقرروا أن البهائيين كَفَرَة، لا يُزَوَّجون ولا يُتَزَوَّج منهم ولا يحل أكل ذَبيحتهم ولا تُدْفَن موتاهم فى مقابر المسلمين.

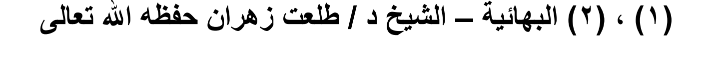
نص فتوى دار الإفتاء بالأزهر الشريف :

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد ،

فالبهائية فرقة مرتدة عن الإسلام لا يجوز الإيمان بها، ولا الاشتراك فيها ولا السماح لها بإنشاء جمعيات أو مؤسسات، لأنها تقوم على عقيدة الحُلُول وتشريع غير ما أنزل الله، وادِّعاء النُّبُوَّة بل الألوهية، وهذا ما أفْتَى به مَجْمَع البحوث الإسلامية فى عهد الشيخ جاد الحق على جاد الحق - رحمه الله تعالى - وأقَرَّه المَجْمَع الحالي.

يقول الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر السابق - رحمه الله تعالى :

و(البابية) و(البهائية) فِكْر خليط مِن فلسفات وأديان متعددة، ليس فيها جديد تحتاجه الأمة الإسلامية لإصلاح شأنها وجمع شَمْلها بل واضح أنها تعمل لخدمة الصهيونية والاستعمار فهى سَلِيلَة أفكار وَنِحَل ابْتُلِيَتْ بها الأمَّةُ الإسلامية حرباً على الإسلام وباسم الدِّين (٢)



---

(١) ، (٢) البهائية – الشيخ د / طلعت زهران حفظه الله تعالى



ومِن مَعاوِل الهَدْم والدَّس المتعمد على الإسلام : الغَزْو الفِكْرى بِشَتَّى وَسَائِلِه وأسالِيبه وَشُبَهِهِ الذى يغذيه (الاستعمارُ)، و (الصهيونية)، و (الصليبية)، وَمِن مُخَطَطاتهم : إبعاد الشريعة الإسلامية عن الحكم وإخراج المرأة مِن بيتها بدعوى المُعاصَرَة وتنمية الفكر المتمرد على القِيَم والدِّين واللُّغَة بَدَعْوَى (الحَدَاثَة) بينما هو فِكْر عَلْمانىّ ماسُونِىّ فى معظم ملامِحه وتوجيهاته وخصائصه .

وَمِن معاوِل الهَدْم التى فرقت الأمة المسلمة : (الماسُونِيَّة) وهى مِعْوَل هَدم للأديان، كما جاء فى مؤتَمَر بِلْغِراد الماسونى سنة ١٩١١ م حينما قالوا : (يجب أن لا نَنْسَى بأننا نحن الماسونيين أعداءُ الأديان ، وعلينا أن لا نَأْلُوا جهدنا فى القضاء على مظاهرها)، وقد أصدر المَجْمَع الفِقْهِى لرابطة العالم الإسلامى بمكة بياناً بحكم الماسونية والانتماء إليها حيث حَذَّرَ مِن مخططاتها وأهدافها الماكرة، باعتبارها مِن المُنَظَّمات التى تُخطط لهدم الإسلام والمسلمين، وقال : إن الانتماء إلى مذهبها كُفْرٌ بالله عز وجل ، والواقع أنها منظمة يهودية سِرِّيَّة إرْهابية غامِضة مُحْكَمَة التنظيم كما تقول الموسوعة المُيَسَّرَة فى الأديان والمذاهب المُعاصِرَة .

ومِن أخْطر الدَّعَوات الهدامة فى هذا العصر : (الشُّيُوعِية) بما تشتمل عليه مِن فكر إشتراكى يقوم على مَبدأ (أنْ لا إله والحياة مادَّة) وهذا هو شِعارها منذ البداية، وهى نِتاج فكر صهيونى مُلْحِد جاء به (مارِكِس) اليهودى، وقد عُرِفَ الشيوعيون بجرائمهم فى آسيا الصغرى، وضمهم الكثير مِن الجمهوريات الإسلامية وإرْغامها على نَبْذ العقيدة الإسلامية.

وَمِن مَعاوِل الهَدْم الداخِلِى :

الأشخاص الذين يتظاهرون بالإسلام وَيُخْفُونَ فى عقولهم وأفكارهم مبادِئ العَلْمانِيَّة (١) والوُجُودِّية (٢)، أو (القَوْمِيَّة) وهى التى حمل لها لواء الدَّعْوَة النصارى بهدف إحلال القَوْمِيَّة العربية محل الرابطة الإسلامية ، ويظهر ذلك جَلِيًّا فى الأحزاب القومية والعلمانية مما دَعَى إليه نصارى العَرَب فى وقت مبكر ، ومن ذلك (الإباحية) حيث تتلمذ بعض الشباب على مدارسها وتأثروا بها متشبعين بأفكار (سارتَر) و (فرُويد) و (دارْوِين) وغيرهم مِن طواغيت هذا العصر الذين يعارضون نظرة الإسلام للكون والإنسان والحياة ، وقد ضل بسببهم الشباب وخُدِعَ بمناهجهم التربَوِيَّة والنقلية حيث تنكر لدينه ولُغَته وقِيَمِه المَوْروثَة.

وَمِن مَعاوِل الهَدْم (التنصير) و (التكفير) الذى تتبناه (الصليبية) وما يكتبه (المُسْتَشْرِقون) ويبثونه لِزَعْزَعة ثقة المسلمين فى عقيدتهم وحضارتهم ، ولِيشككوهم فى إنسانية الإسلام وسماحة مبادِئه ، وليستميلوا المسلمين الضعفاء إلى النصرانية بشتى الوسائل والأساليب

---

(١) العَلْمانية ترجمتها : اللادينية أو الدُّنْيَوِيَّة ، وهى دعوة إلى إقامة الحياة على غير الدِّين ، وتعنى فى جانبها السياسى بالذات اللادينية فى الحُكْم ، وهى اصْطِلاح لا صِلة له بكلمة العِلْم أو المَذْهَب العِلْمِى (انظر الموسوعة المُيَسَّرَة فى الأديان والمَذاهِب المُعاصِرَة)

(٢) الوُجوديَّة : تيار فلسفى يُعْلِى مِن قِيمَة الإنسان ويؤكد على تفرده وأنه صاحب فِكْر مُسْتَقِل.



والإغراءات (١)

فِرَق الضلال والشِّرْك :

ويدخل فى معاول الهدم (غُلاة الصُّوفية) وأصحاب الطُّرُق الذين خرجوا عن نطاق العبادة التى خُلِقوا مِن أجلها إلى مبادئ اعتقادية وسلوكيات ليس لها فى حقيقة الإسلام رصيد ، ومِن هؤلاء مَن ينتسِب إلى الصلاح وهو مِن أهل الفساد فى الأرض بما يدعو إليه وبما يمارسه مِن كُفْر وَزَنْدَقة وادِّعاء معرفة الغَيْب أو ادِّعاء بمقابَلة الرسول صلى الله عليه وسلم حَيًّا ، حيث عَمَّ البلاء بهذه الفئات التى باضَت الشِّرْكَ وَفَرَّخَتْ الكُفْرَ، وأصبح التَّبَرُّك والتوجه إليهم والتماس النفع والضر منهم مِن الأمور العادية عند بعض الجهلة مِن المسلمين ، ومنهم أصحاب وحدة الوجود وأصحاب الحلول والقُبُوريون الذين اختلفت طرقهم واتحدت أساليبهم فى شركهم ودعوتهم غير الله ، وهم منتشِرون فى كثير من البلاد الإسلامية (٢)

قال تعالى (إنَّ الذينَ فَرَّقُوا دِينَهم وكانوا شِيَعاً لَسْتَ مِنهم فى شئ .....) سورة الأنعام : ١٥٩، قال ابن كثير رحمه الله تعالى فى هذه الآية : (إن هذه الآية عامَّة فى كل مَن فارَقَ دِينَ الله، وكان مُخالِفا له، فإن الله بعث رسوله صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدِّين كله، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق، فَمَن اختلف فيه (كانوا شيعا) أى :فِرَقا كأهْلِ المِلَل والنِّحَل والأهْواء والضلالات فإن الله تعالى بَرَّأَ رسولَه صلى الله عليه وسلم مِمَّا هُم فيه .

فوائد مِن الآيات الكريمات فى هذا النداء الكريم :

١ـ جَعَل اللهُ التأليفَ بين القلوب نِعْمة مِن النِعَم التى أنْعَم بها على عباده ، كما قال تعالى (لو أنْفَقْتَ ما فى الأرض جميعاً ما ألَّفْتَ بين قلوبهم ولكِنَّ اللهَ ألَّفَ بينهم) سورة الأنفال : ٦٣ . ولا بد مِن أن تتآلف القلوب على طاعة الله تعالى مِن باب الوَلاء والبَراء مِن باب قول النبى صلى الله عليه وسلم (مَن أحَبَّ لله وأبْغَضَ لله ، وأعْطَى لله وَمَنَعَ لله ، فقد اسْتَكْمَلَ الإيمان)(٣)

٢ ـ أهمية الأُخُوَّة فى الله والأخوة الإيمانية، قال صلى الله عليه وسلم (أوْثَق عُرَى الإيمان : الموالاة فى الله والمُعاداة فى الله، والحُبُّ فى الله والبُغْض فى الله عَزَّ وَجَلَّ)(٤)

٣ ـ أنَّ التَّفَرُّقَ والاختلاف والتنازُع كالوقوع فى النار والهلاك، فَجَاء لفظ (فأنْقَذَكُم منها) لِعِظَمِ تلك الفتنة .

٤ ـ آيات الله لعباده نِعْمَة مِن نِعَمِهِ وهى مواصَلَة إنْزال القرآن والأحكام بالتشريع والشرائع والآداب والمَواعِظ والعِبَر، لِيَتِم لهم سعادتهم فى الدنيا والآخِرَة .

---

(١) ، (٢) أصول المنهج الإسلامى ـ العبيد ص١٠٢ ، ١٠٣

(٣) رواه أبو داود رحمه الله تعالى عن أبى أمامة رضى الله عنه ـ ص . ج للألبانى رقم ٥٩٦٥

(٤) رواه الطَّبَرانِى رحمه الله تعالى عن ابن عباس رضى الله عنهما ـ ص . ج للألبانى رقم ٢٥٣٩

النداء الرابع عشر ـ قال تعالى :



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) ﴾

سورة آل عِمْران : ١١٨

البطانَة خِلاف الظِّهارَة وبَطَّنْتُ ثَوْبى بآخَر جَعَلْتُه تَحْتَه وقد بَطَنَ فلان بفُلان بُطُونا، وتستعار البطانة لِمَن تختصه بالاطلاع على باطِن أمْرك . قال عز وجل (لا تتخذوا بطانة من دونكم) أى مختصاً بكم يَسْتَبْطِن أموركم ، وذلك استعارة من بطانة الثوب بدلالة قولهم لَبِسْتُ فلانا إذا اخْتَصَصْتُه وفلان شِعارى وَدِثارى (١)

وقال صلى الله عليه وسلم (ما بَعَثَ اللهُ مِن نَبى ولا كان بَعْدَه مِن خَلِيفَة إلا كان له بِطانَتانِ : بِطانَة تَأمُرُه بالمَعْروف وتَنْهاه عن المُنْكَر، وبطانَة لا تَألُوه خَبالاً . فَمَن وُقِى بطانة السُّوء فَقَد وُقِى)(٢)

(يألو) : يُقَصِّر ، والخَبال : الفَساد .

(عَنِتُّم) العَنَت : المَشَقَّة. (وَدُّوا ما عَنِتُّم) : أى أحَبُّوا مَشَقَّتَكُم .

معنى الآية الكريمة :

لَمَّا أخبر الله تعالى عن مصير الكافرين فى الآخِرَة فيما سبق هذه الآية، وأن المصير المُظْلِم كان نتيجة كفرهم وظلمهم ، حَذَّرَ الله تعالى المؤمنين مِن موالاتهم دون المؤمنين وخاصة أولئك الذين يحملون فى صدورهم الغيظ والبغضاء للمسلمين الذين لا يُقَصِّرُونَ فى العمل على إفساد المسلمين والذين يسوؤهم أن يَرَوا المسلمين مُتآلِفين مُتحابين أقوياء ظاهِرين منصورين على أهل الشرك والكفر ويسرهم أيضا أن يروا المسلمين مختلفين أو ضعفاء منكسرين مغلوبين، فنادَى اللهُ تعالى المؤمنين (لا تتخذوا بطانة مِن دونكم ...) أى أفراداً مِن دونكم (٣) أى مِن غير أهل دِينكم كاليهود والنصارى والمنافقين والمشركين تستشيرونهم وتطلعونهم على أسرار وبواطِن أموركم وَوَصَفَهُم الله تعالى تعريفا بهم فقال (لا يألونكم خبالا) يعنى لا يُقَصِّرون فى إفساد أموركم وما يسبب لكم الكوارث والمصائب فى حياتكم ، وقوله (قد بدت البغضاء مِن أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر) وَصْفٌ آخر مُشَخِّص لهؤلاء الأعداء المُحَرَّم اتخاذهم بطانة

---

(١) المفردات فى غريب القرآن – الراغب الأصفهانى

(٢) رواه النَّسائِى رحمه الله تعالى عن أيوب رضى الله عنه ـ ص . ج للألبانى رقم ٥٥٨٠

(٣) قيل لِعُمَر رضى الله عنه : إن هاهنا رَجُلا مِن نَصارَى الحِيرَة لا أحَدَ أكْتَبَ منه ولا أخَطَّ منه بقلم أفلا يَكْتُب عَنك ؟ فقال : لا آخُذُ بطانة مِن دون المؤمنين، وجاء أبو موسى الأشْعَرى بحَسَّابٍ نصرانى لِعُمَر رضى الله عنه فانْتَهَرَه وقال : لا تُدْنِهم وقد أقصاهم اللهُ ولا تُكْرِمْهم وقد أهانَهم الله، ولا تأمنهم وقد خَوَّنَهم الله .





ألا وهو ظهور البغضاء مِن أفواههم (١) بما تنطق ألسنتهم مِن كلمات الكفر والعَداء للإسلام وأهله ، وما يخفونه مِن ذلك فى صدورهم هو أكبر مما يتفلت مِن ألسنتهم، ويؤكد عز وجل تحذير المؤمنين فيقول (قد بينا لكم الآيات) المتضمنة لبيان أعدائكم وأحوالهم وصفاتهم لتعتبروا (إن كنتم تعقلون) أى الخِطاب، وما يُتْلَى عليكم ويقال لكم . ثم يقول تعالى مُحَذِّرا : ها أنتم أيها المسلمون تحبونهم ولا يحبونكم، قد علم الله تعالى أن مِن بين المؤمنين مَن يحب بعض الكافرين لعلاقة الإحسان الظاهرة بينهم فأخبر تعالى عن هؤلاء، وكما أن رحمة المؤمنين وشَفَقتهم قد تتعدى حتى أعدائهم، فلذا ذَكَر اللهُ تعالى هذا وأخبر به وهو الحق (٢)

فوائد مِن الآية الكريمة :

١ ـ حُرْمَة اتخاذ مُستشارين وأصدقاء مِن أهل الكفر عامَّة وحرمة إطلاعهم على أسرار الدولة الإسلامية والأمور التى يخفيها المسلمون على أعدائهم لِمَا فى ذلك مِن الضَّرَر الكبير .

٢ ـ بيان رحمة المؤمنين وفضلهم على الكافرين .

٣ ـ بيان نَفْسِيَّات الكافرين وما يحملونه مِن إرادة الشَّر والفساد للمسلمين .

فلذا يجب على المسلمين بُغْض هؤلاء الكَفَرَة والحَسَدَة الذين يحقدون على الإسلام وأهله والبراءة منهم وبغضهم مِن سُوَيْداء القلب ، فهذا ما أمر اللهُ به وحَذَّرَ منه ، ويعتبر بُغْض الكفار عامة وعدم موالاتهم مِن أعظم مراتِب الإيمان التى تقوم على أساس الحُب فى الله والبُغْض فى الله ، ولنا وقفة أُخْرَى مُفَصَّلَة إن شاء الله تعالى فى سورة النِّساء والمائِدَة عن ذلك .

---

(١) خُصَّت الأفواهُ بالذِّكْر دُونَ الألْسُن إشارة إلى أنهم يتشدَّقون بالكلام إيهاماً وتضليلاً .

(٢) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ص ٢٠٠





النداء الخامس عشر ـ قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) ﴾ سورة آل عمران : ١٣٠ ، ١٣١

تقدم الحديث بالتفصيل عن الربا فى النداء العاشر من سورة البقرة الآية ٢٧٨ ونذكر هنا المعنى بشئ مِن الاختصار . ففى آية البقرة أمَرَ اللهُ تعالى بترك ما بَقِى مِن التعامل بالربا وأن يأخذوا رءوس أموالهم، وتوعد لِمَن يفعل ذلك بحرب منه ومِن رَسُولِه صلى الله عليه وسلم ، أما هذه الآية الكريمة ففيها نَهْىٌ عن أكل الربا ابتِداءً وعدم تقديم نية التعامل بالربا . فقال تعالى : (لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعَفَة)

الرِّبا لغَة الزِّيادَة ، وفى الشرع نوعان : ربا فَضْل، وربا نَسِيئَة . والفَضْل الزيادة، والنسيئة التأخير.

فربا الفضل : يكون فى الذَّهَب، والفِضَة، والبُر، والشَّعير، والتَّمْر، والمِلح، فإذا بِيعَ الجِنْس بمِثْله يَحْرُمُ الفضل أى الزيادة ويحرم النسيئة أى التأخير .

أمَّا ربا النسيئة : هو أن يكون على المَرْء دَيْن إلى أجَل فَيَحِل الأجل ولم يَجِد المَدِين سَدادا لِدَيْنِه فيقول أخِّرْنِى وَزِد فى الدَّيْن . (أضعافا مضاعَفَة) لا مفهوم لهذا لأنه خَرَجَ مَخْرَجَ الغالِب إذ الدِّرْهَم الواحد حرام كالألف درهم ، وإنما كانوا فى الجاهِلِيَّة يَزيدون الدَّيْن مُقابِل التأخير حتى يتضاعَف الدَّيْن فيصبح أضعافا كثيرة .

ربا البنوك اليوم شَرٌّ مِن ربا الجاهلية ، فَهُوَ أن يبيع الرَّجُل أخاه شيئا إلى أجَلٍ فإذا حَلَّ الأجل ولم يَجِد سداداً قال له : أخِّر وَزِد ، أما ربا البنوك فإنه يبيعه نَقْدَا بنَقْد إلى أجَل بزيادة فَوْرِيَّة يسجلها عليه، ثم أمَرَهم الله بتقواه التى هى السبب فى النَّجاة مِن العَذاب والظَّفَر بالنَّعيم المُقيم فى الجَنَّة وهذا هو الفلاح .

ثم أمرهم الله تعالى باتقاء النار التى أعَدَّها للكافرين فهى مُهَيَّئَة مُحَضَّرة لهم واتقاؤها يكون بطاعته تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فقال تعالى (واتقوا النار التى أُعِدَّتْ للكافرين) أى المُكَذِّبين لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، لأن التكذيب مانِع مِن الطاعة، ثم أمرهم بالمُسارَعَة بالتوبة دونَ تَوَانٍ ولا تَرَاخ، والمغفرة سَتْر الذُّنوب وعدم المُؤاخَذَة بها، وفى الحديث (ما مِن عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْباً فَيَتَوَضَّأ فَيُحْسِن الطُّهور ثُمَّ يقوم فَيُصَلِّى رَكْعَتَيْن ثُمَّ يسْتَغْفِر الله بذلك الذَّنْب، إلا غَفَرَ اللهُ له)(١)

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى رحمهم الله عن أبى بكر رضى الله عنه ـ ص . ج رقم ٥٧٣٨



وقد وردت أحاديث صِحاح نَهَى النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم فيها عن أكل الربا ورَهَّبَ تعاطيه فقال :

(دِرْهَم ربا يأكله الرَّجُل، وهو يَعْلَم أشَد عِنْد َاللهِ مِن سِتّةٍ وثلاثين زَنْيَة)(١) وقال :

(الرِّبَا ثلاثة وسبعون باباً أيْسَرها مِثل لأن يَنْكِحَ الرَّجلُ أُمَّه، وإنَّ أرْبى الرِّبا عِرْض الرَّجُلِ المُسلِم)(٢) وقال :

(أهْوَنُ الرِّبا كالذِى يَنْكِحُ أُمَّه، وإنَّ أرْبَى الرِّبا استطالة المَرْء فى عِرْض أخِيه)(٣) وقال :

(الرِّبا سَبْعُونَ باباً والشِّرْك مِثل ذَلِك)(٤) وقال :

(الرِّبا وإنْ كَثُرَ عاقِبَته إلى قُلٍّ)(٥)

النداء السادِس عَشَر ـ قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (١٤٩) بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (١٥٠)﴾ سورة آل عمران : ١٤٩ ، ١٥٠

قوله تعالى (إن تطيعوا ...) طوْع يَدَيْه : أى مُنْقاد له (٦)

الطَّوْع : الانقياد ويُضَادُّه الكَرْه ، قال تعالى (ائْتِيا طَوْعاً أوْ كَرْهاً)، وقال (وله أسْلَمَ مَن فى السموات والأرض طَوْعاً أو كَرْها) ، والطاعة أكثر ما تُقال فى الائْتِمار لِما أمر (٧)

---

(١) رواه أحمد والطبرانى رحمهما الله تعالى عن عبد الله بن حَنْظَلَة رضى الله عنه ـ ص . ج رقم ٣٣٧٥

(٢) رواه الحاكِم رحمه الله تعالى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ـ ص . ج رقم ٣٥٣٩

(٣) حديث حَسَن أخْرَجَه السيوطى رحمه الله تعالى فى الجامِع الصغير ـ ص . ج رقم ٢٥٣١

(٤) رواه البَزّار رحمه الله تعالى عن ابن مسعود رضى الله عنه ـ ص. ج رقم ٣٥٤٠

(٥) رواه الحاكم رحمه الله تعالى عن ابن مسعود رضى الله عنه ـ ص . ج رقم ٣٥٤٢

(٦) مختار الصِّحاح – الرازى

(٧) المفردات فى غريب القرآن – الراغِب الأصفهانِى



سبق وأن مَرَّ تفسير قوله تعالى (يا أيها الذين ءَامَنوا إن تُطِيعُوا فَرِيقا مِن الذِينَ أُوتوا الكِتابَ ....) فى النداء الثانى عَشَر فى سورة آل عمران الآية رقم ١٠٠ . ففيه قد نَهَى اللهُ تعالى عن طاعة أهل الكِتاب مِن اليهود والنصارى ، وفى هذه الآية ينْهَى الله عز وجل عن طاعة الكافِرين أجْمَعِهم على جميع مِلِلِهم .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى :

يحذر اللهُ تعالى عِبادَه المؤمنين مِن طاعة الكافِرين والمُنافِقِين ، فإن طاعتهم تُورث الرَّدَى فى الدنيا والآخِرَة ولهذا قال تعالى (إن تُطِيعُوا الذين كَفَروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين) ثم أمرهم بطاعته وموالاته والاستعانة به والتوكل عليه فقال تعالى (بل الله مولاكم وهو خير الناصرين) ثم بشرهم بأنه سَيُلْقِى فى قلوب أعدائهم الخوف منهم والذِّلَّة لهم بسبب شِرْكِهم مع ما ادَّخَرَه لهم فى الدار الآخِرَة مِن العذاب فقال تعالى (سَنُلْقِى فى قُلُوبِ الذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ..)

قال الشيخ أبو بكر الجزائرى :

لَفظ الكافِرين شامِل لكل ما أوْلَتْ الآية مِن المشركين والمنافقين واليهود، وهذا أمر لا يُنْكَر، فإن طاعة الكافرين لا تُفْضِى بمن أطاعهم إلا إلى الخَيْبَة والخُسْران فى الدَّارَيْن، وسياق الآيات السابقة لتلك الآية هى فى أحداث غَزْوَة أُحُد، فقد رُوِىَ أن بعض المنافقين لما رأى هزيمة المؤمنين فى أُحُد قال فى المؤمنين " ارجِعوا إلى دِينكم وإخوانكم ولو كان نَبِيًّا لَمَا قُتِل إلى آخِر ما مِن شأنه أن يُقال فى تلك الساعة الصعبة مِن الاقتراحات التى كَشَف عنها هذا النداء الإلهى للمؤمِنين وهو يحذرهم مِن طاعة الكافرين بقوله (يا أيها الذين ءَامَنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين)، فلا شَك أن الكافرين قد طالبوا المؤمنين بطاعتهم بتنفيذ بعض الاقتراحات والنصح التى ظاهِرها وباطنها الغِشّ والخديعة فنهاهم الله تعالى عن طاعتهم ذلك ، وهذا النَّهْى وإن نزل فى حالة خاصة فإنه عام فى المسلمين على مدى الحياة فلا يَحِل طاعة الكافرين مِن أهل الكِتاب وغيرهم وفى كل ما يأمرون به أو يقترحونه، وَمَن أطاعَهم ردُّوه عن دِينه خاسِرًا فى دُنْياه وآخِرَته (١)

فوائد مِن الآيات : (٢)

١ ـ تحريم طاعة الكافرين فى حالة الاختيار أما فى حالة الإكراه فإنَّ مَن لم يَطِق العذاب يُرَخَّص له فى إعطائهم ما طلبوا على شرط أن يكون كارها بقلبه ساخِطا فى نَفْسِه غير راضٍ عنهم ولا عن صَنِيعهم وذلك لقوله تعالى (إلا مَن أُكْرِه وقلبه مُطْمَئِن بالإيمان) سورة النحل : ١٠٦

٢ ـ بيان الحِكْمَة فى تحريم طاعة الكافرين وهو أنه يترتب عليها الرِّدَّة والعياذ بالله .

---

(١) ، (٢) أيسر التفاسير ـ الجزائرى ج ١ص٢١٤

٣ ـ بيان قاعِدَة مَن طَلَبَ النصر مِن غير الله أذَلَّه اللهُ؛ لقوله تعالى (وما النصر إلا مِن عِنْد الله)



٤ ـ وَعْدُ اللهِ المؤمنين بنصرهم بعد إلقاء الرُّعْب فى قلوب أعدائهم؛ إذ هَمَّ أبو سُفْيان بالعودة إلى المَدِينة بعد انصرافه مِن غَزْوَة أُحُد لِيَقْضِى عَلَى مَن بَقِى فى المدينة مِن الرِّجال كذا سَوَّلَتْ له نَفْسُه، ثم ألقى اللهُ تعالى الرعب فى قلبه فَعَدَلَ عن ذلك بتدبير الله تعالى .

٥ ـ بُطْلان كُل دَعْوَى ما لَم يَكُن لأصحابها حُجَّة وهى المُعَبَّر عنها بالسلطان فى الآية، إذ الحُجَّة يثبت بها الحق وينالُه صاحِبها بواسطتها.

النداء السَّابع عَشَر ـ قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٦) وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (١٥٨) ﴾

سورة آل عمران : ١٥٦ ـ ١٥٨

الضَّرْب فى الأرض : الذّهاب فيها وَضَربها بالأرْجُل (وإذا ضربتم فى الأرض) وقال (لا يستطيعون ضَرْبا فى الأرض) وقال (فاضْرِب لهم طريقا فى البَحْر)(١)

غُزًّى : الغَزْو الخروج إلى محارَبَة العَدُو، وقد غَزَا يَغْزُو فَهُو غازٍ ، وجمعه غُزَاة وَغُزٌّ (٢)

والحَسْرَة : شِدَّة الأسَف أى الحُزْن .

معنى الآية الكريمة :

يَنْهَى اللهُ تعالى عِبادَه المؤمنين عن مشابَهَة الكُفَّار فى اعْتِقادهم الفاسِد الدَّال على قولهم عن إخوانهم الذين ماتوا فى الأسْفار والحروب : لو كانوا تركوا ذلك ما أصابهم ، فقال تعالى (يا أيها الذين ءامَنُوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخْوانهم) أى عن إخوانهم (إذا ضَرَبُوا فى الأرض) أى سافَروا للتجارة ونحوها (أو كانوا غُزَّى) أى كانوا فى الغَزو (لو كانوا عندنا) أى فى البلد (ما ماتوا وما قتلوا) أى ما ماتوا فى السَّفر وما قتلوا فى الغزو ، وقوله تعالى (لِيَجْعَل الله ذلك حسرة فى قلوبهم) أى خلق الله هذا الاعتقاد فى نفوسهم حسرة على موتاهم ثم قال تعالى ردًّا عليهم (والله يحيى ويميت) أى بيده الخلق وإليه يُرْجَع الأمر ولا يَحْيَا

---

(١) ، (٢) المفردات فى غريب القرآن – الراغب الأصفهانى

أَحَدُ ولا يموت أَحَدُ إلا بمشيئته وَقَدَره، ولا يُزادُ فى عُمْر أَحَدٍ ولا يَنْقُص منه شئ إلا بقضائه وَقَدَره (والله بما تعملون بصير) أى علمه وبصره نافِذ فى جميع خَلْقه ، لا يَخْفَى عليه مِن

أمورهم شئ، وقوله (ولئن قُتِلْتم فى سبيل الله أو مُتُّم لَمَغْفِرَة مِن الله ورحمة خير مما يجمعون) تَضمَّنَ هذا أن القَتْل فى سبيل الله أو الموت أيضا وسيلة إلى نَيْل رحمة الله وعفوه ورضْوانه، وذلك خير مِن البقاء فى الدنيا وَجَمْع حُطامِها الفانِى، ثم أخبر تعالى بأن كل مَن مات أو قُتِل فَمَصيره وَمَرْجِعه إلى الله عز وجل فَيَجْزِيه بِعَمَلِه إن خيْراً فَخَيْر وإن شَرّاً فَشَر فقال تعالى (ولئن متم أو قُتِلْتم لإلَى اللهِ تُحْشَرون)(١)

قُرِئ (تَجْمَعُون) بالتاء، أى أنتم أيها المؤمنون، و (يَجْمَعُون) بالياء، أى : الكافرين والمنافقين، وهى رواية حفص عن عاصِم فقط .

فوائد مِن الآيات الكريمات (٢) :

١ ـ حُرْمَة التَّشَبُّه بالكفار ظاهِراً وباطناً .

٢ ـ النَّدَم يُوَلِّد الحَسَرات، والحَسْرَة غَمٌّ وَكَرْب عظيمان والمؤمن يدفع ذلك بذكره القضاء والقَدَر، فلا يأسَى على ما فاته ولا يفرح بما آتاه مِن حُطام الدنيا .

٣ ـ مَوْتَة فى سبيل الله خير مِن الدنيا وما فيها .

وقد وَبَّخَ اللهُ تعالى مَن يصد عن سبيل الله وتلبيس الحق بالباطِل وَمَن يُحَرِّض على الكفر والهوان واتّباع الهَوَى فى أكثر مِن آية، فقال تعالى :

(ولا تَلْبِسُوا الحَقَّ بِالباطِلِ وَتَكْتُمُوا الحَقَّ وأنتم تَعْلَمُونَ) سورة البقرة : ٤٢ وقال جَلَّ شأنه :

(قُلْ يا أهْلَ الكِتابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبيلِ اللهِ مَن آمَنَ تَبْغُونَها عِوَجاً وأنتم شُهَدَاء وما اللهُ بغافِلٍ عما تَعْمَلُونَ) سورة آل عمران : ٩٩ وقال سبحانه :

(وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ ورحمته لَهَمَّتْ طائِفَةٌ منهم أن يُضِلُّوك وما يُضِلون إلا أنْفُسَهُم وما يَضُرُّونَكَ مِن شئ وأنْزَلَ اللهُ عليك الكِتابَ والحِكْمَة وعَلَّمَك ما لم تَكُن تَعْلَمُ وكان فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً) سورة النساء : ١٣٣ وقال عز وجل :

(ولا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِراطٍ تُوعِدونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبيلِ اللهِ مَن آمَن وتَبْغُونَها عِوَجاً واذْكُرُوا إذ كُنتُم قَلِيلاً فَكَثَّرَكُم وانظُرُوا كَيْفَ كانَ عَاقِبَةُ المُفْسِدِينَ) سورة الأعراف : ٨٦ وقال تعالى : (الذينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبيلِ اللهِ زِدْناهُم عَذاباً فَوْقَ العَذابِ بِما كانوا يُفْسِدُونَ) سورة النحل : ٨٨ وقال :

(إنَّ الذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبيلِ اللهِ وشاقُوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ ما تَبيَّنَ لَهُم الهُدَى لَن يَضُرُّوا اللهَ شَيئاً وَسَيُحْبِط أعْمالَهُم) سورة محمد : ٣٢ وقال تعالى :

---

(١) مختصَر تفسير ابن كثير – الصابونى (٢) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ص ٢١٩

(ألَم تَرَ إلى الذِينَ نافَقوا يَقُولون لإخْوَانِهم الذِينَ كَفَرُوا مِن أهْلِ الكِتاب لَئِن أُخْرِجْتُم لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُم ولا نُطيعُ فِيكُم أحَداً أبداً وإن قُوتِلْتُم لَنَنصُرَنَّكُم والله يَشْهد إنهم لَكَاذِبونَ (١١) لَئِن أُخرِجوا



لا يَخْرُجُونَ مَعَهُم ولئِن قُوتِلُوا لا يَنصرُونَهُم وَلَئِن نَصَرُوهُم لَيُوَلُّنَّ الأدْبارَ ثُمَّ لا يُنْصرونَ (١٢)) سورة الحَشْر : ١١ ، ١٢

النداء الثامِن عَشَر ـ قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠) ﴾

سورة آل عمران : ٢٠٠

قال الحَسَن البَصْرى رحمه اللهُ تعالى : أُمِروا أن يصبروا على دِينهم الذى ارتضاه الله لهم وهو الإسلام ، فلا يَدَعُو لِسَرَّاء ولا ضَرَّاء ولا لشِدَّة ولا لرَخاء حتى يموتوا مُسْلِمين، وأن يصابروا الأعداء الذين يكتمون دينهم، وكذلك قال غيرُ واحِدٍ مِن السَّلَف .

المُصابَرَة : هى الصَّبْر فى وجه العَدُو الصَّابِر، ومِن هنا كانت المصابَرَة أشد مِن الصبر لأنها صبر فى وجه عدو صابر فأيهما لم يصبر على صبره هلك وأصبح النجاح لأطولهما صَبْراً، قال زفر بن الحارث فى اعتذاره عن الانهزام :

سَقَيْناهُم كأساً سَقُونا بِمِثْلِه ولَكِنَّهُم كانوا عَلَى المَوْتِ أصْبَرا

وأما المُرابَطة : فهى المداومة فى مكان العبادة والثبات، وقيل الصلاة بعد الصلاة، قاله ابن عباس رضى الله عنهما. ويشهد له حديث (ألا أدُلُّكم عَلَى ما يَمْحُو اللهُ به الخَطايا ويَرْفَعُ به الدَّرَجاتِ ؟ إسْباغ الوُضوء على المَكَاره، وكَثْرَة الخُطا إلى المَساجِد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فَذَلِكُم الرِّباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط)(١)(٢)

(اصبروا) أى على الصلوات الخمس ، (صابروا) أنفسكم وهواكم ، (ورابطوا) فى مساجدكم ، (واتقوا الله) فيما عليكم (لعلكم تفلحون)

وقيل المُرَابَطَة هنا المراد بها (مرابطة الغَزْو) فى نُحُور العَدُوِّ، وحِفْظ ثُغُور الإسلام وصيانتها مِن دخول الأعداء إلى حَوْزَة بلاد المسلمين ، وقد وردت أخبار بالترغيبفى ذلك وذِكْر الثواب فيه .

---

(١) رواه مالك وأحمد ومسلم والترمذى والنسائى رحمهم الله تعالى

(٢) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ص٢٣٦

فَعَن سهل بن سعد السَّاعِدِى رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (رِباطُ يَوْمٍ فِى سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِن الدُّنيا وما عَلَيْها)(١)





وعن سَلْمان الفارسِى رضى الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (رِباطُ يَوْم ولَيْلَة خَيْر مِن صِيام شَهْر وقِيَامه ، وإنْ ماتَ مُرابطا جَرَى عليه عَمَلُه الذى كان يعمله وأُجْرِى عليه رِزقه وَأَمِنَ الفَتَّان)(٢)(٣) الفَتَّان : أى فتنة القبر

قال ابن ُجَرير : كتب أبو عُبَيْدَة إلى عُمَر بن الخطاب يذكر له جُمُوعاً مِن الرُّوم وما يتخوف منهم ، فكتب إليه عمر : أما بعد ، فإنه مهما ينزل بعبد مؤمِن مِن مَنْزِلة شِدَّة يجعل الله له بعدها فَرَجاً ، وإنه لن يغلِب عُسْر يُسْرَيْن ، وإن الله تعالى يقول : (يا أيها الذين ءَامَنوا اصبروا وصابِرُوا وَرابِطُوا واتَّقوا اللهَ لَعَلَّكُم تُفْلِحُونَ)

روى الحافظ ابن عساكر عن محمد بن إبراهيم بن سُكَيْنَة قال : أَمْلَى عَلَىَّ عبدُ اللهِ بن المبارَك هذه الأبيات بِطَرْطوس وأنْشَدَها إلى الفُضَيْل بن عِياض فى سَنَة سَبْعينَ ومِائَة :

يا عابِدَ الحَرَمَيْن لَوْ أبْصَرْتَنا لَعَلِمْتَ أنك فى العِبادَة تَلْعَـبُ
مَن كان يَخْضِب خَدَّه بِدُمُوعِه فَنَحورُنا بِدِمائنا تَتَخَضَّـبُ
أوْ كان يُتْعِبُ خَيْلَه فى باطِـلٍ فَخُيُولنا يوم الصَّبيحَة تَتْعَـبُ
رِيح العَبير لَكُم ونَحْنُ عَبيرنا وَهَجُ السَّنابِكِ والغُبار الأطْيَبُ
ولَقَدْ أتانا مِن مَقالِ نَبِينـا قَوْلٌ صحيحٌ صادِقٌ لا يَكْـذِبُ
لا يَسْتَوِى غُبارُ خَيْلِ الله فـى أنْفِ امْرِئٍ وَدُخانُ نارٍ تَلْهُـبُ
هذا كِتابُ اللهِ يَنْطِقُ بيننـا لَيْسَ الشَّهيدُ بِمَيت لا يَكْـذِبُ

قال : فَلَقِيتُ الفُضَيْل بن عِياض بكتابه فى المسجد الحرام، فلما قرأه ذرفَتْ عيناه وقال : صَدَقَ أبو عبد الرحمن ونصحنى، ثم قال أنت مِمَّن يكتب الحديث ؟ قال : نَعَم ، قال : فاكتُب هذا الحديث كِرَاء حملك كتاب أبى عبد الرحمن إلينا وأَمْلَى عَلَىَّ الفضيل بن عِياض : حدثنا منصور بن المُعْتَمِر عن أبى صالح عن أبى هريرة أن رَجُلا قال : يا رسول الله عَلِّمْنِى عملا أنالُ به ثواب المجاهِدين فى سبيل الله ، فقال : هل تستطيع أن تُصَلِّى فلا تَفْتر وتصوم فلا تفطر ؟ فقال : يا رسول الله أنا أضعف مِن أن أستطيع ذلك، ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم (فو الذى نفسى بيده لو طُوِّقْتَ ذلك ما بَلَغتَ المجاهِدين فى سبيل الله ، أوَما عَلِمْتَ أن الفَرَسَ المُجاهِد ليستن فى طوله فيكتب له بذلك الحَسَنات ؟) (واتَّقُوا الله) أى فى جميع أموركم وأحوالكم ، كما

---

(١) رواه البخارى رحمه الله تعالى **(٢) رواه مسلم رحمه الله تعالى**

(٣) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى



قال النبى صلى الله عليه وسلم لِمُعاذ بن جَبَل حيث بَعَثَه غلى اليَمَن : (اتَّق اللهَ حَيْثُما كُنتَ، وأتبع السَّيئَة الحسَنَة تَمْحُها، وخالِق الناس بِخُلُقٍ حَسَنٍ)(١)، (لعلكم تفلِحون) أى فى الدنيا والآخِرَة (٢)

النداء التاسع عَشَر ـ قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آَتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١٩) وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٢٠) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (٢١) وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آَبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا (٢٢) ﴾

سورة النِّساء : ١٩ ـ ٢٢

(كَرْها) : قرَأ خَلَف (٣) وحَمْزَة (٤) والكِسائِى (٥) (كُرْهَا) بِضَمِّ الكاف والباقون بِفَتْحِها .

---

(١) رواه أحمد والترمذى وأبو داود رحمهم الله تعالى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه – ص.ج رقم ٩٧

(٢) تفسير ابن كَثِير رحمه الله تعالى.

(٣) أبو محمد خَلَف بن هِشام بن ثَعْلبى البَزَّار البغدادى توفى سنة ٢٢٩ هـ أحَد القُرَّاء العَشَرة .

(٤) حَمْزَة بن حبيب بن عمارة الزَّيَّات القرَضِىّ التَّيْمِىّ، ويكنى أبا عمارة توفى بحلوان سنة ١٥٦ هـ

(٥) الكُوفِى عَلِىّ بن حَمْزَة النَّحْوىّ ويكنى أبا الحَسَن توفى سنة ١٨٩ هـ

(مُبَيِّنَة) : قرَأ المَكّىُّ (١) وشُعْبَة (٢) بِفَتْح الياء المُشَدَّدَة (مُبَيَّنَة) والباقون بكسرها .



مُبَيِّنَة (٣) : فاحشة واضِحَة ليست مجرد تُهْمَة أو مَقالة سُوء .

المَعْروف : ما عَرَفَه الشَّرع واجِبا أو مَندوباً أو مُباحاً .

قِنْطارا : أى مِن الذَهَب والفِضَّة مَهْراً وَصَدَاقاً.

سبب نزول الآية الكريمة :

رَوَى البُخَارِىُّ فى سبب نزول الآيَة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كانوا إذا مات الرَّجُل كان أولياؤه أحَقّ بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاؤوا زوجوها، وإن شَاؤوا لَم يُزَوِّجُوها، فهم أحق بها مِن أهلها، فنزلت الآية (يا أيها الذين ءامَنوا لا يَحِل لكم أن تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً ....)

قال ابن جُرَيْر الطَّبَرِى : نزلت فى (كُبَيْشَة بنت مَعْن بن عاصِم بن الأوس) تُوُفِّىَ عنها أبو قيس بن الأسلت فجنح(٤) عليها ابْنُهُ فجاءت رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم . فقالت : يا رسول الله، لا أنا وَرِثتُ زَوْجِى ولا أنا تُركْتُ فَأُنْكَح . فأنزل اللهُ هذه الآية. فالآية تَعُمُّ ما كان يفعله أهل الجاهلية وكل ما كان فيه نوع مِن ذلك والله أعلم (٥)

(ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما ءاتيتموهن) أى لا تضاروهن فى العِشْرَة لتترك لك ما أصدقتها أو بعضه أو حقّاً مِن حقوقها عليك ، أو شيئا مِن ذلك على وجه القَهْر لها والإضرار بها . وقال ابن عباس فى قوله (ولا تعضلوهن) يقول : ولا تقهروهن (لتذهبوا ببعض ما ءاتيتموهن) يعنى الرَّجُل تكون له امْرَأة وهو كاره لصحبتها ولها عليه مَهْر فيضرهن لتفتدى به وكذا قال الضَّحاك وقتادة وغير واحد واختارَه ابن جَرير .

وقوله (إلا أن يأتين بفاحِشَة مبينة) قال ابن مسعود وابن عباس : يعنى بذلك الزِّنا يعنى إذا زَنَتْ المرأة فلك أن تسترجع منها الصَّدَاق الذى أعطيتها ، وتضاجِرها حتى تتركه لك وتُخالِعها كما قال تعالى (ولا يَحِلُّ لكم أن تأخذوا مما ءَاتيتموهنَّ شيئا إلا أن يخافا أن لا يُقِيما حدود الله)، وقال ابن عباس وعِكْرِمَة والضَّحَّاك : الفاحِشَة المبينة النشوز والعِصْيان واختار ابنُ جَرير أنه يعم ذلك كله، الزِّنَى والعِصْيان وبَذَاءَة اللسان وغير ذلك، يعنى أن هذا كله يبيح مُضاجَرتها حتى

---

(١) هو ابن كَثير عبد الله بن كَثير المَكِّىّ وهو مِن التَّابعين تُوُفِّى بمكة سنة ١٢٠ هـ

(٢) هو أبو بكر شعبة بن عياش بن سالم الكوفى أحَد راويا عاصِم الكوفِى توفى سنة ١٩٣ هـ

(٣) قُرِئَت (مُبينة) بفتح الباء وقرئت بكسرها ، وقرأ ابن عباس (مُبينَة) بكسر الباء اسم فاعِل من أبان يُبَيِّن فهو مُبين وهى مُبينَة والمعنى واحد (أيسر التفاسير للجزائرى)

(٤) أى مال عليها لِيَحُولَ بينها وبين الناس (٥)عُمْدَة التفاسير عن الحافظ ابن كثير – الشيخ / أحمد شاكر

تُبْرِئَه مِن حَقِّها أو بعضه ويفارقها وهذا جيد والله أعلم (١)





(وعاشِروهُنَّ بالمَعْرُوف) أى طَيِّبُوا أقوالكم لَهُنَّ وحَسِّنُوا أفعالكم وهيئاتكم بِحَسَب قُدْرَتكم ، كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله ، قال تعالى (ولَهُنَّ مِثل الذى عَلَيْهنَّ بالمعروف) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خَيْرُكُم خيركم لأهْلِهِ وأنا خَيْرُكُم لأهْلِى)(٢)

وكان مِن أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه جَمِيل العِشْرَة، دائِم البِشْر، يُداعِب أهلَه، ويتلطَّف بهم، ويوسعهم نفقة، ويُضاحِك نسائه حتى إنه كان يُسابق عائشة أمَّ المؤمنين رضى الله، عنها يَتَوَدَّد إليها . قالت : سَابَقَنِى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فَسَبَقْتُه وذلك قبل أن أحْمِلَ اللَّحْمَ، ثم سابَقْتُه بعدما حملتُ اللَّحْم فَسَبَقَنِى، فقال : (هذه بتلك) . وكان يجمع نِسائه كل ليلة فى بيت التى يبيت عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل معهن العَشَاء فى بعض الأحيان، ثم تنصرف كل واحدة إلى مَنْزِلِها، وكان ينام مع المرأة مِن نِسائه فى شِعارٍ واحد، يضع عن كَتِفَيْه الرِّداء وينام بالإزار، وكان إذا صلَّى العِشاء يدخل مَنزله يَسْمر مع أهله قليلا قبل أن ينام يؤانسهم بذلك وقد قال الله تعالى (لقد كان لكم فى رسول الله أُسْوَةٌ حَسَنَة .....) سورة الأحزاب : ٢١

وقوله تعالى (فإنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أن تَكْرَهُوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) أى فعسى أن يكون صبركم فى إمساكهن مع الكَرَاهَة، فيه خير كثير لكم فى الدنيا والآخِرَة، كما قال ابن عباسٍ : هو أن يَعْطِفَ عليها فَيُرْزَق منها وَلَداً ويكون فى ذلك الوَلَدِ خير كثير . وفى الصحيح (لا يَفْرِكْ مُؤمِنٌ مؤمِنَة إن كَرِه مِنها خُلُقاً رَضِى مِنها آخَر)(٣)(٤)فَرِكَ يَفرِك فَرْكاً : كَرِهَ وأبْغَضَ.

وقوله تعالى (وإنْ أَرَدْتُمُ استِبْدالَ زَوْجٍ مكانَ زوجٍ ....) أى إذا أراد أحدُكُم أن يُفارِقَ امرأتَه ويستبدِل مكانها غيرها، فلا يأخذ مما كان أَصْدَقَ الأولى ولو كان قِنْطارا مِن المال، وفى هذه الآية دلالة على جواز الإصداق بالمال الجَزيل وقد كان عُمَر ينهى عن كثرة الإصداق ثم رجع عن ذلك كما قال الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول (ألا لا تُغالُوا فى صَدَاق النساء فإنها لو كانت مكرمة فى الدنيا أو تقوى عند الله كان أَوْلاكُم بها النَّبِىّ، ما أَصْدَقَ (٥) رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأةً مِن نسائه ولا أُصْدِقَتْ امرأة مِن بَنَاته أكثر مِن اثنَتَى عَشْرَة أُوقِيَّة.

---

(١) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى

(٢) رواه الترمذى رحمه الله تعالى عن عائشة رضى الله عنها ص . ج رقم ٣٣١٤

(٣) رواه مسلم رحمه الله تعالى

(٤) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى

(٥) لا خِلاف فى أن أكثر الصداق لا حَدَّ له وإنما الخلاف فى أقلّه ، والذى عليه أكثر أهل العلم أنه لا يَقِلُّ عن رُبُع دينار أو ما يُعادِله دراهم قِياسا على ما تُقْطع فيه يد السَّارق، لأن الفَرْج مُحَرَّم كاليد (أيسر التفاسير للجزائرى)

ولهذا قال تعالى مُنكِرا (وكيف تأخذونه وقد أفْضَى (١) بعضكم إلى بعض) أى وكيف تأخذون الصَّدّاق مِن المرأة وقد أَفْضَيْتَ إليها وأفْضَتْ إليك، قال ابن عباس : يعنى بذلك الجماع .



وقد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للمُتَلاعِنَيْن بعد فراغهما مِن تلاعُنِهما : (الله يعلم أن أحَدُكما كاذِب، فَهَل مِنكما تائِب؟) قالها ثلاثا . فقال الرَّجُل : يا رسول الله مالى ـ يعنى ما أصْدَقتُها ـ قال : (لا مالَ لك، إن كُنتَ صَدَقتَ فهو بما استحللتَ مِن فَرْجِها، وإن كنتَ كَذَبْتَ عليها فهو أبعد لك منها)

وقوله تعالى (وأَخَذْنَ مِنكم ميثاقا غليظا) المراد بذلك العقد، وعن ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالـــى (وأخذنَ منكم ميثاقا غليظا) قال : إمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحْسانٍ .

وفى صحيح مسلم عن جابر فى خُطْبَة الوَداع أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فيها : (واستَوْصُوا بالنِّساءِ خَيْراً فإنَّكم أخَذْتُموهُنَّ بأمانة الله، واستَحْلَلْتُم فُروجَهُنَّ بِكَلِمَة اللهِ)

وما زال السِّياق الكريم فى بيان الأحكام الشرعية المتعلقة بالإرْث والنِّكاح والعِشْرَة، ويَذْكُر الله تعالى فى الآيات التى تَلِى هذه الآية مُحَرَّمات النِّكاح مِن النَّسَب والرَّضاع والمُصاهَرَة، فَبَدَأَ بتحريم امرأة (٢) الأب وإن علا فقال (ولا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ ءاباؤُكم) ولم يَقُل (مَن) لِيَشْمل التحريم مَنْكُوحَة الأب، والطَّريقة التى كانت مُتَّبَعَة عندهم فى الجاهِلِية ولذا قال (إلا ما قد سلف) فى الجاهلية فإنه مَعْفُوٌ عنه بالإسلام بعد التَّخَلِّى عنه وعدم المُقام عليه، وبهذا اللفظ حُرِّمَت امرأةُ الأبِ والجَد على الابن وابن الابن ولو لَم يدخُل بها الأب .

رُوِىَ أن أبا قَيْس تُوُفِّى وكان مِن صالِحى الأنصار، فَخَطَبَ ابنُه قيسٌ امرأةَ أبيه فقالت له : إنِّى أَعِدُّكَ وَلَداً ولكنى آتِى رسولَ الله فَأَسْتَأمِره، فَأَتَتْه فَأَخْبَرَتْه، فأَنْزَلَ الله هذه الآية (ولا تنكحوا ما نكح ءاباؤكم مِن النِّساء ..) ثم ذكر الله تعالى مُحَرَّمات النَّسَب فذكر الأمَّهات والبنات والأخَوَات والعَمَّات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخْت، فهؤلاء سبع مَحَرِّمات مِن النَّسَب وَحُرِّمَ بالسُّنَّةِ المُتَواتِرَة الجَمع بين المرأة وعَمَّتِها والمَرْأة وخالتها، ثم ذكر المُحَرَّمات بالرضاع، فَمَن رَضَعَ مِن امرأة خَمْسَ رَضْعات وهو فى سِنِّ الحَوْلَيْن (٣) تَحْرُم عليه ويحرم عليه أُمَّهاتها وبناتها وأخواتها وكذا بنات زوجها وأخَوَاته وأمهاته وقال النبى صلى الله عليه وسلم (يَحْرُم مِن الرَّضاع ما يَحْرُم مِن النَّسَب) متفق عليه . وقال (لا تُحَرِّم المَصَّة ولا المَصَّتان) رواه مسلم رحمه الله تعالى.

---

(١) اخْتُلِفَ فى الإفضاء الذى يجب به المَهْر، قال عمر : إنْ أَغْلَقَ باباً وأرْخَى سِتْراً ورأى عَوْرَة فقد وَجَبَ الصَّداق، وعليها العِدَّة ولها الميراث وهو قول فصْل، أما الإفضاء الذى تَحِلُّ به المُطَلَّقة ثلاثا فلابُدَّ مِن الوَطْء لحديث (حتى تذوقى عُسَيْلَتَه ويذوق عُسَيْلَتِك) (أيسر التفاسير للجزائرى)

(٢) حَكَى القُرْطُبى الإجماع على أن الرَّجُل إذا وَطِئَ امْرأة بِنِكاح فاسِد فإنها تَحْرُم على أبيه وعلى ابنه وعلى أجْدَاده وأحْفادِه (أيسر التفاسير للجزائرى)

(٣) أمَّا إذا كان الرَّضاع بَعْد الحَوْلَيْن فلا يُحَرِّم إجْماعاً .

ثم ذكر الله تعالى المُحَرَّمات بالمُصاهَرَة فقال (وأُمَّهات نِسائكم) فَأمُّ امرأةِ الرَّجُل مُحرمة عليه بمجرد العقد على بنتها تصبح أُمَّا حراماً، وقال (وربائِبُكم اللاتى فى حُجُورِكم) فالرَّبيبَة هى بنت الزوجَة إذا نَكَحَ الرَّجُل امرأةً وَبَنَى بها لا يَحِلُّ له الزواج مِن ابنتها، أما إذا عَقَدَ فقط ولَم يَبْن



بها فإن البنت تَحِلُّ له لقوله تعالى (مِن نسائكم اللاتى دَخَلْتُم بهنَّ فإن لم تكونوا دَخَلْتُم بهن فلا جُناح عليكم) أى لا إثم ولا حَرَج، و لحديث الصحيحين (إذا نَكَحَ الرَّجُلُ المرأة فلا يَحِلّ له أن يتزوج أمَّها دَخَل بها أو لم يدخل، وإذا تَزَوَّجَ الأمَّ فلم يدخل بها ثم طَلَّقها فإن شاء تزوج البِنت)

ومِن المُحَرَّمات بالمصاهَرَة امرأة الابن بَنَى بها أَمْ لم يَبْنِ لقوله تعالى (وحلائِل أبنائكم الذين مِن أصلابكم) أى ليس ابناً بالتَّبَنِّى، أما الابن مِن الرَّضاع فزوجته كزوجة الابن مِن الصُّلب، لأن اللَّبَن الذى تَغَذَّى به هو السبب فكان إذاً كالولد للصُّلب، ومن المحرمات أيضا بالمصاهَرَة أُخْت الزَّوْجَة فمَن تَزَوَّجَ امرأة، لا يَحِلُّ له أن يتزوج أختها حتى تموت أو يفارقها، وتنتهى عِدَّتُها لقوله تعالى (وأن تجمَعوا بين الأُخْتَيْن إلا ما قد سَلَفَ) أى فى الجاهلية فإنه عَفْو بِشَرْط عَدَم الإقامة عليه .

(والمُحْصَنَاتُ مِن النساء) أى المُتَزَوِّجات قبل طلاقهن، أو وفاة أزْواجهن وانقضاء عِدَّتِهِنَّ (إلا ما مَلَكَتْ أيْمانُكُم) المَمْلوكَة بالسَّبْى أو الشِّراء ونحوهما (ما وراء ذلك) أى : ما عَدَاه أى : ما عَدَا ما حُرِّم عليكم (١)

ما يستفاد من الآيات الكريمات :

١- إبطال قانون الجاهلية القائم على أن ابن الزَّوج يَرِث امرأةَ أبيه.

٢- حُرْمَة العَضْل من أجل الافْتِداء بالمَهْر وغيره.

٣- الترغيب فى الصبر.

٤- جواز أخذ الفِدْيَة مِن الزَّوْجَة بالمهر أو أكثر أو أقل إن هى أَتَتْ بفاحِشَة ظاهرة لا شك فيها كالزِّنَى أو النُّشُوز.

٥- جواز غَلاء المَهْر فقد يبلغ القِنطار غير أن التيسير فيه أكثر بركة.

٦- وجوب مراعاة العهود والوفاء بها.

---

(١) أيسر التفاسير – الجزائرى ج ١ص٢٤٨

النِّداء العِشْرُون ـ قال تعالى :



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) ﴾ سورة النساء : ٢٩

قال ابن كثير رحمه الله تعالى :

يَنْهَى تبارَكَ وتعالى عِبادَه المؤمنين عن أن يأكلوا أموال بعضهم بعضاً بالباطِل؛ أى بأنواع المكاسِب التى هى غير شَرْعِيَّة كأنواع الرِّبا والقِمار وما جَرَى مَجْرَى ذلك مِن سائر صنوف الحِيَل، وإن ظهرتْ فى قالِب الحُكْم الشرعى مما يعلم الله أن مُتَعاطيها إنما يريد الحِيلَة على الرِّبا، حتى قال ابن جَرير عن ابن عباس فى الرَّجُل يشتَرى مِن الرَّجُل الثَّوْب، فيقول : إنْ رَضِيتَ أَخَذْته وإلا رَدَدْتَ معه دِرْهَما، قال :هو الذى قال الله عز وجل فيه (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطِل) وعن عَلْقَمَة عن عبد الله فى الآية قال : إنها مُحْكَمَة ما نُسِخَتْ ولا تُنْسَخ إلى يوم القِيامَة .

وقوله تعالى (إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) قُرئ (تجارة) بالرفع وبالنصب، وهو استثناء منقطِع، كأنه يقول لا تتعاطوا الأسباب المُحَرَّمَة فى اكتساب الأموال، لكن المَتَاجِر المشروعة التى تكون عن تراضٍ مِن البائِع والمُشْتَرى فافعَلُوها وتَسَبَبوا بها فى تحصيل الأموال كما قال تعالى (ولا تقتلوا النفس التى حَرَّمَ اللهُ إلا بالحق) وكقوله (لا يذوقون فيها الموت إلا المَوْتَة الأولى) ومن هذه الآية احْتَجَّ الشافِعِى على أنه لا يَصِحُّ البَيْع إلا بالقبول؛ لأنه يدل على التراضى نَصَّاً، بِخِلاف المُعاطاة فإنها قد لا تدل على الرِّضا، وخالَفَ الجمهورَ فى ذلك الإمامُ مالكٌ والإمامُ أحمدُ بن حَنْبَل فَرَأَوْا أن الأقوال كما تدل على التراضِى فكذلك الأفعال فَصَحَّحُوا بيع المُعاطاة مُطْلَقاً .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا تَبَايَعَ الرَّجُلان فكلُّ واحِدٍ مِنهما بالخِيار ما لَم يَتَفَرَّقا)(١)، وذهب القول بمُقْتَضَى هذا الحديث أحمد والشافعى وأصحابهما وجمهور السَّلَف والخَلَف، ومِن ذلك مشروعية خِيار الشَّرْط بعد العَقْد بثلاثة أيام بَحَسَب ما يَتَبَيَّن فيه حال البَيْع(٢) ولو إلى سنة فى القرية ونحوها كما هو المشهور عن مالك رحمه الله تعالى، وصححوا بيع المعاطاة مطلقا وهو قولٌ فى مذهب الشافعى، ومنهم مَن قال : يَصِحُّ بيع المُعاطاة فى المحقَّرات، وفيما يَعُدُّه الناس بَيْعاً وهو اختيار طائِفَة مِن الأصحاب كما هو متفق عليه.

---

(١) رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى عن ابن عمر رضى الله عنه .

(٢) ومِن البيوع المحرمة بيع العَرْبُون بأن يقول لأخيه خُذْ هذه العشرة دنانير إن أخذت السِّلْعَة وإلا فهى لك . هذا بيع باطِل لا حَقَّ له فى أخذ العربون إن عَجَزَ أخوه عن أَخْذ السِّلْعَة له .



وقوله تعالى (ولا تقتلوا أنفسكم) أى بارتِكاب محارم الله وتعاطِى معاصيه وأكل أموالكم بينكم بالباطل (إن الله كان بكم رحيما) أى فيما أمركم به، ونهاكم عنه .

وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه لما بَعَثَه النبىُ صلى الله عليه وسلم عام (ذات السَّلاسِل) قال: احْتَلَمْتُ فى ليلة بارِدَة شديدة البرد فأشفقت إن اغتَسَلْتُ أنْ أهْلَكَ . فتَيَممتُ ثُمَّ صَلَّيْتُ بأصحابى صلاة الصُّبْح، قال : فلما قدِمْنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذَكَرْتُ له، فقال : (يا عَمْرو صَلَّيْتَ بأصحابك وأنتَ جُنُب ؟) قال : قلتُ يا رسول الله إنى احتَلَمْتُ فى ليلة باردة شديدة البَرْد فأشفقتُ إن اغْتَسَلْتُ أن أهْلَكَ فذكَرْت قولَ الله عز وجل (ولا تقتلوا أنفسكم ...) فتيممتُ وصَلَّيْتُ فضَحِكَ رسولُ الله ولَم يَقُلْ شيئاً (١)

وفى الصحيحين (مَن قَتَلَ نَفْسَه بشئ عُذِّبَ به يوم القيامة)، وفى الصحيحين عن جندب بن عبد الله البَجَلِىّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كان رجل مِمن كان قبلكم وكان به جُرْح فأخذ سكيناً نحر بها يده فما رَقَأ الدَّم حتى مات، قال الله عز وجل : عبدى بادَرَنِى بِنَفْسِهِ حَرَّمْتُ عليه الجَنَّة)، ولهذا قال تعالى (وَمَن يفْعَل ذلك عُدْوَاناً وَظُلْماً) أى : وَمَن يتعاطى ما نهاه اللهُ عنه مُعْتَدِياً فيه ظالِما فى تعاطيه أى عالِماً بتحريمه مُتَجاسِراً على انتهاكه (فسوف نُصْلِيه ناراً) وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، فليحذر كل عاقِل لبيب مِمن ألْقى السَّمْع وهو شهيد (٢)

ثم أخبر الله تعالى أن مَن اجْتَنَبَ كبائِر(٣) الآثام التى نَهَى اللهُ عنها كَفَّرَ الله عنه صغائرَ الذُّنوبِ وأدْخَله الجَنَّة، فقال (**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا**)

فوائد مِن الآيات الكريمات :

١ ـ حُرْمَة مال المُسْلِم وَكُل مالٍ حرام، وسواء حازَه بسَرِقة أو قِمار أو ربا أو نحو ذلك .

٢ ـ إباحَة التِّجارَة والتَّرْغيب فيها، والرَّد على جَهَلة المُتَصَوِّفة الذين يَمْنَعُونَ الكَسْبَ بحُجَّةِ التَّوَكُّل .

٣ ـ تقرير مَبْدأ (إنَّما البَيْع عن تَراضٍ والبَيِّعان بالخِيار ما لم يَتَفَرَّقا) .

---

(١) رواه أحمد وأبو داود رحمهما الله تعالى رحمهما الله تعالى .

(٢) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى .

(٣) الكَبائِر جَمْع كَبيرَة : وهى ما تَوَعَّدَ اللهُ ورسولهُ عليها، أو لعَن اللهُ ورسولهُ فاعِلَها أو شُرِعَ لها حَدّاً يُقام على صاحِبها، وقد جاء فى الحديث الصحيح بيان العديد مِن الكبائر وعلى المؤمن أن يعلم ذلك ليجتنبه كقوله صلى الله عليه وسلم (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبقات : الشِّرْك بالله ، والسِّحْر ، وقتْل النَّفْس التى حَرَّمَ اللهُ إلا بالحق ، وأكْل الرِّبا ، وأكْل مال اليَتيم ، والتَّوَلِّى يوم الزَّحْف ، وقَذْف المُحْصَنات المُؤمِنات الغافِلات) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه.





٤ ـ حُرْمَة قتْل المُسْلِم نَفْسَه أو غَيْرَه مِن المُسْلِمين لأنهم أُمَّة واحدة .

٥ ـ الوَعيد الشديد لقاتل النفس عُدْواناً وظُلْماً بالإصْلاء بالنار.

٦ ـ إن كان القتل غير عدوان بأن كان خَطأً، أو كان غير ظُلم بأن كان عَمْداً، ولكن كان بحق كقتل مَن قَتَلَ والده أو ابنه أو أخاه فلا يَسْتَوْجِب الوعيد الشديد (١)

النداء الحادِى والعشرون ـ قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا (٤٣) ﴾

سورة النساء : ٤٣

سُكارَى : جَمْع سَكْران . السُّكْر : حالة تَعْرِضُ بين المَرْء وَعَقْلِه، وأكثر ما يستعمل فى ذلك الشَّراب، وقد يعتَرِى مِن الغَضَب والعِشْق (٢)

والسُّكْر : كل ما يُسْكِر مِن خَمْرٍ وَشَراب ونقيع التَّمْر الذى لم تَمَسه النار (المُعْجَم الوَجيز)

الغائِط : أصل الغائِط المُطْمَئِن مِن الأرض الواسع، وكان الرَّجُل إذا أراد أن يقضِى حاجَتَه أتَى الغائِط وقضَى حاجته فقيل لِكُل مَن قضَى حاجته قد أتَى الغائط يُكَنَى به عن العَذِرَة وقد (تَغَوَّط) وَبَالَ (مختار الصِّحاح)

الصَّعِيد : يقال لِوَجْهِ الأرْض . ويقال للغُبار الذى يصعد مِن الصُّعُود ولهذا لا بد للمُتَيَمِّم أن يَعْلَقَ بيده غُبار (المفردات فى غريب القرآن للأصفهانى) والطَّيِّب أى الطَّاهِر .

الاغْتِسال أو الغُسْل : بِضَمِّ الغَيْن أو فَتْحها هو فِعْل الاغتسال أو الماء الذى يُغْتَسَل به وبالكسر ما يُغْسَل به مِن صابُون ونحوه.

---

(١) أيسر التفاسير ـ الجزائرى ج ١ص٢٥٥ (٢) المفردات فى غريب القرآن ـ الراغب الأصفهانى





والغُسْل لُغَة سَيَلان الماء على الشَّئ . وَشَرْعاً : إفاضة الماء الطَّهُور على جميع البَدَن على وَجْهٍ مَخْصوص (١)

التَّيَمُّم لُغَة القَصْد، واصْطِلاحاً : التَّعَبُّد لله تعالى بقصد الصَّعِيد الطَّيِّب لِمَسْح الوَجْه واليَدَيْن بِنِيَّة اسْتِبَاحَة الصلاة ونحوها (٢)

قال الشيخ السعدى رحمه الله تعالى :

يَنْهَى اللهُ تعالى عِبادَه المؤمنين أن يقربوا الصلاةَ وهم سُكارَى، حتى يعلموا ما يقولون، وهذا شامِل لِقُرْبان موضع الصلاة كالمسجد ، فإنه لا يُمَكَّن السَّكران مِن دخوله، وشامل لِنَفْس الصلاة، فإنه لا يجوز للسكران صلاة ولا عِبادَة . لاخْتِلاطِ عَقْلِه وعدم عِلْمه بما يقول، ولهذا حددَ تعالى ذلك إلى وجود العِلْم بما يقول السكران، وهذه الآيَة الكَريمة مَنْسُوخَة بتحريم الخَمْر مُطْلَقا، فإن الخمر - فى أول الأمر - كان غير مُحَرَّم، ثم إنَّ الله تعالى عَرَّضَ لعباده بقوله (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر مِن نَفْعِهما) ثم إنه تعالى نهاهم عن الخمر، عند حضور الصلاة كما فى هذه الآية، ثم إنه تعالى حرمه على الإطلاق فى جميع الأوْقات فى قوله (يا أيها الذين ءامَنُوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رِجْسُ مِن عَمَلِ الشيطان فاجْتَنِبُوه) الآية، ومع هذا فإنه يَشْتَدُّ تحريمه وقت حضور الصلاة لِتَضَمُّنِه هذه المَفْسَدَة العظيمة، بعد حصول مَقْصود الصلاة الذى هو رُوُحها ولُبُّها، وهو الخُشوع وحضور القلب، فإن الخَمْر يُسْكِر القلب ويَصُدُّ عن ذِكْر الله وعن الصَّلاة، ويؤخذ مِن المَعْنَى مَنْع الدُّخول فى الصلاة فى حال النُّعاس المُفْرِط الذى لا يشعر صاحِبه بما يقول ويفعل، بل لعل فيه إشارَة إلى أنه ينبغى لِمَن أراد الصلاة أن يقطع عنه كل شاغِل يشغل فِكْرَه كَمُدافَعَة الأخْبَثَيْن والتَّوْق لِطعام ونحوه، كما وَرَدَ فى الحديث الصحيح (٣)

وقوله تعالى (وإنْ كُنْتُم مَرْضَى أوْ عَلَى سَفَرٍ أو جَاءَ أحَدٌ منكم مِن الغائط أو لامَسْتُمُ النِّساءَ ....) أما المرض المُبِيح للتيمم فهو الذى يخاف معه مِن استعمال الماء فوات عُضْو أو شَيْنه أو تطويل البُرْء، ومِن العلماء مَن جَوَّزَ التيمم بمجرد المرض لعموم الآية . قال مجاهِد : نزلت فى رَجُل مِن الأنصار كان مريضا فلم يستطع أن يقوم فيتوضأ ولَم يكن له خادم فيناوله فأتَى النبىَّ فذكَر له فأنزَل اللهُ هذه الآية.

والسَّفَر معروف لا فَرْقَ بين الطَّويل والقَصير، والغائِط هو المكان المُطْمَئِن مِن الأرض كُنى بذلك عن التَّغَوُّط وهو الحَدَث الأصغر .

وأما قوله (أوْ لامَسْتُم النساء) فقُرِئ (لَمَسْتُم) و (لامَسْتُم) واختلفَ المُفَسِّرُون فى معنى ذلك على قوْلَيْن :

---

(١) ، (٢) الصلاة قُرَّة عيون المُؤمِنين ـ الشيخ د / طلعت زهران

(٣) تفسير السعدى رحمه الله تعالى



وقال آخَرونَ : عَنَى اللهُ بذلك كل مَن لَمَسَ بيده أو بغيرها مِن أعضاء الإنسان، وأوْجَبَ الوُضُوء على كل مَن مَسَّ بشئ مِن جَسَده شيئا مِن جَسَدها مُفْضِيَاً إليه عن عبد الله بن مسعود قال : القُبْلَة مِن المَسِّ ومِنها الوُضُوء . وَرَوَى مالِك رحمه الله عن ابن عمر عن أبيه أنه كان يقول : قُبْلَة الرَّجُل امرأته وَجَسُّه بيده مِن المُلامَسَة .

قال ابن جَرير : وأوْلَى القَوْلَيْن فى ذلك بالصَّوَاب قول مَن قال : عنى اللهُ بقوله (أوْ لامَسْتم النساء) الجِماع دون غيره مِن معانِى اللَّمْس لِصِحَّة الخَبَر عن رسول الله أنَّه قَبَّلَ بعض نسائه ثم صَلَّى ولَم يتوضَّأ (١)

والذى انتهَى إليه التحقيق فى لَمْس المَرْأة أنه لا ينقض الوضوء إلا إذا كان لشهوة وكان المُلامِس يعرف مِن نَفْسِه أنه يخرج مِنه مَذْى باللمس، وأما إذا لَم يُؤَدِّ اللمس إلى خروج المَذْى، فلا ينتقض الوُضُوء، والمَسْألَة راجِعَة إلى حالة المُلامِس فكل ما أفْضَى إلى الإمْذاء فهو ناقِضُ للوُضوء (٢)

وقوله تعالى (فإن لَم تَجِدُوا ماءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً) اسْتَنْبَطَ كثيرٌ مِن الفقهاء مِن هذه الآية أنه لا يجوز التيمم لعادِم الماء إلا بعد طَلَب الماء، فَمَتَى طَلَبَ الماء فَلَم يجده جاز له حِينَئِذٍ التَّيَمُّم .

فالتيمم لُغَة : القَصْد، والصَّعِيد التُّراب وهو قول الشافِعِى وأحمد بن حنبل وأصحابهما واحْتَجُّوا بقوله تعالى (فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً) أى تُرابا أمْلَس طَيِّباً، وقال مالِكٌ رحمه الله : هو كل ما صَعَد على وَجْه الأرض فيدخل فيه التراب والرَّمْل والشَّجَر والنَّبات . وفى صحيح مسلم عن حُذَيْفَة بن اليَمَان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فُضِّلنا على الناس بثلاث : جُعِلَتْ صُفوفنا كَصُفوف الملائِكَة، وجُعِلَتْ لنا الأرض كلها مَسْجِدا، وَجُعِلَتْ تُرْبَتُها لنا طَهُورا إذا لَم نَجِد الماء)(٣) قالوا فَخَصَّصَ الطهورية بالتراب فى مقام الامتنان والطَّيِّب هاهنا: قيل الحلال وقيل الذى ليس بنَجِس (٤)

وقوله تعالى (فامْسَحُوا بوُجُوهِكُم وأيْدِيكُم) التيمم بدل عن الوُضوء فى التطهر به، لا أنه بَدَل منه فى جميع أعضائه . ويَكْفِى مَسَح الوَجْه واليَدَيْن فقط بالإجماع . واخْتَلَفَ الأئمة فى كَيْفِيَّة التيمم على أقوال :

أحَدها : وهو مذهَب الشافعى فى الجَديد أنه يجب أن يمسح الوجه واليدين إلى المِرْفَقَيْن بِضَرْبَتَيْن

والثانى : أنه يجب مسح الوجه واليدين إلى الكَفَّيْن بضربتين وهو قول الشافِعى فى القديم .

---

(١) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى

(٢) هامِش التعليق على تفسير السعدى لابن عثيمين رحمه الله تعالى

(٣) رواه مسلم وأحمد والنسائى رحمهم الله تعالى **(٤) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى**



والثالث : أنه يكفى مسح الوجه والكفين بضربة واحدة لِما رُوِىَ أن رَجُلا أتَى عمرَ فقال : إنِّى أجْنَبْتُ فَلم أجِد الماء، فقال عمر : لا تُصَلِّ . قال عمار : أمَا تَذْكُر يا أمير المؤمنين إذْ أنا وأنتَ فى سَرِيَّةٍ فَأجْنَبْنا فَلم نَجِد الماءَ، فأمَّا أنتَ فَلَم تُصَلِّ، وأمَّا أنا فَتَمَعَّكْتُ فى التُّراب فَصَلَّيْتُ فلمَّا أتَيْنا النبىَّ ذَكَرت له ذلك فقال (إنما يَكْفيكَ وضَرَب النبىُّ صلى الله عليه وسلم بيده الأرضَ ثُمَّ نَفَخَ فيها وَمَسَحَ وَجْهَه وَكَفَّيْه)(١)

وقوله تعالى (فامْسَحُوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان غفوراً رحيماً) أى مِن عَفْوِه وغُفْرانه لكم أنه شَرَعَ لكم التيمم، وأباح لكل فِعْل الصلاة به إذا فقدتم الماءَ، توسِعَةً عليكم ورُخْصَةً لكم وذلك أن هذه الآية الكريمة فيها تنزيه الصلاة أن تفعل على هيئة ناقِصَة مِن سُكْرٍ حتى يَصْحُوَ المُكَلَّفُ ويَعْقِل ما يقول، أو جَنابَة حتى يغتسل أو حدث حتى يتوضَّأ إلا أن يكون مريضاً أو عادِماً للماء (٢)

سَبَب نُزُول مَشْرُوعِيَّة التَّيَمُّم :

عن عائشة رضى الله عنها قالت : خَرَجْنا مع رسول الله فى بعض أسْفاره، حتى إذا كُنَّا بِالبَيْداء أو بذات الجَيْش انْقَطَعَ عِقْدٌ (٣) لى، فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على الْتِماسِه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فأتَى الناس إلى أبى بكر فقالوا : ألا تَرَى ما صَنَعَتْ عائشة ؟ أقامت برسول الله وبالناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر ورسول الله واضِع رأسه على فَخِذِى قد نام، فقال : حَبَسْتِ رسولَ الله والناس ليسوا على ماء وليس معهم ماء، قالت عائشة : فعاتَبَنِى أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول وجَعَل يطعن بيده فى خاصِرَتِى(٤) ولا يمنعنى مِن التحرك إلا مكان رأس رسول الله على فخذى فقام رسول الله على غير ماء حين أصبح، فأنْزَلَ الله آيَة التَّيَمُّم فَتَيَمَّمُوا، فقال أُسَيْد بن حُضَيْر : ما هى بِأوَّلِ بَرَكَتكم يا آل أبى بكر، قالت عائشة : فَبَعَثْنا البَعِير الذى كنتُ عليه فَوَجَدْنا العِقْد تَحْتَه (٥)

فوائد مِن الآية الكريمة :

١ ـ لفظ (الجُنُب) لا يُؤَنَّث، ولا يُثَنَّى، ولا يُجْمَع، لأنه على وَزْن المَصْدَر كالقُرْب والبُعْد، يقال هو جُنُب وهى جنب وهم جنب وهُنَّ جُنُب .

٢ ـ الإجماع على أن التيمم بالتُّراب المُثَبَّت الطَّاهِر غير المَنْقُول ولا المَغْصوب، والإجماع على عدم جَوَاز التيمم على الذَّهَب والفِضَّة والياقوت والأطْعِمَة كالخُبْز واللَّحْم وغيرها وكذلك النَّجاسات.

٣ ـ تقرير مَبْدَأ النَّسْخ للأحكام الشَّرْعِيَّة فى القرآن والسُّنَّة إذ حُرِّمَتْ الخَمْر على مَراحِل.

---

(١) رواه أحمد والنسائى رحمهما الله تعالى **(٢) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى**

(٣) العِقْد : خَيْط يُنْظَمُ فيه الخَرَز ونحوه يُحِيط بالعُنُق. **(٤) الخاصِرَة : ما بين رأس الوَرِك وأسْفَل الأضلاع**

(٥) رواه البخاري رحمه الله تعالى



٤ ـ حُرْمَة مُكْث الجُنُب فى المَسْجِد وجواز العُبُور والاجتياز بدون مُكْثٍ للحاجَة.

٥ ـ وُجُوب الغُسْل على الجُنُب وهو مَن قامَت به جَنَابَة، بأن احْتلَمَ فرأى الماءَ أوْ جامَعَ أهْلَه فَأوْلَجَ ذَكَرَه فى فَرْجِ امرأته ولوْ لَم يُنْزِل ماءَ (مَنِيًّا) . روى مسلم فى صحيحه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (إذا جَلَسَ بين شُعَبِها الأرْبَع وَمَسَّ الخِتانُ الخِتانَ فقد وَجَبَ الغُسْلُ) وعلى هذا جماهير الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة ، وكَيْفِيَّة الغُسْل : أن يغسل كفيه قائلاً : بِسْم الله، ناوياً رفع الحَدَث الأكبر، ثم يستنجى فيغسل فَرْجَيْه وما حولهما، ثم يتوضأ فيغسل كفيه ثلاثا، ثم يتمضمض ويستنشِق الماء ويستنثره ثلاثا، ثم يغسل وجهه ويديه إلى المِرْفَقيْن، ويمسح برأسه وأذُنَيْه مرة واحِدَة، ثم يغسل رِجْلَيْه إلى الكَعْبَيْن (١) ثم يغمس كفيه فى الماء ثم يُخَلِّل أصُول شَعْر رَأسه، ثم يَحْثُو الماءَ على رأسه يغسله بكل حَثْوَة، ثم يَفِيض الماء على شِقِّه الأيْمَن يغسله، ثم على شِقِّه الأيْسَر يغسله مِن أعلاه إلى أسْفَلِه ويتعهد بالماء إبطَيْه وكل مكان مِن جِسْمِه يَنْبُو عنه الماء كالسُّرَّة وتحت الرُّكْبَتَيْن .

٦ ـ إذا لم يَجِد المَرْءُ الترابَ لِمَطَرٍ ونحوه يتيمم بكل أجزاء الأرض مِن رَمْلٍ وَسَبِخَة (٢) وحِجارَة، والتيمم هو أن يَضْرِبَ بِكَفَّيْه الأرض، ثم يمسَح وَجْهَهُ وكَفَّيْه بهما لحديث عَمَّار فى الصحيح .

٧ ـ بيان عَفْو الله وغُفْرانه لعدم مُؤَاخَذَة مَن صَلَّوْا وَهُم سُكَارَى (٣)

وَيُباح للمُتَيَمِّم ما يُباح للمُتَوَضِّئ مِن الصلاة والطَّوَاف وَمَسِّ المُصْحَف وله أن يُصَلِّى ما شاءَ له مِن النَّوَافِل والفَرَائِض فهو كالوُضُوء فى رَفْع الحَدَث سَواء بِسَواء على الرَّاجِح مِن أقوال أهل العِلْم خِلافاً للجمهور الذى قال : إن التيمم مُبيح للصلاة فقط وليس رافِعاً للحَدَث، وكل ما ينقض الوضوء ينقض التيمم لأن التيمم بَدَل مِن الوضوء . كما ينقضه وجود الماء لِمَن تَيَمَّمَ لِفَقْدِهِ لقوله تعالى (فَلَم تَجِدُوا ماءً فَتَيَمَّمُوا)(٤)

ومَن انتقض وضوءه بحدث أصغر يحرم عليه الصلاة، والطَّوَاف بالبيت، ومَسّ المُصْحَف بيده، ومَن كان مُحْدِثاً حَدَثاً أكبر كالجُنُب فَيَحْرُم عليه بالإضافة إلى ما ذُكِر قراءة القرآن والمُكْث فى المسجد (وإن تَوَضَّأ فلا بأس بالمرور لحاجة) قال تعالى (ولا جُنُبا إلا عابري سبيل) وذَكَر ابنُ كَثير رحمه الله أن عائشة رضى الله عنها دَخَلَتْ المسجد لحاجَة وهى حائِض) رواه مسلم، ولا بأس بالذِّكْر والدُّعاء للجُنُب فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَذْكُرُ اللهَ فى جميع أحيانه، لكن يُسْتَحَبُّ الوُضوء لِذِكْر اللهِ . وعند النوم ولو كان جُنُبا ويُنْدَب له قبل الغُسْل، وتجديده أى الوضوء لكل صلاة، أما الحائض والنُّفَسَاء فبالإضافة إلى ما مَرَّ مِن مُحَرَّمات الحَدَثَيْن فقد

---

(١) الكَعْب : العَظْم النَّاتِئ عِندَ مُلْتَقَى السَّاق والقَدَم . جمعه كُعُوب وكِعاب (المعجم الوَجيز)

(٢) سَبِخَة : أرض ذات نَزٍّ وَمِلْح . والنَّزّ : الماء الذى يُتَحَلَّب منه الأرض (المعجم الوجيز)

(٣) أيسر التفاسير – الجزائرى (٤) الصلاة قُرَّة عيون المؤمنين – الشيخ د / طلعت زهران



ما يَحْرُم على المُحْدِث :

اتَّفَقُوا على أنها لا تصوم ولا تُصَلّى ولا يَحِلُّ وَطْؤها ولا طَلاقها حتى تَطْهُر والمُسْلِم والمسلِمَة لا يَنْجس بَدَنُهما بِجَنَابَة أَوْ حَيْضٍ أَوْ نِفاسٍ، والجُنُب إذا أراد النَّوْم أو الأكْل أو إعادَة الجِماع وكَسُل عن الاغتِسال فيتوضأ ولا بأس أن يُؤَخِّرَ الغُسْل حتى آخِر الليل والله أعلَم(١)

الأغسال المُسْتَحَبَّة :

آكِدها غُسْل الجُمُعَة (٢) ثم العِيدَيْن والكُسُوف والاسْتِسْقاء والغُسْل مِن تَكْفين المَيت ومِن الإغماء والجُنون وغُسْل المُسْتَحاضَة لكل صلاة وللإحْرام ودُخُول مَكَّة والوُقوف بعَرَفَة والمَبيت بِمُزْدَلِفَة ورَمْى الجِمار وطواف الزيارة وطواف الوَدَاع وليس شئ مِن ذلك واجِباً (٣)

فائدة : اعْلَم أن قواعد الطِّبِّ تدور على ثلاث قواعد هى :-

حِفْظ الصِّحَّة عن المُؤذِيات، والاسْتِفْراغ منها، والحِمْيَة عنها، وقد نَبَّه اللهُ تعالى عليها فى كِتابه العزيز، أمَّا حِفْظ الصحة والحِمْيَة عن المُؤْذِى فقد أمَرَ بالأكل والشُّرْب وعدم الإسراف فى ذلك، وأباحَ للمُسافِر والمَريض الفِطْر حِفْظاً لصحتهما باسْتِعْمال ما يصلح للبَدَن على وَجْه العَدْل وحماية للمَريض عَمَّا يَضره، وأما اسْتِفراغ المُؤْذِى فقد أباح اللهُ تعالى للمُحْرِم المُتَأَذّى برأسه أن يحلقه لإزالة الأبْخِرَة المُحْتَقِنَة فيه، ففيه تَنْبيه على اسْتِفْراغ ما هو أوْلى منها مِن البَوْل والغائِط والقَئ والمَنِىّ والدَّمِ وغير ذلك ، نَبَّه على ذلك ابنُ القَيِّم رحمه الله تعالى (٤)

---

(١) أصول المنهج الإسلامى – العبيد ص ١٥٢

(٢) هناك مِن العلماء مَن يرى وجوب غُسْل الجمعة لحديث (غُسْل الجمعة واجِب على كل مُحْتَلِم) رواه مالك وأحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجَه، لكِن الصحيح أنه سُنَّة وهو رأى الجمهور؛ لقوله صلى الله عليه وسلم (مَن تَوَضَّأ يَوْم الجمعة فَبِها وَنِعِمَتْ ومَنِ اغْتَسَل فالغُسْل أفْضَل) رواه أحمد والترمِذى والنسائى وأبو داود والدَّارمِى

(٣) أصول المنهج الإسلامى – العبيد ص ١٥٣

(٤) تفسير السعدى رحمه الله تعالى



النداء الثانى والعشرون ـ قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩) ﴾

سورة النساء : ٥٩

سبب نزول الآية الكريمة :

رَوَى البُخارِىّ فى صَحِيحِه عن ابن عباس قال : نَزَلَتْ فى عبد اللهِ بن حُذافة بن قَيْس الأنصارى البَدْرى وكان به دُعابَة إذ بَعَثَه رسول الله صلى الله عليه وسلم على سَرِيَّة فَأمَرَهم يوما أن يجمَعُوا حَطَباً ويُوقِدوا نارا ففَعَلوا، ثم أمرهم أن يَدْخُلوها مُحْتَجَّاً عليهم بقوله صلى الله عليه وسلم (مَن أطاعَ أميرى فقد أطاعَنِى وَمَن عَصَى أمِيرى فقد عَصانِى) فَلَم يَسْتَجيبُوا له، وقالوا له : إنما آمَنَّا وَأسْلَمْنا لِنَنْجُوَ مِن النَّار فَكَيْفَ نُعَذِّب أنْفُسَنا بها، وذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (لَوْ دَخَلُوها ما خَرَجُوا مِنْها إنَّما الطاعَةُ فى المَعْروفِ) وقال صلى الله عليه وسلم (السَّمْعُ والطَّاعَة حَقٌ عَلَى المَرْءِ المُسْلِم فيما أَحَبَّ وَكَرِه ما لَمْ يُؤْمَر بِمَعْصِيةٍ فَلا سَمْعَ عَلَيْهِ ولا طاعَة)(١) وقال صلى الله عليه وسلم (مَن رَأى مِن أميره شيئاً يَكْرَهُه فَلْيَصْبِر عليه فإنه لَيْسَ أحَدُ يُفارِق الجَمَاعَة شِبْرَاً فَيَموت إلا ماتَ مِيتَة جاهِلِيَّة)(٢) وعن عُبادَة بن الصَّامِت رضى الله عنه قال : بايَعْنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى مَنْشَطِنا ومَكْرَهِنا وعُسْرِنا ويُسْرِنا وأثَرَة علينا وأنْ لا نُنَازِعَ الأمْرَ أهله قال : (إلا أن تَرَوْا كُفْراً بَوَاحاً عِندَكم فيه مِن الله بُرْهان)(٣)

قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (وأُولِى الأمر منكم) : يعنى أهلَ الفِقْه والدِّين . وكذا قال مجاهِد وعطاء. (وأولى الأمر منكم) يعنى العُلَماء والظاهِر والله أعلم أنها عامَّة فى كل أولِى الأمر مِن الأمَراء والعلماء ولهذا قال تعالى (أطيعوا الله) أى اتَّبِعُوا كِتابه (وأطيعوا الرسول) أى خُذُوا بِسُنَّتِه (وأولى الأمر منكم) أى فيما أمروكم به مِن طاعة الله لا فى معصية فإنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق كما تقدم فى الحديث الصحيح (إنما الطَّاعَةُ فى المَعْرُوفِ) وقوله (فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول ..) قال مجاهد : (أى إلى كتاب الله وسنة رسوله) وهذا أمر مِن الله عز وجل بأن كل شئ تنازَعَ فيه الناس فيه مِن أصُولِ الدِّين وفروعه أن يُرَدَّ التنازُع فى ذلك إلى الكتاب والسنة كما قال تعالى (وما اخْتَلَفْتُم فيه مِن شَئ فَحُكْمُه إلى الله)

---

(١) رواه أحمد و البخارى ومسلم رحمهم الله عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما

(٢) رواه أحمد والبخارى ومسلم رحمهم الله عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما

(٣) رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى



مما حكم به الكتابُ والسنة وشهد له بالصحة والحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ ولهذا قال تعالى (إن كنتم تُؤمِنون بالله واليوم الآخِر) أى رُدُّوا الخُصومات والجَهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله فتحاكموا إليها فيما شَجَرَ بينكم، فَدَلَّ على أن مَن لم يتحاكَم فى محل النِّزاع إلى كتاب الله والسنة ولا يَرْجِع إليهما فى ذلك فليس مُؤمِناً بالله ولا باليوم الآخِر. وقوله (ذلك خَيْر) أى التَّحاكُم إلى كتاب الله وسنة رسوله، والرجوع إليهما فى فَصْل النِّزاع خير (وأحسن تأويلا) أى وأحسن عاقِبَة ومَآلا كما قال السدى، وقال مجاهد : وأحْسَن جزاء وهو قريب (١)

ولهذا أنْكَرَ الله عز وجَلَّ فى الآية التى تليها على مَن يَدَّعِى الإيمان بما أنْزَلَ الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى الأنبياء الأقْدَمِينَ، وهو مع ذلك يريد التحاكم فى فصل الخُصُومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مِن القوانين الوَضْعِيَّة التى ما أنزَلَ الله بها مِن سُلْطان والله المستعان . فقال تعالى ((ألَم تَرَ إلى الذين يَزْعُمُونَ أنهم ءَامَنُوا بما أُنْزِل إليك وما أُنْزِلَ مِن قَبْلِك يُرِيدُونَ أنْ يَتَحاكَمُوا إلى الطَّاغُوتِ وقد أُمِروا أن يَكْفُروا به ويريدُ الشَّيطانُ أن يُضِلَّهُم ضلالاً بعيداً)(٢)

قال سَهْلُ بنُ عبد الله : لا يزال الناسُ بِخَيْرٍ ما عَظَّمُوا السُّلْطانَ والعُلَماءَ فإن عظَّمُوا هَذَيْن أصْلَحَ اللهُ دُنياهم وأُخْراهم وإن اسْتَخَفُّوا بِهَذَيْن فَسَدَتْ دنياهم وأُخْراهم .

فصل فى وجوب طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم :

قال تعالى (فلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَر بَيْنَهُم ثُمَّ لا يَجِدُوا فى أنفُسِهم حَرَجاً مِما قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً)(٣) وقال سبحانه :

(فَلْيَحْذَرِ الذين يُخالِفون عن أمْرِه أن تُصِيبَهُم فِتْنَةٌ أو يُصِيبَهُم عَذابٌ أَلِيمٌ)(٤) وقال عز وجل :

(وما كان لِمُؤمِنٍ ولا مُؤْمِنَةٍ إذا قضَى اللهُ وَرَسُولِه أمْراً أن يَكُونَ لَهُم الخِيَرةُ مِن أمْرِهِم ومَن يَعْصِ اللهَ ورسولَه فقد ضَلَّ ضَلالا مُبيناً)(٥) وقال تعالى :

(لقد كان لكم فى رَسُولِ اللهِ أُسْوَة حَسَنَة لِمَن كان يَرْجُو اللهَ واليَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كثيراً)(٦)

---

(١) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى

(٢) سورة النساء : ٦٠

(٣) سورة النساء : ٦٥

(٤) سورة النور : ٦٣

(٥) سورة الأحزاب : ٣٦

(٦) سورة الأحزاب : ٢١



وقال صلى الله عليه وسلم : (كل أُمَّتِي يدخلون الجَنَّة إلا مَن أَبَى . قالوا وَمَن يَأْبَى يا رسول الله ؟ قال : مَن أطاعَنِي دَخَلَ الجَنَّة ومَن عَصاني فقد أَبَى)(١) وقال(ما مِن نَبِي بَعَثَه اللهُ في أُمَّةٍ قَبْلِي إلا كان له مِن أُمَّتِه حَوارِيُّونَ وأَصْحابٌ يأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ ويقتدون بأمره ثم إنها تَخْلُفُ مِن بعدهم خُلُوف يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُون وَيَفْعَلُونَ ما لا يُؤْمَرُونَ فَمَن جاهَدَهُم بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِن، ومَن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومَن جاهدهم بِقَلْبِه فَهُوَ مُؤمِن وليس وَراء ذلك مِن الإيمان حَبَّة خَرْدَل)(٢)، قالت عائشة رضى الله عنها : صَنَعَ رَسُولُ اللهِ شيئا تَرَخَّصَ فيه وتَنَزَّه عنه قومٌ فَبَلَغَ ذلك النَّبِيَّ، فَحَمِدَ اللهَ ثم قال (ما بالُ أقوامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَن الشَّئِ أَصْنَعُه ؟ فَوَ اللهِ إنِّي أَعْلَمُهُم باللهِ وأَشَدهم لَهُ خَشْيَة)(٣) عن العِرباض بن سارِيَة رضى الله عنه قال : وَعَظَنا رسولُ اللهِ يَوماً بعد صلاة الغَدَاة مَوْعِظَة بَلِيغَة ذَرَفَتْ منها العُيونُ ووجِلَتْ منها القلوبُ، فقال رجل : إن هذه مَوْعِظَة مُوَدِّع فماذا تَعْهَدَ إلينا يا رسولَ اللهِ ؟ فقال : (أُوصِيكُم بِتَقْوَى اللهِ، والسَّمْع والطَّاعَةِ، وإنْ أُمِّرَ عَلَيْكُم عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فإنَّه مَن يَعِشْ مِنكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلافاً كَثِيراً، فَعَلَيْكُم بِسُنَّتِي وسُنَّةِ الخُلفاءِ المَهْدِيينَ الرَّاشِدِينَ ، تَمَسَّكُوا بها، وعَضُّوا عليها بالنَّوَاجِذ، وإيَّاكم وَمُحْدَثاتِ الأُمُورِ؛ فإنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَة)(٤)(٥)

فصل في وُجُوب الاحْتِكام إلى الكِتاب والسُّنَّة في كُلِّ ما وَقَعَ مِنَ الخِلاف :

فكل ما وقع فيه الخِلاف بين الصَّحابة فَمَن بَعْدَهم يجب رَدُّه إلى الكِتابِ والسُّنَّة، قال تعالى (فإنْ تَنازَعْتُمْ في شئ فَرُدُّوه إلى اللهِ والرَّسُول)(٦) فالرَّدُّ إلى اللهِ تَعالى هُوَ الرَّدُ إلى كِتابه، والرَّدُّ إلى الرسول هو الرد إلى سُنَّته بعد انقطاع الوَحْى، فما وافقهما قُبِلَ، وما خَالَفَهما رُدَّ، على قائله كائناً مَن كان، وقال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم وهو أَرْجَح الخلائِق عَقْلا وأَوْلاهُم بِالصَّواب (لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاس بما أَرَاكَ اللهُ) ولَم يَقُل بما رَأَيْتَ، وهو صلى الله عليه وسلم لا يقول في التشريع إلا عَن الله عز وجل ولهذا لَم يُجِبْ اليهودَ في سُؤالهم عن الرُّوح، ولا جابراً في سُؤاله عن مِيراث الكَلالَة، ولا المُجادِلَة في سؤالها عن حُكْم الظِّهار حتى نَزَلَ القرآن بتفصيل ذلك وبيانه (٧)

---

(١) رواه البخارى رحمه الله تعالى عن أبى هريرة رضى الله عنه

(٢) رواه مسلم رحمه الله تعالى عن ابن مسعود رضى الله عنه

(٣) رواه البخارى رحمه الله تعالى عن عائشة رضى الله عنها

(٤) رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه والحاكم رحمهم الله تعالى عن - ص .ج رقم ٢٥٤٩

(٥) مختصَر معارج القبول ـ الشيخ / هشام عُقْدَة (٦) سورة النساء : ٥٩

(٧) فكان الجواب على سؤال اليهود فى سورة الإسراء الآية ٨٥ (ويسألونك عن الرُّوح قل الرُّوحُ مِن أمْر رَبِّى ...) والجواب على سؤال جابر فى ميراث الكلالة وبيان المراد بها فى سورة النساء فى آخِر آيَة مِن السورة (يَسْتَفْتُونَكَ فى الكَلالَةِ قل اللهُ يُفْتِيكُمْ فى الكلالة إن امْرُؤٌ هَلَكَ ...) وكلاهما صحيح، وكان الجواب على سؤال المجادِلَة عن حُكْمِ الظِّهار . وهو قول الرجل لامرأته : (أنت عَلَيَّ كظهر أمى) فى صدر سورة المجادلة الآيات ١ : ٤ (قدْ سَمِعَ اللهُ قوْلَ التى تُجادِلُكَ فى زَوْجِها وتَشْتَكِى إلى اللهِ ....)

وقال على بن أبى طالب: لو كان الدِّين بالرأى لكان أسْفَل الخُفِّ أوْلَى بالمَسْح مِن أعْلاه، وقد رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يمسح على ظاهر خُفَّيْهِ (١)

وقد أفتَى عُمَرُ بنُ الخطاب السائِلَ الثَّقَفِىّ فى المرأة التى حاضَتْ بعد أن زارت البيت يوم النحر ألّا تنفر، فقال الثقفى : إن رسول الله أفتانِى فى مِثل هذه المرأة بغير ما أفْتَيْتَ به، فقام عمرُ إليه وَضَرَبَه بالدِّرَّة (٢) . ويقول له : لِمَ تَسْتَفتِى فى شئ قد أفتَى فيه رسول الله ؟

وقال عمرُ بن عبد العزيز : لا رَأى لأحَدٍ مع سُنَّةٍ سَنَّها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال الشافعى : أجمع الناس على أن مَن استبانَت له سُنَّة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يَدَعَها لِقَوْلِ أحَدٍ مِن الناس ، وقال رحمه الله : ما مِن أحَدٍ إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله وتَعْزُب عنه، فمهما قلتُ مِن قولٍ وأصَّلْتُ فيه عن رسول الله خِلاف ما قلتُ، فالقول ما قال رسول الله وهو قولى، وجعل يُرَدِّدُ الكلامَ (٣)

وقال الشيخ حافِظ حَكَمِى فى مَنْظُومته سُلَّم الوُصُول إلى عِلْم الأُصُول فى التوحيد :

وَكُلُّ ما خَالَف للوَحْيَيْـــن ... فإنَّــه رَدٌّ بغَيْــر مَيْـــــن(٤)

وكل ما فيه الخِلافُ نُصِبا ... فَرَدُّه إليْهمـــا قدْ وَجَبــــا

فالدِّينُ إنَّما أتَى بالنَّقْـــل ... لَيْسَ بالأوْهامِ وَحَدْس(٥) العَقْلِ

ويأتِى قوله تعالى (وما أرسَلنا مِن رَسول إلا لِيُطاعَ بإذْنِ اللهِ ولو أنهم إذ ظَلَمُوا أنْفُسَهُم جاءوكَ فاستَغْفَرُوا اللهَ واستَغْفَرَ لهم الرسولُ لَوَجَدوا اللهَ تَوَّابا رحيماً)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : (أى فُرِضَتْ طاعته على مَن أرسله إليهم وقوله (بإذن الله) قال مجاهِد : أى لا يطيع أحد إلا بإذنى يعنى لا يطيعه إلا مَن وَفَّقَه لذلك (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم) يريد تعالى العُصاة والمُذْنِبين إذا وَقَعَ منهم الخطأ والعِصْيان أن يأتوا رسولَ الله فيستغفروا الله عنده ويسألوه أن يستغفر لهم فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم ولهذا قال (لَوَجَدوا اللهَ تواباً رحيماً)

---

(١) حديث صحيح انظر المِشْكاة بتحقيق الألبانى رحمه الله تعالى حديث رقم ٥٢٥ ج١

(٢) الدِّرَّة : السَّوْط يُضْرَب به . جمعها دِرَر (المعجم الوجيز)

(٣) مختصر معارج القبول – هشام عُقْدَة

(٤) مانَ فلانٌ مَيْناً : كَذَبَ. فَهُوَ مائِن . مَيْن : كَذِب (المعجم الوجيز)

(٥) الحَدْس : الفِراسَة (المعجم الوَجيز)



وقد اسْتَدَلَّ بعض الجُهَّال الضُلَّال مِن الصُّوفِيَّةِ وغَيْرِهم بهذه الآية أنه يجوز الذهاب إلى قبر الرَّسول ويستغفرون اللهَ تعالى عند قبره ويَتَوَسَّلُونَ به، وهذا غير مشروع ولَم يَفْعَلْه أَحَدٌ مِن الصحابة ولا التابِعين ، لكن المراد بذلك مِن الآية فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وليس بعد مَوْته .

وقوله تعالى (فلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنون حتى يُحَكِّمُوك فيما شَجَرَ بينهم ....) الآية

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : (يُقْسِمُ اللهُ بِنَفْسِهِ الكَرِيمَةِ المُقَدَّسَةِ أنه لا يُؤْمِن أَحَدٌ حتى يُحَكِّمَ الرسولَ فى جميع الأمور، فَما حَكَمَ به فهو الحق الذى يَجِب الانقياد له باطِنا وظاهِرا، ولهذا قال (ثُمَّ لا يَجِدوا فى أنفسهم حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ ويسلِّمُوا تسليماً) أى إذا حَكَّمُوكَ يطيعونك مِن بواطِنِهم فلا يَجِدُونَ فى أنفسهم حَرَجا مِمَّا حَكَمْتَ به وينقادون له فى الظاهِر والباطِن فيُسَلِّمُون لذلك تسليما كُلِّيًّا مِن غَيْرِ مُمَانَعَة ولا مُدافَعَة ولا مُنازَعَة)

وقال تعالى : (وَمَن يُطِعِ اللهَ والرسولَ فأُولئِكَ مع الذين أنْعَمَ اللهُ عليهم مِنَ النَبيين والصِّدِّيقينَ والشُهَداء والصالِحِينَ وَحَسُنَ أولئك رفِيقا) سورة النساء : ٦٩

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : (أى مَن عَمِلَ بما أمَرَه الله به ورسولُه وتَرَكَ ما نهاه اللهُ عنه ورسولُه فإن الله عز وجَلَّ يُسْكِنه دار كَرامَته ويجعله مُرَافِقاً للأنبياء ثم لِمَن بَعْدَهم فى الرُّتْبَة وهم الصديقون ثم الشهداء ثم عُمُوم المُؤمِنين وهم الصالِحُونَ مِن الذِينَ صَلَحت سَرائِرهم وعلانيتهم، ثم أثْنَى عليهم تعالى فقال (وَحَسُنَ أولئك رفِيقا) . وقال البخارى عن عائِشَة قالت : سمعت رسول الله يقول (ما مِن نَبِىٍّ يَمْرَض إلا خُيِّرَ بين الدنيا والآخِرَة) وكان فى شَكْوَاه التى قُبِضَ فيها أخَذَتْه بُحَّة شديدة . فَسَمِعته يقول (مع الذين أنعم الله عليهم مِن النبيين الصديقين والشهداء والصالحين) فَعَلِمْتُ أنَّه خُيِّرَ. وهذا معنىقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الآخَر (اللهم الرَّفِيقَ الأعْلَى) ثلاثاً

سبب نزول هذه الآية الكريمة :

ثبت فى صحيح مسلم عن ربيعة بن كَعْب الأسْلَمِىّ أنه قال : كنتُ أبِيتُ عند النبى صلى الله عليه وسلم فَآتِيه بوَضُوئِه وحاجته، قال لى : سَلْ . فقلتُ يارسول الله : أسألك مُرَافَقَتَكَ فى الجَنَّةِ. فقال : أَوَغَيْرَ ذلك ؟ قلتُ : هو ذاك . قال : (فَأَعِنِّى عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ)

وثبت فى الصحيح والمَسَانِيد وغيرهما، مِن طُرُقٍ مُتَواتِرَة عن جماعة مِن الصحابة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئِلَ عن الرَّجُل يُحِبُّ القَوْمَ ولَمَّا يَلْحَقْ بهم ؟ فقال : (المَرْءُ مع مَن أَحَبَّ)، قال أنَس : فما فَرِحَ المُسْلِمون فرحهم بهذا الحديث . وفى رواية عن أنَس أنه قال : إنى لأُحِبُّ رسولَ الله وأُحِبُّ أبا بكرٍ وَعُمَر رضِى الله عنهما وأرجو أن يَبْعَثَنِى معهم وإن لَم أعْمَل كَعَمَلِهم (١)

---

(١) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى



النِّداء الثالِث والعِشْرُون ـ قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا (٧١) ﴾

سورة النساء : ٧١

أَخْذُ الحِذْر : هو تَوَقِّى المَكْروه بالأسباب المُمْكِنَة المَشْرُوعَة .

لأنه سبب شَرَعَه اللهُ تعالى لِتَوَقِّى المَكْرُوه ولكِنَّه لا يمنع المَقدور، وأخْطَأتْ القَدَرِيَّةُ إذ قالوا : الحَذَر يَرُدُّ القَدَر، ولولا أنه كذلك ما أمروا به . وهو خَطَأ اعتِقادي، فالأسباب تُؤتَى طاعة لله تعالى، وأما دفع المقدور أى ما قَدَّرَه الله على الإنسان فلا بد مِن وُقُوعه، وفائدة الأخْذ بالأسباب إبعاد الخَوْف عن النَّفْس وحصول شعور الفَوْز والنَّجاة (١)

(انْفِرُوا) نَفَرَ إلى الحَرْب يَنْفُرُ وَيَنْفِرُ نَفْراً ومنه النَّفْر . قال تعالى (انفروا خِفافاً وثِقالا .....) وقال (إلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبكم عذابا أليما) وقال (ما لَكُمْ إذا قِيلَ لكم انفِروا فى سبيل الله اثاقَلْتُم) والاسْتِنْفار حث القوم على النَّفْر إلى الحَرْب، والاسْتِنْفار حَمْل القوم على أن يَنْفِرُوا أى مِن الحرب، والاستنفار أيضاً طَلَب النِّفار، والنَّفْر والنَّفِير والنَّفْرَة عِدَّة رجالٍ يُمْكِنهم النَّفْر (٢)

يقول ابن كثير رحمه الله تعالى فى تفسيره :

يأمر الله تعالى عِبادَه المؤمنين بأخذ الحذر مِن عدوهم وهذا يستلزم التَّأهُّب لهم، بإعْداد الأسْلِحَة والعُدَد، وتكثير العَدَد بالنَّفِير فى سبيل الله (ثُبَات) أى جَماعَة بعد جَماعة، وفِرْقَة بعد فرقة، وَسَرِيَّة بعد سرية، والثُّبَات جمع ثبة وقد تُجمَع الثبة على ثبين، قال ابن عباس : يعنى سَرايَا مُتَفرِّقِين . (انفِروا جميعا) يعنى كلكم وقوله (وإنَّ مِنكم لَمَن لَيُبَطِّئَنَّ) قال مجاهد : نَزَلَت فى المُنافِقِين (لَيُبطِئن) أى لَيَتَخَلَّفَنَّ عن الجِهاد . وَيُحْتَمَل أن يكون المراد أنه يَتَباطأ هو نَفْسه وَيُبَطِّئ غَيْرَه عن الجِهاد كما قال عبد الله بن أُبَىّ بن سَلُول - قَبَّحَه اللهُ – يفعل، يتأخَّر عن الجِهاد، وَيُثَبِّط الناس عن الخروج وهذا قول ابن جُرَيْج وابن جَرِير، ولهذا قال تعالى إخْباراً عن المُنافِق أنه يقول إذا تأخَّر عن الجهاد (فإنْ أصابَتْكُم مُصيبة) أى قَتْل وشهادة وغلب العدو لكم لِما فى ذلك مِن الحِكْمَة (قال قد أنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ إذ لم أكُن مَعَهم شَهيداً) أى : إذ لم أحضر معهم وَقْعَة القِتال، يُعِدُّ ذلك مِن نِعَم اللهِ عليه . وَلَم يَدْرِ ما فاتَه مِن الأجْر فى الصَّبْر والشَّهادَة إن قُتِلَ .

(ولَئِن أصابَكُم فَضْلٌ مِن الله) أى: نَصْر وَظَفَر وغَنيمَة (لَيَقُولَنَّ كأنْ لَمْ تَكُنْ بينكم وبينه مَوَدَّة) أى : كأنَّه ليس مِن أهْل دِينكم (يا لَيْتَنِى كُنْتُ معهم فأفوزَ فَوْزاً عظيماً) أى بأن يضرب لى بِسَهْمٍ معهم فأحصل عليه وهو أكبر قصده وغاية مُرادِه.

---

(١) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ص٢٧٧

(٢) المفردات فى غريب القرآن – الأصفهانى

ثم قال تعالى (فَلْيُقاتِل) أى المُؤْمِنُ النَّافِرُ (فى سبيل الله الذين يَشْرُونَ الحياةَ الدنيا بالآخِرَة ..) أى يبيعونَ دينهم بِعَرَضٍ قليل مِن الدنيا وما ذلك إلا لِكُفْرِهم وعدم إيمانهم ، ثم قال تعالى (وَمَن يُقاتِلْ فى سبيل الله فَيُقتَل أو يَغْلِب فَسَوْفَ نُؤتِيه أجْراً عَظيماً) أى كل مَن قاتَلَ فى سبيل الله سواء قُتِلَ أو غَلَبَ فَله عند الله مَثُوبَة عظيمة وأجْر عظيم كما ثبت فى الصحيحين وتكفل الله للمُجاهِد فى سبيله إنْ تَوَفَّاه اللهُ أن يُدْخِلَه الجَنَّة أو يُرْجِعه إلى مَسْكَنه الذى خَرَج منه بما نال مِن أجْرٍ وغَنيمة .

ثم قال تعالى (وما لَكُم لا تُقاتِلونَ فى سَبِيل اللهِ والمُسْتَضْعَفينَ مِن الرِّجالِ والنِّساءِ والوِلْدان ....)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى :

يُحَرِّض تعالى عِبادَه المؤمنين على الجِهاد فى سبيله، وعلى السَّعْى فى استنقاذ المستضعَفين بمكة، مِن الرِّجال والنساء والصِّبْيان مِن المُقام بها، ولهذا قال تعالى (الذين يقولون ربنا أخْرِجْنا مِن هذه القَرْيَة الظَّالِمِ أهْلُها) يعنى مَكَّة، كقوله تعالى (وَكَأيِّن مِن قَرْيَةٍ هى أشَد قُوَّةً مِن قريتك التى أخْرَجَتْك) سورة محمد : ١٣ ، ثم وَصَفَها بقوله (الظالِمِ أهلها واجْعل لنا وَلِيَّا واجْعَلْ لنا مِن لَدُنْكَ نَصيراً) أى سَخِّر لنا مِن عِندك وَلِيَّا وناصِراً، قال البخارى عن عبيد الله : قال سمعت ابن عباس قال : كنتُ أنا وأُمِّى مِن المُسْتَضْعَفِين (١)

ثم قال تعالى (الذين ءَامَنُوا يُقاتِلُونَ فى سبيل اللهِ والذين كَفَروا يقاتِلُون فى سبيل الطَّاغوت فقاتِلوا أولياءَ الشَّيْطان إنَّ كَيْدَ الشَّيْطان كان ضَعِيفاً) سورة النساء : ٧٦

معنى الطَّاغُوت :

طَغَى : طَغَوْت وطَغَيْتُ طُغْوَاناً وطُغْياناً وأطْغَاه . كذا حمله على الطُّغْيان . وذلك تَجَاوَزَ الحَدَّ فى العِصْيَان قال تعالى (إنَّه طَغَى - إن الإنسانَ لَيَطْغَى) والطَّغْوى الاسم منه، قال (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطغواها) ، والطَّاغوت عبارة عن كل مُتَعَدٍّ وكل معبودٍ مِن دُونِ الله، ويستعمَل فى الواحِد والجَمْع قال تعالى (فَمَن يكفر بالطاغوت - والذين اجْتَنَبُوا الطاغوت - أولياؤهم الطاغوت - يريدون أن يَتَحاكَمُوا إلى الطاغوت) فَعِبارَة عن كل متعد ويسمى السَّاحِر والكاهِن والمارِد مِن الجِنِّ والصَّارِف عن طَريق الخَيْر طاغوتاً، وَوَزْنُه فيما قِيل فَعَلُوت نَحْو جَبَرُوت وَمَلَكُوت (٢)

والذى يُسْتَخْلَص مِن كلام السَّلَف رضى الله عنهم : أن الطَّاغُوت كلُّ ما صَرَفَ العَبْدَ عن عِبادَة الله وإخلاص الدِّين والطاعة للهِ ولرسوله، سَوَاء فى ذلك الشيطان مِن الجن والشيطان مِن الإنس والأشجار والأحجار وغيرها، ويدخل فى ذلك بلا شَكٍّ : الحُكْم بالقَوَانين الأجْنَبِيَّة عن الإسلام وشرائعه وغيرها مِن كل ما وَضَعَه الإنسان ليحكم به فى الدِّماء والفُرُوج والأمْوال، وليبطل بها شرائع الله مِن إقامَة الحُدُود وتحريم الرِّبَا والزِّنَى والخَمْر ونحو ذلك مما أخذتْ هذه القوانين تُحَلِّلُها وَتُحَرِّمُها بنفوذها ومُنَفِّذِيها، والقوانين الوَضْعِيَّة نفسها طَواغِيت وواضِعُوها وَمُرَوِّجُوها

---

(١) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى **(٢) المفردات فى غريب القرآن - الراغب الأصفهانى**



طواغيت، وأمثالها مِن كل كِتاب وَضَعَه العَقل البَشَرى ليصرِفَ عن الحق الذى جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم إمَّا قصْداً أو غَير قصْد مِن واضعِه فهو طاغوت (١)

فوائد مِن الآيات السابقة من الآية ٧١ ـ ٧٦ مِن سورة النساء :

١ ـ وُجوب أخْذ الأهْبَة والاستعداد التام فى السلم الحرب سواء .

٢ ـ وجوب وجود خِبْرَة عسكرية كاملة وقيادة رشيدة مؤمنة حكيمة عليمة (٢)

٣ ـ وجود مُنْهَزِمين رُوحيًّا مُبَطِّئِينَ حَسَدَة بين المسلمين، وهم ضِعاف الإيمان فلا يُؤْبَه لهم ولا يُلْتَفَتْ إليهم .

٤ ـ ظاهِر قوله تعالى (فَلْيُقاتِل فى سبيل الله الذين يَشْرُونَ الحياة الدنيا على الآخِرَة ...) التَّسْوِيَة بين مَن قُتِلَ شهيدا وبين مَن انتَصَرَ ورجع بنفسه وهناك حديثان أَحَدهما يقتضى التسوية والآخَر ينفيها :

فالأول : قوله صلى الله عليه وسلم (تَكَفَّلَ اللهُ لِمَن جاهَد فى سبيله لا يخرجه مِن بَيْتِه إلا الجهاد فى سبيله، وتصديق بِكَلِماتِه، بِأنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّة، أو يُرْجِعَهُ إلى مَسْكَنِهِ الذى خَرَجَ مِنه مَعَ ما نالَ مِن أجْرٍ أوْ غَنيمَة)(٣)

والثانى : قوله صلى الله عليه وسلم (ما مِن غازِيَة تغزو فى سبيل الله، فيُصِيبونَ الغنيمة، إلا تَعَجَّلُوا ثُلُثَى أجْرَهُم مِن الآخِرَة ويَبْقَى لَهُم الثُّلثُ، فإنْ لم يصيبوا غَنيمَة، تَمَّ لَهُم أجْرُهُم)(٤)

والجمع بينهما أن مَن غَزَا ناوِياً الأجر والغنيمَة ثم غَنِمَ وَسَلِمَ نقص أجره فى الآخِرَة فلَم تَكُن درجته كالذى اسْتُشْهِدَ ولَمْ يَغْنَم، ولا كالذى نَوَى الأجْر دُونَ الغنيمة ايضاً . والسبب الفارِق هو اشتِراك النِّيَّة وَخُلُوُّها.

٥ ـ الإجماع على وجوب تخليص الأسْرَى مِن المُؤْمِنين بالقتال أو بالمال، ولا يحل تركهم تحت الكافِر يضطهدهم ويعذبهم مِن أجل دينهم وفى الحديث الصحيح (فُكُّوا العانِى) وهو الأسِير وَسُمِّيَ العانِى لِما يُعانيه مِن آلامٍ وأتْعاب . والمسلمون اليوم أسْرَى تحت اليهود فى فلسطين والمسلمون تاركون لهم غير مهتمين بهم وهو ذَنْبٌ عظيم.

---

(١) فَتْح المَجيد ـ الشيخ / عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص ٢٤٣

(٢) يجب على الجيوش العربية الإسلامية مُراعاة أوقات الصلاة وعدم الأمر بحلق اللِّحْيَة لأى فَرْدٍ مِن أفرادها، وكذلك التَّحِيَّة لغير الله .

(٣) رواه البخارى ومسلم والنسائى رحمهم الله تعالى عن أبى هريرة رضى الله عنه – ص.ج رقم ٢٩٨٥

(٤) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه رحمهم الله تعالى عن ابن عمرو رضى الله عنهما ص.ج رقم ٥٧٤٦

النداء الرابع والعشرون ـ قال تعالى :



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٩٤) ﴾

سورة النساء : ٩٤

السِّلْم بكسر السين وإسكان اللام، والسَّلَم بفتح السين واللام، والسَّلام : واحد

سبب نزول الآية الكريمة :

رَوَىَ الإمام أحمد عن ابن عباس قال : مَرَّ رَجُلٌ مِن بَنِى سليم بنفر مِن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يَرْعَى غَنَماً له فَسَلَّمَ عليهم، فقالوا : لا يُسَلِّمُ علينا إلا لِيَتَعَوَّذ مِنا، فَعَمَدوا إلى قتله وأتَوا بِغَنَمٍ إلى النبى صلى الله عليه وسلم، فَنَزَلَت هذه الآية (١)

وقال البخارى عن عطاء عن ابن عباس : فى قوله تعالى (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا...) قال : قال ابن عباس : كان رجل فى غنيمة له فلحقه المسلمون فقال : السلام عليكم، فقتلوه وأَخَذُوا غنيمته فأنزل الله فى ذلك (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا ..) قال ابن عباس : عَرَضَ الدنيا الذى حَمَلَكم على قتل هذا الذى ألقى عليكم السلام وأظهر لكم الإيمان فتغافلتم عنه واتهمتموه بالمُصانعَة والتَّقِيَّة لتبتغوا عَرَضَ الحياة الدنيا فما عند الله مِن الرِّزْق الحلال خير لكم مِن مال هذا .

وقوله تعالى (كذلك كنتم مِن قَبْلُ فَمَنَّ اللهُ عليكم) أى قد كنتم مِن قبل هذا الحال كهذا الذى يُسِرُّ إيمانه ويُخْفِيه مِن قَوْمه كما قال تعالى (واذكروا إذ أنتم قليل مُسْتَضْعَفُون فى الأرض) قال سعيد بن جُبَيْر : كنتم تَسْتَخْفُونَ بإيمانكم كما اسْتَخْفَى هذا الرَّاعِى بإيمانه، وهذا اختيار ابن جَرير وقال ابن أبى حاتِم عن سعيد بن جُبَيْر فى قوله (كذلك كُنتُم مِن قَبْل) لَم تكونوا مؤمنين (فَمَنَّ اللهُ عليكم) أى تاب عليكم، فَحَلَفَ أسامَة لا يقتل رَجُلا يقول لا إله إلا الله بعد ذلك الرَّجُل وما لقى مِن رسول الله فيه وقوله (فتبينوا) تأكيد لِمَا تَقَدَّمَ (إن الله كان بما تعملون خبيرا) قال سعيد بن جبير : هذا تهديد ووعيد (٢)

---

(١) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ص٢٧٧

(٢) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى

فوائد من الآية الكريمة :



١ ـ مَشْرُوعِيَّة السَّيْر فى سبيل الله غَزْوَاً وجهاداً، بل فضيلة السير فى سبيل الله سواء للجهاد، أو لطلب العلم، أو صلة، أو حَج، أو عمرة، أو إبلاغ دعوة وتعليم عِلم، أو زيارة مؤمِن، لِما وَرَدَ فى ذلك مِن الأجر العظيم .

٢ ـ وجوب التَّثَبُّت والتَّبَيُّن فى الأمور التى يترتب علي الخطأ فيها حذر بالغ لاسِيَّما قتل النَّفْس؛ لأن قتل النفس عظيم، ولذا لَمَّا أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بمن قَتَلَ مَن قال (لا إله إلا الله) ظانَّاً أنه قالها تَقِيَّة قال (هَلاَّ شَقَقْتَ عن قلبه) قالها ثلاثاً، ولذا لو أنَّ كافراً صَلَّى مَعَنا ولَم يَقُل (لا إله إلا الله) لَمْ نَقْتُله حتى نَطلب منه قولها فإن قالها وإلا قُتِلَ حِينَئِذ . هذا الكافر المُحارِب لا المُعاهَد المُسْتَأمَن .

٣ ـ ذَمُّ الرَّغْبَة فى الدنيا لاسِيَّماإذا كانت تتعارَض مع التقوى . وسُمِّى متاع الدنيا عَرَضَاً لأنه عَرَض زائِل، ويطلق العَرَض بفتح الرَّاء على الدَّراهِم والدَّنانير وبإسكان الرَّاء (العَرْض) على المتاع مِن أثاث وغيره . فلذا كل عَرْضٍ بإسكان الراء عَرَضاً بفتحها ولا ينعكس وفى الحديث الصحيح (ليس الغِنَى عَن كَثرة العَرَض إنما الغِنَى غِنَى النَّفْس)(١)

٤ ـ الاتِّعاظ بحال الغَيْر والاعْتِبار بالأحداث المُمَاثِلَة (٢)

ومِن المُسْتَفاد مِن الآية أيضاً فضيلة كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، كلمة النجاة، وهى الفاصِلة بين الكفر والإيمان، وهى مِفْتاح الجنة، ومعناها : لا مَعبودَ بِحَقٍّ إلا الله.

فالإلَه هو المَألُوه أى المَعْبود الذى يُطاع ويُتَذَلَّل له، ويُتَحَبَّب إليه، وتَتَعَلَّق به القلوب رَغَباً وَرَهَباً (٣) فَظَهَر بهذا أن هذه الشهادَة تقتضِى توحيده تعالى ـ اعتِقادا وقولاً وعَمَلاً ـ بالأُلُوهِيَّة . و (لا إله إلا الله) هى سبيل السَّعادَة فى الدَّارَيْن فبالتِزامِها النَّجاة مِن النار وبعدم التِزامها البقاء فى النار، وبها تَثقُل المَوَازين وبدونها تَخِفُّ المَوَازين، وبها أَخَذَ اللهُ الميثاق قال تعالى (واسألْ مَن اَرْسَلنا مِن قبلك مِن رُسُلِنا أجَعَلنا مِن دون الرَّحمن آلِهَة يُعْبَدُونَ)(٤)، ولأجْلها خُلِقَتْ الدنيا والآخِرَةُ والجَنَّةُ والنَّارُ؛ لذا فقد اجْتَمَعَتْ لهذه **<u>الكَلِمَة العظيمة الكثير مِن الفضائل منها :</u>**

---

(١) رواه أحمد والبخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه رحمهم الله تعالى عن أبى هريرة رضى الله عنه

(٢) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ص٢٨٨

(٣) قال ابن مَنْظُور فى لِسان العَرَب : الإلَه الله عز وجَلَّ، وكل ما اتُّخِذَ مِن دُونه مَعبوداً، إله عند مُتَّخِذِه . وقال أبو الهَيْثَم : لا يكون إلَهاً حتى يكون مَعْبُوداً، وحتى يكون لِعابده خالِقاً ورازِقاً ومُدَبِّراً وعليه مُقْتَدِراً فَمَن لَم يَكُن كذلك فليس بإله ـ أى حقيقة ـ ولكنه إله عند مُتَّخِذِه حيث يعتقد فيه صِفات الإله المَذكور مع خُلُوِّه منها فألوهيته باطِلَة، وإن عُبِدَ ظُلْماً؛ بل هو مَخْلوق متعبد . وأصل الإله ولاه، فَقُلِبَتْ الواو همزة كما قال للوشاح إشاح وللوجاح ـ وهو الستر ـ إجاح . ومعنى ولاه أن الخَلْقَ يُوْلَهُونَ إليه فى حوائجهم ويَضْرَعُون إليه فيما يُصِيبُهُم، ويَفْزَعُونَ إليه فى كل ما يَنوبُهم كما يَوْلَه الطِّفْلُ أُمَّهُ وقد سَمَّتْ العَرَبُ الشَّمْسَ لَمَّا عبدوها إلَه . وفى لِسان العرب كذلك . أَلِهَ يَأْلَه إلى كذا أى لَجَأَ إليه لأنه سُبْحانَه المَفْزَع الذى يُلْجَأ إليه فى كل أمْرٍ . وقال ابنُ سِيدَه : والإلاهَة والألُوهِيَّة العِبادَة وقال : والتَّأَلُّه التَّنَسُّك والتَّعَبُّد. (٤) سورة الزخرف : ٤٥



١ ـ فهى أعظمُ نِعْمَة أنْعَمَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ بها على عِبادِهِ أن هداهم إليها، ولذا ذَكَرَها فى سورة النَّحْل التى هى سورة النِّعَم، فقدمها أولا قبل كل نِعْمَة، فقال تعالى (يُنَزِّل المَلائِكَة بالرُّوح مِن أمْرِه عَلَى مَن يشاء مِن عِباده أن أنْذِرُوا أنَّه لا إله إلا أنا فاتَّقُون)(١)

٢ ـ وهى العُرْوَة الوُثْقى قال تعالى (فَمَن يَكْفُرْ بالطَّاغُوتِ ويُؤمِن بالله فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بالعروة الوثقى لا انْفِصام لها والله سميعُ عليم)(٢) قاله سعيد بن جُبَيْر والضَّحَّاك .

٣ ـ وهى العَهْد الذى ذَكَره الله تعالى فى قوله (لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَة إلا مَن اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَن عَهْداً)(٣) قال ابن عباس : هو شهادة أن لا إله إلا الله والبراءَة مِن الحَوْل والقوة إلا بالله وأن لا يَرْجُو إلا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ.

٤ ـ وهى الحُسْنَى التى ذَكَرها اللهُ (فأمَّا مَن أعْطى واتَّقى * وَصَدَّقَ بالحُسْنَى* فَسَنُيَسِّرُه لليُسْرَى)(٤) قاله أبو عبد الرحمن السُّلَمِّى والضَّحَّاك.

٥ ـ وهى كلمة الحَقِّ التى ذكرها الله عز وجل إذ يقول (إلا مَن شَهد بالحق وهم يعلمون)(٥) قاله البَغَوِى.

٦ ـ وهى كَلِمَة التَّقْوَى التى ذكرها اللهُ (وألْزَمَهم كلمة التَّقْوَى)(٦) رواه ابن جَرير وعبد الله بن أحمد بن حنبل والترمذى .

٧ ـ وهى القَوْل الثَّابت الذى ذكره الله (يُثَبِّتُ اللهُ الذين ءَامَنُوا بالقَوْل الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخِرَة)(٧) وقد ثبت ذلك فى الصحيحين عن البراء بن عازب عن النبى صلى الله عليه وسلم .

٨ ـ وهى الكلمة المَضْرُوبَة (٨) مَثَلاً فى قوله تعالى (.. ضَرَبَ الله مَثَلاً كلمة طيبة كَشَجَرَةٍ طَيِّبَة أصْلها ثابت وفرعها فى السَّماء تُؤْتِى أكُلها كل حينٍ بإذن رَبِّها ..)(٩) وهو مَرْوِىٌّ عن على بن أبى طلحة (١٠) عن ابن عباس . فأصلها ثابت فى قلب المؤمن وفرعها العَمَل الصالح فى السماء صاعِد إلى الله عز وجَلَّ وكذا قاله الضحاك وابن جبير وعِكْرِمَة ومجاهِد وغيرهم .

---

(١) سورة النحل : ٢ **(٢) سورة البقرة : ٢٥٦**

(٣) سورة مريم : ٨٧ **(٤) سورة الليل : ٥ : ٧** **(٥) سورة الزخرف : ٨٦**

(٦) سورة الفتح : ٢٦ **(٧) سورة إبراهيم : ٢٧**

(٨) قال الشيخ السعدى فى تفسيره لهذه الآية : وهى شهادة أن لا إله إلا الله وفروعها (كشجرة طيبة) وهى النخلة (أصلها ثابت) فى الأرض (وفرعها) منتشر (فى السماء) وهى كثيرة النفع دائماً ..إلخ.)

(٩) سورة إبراهيم : ٢٤

(١٠) قال ابن حَجَر فى تقريب التقريب : على بن أبى طلحة أرسل عن ابن عباس ولَم يَرَه .

٩ ـ وهى سَبَبُ النَّجاة مِن النَّار، فإنَّ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم سَمِعَ مُؤَذِّناً يقول : أشهد أن لا إله إلا الله فقال : (خرجتَ مِن النار)(١) وفيه يقول عبادة بن الصامِت قال : سمعتُ رسولَ اللهِ



يقول (مَن شَهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حَرَّمَ اللهُ عليه النَّار)(٢) وفى حديث الشفاعة (أَخْرِجوا مِن النار مَن قال لا إله إلا الله وكان فى قلبه مِثقال ذَرَّة مِن إيمان)(٣)

١٠ ـ وهى سبب دخول الجنة، قال صلى الله عليه وسلم (أشهد أن لا إله إلا الله وأنِّى رسول الله لا يَلْقَى اللهَ بهما عَبْدٌ غير شاكٍّ فيهما إلا دَخَلَ الجَنَّة)(٤)

١١- وهى أفضل ما ذُكِرَ اللهُ عز وجل به، قال النبى صلى الله عليه وسلم (وأَفْضَلُ ما قُلْتُ أنا والنَّبِيُّونَ قَبْلِى : لا إله إلا الله وحده لا شَرِيك لَه)(٥)

١٢ ـ وهى أَثْقَلُ شَئٍ فى الميزان، قال النبى صلى الله عليه وسلم (... فَتُوضَع السِّجِلاَّت فى كِفَّة والبطاقة (٦) فى كِفة . فَطاشَتْ السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله تعالى شئ)(٧)

١٣ ـ ويكفى فى فضلها إخبار النبى صلى الله عليه وسلم أنها أَعْلَى شُعَب الإيمان قال النبى صلى الله عليه وسلم (الإيمانُ بِضْعٌ وسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَة، فأَفْضَلها قول لا إله إلا الله، وأَدْناها إماطَة الأَذَى عَن الطَّرِيق)(٨) . فَمَن قال هذه الكلمة عالِماً ومُتيقناً معناها وعامِلاً بمقتضاها على وفق ما عَلِمَه منها ويتقنه فى القول والعَمَل ـ قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح ـ ومات على ذلك دَخَلَ الجَنَّة . قال صلى الله عليه وسلم (ما مِن عَبْدٍ قال لا إله إلا الله ثم ماتَ على ذلك إلا دخل الجنة)(٩)

شروط " لا إلَه إلا الله " :

١ ـ العِلْم : بمعناها المراد نَفْياً وإثباتاً المُنافِى للجهل .

٢ ـ اليقين المنافى للشك، وذلك بأن يكون قائلا مُسْتَيْقِناً بِمَدْلُولِ هذه الكلمة .

٣ ـ القَبول المنافى للرَّد لِما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه .

٤ ـ الانقياد لِما دَلَّتْ عليه هذه الكلمة ـ المنافى للتَّرْك .

---

(١) رواه مسلم رحمه الله تعالى **(٢) رواه مسلم رحمه الله تعالى**

(٣) رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى **(٤) رواه البخارى رحمه الله تعالى**

(٥) رواه مالِك عن طلحة بن عبيد بن كريز ـ ص . ج رقم ١١٠٢

(٦) البطاقة فيها الشهادتان

(٧) رواه أحمد والترمذى والحاكم رحمهم الله تعالى ـ ص . ج رقم ١٧٧٦

(٨) رواه مسلم رحمه الله تعالى **(٩) رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى**

٥ ـ الصِّدْق فيها المنافى للكَذِب وهو أن يقولها صِدْقاً مِن قلبه يُوَاطِئ قلبه لِسانه (١)



٦ ـ الإخلاص وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك، ولا يكون له مِن وراء الشهادَتَيْن غَرَض آخَر غير قصده لربه، فتارك الإخلاص لم يستَكْمِل شروط لا إله إلا الله ولو كان مُنْقاداً صادِقاً مُسْتَيْقِناً .

٧ ـ المَحَبَّة لهذه الكلمة ولِما اقتضته وَدَلَّتْ عليه ولأهلها العامِلين بها الملتَزِمين لشروطها، وبُغْض ما ناقضَ ذلك (٢)

---

(١) أما اليقين فمعناه : استيقان أنها حق، وقد يستيقن ذلك ولا يريده ولا يحبه، كما ذَكَر الله عن المشركين (وجَحَدُوا بها واستيقنتها أنفُسُهم) سورة النمل : ١٤ وقد يقولها مع استيقان القلب بها؛ لكن ليس صادقا فى إرادتها ورغبته الذاتية فى قولها، بل قد يقولها لدافع آخَر دون الرغبة فى أن يدين بها ويضحى مِن أجلها ويعمل لها، فالصدق مُنافٍ للكذب، واليقين منافٍ للشك، وقد يقول الرَّجُل برغبته صادقاً فى إرادَة قولها؛ لكن فى قلبه شَك منها . فلَزِمَ التَّنْبيه على اكتِمال هذه المعانى فى القلب .

(٢) مُختصَر معارج القبول ـ الشيخ / هِشام عُقْدَة

النداء الخامِس والعشرون ـ قال تعالى :



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥) ﴾ سورة النساء : ١٣٥

قَوَّامِينَ : جمع قَوَّام؛ وهو كثير القيام بالعَدْل .

بالقِسْط : بالعَدْل وهو الاستِقامَة والتَّسْوِيَة بينَ الخُصُوم .

شُهَداء : جمع شَهيد بمعنى شاهِد .

الهَوَىَ : مَيْل النَّفْس إلى الشَئ ورغبتها فيه .

تَلْوُوا : أى ألْسنتكم باللفظ تَحْريفاً له حتى لا تتم الشَّهادَة على وجهها (١)

تُعْرِضُوا : تَتْركوا الشَّهادَة أو بَعْض كلماتها لِيَبْطِلَ الحُكْم .

** القاعدة العامَّة منذ عهد بعيد : أنَّ القَريب لا يَشْهَد لِقريبه ولكن يشهد عليه، فلا يشهد الأب لابنه ولا ابن لأبيه، لوجود تُهْمَة المُحاباة للقَرَابَة، وكذا لا يجوز شهادَة عَدُوٍ على عَدُوِّه، وهذا مَذْهَب عامَّة الفُقَهاء وحتى الخادم فى البيت لا يجوز شهادته لأهل البيت إذ قد يُحابيهم لِمَنْفَعَته .

معنى الآيَة الكَريمَة :

قال ابن كثير رحمه الله تعالى :

يأمر تعالى عِبادَه المؤمنين أن يكونوا قوامين بالقِسْط أى بالعَدْل فلا يعدلوا عنه يمينا ولا شمالا ولا تأخذهم فى الله لَوْمَة لائم ولا يصرفهم عنه صارف وأن يكونوا متعاونين مُتساعِدينَ مُتعاضِدينَ مُتَناصِرين فيه وقوله (شُهَداء لله) كما قال (وأقِيمُوا الشَّهادَة لله) أى أدُّوها ابتغاء وَجْه الله فحينئذ تكون صحيحة عادِلة حَقَّاً، خالِيَة مِن التحريف والتبديل والكِتْمان، ولهذا قال (ولو على أنفسكم) أى اشْهَد بالحق ولو عاد ضررها عليك، وإذا سُئِلْتَ عن الأمر فَقُل الحَقَّ فيه ولو عادت مَضَرَّته عليك، فإن اللهَ سيجعل لِمَن أطاعه فَرَجاً وَمَخْرَجاً مِن كل أمر يضيق عليه، وقوله (أو الوالِدَيْن والأقربين) أى وإن كانت الشهادَة على والِدَيْكَ وقرابَتك فلا تُرَاعِهم فيها، بل اشْهَد بالحق، وإن عاد ضررها عليك فإن الحَقَّ حاكِمٌ على كل أحَد.

---

(١) فَسَّرَ ابن عباس (تَلْوُوا) بقوله : هو فى الخِصْمَيْن يَجْلِسان بين يدى القاضِى فيكون لَىّ القاضِى وإعْراضه لأحَدِهما على الآخَر، فاللَّىُّ على هذا هو مَطْل الكلام وَجَرُّه حتى يُفَوِّتَ فَصْل القضاء وإنْفاذه للذِى يميل القاضِى عليه ويشهد لهذا قول النبى صلى الله عليه وسلم (لَىُّ الوَاجِد يُحِلُّ عِرْضَه وعُقُوبَته) رواه أحمد وأبو داود والنسائى رحمهما الله تعالى عن الشَّريد بن سويد ـ ص . ج رقم ٥٤٨٧

وقوله (إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما) أى لا تَرْعاه لغناه ولا تُشْفِق عليه لِفَقْره، الله يتولاهما، بل هو أوْلَى بهما مِنكَ وَأعْلَمُ بما فيه صلاحهما. وقوله (ولا تتبعُوا الهَوَىَ أن تَعْدِلُوا)



أى فلا يَحْمِلَنَّكُم الهوى والعَصَبِيَّة وبُغْض الناس إليكم على ترك العدل فى أُمُوركم وشؤونكم، بل الْزَمُوا العدل على أى حالٍ كان، كما قال تعالى (ولا يَجْرِمَنَّكُم شَنَئَانُ قَوْمٍ على أن لا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هو أقْرَبُ للتَّقْوَى) ومِن هذا قول عبد الله بن رَواحَة لَمَّا بَعثه النبى صلى الله عليه وسلم يَخرص (١) على أهل خَيْبَر ثِمارهم و زُرُوعَهم فأرادوا أن يُرْشُوه لِيَرْفق بهم فقال : والله لقد جِئتُكم مِن عِند أَحَبّ الخَلْق إلىَّ ولأنتم اَبْغَض إلىَّ مِن أعدائكم مِن القِرَدَة والخنازير وما يحملنى حُبِّى إياه وبُغْضِى لكم على أن لا أعْدِلَ فيكم فقالوا : بهذا قامَت السموات والأرض .

وقوله (وإنْ تَلْوُوا أو تُعْرِضوا) قال مُجاهِد : تلووا أى تُحَرِّفُوا الشَّهادَة وتُغَيِّرُوها، و(اللَّىّ) هو التحريف وتعَمُّد الكذب قال تعالى (وإنَّ منهم لَفَرِيقاً يَلْوُونَ ألسِنَتَهُم بالكِتابِ لِتَحْسَبُوه مِن الكِتاب) الآية . والإعْراض : هو كِتْمان الشهادة وتركها قال تعالى (ولا تَكْتُمُوا الشهادَة وَمَن يَكْتُمْها فإنَّه آثِمٌ قَلْبُه) وقال النبى صلى الله عليه وسلم (خَيْر الشُّهودِ مَن أدَّى شهادَتَه قَبْلَ أن يُسْألها)(٢) ولهذا تَوَعَّدَ اللهُ بقوله (فإن اللهَ كان بما تعملون خبيرا) أى وسَيُجازيكُم بذلك (٣)

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدى رحمه الله تعالى فى تفسير هذه الآية :

يأمر تعالى عباده أن يكونوا قوامين بالقسط شهداء لله، والقَوَّام صيغَة مُبالَغَة أى كونوا فى كل أحوالكم قائمين بالقسط الذى هو العدل فى حقوق الله وحقوق عِباده، فالقِسْط فى الآدَمِيِّين أن تُؤَدِّى الحقوق التى عليك كما تطلب حقوقك، فتؤدى النَّفَقات الواجِبَة والديون وتعامِل الناس بما تحب أن يعامِلوك به مِن الأخْلاق والمُكافأة وغير ذلك، ومِن أعظم أنواع القِسط، القسط فى المَقالات والقائِلين فلا يحكم لأحد القَوْلَيْن أو اَحَد المُتنازعَيْن لانتسابه أو ميله لأحدهما . بل يجعل وجهته العدل بينهما ومِن القِسْط أداء الشهادَة التى عندك على أى وَجْه كان حتى الأحْباب بل على النَّفْس (٤)

---

(١) الخَرْص : هو الحَزَر أو التَّخْمين أو التَّقْدير

(٢) رواه ابن ماجه رحمه الله تعالى عن زيد بن خالد ص.ج رقم ٣٢٧٧

(٣) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى

(٤) تفسير السعدى رحمه الله تعالى ص ١٩٠

فوائِد مِن الآيَة الكَرِيمَة :

١ ـ وجوب العدل فى القضاء والشهادة وتحريم الظلم الذى يؤدِّى إلى ضياع حقوق العِباد حيث أمَرَ الله تعالى بالعدل فى كِتابه فقال (إنَّ اللهَ يأمُرُ بالعَدْلِ والإحْسانِ وإيتاءِ ذِى القُرْبَى ويَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ والمُنكَرِ والبَغْى لعَلَّكُم تَذكَّرُونَ)(١)

٢ ـ حُرْمَةَ شهادة الزُّور فقد نَهَى الله تعالى عن قول الزور فقال (واجتنِبوا الرِّجْسَ مِن الأوْثانِ واجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ)(٢) وقال النبى صلى الله عليه وسلم (ألا أُنَبئكم بأكْبَر الكَبائِر ؟ الإشراك بالله، وعقوق الوالِدَيْن، وقول الزُّور)(٣)

٣ ـ أن الهَوَىَ سبب كل شَر، فمَن جَعَلَ هواه قائِداً له ضَلَّ عَن الهُدَى وعن صراط الله المستقيم وحينئذ يرفض الشرع ويرفض النصيحة ويظن أنه على الحق ويتكبر ويَتَعَالَى على خَلْق الله .

---

(١) سورة النحل : ٩٠

(٢) سورة الحج : ٣٠

(٣) رواه أحمد والبخارى ومسلم والترمذى رحمهم الله تعالى عن أبى بَكْرَة رضى الله عنه ـ ص . ج رقم ٢٦٢٨

النداء السَّادِس والعِشْرُون ـ قال تعالى :



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١٣٦) ﴾

سورة النساء : ١٣٦

تعريف الإيمان :

أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف والأمانة والأمان فى الأصل مصادر ويُجْعَل الأمان تارةً اسما للحالة التى يكون بها الإنسان فى الأمن، وتارة اسما لِما يُؤَمَّن عليه الإنسان نحو قوله (وتخونوا أماناتكم) أى ما ائتُمِنتم عليه ، وقوله (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض)، وقيل كلمة التوحيد وقيل العدالة، وقيل حروف التَّهَجِّى وقيل العقل وهو صحيح فإن العقل هو الذى لحصوله يتحصل معرفة التوحيد وتجرى العدالة وتُعْلَم حروف التهجى بل لحصوله تَعَلُّم كل ما فى طَوْق البشر تَعَلُّمه ، وفعل ما فى طَوْقهم من الجميل فِعْله وبه فُضِّل على كثير ممن خلقه .

وآمَنَ إنما يقال على وجهين أحدهما متعديا بنفسه يقال آمَنْتُه أى جعلتُ له الأمْن ومنه قيل لله (المُؤْمِن) والثانى غير مُتَعدٍ ومعناه صار ذا أمْن .

والإيمان يستعمل تارة اسماً للشريعة التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم كقوله (الذين ءامَنُوا والذِينَ هادُوا والصَّابِئُونَ)، ويوصف به كل مَن دخل فى شريعة مُقِرًّا بالله وبنبوته، قيل وعلى هذا قال تعالى (وما يؤمن أكثرُهم بالله إلا وَهُم مُشْرِكُونَ) وتارة يستعمل على سبيل المدح ويراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق؛ وذلك باجتماع ثلاثة أشياء، تحقيق القلب، وإقرار اللسان، وعمل بحسب الجوارح . وعلى هذا قوله تعالى (والذين ءامنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون) ويقال لكل واحد من الاعتقاد، والقول، والصدق، والعمل الصالح، إيمان، قال تعالى (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أى صلاتكم، وجعل الحياء وإماطة الأذى من الإيمان، وقال تعالى (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) قيل معناه، بمصدق لنا إلا أن الإيمان الذى معه أمْن (١)

فأما الإيمان فى الشريعة فلإطلاقه حالتان :

الأولى : أن يطلق على الإفراد غير مقترن بذكر اسم الإسلام، فحينئذ يراد به كل القول والعمل.

الثانية : أن يطلق مقرونا بالإسلام، وحينئذ يُفَسَّر بالاعتقادات الباطنة كما فى حديث جبريل .

---

(١) المفردات فى غريب القرآن - الراغب الأصفهانى





وما فى معناه، كقوله تعالى (الذين ءامنوا وعملوا الصالحات) فى كثير من الآيات ، وكقوله صلى الله عليه وسلم (اللهم مَنْ أحْيَيْتَه مِنَّا فَأَحْيِهِ على الإسلام، ومَن تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فتوفَّه على الإيمان)(١)

وذلك أن الأعمال بالجوارح إنما يتمكن منها فى الحياة أما عند الموت فلا يبقى غير قول القلب وعمله .

قال الأوزاعى رحمه الله : كان مَن مَضَى مِنَ السلف لا يُفَرِّقُون بين العمل والإيمان، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار : أما بعد ، فإن الإيمان فرائض وشرائع فَمَن استكْمَلَها فقدِ استَكْمَلَ الإيمان، ومَن لَمْ يستكملها لَمْ يستكمل الإيمان)(٢)

وقصد الأئمة الرد على أهل البدع الذين أخرجوا الأعمال من الإيمان أو قصَروا الإيمان على بعض أجزائه ، كما قالوا : إن الإيمان هو مجرد التصديق أو غير ذلك من مقالات المُبْتَدِعة الذين قالوا : لا يضر مع الإيمان شئ . ومذهب أهل السنة والجماعة الذى يقضى بأن الدِّين الذى لا ينجو أحد إلا به قول وعمل ، وهذا معنى الإيمان الذى قصَدَه السلف .

فالإيمان قول بالقلب واللسان وعمل بالقلب واللسان والجوارح :

فقول القلب : هو تصديقه وإيقانه (والذى جاءَ بالصِّدْق وَصَدَّقَ به أولئك هم المتقون)(٣)، وقوله تعالى (إنما المؤمنون الذين ءامنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم أنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون)(٤) أى صَدَّقوا ثم لم يَشُكُّوا .

وقول اللسان : وهو النطق بالشهادتين والإقرار بلوازمها قال تعالى (إن الذين قالوا رَبُّنا اللهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا فلا خَوْفٌ عَلَيْهم ولا هُم يَحْزَنُونَ)(٥)

وعمل القلب : وهوالنِّيَّة، والإخلاص، والمحبة، والانقياد، والإقبال على الله عز وجل، والتوكل عليه، ولوازم ذلك وتوابعه قال تعالى (ولا تَطْرُدِ الذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بالغَداةِ والعَشِيّ يُريدُونَ وَجْهَهُ)(٦)

وقال تعالى (إنَّما المُؤْمِنُونَ الذِينَ إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُم وإذا تُلِيَتْ عَلَيْهم آياتُه زادَتْهُم إيماناً وَعَلَى رَبِّهم يَتَوَكَّلُونَ)(٧) وقوله صلى الله عليه وسلم (لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُم حَتَّى أكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِن وَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ، والنَّاس أجْمَعِينَ)(٨)

---

(١) قال الحاكم رحمه الله تعالى صحيح على شرط الشيخين **(٢) عَلَّقه البخارى فى أول كتاب الإيمان**

(٣) سورة الزمر : ٣٣ **(٤) سورة الحجرات : ١٥** **(٥) سورة الأحقاف : ١٣**

(٦) سورة الأنعام : ٥٢ **(٧) سورة الأنفال : ٢**

(٨) رواه أحمد والبخارى ومسلم والنَّسَائِى وابن ماجه رحمهم الله تعالى عن أنس رضى الله عنه



وعمل اللسان والجوارح : فعمل اللسان ما لايُؤَدَّى إلا به كتلاوة القرآن وسائر الأذكار من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والدعاء والاستغفار وغير ذلك، وعمل الجوارح ما لا يؤدَّى إلا به كالصيام والركوع والسجود والمَشْى فى مرضاة الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وغير ذلك مِمَّا فى شُعَبِ الإيمان ، قال تعالى (إنَّ الذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللهِ وأقامُوا الصَّلاة وأنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُم سِرَّاً وعَلانِيَة يَرْجُونَ تِجارَة لَن تَبُورَ)(١) وقال (إنَّ اللهَ اشْتَرَى مِن المُؤمنينَ أنفسَهُم وأمْوالَهم بِأنَّ لَهُم الجَنَّة يُقاتِلُونَ فى سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلونَ ويُقْتَلون وَعْداً عليه حَقَّاً فى التَّوْراةِ والإنجيلِ والقُرْآنِ وَمَنْ أوْفَى بِعَهْدِهِ مِن اللهِ فاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُم الذى بايَعْتُم بِهِ وذلك هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ)(٢)

أقوال المُخالِفين لأهل السُّنَّة والجماعة فى الإيمان :

١ - قال ابن الراوندى ومن وافقه مِن المُعْتَزِلة وغيرهم : "إن الإيمان هو مجرد التصديق فقط "، وعلى هذا القول يكون اليهود الذين أقروا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم واستيقنوها ولم يتبعوه مؤمنين، قد نَفَى اللهُ عنهم الإيمان .

٢ - قال جَهْمُ بن صَفْوَان وأتباعُه : هو المعرفة بالله فقط ، وعلى هذا القول ليس على وجه الأرض كافر بالكلية إذ لا يجهل الخالق سبحانه أحد .

٣ - وقال المُرْجِئة (٣) والكَرَّامِيَّة : "الإيمان هو إقرار باللسان دون عقد القلب"، فيكون المنافقون على هذا مؤمنين، وقد قال الله فيهم (ولا تُصَلِّ على أحدٍ منهم مات أبدا ولا تَقُم على قَبْره ..)(٤)

٤ - وقال آخَرون (مِن المُرْجِئَة) : التصديق بِالجَنَان والإقرار باللسان ، فخرج أركان الإسلام الظاهرة المذكورةوحديث جبريل عليه السلام ، وكلامهم هذا ظاهر البُطْلان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : المُرْجِئَة ثلاثة أصناف :

الذين يقولون : الإيمان ما فى القلب ، ثم مِن هؤلاء مَن يُدْخِل فيه أعمال القلوب ، وهم أكثر فرق المرجئة ومنهم من لا يُدْخِلها ... كَجَهْم ومن اتبعه ... ، القول الثاني : مَن يقول هو مجرد قول اللسان ، وهذا لا يُعْرَف لأحد قبل الكَرَّامِيَّة ... القول الثالث : تصديق القلب وقول اللسان ، وهذا هو المشهور عند أهل الفقه والعبادة منهم (مجموع الفتاوى ج٧ ص ١٩٥)

---

(١) سورة فاطر : ٢٩ **(٢) سورة التوبة : ١١١**

(٣) أى : صِنْفٌ منهم وليس كلهم ولا أكثرهم **(٤) سورة التوبة : ٨٤ ، ٨٥**





٥ - وذهب الخوارج والعلاَّف ومَن وافقهُم إلى أنه الطاعة بأسْرها فَرْضاً كان أو نَفْلا (١) ، وهذا القول مصادِم لتعليم النبى صلى الله عليه وسلم لوفود السائلين عن الإسلام والإيمان كما قال له السائل فى فريضة : هل عَلَىَّ غَيْرها ؟ قال : لا، (إلا أنْ تَطَوَّع شيئاً)

٦ - وذهب الجُبائى وأكثر المعتزلة البَصْريَّة إلى أنه الطاعات المفروضة مِنَ الأنفال والتروك (٢) دون النوافل (٣) وهذا أيضا يُدْخِل المنافقين فى الإيمان وقد نفاه الله عنهم .

٧ - وقال الباقون من المعتزلة : العمل والنطق والاعتقاد ، والفرق بين هذا وبين قول السلف أن السلف لم يجعلوا كل الأعمال شرطا فى الصحة بل جعلوا كثيرا منها شرطا فى الكمال، كما قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : مَن استَكْمَلَها فقدِ استكمل الإيمان وَمَن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان والمعتزلة جعلوها كلها شرطا فى الصحة، والله أعلم (٤)

أركان الإيمان

فالإيمان له أركان ستة :

١ - الإيمان بالله (٥) :

أى الإيمان بِإلهيَّتِهِ ورُبُوبيَّتِهِ، والإيمان بما له مِن صفات الكَمال مما وَصَفَ به نَفْسَه وَوَصَفَه به رَسُولُه صلى اللهُ عليه وسلم من الأسماء الحسنى والصفات العُلَى وإمرارها كما جاءت بلا تَكْيِيفٍ ولا تَمْثِيل ولا تَحْرِيف ولا تَعْطِيل، وأنْ كُلَّ ما سَمَّى اللهُ تعالى ووصف به نَفْسَه وَوَصَفَه به رسوله صلى الله عليه وسلم، الكل حق على حقيقته على ما أراد الله، وأراد رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى ما يليق بجلاله سبحانه وتعالى.

---

(١) لا شك أن الإيمان المُطْلَق الكامل يشمل ذلك كله، ولكن كلام هذه الطوائف هنا فى مطلق الإيمان الذى إذا قصَّرَ العبدُ فى شئ فيه كان كافرا .

(٢) لا شك أن الإيمان المُطْلَق يشمل جميع الطاعات كما قلنا ، وإنما الكلام هنا فى مطلق الإيمان الذى لا يصح إلا به، فهؤلاء يُخْرِجون من الإيمان مَن ترك طاعة من الطاعات المفروضة، أما أهل السنة فلم يعتبروا كل الطاعات المفروضة شَرْطاً فى الصحة، ولم يُخْرِجوا مَن قصَّرَ فيها من الإيمان بالكلية، وإنما يُنْتَقصُ من إيمانه بقدر معصيته، أو يخرج من دائرة الإيمان المطلق إلى مطلق الإيمان، والله أعلم .

(٣) ودون عمل القلب واعتقاده.

(٤) مختصر معارج القبول – الشيخ / هشام عُقدة

(٥) الإيمان بالله : العقيدة الجازمة بتوحيده وإفراده بما يخصه مِن أسماء حُسْنَى وصفاتٍ عُلَى وما ينبغى له من إفراده بالربوبية والألوهية التى لا نِدَّ ولا شَرِيك له فيها سبحانه جَلَّ شأنُه.

٢ - الإيمان بالمَلائِكَةِ عَلَيْهِم السَّلام :



وهم عبادٌ لله عز وجل، خلقهم الله تعالى من النور لعبادته، ففى صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خُلِقَتْ الملائكة من نور، وخُلِقَ الجانُّ مِن مارجٍ مِن نار، وخُلِقَ آدمُ مِمَّا وُصِفَ لكم)، ومما ورد فى صفاتهم أنهم أولوا أجنحة، ولهم وظائف، فمنهم مِن وَكَّلَه اللهُ بالوحى وهو جبريل عيه السلام ، ومنهم المُوَكَّل بالقَطْر – المطر – وتصاريفه إلى حيث أمره الله عز وجل وهو ميكائيل عليه السلام وهو ذو مكانة عَلِيَّة وَمَنْزِلَة رفيعة عند ربه، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به ويَصْرِفُونَ الرياح والسَّحاب كما يشاء اللهُ عز وجل، ومنهم الموكل بالصور والنفخ فيه، وهو إسرافيل عليه السلام، ومنهم الموكل بقبض الأرواح وهو مَلَك المَوْت (١) وأعوانه، وجاء فى الأحاديث كحديث البراء بن عازب أن أعوانه يأتون العبد بِحَسَبِ عمله إن كان مُحْسِنَاً ففى أحسن هَيْئَة وأجمل صورة وأعظم بِشارة، وإن كان مُسِيئاً ففى أشْنَع هيئة وأفْظَع مَنْظَر بأغْلَظ وعيد، ثم يَسُوقُونَ الرُّوح حتى إذا بَلَغَتْ الحُلْقُومَ قَبَضَها مَلَك الموت، فلا يَدَعونها فى يَدِه بل يضعونها فى أكْفان وحَنُوط (٢) يليق بها، ومنهم المُوَكَّل بِحِفْظ العبد فى حِلِّه وتِرْحاله وفى نومه ويقظته وفى كل حالاته وهم المُعَقِّبات، ومنهم الموكل بحفظ عمل العبد مِن خَيْرٍ وَشَرٍ وهم الكِرام الكاتِبون، وهؤلاء يشملهم مع مَن قَبْلَهم قوله تعالى (وَيُرْسِلُ عليكم حَفَظَة ...)(٣)

ومنهم المُوَكَّلون بفتنة القبر وهم مُنْكَرٌ وَنَكِير، ومنهم خَزَنَة الجَنَّة ومقدمهم (رضوان) عليه السلام، ومنهم خَزَنَة جهنم وهم الزَّبانِيَة، ورؤساؤهم تِسْعَة عَشَر ومقدمهم (مالِك) عليه السلام، وفى صحيح مسلم قال النبى صلى الله عليه وسلم (يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يوم القيامة لها سبعون ألْف زمام، مع كل زمامٍ سَبْعُونَ ألْف مَلَك يَجُرُّونَها)(٤)، ومنهم الموكلون بالنُّطْفَة فى الرَّحِم ومنهم حَمَلَة العَرْش ومنهم ملائكة سَيَّاحون يَتْبَعون فى مجالس الذِّكْر كما فى صحيح مسلم ومنهم الموكل بالجِبال.

٣ - الإيمان بالكُتُب ومعناه :

١ - التصديق الجازم بأن كلها مُنَزَّل من عِند الله عَلى رسوله إلى عِباده بالحق والهُدَى .

٢ - وأنها كلام الله لا كلام غيره، وأنه تعالى تَكَلَّم بها حقيقة كما شاء على الوجه الذى أراد فمنها المسموع منه مِن وراء حجاب بدون واسطة ، ومنها ما يسمعه الرسول المَلَكِيّ ويُؤمَر بتبليغه إلى الرسول البَشَرى كما قال تعالى (وما كان لِبَشَرٍ أن يُكَلِّمَه اللهُ إلا وَحْياً أو مِن وَراء حِجابٍ

---

(١) لم يثبت بدليل صحيح تسمية لِمَلَك الموت، كَعَزْرائِيل، وعبد الرَّحْمَن وغيره مما ثبت فى بعض الكتب أو يزعمه بعض العوام من الناس.

(٢) الحَنُوط : كل ما يُخْلَط مِن الطِّيب بأكْفان المَوْتَى وأجْسامِهم خاصَّة، مِن مِسْكٍ وعَنْبر وكافور وغير ذلك.

(٣) سورة الأنعام : ٦١

(٤) رواه مسلم والترمذى رحمهما الله تعالى عن ابن مسعود رضى الله عنه.

أو يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بإذْنِهِ ما يَشاءُ ...)(١) وقال تعالى (وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً)(٢) وقوله تعالى (وَلَمَّا جاءَ مُوسَى لِمِيقاتِنا وكَلَّمَهُ رَبُّه)(٣)



٣ - والإيمان بكل ما فيها مِن الشرائع وأنه واجبا على الأمم الذين نزلت إليهم الصُّحُفُ الأولى الانقياد لها والحُكْم بما فيها، كما قال تعالى (إنَّا أنْزَلْنا التَّوْراةَ فيها هُدَىً ونُور يَحْكُم بها النَّبِيُّونَ الذِينَ أسْلَمُوا للذِينَ هادُوا والرَّبَّانِيُّونَ والأحْبارُ بِما اسْتُحْفِظُوا مِن كِتابِ اللهِ وكانوا عليه شُهَداء ..)(٤) وأن كل من كذَّبَ بشئ منها أو أبَى الانقياد لها مع تعلق خطابه بها يَكْفُر بذلك، كما قال تعالى (إن الذين كَذَّبُوا بآياتِنا واسْتَكْبَرُوا عنها لا تُفَتَّحُ لَهُم أبْوابُ السَّماءِ ولا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فى سَمِّ الخِياطِ وكذلك نَجْزِى المُجْرِمِينَ)(٥)

٤ - وأن جميعها يُصدِّق بعضها بعضا لا يُكَذِّبُهُ، كما قال تعالى فى القرآن الكريم (مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِن الكِتابِ ..)(٦)

٥ - وأن نَسْخَ الكُتُب الأولى بعضها ببعض حق ، كما نُسِخ بعض شرائع التوراة بالإنجيل ، قال تعالى فى عيسى عليه السلام (وَيُعَلِّمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل)(٧)، وكما نُسِخَ كثيرٌ مِن شرائع التوراة والإنجيل بالقرآن الكريم كما قال تعالى (الذين يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِىَّ الأُمِّىَّ الذى يَجِدُونَه مَكْتُوباً عِندَهُم فى التَّوْراةِ والإنجِيلِ يأمُرهم بالمَعْرُوفِ ويَنهاهُم عَن المُنكَرِ ويُحِلُّ لَهُمُ الطَّيباتِ وَيُحَرِّمُ عليهم الخَبائِثَ وَيَضَعُ عنهم إصْرَهُم والأغْلالَ التى كانت عليهم ...)(٨)، وأنَّ نَسْخ القرآنِ بعضَ آياتِه ببعضٍ حَقٌّ، كما قال تعالى (ما نَنسَخْ مِن آيَةٍ أو نُنسِها نأتِ بِخَيْرٍ مِنها أو مِثْلِها ...)(٩) وكما قال تعالى (الآن خَفَّفَ اللهُ عَنكُم وعَلِمَ أن فِيكُم ضَعْفاً فإن يَكُن مِنكم مِائَةٌ صابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائتين وإن يكن منكم ألفٌ يغلبوا ألفَيْنِ بإذن اللهِ واللهُ مع الصَّابِرينَ)(١٠) بعد قوله تعالى (يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عِشْرُون صابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وإن يَكُن منكم مِائَةٌ يَغْلِبُوا ألفاً مِن الذِينَ كَفَرُوا بأنهم قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ)(١١)

والناسخ والمنسوخ آيات مشهورات مذكورات فى مواضعها من كتب التفسير وغيرها، وأنه لا يأتى كتاب بعد القرآن الكريم ولا مُغَيِّر ولا مُبَدِّل لشئ من الشرائع بعده فهو المُهَيْمِن على الكُتُب قبله والحاكم عليها، وليس لأحد الخروج عن شئ من أحكامه، وأنَّ مَن كَذَّبَ بشئ منه من الأُمَم الأولى فقد كذَّب به، وأن مَن اتَّبَع غير سبيله ولم يَقْتَفِ أثَرَه ضَلَّ .

---

(١) سورة الشورى :٥١ — **(٢) سورة النساء : ١٦٤** — **(٣) سورة الأعراف : ١٤٣**

(٤) سورة المائدة : ٤٤ - ٤٩ — **(٥) سورة الأعراف : ٤٠** — **(٦) سورة المائدة : ٤٨**

(٧) سورة آل عمران : ٤٨ — **(٨) سورة الأعراف : ١٥٧** — **(٩) سورة البقرة : ١٠٦**

(١٠) سورة الأنفال : ٦٦ — **(١١) سورة الأنفال : ٦٥**

٦ - ثم الإيمان بكُتُبِ الله عز وجل يجب إجمالا فيما أُجْمِل وتفصيلا فيما فُصِّل فقد سَمَّى الله تعالى مِن كُتُبه التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزَّبور على داود والقرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ، وذَكَر صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام ، وقد أخبر الله تعالى عن التنزيل على رسله مُجْمَلا فى قوله (والكتاب الذى نَزَّلَ على رسوله والكتاب الذى أنزل مِن قَبْل ...)(١) ولا يجب علينا الإيمان بما فى تلك الكتب السابقة للقرآن من التفصيلات والأخبار



لوقوع التحريف فيها إلا ما أثبته الله ورسوله من ذلك ، وَنَنْفِى ما نَفاهُ اللهُ ورَسُولُه ، ولا نُصَدِّق ولا نُكَذِّب بما سَكَتَ عنه اللهُ ورسولُه صلى الله عليه وسلم .

٧ - ثم لا بد فى الإيمان بالكتاب مِن امتثال أوامره، واجتناب مناهيه، وتحليل حلاله، وتحريم حرامه، والاعتبار بأمثاله، والاتعاظ بِقَصَصِه ، والعمل بِمُحْكَمِه، والتسليم لمتشابهه، والوقوف عند حدوده، وتلاوته آناء الليل والنهار، والذَّبّ عنه، والنصيحة له ظاهرا وباطنا بجميع معانيها، وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أمر به والانتهاء عما نَهَى عنه ، فذلك كله مأمُورٌ به فى الكتاب، قال تعالى (وما آتاكم الرَّسُولُ فَخُذُوه وما نَهاكُم عنه فانتَهُوا ...)(٢) وقال سبحانه فى التسليم للمُتَشَابِه (والرَّاسِخُونَ فى العِلمِ يَقُولُون ءامَنَّا به كُلٌ مِن عِندِ رَبِّنا ..)(٣)

٤ - الإيمان بالرُّسُل :

ما الفرق بين الرسول والنبى ؟؟

الرَّسُول : هو كل ذَكَر حُر أُوحِىَ إليه وأُمِرَ بالتبليغ وأتَى بشرع جديد .

النَّبِىَ : هو كل ذَكَر حُر أُوحِىَ إليه ولم يُؤْمَر بالتبليغ ، فكل رسول نبى ولا عكس .

ومن كفر برسول واحد فقد كفر بالله تعالى وبجميع الرُّسُل، كما قال تعالى (ءامَنَ الرَّسُولُ بما أُنْزِلَ إليه مِن رَبِّهِ والمُؤْمِنُونَ كُلٌ ءامَنَ باللهِ وملائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ ..)(٤)

وقال تعالى (إنَّ الذِينَ يَكْفُرُونَ باللهِ وَرُسُلِه ويُرِيدُونَ أن يُفَرِّقُوا بين الله ورسله ويقولون نُؤمِن ببعض ونَكْفُر ببعض ويريدون أن يَتَّخِذُوا بين ذلك سَبِيلاً * أولئك هم الكافِرُونَ حَقَّاً وأعْتَدْنا للكافِرِينَ عَذاباً مُهيناً)(٥)

---

(١) سورة النساء : ١٣٦

(٢) سورة الحشر : ٧

(٣) سورة آل عمران : ٧

(٤) سورة البقرة : ٢٨٥

(٥) سورة النّساء : ١٥٠ ، ١٥١

معنى الإيمان بالرُّسُل :

١ - التصديق الجازم بأنَّ اللهَ تعالى بعث فى كل أمة رسولا يدعوهم إلى عبادة الله وحده بلا شريك، والكفر بما يُعْبَد مِن دُونه، أى أن دعوتهم من أولهم إلى آخِرهم قد اتفقت فى أصل الدين وهو توحيد الله عز وجل بإلَهيَّتِه، ورُبُوبِيَّتِه، وأسمائه، وصِفاته، ونَفْى ما يضاد ذلك أو ينافى



كماله ، وأما فروع الشرائع من الفرائض، والحلال، والحرامن فقد تختلف لِحِكْمَة بالِغَة وغايَة مَحْمُودَة قضاها رَبُّنا عَزَّ وَجَلَّ .

٢ - وأنهم هُدَاةُ الخَلْق هداية دعوة ودلالة وإرشاد إلى سبيل الهُدَى ، قال تعالى (إنما أنت مُنْذِر ولكل قومٍ هاد)(١) ، وأما هداية التوفيق والتسديد والتثبيت فليست لأحد إلا بيد الله سبحانه هو مُقَلِّب القلوب وَمُصَرِّف الأمور، ليس لِمَلَكٍ مُقرَّب ولا لِنَبِيٍّ مُرْسِل تصريف شئ منها فَضْلاً عَمَّن دُونها ولذا قال تعالى (إنَّكَ لا تَهْدِى مَن أحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِى مَن يَشاءُ وَهُوَ أعْلَم بالمُهْتَدِينَ)(٢)

٣ - وأن جميع الرُّسُلِ صادقون مصدَّقون، أتقياء أُمَنَاء هُداة مُهْتَدُون، وبالبراهين الظاهرة مُؤَيَّدون وأنهم بَلَّغُوا جميعَ ما أرْسَلَهم به، ولم يَكْتُمُوا منه حَرْفاً واحِداً ولم يُغَيِّرُوا ولم يَزِيدُوا فيه مِن عند أنفسهم حَرْفاً ولم يُنقصوه .

٤ - وأن اللهَ تعالى اتَّخَذَ إبراهيم خليلا واتخذ محمداً صلى الله عليه وسلم خليلا ، وكَلَّمَ موسى تَكْليما، ورفع إدريس مكانا عَلِيًّا وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح (٣) منه وأن الله تعالى فَضَّلَ بعضهم على بعض درجات وأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين والمرسلين

٥ - الإيمان بالرسل إجْمالا فيما أُجْمِل وتفصيلا فيما فُصِّل ، وقد ذكر الله تعالى فى كتابه منهم (آدَم، ونُوحا، وإدْرِيس، وهُودا، وصالِحا، وإبْراهِيم، وإسْماعِيل، وإسْحاق، ويَعْقوب، ويُوسُف،

---

(١) سورة الرَّعْد : ٧ **(٢) سورة القصَص : ٥٦**

(٣) قال تعالى (إنَّما المَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ ألقاها إلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْه فآمِنُوا بالله وَرُسُلِهِ ...) سورة النساء : ١٧١، قال الشيخ السَّعْدِى رَحِمَه اللهُ تعالى فى تفسير هذه الآية : أى غاية المسيح عليه السلام ومُنتَهَى ما يصل إليه مِن مراتب الكمال، أعلى حالة تكون للمخلوقين وهى درجة الرسالة التى هى أعلى الدرجات وأجل المثوبات (وكلمته ألقاها إلى مريم) أى كَلِمَة تكلم اللهُ بها فكان بها عيسى، ولم يكن تلك الكلمة وإنما كان بها، وهذا مِن باب إضافة التشريف والتكريم وكذلك قوله (وروح منه) أى مِن الأرواح التى خلقها وكملها بالصفات الفاضلة والأخلاق الكريمة، أرسل الله روحه جبريل عليه السلام فنفخ فى فَرْج مريم عليها السلام، فَحَمَلَتْ بإذن اللهِ بِعِيسَى عليه السلام، فلما بَيَّنَ الله حقيقة عيسى عليه السلام، أَمَرَ أهْلَ الكِتاب بالإيمان به وبرسله، ونهاهم أن يجعلوا الله ثالث ثلاثة ، أحدهم عيسى، والثانى مريم، فهذه مقالة النَّصارَى قَبَّحَهُم اللهُ، فأمرهم أن ينتهوا وأخبر أن ذلك خير لهم ، لأنه الذى يتعين أنه سبيل النَّجَاة، وما سواه فهو طرق الهلاك، ثم نَزَّه نفسَه عن الشريك والولد، فقال (إنما الله إله واحد) أى هو المُنْفرد بالألُوهِيَّة الذى لا تَنْبَغِى العبادة إلا له (سبحانه) أى تَنَزَّه وتَقَدَّس (أن يكون له ولد) لأن : (له ما فى السموات وما فى الأرض) فالكل مَمْلُوكُون له مُفْتَقِرُون إليه، فمُحَال أن يكون له شريك منهم أو ولد ا. هـ

ولُوطا، وشُعَيْبا، ويُونُس، ومُوسَى، وهارُون، وإلْياس، وزَكَرِيَّا، ويَحْيَى، والْيَسَع، وذا الكِفْل،ودَاوُد، وسُلَيْمان، وأيُّوب، وذَكَر الأسْباط (١) جُمْلَة، وعِيسَى، ومُحَمَّداً صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وقَصَّ علينا مِن أنبائهم ثم قال (وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْناهُم عَلَيْكَ مِن قَبْل وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُم عَلَيْكَ ....)(٢) ، وأول الرسل بعد الاختلاف نوح عيه السلام لأن أُمَّتَه



التى بُعِثَ إليها كانت أول مَن اختلف وغَيَّر وبَدَّل وكَذَّب قال تعالى (كذبت قبلهم قوْمُ نُوح والأحْزابُ مِن بَعْدهم ....)(٣)

وكان الناس أُمَّةً واحدة على دين آدم عليه السلام كما قال ابن عباس وابن مسعود وأُبَىّ بن كعب وقتادة ومجاهد وغيرهم ، وقد قال سبحانه (كان النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النبيين مبشرين ومنذِرين وأنْزَلَ معهم الكِتابَ بالحق لِيَحْكُمَ بين النَّاس فيما اخْتَلَفُوا فيه وما اخْتَلَفَ فيه إلا الذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْد ما جاءتْهُم البيناتُ بَغْيَاً بينهم فَهَدَى اللهُ الذين ءامَنُوا لِما اخْتَلَفُوا فيه مِن الحَقِّ بإذنه واللهُ يهدى مَن يشاء إلى صِراط مستقيم)(٤) ، قالوا : كان بين نوح وآدَم عَشْرة قُرُون كلهم على شريعة مِن الحق فاختلفوا، فبعث اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ ومُنْذِرِين.

أُولُو العَزْمِ مِن الرُّسُل :

المشهور أنهم : نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم . والعَزْم : الجِد والحَزْم والصَّبْر وكمال العَقْل ، ولم يُرْسِل اللهُ مِن رسول إلا وهذه الصفات مجتمعة فيه غير أن هؤلاء أصحاب الشرائع المشهورة، كانت الصفات فيهم أكمل وأعظم مِن غيرهم، ولذا خُصُّوا بالذِّكْر فى سورة الأحزاب فى قوله تعالى (وإذ أخذنا من النبيين مِيثاقهم ومنك ومِن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غَليظاً)(٥) ، وكذا فى سورة الشُّورَى فى قوله تعالى (شرع لكم مِن الدِّين ما وَصَّى به نُوحا والذى أوحينا إليك وما وَصَّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كَبُرَ على المشركين ما تدعوهم إليه اللهُ يَجْتَبِى إليه مَن يَشاءُ ويَهْدِى إليه مَن يُنِيب)(٦) ، وهؤلاء الخمسة هم الذين يَتَراجَعُونَ فى الشفاعة بعد أبيهم آدم عليه السلام حتى تنتهى إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

مسألة فى مَن هو الذَّبيح إسحاق أم إسماعيل ؟؟؟

القول بأن إسحاق هو الذَّبيح هو قول مَرْجوح أو مَرْدود ، وإنما كان الذَّبيح هو إسماعيل عليه السلام كما يُفْهَم مِن سورة الصافات فى قوله تعالى (وقال إنى ذاهبٌ إلى ربى سيهدين * رَبِّ هَبْ لى مِن الصالحين * فَبَشَّرْناه بغُلامٍ حليم * فلمَّا بَلَغَ معه السَّعْىَ قال يا بُنَىَّ إنى أرَى فى المَنام

---

(١) الأسْباط أولاد يَعْقُوب، وقد كانوا اثْنَى عَشَر رَجُلاً عَرَّفَنا القرآن بواحدٍ منهم وهو يوسف عليه السلام، والباقى عددهم أحَد عَشَر رَجُلاً لم يُعَرِّفْنا اللهُ بأسمائهم ولكنه أخبرنا بأنه أوحِىَ إليهم قال تعالى (قولوا ءامنا بالله وما أنْزِلَ إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتِىَ موسى وعيسى ...) سورة البقرة : ١٣٦ (الرسل والرسالات – الشيخ د / عمر الأشقر)

(٢) سورة النساء : ١٦ (٣) سورة غافر : ٥ (٤) سورة البقرة : ٢١٣

(٥) سورة الأحزاب : ٧ (٦) سورة الشورى : ١٣

أنِّى أذْبَحُكَ فانظرْ ماذا تَرَى قال يا أبتِ افْعَل ما تُؤْمَر سَتَجِدُنِى إنْ شاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * وفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظيمٍ)(١) ، ثم قال بعد ذلك (وَبَشَّرْناهُ بإسْحاقَ نَبِيَّاً مِنَ الصَّالِحِينَ)، فهذا يَقْتَضِى أنَّ البُشْرَى الأُولَى كانت إسْماعِيل، و إسحاق رُزِقَ به إبراهيمُ عليه السلام على الكِبَر بعد



إسماعيل عليه السلام، وفى سورة هود قال تعالى (وامرأته قائمة فضَحِكَت فبشرناها بإسحاق وَمِن وراء إسحاق يعقوب)(٢)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : (ومِن هنا استُدِلَّ بهذه على أن الذبيح هو إسماعيل ، وأنه يمتنع أن يكون هو إسحاق لأنه وقعت البشارة به وأنه سيولد له يعقوب ، فكيف يُؤْمَر إبراهيم بذبحه وهو طفل صغير ولم يُولَد له بَعْدُ يعقوب الموعود بوجوده ؟ ووعد الله حق لا خلاف فيه فيمتنع أن يؤمر بذبح هذا والحالة هذه ، فَتَعَيَّنَ أن يكون هو إسماعيل ، وهذا مِن أحسن الاستدلال وأصحه وَأَبْيَنه ولله الحمد)(٣)

٥ - الإيمان باليوم الآخِر :

قال تعالى (والذين يؤمنون بما أُنْزِلَ إليك وما أُنزل مِن قبلك وبالآخِرَة هم يوقِنون)(٤) وقال (الله لا إله إلا هو لَيَجْمَعَنَّكم إلى يوم القيامة لا رَيْبَ فيه ومَن أصْدَق مِنَ الله حديثا)(٥) ، وهذا الإيمان يجب أن يكون مجردا عن إدِّعَاءِ الغيب بعلم وقت الساعة فإن ذلك مِن مفاتيح الغيب التى لا يعلمها إلا اللهُ عز وجل ، قال سبحانه (يسألونك عن الساعة أَيَّانَ مُرْسَاها * فِيمَ أنت مِن ذِكْراها * إلى ربك مُنتهاها)(٦) ، وقال (وَعِنْدَهُ مَفَاتِح الغيب لا يعلمها إلا هو)(٧) ، وقال (إن الله عنده علم الساعة ويُنَزِّلُ الغَيْثَ ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير)(٨) ، ويدخل فى الإيمان باليوم الآخِر :

أولاً : أمارات الساعة. ثانياً : الإيمان بالموت .

ثالثاً : الإيمان بما بعد الموت بما فيه من سؤال القبر وعذابه ونعيمه.

رابعاً : الإيمان بالصُّور والنَّفْخ فيه. خامساً : الإيمان بالبَعْث والنُّشُور. سادساً : الحَشْر.

سابعاً : جَمْعُ الخَلائِق فى المَوْقِف وأحوالهم فيه.

ثامناً : لِقاء الله عز وجل. تاسعاً : العَرْض والحِساب.

عاشراً : المَجِئ بالكِتاب والأشهاد وشهادة الأعضاء والجَوارِح.

---

(١) سورة الصافات : ٩٩ - ١٢٢ **(٢) سورة هود : ٧١**

(٣) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى **(٤) سورة البقرة : ٤**

(٥) سورة النساء : ٨٧ **(٦) سورة النَّازعات : ٤٢ - ٤٤**

(٧) سورة الأنعام : ٥٩ **(٨) سورة لُقمان : ٣٤**

حادى عَشَر : نَشْر صحائِف الأعمال وأخذ أهلها باليمين والشمال.

ثانى عشر : المِيزان. ثالث عشر : الصِّرَاط.

رابع عشر : الاقْتِصاص مِنَ الظَّالِم للمَظْلوم. خامس عشر : الإيمان بالجَنَّةِ والنَّار.

سادس عشر : الإيمان بما جاء فى الكَوْثَر وَحَوْض نبينا محمد وأن له لِواء الحَمْد يوم القيامة.

سابع عشر : الإيمان بالشَّفاعَة وأحاديثها والمَقام المَحْمُود.

وإليك تفصيل ما مَرَّ مِمَّا يَدْخُلُ فى الإيمانِ باليَوْمِ الآخِرِ :

أولا : الإيمان بأمارات الساعة أى : أشراط الساعة، قال تعالى (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إلا السَّاعَةَ أن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فقد جاء أشْراطُها ...)(١) أى علاماتِها وأماراتِها التى تدل عليها مثل :

١ - بَعْثَة النبى صلى الله عليه وسلم .

٢ - أن تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَها وأن ترى الحُفاة العُراة رعاء الشَّاء يَتَطاوَلُون فى البُنْيان .

٣ - تَقَاتُل الناس على جَبَلٍ مِن ذَهَب على الفُرات .

٤ - الدُّخان ، قال تعالى (فارْتَقِبْ يَوْمَ تأتِى السَّماءُ بِدُخانٍ مُبينٍ)(٢)

٥ - ظهور الفتن والعجائب وسوء الأخلاق ، ومن تفصيلات الفِتَن وغيرها من الأشراط الصغرَى؛ اقتتال فِئتين عظيمتين مِنَ المُسلِمين دعواهما واحدة، وأن يُبْعَثَ دَجَّالون كذابون قريب مِن ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله، وأن يُقْبَض العِلْم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان ويكثر المال فيفيض، حتى يُهِمَّ رَبُّ المال مَن يقبل صدقته وحتى يَعْرِضَه فيقول الذى يعرضه عليه : لا إرْبَ(٣) لى فيه، ومنها أن يمر الرَّجُل بِقَبْر الرجل فيقول ياليتنى مكانه . وهذا كله رواه البخارى فى الفتن ، ومِن تفصيلات الفتن وغيرها مِن الأشراط الصُّغْرَى غير ما ذُكِر : قِتال قوم من التُّرْك صِغار العيون، وعبادة الأوثان مِن بعض قبائل أُمَّة محمد صلى الله عليه وسلم ، وقتال اليهود حتى يختبئ اليهودى مِنَ المُسْلِم وراء الشَّجَر والحَجَرفيدل الشجرُ والحَجَرُ المُسْلِمَ عليه، وخروج نار مِن أرض الحِجاز تُضِيئُ لها أعْناق الإبل بِبُصْرَى(٤)، وتخريب ذى السويقتين مِن الحَبَشَة للكعبة، وعدم حَج البيت، وتباهى الناس بالمساجد، وخروج رَجُلٌ مِن قَحْطان يسوق الناس بعَصاه، وظهور المَهْدى يملأ الأرضَ قِسْطاً وعَدْلا، ومِن الأمارات أيضا : أنْ لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لُكَع بن لُكَع – أى اللئيم الدَّنِئ صغير العِلم والعَقْل (٥)

---

(١) سورة مُحَمَّد : ١٨ (٢) سورة الدُّخان : ١٠ (٣) إرْب : حاجة

(٤) بُصْرَى : مدينة تاريخية بالشام تَتْبَع مُحافظة (دِرْعا) بالجمهورية العربية السُورِيَّة.

(٥) انظر صحيح الجامع للألبانى من الحديث رقم ٧٤٠٩ إلى الحديث رقم ٧٤٣٣

٦ - ثلاثة خُسُوف : خَسْف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وخروج نار من اليمن تطرد الناس إلى مَحْشَرِهم .

٧ - عدم الفرح بغنيمة وعدم قِسْمَة الميراث وذلك بعد مَقْتَلَةٍ عظيمة بين المسلمين والرُّوم يُقْتَل فيها كثير من المسلمين ويفتحون قُسْطَنْطِينِيَّة (١) ويخرج بعد ذلك الدَّجَّال .



٨ - خروج المسيح الدجال ثم نزول عيسى بن مريم لِيَقْتُلَ الدَّجَّالَ ثُمَّ يخرج يَأْجُوجُ ومَأْجُوجُ (٢) وَيُحْصَرَ نَبِيُّ اللهِ عيسى عليه السلام وأصحابُهُ إلى الطُّور، ويَدْعُونَ اللهَ عز وجل فَيُمِيتُ يأجوج ومأجوج مَهْلَكَة واحدة وينزل عيسى وأصحابُهُ عن الجبل فَيَجِدُونَ نَتَنَ جِيَفِهِم فى كل مكان فيدعون اللهَ فيرسل طيراً تحملهم وتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل اللهُ مطرا غزيرا، وتظهر البَرَكَة، وتَعْظُمُ الثَّمَرَة على غير ما يعهده الناس، ثم يرسل الله ريحاً بارِدَة طَيبة تَقْبِض رُوحَ كلِ مسلم ومؤمِن، ويبقى شِرار الناس (٣) فعليهم يكون قيام الساعة (٤) وهذا كله مذكور فى صحيح مسلم.

٩ - طلوع الشمس مِن مَغْرِبِها والدَّابَّةِ أيَّتِها كانت الأُولَى فالأخرى على إثرِها قريباً، وإذا طلعت الشمس مِن مَغْربها لا ينفع نفساً إيمانُها لم تكن آمَنَت مِن قبل، ولا تنفع التوبة، وهذا يكون بعد الدجال ونزول عيسى عليه السلام . قال ابن حجر – رحمه الله – (نزول عيسى بن مريم يعقب خروج الدجال ، وعيسى لا يقبل إلا الإيمان ، فانتفى أن يكون بخروج الدجال لا يقبل الإيمان ولا التوبة .... فالذى يترجَّح مِن مجموع الأخبار؛ أن خروج الدجال أول الآيات العِظام المُؤذِنَة بتغيير الأحوال العامة فى معظم الأرض، وينتهى ذلك بموت عيسى بن مريم عليه السلام، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المُؤْذِنَة بتغيير أحوال العالم العلوى ، وينتهى ذلك بقيام الساعة ولعل خروج الدَّابة يقع فى ذلك اليوم الذى تطلع فيه الشمس مِن المغرب .... والحِكْمَة فى ذلك أن عند طلوع الشمس من المغرب يُغْلَقُ بابُ التوبة فتخرج الدابة تُمَيِّز المؤمِن من الكافر تكميلا للمقصود من إغلاق باب التوبة، وأول الآياتِ المُؤْذِنَة بقيام الساعة النار التى تحشر الناس كما فى حديث أنس فى بدء الخلق فى مسائل عبد الله بن سلام ، ففيه (وأما أول أشراط الساعة فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِن المَشْرِق إلى المَغْرِبِ ...)(٥)

---

(١) القُسْطَنْطِينِيَّة : أطلق عليها محمد الفاتح بعدما فتحها (إسْلام بُول) أو (الأسَتانَة) واسمها حاليا (إسْطَنْبُول)

(٢) قال تعالى (حَتَّى إذا فُتِحتْ يَأجُوجُ ومَأجُوجُ وَهُم مِن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلونَ) سورة الأنبياء : ٩٦

(٣) وهم غير يأجوج ومأجوج فقد هلكوا جميعا كما سبق .

(٤) أى يُصْعَقون فلا يبقى حَيٌّ على وجه الأرض .

(٥) فتح البارى ج ١١ ص ٣٦٤

الصَّعْقة وما بعدها من المطر بعد فناء الدنيا :

ثبت فى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه أنه بعد موت عيسى عليه السلام وأصْحابِهِ بالرِّيح التى تَقْبِض كُلَّ نفس مؤمنة يبقى شِرار الخلق فى خِفَة الطير وأحْلام السِّبَاع لا يعرفون معروفاً ولا يُنكِرُون مُنْكَراً يَتَهارَجُونَ فى الدنيا تَهَارُج



الحُمُر(١) مَفْتُونِينَ بما هُم فيه مِن رِزْقٍ كثير وَعَيْشٍ حَسَن ويتمثل لهم الشيطان فيقول : ألا تستجيبون ؟ فيقولون : فما تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان ، فعليهم تقوم الساعة حيث يُنْفَخ فى الصور فَيُصْعَقون، وأولهم يُصْعَق رجل يَلُوطُ حَوْضَ إبِلِه (أى يُطَيِّنُهُ ويُصْلِحُهُ) فيصعق ويصعق الناس، ثم يُرْسِلُ اللهُ مَطراً تَنْبُت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم يُقال : يا أيها الناس هَلُمَّ إلى رَبِّكُم وَقِفُوهم إنهم مسئولون . ثم يقال : أَخْرِجُوا بَعْثَ النار فيقال : مِنْ كَمْ ؟ فيقال : مِن كُلِّ أَلفٍ تِسعمائة وتسعة وتسعين . فذلك يَوْم يجعل الوِلْدان شِيبا، وذلك يوم يُكْشَفُ عَن ساق .

ثانياً : الإيمان بالموت فمنه :

١ - تَحَتُّمُه على كل مَن كان فى الدنيا مِن أهل السموات والأرض مِن الإنس والجِنِّ والملائكة وغيرهم مِن المَخلوقات .

٢ - أن كُلاً له أجَل محدود لا يتجاوزه ولا يقصر عنه، وقد عَلِم اللهُ تعالى جميع ذلك بِعِلمِه الذى هو صفته ، وجَرَى به القلم بأمره يوم خَلْقه، ثم كتبه المَلَكُ على كل أحَد فى بطن أمه بأمر ربه عز وجل عند تخليق النُّطْفَة، وأن كل إنسان مات أو قُتِل أو حُرِق أو غَرِق أو بأى حَتْفٍ هَلَكَ أجَلُه، لم يَستأخِر عنه ولم يستَقْدِم طَرْفَة عَيْن، وأن ذلك السبب هو الذى قَدَّرَه اللهُ وَقَضَاه وأحْصاه ولا مَحِيصَ ولا مَفَرّ ولا مَهْرَب ولا فِكاك ولا خلاص منه .

٣ - الإيمان بأن الأجَلَ المحتوم لانتهاء كل عُمْر لا اطِّلاع لنا عليه ولا عِلْم لنا به، وأن ذلك مِن مفاتيح الغيبالتى استأثَرَ اللهُ تعالى بعلمها عن جميع خَلقه فلا يعلمها إلا هو ، وأن هذا الموت هو ساعة كل إنسان مخصوصة إذ هو المُفْضِى بالعبد إلى منازل الآخِرَة .

٤ - ومنها ذِكْر العبد للموت وجعله على باله، لقوله صلى الله عليه وسلم (أَكْثِروا ذِكْرَ هاذِمِ (٢) اللَّذَّات)(٣) يعنى المَوْت .

٥- ومنها – وهو المقصود الأعظم – التَّأَهُّب له قبل نزوله والاستعداد لِما بَعْدَه قبل وصوله والمبادرة بالعمل الصالح والسَّعْى النافع قبل دُهُوم البلاء وحلوله ، إذ ليس بَعْدَه لأحدٍ مُسْتَعْتَب

---

(١) قال الإمام النَّوَوى رحمه الله : أن يجامِعَ الرِّجالُ النِّساءَ بِحَضْرَةِ النَّاس كما يفعل الحَمير ولا يَكْتَرِثون لذلك ، والهَرْج بإسكان الراء الجِمَاع ، يقال هَرَجَ زَوْجَتَه أى جامَعَها يَهرجُها بفتح الراء وضمها وكسرها . ا .هـ ،وللهَرْج معانٍ أُخْرَى منها الفِتْنَة واختلاط الناس ومنها القتل.

(٢) هاذِم بمعنى قاطع. (٣) رواه الترمذى والنسائى رحمهما الله تعالى عن ابن عمر رضى الله عنهما – ص . ج رقم ١٢١٠

ولا اعتذار ولا زيادة فى الحسنات ولا نقص فى السيئات، ولا مَنْزِل إلا القبر، وهو إمَّا منزل مِن مَنازل الجنة أو منزل من منازل النار ، ثم بعد البعث إما نعيم مقيم فى جنات النعيم وإما عذاب أليم فى نار الجحيم ، فالمُفْلِح مَن اغتنمَ حياته قبل أن يَسْأَل الرَّجْعة قبل الموت وهَيْهَات.

ثالثا : الإيمان بما بعد الموت بما فيه مِن سؤال القبر وعذابه :



تظاهرت نصوص الشريعة كتاباً وسُنَّةً بإثبات سؤال القبر وفتنته وعذابه ونعيمه ، وأجمع على ذلك أئمة السُّنَّة مِن الصحابة والتابعين فَمَن بَعْدَهُم مِن أهل السنة والجماعة، والأدلة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخِرَة ويُضِل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء)(١) والمراد بالتثبيت هو عند السؤال فى القبر لِما رواه البخارى رحمه الله عن البراء بن عازب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (إذا أُقْعِدَ المؤمنُ فى قبره أُتِيَ ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله (يُثَبِّتُ اللهُ الذين آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ)(٢)، ومنها قوله تعالى فى قوم نوح (مِمَّا خَطِيئَاتِهِم أُغْرِقوا فَأُدْخِلوا ناراً...)(٣) فالتعقيب بالفاء يدل على أن عذابهم فى النار تَبِعَ مَوْتَهم واتَّصَلَ بهم، ومنها قوله تعالى (وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْن سُوءُ العذاب * النار يُعْرَضون عليها غُدُوَّاً وعَشِيَّاً ويوم تقوم الساعة أَدْخِلوا آلَ فرعون أشدَّ العذاب)(٤) فدل ذلك على أن عَرْضَهم على النار غدوا وعشيا كان قَبْلَ يوم القيامة، لأنهم يوم القيامة يتقلبون فى ألوان العذاب دون استراحة، فهو عذاب مستمر دائم مقيم .

ومِن السُّنَّة فقد بَلَغَتْ فى ذلك مَبْلَغ التواتر إذ رواها أئمة السُّنَّة وَحَمَلَةُ الحديث وَنُقَّاده عن الجَمِّ الغَفير والجَمْع الكثير مِن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (لولا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ أن يُسْمِعَكم مِن عذاب القبر الذى أسمع)(٥)

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم مَرَّ على قَبْرَيْن فقال (إنهما لَيُعَذَّبانِ وما يُعَذَّبان فى كبير . ثم قال : بلى أمَّا أحدهما فكان يسعى بين الناس بالنميمة، وأما الآخَر فكان لا يَسْتَتِر مِن بَوْلِه)(٦)

---

(١) سورة إبراهيم : ٢٧

(٢) رواه البخارى رحمه الله تعالى عن البراء بن عازب رضى الله عنه

(٣) سورة نوح : ٢٥

(٤) سورة غافر : ٤٥ ، ٤٦

(٥) رواه مسلم رحمه الله تعالى

(٦) رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى وغيرهما

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا فرغ مِن دَفْن الرَّجُل وَقَفَ عليه وقال (استغفِروا لأخيكم وَسَلُوا له التثبيت فإنه الآن يُسْأَل)(١)





وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (اللهم إنى أعوذ بك مِن عذاب القبر، وأعوذ بك مِن عذاب النار، وأعوذ بك مِن فتنة المحيا والممات وأعوذ بك مِن فتنة المسيح الدجال)(٢)

رابعاً : الإيمان بالصُّور والنَّفْخ فيه :

الصُّور هو الذى جعله اللهُ عز وجل سَبَبَ الفَزَعِ والصعق والقيام مِن القبور، والصُّور هو القَرْن الذى وَكَّلَ اللهُ به إسرافيل عليه السلام لينفخ فيه حين يأمره بذلك، قال تعالى (وَنُفِخَ فى الصور فَصَعِقَ مِن فى السموات وَمِن فى الأرض إلا مَن شاء الله * ثم نُفِخَ فيه أُخْرَى فإذا هم قِيام يَنْظُرون)(٣) وقال تعالى (ويوم يُنْفَخ فى الصور فَفَزِعَ مِن فى السموات وَمَن فى الأرض إلا مَن شاء اللهُ وَكُلٌ أَتَوْه داخِرين)(٤) ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : جاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ما الصور ؟ فقال : (قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ)(٥)

فائدة فِيمَن لا يَفْنَى بالنَّفْخ فى الصور :

جاء فى تفسير قوله تعالى (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا مَن شاء الله .....) أن المراد بذلك الشهداء والحُور العِين ورضوان وزبانية العذاب ، وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى (ولا يمكن الجزم بكل مَن استثناه اللهُ ، فإن الله أطْلَقَ فى كِتابه) (مجموع الفتاوى)

قال الشيخ السعدى رحمه الله تعالى فى تفسيره فى قوله تعالى (... إلا مَن شَاءَ اللهُ ...) سورة الزمر : ٦٨ : أى مِمَّن ثَبَّتَه الله عند النفخة فلم يصعق كالشهداء أو بعضهم وغيرهم، وهذه النفخة الأولى نفخة الصعق ونفخة الفزع.

---

(١) رواه أبو داود رحمه الله تعالى – ص . ج . رقم ٤٧٦٠

(٢) رواه البخارى والنسائى رحمهما الله تعالى عن أبى هريرة رضى الله عنه – ص . ج رقم ١٢٩٤

(٣) سورة الزمر : ٦٨

(٤) سورة النمل : ٨٧

(٥) رواه أحمد وأبو داود والترمذى والحاكم رحمهم الله تعالى – ص . ج رقم ٣٨٦٣

(ثم نُفِخَ فيه أُخْرَى) نفخة البعث (فإذا هم قِيامٌ) أى قد قاموا مِن قبورهم لبعثهم وحسابهم ، قد تَمَّت منهم الخِلْقة الجَسَدِيَّة والأرواح وشخصت أبصارهم (ينظرون) ماذا يُفْعَل بهم . ا . هـ .





قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : فإنِ احْتَجَّ مُبتدِع بقوله عز وجل (كل شئ هالكٌ إلا وَجْهَه)(١) وقوله تعالى (كُلُ مِن عليها فان)(٢)، قيل إن المراد كل شئ عليه الهلاك والفناء هُنالِك فانٍ، ويُؤيد ذلك الاستثناء المَذْكور فى سورة الزمر ا .هـ .

وهناك ثمانية أشياء تُستَثنَى مِن الفَناء ويجمعها قول الشاعر :

ثَمانيَة حُكْمُ البَقاءِ يَعُمُّـــــــها مِن الخَلْق والباقُونَ فى حَيِّز العَدَم

هى العَرْشُ والكُرْسِىُّ نارٌ وَجَنَّة وَعَجْبٌ وأرْواحٌ كَذا اللَّوْحُ والقَلَـمُ

خامساً : الإيمان بالبَعْث والنُّشُور :

قال تعالى (وقالوا إنْ هِىَ إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين .....)(٣) وقال سبحانه (وقالوا ءَإذا كُنَّا عِظاما ورُفاتا ءَإنَّا لَمَبْعُوثون ....)(٤) وقال (أفَحَسِبْتُم أنَّما خلقناكم عَبَثًا وأنَّكم إلينا لا تُرْجَعون)(٥) وقال (والله الذى أرسل الرياح فتُثير سحاباً فَسُقناه إلى بلدٍ مَيِّتٍ فَأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور)(٦)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما بين النَّفْخَتَيْن أربعون) قالوا : يا أبا هريرة أربعون يوماً ؟ قال : أَبَيْتُ (٧)، قالوا : أربعون شهرا ؟ قال : أبيت ، قالوا : أربعون سَنَة ؟ قال : أبيت – ثم يَنْزِل مِن السماء ماء فينبتون كما ينبت البَقْلُ . قال : وليس مِنَ الإنسان شئ إلا يبلى، إلا عَظْماً واحِداً وهو عَجْبُ الذَّنَب، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يوم القيامة)(٨)

وَعَجْبُ الذَّنَب : هو العَظْم بين الإلْيَتَيْن فى أسفل الصُّلب، والعَجْبُ مِن كل دابَّة ما انْضَمَّ عليه الوَرِكانِ مِن أصل الذَّنَب المَغْروز فى مُؤَخِّرَةِ العَجُز (لسان العرب لابن منظور رحمه الله).

وأنكر قوم البعث كالفلاسفة الدَّهْرِيَّة، والطَّبائعية، والدَّوْرِيَّة منكرون الخالق، والدَّهرية من مشركى العرب وَمَن وافقهم وملاحِدَة الجَهْمِيَّة وَمَن وافقهم.

---

(١) سورة القصص: ٨٨ (٢) سورة الرحمن : ٢٦ (٣) سورة الأنعام : ٢٩ : ٣١

(٤) سورة الإسراء : ٤٩ - ٥٢ (٥) سورة المؤمنون : ١١٥ (٦) سورة فاطر : ٩

(٧) أَبَيْتُ : أى امْتَنَعْتُ عن الجواب لأنى لا أدرى الصواب (٨) رواه مسلم رحمه الله تعالى

وقال ابنُ القَيِّم رحمه اللهُ تعالى يَرُدُّ على قولِ الجَهْم بانعدام العالم انعداماً مَحْضاً :

وَكَذا يَقْبِضُ أرْضَهُ وَسَمَــاءَ هُ بِيَدَيْهِ مَا العَدَمان مَقْبُوضَان

وَتُحَدِّثُ الأرْضُ بِمَا كُنَّا بهَـا أخْبَارَها فِى الحَشْرِ لِلرَّحْمَـن



وَتَظَلُّ تَشْهَدُ وَهْىَ عَدْلٌ بِالَّذِى مِن فَوْقِهَا قَدْ أَحْدَثَ الثَّقَـــلانِ
أَفَيَشْهَد العَدَمُ الذِى هُوَ كَاسْمِهِ لا شَئَ هَذَا لَيْسَ فِى الإمْكَـانِ
لَكِنْ تُسَوَّى ثُمَّ تُبْسَطُ ثُمَّ تَشْهَـدُ ثُمَّ تُبَدَّلُ وَهْىَ ذَاتُ كِيَـــــانِ (١)

ما لا يَبْلَى فى القبْر :

١ - أجساد الأنبياء، لحديث (إنَّ اللهَ تَعالَى حَرَّمَ على الأرضِ أن تأكلَ أجسادَ الأنبياء)(٢)

٢ - أجساد الشُّهَدَاء (٣)

٣ - عَجْبُ الذَّنَب مِن كل إنسان.

٤ - الأرْواح : فـالحق الـذى عليـه أهـل السُّنَّة والجماعـة أن الأرواح لا تبلـى، وأنهـا ليست هـى مُطْلَق حياة الإنسان العارضة، بل هى حقيقة أُخْرَى مُسْتَقِلَّة يعمر فيها الجسد بحلولها فيه ويفسد بخروجها مِنْه وهى النَّسَمَة التى يموت الإنسان بخروجها مِن جَسَده، وأن لها حقيقة وأنها تُنْفَخ وَتُقْبَض وَتَصْعد وَتَهْبط، وأنها مُفارقة الجسد إما أن تُنَعَّم أو تُعَذَّب وبعد النَّفْخ فى الصُّور (النفخة الأولى) تعود كل روح إلى جسدها الذى كانت تَعْمُره فى الدُّنْيا (٤)

---

(١) القصيدة النونية لابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى (٢) صححه الألبانى فى صحيح أبى داود

(٣) ليست كل أجساد الشهداء لا تبلَى فى القبر، ولكن ما ورد به الدليل فى التخصيص كما قال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا مُسَدَّد حدثنا بشير بن المفضل حدثنا حسين المعلم عن عطاء عن جابر قال : لَمَّا حضر أحُدا دعانى أبى مِن الليل فقال لى : ما أرانى إلا مقتولا فى أول مَن يُقتل مِن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم، وإنى أرى بعد أعز علىَّ مِنك غير نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن علىَّ دَيْنَاً فاقضِه واستوصِ بأخواتك خيرا ، فأصبحنا وكان أول قتيل فدفنتُ معه آخَر فى قبره ، ثم لم تَطِبْ نفسى أن أتركَه مع آخَر فاستخرجتُه بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم وَضَعْتُه هُنَيَّة غير أذُنِه (أخرجه البخارى حديث رقم ١٣٥١) ولأصحاب السُّنَن عنه رضى الله عنه مِن حديث طويل ، وفيه (فَبَيْنَا أنا فى خِلافة مُعَاويَة بن أبى سُفْيان إذ جاءنى رَجُلٌ فقال : يا جابر والله لقد أثار أباك عُمَّال معاوية فبدأ فخرج طائِفة منهم ، فأتيته فوَجَدته على النحو الذى دَفَنْتُه لم يتغير إلا ما لم يدع القتل أو القتيل (انظر كتاب معارج القبول – فصل منكرو البعث على أربعة أصناف)

(٤) سبق وذُكِرَ أن جسد الإنسان يبلى إلا عَجْب الذَّنَب ثم ينبت هذا الجسد مرة أخرى كما ينبت البَقْل كما سبق فى الحديث، وذلك يكون بالمطر الذى يُنزله اللهُ قبل النفخة الثانية، ثم تُجْمَع الأرواح فى الصور وينفخ فيه النفخة الثانية فتطير كل رُوح إلى جسدها، وهذا بخلاف عودة الروح إلى الجسد المذكورة فى حديث البراء بن عازب الطويل فى سؤال القبر فهى عودة إلى الجسد بعد الموت قبل أن يبلى تمهيدا للسؤال والفتنة، والله أعلم

قال العلاَّمَة ابن القيم رحمه الله تعالى فى قَصِيدَتِه النُّونِيَّة :



والأنبياءُ فإنهم تَحْتَ الثَّـــرَى	أجْسادُهُم حُفِظَتْ مِنَ الدِّيـدانِ
ما للبِلى بلحومهم وَجُسُومِهِـــم	أبَداً وَهُم تَحْتَ الثُّرابِ يَـدان
وكذا عَجْبُ الظَّهْرِ لا يَبْلَى بل	مِنْهُ تُرَكَّبُ خِلقَةُ الإنســـــان
وكذلكَ الأرْواحُ لا تَبْلى كَمــــا	تَبْلى الجُسُومُ ولا بِلى اللُّحْمان
ولأجل ذلك لَمْ يُقِرَّ الجَهْمُ مـــا	الأرْواحُ خارِجَةٌ عَن الأبْـدان
لَكِنَّها مِن بَعْض أعْراضٍ بهـــا	قامَتْ وذا غاية البُطْــــلان
فالشأن للأرواح بعد فراقهــــا	أبدانها والله أعظم شـــــان
إمّا عَذابٌ أو نَعِيمٌ دائِـــــــمٌ	قد نَعِمَتْ بالرَّوْح والرَّيْحــان
وَتَصِيرُ طَيْراً سارحاً مَع شَكْلِها	تَجْنِى الثّمارَ بِجَنَّةِ الحَيَـــوان
وَتَظَلُّ واردَة لأنْهارٍ بهـــــا	حَتَّى تَعُودَ لِذلِكَ الجُثْمــــان
لَكِنَّ أرْواحَ الذين اسْتُشْهِـــدُوا	فى جَوْفِ طَيْرٍ أخْضَرَ رَيَّــان
فَلَهُم بِذاكَ مَزِيَّة فى عَيْشِهِــــم	وَنَعِيمِهِم للرُّوحِ والأبْـــدان
بَذَلُوا الجُسُومَ لِرَبِّهِم فأعاضَهُـم	أجْسامَ تِلكَ الطَّيْرِ بالإحْســان
ولها قَنادِيل إليها تنتهــــــى	مأوَى لَها كَمَساكِنِ الإنْســان
فالرُّوحُ بَعْدَ المَوْتِ أكْمَل حالَـة	منها بهذى الدَّارِ فى جُثْمـــان



سادساً : الحَشْر (١)

وقد ورد فى ذِكره وذِكر صفاته كثير من الآيات والأحاديث:

قال تعالى (يَوْمَ نَحْشُرُ المُتَّقِين إلى الرَّحْمَن وَفْداً * وَنَسُوقُ المُجْرِمِينَ إلى جَهَنَّمَ ورْداً)(٢)، قال ابن عباس رضى الله عنهما، وفدا : رُكْباناً، أما الورْد : الجَمَاعَة العِطاش، وهو مَرْوِى عن ابن عباس أيضا. وقال سبحانه (.. وَنَحْشُرُهُم يَوْمَ القِيامَةِ على وُجُوهِم عُمْيَاً وَبُكماً وَصُمَّاً مَأْواهُم جَهَنَّمَ كُلَّما خَبَتْ زِدْناهم سَعِيراً)(٣)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (يُحشر الناس على ثلاث طرائق : راغبين راهبين (٤) واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير (٥) وعشرة على بعير ، ويحشر بقيتهم إلى النار ، لِتَقِلَ معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا ، وتصبح معهم حيث أصبحوا ، وتمسى معهم حيث أَمْسَوْا)(٦)

قال الخَطَّابى : هذا الحشر يكون قَبْلَ قيام الساعة، تحشر الناس أحياء إلى الشام وأما الحشر من القبور إلى الموقف فهو على خلاف هذه الصورة من الركوب على الإبل والتعاقب عليها وإنما هو على ما ورد فى حديث ابن عباس (حُفَاة عُرَاة مُشَاة) وكذا رجَّحَه ابنُ حَجَر فى فتح البارى

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (تُحْشَرون حفاة عراة غُرْلا)(٧)– أى مختونين – قالت عائشة رضى الله عنها : فقلت يارسول الله : الرِّجال والنِّساء ينظر بعضهم إلى بعض ؟ فقال (الأمر أشد مِن أن يَهُمَّهُم ذلك)(٨) ، وفى روايات النسائى وابن أبى حاتم والترمذى (لِكُلِّ امرئ منهم يومئذ شأن يُغنيه)(٩) (صححه الألبانى رحمه الله تعالى)

---

(١) الحَشْر : الجمع، واجتماع الخَلْق يوم القيامة، وجمعها حُشُور ، ويوم الحشر : يوم القيامة (المعجم الوجيز)

(٢) سورة مريم : ٨٥ ، ٨٦ (٣) سورة الإسراء : ٩٧

(٤) لم يذكر الخمسة والستة إيجازاً واكتفاءً بما ذُكِرَ من الأعداد (فتح البارى ج ١١)

(٥) يحتمل أن هؤلاء عوام المؤمنين وَهُم مَنخلط عملا صالحا وآخر سيئاً فيترددون بين الخوف والرجاء وهم يُحْشَرون مُشاة، والصِّنْف الثانى أفَاضِل المؤمنين يحشرون رُكْبانا ويحتمل العكس فيكون الراغبون الراهبون الأبرار يحشرون ركبانا والصنف الثانى دونهم فى الفضل فيحشرون مُشاة، وذلك على القول بأنهم يَعْتَقِبُونَ الإبل فلا يسلمون مِن المشى ويحتمل أن يكون البعير المذكور من بدائع فِطْرَة الله حتى يقوى على ما لا يقوَى عليه غيره مِن البُعْران، فيقوى على حَمْل العشرة معاً (انظر فتح البارى ج ١١)

(٦) رواه البخارى ومسلم والنسائى رحمهم الله تعالى

(٧) غُرْلا جمع أغْرَل وهو الأقلف (غير المَخْتُون)

(٨) رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى (٩) سورة عبس : ٣٧



سابعاً : جَمْع الخلائِق فى الموقف وأحوالهم فيه :

فنؤمِن بأن الله تعالى يجمع الخلقَ أوَّلَهُم وآخِرَهم ليوم الفصل ، يوم يفصِل الرحمن بين الخلائق ، قال تعالى (الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه وَمَن أصدق مِن الله حديثا)(١) وقوله سبحانه (يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن (٢))(٣) ، وهذا الجمع يعم عوالم السموات وعوالم الأرَاضِين فيكون فى الموقف الروح (جبريل عليه السلام) والملائكة مع غيرهم ، وقد وصف الله تعالى موقف يوم القيامة بما فيه مِن عظمة وجلال وشِدَّة فى آيات كثيرة ، فقال سبحانه (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم)(٤) وقال (وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين)(٥) فالقلوب زائلة عن أماكنها والأبصار شاخصة مِن هَوْل يوم اليوم ، ومعنى كاظمين : ساكنين ، وقال البَغَوِىّ : مكروبين ممتلئين خوفا وجزعا والكَظْم تردد الغيظ والحزن فى القلب حتى يضيق به ، وذلك كله (فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة)(٦) (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه)(٧)

---

(١) سورة النساء : ٨٧

(٢) أصل الغَبْن فى اللغة المخادعة فى البيع والشراء ، واسْتُعِير هنا بمعنى أن يَغْبنَ النَّاسُ بَعْضُهُم بَعْضاً بنزول السعداء منازل الأشقياء التى كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ومنازل السعداء التى كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء وفى الحديث (ما مِن عَبْدٍ يَدْخُلُ الجَنَّة إلا أُرِىَ مقعده مِن النار لو أساء، ليزداد شُكْراً، وما مِن عبد يدخل النارَ إلا أُرِىَ مقعده من الجنة لو كان أحسن ليزداد حَسْرَة)، وتخصيص التغابن بذلك اليوم للإيذان والإعلام بأن التغابن – فى الحقيقة – هو الذى يقع فيه (أى فى يوم القيامة) (هامش حاشية تفسير السعدى والتعليق عليه)

(٣) سورة التغابن : ٩

(٤) سورة المطففين : ٤ - ٦

(٥) سورة غافر : ١٨

(٦) سورة المعارج : ٤

(٧) سورة عبس : ٣٧



قال ابن عباس رضى الله عنهما : يعرف بعضهم بعضا ويتعارفون بينهم ثم يفر بعضهم مِن بعض بعد ذلك (فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومِئذٍ ولا يتساءلون)(١) ، فهو موقف عظيم تنقطع فيه علائق الأنساب ، وينعجم فيها البليغ فى المقال حتى إنَّ أفْصَحَ الناس وأعلمهم وأفضلهم لا يُسْمَع له صوت ولا يتكلم أحد إلا بإذن الله عز وجل (يوم يأت لا تَكَلَّمُ نفسٌ إلا بإذنه)(٢)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (يَعْرَقُ الناسُ يوم القيامة حتى يذهب عَرَقُهم فى الأرض سبعين ذِرَاعا ويُلْجِمُهُم حتى يبلغ آذانهم)(٣)

ثامِناً : لِقاءُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ :

قال تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين * الذين يظنون (٤) أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجِعُون)(٥)، وقال سبحانه (لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون)(٦)

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مَن أحَبَّ لِقاءَ اللهِ أحَبَّ اللهُ لِقاءَه ومَن كَرِهَ لِقاء اللهِ كَرِه اللهُ لِقاءَه) فقلتُ : يا نَبِىَّ اللهِ أكَرَاهِية الموْت ؟ فَكُلُّنا يَكْرَه المَوْتَ . فقال (ليس كذلك، ولكن المؤمِن إذا بُشِّرَ برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا بُشر بعذاب الله وَسَخَطِه كَرِهَ لقاء الله وكره الله لقاءه)(٧)

تاسِعاً : العَرْض والحِساب :

العَرْض له معنيان :

المعنى الأول :معنى عام، وهو عرض الخلائق كلهم على ربهم عز وجل بادِيَة لهم صفحاتهم لا تخفى عليه منهم خافية، وهذا يدخل فيه مَن يُناقش الحساب وَمَن لا يحاسب .

المعنى الثانى : وهو عَرْضُ معاصى المؤمنين عليهم وتقريرهم بها وسترها عليهم ومغفرتها لهم وذلك هو الحِساب اليسير، وأمَّا الحساب فهو المناقشة، قال تعالى (يومَئذٍ تُعْرَضون لا تخفى منكم خافية)(٨)

---

(١) سورة المؤمنون : ١٠١ **(٢) سورة هود : ١٠٥**

(٣) رواه البخارى رحمه الله تعالى عن أبى هريرة رضى الله عنه

(٤) يظنون هنا بمعنى يوقنون، والظن مِن الكلمات التى تحتمل معنيين، فهى بمعنى الشك ، وبمعنى اليقين، فأما الشك كقوله تعالى (إنه ظن أن لن يحور) وبمعنى اليقين كقوله (وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نَقْدِرَ عليه ..) أى : تَيَقَّن أنْ لا نُضَيِّقَ عليه.

(٥) سورة البقرة : ٤٦ **(٦) سورة الأنعام : ١٥٤**

(٧) رواه البخارى رحمه الله تعالى **(٨) سورة الحاقة : ١٨**





وقال تعالى (فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون)(١) وقال (فيومئذ لا يُسْأل عن ذنبه إنس ولا جان)(٢) قال ابن عباس رضى الله عنهما : لا يسألهم هل عملتم كذا لأنه أعلم بذلك، ولكن يقول لِمَ عَمِلْتُم كذا وكذا ؟؟

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك . فقلت : يارسول الله أليس قال الله تعالى (فأما مَن أوتِىَ كِتابه بيمينه * فسوف يُحاسَب حِسابا يسيراً)(٣) ؟ فقال صلى الله عليه وسلم (إنما ذلك العَرْض وليس أحَد يُنَاقش الحساب يوم القيامة إلا عُذِّب)(٤)

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تَزُولُ قدَمَا ابْن آدَمَ يوم القيامة مِن عِنْدِ رَبِّه حتى يُسْألَ عن خَمْسٍ : عن عمره فِيمَ أفْناه ؟ وعن شبابه فيم أبلاه ؟ وعن مالِه مِن أيْنَ اكتسبه وفيم أنْفَقه ؟ وماذا عَمِلَ فيما عَلِم ؟)(٥)، وفى رواية للترمذى عن أبى بَرْزَة (لا تزول قدما عَبْدٍ حتى يُسْألَ عَن أربع : عن عمره فيم أفناه، وعن عِلْمِه ما فعل فيه، وعن ماله مِن أين اكتسبه وفيم أنْفَقَهن وعن جِسْمِه فيمَ أبلاه)(٦)

عاشِراً : الْمَجِئ بالكِتابِ والأشْهادِ وشَهَادَة الأعْضاء والجَوَارح :

١ - وَضْعُ الكِتاب ومَجِئ الأشهاد :

الكتاب هو كتاب الأعمال الذى فيه الجليل والحقير، قال تعالى حاكيا مَقَالة المجرمين (ما لهذا الكتاب لا يُغادِر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ..)(٧) وقال تعالى (وأشرقت الأرض بنور ربها وَوُضِعَ الكتاب وَجِيئ بالنبيين والشهداء وَقُضِىَ بينهم بالحق وهم لا يُظْلَمون)(٨)، قال عطاء : أى مِن الملائكة الحَفَظَة على أعمال العِباد، وقال تعالى (فكيف إذا جئنا مِن كل أمة بشهيد وجِئنا بك على هؤلاء شهيداً)(٩) وقال (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد)(١٠)، قال أبو هريرة : السائق المَلَك ، والشهيد العمل ، وكذا قال الضَحَّاك والسُّدى، وقال ابن عباس رضى الله عنهما : السائق مِن الملائكة، والشهيد الإنسان نَفْسه يشهد على نَفْسِه .

---

(١) سورة الحِجْر : ٩٢ ، ٩٣ **(٢) سورة الرحمن : ٣٩**

(٣) سورة الإنشقاق : ٧ ، ٨

(٤) رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى

(٥) رواه الترمذى رحمه الله تعالى – ص . ج رقم ٧٢٩٩

(٦) صحيح الجامع للالبانى رقم ٧٣٠٠

(٧) سورة الكهف : ٤٩ **(٨) سورة الزمر : ٦٩**

(٩) سورة النساء : ٤١ **(١٠) سورة ق : ٢١**



٢ ـ شهادة الأعضاء :

قال تعالى (ويوم يُحْشَر أعداء الله إلى النار فهم يُوزَعُون * حتى إذا ما جاءوها شَهِدَ عليهم سَمْعُهُم وأبْصارُهُم وَجُلُودُهُم بما كانوا يعملون * وقالوا لِجُلُودِهِم لِمَ شَهِدْتُم علينا قالوا أنْطَقَنا اللهُ الذى أنْطَقَ كُلَّ شئ وهو خَلَقَكُم أوَّلَ مَرَّةٍ وإليه تُرْجَعون * وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يَعْلَم كثيرا مما تعملون * وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرْداكُم فأصبحتم مِن الخاسرين)(١)

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فضَحِكَ حتى بَدَتْ نواجِذُه ، ثم قال (أتَدْرون مِمَّ أضْحَك ؟ قُلنا : الله ورسوله أعلم . قال (مِن مُجَادَلَة العَبْدِ رَبَّهيوم القيامة، يقول : رَبِّ ألَمْ تُجِرْنِى مِنَ الظُّلْم ؟ فيقول : بَلَى ، فيقول : فإنى لا أُجيز على نَفْسِى إلا شاهِدا مِنِّى . قال : فيقول : كَفَى بِنَفْسِكَ اليوم عليك شهيدا، والكِرام الكاتبون شُهُودا . قال : فَيُخْتَم عَلَى فِيه (٢) فيقال لأركانه (٣) : انْطِقِى . قال : فتنطق بأعماله . قال : ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَه وبين الكلام .قال : فيقول : بُعْدَاً لَكُنَّ وَسُحْقَاً فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُناضِل)(٤) أُناضِل : أى أُدافِع . ناضَلَ عنه مُناضَلَة وَنِضالا وَتِنْضالا : حَامَى وَدَافَعَ عنه بِعُذْره (المعجم الوجيز)

حادِى عَشَر : نَشْر صحائف الأعمال وأخذ أهلها باليَمين أو الشِّمال :

قال تعالى (فيومئذ تُعْرَضون لا تخفى منكم خافية * فأما مَن أُوتِىَ كِتابه بيمينه * فيقول هاؤمُ اقرأوا كِتابِيَه ..... وأما مَن أُتِىَ كِتابَه بشماله فيقول يا ليتنى لَمْ أُوتَ كِتابِيَه * وَلَمْ أدْرِ ما حِسابِيَه)(٥) ، قال ابن السائب فى قوله (وأما مَن أُوتِى كِتابه بشماله) : تُلْوَى يَدُهُ اليُسْرَى خَلْف ظهره ثم يُعْطَى كِتابه وقال تعالى (يا أيها الإنسان إنك كادِحٌ إلى ربك كَدْحَاً فَمُلاقِيه * فأما مَن أُوتى كتابه بيمينه * فسوف يحاسَب حِسابا يسيرا * وينقلِب إلى أهله مسرورا * وأما مَن أُوتى كِتابه وراء ظهره * فسوف يدعوا ثُبُورا * وَيَصْلَى سعيرا)(٦)

قال البَغَوِىّ فى قوله تعالى (وأما مَن أوتى كتابه وراء ظهره) فَتُغَلّ يده اليُمْنَى إلى عُنُقِه وَتُجْعَل يده الشمال وراء ظهره فَيُؤتَى كِتابه بشماله مِن وراء ظهره ا . هـ

وقال تعالى (وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا)(٧) قال ابن عباس ومجاهد : طائره هو ما طار عنه مِن عمله مِن خير أو شر وَيُلْزَم به ويُجازَى عليه.

---

(١) سورة فصلت : ١٩ ـ ٢٣ **(٢) فِيه : فمِه** **(٣) أرْكانه : جَوَارِحه وأعْضَاؤه**

(٤) رواه مسلم رحمه الله تعالى **(٥) سورة الحاقة : ١٨ ـ ٢٦**

(٦) سورة الإنشقاق : ٦ ـ ١٢ **(٧) سورة الإسراء : ١**



ثانى عَشَر : المِيزان :

قال تعالى (وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ ليوم القيامة فلا تُظْلَم نفس شيئا وإن كان مِثقالَ حَبَّةٍ مِن خَرْدَلٍ أتينا بها وكفى بنا حاسبين)(١) وقال تعالى (والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * وَمَن خَفَّتْ موازينه فأولئك الذين خَسِروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يَظْلِمون)(٢)

الأقوال فى المَوْزُون :

١ - أنه الأعمال نَفسُها هى التى تُوزَن فتُجَسَّم أفعالُ العباد وتوضع فى الميزان . ذَكَرَه البغوى .

٢ - أنَّ صحائف الأعمال هى التى توزن .

٣ - أن المَوْزُون هو العامل نفسه .

والذى يظهر مِن النصوص – والله أعلم – أن العاملَ وعَمَلَه وصحيفة عمله كل ذلك يوزن لأن الأحاديث التى فى بيان القرآن وَرَدَتْ بذلك كله، ولا مُنافاة بينها، ويدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عن عبد الله بن عمرو بن العاص فى قصة صاحب البطاقة بلفظ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (توضع الموازين يوم القيامة فيؤتَى بالرَّجُل فيوضع فى كِفَّةٍ ويوضع ما أُحْصِى عليه فَيُمايَل به الميزان، قال : فَيُبْعَث به إلى النار قال : فإذا أَدْبَرَ إذ صائح مِن عِنْد الرحمن عز وجل يقول : لا تَعْجَلوا فإنه قد بَقِىَ له، فيؤتَى ببطاقة فيها لا إله إلا الله، فتوضَع مع الرَّجُل فى كِفَّة حتى يميل بها الميزان)(٣)، وهذا الحديث يدل على أن العبد وحسناته وصحيفتها كل ذلك يكون فى كِفَّة، وسيئاته مع صحيفتها فى الكِفَّة الأخرى .

ثالِث عَشَر : الصِّراط :

قال تعالى (وإن مِنكُم إلا وارِدُها كان على رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا * ثم نُنَجِّى الذين اتَّقَوا وَنَذَر الظالمين فيها جِثِيًّا)(٤) قال قتادة : قوله تعالى (وإن منكم إلا واردها) هو المَمَرُّ عليها ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسْلَم : وُرُود المُسْلِمين المرور على الجِسْر بين ظَهْرانِيها، وَوُرُود المُشْرِكين أن يدخلوها. وتفسير الوُرُود بالدخول أيضا مَرْوِى عن ابن عباس رضى الله عنهما وَأَيَّدَ قَوْلَه بقول الحق تبارك وتعالى (يَقْدُمُ (٥) قَوْمَه يوم القيامة فأَوْرَدَهُم النَّارَ)(٦) ، وقوله (ونَسُوقُ المُجْرِمِين إلى جهنم وِرداً)(٧) وقوله (إنكم وما تعبدون مِن دون الله حَصَبُ جهنم أنتم لها وارِدُون)(٨) فالورود فى ذلك كله الدخول.

---

(١) سورة الأنبياء : ٤٧ (٢) سورة الأعراف : ٨ ، ٩

(٣) حَسَّنَه الألبانى فى الصحيحة ١ / ٢٦٢

(٤) سورة مريم : ٧١ ، ٧٢ (٥) أى فرعون لَعَنَه اللهُ (٦) سورة هود : ٩٨

(٧) سورة مريم : ٨٦ (٨) سورة الأنبياء : ٩٨



وفى قوله تعالى (وإنْ مِنكُم إلا وارِدُها)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فى الفتاوى : إن المراد فى الآية هو المرور على الصراط (١)، ومِن استعمال الورود فى غير الدخول قوله تعالى (ولمَّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ ..)(٢)

وقال الإمام النووى رحمه الله تعالى : والصحيح أن المراد بالورود فى الآية المرور على الصراط.

وقال شارح الطَّحَاويَّة : الأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط، قال تعالى (ثم نُنَجِّى الذين اتقوا وَنَذَرُ الظالمين فيها جِثِيًّا) وفى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال (والذى نفسى بيده لا يَلِجِ النارَ أحدٌ بايع تحت الشجرة) قالت حفصة رضى الله عنها : فقلتُ يا رسول الله : أليس الله يقول (وإن منكم إلا واردها) فقال (ألَمْ تَسْمَعيه قال (ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا)، أشار صلى الله عليه وسلم إلى أن ورود الناس لا يستلزم دخولهان وأن النجاة مِن الشر لا تستلزم حصوله. بل تستلزم انعقاد أسبابه، فَمَن طَلَبَه عَدُوُّه لِيُهْلِكُوه ولَمْ يتمكنوا منه يقال : نَجَّاه اللهُ منهم، ولهذا قال تعالى (ولما جاء أمرنا نجينا لوطا)(٣) ، وقال (فلما جاء أمرنا نجينا صالحا)(٤)، ولم يكن العذاب أصاب غيرهم ولولا ما خَصَّهم الله تعالى به مِن أسباب النَّجاة لأصابهم ما أصاب أولئك

وقال الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله : المراد بالورود المرور على الصراط.

وقال تعالى (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بُشْراكُم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم * يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين ءامنوا انظرونا نقتبس مِن نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فَضُرِبَ بينهم بِسُور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره مِن قِبَلِه العذاب)(٥)

عن ابن مسعود رضى الله عنه فى قوله تعالى (يسعى نورهم بين أيديهم) قال : على قَدْر أعمالهم يمرون على الصراط، منهم مَن نوره مِثل الجبل ومنهم مَن نوره مِثل النَّخْلة ومنهم مَن نوره مِثل الرَّجُل القائم وأدناهم نورا مَن نُورُه فى إبهامه يَتَّقِد مَرَّة ويُطْفَأ مَرَّة. وقد أنكر الصراط والمُرورَ عليه أهلُ البدعة والهَوَى مِن الخوارج وَمِن المُعتزِلة وتَأوَلوا الورود برؤية النار لا أنه الدخول والمرور على ظهرها. وذلك لاعتقادهم أن مَن دَخَلَ النار لا يخرج منها ولو بالإصرار على صغيرة، فخالفوا الكتاب والسنة والإجماع، وَرَدُّوا الآياتِ و الأحاديثَ الواردة فى الورود والمَقام المَحْمُود والشَّفاعة.

---

(١) قال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه : بَلَغَنِى أن الجِسْر (الصراط) أدَقُّ مِن الشَّعْرَة وَأحَدُّ مِن السَّيْف (رواه مسلم رحمه الله تعالى)

(٢) سورة القصص : ٢٣ — **(٣) سورة هود : ٥٨**

(٤) سورة هود : ٦٦ — **(٥) سورة الحديد : ١٢ ، ١٣**



رابع عَشَر : الاقتِصَاص مِن الظَّالِم للمَظلُوم :

عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يَخْلُص المؤمنون مِن النار فيُحْبَسون على قَنْطَرة بين الجنة والنار فَيُقْتَصّ لبعضهم مِن بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا إذا هُذِّبوا ونُقُّوا أُذِنَ لهم فى دخول الجنة ، فوالذى نفسى بيده لأحدهم أهْدَى بِمَنْزِلِه فى الجَنَّة مِنه بمنزله كان فى الدنيا)(١)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (مَن كانت له عنده مَظْلَمَة لأخيه فَلْيَتحلله منها فإنه ليس ثَمَّ دينار ولا درهم مِن قبل أن يُؤْخَذ لأخيه مِن حسناته، فإن لم يكن له حسنات أُخِذَ مِن سيئات أخيه فَطُرِحَتْ عليه)(٢)

خامِس عَشَر : الإيمان بالجَنَّة (٣) والنَّار :

فالجنة حق والنار حق لا ريب فيهما ولا شك أن النار دار أعداء الله والجنة دار أوليائه ، قال تعالى (فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين * وبشر الذين ءامنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات ...)(٤)

وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (مَن شَهِدَ أن لا إله إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، وأنَّ مُحَمَّداً عَبْدُه ورسوله، وأنَّ عيسى عبد الله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان مِن العمل)(٥)

---

(١) رواه البخارى رحمه الله تعالى

(٢) رواه البخارى رحمه الله تعالى

(٣) وكذلك الإيمان برؤية الله عز وجل فى الجنة للمؤمنين كما فى الحديث (إنَّكُم سَتَرَوْنَ رَبَّكُم كَما تَرَوْنَ هذا القَمَرَ، لا تُضامونَ فى رؤيَتِه، فإن استَطَعْتُم أن لا تُغْلَبُوا على صلاةٍ قبْلَ طُلُوع الشَّمْس، وصلاةٍ قبْلَ غُرُوبِها، فافعَلُوا) صحيح الجامع للألبانى رقم ٢٣٠٦

(٤) سورة البقرة ٢٤ ، ٢٥

(٥) رواه البخارى رحمه الله تعالى





ويجب اعتقاد وجودهما الآن، قال تعالى (أُعِدَّت للمُتَّقين) وقال (فلا تعلم نفس ما أُخْفِيَ لهم مِن قُرَّة أعْيُن جزاء بما كانوا يعملون)(١) وقال (عند سِدْرَةِ المُنْتَهَى * عندها جَنَّة المَأوَى)(٢)، فأخبر الله تعالى أنها مُعَدَّة قد أُوجِدَتْ، وأنها مَخْفِيَّة لأوليائه مُدَّخَرة لهم وأنها فى السماء وأن النبى صلى الله عليه وسلم أتاها ليلة المِعْرَاج ورآها .

وقال تعالى (أُعِدَّت للكافرين)(٣) أى النار، وعن أبى ذر وأبى سعيد رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (أبْرِدُوا بالصلاة فإن شِدَّة الحَرِّ مِن فَيْح جهنم)(٤)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اشْتَكَتْ النَّارُ إلى ربها، فقالت : يا رَبِّ أكَلَ بَعْضى بَعْضاً فَأذِنَ لها فى نَفَسَيْن، نَفَسٍ فى الشِّتاء ونَفَسٍ فى الصَّيْف، فهو أشَدّ ما تجدون مِن الحَر وأشد ما تجدون مِن الزَّمْهَرير (٥)(٦)

وفى الصحيحين مِن حديث صلاة الكسوف وخطبته صلى الله عليه وسلم فيها وأنه عُرِضَتْ عليه الجنة والنار، وأنه أراد أن يتناول مِن الجَنَّة عُنْقُوداً فَقَصُرَتْ يَدُه عنه وأنه لو أخذه لأكلوا منه ما بقيت الدنيا، وأنه رأى النار ورأى فيها عَمْرو بن لُحَىّ (٧) يَجُرُّ قُصْبَهُ (٨) فى النار، ورأى المرأة التى عُذِّبَتْ فى هِرَّةٍ حَبَسَتْها وقال صلى الله عليه وسلم (لَمْ أرَ مَنْظَرا كاليَوْم أفْظَع)(٩)

وكذلك يجب الاعتقاد بدوام الجنة والنار وبقائهما بإبقاء الله لهما، وأنهما لا تَفْنَيَان أبداً ولا يَفْنَى مَن فيهما . قال تعالى فى الجنة (خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم)(١٠)، وقال (لا يَذُوقُون فيها المَوْتَ إلا المَوْتَة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم)(١١) وقال فى النار (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يُقْضَى عليهم فيموتوا ولا يُخَفَّف عنهم مِن عذابها)(١٢)

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يُؤْتَى بالموت كَهَيْئَة كَبْشٍ أمْلَح، فيُنادِى مُنَادٍ : يا أهل الجنة فَيَشْرَئِبّون وَيَنْظُرون، فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم، هذا الموت وَكُلُّهُم قد رآه، فيُذْبَح ثم يقول : يا أهل الجنة خُلُود فلا مَوْت، ويا أهل النار خلود فلا موت . ثم قرأ (وأنْذِرْهُم يَوْمَ الحَسْرَةِ إذ قُضِيَ الأمر وَهُم فى غَفْلَةٍ)

---

(١) سورة السجدة : ١٧ **(٢) سورة النجم : ١٤ ، ١٥**

(٣) سورة البقرة : ٢٤

(٤) رواه البخارى رحمه الله تعالى

(٥) الزَّمْهَرير : شدة البَرْد (لسان العرب)

(٦) رواه مالك والبخارى ومسلم وابن ماجه رحمهم الله تعالى

(٧) عَمْرُو بنُ لُحَىّ الخُزَاعِي : هو أول مَن أدْخَلَ الأصنام فى شبه جزيرة العرب .

(٨) قُصْبه : أمْعَاؤه ، الجمع أقصاب **(٩) رواه مسلم رحمه الله تعالى**

(١٠) سورة التوبة : ١١٠ **(١١) سورة الدخان : ٥٦** **(١٢) سورة فاطر : ٣٦ ، ٣٧**





وهؤلاء فى غفلة أهل الدنيا (وهم لا يؤمنون)(١)

إخْراج عُصَاة المُوَحِّدِين مِن النار :

جاءت الأحاديث الصحيحة الصريحة بإخراج عُصَاة الموحدين الذين تمسهم النار بِقَدْرِ جِنايتهم ، وأنهم يخرجون منها برحمة الله تعالى ثم بشفاعة الشافعين ، وأن هؤلاء العُصاة يسكنون الطبقة العُلْيا مِن النار على تفاوتهم فى مقدار ما تأخذ منهم ، وعلى ذلك حمل جُمْهُور المُفَسِّرين الاستثناءَ فى قوله تعالى (إلا ما شاء ربك) سورة هود : ١٠٦ ، ١٠٧ وعلى ذلك يُحْمَل ما ورد مِن آثار الصحابة رضى الله عنهم.

أقوال بعض أهل الضَّلال فيما يتعلق بالجنة والنار :

١ - قال ابن عربى (٢) إمام الاتحادية والإلحاد فى آيات الله تعالى : إن أهلها يُعَذَّبون فيها ثم تنقلب طبيعتهم وتبقى طبيعتهم النارية يتلذذون بها لموافقتها طبعهم .

٢ - قال الجَهْمُ بنُ صَفْوان وشِيعَتُه : إن الجنة والنار تَفْنَيانِ كِلتاهُما لأنهما حادِثَتان ، وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه ا . هـ . بناءً على أصله الفاسد فى منع تسلسل الحوادث وبقائهما بإبقاء الله لهما .

٣ - وقال طائفة مِن المُعْتَزِلة والقَدَرِيَّة : لم يكونا الآن موجودتين ، بل يُنْشِئهما الله تعالى يوم القيامة ا. هـ . وقالوا : خَلْقُ الجنة والنار قبل الجزاء عَبَث لأنها تصير مُعَطَّلَة مُدَدَاً مُتطاوِلَة .

وكل هذه الأقوال مُخَالِفَة لصريح المنقول وصحيح المعقول، وَمُحادَّة ومُشاقَّة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم (٣)

سادس عَشَر : الإيمان بما جاء فى الكَوْثَر وحَوْض نبينا صلى الله عليه وسلم وأن له لِواء الحمد يوم القيامة وأنه سَيِّد الناس يَوْمَئِذ .

ومن الإيمان باليوم الآخِر، الإيمان بحوض خير الخلق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الكَوْثَر الذى أعطاه الله عز وجل، قال تعالى (إنا أعطيناك الكوثر)(٤)

---

(١) رواه البخارى رحمه الله تعالى

(٢) ابن عربى هذا غير ابن العربى المالكى صاحب كتاب العَوَاصِم مِن القَوَاصِم، فهو مِن أهل السنة والجماعة رحمه الله تعالى .

(٣) هذا مِن جَرَّاء تقديم العَقْل على النَّقل، فهو شر مستطير زَلَّتْ به أقدام وعقول الكثير، ولكن منهج السلف هو تقديم النقل وهو القرآن وما صَحَّ مِن السنة والإجماع .

(٤) سورة الكوثر : ١





وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال فى الكوثر : هو الخير الذى أعطاه الله إياه . قال أبو البِشر : قلتُ لسعيد بن جُبَيْر : فإن الناس يزعمون أنه نهر فى الجنة . فقال سعيد : النَّهْر الذى فى الجنة مِن الخير الذى أعطاه الله إياه (١)

وقد تواتر ذِكْر الحَوْض وتفسير الكَوْثر به وإثباته وَصِفته فى كُتُبِ السُّنَّة :

فعن أنس رضى الله عنه قال : لَمَّا عُرِجَ بالنبى صلى الله عليه وسلم إلى السماء قال (أتَيْتُ على نهر حافتاه قِباب اللؤلؤ المُجَوَّف، فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر)(٢)

وعن أبى عُبيدة عن عائشة رضى الله عنهما قال : سألتُها عن قوله تعالى (إنا أعطيناك الكوثر) قالت : نَهْرٌ أُعْطِيَهُ نَبيكم صلى الله عليه وسلم شاطِئاه عليه دُرٌ مُجَوَّف آنيته كَعَدد النُّجُوم)(٣)

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم (حَوْضِى مَسِيرَة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض مِن الوَرِق وَريحُه أطْيَب مِن المِسْك وَكِيزانه كَنجوم السَّماء ، فَمَن شَرِبَ مِنه فلا يَظْمأ بَعْدَه أبداً)(٤) الوَرِق : الفِضَّة .

وثَبَتَ فى صحيح مسلم أن الحوض عَرْضُه مِثل طُوُلِه، وأنه أشد بياضاً مِن اللَّبَن، وأحْلى مِن العَسَل وفيه ميزابان يَمُدَّانِه مِن الجنة، أحدهما مِن ذَهَب والآخَر مِن فِضَّة، وأنه سَيُذاد عن هذا الحوض مَن أعرضَ عن سُنَّة النبى صلى الله عليه وسلم وابتدعَ فى دين الله ما ليس مِنه، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم (إنى لكُم فَرَط (٥) على الحوض، فإياى لا يأتين أحدكم فيُذَبُّ عنى كما يُذَبُّ البعير الضال، فأقول فِيمَ هذا ؟ فيُقال : إنك لا تدرى ما أحدثوا بَعْدَكَ ، فأقول سُحْقاً)(٦) يُذَبّ : يُبْعَد ، سُحْقاً : بُعْدَاً .

وعند مسلم رحمه الله تعالى أنه صلى الله عليه وسلم قال (لأذُودَنَّ عَن حَوْضِى رجالاً كما تُذَادُ الغَرِيبة مِن الإبل)

ومِن الإيمان باليوم الآخِر أنه صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدَم يوم القيامة وله لواء الحمد يومَئذ وأنه أول مَن تَنْشَق عنه الأرض وأول شافِع وأول مُشَفَّع وهذا ثابت فى عِدَّة أحاديث صحيحة (٧)

---

(١) رواه البخارى رحمه الله تعالى

(٢) رواه البخارى رحمه الله تعالى

(٣) رواه البخارى رحمه الله تعالى **(٤) رواه مسلم رحمه الله تعالى**

(٥) فَرَط فَرْطا فروطا : عَجِلَ وأسْرَع، ويقال فَرَط له ولد أى سَبَقَه إلى الجنة (المعجم الوجيز)

(٦) رواه مسلم رحمه الله تعالى

(٧) انظر صحيح الجامع للألبانى أحاديث رقم ١٤٦٦ ، ١٤٦٧ ، ١٤٦٨

سابع عَشَر : الإيمان بالشَّفَاعة وأحاديثها والمَقام المَحْمود :



الشفاعة هى طلب الخَيْر لِلغَيْر ، وقد تقدم الحديث عن الشفاعة عند ذِكْر النِّداء السابع وهو قوله تعالى (يا أيها الذين ءامنوا أنفقوا مما رزقناكم مِن قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خُلَّة ولا شفاعة ....) سورة البقرة : ٢٥٤ فارجع إليها تجد الحديث عنها مُفَصَّلاً إن شاء الله تعالى .

٦ - الإيمان بالقضاء والقَدَر (١) :

قال تعالى (إنا كل شئ خلقناه بِقَدَر (٢))(٣) وقال تعالى (ما أصاب مِن مُصِيبة إلا بإذن الله وَمَن يُؤمِن بالله يَهْدِ قلبه)(٤)، وحديث جبريل كما فى الصحيح (وأن تؤمن بالقدر خيره وشره) وقال تعالى (يمحو الله ما يشاء ويُثْبِتُ وعِندَه أمُّ الكِتاب)(٥)، إلا فى الشَّقاوة والسعادة والحياة والموت

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : إن الرَّجُلَ لَيَمْشى فى الأسواق وإنَّ اسْمَّهُ لَفِى المَوْتَى ، وذُكِرَ القَدَرُ عِندَ ابن عباس يوماً، فَأَدْخَلَ إصبعه السَّبَّابَة والوُسْطَى فى فِيهِ فَرَقَم بهما باطِن يَدَيْه فقال اَشْهَد أن هاتَيْن الرَّقْمَتَيْن كانتا فى أمِّ الكِتاب . رَقَمَ :أى خَتَمَ أو عَلَّمَ علامَة، والرَّقْم التنقيط أو النَّقْش، وقال ابن عمر رضى الله عنهما فى حديث جبريل : لو أن لأحدهم مِثل جَبَل أحُدٍ ذَهَباً فأنْفَقَه فى سبيل الله ما قَبِلَه اللهُ مِنه حتى يؤمِنَ بالقَدَر .

وللإيمان بالقَدَرأربع مَراتِب هى : العِلم والكِتابة والمَشيئَة والخَلْق :

المرتبة الأوْلَى العِلْم : وهى الإيمان بعلم الله المحيط بكل الموجودات والمعدومات والمُمْكِنات والمُسْتَحيلات، قال تعالى (هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة)(٦)، وعن أُبَىّ بن كَعْب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الغُلام الذى قَتَلَه الخَضِرُ طُبِعَ كافِراً، ولو عاش لأرْهَقَ أبَوَيْه طُغْياناً وَكُفْراً)(٧)

---

(١) القضاء ما قضاه الله تعالى فإذا وقع كان قدَرا ، قال صلى الله عليه وسلم (لا يَرُدُّ القَدَرَ إلا الدُّعاءُ) انظر صحيح الجامع للألبانى حديث رقم ١٥٤

(٢) قال الشيخ السعدى رحمه الله تعالى : وهذا شامل للمخلوقات والعوالم العلوية والسفلية أن الله تعالى وحده خلقها لا خالق لها سواه ولا مشاركة فى خلقه، وخلقها بقضاء سبق به عِلْمُه وجرى بها قلمه بوقتها ومقدارها وجميع ما اشتملت عليه مِن الأوصاف وذلك على الله يسير فلهذا قال (وما أمرنا إلا واحدة كَلَمْح بالبصر)

(٣) سورة القمر : ٤٩ **(٤) سورة التغابن : ١١**

(٥) سورة الرعد : ٣٩ **(٦) سورة الحشر : ٢٤**

(٧) رواه مسلم رحمه الله تعالى

فالله عز وجل عَلِمَ ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنه علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأحوالهم وأعمالهم فى جميع حركاتهم وسكناتهم وشقاوتهم وسعادتهم ، ومَن هو مِن أهل الجنة ومَن هو مِن أهل النار مِن قبل أن يخلقهم ومِن

قبل أن يخلق الجنة والنار ، عَلِمَ دِقَّ ذلك وجَلِيلِه وكثيره وقليله وظاهره وباطنه وسِرَّه وعلانيته وَمَبْدَأه ومنتهاه ، كل ذلك بعِلمِه الذى هو صفته ومقتضى اسمه العليم الخبير عالم الغيب والشهادة علام الغيوب، قال تعالى (وأحاط بما لديهم وأحصى كل شئ عَدَداً)(١)

المرتبة الثانية الكِتابة : وهى الإيمان بكتاب الله الذى لم يُفَرِّط فيه مِن شئ، قال تعالى (وكُلَّ شئ أحصيناه كِتابا(٢))(٣) وقال سبحانه (وكُلَّ شئ أحصيناه فى إمام مُبين)(٤)، وقال (ألَمْ تَعْلَم أن الله يعلم ما فى السماء والأرض إن ذلك فى كِتاب إن ذلك على الله يسير)(٥)

عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : كنا جُلُوساً مع النبى صلى الله عليه وسلم، ومعه عُود يَنْكُت به فى الأرض وقال (ما مِنكم مِن أحد إلا وقد كُتِبَ مَقْعَدُه مِن النار أو مِن الجنة) فقال رجل مِن القوم : ألا نَتَّكِل يا رسول الله ؟ قال (لا، اعْمَلُوا فكَلٌ مُيَسَّرٌ) ثم قرأ (فأما مَن أعطى واتقى* وصَدَّقَ بالحُسْنَى* فسنيسره لليُسْرَى* وأما مَن بَخِلَ واستغنى* وكذَّبَ بالحسنى* فسنيسره للعُسْرَى*)(٦)(٧)

والإيمان بكِتابة المقادير يدخل فيه خمسة تقادير :

١ - التقدير الأزلىّ وهو قبل خلق السموات والأرض، عندما خَلَقَ اللهُ القَلَمَ .

٢ - كِتابة الميثاق يوم (وإذ أخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِى آدم مِن ظُهُورهِم وأشْهَدَهُم على أنفُسِهِم ألَسْتُ بِربِّكُم قالوا بلى شَهِدْنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا لغافِلِين * أو تقولوا إنما أشْرَكَ آباؤنا مِن قبل وكُنَّا ذُرِيَّة مِن بَعْدِهم أفَتُهْلِكُنا بما فَعَلَ المُبْطِلون)(٨)

٣ - التقدير العُمْرِىّ عند تخليق النُّطْفة فى الرَّحِم فيكتب إذ ذاك ذُكورَتها وأنوثتها والأجَل والعمل والشَّقَاوة والسَّعادة والرِّزْق وجميع ما هو لاقٍ فلا يُزاد مِنه ولا ينقص منه.

---

(١) سورة الجن : ٢٨

(٢) قال الشيخ السعدى فى قوله تعالى (أحصيناه كِتابا) أى أثْبَتْناه فى اللوح المحفوظ فلا يَحْسَب المجرمون أنَّا عَذَّبْناهم بذُنُوبٍ لَمْ يعملوها ولا يحسبوا أنه يضيع مِن أعمالهم شئ أو يَنْسَى مِنها مِثقال ذرة ا . هـ .

(٣) سورة النبأ : ٢٩ — **(٤) سورة يس : ١٢**

(٥) سورة الحَجّ : ٧٠ — **(٦) الليل : ٥ - ١٠**

(٧) رواه البخارى رحمه الله تعالى — **(٨) سورة الأعراف : ١٧٢ ، ١٧٣**

٤ - التَّقْدير الحَوْلِى (السَّنَوى) فى ليلة القَدْر (١) : يُقَدَّر فيها ما يكون فى السَّنَة إلى مِثْلِه ، قال ابن عباس : يُكْتَبُ مِن أمِّ الكِتاب فى ليلة القَدْر ما يكون فى السَّنَة مِن مَوْت وحياة ورزق ومطر حتى الحُجَّاج يقال : يَحُجُّ فُلان، ويحج فُلان .

٥ - التَّقْدير اليَوْمِى : وهو سَوْق المقادير إلى المواقيت التى قُدِّرَت، قال تعالى (يسأله مَن فى السموات والأرض كل يومٍ هو فى شأن)(٢)، فَمِن شأنه تعالى أن يغفر ذنبا ويُفَرِّج كَرْبا ويرفع أقواما ويضع آخَرين . ثم إن التقدير اليومى تفصيل مِن التقدير العمرى الأول يوم الميثاق وهو تفصيل مِن التقدير الأزَلِى الذى خَطَّه القلم فى الإمام المبين . والإمام المُبين هو مِن عِلمِ الله، وكذلك مُنْتَهَى المقادير إلى علمه سبحانه .

المَرْتَبَة الثالثة المَشِيئَة : وهى الإيمان بمَشيئة الله تعالى النافِذَة وقُدْرَتِه الشَّامِلَة. فما شاء اللهُ كَوْنَهُ فهو كائِن بِقُدرته لا مَحَالة، وما لَمْ يَشَأ اللهُ تعالى لم يَكُن لِعَدَم مَشيئته سبحانه إيَّاه ليس لعدم قدرته عليه، فالسبب فى عدم وجود الشئ هو عدم وجود مشيئة الله، لا أنه عجز عنه، قال تعالى (وما كان الله لِيعجزه مِن شَئ فى السموات ولا فى الأرض إنَّه كان عليما قديرا)(٣) وقال تعالى (ولو شاء اللهُ لَجَمَعَهم على الهُدَى)(٤) وقال (ولو شاءَ اللهُ ما اقْتَتَلُوا)(٥)

المرتبة الرابعة الخَلْق : وهى الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى خالِق كُلّ شئ، فهو خالقُ كُلّ عامِلٍ وعَمَله، وكل مُتَحرِّك وحركته، وكل ساكن وسكونه وما مِن ذَرَّة فى السموات ولا فى الأرض إلا والله سبحانه وتعالى خالقها وخالق حركتها وسكونها ولا خالقَ غيره ولا رب سِوَاه وأنه سبحانه خَلَقَ مِن العَدَم، وهذا مِن توحيد الربوبية التى هى مِن أفعال الله سبحانه، قال تعالى (الله خالق كل شئ ..)(٦) وقال (فَتَبَارَك الله أَحْسَنُ الخالِقِين)(٧) وقال (والله خَلَقَكُم وما تعملون)(٨)

---

(١) قال تعالى (... فيها يُفْرَقُ كُلُّ أمرٍ حكيم ....) سورة الدخان : ١ - ٥

(٢) سورة الرحمن : ٢٩

(٣) سورة فاطر : ٤٤

(٤) سورة الأنعام : ٣٥

(٥) سورة البقرة : ٢٥٣

(٦) سورة الزُّمَر : ٦٢

(٧) سورة المُؤْمِنُون : ١٤

(٨) سورة الصَّافَّات : ٩٦

قَوْلُ أَهْلِ السُّنَّة فى المَشِيئَة :

إن للعِبَاد مَشيئة وقدرة على أعمالهم ولكنها تُوَافِقُ مشيئة وقدرة الله تعالى، فلا يَقْدِر العبدُ على غير ما شاء الله وأرَادَه، وليس معنى ذلك أن العبد خالق لِعَمَله، بل الله هو خالق العامِل والعَمَل



الذى يعمله قال تعالى (والله خَلَقَكُم وما تَعْمَلون)(١) وقال (وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين)(٢) ، وأما أهل الضَّلال مِن القَدَرِيَّة والجَبْرِيَّة فهم طرَفان مُتَناقِضان تماماً فى هذا الأمر :

فالقَدَرِيَّة : يُغالون فى إثبات مَشِيئة العبد وقُدْرته على عمله وقالوا : لا قَدَرن والعبد خالقٌ لِعَمَلِه والجبرية تقول : يُسْلَب العبدُ مِن مَشيئته وقُدْرَته على عمله حتى جَعَلوه كالرِّيشة فى مَهَبِّ الرِّيح، ويقولون : إن العبد مَجْبُور على فعله .

أمَّا أهل السُّنَّة فَهَداهم اللهُ فأضافوا الخَلْقَ الذى هو فِعْل الله القائم به له عز وجل حقيقة ، وأضافوا الكُفْر والإيمان الذى هو عمل العباد القائم بهم وكسبهم إليهم حقيقة، فالله خالق والعبد مخلوق والله هاد أو مُضِلّ والعبد مُهْتَدٍ او ضالّ، فالهداية مِن الله والاهتداء مِن العبد، فَفَرْقُ بَيْنَ خلق الفعل وأدائه واكتسابه، فلا يهتدى العبد ولا يضل إلا بمشيئة الله تعالى، قال سبحانه (واعلموا أن الله يَحُولُ بَيْنَ المَرْء وقلبه ...)(٣) وقال (مَن يَشَأ اللهُ يُضْلِله ومَن يشأ يجعله على صراط مستقيم)(٤)، فإن الله تعالى أعلم بِمَواقِع فَضْلِه ورحمته وهدايته، وأعْلَم بمواقع سَخَطه وعقوبته، فلا يضل إلا مَن يستحق الضلال، قال تعالى (وما يَضِلُّ به إلا الفاسِقِينَ)(٥) وقال (والذين اهتَدَوا زادَهُم هُدَى وآتاهُم تَقْواهُم)(٦) وقال (ولا يَظْلِمُ رَبُّكَ أحَدا)(٧)، ومِن أدلة أهل السُّنَّة على مَذهبهم قوله تعالى (إن هو إلا ذِكْر للعالمين * لِمَن شاء منكم أن يستقيم * وما تشاءون إلا أن يشاء اللهُ رَبُّ العالَمِين)(٨)

القَدَر السابق لا يمنع العمل :

فالله تعالى قَدَّرَ الخَيرَ والشَّرَّ وأسباب كل منهما ، فالأخذ بالأسباب مِن القَدَر المَكتوب وليس مُعارِضاً له وقد تنفع الأسباب بإذن الله ، وفى الحديث (الدواء مِن القدر وقد ينفع بإذن الله)(٩) وعلى العبد تحصيل الأسباب ، وشأن مَن يترك الأسبابَ بِحُجَّة القَدَر المكتوب كشأن مَن يترك الطاعة ، وسلوك سبيل الهداية بحجة القدر السابق (اعملوا فَكُلٌ مُيَسَّر)

---

(١) سورة الصافات : ٩٦ **(٢) سورة التكوير : ٢٩**

(٣) سورة الأنفال : ٢٤ **(٤) سورة الأنعام : ٣٩**

(٥) سورة البقرة : ٢٦ **(٦) سورة :محمد ١٧**

(٧) سورة الكهف : ٤٩ **(٨) سورة التكوير : ٢٧ - ٢٩**

(٩) رواه الطَّبَرانى وأبو نعيم رحمهما الله تعالى عن ابن عباس رضى الله عنهما – ص . ج رقم ٣٤١٥

وهناك إعتقادات جاهلية (١) تتعارض مع الإيمان بالقَدَر مِنها :

١ - الكلام عن النَّوْء : وهو الاعتقاد فى النجوم أن لِمَطالِع الكواكب ومغاربها وَسَيْرها وانتقالها واقترانها وافتراقها تأثيرا فى هبوب الرياح وسكونها، ومَجِئ المَطَر وتأخره، وفى رُخْص



الأسعار وغلائها وغير ذلك، قال النبى صلى الله عليه وسلم (أَلَم تَرَوْا إلى ما قال ربكم ؟ قال : ما أَنْعَمْتُ على عبادى مِن نِعْمَة إلا أصبح فريق منهم كافرين ويقولون الكواكب)(٢)

١ - العَدْوَى : فكانوا يعتقدون سَرَيان المرض مِن جَسَد إلى جسد بطبيعته فنفى الله تعالى ذلك فقال (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون)(٣) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا عَدْوَى) رواه البخارى ، أى لا تُؤَثِّر بذاتها ولكنها سببٌ سَبَّبَه اللهُ تعالى، وأما نَهْيُه عن المُخالطة ووجوب الفِرار مِن المَجْذوم؛ لتجنب اعتقاد ثبوت العدوى التى نفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وإثبات أنها مِن الأسباب التى أجْرَى الله تعالى العادة بأنها تُفْضِى إلى مُسبباتها لا استقلالا بطبعها .

٣ - الطِّيَرَة : وهى تَرْكُ الإنسان حاجَتَه واعتقاده عدم نجاحها تشاؤماً بسماع بعض الكلمات القبيحة، وكذلك ببعض الطيور إذا صاحت والتشاؤم عند ملاقاة الأعور والأعرج، والتشاؤم ببعض الأيام والساعات، قال تعالى (وإن تُصِبْهُم سَيِّئَةٌ يَطَّيَّروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكنَّ أكثرَهُم لا يعلمون)(٤)، وقال النبى صلى الله عليه وسلم (الطِّيَرَة شِرْك)(٥) وقال (لا طِيَرَة وخيرها الفأل قالوا : وما الفأل ؟ قال : الكلمة الصالحة يسمعها أحَدُكُم)(٦)، وإن كان الشؤم فى ثلاثة المرأة والدار والدابة . والشؤم ضد اليُمْن وهو أى الشؤم : عدم البَرَكَة والمراد به الأمر المَحْسُوس المُشَاهَد، المرأة العاقِر والدار الخَرِبَة وهو ليس مِن باب الطِّيَرَة . **قال الألبانى رحمه الله تعالى :** وهو لفظ مُخْتَصَر اختصاراً مُخِلّاً، وإنما أصل الحديث (إن كان الشؤم فى ثلاثة ففى الدار والمرأة والفَرَس) والحديث يعطى بمفهومه أن لا شؤم، لأن معناه : لو كان الشؤم ثابتا لكان فى هذه الثلاثة (٧) انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

وخير الطيرة الفأل كما ذكرنا ، ومِن شَرْط الفأل أنْ لا يُعْتَمَد عليه وأن لا يكون مقصوداً، بل أن يتفق للإنسان ذلك مِن غير بال، وأما كفارة الطيرة وما يُذهبها، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (مَن رَدَّتْه الطِّيَرَة عن حاجته فقد أشرك . قالوا : فما كفارة ذلك ؟ قال : أن تقول (اللهم لا خَيْرَ إلا خَيْرُك، ولا طَيْرَ إلا طَيْرُك، ولا إلهَ غَيْرُكَ)(٨)(٩)

---

(١) قال النبى صلى الله عليه وسلم (لا عَدْوَى ولا طِيَرَة ولا هامة ولاصَفَرَ ولا غُولَ) رواه أحمد ومسلم عن جابر رضى الله عنه (٢) رواه مسلم رحمه الله تعالى (٣) سورة التوبة : ٥١

(٤) سورة الأعراف : ١٣١ (٥) رواه أحمد فى المُسْنَد والبخارى فى الأدب المفرد

(٦) متفق عليه (٧) السلسلة الصحيحة للألبانى ح ٤٤٣

(٨) رواه أحمد رحمه الله تعالى – ص . ج رقم ٦٢٦٤ (٩) مختصر معارج القبول – هشام عقدة

٤ - الغُول : فهى واحد الغِيلان وهو مِن شَر شياطين الجِنِّ وَسَحَرَتِهم ، والنفى لِمَا كان يعتقده أهل الجاهلية فيهم مِن الضر والنفع وكانوا يخافونهم خوفا شديدا ويستعيذون ببعضهم مِن بعض، كما قال تعالى (وأنه كان رجالٌ مِن الإنس يَعُوذُون برجالٍ مِن الجن فَزَادُوهُم رَهَقاً)(١)، زاد الجن جرأة عليهم وَشَرًّا وطُغْيانا وَزَادتهم الجن إخافة وخَبَلا وكُفْرانا .



٥ ، ٦ - الهَامَة والصَّفَر : فقد كانت الجاهلية تقول : ليس أحَد يموت فيدفن إلا خَرَج مِن قبْره هامة، والهامة : كل ذى سُمٍّ يَقْتُل سُمُّه والجمع هَوَام (المعجم الوجيز) ، أما الصَّفَر : ما كان يعتقده أهل الجاهلية مِن أن فى البطن دابة تهيج عند الجوع وربما قتلت صاحبها وكانت العرب تراها أعْدَى مِن الجَرَب (اللؤلؤ والمَرْجان ج ٢ ص ٢٥٣)

المعنى الإجمالى للآية الكريمة :

قال ابن كثير رحمه الله تعالى فى قوله تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١٣٦)**) سورة النساء : ١٣٦

يأمر تعالى عِبادَهُ المؤمنين بالدخول فى جميع شرائع الإيمان وَشُعَبه وأركانه ودعائمه وليس هذا مِن تحصيل الحاصل ، بل مِن باب تكميل وتقريره وتثبيته والاستمرار عليه ، كما يقول المؤمن فى كل صلاة (اهدنا الصراط المستقيم) أى بَصِّرْنا وَزِدْنا هُدَى ، فأمَرَهم بالإيمان بالله ورسوله (والكتاب الذى نَزَّلَ على رسوله) أى القرآن (والكِتاب الذى أنْزَلَ مِن قبل) وهذا جِنْس يشمل جميع الكتب المتقدمة ، وقال فى القرآن (نَزَّلَ) لأنه مُنَجَّماً على الوقائع بحسب ما يحتاج إليه العباد فى معاشهم ومعادهم، وأما الكُتُب المُتَقَدِّمَة فكانت تنزل جملة واحدة ، لهذا قال تعالى (والكتاب الذى أنْزَلَ مِن قبل) ثم قال (**وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا**) أى فقد خرج عن طريق الهُدَى وبَعُدَ عن القَصْد كل البُعْد (٢)

ثم قال فى الآية التى تليها (**إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آَمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا**) سورة النساء : ١٣٧، يخبر الله تعالى عَمَّن دَخَلَ فى الإيمان ثم رجع عنه ثم عاد فيه ثم رجع واستمر على ضلاله وازداد حتى مات فإنه لا توبة له بعد موتهن ولا يغفر الله له ولا يجعل له مما هو فيه فَرَجا ولا مَخْرَجا ولا طريقا إلى الهُدَى، ولهذا قال (لَمْ يَكُن الله لِيَغْفِرَ لهم ولا ليهديهم سبيلا)(٣)

---

(١) سورة الجن : ٦ **(٢) ، (٣) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى**

النِّدَاء السابع والعشرون – قال تعالى :



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (١٤٤) إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) ﴾

سورة النساء : ١٤٤ ، ١٤٥

الوَلاء والتَّوَالِى : أن يحصل شيئان فصاعِدا حصولاً ليس بينهما ما ليس منهما، ويُسْتَعار ذلك للقرب مِن حيث المكان ومِن حيث النسبة ومن حيث الدِّين، ومن حيث الصَّدَاقة والنُّصْرَة والاعتقاد (والوِلايَة) النُّصْرَة و (الوَلايَة) تَوَلِّى الأمْر .

(و الوَلِى والمَوْلى) يستعملان فى ذلك كل واحد منهما ، يقال فى معنى الفاعل أى المُوَالِى ، وفى معنى المفعول أى المُوَالَى، يقال للمؤمِن هو وَلِيُّ اللهِ عز وجل ولم يُرَد مَوْلاه، وقد يقال (الله تعالى وَلِيُّ المؤمنين وَمَوْلاهم) و (الوَالِى) بمعنى الوَلِىّ، ونَفَى اللهُ الوِلايَة بين المؤمنين والكافرين فى غير آية (يا أيها الذين ءامَنُوا لا تتخذوا اليهود) إلى قوله (ومَن يَتَوَلَّهُم منكم فإنه منهم) وجعل بين الكافرين والشَّياطين مُوالاة فى الدُّنْيا ونفى بينهم الموالاة فى الآخِرَة، قال تعالى فى الموالاة بينهم فى الدنيا (والمنافقون والمنافقات بعضهم مِن بعض) وقال (إنا جَعَلْنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) فكما جعل بينهم وبين الشيطان موالاة جعل للشيطان فى الدنيا عليهم سُلْطانا فقال (إنما سلطانه على الذين يَتَوَلَّوْنَه) ونفى الموالاة بينهم فى الآخِرَة فقال فى موالاة الكفار بعضهم بعضا (يوم لا يُغْنِى مَوْلىً عن مَوْلىً شيئاً) وقوله (ثُمَّ يوم القيامة يَكْفُر بَعْضُكُم بِبَعْض) و (والمُوالاة) بين الشَّيْئَيْن المُتَابَعَة (١)

و (الوَلِيُّ) ضد العَدُو ويقال منه (تَوَلَّاه) وكل مَن وَلِىَ أمرَ وَاحِدٍ فهو (وَلِيُّه) و (المَوْلى) المُعْتِق والمُعْتق وابن العمّ والنَّاصِر والجار والحَلِيف و (الموالاة) ضِدّ المُعَاداة (والوِلاية) بالكَسْر السُّلْطان وقال سِيبَوَيْه : الوِلاية بالفَتْح المَصْدَر وبالكسر الاسم(٢) والسُّلْطان الحُجَّة الواضِحَة

قال الشيخ أبو بكر الجزائرى :

ومعنى اتخاذهم أولياء موادتهم ومناصرتهم والثقة فيهم والركون إليهم والتعاون معهم ، ولمَّا كان الأمر ذا خُطُورَة كامِلَة عليهم هَدَّدَهم بقوله (أتُرِيدون أن تَجْعَلوا لله عليكم سلطانا مُبينا) فيتخلى عنكم ويسلط عليكم أعداءه الكافرين فيستأصلوكم أو يقهروكم ويَسْتَذِلُّوكم ويتحكموا فيكم، ثم حذَّرَهم مِن النفاق أن يتسرب إلى قلوبكم فأسمعهم حُكْمَه العادل فى المنافقين الذين هم رءوس

---

(١) المفردات فى غريب القرآن – الراغب الأصفهانى (٢) مُخْتار الصِّحَاح – الرازى





الفتنة بينهم فقال (إن المنافقين فى الدَّرْكِ (١) الأسفل من النار) إلا الذين تابوا إلى ربهم فآمَنُوا بـه وَبِرَسوله صلى الله عليه وسلم حق الإيمان وأصلحوا أعمالهم ونَفضُوا أيديهم مِن أيدى الكافرين وأخْلَصوا دِينَهم لله فَلَم يَبْقوا يُراءون أَحَداً بأعمالهم فأولئك هم الذين ارتَفَعوا إلى هذا المُسْتَوَى مِن الكمال هم مع المؤمنين جزاؤهم واحد، وسوف يُؤتِى اللهُ المؤمنين أَجْراً عظيماً؛ وهو كرامة الدنيا وسعادة الآخِرَة (٢)

قال ابن كثير – رحمه الله تعالى - فى تفسير هذه الآية :

يَنْهَى اللهُ تعالى عِبادَه المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء مِن دون المؤمنين ، يعنى مصاحبتهم ومصادقتهم ومناصحتهم وإسرار المَوَدَّة إليهم ، وإفشاء أحوال المؤمنين الباطنة إليهم، كما قال تعالى (لا يَتَّخِذِ المؤمنون الكافرين أولياءَ مِن دون المؤمنين) ولهذا قال ها هنا (أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) ؟ أى حُجَّة عليكم فى عقوبته إياكم، قال ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله (سلطانا مبينا) : كل سلطان فى القرآن حُجَّة ، وهذا إسناد صحيح ، ثم أخبر تعالى (إن المنافقين فى الدرك الأسفل مِن النار) أى يوم القيامة جزاء على كفرهم الغليظ ، قال ابن عباس رضى الله عنهما : أى فى أسفل النار، وقال غيره (دَرَكات) كما أن الجنة (دَرَجات)، وقال سفيان الثَّوْرى (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار) قال فى توابيت تُرْتَج عليهم، وعن أبى هريرة قال (الدرك الأسفل) بيوت لها أبواب تُطْبَق عليهم فتوقد مِن تَحْتِهم وَمِن فَوْقِهم ، وفى قوله (إلا الذين تابوا ...) أى بَدَّلوا الرياء بالإخلاص فينفعهم العمل الصالح وإنْ قَلَّ (فأولئك مع المؤمنين) أى فى زُمْرَتِهم يوم القيامة (وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عَظيما) ثم قال تعالى مُخْبِراً عن غِناه عَمَّا سِواهُ وأنه يُعَذِّب العِبادَ بذنوبهم (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمَنْتُم) أى أصلحتم العمل وآمَنتم بالله ورسوله (وكان الله شاكِراً عليما) أى مَن شَكَر شكر له، وَمَن آمَنَ قَلْبُه به عَلَّمَه وجازاه على ذلك أوْفَى الجزاء (٣)

---

(١) الدَّرك بإسكان الراء وفتحها . والنار سَبْع دَرَكات . يقال فيما تَعَالى وارتفع دَرَجَة ، وفيما سَفُل ونَزَل دَرَكَة، والدَّرَكات هى كالتالى : جَهَنَّم، ثم لظى، ثم الحُطَمَة، ثم السَّعير، ثم سَقر، ثم الجَحِيم، ثم الهَاوِيَة، وقد تُسَمَّى جميعاً باسم الطبقة الأُولَى (أيسر التفاسير – الجزائرى)

(٢) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ص٣٠٧

(٣) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى





النداء الثامن والعشرون – قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (١) ﴾

سورة المائدة : ١

سورة المائدة آياتها عشرون ومائة آية، وهى مدنية وبها ستة عشر نِداءً للمؤمنين.

سورة المائدة من السور المدنية الطويلة ، وقد تناولت كسائر السور المدنية جانبا مِن التشريع بإسهاب ، مِثل سورة البقرة والنساء والأنفال ، إلى جانب موضوع العقيدة وقصص أهل الكتاب . قال أبو مَيْسَرَة : المائدة مِن آخِر ما نَزَلَ مِن القرآن ليس فيها منسوخ ، وفيها ثمان عشرة فريضـــــة (تفسير القرطبى)

نزلت هذه السورة مُنْصَرَف رسول الله صلى الله عليه وسلم مِن الحُدَيبية ، وجماعها تناول الأحكام الشرعية ، لأن الدولة الإسلامية كانت فى بداية تكوينها، وهى بحاجة إلى المَنْهَج الرَّبَّانِى الذى يعصمها مِن الزَّلل ويَرْسِم لها طريق البناء والاستقرار .

أما الأحكام التى تناولتها السورة تتلخص فيما يلى :-

أحكام العُقُود، والذَّبائِح، والصَّيْد، والإحْرام، ونِكاح الكِتابيَّات، والرِّدَّة، وأحْكام الطَّهارَة، وَحَدّ السَّرِقة وَحَدّ البَغْى والإفساد فى الأرض، وأحكام الخَمْر والمَيْسِر، وكفارة اليمين، وقتل الصيد فى الإحرام، والوَصِيَّة عند الموت والبَحِيرَة والسَّائِبَة (١) والحكم على مَن ترك العمل بشريعة الله تعالى .....

وإلى جانب هذا التشريع قصَّ الله تعالى فى هذه السورة بعض القصص لِلْعِظَة والعِبْرَة ، فذَكَرَ قِصَّة بنى إسرائيل مع موسى عليه السلام، وهى قصة ترمز إلى التَّمَرُّد والطُغْيان مُمَثَّلة فى هذه الشِّرْذِمَة الباغية مِن اليهود حين قالوا لرسولهم (اذْهَب أنت وَرَبُّكَ فقاتِلا إنا هاهنا قاعدون) وما جعل لهم من التشرد والضياع إذ وقفوا فى أرض التِّيه أربعين سنة.

---

(١) كان أهل الجاهلية إذا أنْتَجَت الناقة خَمْسة أبْطُن آخِرها ذكَر بَحَروا أذُنَها أى شَقُّوها وحَرَّموا ركوبها وهى البَحِيرَة، وكان الرَّجُل يقول : إذا قدِمْتُ مِن سَفرى أو بَرِئْتُ مِن مَرَضِى فناقتى سائِبَة وجعلها كالبَحِيرة فى تحريم الانتفاع بها . وإذا وَلَدَتْ الشَّاةُ أنْثى فهى لهم، وإن وَلَدَتْ ذكَراً لا يهتم، وإن ولدت ذكرا وأنثى قالوا وَصَلَت أخاها وهى الوَصِيلة، وإذا أنتجت صلب الفحْل عَشْرَة أبْطُن قالوا قد حَمِىَ ظَهْرُه، وهو الحام . فلما جاء الإسلام أبطل هذه العادات كلها فقال تعالى (ما جَعَلَ اللهُ مِن بَحيرةٍ ولا سائِبَة ولا وَصِيلَة ولا حامٍ ولكِنَّ الذين كَفَرُوا يَفْتَرُونَ على اللهِ الكَذِبَ وأكثرُهم لا يَعْقِلُون) سورة المائدة : ١٠٣



ثُمَّ قِصَّة ابْنَىّ آدَمَ، وهى قصة ترمز إلى الصراع العنيف بين قوتَىّ الخير والشر ممثلة فى قصة (قابيل وهابيل) حيث قَتَلَ قابيلُ أخاه هابيلَ، وكانت أول جريمة نَكْرَاء تحدث فى الأرض أُريقَ فيها الدم البَرئ الطاهِر ، والقصة لِنَموذَجَيْن مِن نماذِج البَشَرِيَّة . نموذج النفس الشريرة الأثيمَة، ونموذج النفس الخَيِّرَة الكريمة (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أخِيه فَقَتَلَهُ فأصْبَحَ مِن الخاسِرِينَ)، كما ذكرت السورة قصة (المائدة) التى كانت معجزة لعيسى عليه السلام ظهرت على يديه أمام الحَوَارِيِّين . والسورة الكريمة تعرضت أيضا لمناقشة اليهود النصارى فى عقائدهم الزائفة، حيث نسبوا إلى الله تعالى ما لا يليق به مِن الذُّرِّيَّة والبَنِين، ونقضوا العهود والمواثيق، وحَرَّفوا التوراة والإنجيل، وكفروا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم إلى آخِر ما هنالك مِن الضلالات والأباطيل، وقد خُتِمَتْ السورة الكريمة بالموقف الرهيب يوم الحشر الأكبرحيث يُدْعَى المسيح عيسى بن مريم على رءوس الأشهاد ويسأله رَبُّهُ تبكيتاً للنصارى الذين عَبَدُوه مِن دون الله (أأَنْتَ قُلْتَ للناس اتَّخِذونى وأُمِّىَ إلَهَيْنِ مِن دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى إلا بِحَق)، وما له مِن مَوْقِف مُخْزٍ لأعداء الله تَشِيب لِهَوْلِه الرءوس، وتنفَطِر مِن فَزَعِه النفوس (١)

سبب نزول الآيات الكريمات من ١ : ١٠ عن ابن عباس رضى الله عنهما أن المشركين كانوا يَحُجُّونَ البَيْتَ وَيَهْدون الهَدَايا وَيُعَظِّمون الشَّعائِر ويَنْحَرُون، فأراد المسلمون أن يُغيروا عليهم، فَنَزَلَتْ (يا أيها الذين ءَامَنوا لا تُحِلُّوا شَعائِرَ اللهِ ولا الشَّهْرَ الحَرام ولا الهَدْىَ ولا القَلائِد ..) (تفسير الطبرى)

وسورة المائدة مِن آخِر ما نزل مِن السور فى القرآن، وأحكامها كلها مُحْكَمَة ما عدا قوله تعالى (ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ...) الآية وهو قول الشعبى رحمه الله تعالى، وفيها أحكام لم توجد فى سورة أخرى غيرها مِن ذلك حكم المُنْخَنِقَة وما بعدها، والمُحْصَنَات مِن الذين أُوتوا الكِتاب والوضوء وحكم السرقة (٢)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : قال الإمام أحمد عن أسماء بنت يزيد ، قالت : إنى لآخِذَة بزمام العَضْباء ، ناقةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ نَزَلَتْ عليه المائدةُ وكادت مِن ثقلها تَدَقُّ عَضُدَ الناقة، وقال أحمد أيضا عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : أُنْزِلَت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المائدة وهو راكب على راحلته فَلَم تستطع أن تحمله فَنَزَلَ عنها (٣)

العُقُود هى العُهُود التى بين العبد والرب تعالى، وبين العبد وأخيه ، والوفاء بها عدم نَكْثِها والإخلال بمقتضاها .

شَعائِر الله : جمع شَعِيرَة وهى مناسِك الحَج والعُمْرَة وسائر أعلام الدِّين .

---

(١) صفوة التفاسير – الشيخ / محمد على الصابونى (٢) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ص٣١٩

(٣) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى



الشهر الحرام : رجب وهو شهر مُضَر الذى كانت تُعَظِّمُه العرب .

الهَدْى : ما يُهْدَى للبيت الحرام مِن بَهيمَة الأنعام .

القَلائِد : جمع قِلادة وهى ما يُقَلَّد للهَدْى ، وما يتقلده الرَّجُل مِن لُحاء شَجَر الحَرَم ليأمَن .

الإثم : سائر الذنوب ، والعدوان : الظُّلم وتجاوز الحَد (١)

قال الشيخ أبو بكر الجزائرى :

ينادى الحقُّ تبارك وتعالى عبادَه المؤمنين بعنوان الإيمان فيقول (يا أيها الذين ءَامَنوا) أى يا مَن ءَامَنتم بى وبرسولى ووعدى ووعيدى أوْفُوا بالعقود (٢) فلا تُحِلُّوها وبالعهود فلا تنكثوها ، فلا تتركوا واجباً ولا ترتكبوا مَنْهيَّاً ، ولا تُحَرِّموا حلالا ولا تُحِلُّوا حَرَاما .أُحِلَّتْ لكم بهيمة (٣) الأنعام وهى الإبِل والبَقَر والغَنَم إلا ما يُتْلَى عليكم وهى الآتِيَة فى قوله (حُرِّمَتْ عليكم المَيْتَةُ والدَّمُ (٤) ولحم الخِنْزير وما أُهِلَّ لغير الله به والمُنْخَنِقَة والمَوْقُوذَة والمُتَرَدِيَة والنَّطِيحَة وما أكَلَ السَّبُعُ إلا ما ذَكَّيْتم وما ذُبح على النُّصُب وأن تستقسِموا بالأزلام ذَلِكُم فِسق ..) سورة المائدة : ٣

فلا تُحَرِّموها، وحرمت عليكم الصَّيْد وأنتم حُرُم (٥) فلا تُحِلُّوه، وسَلِّموا الأمر لى فلا تنازعوا فيما أُحِلَّ وحُرِّم فإنى أحكم ما أريد. وقوله (إن الله يَحْكُم ما يريد) فهذه الجملة تقتضى تسليم الأمر لله فلا اعتراض عليه فيما يحل ويحرم وهو كذلك.

---

(١) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ص٣١٩

(٢) قال الحَسَن : يعنى عقودَ الدَّيْن، وهى ما عَقَدَه المرءُ على نَفْسِه مِن بيع وشِراء وإجارة وكِراء ومُناكحة وطلاق، ومُزارَعَة ومُصالَحَة وتمليك وتَخْيير وعتق وتَدْبير، وكذلِكَ ما عاهد اللهَ تعالى عليه مِن نَذْرٍ وسائِر التكاليف الشرعية وما خَرَجَ مِن عقد على شريعة الله رُدَّ وَحُلَّ ولا وفاء عليه.

(٣) سُمِّيَتْ البَهيمَة بهيمة لإبهامها مِن جِهَة نقص نُطْقها وفَهْمها وعدم تمييزها وعَقْلها، ومنه باب مُبْهَم أى مُغْلَق. وليل بَهيم لا يُمَيِّز ما فيه مِن الظلام ، وقولهم فى الشُّجاع مِن الرِّجال : بُهْمَة لأنه لا يُدْرَى مِن أين يُؤْتَى.

(٤) وما حُرِّمَ بالسُّنَّة، وهو كُل ذِى نابٍ مِن السِّباع كالأسَد، والذِّئب، والثَّعْلب، وذِى مِخْلب مِن الطَّيْر كالنِّسْر، والصَّقْر؛ لثبوت ذلك فى الأحاديث الصحيحة.

(٥) أما إذا حَلُّوا مِن إحرامهم فالصيد حلال، كما هو فى غير الإحرام إذا ما كان مِن صيد الحرم فإنه حرام فى الإحرام والإحلال لقوله صلى الله عليه وسلم (إنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللهُ ، وَلَمْ يُحَرِّمها الناسُ، فلا يَحِلُّ لامْرِئٍ يُؤْمِنُ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ أن يَسْفِكَ بها دَمَاً ....) الحديث فى صحيح الجامع للألبانى رقم ٢١٩٧



النّداءُ التَّاسِعُ والعِشْرُونَ ـ قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢) ﴾

سورة المائدة : ٢

فهذه الآية الكريمة قد تضمنت أحكاما بعضها نُسِخ العمل به، وبعضها مُحْكَم يُعْمَل به إلى يوم الدِّين فَمِنَ المُحْكم والواجب العمل به تحريم شعائر الله، وهى أعلام دينه مِن سائر ما فَرَضَ أو أوْجَبَ ونَهى وحَرَّمَ، فلا تُستَحَلّ بترك واجب ولا بفعل مُحَرَّم ومِن ذلك مَنَاسِك الحَجّ والعُمْرَة . وَمِن المَنْسُوخ الشهر الحرام؛ فإن القتال كان مُحَرَّماً فى الأشهر الحُرُم، ثم نُسِخ ذلك بقوله تعالى (اقتلوا المشركين حيث وَجَدتموهم ....)(١) ومِن المنسوخ أيضا هَدْى المشركين وقلائدهم ، والمشركون أنفسهم فلا يسمح لهم بدخول الحرم ولا يقبل منهم هَدْى (٢) ولا يجيرهم مِن القتل تقليد(٣) أنفسهم بِلُحاء شَجَر الحرم ولو تقلّدوا شَجَرَ الحَرَمِ كُلّه، ومعنى (يبتغون فضلا مِن ربهم ورضوانا) المراد بالفضل الرزق بالتجارة فى الحج، والمراد بالرضوان ما كان المشركون يطلبونه بَحَجِّهم مِن رضَى الله لِيُبارك لهم فى أرزاقهم ويحفظهم فى حياتهم . وقوله تعالى (وإذا حللتم فاصطادوا ...)(٤) خطاب للمؤمنين أذِنَ لهم فى الاصطياد الذى كان مُحَرَّما وهم مُحْرِمون أذِنَ لهم فيه بعد تحللهم مِن إحرامهم .

وقوله تعالى (ولا يَجْرِمَنَّكم شَنئان قوم أن صَدُّوكم عَنِ المَسْجِدِ الحَرام أن تَعْتَدُوا ...) يَنْهَى عبادَه المؤمنين أن يحملهم بُغْضُ قوم صدوهم يوم الحُدَيْبِيَة عن دخول المسجد الحرام أن يَعْتَدُوا عليهم بغير ما أذِنَ الله تعالى لهم فيه وهو قتالهم إن قاتَلوا وتركهم إن تركوا، ثم أمرهم تعالى بالتعاون على البر والتقوى أى على أداء الواجبات والفضائل، وترك المحرمات والرذائل

---

(١) سورة التوبة : ٥

(٢) الهَدْى : ما يُهْدَى إلى الحَرَم ، ومِن خصائصه أنه يُشْعَر، وذلك بجَرح سنامه مِن الجِهَة اليُمْنَى حتى يسيل منه الدَّم، وبذلك يُعْلَم أنه هَدْى، ويَحْرُم بيع الهدى إذا أشْعِر وَقُلِّد؛ لأنه أصبح كالوقف لله تعالى .

(٣) معنى التَّقْلِيد : أن يوضع فى عُنُق الهَدْى قِلادة يُعْلَم بها أنها هَدْى وهذا يكون فى الغَنَم لأنها لا تُشْعَر.

(٤) قوله تعالى (وإذا حَلَلْتُم فاصْطَادُوا) الإجماع على أن الأمر هنا للإباحة وليس للوجوب وهذه قاعدة أصولية أن (كل أمر بعد حظر فهو للإباحة)



ونهاهم عن التعاون على ضدها فقال (وتعاونوا على البر(١) والتقوى ولا تعاونوا على الإثم (٢) والعُدْوان) ولما كانت التقوى تَعُمُّ الدِّينَ كُلَّه فِعْلاً وتَرْكاً؛ أمرهم بها فقال (واتقوا الله) أى بالإيمان به وبرسوله صلى الله عليه وسلم والطاعة فى الفعل والترك ، وحَذَّرَهم مِن إهمال أمره بقوله (إن الله شديد العِقاب) فاحذروه بِلُزوم التقوى (٣)

فائدة : الأشهر الحُرُم هى التى كانت العرب يُحَرِّمُونَ فيها القتال، وهى ذو القعدة، وسُمِّى بذلك لأنهم كانوا يقعدون فيه عن الأسفار والغزو، وذو الحِجَّة، وهو شهر الحَجِّ آخِر الشهور الهِجْرِيَّة، والمُحَرَّم، وهو أول الشهور الهجرية ومعناه ذو الحُرْمَة، ورَجَب مُضَر، الذى بين جُمَادَى الآخِرَة وشَعْبان، قال تعالى (إنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عند اللهِ اثنا عَشَرَ شَهْراً فى كِتابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّماوات والأرضَ منها أربعة حُرُمٌ ...) سورة التوبة : ٣٦

فوائد مِن النِّداءَيْن الكَريمَيْن :

١ - وجوب الوفاء بالعهود التى بَيْنَ اللهِ تعالى وبَيْنَ العَبْدِ والمُحافَظَة على العُقُود التى بين العبد وأخيه لشمول الآية ذلك .

٢ - إباحة أكل لحوم الإبل والبقر والغنم إلا الميتة منها .

٣ - تحريم الصيد فى حالة الإحرام وحِلِّيته بعد التحلل من الإحرام وهو صيد البر إلا البحر؛ لأن صيد البحر حلال فى الإسلام لقوله تعالى (أُحِلَّ لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دُمْتُم حُرُماً)(٤)

٤ - وجوب احترام شعائر الدِّين كلها أداءً لِما وجب أداؤه ، وتركاً لِما وجب تَرْكه.

٥ - حرمة الاعتداء مطلقا على الكافر (إلا إذا كان حَرْبِيّاً) .

٦ - وجوب التعاون بين المؤمنين على إقامة الدِّين ، وحرمة تعاونهم على المَساس به (٥)

---

(١) البر : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه مِن الأعمال الظاهرة والباطنة مِن حقوق الله وحقوق الآدَميين، والتقوى فى هذا المَوضع اسم جامِع لكل ما يحبه اللهُ ورسولُه مِن الأعمال الظاهرة والباطنة، وكل خَصْلَة مِن خِصال الخير المأمور بفعلها أو خصلة مِن خصال الشر المأمور بتركها، فإن العبد مأمور بفعلها بنفسه وبمعاونة غيره عليها مِن إخوانه المؤمنين بكل قول يبعث عليها وينشط لها وبكل فعل كذلك (تفسير السعدى)

(٢) أى ولا تتعاونوا على فعل الإثم مِن سائر الذنوب والفواحش ولا على الظلم والاعتداء؛ إذ كلاهما مِمَّا حرم الله تعالى (أيسر التفاسير - الجزائرى)

(٣) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ص٣٢٢

(٤) سورة المائدة : ٩٦ **(٥) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ص٣٢٢**

النداء الثلاثون – قال تعالى :





﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ (١) وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٦) ﴾ سورة المائدة : ٦

قال الشيخ أبو بكر الجزائرى :

هناك خلاف طويل عريض فى تأويل هذه الآية وهو يدور على : هل الوضوء واجب لكل صلاة أو مستحب أو واجب على المُحْدِث لا غير ومُسْتَحَب لغيره، وهل فى الآية تقديم وتأخير ؟ . والذى عليه جمهور الأمة أن الوضوء واجب على المحدث لا غير ومستحب لغيره، ومما تنبغى الإشارة إليه أن الوضوء والغُسْل والتيمم كلها كانت مشروعة قبل نزول هذه الآية إذ ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير وضوء، ومشروعية التيمم نزلت فى غزوة المُرَيْسِيع وكانت سنة خمس أو ست من الهجرة، وعليه فالآية شملت الطهارة بأنواعها مؤكدة لها خالدة تُتْلَى فى كتاب الله يُتَعَبَّد بتلاوتها ويُعْمَل بمضمونها عِلْماً وعَمَلاً إذ سورة المائدة مِن آخِرِ ما نزل مِن القرآن كما تقدم .

معنى الآية الكريمة :

نادى الرب عباده المؤمنين به وبرسوله صلى الله عليه وسلم ووعده ووعيده ليأمرهم بالطهارة إذا هم أرادوا الصلاة وهى مناجاة (٢) العبد ربه، وبَيَّنَ لهم الطهارة الصغرى، منها الوضوء والكبرى وهى الغُسْل وبين لهم ما ينوب عنهما إذا تَعَذَّر وجود الماء الذى به الطهارة أو عجزوا عن استعماله وهو التيمم فقال تعالى (يا أيها الذين ءامنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم) وَحَدُّ الوَجْه طولاً مِن مَنْبَت الشعر المعتاد أعلى الجَبْهَة إلى مُنْتَهى الذَّقَن أسفل الوجه ، وحدُّه عَرْضاً مِن وَتَد الأذن اليُمْنَى إلى وتد الأذن اليُسرَى (وأيديكم إلى المَرَافِق) فيشمل الغَسْل للكفين والذراعين إلى بداية العَضُدَيْن فيدخل فى الغَسْل المِرْفَقان (وامسحوا برءوسكم) واللفظ محتمل الكل والبعض، والسُّنَّة بينت أن الماسح يُقْبِل بيديه ويُدْبِر بهما فيمسح جميع رأسه وهو أكمل، وذلك ببللٍ يكون فى كَفَّيْه ، كما بينت السنة مسح الأُذُنَيْن ظاهِراً وباطِناً (وأرجلكم إلى الكعبين) أى واغسلوا أرجلكم إلى الكَعْبَيْن وهما العَظْمان الناتئان عند بداية الساق، وبينت

---

(١) الباء فى قوله (برءوسكم) للإلصاق وليس للتبعيض إذ ثبت عن النبى مسح الرأس كله .

(٢) لقوله صلى الله عليه وسلم (إذا كان أحدكم فى صلاة فإنه يُناجِى رَبَّه فلينظرْ أحدكم ما يقول فى صلاته ، ولا ترفعوا أصواتكم فتُؤذوا المؤمنين) رواه أحمد وأبو داود رحمه الله تعالى – ص . ج رقم ٧٥٢



السنة رُخْصَة المَسْح على الخفين (١) بدلا من غسل الرجلين، كما بينت غَسْل الكفين والمضمضة والاستنشاق والاستنثار، وكون الغَسْل ثلاثا ثلاثا على وجه الاستحباب وقوله { بسم الله } عند الشروع أى البدء فى الوضوء (٢) ، كما بينت السنة وجوب الترتيب بين الأعضاء المغسولة الأول فالأول ووجوب الفَوْر (المُوالاة) بحيث لا يفصل بزمن بين أعضاء الوضوء حال غسلها ، بل يفعلها فى وقت واحد إن أمكن ذلك (وهى المُوالاة أى التتابع بين غسل الأعضاء دون فاصل زمنى كبير عُرْفاً) وأكدت السنة وجوب النية حتى لَكَأنَّه شرط فى صحة الوضوء (٣)

وقال تعالى (وإن كنتم جُنُبَاً فاطَّهَروا)(٤) أى وإن أصابت أحَدَكُم جَنابَة وهى الجِماع والاحْتِلام، فَمَن جامع زوجته فَأَوْلَجَ ذَكَرَه فى فَرْجِها ولو لَمْ يُنْزِل أى لَمْ يَخْرُج منه المَنِيّ فَقَدْ أجْنَبَ ، كما أن مَن احْتَلَمَ فَخَرَجَ منه مَنِيّ فقد أجْنَبَ، بل كل مَن خرج مِنه مَنِيّ بلَذَّة فى نوم أو يقظة فقد أجنب، وانقطاع دم حيض المرأة ودم نفاسها كالجنابة يجب منه الغسل . وقوله (فاطَّهَّروا) يريد اغتَسِلوا، وقد بينت السنة كيفية الغُسْل وهى أن يَنْوِىَ رفع الحَدَث الأكبر بقلبه ويَغْسِل كفيه قائلا { بسم الله } ويغسِل فَرْجَيْه (القُبُل والدُّبُر) وما حولهما، ثم يتوضأ الوضوء الأصغر المعروف (وضوء الصلاة) ثم يُخَلِّل شَعْرَ رأسه ببلل يديه ثم يغسل رأسه ثلاث مرات مع أذُنَيْه ظاهِراً وباطِناً ثم يفيض الماء على شِق (نصف) جسده الأيمن كله مِن أعلاه إلى أسفله، ثم الشِق الأيسر، ويتعاهد الأماكن التى قد يَنْبُو عنها الماء ويصعب الوصول إليها كالسُّرَّة وتحت الإبطَيْن والرِّفْقَيْن وهما أصل الفَخِذَيْن.

وقوله تعالى (وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لا مستم النساء فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيد طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ...) ذَكَرَ تعالى فى هذه الآية الكريمة نواقض الوضوء ومُوُجِب الانتقال منه إلى التيمم ، فالمريض قد يعجز عن الوضوء لضعف جسمه بعدم القدرة على التحرك ، وقد تكون به جراحات أو دماميل يتعذر معها استعمال الماء حيث يزداد المرض بمس الماء (أو على سفر) إذ السَّفَر مَظِنَّة عدم وجود الماء ، هذه

---

(١) ضَلَّتْ الرَّافِضَة (الشِّيعَة) فأخَذوا بقِراءة (وَأرْجُلِكُم) بالكَسْر ، فمَسَحُوا أرجلهم فى كل وضوء وتركوا غسل الرِّجْلَيْن أبدا ، والحامِل على ذلك أن رؤساءهم زَيَّنُوا لَهُم ذلك وأوجبوه عليهم ، وأما أهل السنة والجماعة فإنهم عَمِلوا بكتاب الله وسنة رسوله فغَسَلوا أرجلهم لأن النبى لم يمسح رِجْلَه قطّ بدون خُفّ فمَسَحوا على الخُفَّيْن كما مسح النبى فأَخَذُوا بالقراءتَيْن معاً ، روى مسلم فى صحيحه عن على بن أبى طالب قال : جَعَل رسولُ الله ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر ويوما وليلة للمقيم) يعنى فى المسح على الخفين .

(٢) بعض الفقهاء يَعُدُّون النِّيَة فَرْضاً مِن فرائض الوضوء وبعضهم يعدها شَرْطا ، وما دام المَشْروط يتوقف على شرطه صحةً وبُطْلاناً ، والفرض إذا تُرِكَ بطل الوضوء فإنه خلاف لَفْظِىّ .

(٣) رأى الجمهور أن النية شرط فى صحة الوضوء لأن الوضوء عبادة .

(٤) فاطَّهَروا أصلها فتَطَهَّروا فَأُدْغِمَتْ التاء فى الطاء لاتحاد مَخْرَجَيْهما ، ومعنى فاطهروا أى اغتسلوا وفى الحديث (لا يَقْبَل اللهُ صلاةً بغَيْر طُهُورٍ، ولا صَدَقَة مِن غُلُول) رواه مسلم رحمه الله تعالى





مُوجِبات الانتقال مِن الوضوء إلى التيمم، وقوله (إذا جاء أحد منكم مِن الغائِط (١) أو لامَسْتُم (٢) النساء) ذَكَرَ اللهُ فى الجملة الأولى نواقضَ الوضوء إجمالا وهو الخارج مِن السبيلين مِن عَذِرَة وفُساء وضُراط وبَوْل ومَذْى ومَنِىّ كَنَّى عنه بقوله (أو جاء أحد منكم مِن الغائط) وهو مكان التَّغَوُّط والتَّبَوُّل، وذكر مُوجِب الغُسْل وهو الجِماع وكَنَّى عنه بالملامسة تعليما لعباده المؤمنين الآداب الرفيعة فى مُخَاطبتهم، وقوله (فلم تجدوا ماءً) أى للوضوء أو الغسل بعد أن طلبتموه فلم تجدوا فتيمموا، اقْصِدُوا مِن أَمَّ الشئ إذا قَصَدَه صَعِيدا طَيِّبا يريد ما صَعد على وجه الأرض مِن أجزائها كالتراب والرَّمْل والسَّبْخَة (٣) والحِجارة، وقوله (طيبا) يريد به طاهرا مِن النَّجَاسة والقَذَر، وقوله (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) بَيَّنَ كيفية التَّيَمُّم ، وهى أن يَقْصِدَ التُّرابَ الطاهِرَ، وإن تَعَذَّرَ ذلك فما تيسر له مِن أجزاء الأرض فيضرب بكفيه الأرض فيمسح بهما وجهه وكفيه ظاهرا وباطنا مرة واحدة ، وقوله تعالى (مِنْه) أى مِن ذلك الصعيد . ولهذا يُبَيِّن اللهُ تعالى كيفية التيمم وهى التى عَلَّمَها رسولُ اللهِ عَمَّارَ بنَ ياسر إذ قال له (إنما يكفيك أن تقول هكذا) ثم ضَرَبَ بيده الأرض ضربة واحدة ثم مَسَحَ الشِّمَالَ على اليَمِين وظاهر كفيه ووجهه (٤) وقوله تعالى (ما يريد الله ليجعل عليكم مِن حرج) يخبر تعالى أنه يأمرنا بالطهارة بِقِسْمَيْها الصغرى وهى الوضوء والكبرى وهى الغسل، وما ينوب عنهما عند العجز وهو التيمم، ما يريد إيقاعنا فى الضِّيق والعَنَت، ولكنَّه تعالى يريد تطهيرنا مِن الأحداث والذنوب؛ لأن الوضوء كَفَّارَة لذنب المُتَوضئ، كما ورد فى السنة فى قوله صلى الله عليه وسلم (مَن توضأ فَأَحْسَنَ الوضوء خَرَجَتْ خطاياه مِن جَسَدِه حتى تَخْرُجَ مِن تحت أظْفاره)(٥)

وقوله تعالى (ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم) أى بهدايتكم إلى الإسلام وتعليمكم شرائعه فَيُعِدَّكُم بذلك لشكره وهو طاعته بالعمل بما جاء به الإسلام مِن الأعمال الظاهرة والباطنة وهو معنى قوله تعالى (ولعلكم تشكرون)(٦) أما الآية التى تليها وهى قوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به إذ قُلْتُم سمعنا وأطعنا واتقوا إن الله عليم بذات الصدور) فإنه يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يذكروا نعمته عليهم بهدايتهم للإيمان ليشكروه بالإسلام كما يذكروا ميثاقه الذى واثقهم به ، وهو العَهْد الذى قَطَعَه المؤمنُ على نَفْسِه لِرَبِّه بالتزامه بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم عندما تَعَهَّدَ بِلِسان القال عندما بايعوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على السَّمْع والطَّاعة فى المَنْشَط

---

(١) أصل الغائط المكان المُنْخَفِض ، ولمَّا كان مَن يريد قضاء حاجته يأتى المكان المنخفِض ليستتر عن أعين الناس ، أطلق عليه لفظ الغائط على ما يحل فيه مِن بَوْل وعَذِرَة .

(٢) ملامسة النساء كِنايَة عن الجِماع ، كما أن مَن لامَسَ إمرأة لِيَتَلَذَّذ بها أو لامسها لغير قصد اللَّذَّة ووجد اللذة فقد انْتُقِضَ وضوؤه، ومِن هذا مَس الفرْج باليد لأنه مظنة اللذة .

(٣) السَّبَخَة : بفتح الباء واحِدة (السِّباخ) وأرضٌ (سَبِخَة) بكسر الباء ذات سِبَاخ أى ذات مِلْح ونَزّ، و النَّزّ بفتح النون وكسرها ما يتحلَّب مِن الأرض مِن الماء . (٤) متفق عليه

(٥) رواه أحمد ومسلم رحمه الله تعالى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه – ص . ج رقم ٦١٦٩

(٦) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ ص ٣٢٦





والمَكْرَه وقد قالها كل مسلم بلسان الحال لمَّا شَهدَ لله بالوَحْدَانيَّة وللنبى صلى الله عليه وسلم بالرسالة (واتقوا الله) أمر بالتقوى التى هى لزوم الشريعة والقيام بها عقيدةً وعِبادةً وقضاءً وأدَباً ، وقوله (إن الله عليم بذات الصدور) يذكرهم بعلم الله بِخَفايا أمورهم حتى يراقِبوه ويخشوه فى السِّر والعَلَن ، وهذا مِن باب تربية الله لعِباده المؤمنين لإكمالهم وإسعادهم (١)

فوائد مِن الآيتين الكريمتين :

١ ـ الأمر بالطهارة (٢) وبيان كيفية الوضوء وكيفية الغُسْل وكيفية التَّيَمُّم.

٢ ـ بيان الأعذار الناقلة للمؤمن مِن الوضوء أو الغسل إلى التيمم (٣)

٣ ـ بيان موجبات الوضوء والغُسْل   ٤ ـ الشكر هو عِلَّة الإنعام.

٥ ـ ذِكْر العهود يساعد على التزامها والمحافظة عليها (٤)

٦ ـ الطَّهارَة لا تَجِبُ بِدُخُول الوقت وإنما عند إرادة الصلاة.

٧ ـ أن كل ما يُطْلَقُ عليه اسم الصلاة فى الفَرْض والنَّفْل وفرض الكِفَايَة وصلاة الجنائز تُشْتَرَط له الطهارة، حتى السجود المُجَرَّد عند كثير مِن العلماء كسجود التلاوة والشكر.

٨ ـ (الأُذُنانِ مِن الرأس) قاله النبى صلى الله عليه وسلم (٥)

٩ ـ قوله (إلى المَرَافِق) أى بمعنى (مع) كما قاله جمهور المُفَسرين .

١٠ ـ الأمر بالترتيب فى الوضوء؛ لأن الله تعالى ذَكَرَها مُرَتَّبَة ولأنه أدخل ممسوحا ـ وهو الرأس ـ بين مَغْسُولَيْن ولا يُعْلَم لذلك فائدة غير الترتيب.

١١ ـ أنه يجب تعميم الغسل للبدن لأن الله أضاف التطهر للبدن ولم يُخَصِّصْه بشئ دون ذلك .

١٢ ـ أنه يندرج الحدث الأصغر فى الحدث الأكبر، ويكفى مَن هَمَّ عليه أن ينوى ثم يُعَمِّم بَدَنه؛ لأن الله لم يَذْكُر إلا التطهر ولم يذكر أنه يعيد الوضوء.

---

(١) أيسر التفاسير ـ الجزائرى ج١ ص ٣٢٦   (٢) لحديث (الطُّهُور شَطْرُ الإيمان) رواه مسلم

(٣) أما كيفية المسح على الخُفَّيْنِ هو أن يبل يده بالماء ثم يمسح ظاهر رِجْلَه اليُمْنَى ثم يمسح ظاهر اليُسْرَى دون باطنهما لقول عَلِىّ رضى الله عنه (لو كان الدِّين بالرأى لكان أسفل الخُفِّ أوْلَى بالمسح مِن أعْلاه) ويُشْتَرَط فى المَسْح على الخُفَّيْن أن يلبسهما على طهارة وهناك شروط أخرى مدارها فى كتب الفقه.

(٤) أيسر التفاسير ـ الجزائرى ج١ ص ٣٢٨

(٥) رواه أحمد وأبو داود والترمذى رحمهم الله تعالى وغيرهم ـ ص . ج رقم ٢٧٦٥

١٣ ـ أن الخارج مِن السَّبِيلَيْن مِن بَوْلٍ أو غائط ينقض الوضوء .



١٤ - استحباب التَّكْنِيَة عمَّا يُسْتَقْذَر التلفظ به لقوله تعالى (أو جاء أحد منكم من الغائط)

١٥ - أنَّ لَمْس المرأة بلَذَّة وشهوة ناقِض للوضوء . ١٦ - اشتراط عدم الماء لصحة التيمم .

١٧ - أن مع وجود الماء ولو فى الصلاة يبطل التيمم؛ لأن الله إنما أباحه مع عدم الماء .

١٨ - أنه إذا دَخَلَ الوقت وليس معه ماء فيلزمه طلبه فى رَحْلِه وفيما قرب منه؛ لأنه لا يقال : (لم يجد الماء) لِمَن لم يطلبه .

١٩ - أن الماء المُتَغَيِّر بالطاهرات مُقَدَّم على التيمم أى يكون طَهُوراً؛ لأن الماء المتغير ماء، فيدخل فى (فلم تجدوا ماءً)

٢٠ - أنه لابد مِن نِيَّة التَّيَمُّم لقوله (فَتَيَمَّمُوا) أى : اقْصُدوا .

٢١ - أنه يكفى التيمم بكل ما تَصاعَدَ على وجه الأرض مِن تراب وغيره .

٢٢ - أنه يمسح فى التيمم الوجه واليدين فقط دون بقية الأعضاء .

٢٣ - أن الآية عامة فى جواز التيمم لجميع الأحداث كلها : الحدث الأكبر والأصغر، بل ونجاسة البدن؛ لأن الله جعل الطهارة بالتيمم بدلا عن الطهارة بالماء وأطلق فى الآية فَلَم يُقَيِّد، وقد يقال : إن نجاسة البدن لا تدخل فى حكم التيمم لأن السياق فى الأحداث . وهو قول الجمهور .

٢٤ - أنه لو نَوَى مَن عليه حَدَثان التيمم عنهما فإنه يُجْزِئ أخْذاً مِن عموم الآية وإطلاقها .

٢٥ - اشتراط الترتيب فى طهارة التيمم كما يُشْتَرَط ذلك فى الوضوء ولأن الله بدأ الأمر بمسح الوجه قبل مسح اليدين .

٢٦ - أن طهارة الظاهِر بالماء والتراب تكميل لطهارة الباطن بالتوحيد والتوبة النَّصُوح .

٢٧ - أن طهارة التيمم - وإن لم يكن فيها نظافة وطهارة – تُدْرَك بالحِسِّ والمُشاهَدَة، فإن فيها طهارة مَعْنَوِيَّة ناشِئَة عن امتثال أمر الله تعالى .

٢٨ - أنه ينبغى للعبد أن يتدبر الحِكَمَ والأسْرار فى شرائع الله تعالى فى الطهارة وغيرها لِيَزْداد مَعْرِفَة وَعِلما ، ويزداد شُكْرا لله، ومَحَبَّة له على ما شَرَعَ مِن الأحكام التى تُوصِل العبدَ إلى المنازل الرفيعة (١)

---

(١) تفسير السعدى رحمه الله تعالى ص ٢١٦

النداء الحادى والثلاثون – قال تعالى :





﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ(١) قَوْمٍ(٢) عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨) ﴾ سورة المائدة : ٨

قد مر عند تفسير النداء الخامس والعشرين فى الآية رقم ١٣٥ من سورة النساء قوله تعالى (يا أيها الذين آمَنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا) وقد فصلنا فيها القول بما يغنى عن التوسع هنا والاستطراد.

فقوله (لا يجرمنكم) أى لا يَحْمِلَنَّكم ، (شَنَئَان) أى بُغْض .

والعَدْل خِلاف الجَوْر وهو المُساواة بلا حَيْف وَجَوْر . والجَوْر الظُّلْم .

(هو أقرب للتقوى) أى العدل أقرب للتقوى مِن الجور كما قال تعالى (وأن تعفوا أقرب للتقوى) فما زال السياق الكريم فى توجيه المؤمنين وإرشادهم إلى ما يكملهم ويسعدهم، فأمر الله تعالى المؤمنين أن يكونوا قوامين لله تعالى بسائر حقوقه عليهم من الطاعات ، وأن يكونوا شهداء بالعدل لا يحيفون ولا يجورون فى شئ سواء كان المشهود عليه وَلِيّاً أو عَدُوّاً، ونهاهم أن يحملهم بُغْضُ قوْم أو عداوتهم على ترك العدل وقد أُمِرُوا به، ثم أَمَرَهُم بالعدل وأعْلَمَهم أن أهل العدل (٣) هم أقرب الناس إلى التقوى ، لأنه مَن كانت له مَلَكَة العدل صِفَة كان مِن أقْدَر الناس على أداء الحقوق والواجبات ، وعلى ترك الظلم واجتناب المنهيات ، ثم أمرهم بالتقوى مُؤَكّدا شأنها؛ لأنها مِلاك الأمر، وأعْلَمَهم بأنه سبحانه خبير بما يعملون لتزداد مَلَكَة مُرَاقَبَة الله تعالى فى نفوسهم فيفوزون بالعدل والتقوى معاً (٤)

---

(١) قرأ ابن عامر، وشُعْبَة، وأبو جعفر، بإسكان النون والباقون بفتحها (البدور الزاهرة ص ٨٧)

(٢) المراد بالقوم اليهود وقد أرادوا قتل النبى كما ذكره ابن جرير وقال السهيلى : المراد غورث بن الحارث الغطفانى وَجَدَ النبى نائماً فى بعض غزواته تحت شجرة والسيف معلق فيها فاخْتَرَط السيف واستيقظ رسول الله والسيف فى يده فقال له : يا محمد مَن يمنعك مِنِّى ؟ قال (الله تعالى) وقعد إلى الأرض حتى جاء أصحاب رسول الله وهو عنده وقيل : إنه عمرو بن جحاش اليهودى.

(٣) لا شك أن أعدل الناس هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم صِدِّيق الأمة أبو بكر الصِّدِّيق، وعمر بن الخطاب وعثمان بن عَفَّان، وعَلِىّ بن أبى طالِب، رضى الله عنهم، وَسِيَرهم تشهد بذلك ومواقفهم فى العدل تنير كتب التاريخ والسِّيَر.

(٤) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ ص ٣٢٩

النِّداءُ الثَّانِى والثَّلاثُونَ – قال تعالى :



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ(١) اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ(٢) فَكَفَّ(٣) أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ(٤) الْمُؤْمِنُونَ (١١) ﴾

سورة المائدة : ١١

سبب نزول الآية الكريمة :

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : رُوِىَ أن النبى صلى الله عليه وسلم نَزَلَ مَنْزِلاً وتفرق الناس فى العِضَاة (٥) يستظلون تحتها وعلق النبى صلى الله عليه وسلم سلاحه بشجرة، فجاء أعرابى إلى سيف رسول الله فأخذه وسلّه ، ثم أقبل على النبى فقال : مَن يمنعك مِنِّى ؟ قال (الله عز وجل) قال فَشَامَ (٦) الأعْرابِىُّ السَّيْفَ فدعا النبى أصحابه، فأخبرهم خبر الأعرابى وهو جالس إلى جَنْبه ولَمْ يعاقِبْه ، وقصة الأعرابى وهو (غورث بن الحارث) ثابتة فى الصحيح . وقال ابن عباس : إن قوماً مِنَ اليهود صَنَعوا لرسول الله ولأصحابه طعاما ليقتلوهم فأوحى الله إليه بشأنهم ، وقال أبو مالك : نَزَلَت فى كعب بن الأشرف وأصحابه حين أرادوا أن يغدروا بمحمد وأصحابه فى دار كعب بن الأشرف ، وذكَر محمد بن إسحاق بن يسار أنها نزلت فى شأن بنى النَّضير حين أرادوا أن يُلقوا على رأس رسول الله الرَّحَى (٧) لما جاءهم يستعينهم فى دِيَة العامِرِيَيْن، ووكّلوا (عمرو بن جحاش) بذلك ، وأمَرُوه إن جَلَسَ النبى تحت الجدار أن يُلقِى الرَّحَى مِن فَوْقه ، فَأَطْلَعَ اللهُ النَّبِىَ على ما تمالأوا عليه ، فرجع إلى المدينة وَتَبِعَه أصحابه ، فأنْزَلَ اللهُ هذه الآية .

---

(١) (نِعْمَةَ الله عليكم إذ هم قوم ..) رسم بالتاء ووقف عليها بالهاء المَكِّىّ (ابن كثير) والبَصْرِيَّان (أبو عمرو ويعقوب) و (الكِسائىّ) وغيرهم بالتاء – البدور الزاهرة ص ٨٧

(٢) أى ليقتلوا النبى صلى الله عليه وسلم.

(٣) لَمْ يُمَكِّنهم مما أرادوه مِن قتل النبى .وكَفّ اليد كِناية عن عدم القتل والقتال، وبَسْطها كِناية عن السوء والأذى الحاصل بها.

(٤) فى الآية قصر حقيقى ، وهو أن التوكل لا يكون إلا على الله إذ لا كافِىَ إلا هو سبحانه وتعالى.

(٥) العِضاة : كل شجر له شوك صَغُر أو كَبُر ، الواحدة عِضاهَة (المعجم الوجيز)

(٦) شَامَ السيف : أدْخَلَه فى قرابه.

(٧) الرَّحَى : الأداة التى يطحن بها وهى حَجَران مُسْتَدِيران يوضع أحدهما على الآخَر ويُدار الأعلى على قُطْب . وتُجْمَع على أرْحاء، وأرْحِيَة، ورَحَى الحَرْب : حَوْمَتها ، ويقال : دارت رحى الحرب أى نَشِبَت (المعجم الوجيز)

وقوله تعالى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يعنى مَن توكل على الله كَفَاه اللهُ ما أهَمَّه وَحَفِظَه مِن شَر الناس وعَصَمه (١)



قال الشيخ أبو بكر الجزائرى :

ذكّرَهم الله تعالى بنعمة عظيمة مِن نِعَمِه هى نجاة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم مِن قَتْل أعدائه وأعدائهم وهم اليهود ، إذ ورد فى سبب نزول هذه الآية الكريمة ما خلاصته : أن أولياء العامِرِيَيْن الذين قُتِلا خَطَأً مِن قِبَلِ مسلمٍ حيث ظنهما كافرين فقتلهما، جاءوا يُطالبون بِدِيَة قَتِيلهم فَخرج رسول الله ومعه الخُلَفاء الراشدون الأربعة وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم خرجوا إلى بنى النضير يطالبونهم بتحملهن هذه الدِّيَة بموجب عقد المعاهدة إذ مِن جملة موادها تحمل أحد الطرفين معونة الطرف الآخَر فى مثل هذاه الحالة المالية فلما وصلوا إلى ديارهم شرق المدينة استقبَلوا رسول الله بالحفاوة التكريم وأجلسوه مكانا لائقاً تحت جدار منزل من منازلهم وأفهموه أنهم يعدون الطعام والنقود ، وقد خلوا بعض ببعضهم وتآمَروا على قتله صلى الله عليه وسلم (٢)، وقالوا فرصة متاحة فلا نفوتها وأمروا أحدَهم أن يطلق مِن سطح المنزل حَجَر رَحَى كبيرة على رأس النبى فتقتله، وما زالوا يُدَبِّرُون مكيدتهم حتى أوحى الله إلى رسوله بالمؤامرة الدنيئة فقام صلى الله عليه وسلم وتبعه أصحابه ودخلوا المدينة وفاتت فرصة اليهود واستوجبوا بذلك اللعن وإلغاء المُعَاهَدة وإجلاءهم مِن المدينة وقصتهم فى سورة الحَشْر (٣)

فاليهود هم اليهود فى كل زمان ومكان ، فهم ناكِثو العُهود وقاتِلوا الأنبياء ، وناسِبوا صفات النقص لله - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا – فقالوا : إن الله فقير ونحن أغنياء، وقالوا : يَدُ الله مَغْلُولَة، ووصفوه بالإعْياء ونسبوا له الولد وجحدوا رسالات الرسل مع استيقانهم بها، وعاثوا فى الأرض فسادا إلى يوم الناس هذا، فتاريخهم أسْوَد وكراهتهم للإسلام معلومة لِكُلِّ ذى لُبٍّ (انظر كِتاب بُروتُوكُولات صُهْيُون تجد العَجَب العُجاب)

---

(١) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى

(٢) ولهذه الحادثة نظيراتها فقد تعددت مؤامرات اليهود والمشركين على النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، وفى الحديبية حدث مِثل هذا .

(٣) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ ص ٣٢٩

النِّداءُ الثَّالِثُ والثَّلاثِينَ – قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣٥) ﴾

سورة المائدة : ٣٥

الوَسِيلة لغة : القُرْبَة والجمع قُرَب ، وهى : فَعِيلة بمعنى مَفْعولة أى : ما يتقرب بها، تَوَسَّلَ إلى فلان تقرَّب إليه بكذا، وشاهِده مِن قول العرب ، قول عَنْتَرَة :

إنَّ الرِّجالَ لَهُم إلَيْكِ وَسِيلة   أن يأخذوك تكحلى وتخضبى

وكل قُرْبَة وسيلة تُقَرِّب مِن رضا الله والزُّلْفَى إليه، وعليه فكل الأعمال الصالحة هى وسيلة، وفى الحديث الصحيح (ما تقرب إلَيَّ عَبْدِى بشئ أَحَبّ إلَيَّ مِمَّا افترضتُه عليه)(١)

قال ابن كثير فى تفسير هذه الآية الكريمة :

يقول تعالى آمِرًا عِبادَه بتقواه وهى إذا قُرِنَتْ بطاعته كان المراد منها الانكفاف عن المحارم وترك المنهيات ، وقال بعدها (وابتغوا إليه الوسيلة) قال ابن عباس : أى القُرْبَة وقال قتادة :أى تقربوا إلى الله بطاعته والعمل بما يرضيه ، والوسيلة هى التى يتوصل بها إلى تحصيل المقصود، والوسيلة أيضا عَلَمٌ عَلَى أعْلَى مَنْزِلَة فى الجنة وهى مَنْزِلَة رسول الله صلى الله عليه وسلم وداره فى الجنة وهى أقرب أمكنة الجنة إلى العرش، وقد ثَبَتَ فى صحيح البخارى عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مَن قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آتِ محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محمودا الذى وعدته إلا حَلَّتْ لَهُ شفاعتى يوم القيامة)(٢)، وفى صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إذا سَمِعْتُم المُؤَذِّن فقولوا مِثل ما يقول ، ثم صَلُّوا عَلَيّ فإنه مَن صَلَّى عَلَيَّ صلاةً صَلَّى اللهُ عليه بها عَشْرًا ، ثم سَلُوا لِيَ الوسيلة فإنها منزلة فى الجنة، لا تنبغى إلا لِعَبْد مِن عِباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فَمَن سأَلَ لِيَ الوسيلة حَلَّتْ عليه الشفاعة)(٣) (وجاهِدوا فى سبيله لعلكم تفلحون) لَمَّا أَمَرَهم بترك المحارم وفعل الطاعات أمرهم بقتال الأعداء مِن الكُفَّار والمشركين الخارجين عن الطريق المستقيم والتاركين للدين القويم ورَغَّبَهم فى ذلك بالذى أَعَدَّه للمجاهدين فى سبيله يوم القيامة ، مِن الفلاح والسعادة العظيمة الخالدة المستمرة التى لا تبيد ولا تَحُول ولا تَزول فى الغرف العالية الرفيعة، الآمِنَة الحَسَنَة مناظِرها الطَّيِّبَة مساكنها، التى مَن سَلَكَها ينعم ولا ييأس، ويَحْيَى لا يموت لا تبلَى ثِيابه ولا يَفْنَى شَبَابُه (٤)

---

(١) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ ص ٣٤٢

(٢) رواه أحمد والبخارى رحمهما الله – ص . ج رقم ٦٤٢٣

(٣) رواه أحمد ومسلم رحمهما الله تعالى – ص . ج رقم ٦١٣   (٤) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فى مجموع الفتاوَى :





وقد أرسله الله - يعنى النبى صلى الله عليه وسلم – إلى الثَّقَلَيْن الجِن والإنس، فعلى كل أحد أن يؤمن به وبما جاء به ويتبعه فى ظاهِره وباطنه ، والإيمان به ومتابعته هو سبيل الله وهو دين الله وهو عبادة الله وهو طاعة الله وهو طريق أولياء الله، وهو الوسيلة التى أمَرَ اللهُ بها عِبادَه فى قوله تعالى (يا أيها الذين آمَنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة .....) فابتغاء الوسيلة إلى الله إنما يكون لِمَن توَسَّلَ إلى الله بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واتِّباعه، وهذا التوسل بالإيمان به وطاعته فَرْض على كل أحَد، باطنا وظاهِرا فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد موته ، فى مَشْهَدِه ومَغِيبه، لا يَسْقُط التوسل بالإيمان به وبطاعته عن أحد مِنَ الخَلْق فى حالٍ مِنَ الأحوال بعد قيام الحُجَّة عليه، ولا بِعُذْرٍ مِنَ الأعْذار ولا طريق إلى كَرَامَة الله ورحمته والنجاة مِن هَوانه وعذابه إلا التوسل بالإيمان به وبطاعته وهو صلى الله عليه وسلم شَفيع الخلائق صاحب المَقام المَحْمُود الذى يَغْبطه به الأوَّلون والآخِرون، فهو أعظم الشفعاء قَدْراَ وأعلاهم جاهاً عند الله ، وقد قال تعالى عن موسى (وكان عند الله وَجِيهاً) وقال عن المسيح (وَجِيهاً فى الدنيا والآخِرَة)، ومحمد صلى الله عليه وسلم أعظم جاهاً مِن جميع الأنبياء والمُرْسَلين لكن شفاعته ودعاؤه إنما ينتفع به مَن شَفَعَ له الرسولُ ودعا له، فَمَن دعا له الرسولُ وشَفَعَ له توسل إلى الله بشفاعته ودعائه، كما أن أصحابه يتوسلون إلى الله بدعائه وشفاعته، وكما يتوسل الناس يوم القيامة إلى الله تبارك وتعالى بدعائه صلى الله عليه وسلم تسليما.

ثم قال رحمه الله تعالى :

ولفظ (التَّوَسُّل) فى عُرْف الصحابة كانوا يستعملونه فى هذا المعنى والتوسل بدعائه وشفاعته ينفع مع الإيمان به، وأما بدون الإيمان به ، فالكفار والمنافقون لا تُغْنِى عنهم شفاعة الشافعين فى الآخِرَة ، ولهذا نُهىَ عن الاستغفار لِعَمِّه وأبيه وغيرهما مِن الكفار، ونُهىَ عن الاستغفار للمنافقين وقيل له (سواء عليهم أستَغْفَرْتَ لهم أن لم تَسْتَغْفِر لهم لن يَغْفِرَ اللهُ لهم) ولكن الكفار يتفاضلون فى الكفر كما يتفاضل أهل الإيمان فى الإيمان ، قال تعالى (إنما النَّسِيئُ زيادة فى الكفر)

ثم قال رحمه الله تعالى وَقدَّسَ روحه :

ولفظ (التوسل) قد يراد به ثلاثة أمور ، يراد بهما أمران مُتَّفَق عليهما بين المسلمين :

أحَدُهُما : هو أصل الإيمان والإسلام وهو التوسل بالإيمان به وبطاعته .

والثانى : دعاؤه وشفاعته وهذا أيضا نافِع يتوسل به مَن دعا له وشفع به باتفاق بين المسلمين ...

والثالث : التوسل به بمعنى الإقْسَام على الله بذاته والسُّؤَال بذاته صلى الله عليه وسلم، فهذا الذى لمْ تَكُن الصحابة يفعلونه فى الاستسقاء ونحوه لا فى حياته ولا بعد مماته، لا عِنْدَ قَبْره ولا غير قبره، ولا يُعْرَف هذا مِنَ الأدْعِيَة المشهورة بينهم، وإنما يُنْقَل شئ مِن ذلك فى أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة أو عن مَن لَيْسَ قوله حُجَّة، وهذا الذى قاله أبو حنيفة وأصحابه : إنه لا يجوز ونَهَوْا عنه حيث قالوا : لا يُسْأل بِمَخْلوق ، ولا يقول أحد : أسألك بِحَقِّ أنْبيائِك .





قال القدورى : المسألة بِخَلقِه لا تجوز ، لأنه لا حَقَّ للخَلْق على الخالِق ، فلا تجوز وِفاقاً ، وهذا الذى قاله أبو حنيفة وأصحابه مِن أنَّ اللهَ لا يُسْأَلُ بِمَخْلوق له معنَيَان :

أَحَدُهما : هو الموافق لسائر الأئمة الذين يمنعون مِن أن يقسم أحد بالمخلوق ، وهذا بخلاف إقسامه سبحانه بمخلوقاته كالليل إذا يغشى ، والنهار إذا تجلى ، والشمس وضحاها ، والنازعات غَرْقا ، والصَّافَّات صَفًّا ، فإن إقسامه بمخلوقاته يتضمن مِن ذِكْر آياته الدَّالَّة على قُدْرَته وحكمته ووحدانيته ما يحسن معه إقسامه ، بِخِلاف المخلوق فإن إقسامه بالمخلوقات شِرْك بخالقها كما فى السُّنَن عن النبى صلى الله عليه وسلم (مَن حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ) وقد صححه الترمِذِى وغيره ، وفى لفظ (فقد كَفَرَ) وقد صححه الحاكم ، وقد ثَبَتَ عنه فى الصحيحين أنه قال (مَن كان حالِفا فَلْيَحْلِف باللهِ أو لِيَصْمت) وقال (لا تَحْلِفُوا بآبائكم فإن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم) وفى الصحيحين عنه أنه قال (مَنْ حَلَفَ باللات والعُزَّى فَلْيَقُلْ : لا إله إلا الله)

ثم قال رحمه الله تعالى :

ودعا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى الاستسقاء المشهور بين المهاجرين والأنصار وقوله (اللهم إنا كنا إذا أَجْدَبْنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بِعَمِّ نَبينا) يدل على أن التوسل المشروع عندهم هذا التوسل بدعائه وشفاعته لا السؤال بذاته، إذ لو كان هذا مشروعا لم يَعْدِل عمرُ والمُهاجِرون والأنصار عن السؤال بالرسول إلى السؤال بالعباس، وكذلك ثَبَتَ فى صحيح مسلم عن ابن عمر وأنس وغيرهما أنهم كانوا إذا أجدَبوا إنما يتوسلون بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم واستسقائه، لم يُنْقَل عن أحد منهم أنه كان فى حياته صلى الله عليه وسلم سأَلَ اللهَ تعالى بِمَخْلوق لا به ولا بغيره لا فى استسقاء ولا غيره، والذى فعله عمرُ فَعَلَه مِثْله مُعَاوِيَة بِحَضْرَة مَن معه مِن الصحابة والتابعين فتوسلوا بيزيد بن الأَسْوَد الجَرشى كما توسل عمر بالعباس، وكذلك ذَكَرَ الفقهاء مِن أصحاب الشافعى وأحمد وغيرهم أنه يتوسل فى الاستسقاء بدُعاء أهل الخير والصلاح . قالوا : وإن كان مِن أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أفضل، اقتداءً بِعُمَر، ولم يَقُلْ أحد مِن أهل العِلْم أنه يُسْأَلُ اللهَ تعالى فى ذلك لا بنبى ولا بِغَيْر نبى وكذلك مَن نَقَلَ عن مالك أنه جَوَّزَ سؤال الرسول أوغيره بعد مَوْتِهم أو نقل ذلك عن إمام مِن أئمة المسلمين ـ غير مالك ـ كالشافعى وأحمد وغيرهما فقد كذب عليهم ، ولكن بعض الجُهَّال ينقل هذا عن مالك ويستند إلى حِكاية مَكْذوبة عن مالك ، ولو كانت صحيحة لم يكن التوسل الذى فيها هو هذا، بل التوسل بشفاعته يوم القيامة، ولكنْ مِن الناس مَن يُحَرِّف نَقْلها وأصلها ضعيف (١)

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية رحمه الله تعالى ج ١



النِّداءُ الرَّابِعُ والثَّلاثُون ـ قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢) ﴾ سورة المائدة : ٥١ ، ٥٢

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى ـ رحمه الله تعالى ـ :

يرشد تعالى عباده المؤمنين حين بَيَّنَ لهم أحوال اليهود والنصارى وصفاتهم غير الحسنة أن لا يتخذوهم أولياء فإن (بعضهم أولياء بعض) يتناصَرون فيما بينهم ويكونون يَدَاً واحِدَة على مَن سِواهم ، فأنتم لا تتخذوهم أولياء فإنهم هم الأعداء على الحقيقة ، ولا يبالون بضركم بل لا يدخرون من مجهودهم شيئاً على إضلالكم، فلا يتولاهم إلا مَن هو قبلهم ، ولهذا قال (ومَن يتولهم منكم فإنه منهم) لأن التولى التام يوجب الانتقال إلى دينهم ، والتولى القليل يدعو إلى الكثير ثم يتدرج شيئا فشيئاً حتى يكون العبد منهم (إن الله لا يهدى القوم الظالمين) أى : الذين وَصْفُهُم الظُّلْم وإليه يرجعون وعليه يعولون، فلو جئتهم بكل آية ما تبعوك ولا انقادوا لك ، ولما نهى الله المؤمنين عن توليهم أخبر أن مِمَّن يَدَّعِى الإيمان طائفة تواليهم فقال (فترى الذين فى قلوبهم مرض) أى : شك ونفاق وضعف إيمان يقولون : إنْ تَوَلَّيناهم للحاجة فإننا (نخشى أن تصيبنا دائرة) أى تكون الدائرة لليهود والنصارى ، فإذا كانت الدائرة لهم، فتكون لنا عندهم يد يكافِئوننا عنها، وهذا سوء ظن بالإسلام، قال تعالى رادَّاً لظنهم السيئ (فعسى الله أن يأتى بالفتح) الذى يعز به الله الإسلام على اليهود والنصارى ويقهرهم المسلمون (أو أمْرٍ مِن عِنده) ييأس به المنافقون مِن ظَفَر الكافرين مِن اليهود وغيرهم (فيصبحوا على ما أسَرُّوا) أى : ما أضْمَروا (فى أنفسهم نادِمين) على ما كان منهم وضرهم بلا نفع حصل لهم فحصل الفتح الذى نصر اللهُ به الإسلام وأذلّ به الكفر والكافرين، فندموا وحصل لهم مِن الغَمِّ ما الله به عليم (ويقول الذين آمَنُوا) متعجبين مِن حال هؤلاء الذين فى قلوبهم مرض (أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم) أى حلفوا وأكدوا حَلِفَهم وغَلَّظوه بأنواع التأكيدات : إنهم لمعكم فى الإيمان وما يلزمه مِن النصرة والمحبة والموالاة، ظهر ما أضْمَرُوه وتَبَيَّنَ ما أَسَرُّوه وصار كيدهم الذى كادوه، وظنهم الذى ظنوه بالإسلام وأهله باطلا، وبطل كيدهم (حَبِطَت أعمالهم) فى الدنيا (فأصبحوا خاسرين) حيث فاتهم مقصودهم وحضرهم الشقاء والعذاب (١)

---

(١) تفسير السعدى رحمه الله تعالى



ما ورد فى سبب نزول الآية الكريمة :

وَرَدَ فى سبب نزول هذه الآية أن عبادة بن الصامت الأنصارى وعبد الله بن أُبَىّ كان لكل منهما حُلَفاء مِن يهود المدينة، ولما انتصر رسول الله والمؤمنون فى بدر اغْتـاظ اليهود وأعْلَنوا سوء نِيَّاتهم فتَبَرَّأ عُبادة بن الصامت مِن حلفائه ورَضِىَ بموالاة رسول الله والمؤمنين، وأبَى ابنُ أُبَىّ ذلك، وقال بعض ما جاء فى هذه الآيات (١)

فوائد مِن الآيات الكريمات :

١ ـ حُرْمَة مُوالاة اليهود والنصارى وسائر الكافرين .

٢ ـ لا يُعَدُّ استعمال اليهودى أو النصرانى فى عمل تِجارى أو عُمْرانى أو مِهْنِىّ إذا دَعَتْ الحاجة إليه مِنَ الموالاة ، ولا يصح اسْتِبْطانهم (جَعْلهم بطانة) ولا الاستعانة بهم فى الجهاد .

٣ ـ موالاة الكافر على المؤمن تُعْتَبَر رِدَّة عن الإسلام .

٤ ـ موالاة الكافرين ناجِمَة عن ضعف الإيمان فلذا تُؤَدِّى إلى الكُفْر .

٥ ـ عاقِبَة النفاق سيئة ونهاية الكفر مريرَة .

٦ ـ تحريم موالاة مَن وَالَى الكافرين .

٧ ـ الموالاة حقيقتها المَوَدَّة والنُّصْرَة فَمَن وَالَى اليهود والنصارى فأحبهم ونصرهم على المسلمين لازمه أنه أبغَضَ المؤمنين وخذلهم وبهذا يصبح كافِراً .

٨ ـ قال تعالى (لا تَجِدُ قوْماً يُؤمِنون بالله واليوم الآخِرِ يوادُّونَ مَن حادَّ اللهَ ورسولَه ولو كانوا آباءهم أوْ أبناءهم أو إخوانهم أو عَشِيرتهم ...)(٢) أى لا يجتَمِع الإيمان وموالاة كل مَن حادَّ اللهَ ورسوله ولو كانوا مِن أولِى القُرْبى.

---

(١) أيسر التفاسير ـ الجزائرى ج١ ص ٣٥٠

(٢) سورة المجادلة : ٢

النداء الخامِس والثلاثون ـ قال تعالى :



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦) ﴾

سورة المائِدَة : ٥٤ - ٥٦

الرَّدُّ : صَرْف الشَئ بذاته أو بحالة مِن أحْواله، والرَّدُّ كالرَّجْع وقوله تعالى (لو يردونكم مِن بَعد إيمانكم كفارا حَسَداً) أى يرجعونكم إلى حال الكفر بعد أن فارقتموه، والارتداد والرِّدَّة : الرجوع فى الطريق الذى جاء منه، لكن الرِّدَّة تختص بالكفر، والارتداد يستعمل فيه وفى غيره قال تعالى (إن الذين ارتَدوا على أدبارهم) وقال (يا أيها الذين ءَامَنوا مَن يرتد منكم عن دِينه) وهو الرُّجوع مِن الإسلام إلى الكفر (١)

هذه الآية الكريمة تضمنت خَبَرا مِن أخبار الغَيْب التى يخبر بها القرآن فتتم طِبق ما أخبَرَ به فتكون آيةً أنه كلام الله حقا وأن المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم صِدْقا فقد أخبر تعالى أن مَن يرتد مِن المؤمنين سوف يأتِ الله عز وجل بخير منه ممن يحبون اللهَ ويحبهم اللهَ تعالى، رحماء بالمؤمنين أشِدَّاء على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة مَن يلوم ولا عِتَاب مَن يعتِب عليهم . وما إن مات رسول الله حتى ارتَدَّ فِئاتٌ (٢) مِن أجْلاف (٣) الأعراب ومنعوا الزكاة وقاتَلَهم أبو بكر الصِدِّيق مع الصحابَة رضى الله عنهم . حتى أخْضَعُوهم للإسلام وَحَسُنَ إسلامهم فكان أبو بكر وأصحابه مِمَّن وصف الله تعالى يحبون اللهَ ويحبهم اللهُ يجاهِدون فى سبيله ولا يخافون لومة لائم . ثم قال تعالى (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ....) فقد تضمنت الآية طَمْأنَة الرَّب تعالى لعُبادَة بن الصَّامِت وعبد الله بن سلام وَمَن تَبَرَّأ مِن حِلف اليهود وَوَالَى اللهَ ورسولَه فأخْبَرَهم اللهُ تعالى أنه هو وليهم ورسوله والذين

---

(١) المفردات فى غريب القرآن – الراغب الأصفهانى

(٢) قال ابن اسحاق لمَّا قُبِضَ رسول الله ارتدت العَرَبُ إلى ثلاثة مساجِد : مسجد المدينة ومسجد مكة ومسجد جؤاثى، وجؤاثى : إسمٌ لِحِصْنٍ بالبحرين وكان المرتدون على قِسْمَيْن : قسم منعوا الزكاة واعترفوا بباقى الشريعة وقسم نَبَذوا الشريعة .

(٣) أجْلاف : جمع جِلْف وهو الغليظ الجافِى الأحْمَق وجمعها أيضا جُلُوف (المعجم الوجيز)

ءَامَنُوا (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكِعون) أى خاشِعُون وأما ولاية اليهود والنصارى فلا خير لهم فيها وهم منها بَرَاء فقصرهم تعالى على ولايته وولاية رسوله





والمؤمنين الصادقين وأخبرهم تعالى أنَّ مَن يَتَوَلَّ اللهَ ورسولهَ والذين ءَامَنوا ينصره اللهُ ويَكْفِهِ ما يهمه لأنه أصبح مِن حِزْبِ الله، وحزب الله أى أوْلِياؤه وأنصاره هم الغالِبُونَ (١)

فوائد مِن الآيات الكريمات :

١ ـ إخْبار القرآن بالغيب وصِدْقه فى ذلك فكان آية أنه كلام الله .

٢ ـ فضيلة أبى بكر والصحابة والأشْعَريين قوم أبى مُوسَى الأشْعَرى رضى الله عنه وهم مِن أهل اليمن لِمَا لَهم مِن الصفات الجَليلَة مِن حب الله والرِّقة على المُؤمنين والشِّدَّة على الكافرِين .

٣ ـ فضل حب الله والتواضع للمؤمنين (٢) وإظهار العِزَّة على الكافرين وفضل الجهاد فى سبيل الله وقول الحق والثبات عليه وعدم المُبالاة بمن يلوم ويعذل فى ذلك .

٤ ـ فضيلة إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والخُشُوع والتَّوَاضُع .

٥ ـ ولاية الله ورسوله والمؤمنين الصادقين توجب لصاحبها النَّصْر والغَلَبَة على أعدائه .

٦ ـ إثبات صفة الحب لله تعالى على ما يليق بجلاله فقال تعالى (يُحِبُّهم ويُحِبُّونَه) .

٧ ـ قوله تعالى (فسوف يأتى الله بِقَوْمٍ يحبهم ويحبونه). قال الحسن : هو والله أبو بكر وأصحابه .

---

(١) أيسر التفاسير ـ الجزائرى ج١ ص ٣٥١

(٢) قال ابن عباس : هم للمؤمنين كالوالد للولد والسَّيِّد للعَبْد وهم فى الغِلْظة على الكفار كالسَّبُع على فريسته

النداء السادِس والثلاثون ـ قال تعالى :



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٥٧) وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (٥٨) ﴾

سورة المائدة : ٥٧ ، ٥٨

قال ابن كثير رحمه الله تعالى :

هذا تنفير مِن مُوالاة أعداء الإسلام الذين يتخذون شرائع الإسلام المُطهَّرَة المُحْكَمَة، المُشْتَمِلة على كل خير دنيوى وأُخْرَوى، يتخذونها هزواً يستهزءون بها، ولعبا يعتقدون أنها نوع مِن اللَّعِب فى نَظَرِهم الفاسد، وفِكْرِهم البارد وقوله تعالى (مِن الذين أوتوا الكتاب مِن قَبْلكم ..) (مِن) هنا لبيان الجِنْس كقوله (فاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِن الأَوْثان) والمراد بالكفار هاهنا (المشركون) (واتقوا الله إن كنتم مؤمنين) أى اتقوا الله أن تتخذوا هؤلاء الأعداء لكم ولِدِينكم أولياء، إن كنتم مؤمنين بشرع الله الذى اتخذه هؤلاء هزوا ولعبا . كما قال تعالى (لا يَتَّخِذِ المؤمنونَ الكافِرين أولياء مِن دُوُن المؤمنين) وقوله (وإذا ناديتم (١) إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا) أى وكذلك إذا أَذَّنْتُم داعِينَ إلى الصلاة التى هى مِن أفضل الأعمال لم يَعْقِل ويعلم مِن ذوى الألباب (اتخذوها) أيضا (هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) معانى عبادة الله وشرائعه، وهذه صِفات أتْباع الشيطان الذى إذا سمع الأذان أدْبَرَ، فإذا قُضِىَ التأذِينُ أقْبَلَ، فإذا ثُوِّبَ للصلاة أدبر فإذا قضى التَّثْوِيب أقبل، حتى يخطر بين المَرْء وقلبه، فيقول اذْكُر كذا، اذْكُر كذا، لِمَا لم يَكُن يَذْكُر، حتى يظل الرَّجُل لا يذكر كَم صَلَّىَ، فإذا وجَدَ أَحَدُكُم ذلك فليسجد سَجْدَتَيْن قبل السَّلام كما فى الصحيحين (٢)

---

(١) لم يَكُن بمَكَّة أذان، وإنما كان يُنَادَى للصلاة بلفظ (الصلاة جامِعَة) ولمَّا هاجَرَ رسول الله وصُرِفَتْ القِبْلَة إلى الكَعْبَة أُمِرَ بالأذان وبَقِيَتْ (الصلاة جامِعَة) للأمر يَعرِض . ولمَّا هَمَّهُم أمر الأذان رأى عبدُ اللهِ بن زَيْد الأنصارى الأذانَ فى المَنَام وكذا رآهعُمَرُ بن الخطاب . والأذان فَرْضٌ فى المُدُن والقُرَى وَسُنَّة لِجماعة تطلب غيرها، ومُسْتَحَبٌ لِمَن لا يطلب غيره، والسَّفَر والحَضَر سواء إلا أنه فى السفر أعظم أجْراً لحديث المُوَطَّأ (لا يَسْمَعُ مَدَىَ صَوْتِ المُؤَذِّن جِنٌّ ولا إنْسٌ ولا شَئ إلا شَهَدَ له يوم القيامة) وهذا الثَّوَاب عام لِمَن أذَّنَ فى السَّفَر والحضر، والإقامة سُنَّة مُؤَكَّدَة لكل صلاة . وَمَن أذَّنَ أقام ولو أقام غيرُ المُؤَذِّن جازَت .

(٢) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى

النداء السَّابع والثلاثون ـ قال تعالى :



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٨٨) ﴾

سورة المائِدَة : ٨٧ ، ٨٨

سبب نزول الآية الكريمة :

روى ابنُ أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : نزلت هذه الآية فى رَهْطٍ مِن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم .قالوا : نقطع مَذَاكِيرَنا، ونترك شَهَوَاتِ الدنيا، ونَسِيح فى الأرض كما يفعل الرُّهْبان فبلغ ذلك النبى، فَأَرْسَلَ إليهم فَذَكَرَ لهم ذلك فقالوا : نعم . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لكنى أصوم وأفطر وأُصَلِّى وأنام وأنكح النِّسَاءَ، فَمَن أَخَذَ بِسُنَّتِى فهو مِنِّى وَمَن لم يأخذ بسنتى فليس مِنِّى .

وقد ذَهَبَ بعض العُلَماء كالشافعى وغيره إلى أنَّ مَن حَرَّمَ مأكَلاً أو مَلبساً أو شَيئاً ما عَدا النساء أنه لا يحرم ولا كَفَّارَة عليه أيضاً . لقوله تعالى (يا أيها الذين ءامنوا لا تُحَرِّمُوا طيبات ما أَحَلَّ اللهُ لكم). ولأن الذى حرم اللَّحْمَ على نَفْسِهِ لَمْ يأمره النبى بكفارة . وذهب آخَرونَ منهم الإمام أحمد بن حنبلإلى أنَّ مَن حَرَّمَ مَأكَلاً أو مَشْرباً أو مَلبَساً أو شيئاً مِن الأشياء فإنه يجب عليه بذلك كفارة يمين كما إذا الْتَزَمَ تَرْكَه باليمين، فكذلك يؤاخذ بمجرد تحريمه على نَفْسه إلزاما له بما التزمه كما أفْتَى بذلك ابن عباس . وكما فى قوله تعالى (يا أيها النبى لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللهُ لَكَ تبتغِى مَرْضاتِ أزواجِك والله غفور رحيم) ثم قال (قد فَرَضَ اللهُ لَكُم تَحِلَّة أيمانِكم). وكذلك هاهنا لَمَّا ذَكَرَ هذا الحُكْم أعقبه بالآية المُبَيِّنَة لتَكْفير اليمين؛ فَدَلَّ هذا على أن مُنْزل مَنْزِلة اليمين فى اقْتِضاء التَّكْفير والله أعلم . وقوله تعالى (ولا تعتدوا) يُحْتَمَل أن يكون المراد منه : لا تُبالِغُوا فى التَّضْييق على أنفسكم بتحريم المُباحات كما قاله مَن قاله مِن السَّلَف . ويحتمل أن يكون المراد : كما لا تحرموا الحلال فلا تعتدوا فى تناول الحلال بل خذوا منه بقدر كِفايتكم وحاجتكم ولا تجاوزوا الحَدَّ كما قال تعالى (وكلوا واشربوا ولا تُسْرِفوا) وقال (والذين إذا أنْفَقوا لَم يُسْرِفُوا ولَم يَقْتُرُوا ..) فَشَرْع اللهِ عَدْل بين الغالِى فيه والمُجَافِى عنه، لا إفراط ولا تَفْريط؛ ولهذا قال (لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا) ثم قال (وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً) أى فى حال كَوْنه حلالا طيبا (واتقوا الله) أى فى جميع أموركم واتبعوا طاعته ورضوانه، واتركوا مُخالفته وعِصْيانه (الذى أنتم به مؤمِنون)(١)

---

(١) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى رحمه الله تعالى :

هذا عِتاب مِن اللهِ لِنَبِيِّه محمد صلى الله عليه وسلم حين حَرَّمَ على نفسه سُرِّيَّتَه (مارِيَّة) أو شُرْب العَسَل مُراعاة لِخاطِر بعض زوجاته فى قصة معروفة، فأنزل الله هذه الآيات (يا أيها النبى لِمَ تُحَرِّم ما أحل الله لك ....) أى يا أيها النبى الذى أنْعَمَ اللهُ عليه بالنبوة والرسالة والوَحْى (لم تحرم ما أحل اللهُ لك) مِنَ الطَّيِّبات التى أنعم الله بها عليك وعلى أمتك (تبتغى) بذلك التحريم (مرضات أزواجك والله غفور رحيم) هنا تصريح بأنَّ الله قد غَفَرَ لرسوله ورفع عنه اللَّوْم ورحمه وصار ذلك التحريم الصادِر منه سببا لشرع حكم عام لجميع الأمة فقال تعالى (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) وهذا عام فى جميع أيْمان المؤمنين أى : قد شرع لكم وقدر ما به تَنْحَلُّ أيْمانكم قبل الحِنْث وما به تتكفر بعد الحِنْث وذلك كما فى قوله تعالى (يا أيها الذين ءامنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) إلى أن قال : (فكفارته إطعام عشرة مساكين مِن أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم) سورة المائدة . فكل مَن حَرَّمَ حلالا عليه مِن طعام أو شراب أو سُرِّيَّة أو حَلَفَ يَمِيناً بالله على فِعْلٍ أو تَرْكٍ ثم حَنَثَ وأراد الحِنث فعليه هذه الكفارة المذكورة (١)

النداء الثَّامِن والثلاثُونَ ـ قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ(٢) وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (٩١) ﴾

سورة المائدة : ٩٠ ، ٩١

---

(١) تفسير السعدى رحمه الله تعالى

(٢) ذِكْرُ الأنصاب والأزْلام مع الخَمْر والمَيْسِر المَقْصود منه تأكيد التحريم وتقويته نَظراً لِمَا أَلِفَتْه النفوس منهما، والمراد مِن تحريم الأنصاب تحريم عبادتها وصُنْعها وبَيْعها (أيسر التفاسير ـ الجزائرى)

سبب نزول الآية الكريمة :



هذه الآية نزلت بعد وَقْعَة أُحُد وكانت فى السنة الثالثة مِن الهجرة أى : فى آخرها ولكنها وقعت هنا فى سورة المائدة بعد نزولها، وهذه الآية هى الناسخة لأباحَة الخَمْر، ويروَى فى سبب نزولها أن مُلاحاة كانت بين سعد بن أبى وقاص ورَجُلٍ مِن الأنصار سببها شُرْب خَمر فى ضِيافَة لهم (١)

أصْل الخَمْر : ستر الشئ ويقال لِمَا يُسْتَرُ به خِمار، لَكِن الخِمار صار فى التعارف اسْماً لِمَا تُغَطّى به المرأة رأسها وجمعه (خُمُر) قال تعالى (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) واخْتَمَرَتْ المَرْأة وتَخَمَّرَتْ وخَمَّرْتُ الإنَاء غَطَيْتُه وأخْمَرْتُ العَجِينَ جَعَلْتُ فيه الخَمِيرة، والخَمِيرَة سُمِّيَت لكونها مخمورة مِن قَبْلُ، ودخل فى خِمار الناس أى فى جماعتهم الساتِرَة لهم، والخَمْر سُمِّيَت لكونها خامِرَة لِمَقَرِّ العَقْل، وهوعند بعض الناس اسمٌ لِكُلِّ مُسْكِر، وعند بعضهم اسْمٌ للمُتَّخَذ مِن العِنَب والتَّمْر، والخُمار الدَّاء العارض مِن الخَمْر (٢)

المَيْسِر : قِمار العَرَب بالأزْلام (٣)

الأنْصاب : نَصْبُ الشئ وَضْعه وَضْعاً ناتِئاً كَنَصْب الرُّمْح والبِناء والحَجَر، والنَّصِيب الحِجارَة تُنْصَبُ على الشئ وجمعه نَصَائِب و نُصُب، وكانت للعَرَب حِجارَة تعبدها وتَذْبَح عليها قال تعالى (كَأَنَّهُم إلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) وقال (وما ذُبِحَ على النُّصُب) وقد يقال فى جمعه أنصاب وقال تعالى (والأنْصاب والأزْلام)، والنُّصْب والنَّصَّب التَّعَب . وقُرِئ بِنُصْبٍ وعذاب ونَصَب. وذلك بُخْل وبَخَل ، قال (لا يَمَسَّنا فيها نَصَبٌ)(٤)

الأزْلام مفردها (زَلَم) : السهم الذى لا ريشَ عليه . وكان أهل الجاهلية يَسْتقسِمُون بالأزلام وكانوا يكتبون عليها الأمر والنَّهْى ويضعونها فى وعاء، فإذا أراد أَحَدُهُم أمراً أدْخَلَ يَدَه فيه وأخْرَجَ سَهْماً، فإن خَرَجَ ما فيه الأمر مَضَىَ لِقَصْدِه وإن خرج ما فيه النهى كَفَّ (٥)

قال ابن عباس رضى الله عنهما :(الخمر جميع الأشْرِبَة التى تُسْكِر، والمَيْسِر القِمار كانوا يتقامَرُونَ به فى الجاهلية والأنْصاب حِجارَة كانوا يَذْبَحونَ قرابينهم عندها والأزلام قِداح كانوا يَسْتَقْسِمُون بها) والأنصاب والأزلام أى المَنْصُوبَة للعِبادة والأقداح التى كانت عند سَدَنَة البيت وخُدَّام الأصْنام (٦)

---

(١) أيسر التفاسير ـ الجزائرى ج١ ص ٣٦٦

(٢) المفردات فى غريب القرآن ـ الأصفهانى

(٣) مُخْتار الصِّحاح ـ الرَّازى

(٤) المفردات فى غريب القرآن ـ الأصفهانى

(٥)المعجم الوجيز

(٦) صفوة التفاسير ـ الصابونى



قال أبو حَيَّان : ذكَر اللهُ تعالى فى الخَمْر والمَيْسِر مَفْسَدَتَيْن : إحداهما دُنْيويَّة والأُخْرَى دِينِيَّة، فأما الدنيوية فإن الخمر تُثير الشرور والأحْقاد وتَؤول بشاربها إلى التقاطع، وأما المَيْسِر فإن الرَّجُلَ لا يَزال يُقامِر حتى يَبْقَى سَلِيباً لا شَئَ له، وينتهى إلى أن يقامِر حتى على أهله وولده، وأما الدِّينِيَّة فالخَمْر لِغَلَبَة السرور والطَّرَب بها تُلْهى عَن ذِكْر اللهِ وعن الصلاة، والميسر سواء كان غالِباً أو مَغْلُوباً يُلْهى عن ذِكْر اللهِ (١)

فائدة : التعبير بقوله (فاجْتَنِبُوه) نص فى التحريم ولكنه أبْلَغ فى النَّهْى والتحريم مِن لفظ (حَرَّم) لأن معناه البعد عنه بالكُلِّيَّة فهو مِثل قوله تعالى (ولا تَقْرَبُوا الزِّنا) لأن القُرْبَ منه إذا كان حراماً فيكون الفعل مُحَرَّماً مِن باب أوْلَى وكذلك هنا . ولم يذكر فى القرآن الكريم تعليل الأحكام الشرعية إلا بالإيجاز، أما هنا فَقد ذُكِرَتْ العِلَّة بالتفصيل فذكر الله تعالى منها إلقاء العَدَاوَة والبغضاء بين المؤمنين، والصد عن سبيل الله وذِكْره، وشَغْل المؤمنين عن الصلاة، ووصف الخمر والميسر بأنهما رِجْس وأنهما مِن عَمَل الشيطان، وأن الشيطان يريد إغواء الإنسان وكل ذلك ليشير إلى ضَرَر وخَطَر هاتَيْن الرَّذِيلَتَيْن" الخَمْر والقِمار " فَتَدَبَّر أسرار القرآن (٢)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى :

يقول تعالى ناهياً عِبادَه المؤمنين عن تعاطِى الخمر والميسر وهو القِمار، وقد وَرَدَ عن أمير المؤمنين عَلِىّ بن أبى طالب أنه قال : (الشِّطْرَنْج مِن المَيْسِر) رواه ابن أبى حاتِم، قال مجاهِد وعطاء كل شَئ مِن القِمار فهو مِن الميسر حتى لَعِب الصِّبيان بالجَوْز . وقال مالِك : كان مَيْسِر أهل الجاهلية بيع اللَّحْم بالشَّاة والشَّاتَيْن وقال الزُّهْرى : المَيْسِر الضَّرْب بالقِداح على الأموال والثِّمار وقال القاسم بن محمد : كل ما ألْهَى عن ذِكْر الله وعن الصلاة فهو مَن الميسر، وكأن المراد بهذا هو النَّرْد الذى وَرَدَ الحديث به فى صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مَن لَعِبَ بالنَّرْدَشِير فكأنما صَبَغَ يَدَه فى لَحْم خِنْزِير وَدَمِهِ)(٣) وفى مُوَطَّأ مالِك عن أبى مُوسَى الأشْعَرِىّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مَن لَعِبَ بالنَّرْد فَقَدْ عَصَى اللهَ ورسوله)(٤) وقوله تعالى (رِجْس مِن عَمَل الشيطان) قال ابن عباس : أى سَخْط مِن عمل الشيطان . وقال سعيد بن جُبَيْر : إثم . وقال زيد بن أسْلَم : أى شَرُ مِن عمل الشيطان (فاجْتَنِبُوه) الضمير عائد على الرِّجْس أى اتركوه (لعلكم تفلحون) وهذا تَرْغيب . ثم قال (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ......)(٥)

---

(١) ، (٢) صفوة التفاسير ـ الصابونى

(٣) رواه مسلم وأحمد وأبو داود وابن ماجه رحمهم الله تعالى

(٤) رواه أحمد وأبو داود ـ ص . ج للألبانى رقم ٦٥٢٩

(٥) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى



ذِكْر بعض الأحاديث الوارِدَة فى تحريم الخَمْر :

عن عبد الرحمن بن وعلة قال : سألتُ ابن عباس عن بيع الخمر ؟ فقال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم صَدِيق مِن ثقيف أو مِن دَوْس، فلقيه يوم الفتح براوية خمر يهديها إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا فلان أمَا عَلِمْتَ أنَّ اللهَ حَرَّمَها) فأقبل الرِّجُلُ على غُلامه فقال : اذْهَبْ فَبِعْها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا فلان بماذا أمَرْتَه ؟) فقال : أمَرْتُهُ أن يَبيعها . قال (إنَّ الذِى حَرَّمَ شُرْبَها حَرَّمَ بَيْعَها) فأمر بها فأُفرِغَتْ فى البَطْحاء (١)

وثبت فى الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال فى خُطْبَتِهِ على مِنْبَر رسول الله : أيها الناس إنه نزل تحريم الخمر وهى مِن خَمْسَة : العِنَب، والتَّمْر، والعَسَل، والحِنْطَة، والشَّعِير . والخمر ماخامَرَ العَقْلَ . وقال البخارى عن ابن عمر قال : نزل تحريم الخمر وإنَّ بالمَدِينَة يومئذ لَخَمْسَة اشْرِبَة ما فيها شَرَاب العِنَب .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إنما نزل تحريم الخمر فى قبِيلَتَيْن مِن قبائِلَ الأنْصار شَرَبُوا، فَلَمَّا أنْ ثَمِلَ القوم عَبَثَ بعضهم ببعض، فلما أن صَحَوْا جعل الرَّجُل يرى الأثَرَ بوجهه ورأسه ولِحْيَتِه (٢)، فيقول : صَنَعَ بى أخى فلان، وكانوا إخْوَةً ليسَ فى قلوبهم ضغائِن، فيقول : والله لو كان بى رؤوفا رحيما ما صَنَعَ بى هذا، حتى وقعت الضَّغائِن فى قلوبهم فأنْزَلَ اللهُ هذه الآية (يا أيها الذين ءامنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزْلام رِجْس .... فهل أنتم مُنْتَهُونَ) فقال أناس مِن المُتَكَلِّفين : هى رِجْس وهى فى بَطْن فلان، وقد قُتِل يوم أُحُد، فأنزل الله تعالى (ليس على الذين ءامنوا وعَمِلوا الصالحات جُناحٌ فيما طَعِمُوا ..)(٣) إلى آخِر الآية (٤)

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (مَن شَرِبَ الخَمْرَ فى الدُّنْيا ثُمَّ لم يَتُب منها حُرِمَها فى الآخِرَة)(٥)

وعن نافِع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كُلُّ مُسْكِرٍ حَرام، ومَن شَرِبَ الخَمْرَ فَماتَ وهو يُدْمِنها ولَم يَتُب منها لَمْ يَشْرَبْها فى الآخِرَة)(٦)

وعن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (لا يَدْخُل الجَنَّة مَنَّانٌ، ولا عاقٌ، ولا مُدْمِنُ خَمْر)(٧)

---

(١) رواه أحمد ومسلم والنسائى رحمهم الله تعالى

(٢) كان إطلاق اللِّحْيَةعند الصحابة مِن العِبادات المُسَلَّم بها

(٣) رواه البيهقى والنسائى رحمهما الله تعالى (٤) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى

(٥) رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى

(٦) رواه مسلم رحمه الله تعالى (٧) رواه النسائى رحمه الله تعالى ـ ص . ج للألبانى رقم ٧٦٧٦



وعن ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لَعَنَ اللهُ الخَمْـرَ، وشـارِبَها، وسـاقِيها، وبائِعَهـا، ومُبْتَاعَهـا، وعاصِـرَها، ومُعْتَصِـرَها، وحامِلَهـا، والمَحْمُولة إليه، وآكِلَ ثَمَنِها)(١)

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (مَن شَربَ الخَمْرَ فاجْلِدُوُهُ فإنْ عادَ الثَّانِيَة فاجْلِدُوُه، فإن عادَ الثَّالِثَة فاجْلِدوه، فإنْ عادَ الرَّابِعَة فاقْتُلُوُه)(٢)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مَن شَربَ الخَمْرَ، لم تُقْبَلْ لـه صـلاةٌ أَرْبَعِينَ صباحاً، فإن تابَ تابَ اللهُ عليه فإن عادَ لَمْ تُقْبَلْ له صلاةٌ أربعين صباحاً، فإن تاب تاب اللهُ عليه، فإن عاد لَمْ تُقبل له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب تاب اللهُ عليه، فإن عادَ الرَّابعَة لَم تقبل لـه صلاة أربعين صباحاً وسَقَاه اللهُ مِن نَهْرِ الخَبَال)(٣) الخبال : عُصارَة أهل النار.

النداء التَّاسِع والثلاثُون ـ قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ(٤) اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ(٥) اللَّـهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٤) ﴾ سورة المائدة : ٩٤

الصَّيْد مصدر صادَ يَصِيد صَيْداً . وأُطْلِقَ المَصْدَرُ على اسم المَفعول : المَصِيد فقال صَيْد .

---

(١) رواه أبو داود والحاكم رحمهما الله تعالى ـ ص . ج للألبانى رقم ٥٠٩١

(٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائى والحاكم رحمهم الله تعالى عن ابن عمر رضى الله عنهما ـ ص. ج للألبانى رقم ٦٣٠٩

(٣) رواه أحمد والنسائى والترمذى والحاكم رحمهم الله تعالى ـ ص . ج للألبانى رقم ٦٣١٢

(٤) ابتلاهم اللهُ على نَحْو ما ابتلى به بنى إسرائيل فى تحريم الصَّيْد يوم السبت فكان السَّمَك يأتيهم يوم سَبْتهم شُرَّعاً ويوم لا يَسْبِتُونَ لا يأتيهم، كذلك بلاهم ربهم بما كانوا يَفْسُقون، بَيْدَ أنَّ المسلمين اسْتَجابُوا لِرَبِّهم وامْتَثَلُوا أمره على خِلاف بنى إسْرائيل فإنهم عَصَوا وصادُوا فَمَسَخَهم الله قِرَدَةً خاسِئِينَ (أيسر التفاسير ـ الجزائرى)

(٥) أى لِيُظْهِرَ ذلك إقامَةَ لِلْحُجَّة عليهم أما هو سبحانه فعِلْمُه بذلك أزَلِىّ سابق (أيسر التفاسير ـ الجزائرى)



قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله (ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله أيديكم ورماحكم) قال : هو الضعيف مِن الصيد وصغيره يبتلى الله به عباده فى إحرامهم حتى لو شاء لَتَنَاوَلُوه بأيديهم فنهاهم الله أن يَقْرَبوه، قال مجاهد (تناله أيديكم) يعنى صِغار الصيد وفراخه (ورماحكم) يعنى كِباره، وقال مُقاتِل بن حَيَّان : أنزلت هذه الآية فى عُمْرَة الحُدَيْبيَة، فكانت الوَحْش والطَّيْر تَغْشاهم فى رِحالهم لم يَرَوا مِثْله قطّ فيما خلا، فنهاهم الله عن قتله وهم مُحْرِمُونَ (لِيَعْلَمَ اللهُ مَن يخافه بالغَيْب) يعنى أنه تعالى يبتليهم بالصيد يغشاهم فى رِحالهم يتمكنون مِن أخْذِه بالأيدى والرِّماح سِراً وجَهْراً لِتَظْهر طاعة مَن يطيع منهم فى سِرِّه أو جَهْره، كما قال تعالى (إن الذين يَخْشَوْنَ ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير) وقوله هاهنا (فَمَن اعتدَى بعد ذلك) قال السُّدِّىّ وغيره : يعنى بعد هذا الإعلام والإنذار والتَّقدم (فله عذاب أليم) أى لِمُخالفته أمر الله وشَرْعه (١)

النداء الأربعون ـ قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا(٢) الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٩٥) أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩٦) ﴾ سورة المائدة : ٩٥ ، ٩٦

الصَّيْد : يطلق على المَصْدَر أى التَّصَيُّد ويطلق على اسم المَفْعول وهو المَصِيد . وتعريفه شرعاً : هو اقتناص حيوان حلال مُتَوَحِّش طَبْعاً غير مملوك ولا مَقْدُور عليه . والأصل فى الصَّيْد الإباحَة بالكِتاب والسُّنَّة والإجماع .

أما فى الكتاب فقوله تعالى (وإذا حَللتُم فاصْطادُوا) وقوله (أُحِلَّ لكم صَيْدُ البَحْر) وأما السُّنَّة فَشَهيرَة . منها ما رواه أبو ثعلبة الخشنى رضى الله عنه قال :

---

(١) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى

(٢) القتْل لغة إفاتَة الرُّوح وهو أنواع مِنها النَّحْر، والذَّبْح، والخَنْق والرَّضْخ وشبهه (أيسر التفاسير – الجزائرى)



أَتَيْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقلتُ يارسول الله : إنا بأرض قوم أهل كتاب، أفنأكل فى آنِيَتِهم ؟ وفى أرض صَيْدٍ أَصِيدُ بِقَوْسِى (القَوْس آلة رَمْى قديمَة معروفة) وبِكَلْبِى الذى ليس بِمُعَلَّم وبِكَلْبِى المُعَلَّم (أى المُدَرَّب على الصيد) فما يصلح لى ؟ قال : (أَمَّا ما ذَكَرْتَ ـ يعنى مِن آنية أهل الكتاب ـ فإن وَجَدتُم غيرها فلا تأكلوا فيها، وإن لم تَجِدوا فاغْسِلوها وَكُلُوا فيها . وما صِدْتَ لِقَوْسك فَذَكَرْتَ اسمَ اللهِ عليه فَكُل، وما صِدْتَ بكلبك فذكرت اسمَ الله عليه فكل، وما صدتَ بكلبك غَيْرِ المُعَلَّمِ فأدْرَكْتَ ذكاته فَكُل)(١)

وأجمع العلماء على مشروعية الصيد . وهو مِن الهوايات المُحَبَبة وكان العرب مُولَعِينَ به ويَعُدُّونَهُ من اللذات التى يتنافس عليها ملوكهم وأمراؤهم . ولكن لا ينبغى جعله مَلْهاةً لأن طلبه لهذا القصد ضياع لأوقات العمر الثمينة التى تدرك بها طاعة الله وما ينفع الإنسان فى حياته وينفع مجتمعه، وإزهاق نَفْس الحيوان لغير قصد أكلِه أيضاً لا يجوز؛ لأنه إتلاف له بلا مُسَوّغ وقد جعل الله تعالى فى بقائه فوائد ومنافع كثيرة (٢)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى :

وهذا تحريم منه تعالى لقتل الصيد فى حال الإحرام ونَهْى عن تعاطيه فيه، وهذا يتناول من حيث المعنى المأكول، وما تَوَلَّدَ منه ومِن غيره، فأما غير المأكول مِن حيوانات البَرّ فعند الشافعى يجوز للمُحْرِم قَتلها والجمهور على تحريم قتلها أيضاً ولا يُسْتَثْنَى إلا ما ثَبَتَ فى الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (خَمْسٌ مِن الدَّواب كُلُّهُنَّ فاسِق يُقْتَلْنَ فى الحَرَم : الغُراب، والحِدَّأة، والعَقْرَب، والفَأْرَة، والكَلْب العَقُور)(٣) وقال مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (خَمْسٌ مِن الدواب ليس على المُحْرِم فى قَتْلِهِنَّ جُناح : الغُراب، والحِدَّأة، والفأرة، والعَقْرَب، والكلب العَقُور)(٤) قال أيوب لنافع : والحَيَّة ؟ قال : الحية لا شك فيها ولا يُخْتَلَف فى قتلها . ومِن العلماء كمالك وأحمد مَن أَلْحَقَ بالكلب العَقُورِ الذِّئبَ والسَّبُعَ والفَهْدَ؛ لأنها أشد ضرراً منه والله أعلم . وقال زيد بن أسْلَم : الكلب العقور يشمل هذه السِّباع العادية كلها . واستَأنَسَ مَن قال بهذا بما رُوِىَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لَمَّا دَعا عَلَىَ عُتْبَة ابن أبى لَهَب قال : اللهم سَلِّط عليه كَلْبَك بالشام . فأكَلَه السَّبُع بِالزَرْقاء.

---

(١) رواه أحمد والبخارى ومسلم والبيهقى رحمهم الله تعالى ـ ص . ج للألبانى رقم ١٣٦٣

(٢) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام ـ الشيخ / عبد الله صالح البَسَّام

(٣) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى رحمهم الله تعالى عن عائشة رضى الله عنها

(٤) رواه مالك وأحمد والبخارى ومسلم رحمهم الله تعالى وغيرهم عن ابن عمر ـ ص . ج للألبانى رقم ٣٢٤٩



وقوله تعالى (وَمَن قتَلَه مِنكم مُتَعَمِّدا فَجَزاء مِثل ما قتَل مِن النَّعَم) الذى عليه الجمهور أن العامِد والنَّاسِى سواء فى وجوب الجَزَاء عليه، وقال الزهرى : دَلَّ الكِتاب على العمِد والسُّنَّة على الناسِى .

ومعنى هذا أن القرآن دل على وجوب الجزاء على المُتَعَمِّد وتأثيمه بقوله (لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِه عفا الله عمَّا سَلَفَ ومَن عاد فينتقِم الله منه) وجاءت السنة مِن أحكام النبى وأحكام أصحابه بوجوب الجزاء فى الخَطَأ كما دَلَّ الكِتاب عليه فى العَمْد . وأيضاً فإن قتل الصيد إتلاف، والإتلاف مَضْمُون فى العَمْد والنسيان لكن المتعمد مأثوم والمُخْطِئ غير مَلُوم وقوله تعالى (فجزاء مثل ما قتل مِن النَّعَم) حَكَى ابن جَرير أن ابن مسعود قرأ (فَجَزَاؤُهُ مِثل ما قتَل مِن النَّعَم) على كل مِن القِراءَتَيْن دليل لِمَا ذَهَب إليه الجمهور مِن وجوب الجزاء مِن مِثْل ما قتله المُحْرِم إذا كان له مِثل مِن الحَيوان الإنْسِى خِلافاً لأبى حَنِيفَة رحمه الله، حيث أَوْجَبَ القِيمَة سواء كان الصيد المَقتول مِثلِيّاً أوْ غير مِثلِىّ (١)

قال الشيخ عبد الرحمن السعدى رحمه الله تعالى : فى قوله تعالى (يا أيها الذين ءَامَنُوا لا تقتلوا الصَّيْدَ وأنتم حُرُم .....) أى مُحْرِمُونَ فى الحَجِّ والعُمْرَة . والنَّهْى عن قتله يشمل النهى عن مقدمات القتل وعن المشاركة فى القتل والدلالة عليه والإعانة على قتله، حتى إن تمام ذلك أنه ينهى المُحْرِم عن أكل ما قُتِلَ أو صِيدَ لأجْلِه، وهذا كله تعظيم لهذا النُّسُك العظيم أنه يَحْرُمُ على المُحْرِمِ قتل وصيد حلالاً له قبل الإحرام، وقوله تعالى (ومَن قتَلَه منكم متعمداً) قتل صيداً عَمْداً (فـ) عليه (جزاء مِثْل ما قتل مِن النَّعَم) أى الإبِل أو البَقَر أو الغَنَم،فينظر ما يشبهه مِن ذلك فيجب عليه مثله يذبحه ويتصدق به، والاعتِبار بالمُمَاثَلة (يَحْكُم به ذوا عَدْل منكم) أى : عَدْلان يَعْرِفان الحَكْم، وَوَجْه الشَّبَه كما فعل الصحابَة حيث قَضَوْا فى الحَمامَة شاة وفى النَّعَامَة بَدَنَة وفى بَقَر الوَحْش ـ على اختلاف أنواعه ـ بَقَرَة، هكذا كل ما يُشْبه شيئاً مِن النَّعَم ففيه مِثْله فإن لَم يُشْبِه شيئاً ففيه كما هو القاعِدَة فى المُتْلفات وذلك الهَدْى لابُدَّ أن يكون (هَدْيَاً بالِغَ الكَعْبَة) أى : يُذْبَح فى الحَرَم (أو كفارة طعام مساكين) أى : كفارة ذلك الجزاء طعام مساكين أى : يجعل مقابل المثل مِن النَّعَم طعام يطعم المساكين، قال كثير مِن العلماء : يُقَوَّم الجزاء فَيُشْتَرَى بقِيمَته طعام فيطعم كل مِسْكين مُدَّ بُرٍّ أو نصف صاع مِن غيره (أو عَدْل ذلك) مِن الطعام (صِياماً) أى يصوم عن كل إطعام مسكين يوما (ليذوق) بإيجاب الجزاء المذكور عليه (وَبالَ أَمْرِه عفا اللهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَن عادَ) بعد ذلك (فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتِقام) وإنما نَصَّ اللهُ على المتعمد لقتل الصيد مع أن الجزاء يَلْزَم المتعمد والمُخْطِئ كما هى القاعدة الشرعية ـ أن المُتْلِف للنفوس أو الأموال المُحْتَرَمَة فإنه يضْمَنها على أى حال كان إذا كان إتلافه بغير حق ـ لأن الله رَتَّبَ علي الجزاء والعقوبة والانتقام وهذا المتعمد، وأما المُخْطِئ فليس عليه عقوبة إنما عليه الجزاء، هذا هو قول جمهور العلماء، والصحيح ما صَرَّحَتْ به الآيَة أنه لا جزاء على غير المتعمد كما لا إثم عليه، ولَمَّا كان الصيد يشمل الصيد البَرِّىّ والبَحْرىّ اسْتَثْنَى تعالى الصيد البَحْرى فقال (أُحِلَّ لَكُم صيد البحر وطعامه) أى أُحِلَّ لكم في حال إحْرامِكم صيد البحر



(١) **تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى**



وهى : الحَىّ مِن حَيَواناته وطعامه وهو : المَيت منها فَدَلَّ ذلك على حِلِّ مَيْتَـة البحر (متاعاً لكم وللسَّيَّارَة (١)) أى : الفائدة فى إباحته لكم أنه لأجْلِ انتفاعكم وانتِفاع رفقتكم الذين يسيرون منكم (وحُرِّمَ عليكم صيد البَرِّ ما دُمْتُم حُرُماً) ويُؤخَذ مِن لفظ (الصيد) أنه لا بُدَّ أن يكون وَحْشِيّاً لأن الإنْسِى ليس بَصَيْد، ومَأْكولاً فإن غير المَأكول لا يُصادَ ولا يُطْلَق عليه اسم الصيد (واتَّقُوا اللهَ الذى إليه تُحْشَرُونَ) أى اتَّقُوه بفعل ما أَمَرَ به وترك ما نَهَى عنه واسْتَعِينُوا على تَقْوَاه بعِلْمِكُم أنه إليه تُحْشَرونَ فَيُجازيكم هل قُمْتُم بِتَقْواه فَيُثِيبكم الثَّواب الجَزيل أوْ لَمْ تَقوموا فَيُعاقِبكم ؟ (٢)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى :

وقد احْتَجَّ بهذه الآية الكريمة (أُحِلَّ لكُم صَيْدُ البَحْر ....) مَن ذَهَبَ مِن الفُقهاء إلى أنه تُؤكَل دَوَابُّ البَحر ولَم يُستَثْنَ مِن ذلك شيئاً . وروَى الشافِعى عن ابن عمر قال : قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم (أُحِلَّتْ لنَا مَيْتَتَان وَدَمَان، فأمَّا المَيتتان : فالحُوتُ والجَرَاد وأمَّا الدَّمَان : فالكَبِدُ والطُّحال)(٣) . وقال مالك والشافعى وأحمد والجمهور : إن كان الحلال قد قُصِدَ به الُمحْرِم بذلك الصيد لَم يَجُزْ للمُحْرِم أكله، لحديث الصَّعْب بن جثامَة أنه أهْدَى للنبى صلى الله عليه وسلم حِماراً وَحْشِيّاً وهو بالأبْواء بوَدَّان فرده عليه، فلمَّا رأىَ ما فى وَجْهه قال (إنا لَمْ نَرُدَّه عليك إلا أنَّا حُرُم)(٤). قالوا : فَوَجْهه أن النبى صلى الله عليه وسلم ظَنَّ أنَّ هذا إنما صادَه مِن أجْلِه فردَّه لذلك، فأما إذا لَم يقصده بالاصْطِياد، فإنه يجوز له الأكل منه، لحديث أبى قَتَادَة حين صادَ حِماراً وَحْشِيّاً وكان حلالاً لم يحرم وكان أصْحابه مُحْرِمين فَتَوَقَّفُوا فى أكله، ثم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (هل كان منكمأحد أشار إليها أو أعانَ فى قَتْلها ؟) قالوا : لا . قال : (فَكُلُوا . وأَكَلَ منها رسول الله صلى الله عليه وسلموهذه القصة ثابتة فى الصحيحين)(٥)

---

(١) السَّيَّارَة جمع سَيَّار . قال عِكْرِمَة لِمَن كان بحَضْرَة البَحْر والسَّفَر .

(٢) تفسير السعدى رحمه الله تعالى

(٣) رواه أحمد وابن ماجه رحمهما الله تعالى وغيرهما ـ ص . ج رقم ٢١٠

(٤)الحديث مَرْوىٌ فى الصحيحين وله ألفاظ كثيرة .

(٥) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى .

النِّداء الحادى والأربَعُون ـ قال تعالى :





﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ(١) إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآَنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ (١٠٢) ﴾ سورة المائدة : ١٠١ ، ١٠٢

قال الشَيخ أبو بكر الجزائرى :

أى تظهر لكم جَوَاباً لسؤالكم يحصل لكم بها ما يسؤكم ويضركم (وإن تسألوا عنها حين يُنَزَّل القرآن تُبْدَ لكُم) أى يُبَيِّنها لكم رسولنا الكريم . أمَّا أن تسألوا عنها قبل نزول القرآن بها فذلك ما لا ينبَغِى لكم مِن باب إجْفاء رسول الله وأذِيَّته ثم قال (عَفَا الله عنها) أى لَم يؤاخِذكم بما سألتم (والله غفور حليم) فتوبوا إليه يَتُب عليكم (٢) واسْتَغْفِرُوه يَغْفِر لكم ويرحمكم فإنه غفور رحيم، وقوله (قد سالها قوم مِن قبلكم) أى قد سأل أسئلتكم التَّنَطُّعِيَّة المُحْرِجَة هذه قَوْمٌ مِن قَبْلِكم (ثُمَّ أصبَحوا بها كافرين)(٣) لأنهم كُلِّفُوا ما لا يُطِيقُون، وشقَّ عليهم جزاء تَعَنُّتِهم فى أسئلتهم لا نِيَّاتِهم فتَرَكُوا العَمَلَ بها فكَفَرُوا . وفى الآيَة دليل على كَرَاهَة السؤال لِغَيْر حاجة وفى صحيح مسلم (إن الله حَرَمَ عليكم عُقُوقَ الأمَّهات، وَوَأْدَ البَنات، ومَنْعاً وَهَاتِ، وكَرِهَ لكم ثلاثاً : قِيلَ وقالَ، وكَثْرَة السؤال، وإضاعَة المال)(٤)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى فى هذه الآية الكريمة :

هذا تأديب مِن الله تعالى لِعِبادِه المُؤمِنينَ ونَهْى لهم عن أن يسألوا عن أشياءَ مما لا فائِدَة لهم فى السؤال والتَّنْقِيب عنها؛ لأنها إن ظَهَرَتْ لهم تلك الأمور ربما ساءَتْهم وشَقَّ عليهم سماعها.

قال البخارى رحمه الله تعالى : عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان قَوْمٌ يسألونَ رسول الله اسْتِهْزاءً فيقول الرَّجُل : مَن أبى ؟ ويقول الرَّجُلُ تَضل ناقتُه . أين ناقتِى ؟ فأنْزَلَ اللهُ فيهم هذه الآيـة (يا أيها الذين ءَامَنُوا لا تَسألوا عن أشياءَ إن تُبْدَ لكم تسؤكم ...) وظاهِر الآيَة النَّهْى عن السؤال عن الأشياء التى إذا عَلِمَ بها شَخْصٌ ساءَتْهُ فالأَوْلَى الإعْراض عنها وتركها.

---

(١) أشْياء : ممنوعة مِن الصَّرْف (أى لا تُنَوَّن) كَحَمْراءَ وصفراءَ.

(٢) بعد انقِطاع الوَحْى أمِنَ الناس مِن نزول ما قد يَسُوء، ومع هذا فإن سؤال التَّنَطُّع والتَّعَنُّت مَكْروه دائما، وفى الحديث (مِن حُسْنِ إسلام المَرْء تَرْكُه ما لا يَعْنِيه) (أيسر التفاسير - الجزائرى)

(٣) ومِن أمْثِلَة ذلك سؤال قوم صالح النَّاقة وقوم عيسى المائِدَة . وفى الآيـة تحذير للمؤمنين أن يَقعُوا فيما وقع فيه غيرهم فيهلكوا كما هلكوا وقال صلى الله عليه وسلم (إنَّ مِن أعْظم المُسلمين جُرْماً مَن سأَلَ عن شَئ لَم يُحَرَّم على المسلمين، فحُرِّمَ عليهم مِن أجْلِ مَسْألته) متفق عليه .

(٤) أيسر التفاسير - الجزائرى ج١ ص ٣٧١





وفى الصحيـــــــــح (ذَرُونِى ما تَرَكْتُكُم، فإنما أهْلَكَ مَن كان قبْلَكُم بِكَثْرَة سؤالهم واخْتِلافهم على أنْبيائهم)(١) وفى الحديث الصحيح (إن اللهَ تعالى فَرَضَ فَرَائِضَ فلا تُضَيِّعُوها وَحَدَّ حُدُوداً فلا تَعْتَدُوها وَحَرَّمَ أشْياءَ فلا تَنْتَهِكُوها وسَكَتَ عن أشْياءَ رَحْمَة بِكُم غَيْر نِسْيان فلا تَسْألُوا عنها)(٢) ثم قال تعالى (قَد سألَها قوم مِن قبلكم ثم أصْبَحوا بها كافِرين) أى قد سألَ هذه المسائلَ المَنْهىَّ عنها قَوْمٌ مِن قبلكم فأُجيبُوا عنها ثم لم يؤمِنوا بها فأصْبَحوا كافرين أى بسببها، أى بُيِّنَتْ لهم فلَمْ ينتفعوا بها، لأنهم لم يسألوا على وَجْه الاسْتِرْشاد بَل على وَجْه الاسْتِهْزاء والعِناد (٣)

قال المُنَاوِى فى التعليق على هذا الحديث : (أى اتركونى مِن السؤال ما تَرَكْتُكُم) أى مُدَّة تَرْكِى إيَّاهُ مِن الأمر بالشَّئ والنَهْى عنه، فلا تتعرَّضُوا لى بكثرة البَحْث عمَّا لا يَعْنيكم فى دِينكم مهما أنَا تارِككم لا أقول لكم شَيئاً، فقد يُوافِق ذلك إلزَاماً وتَشْديداً، وخُذُوا بظاهِر ما أَمَرْتُكم، ولا تَسْتَكْشِفُوا كما فَعَلَ أهلُ الكِتاب ...)(٤)

---

(١) أيسر التفاسير ـ الجزائرى ج١

(٢) رواه أحمد ومسلم والنسائى وابن ماجه رحمهم الله تعالى عن أبى هريرة رضى الله عنه ص . ج رقم ٣٤٣٠

(٣) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى .

(٤) صحيح الجامع الصغير وزيادته للألبانى (فى التعليق على الحديث)



النداء الثَّانِى والأرْبَعون ـ قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ (١) أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّـهِ مَـرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥) ﴾ سورة المائِدَة : ١٠٥

قال ابنُ كَثير رَحمه الله تعالى :

يقول تعالى آمِرَاَ عِبادَه المؤمنين أن يُصلِحوا أنفسهم ويفعلوا الخير بجهدهم وطاقتهم، ومُخْبِراً لهم أنه مَن أصلحَ أمْرَه لا يضره فساد مَن فَسَد مِن الناس، سواء كان قريبا منه أو بعيدا . قال ابن عباس فى تفسير هذه الآية : يقول تعالى : إذا ما العبد أطاعَنِى فيما أمَرْتُهُ به مِن الحلال، وَنَهَيْتُهُ عنه مِن الحرام، فلا يضُرُّه مَن ضَلَّ بَعْدُ إذا عَمِل بِما أمَرْتُهُ . وهكذا قال مُقاتِل بن حَيَّان . فقوله تعالى (يا أيها الذين ءَامَنُوا عليكم أنفسكم) نَصْب على الإغْراء (لا يَضركم مَن ضَلَّ إذا اهتدَيْتم إلى الله مرجعكم ...) أى فيُجازَى كُل عامِلٍ بعَمَله إنْ خَيْراً فَخَيْر، وإنْ شَرَّاً فَشَر. وليس فيها دليل على تَرْكِ الأمْر بالمَعْروف والنَّهْى عن المُنْكَر إذا كان فِعْل ذلك مُمْكِناً . وقد قامَ أبو بَكْر الصِّدِّيق رضى الله عنه فَحَمِدَ اللهَ وأثْنَى عليه، ثم قال : أيها الناس إنَّكُم تَقْرَأون هذه الآية (يا أيها الذين ءَامَنوا عليكم أنفسكم لا يضركم مَن ضَلَّ إذا اهتديتم ...) وإنكم تضعونها فى غير موضعها . وإنى سَمِعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن الناس إذا رَأوْا المُنْكَر لا يُغَيِّرونه أوْشَكَ أن يَعُمَّهُم اللهُ بعِقابه)(٢)وقال ابنُ جَرير : تلا الحَسَنُ هذه الآية (يا أيها الذين ءَامنوا عليكم أنفسكم ...) فقال الحَسَن : الحمد لله بها والحمد لله عليها، ما كان مؤمن فيما مَضَى ولا مؤمن فيما بقى إلا وإلى جنبه منافق يكره عمله . وقال سعيد بن المُسَيب : إذا أمَرْتَ بالمعروف ونَهَيْتَ عن المُنْكَر، فلا يضرك مَن ضَلَّ إذا اهتَدَيْتَ (٣)

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى رحمه الله تعالى :

قوله تعالى (يا أيها الذين ءَامَنوا عليكم أنفسكم) أى : اجْتَهِدُوا فى إصلاحها وكمالها وإلزامها سلوك الصراط المستقيم فإنكم ـ إذا صَلَحْتُم ـ لا يضركم مَن ضَلَّ عن الصراط المستقيم ولم يَهتدِ إلىالدين القويم وإنما يضرنفسهن ولا يدل هذا أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يضر

---

(١) قيل فى هذه الآية هى الوحيدة التى جَمَعتْ بين الناسِخ والمَنْسوخ، فالناسِخ فيها قوله (إذا اهتَدَيْتُم) والمَنْسوخ قوله (عَلَيْكُم أنْفُسكم) إذ مَن اهتدَى لا يضره مَن ضَلَّ ولا تتم الهداية إلا بعد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقالت العلماء : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يَتَعَيَّن مَتَى رُجِىَ القبول والتغيير، فإن كان هناك عدم رجاء، فلا يجب الأمر والنَّهْى . وكذا يسقط إذا خاف ضَرراً يلحقه لا يَقْوَى عليه، أو يلحق غيره مِن المسلمين (أيسر التفاسير – الجزائرى)

(٢) رواه أحمد والترمذى وابن ماجه رحمهم الله تعالى عن أبى بكر رضى الله عنه ـ ص .ج رقم ١٩٧٤

(٣) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى



العبدَ تركهما وإهمالهما، فإنه لا يتم هذا إلا بالإتيان بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، نَعَم إذا كان العبد عاجزا عن إنكار المنكر بيده ولسانه وأنْكَرَه بقلبه فإنه لا يضره ضلال غيره وقوله تعالى (إلى الله مرجعكم جميعا) أى : مآلكم يوم القيامة واجتماعكم بين يَدَى اللهِ تعالى (فينبئكم بما كنتم تعملون) مِن خَيْر أو شَر (١)

النداء الثّالِث والأرْبَعُون ـ قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ (١٠٦) فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٧) ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (١٠٨) سورة المائدة : ١٠٦ ـ ١٠٨

الوَصِيَّة : أوْصَى له بشئ وأوْصَى إليه جَعَلَه وَصِيَّه والاسم الوصايَة بفتح الواو وكَسْرها، وتَوَاصَى القَوْم اَوْصَى بعضهم بعضا . وفى الحديث (اسْتَوْصُوا بالنِّساء خَيْراً فإنَّهُنَّ عندكم عَوَان(٢))(٣) الوَصايَا : جمع وَصِيّة وهى لُغَةً : الأمر، قال تعالى (ووصَّى بها إبراهيمُ بنيه ويعقوبُ)، وشَرْعاً : عَهْد خاص بالتَّصَرُّف بالمال، أو التَّبَرُّع به بعد الموت . وهى مَشْرُوعَة بالكتاب لقوله تعالى (كُتِبَ عليكم إذا حَضَرَ أحَدَكم الموتُ إنْ تَرَكَ خَيْراً الوَصِيَّة) ومشروعة بالسُّنَّة لقوله صلى الله عليه وسلم (ما حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ له شَئ يريدُ يُوصِى فيه، يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَه)(٤)

---

(١) تفسير السعدى رحمه الله تعالى (٢) عَوَان : أسِيرَات (٣) مُخْتَار الصِّحاح ـ الرازى

(٤) رواه مالك والبخارى ومسلم رحمهم الله تعالى وغيرهم عن ابن عمر رضى الله عنهما ـ ص . ج رقم ٥٦١٤

والوصية مشروعة بإجماع المسلمين فى جميع الأعْصار والأمْصار، وهى مِن مَحاسِن الإسلام حيث جعل لصاحِب المال جُزْءَاً مِن ماله يعود عليه ثوابه وأجْره بعد مَوْته، وهى مِن لُطْف الله بعباده ورحمته بهم، حيث أباحَ لهم مِن أموالهم عند خُروجهم مِن الدنيا أن يَتَزَوَّدُوا لآخِرَتِهم بنصيب منها ولهذا جاء فى بعض الأحاديث القُدُسِيَّة يقول الله تعالى (يا ابنَ آدَمَ جَعَلْتُ لكَ نَصِيباً مِن مالِك حَيْثُ أخَذْتُ بِكَظمك (١) لأطَهِّرك به وأزَكِّيكَ)

والوَصِيَّة قِسْمانِ :

الأوَّل : مُسْتَحَب، وهو ما كان فى التَّطوُّعات والقُرُبات .

والثَّانِى : واجِب، وهو فى الحقوق الواجِبَة التى ليس بها بَيِّنَة تُثبتها بعد وَفاتِه؛ لأن (ما لا يَتِمُّ الواجِبُ إلا به فَهُو واجِب) والكِتابَة تَكْفِى لإثبات الوصية والعمل بها ولو بِدُونِ شُهُود، والخَطّ إذا عُرِف بَيِّنَة وَوَثِيقَة قوِيَّة (٢)

قال الشيخ عبد الرحمن السعدى رحمه الله تعالى فى تفسير هذه الاية وما تلاها :

يخبر تعالى خَبَراً مُتضمناً للأمر بإشْهادِ اثنَيْن على الوصية إذا حَضَرَ الإنسانَ مُقَدِّماتُ المَوْت وعلائِمه فينبغى له أن يكتب وصيةً يُشْهد عليها اثنين ذَوَىّ عَدْل مِمَّن يُعْتَبَر بشهادتهما (أو آخِران مِن غيركم) أى : مِن غير أهْل دِينكم مِن اليهود والنصارَى أو غيرهم، وذلك عند الحاجة والضَّرورَة وعَدِمَ غَيْرَهُما مِن المسلمين (إنْ انتم ضربتم فى الأرض) أى سافَرْتُم فيها (فأصابتكم مصيبة الموت) أى : فأشْهدُوهما، ولَم يأمر بإشهادهما إلا لأن قَوْلهما فى تلك الحال مَقْبول، ويؤكد عليهما أن يحبسهما (مِن بعد الصلاة) التى يُعَظِّمُونها (فَيُقْسِمان باللهِ) أنهما صَدَقا وما غَيَّرا ولا بَدَّلا، هذا (إن ارتبتم) فى شهادتهما، فإن صَدَّقْتموهما فلا حاجة إلى القَسَم بذلك، ويقولان (نشترى به) أى : بأيْماننا (ثَمَناً) بأن نَكْذِب فيها لأجْلِ عَرَض مِن الدنيا (ولو كان ذا قربى) فلا نراعيه لأجل قرابته منها (ولا نكتم شهادة الله) بل نُؤَدِّيها على ما سَمِعْناها (إنَّا إذاً) أى : إنْ كَتَمْناها (لَمِنَ الآثِمِينَ فإن عُثِرَ على أنَّهما) أى : الشاهِدَيْن (اسْتَحَقَّا إثماً) بأن وجد مِن القرائن ما يدل على كذبهما وأنهما خانا (فآخَران يقومان مقامهما مِن الذين استحق عليهم الأوْلَيَانِ) : فَلْيَقُم رَجُلانِ مِن أوْلِياء المَيت وليكونا مِن أقرب الأوْلياء إليه (فيقسمان بالله لشهادتنا أحق مِن شهادتهما) أى : أنهما كَذَبا وغَيَّرَا وخانا (وما اعتدينا إنا إذا لَمِنَ الظالمين) أى : إن ظَلَمْنا واعتَدَيْنا وشَهِدْنا بغير الحق قال الله تعالى فى بيان حكمة تلك الشهادة وتأكيدها وردها على أولياء الميت حين تظهر من الشاهِدَيْن الخِيانَة (ذلك أدْنَى) أى : أقرب (أن يأتوا الشهادة على وجهها) حين تؤكد عليهما تلك التأكيدات (أو يخافوا أن تُرَدَّ أيْمان بعد أيمانهم) أى : أن لا تُقْبَل أيمانهم ثم ترد على أولياء الميت (والله لا يهدى القوم الفاسقين) أى : الذين وَصْفُهُم الفِسْق فلا يريدون الهُدَى والقَصْد إلى الصِّراط المستقيم، وحاصِل هذا أن المَيت إذا

---

(١) بكظمك : أى عند خروج النَّفْس

(٢) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام ـ الشيخ / البَسَّام – ج٢ ص٧٢٣

حَضَره المَوْتُ فى سَفَره ونحوه مِمَّا هو مَظِنَّة قِلَّة الشهود المُعْتَبَرينَ أنه ينبغى أن يُوصِى شاهِدَيْن مُسْلِمَيْن عَدْلَيْن، فإن لم يَجِد إلا شاهِدَين كافِرَيْن جازَ أن يُوصِى إليهما، ولَكِن لأجْلِ كُفْرهما فإن الأولياء إن ارتابوا بهما فإنهما يُحَلِّفُونَهُما بعد الصَّلاة أنَّهما ما خانا ولا كَذبا ولا غَيَّرا ولا بَدَّلا، فَيَبْرآنِ بذلك مِن حق يتوجه إليهما، فإن لم يصدقوهما ووجدوا قرينة تدل على كَذِب الشاهِدَين فإن شاءَ أَوْلياءُ الميت فَلْيَقُم مِنهما اثنان فيقسمان بالله : لشهادتنا أحقُّ مِن شهادة الشَّاهِدَيْن الأوَّلَيْنِ وأنهما خانا وكذبا فيستحِقون منهما ما يَدَّعونَ . وهذه الآيات نَزَلَتْ فى قِصَّة تَمِيم الدَّارى وَعَدِىّ بن بَدَّاء المَشهورة حين أَوْصَى لهما العَدَوِىّ والله أعْلَم (١)

ويُسْتَدَلُّ بهذه الآيات الكريمات على عِدَّة أحْكام منها :

١ ـ أن الوصية مَشروعة، وأنه ينبغى لمن حَضَرَه المَوْتُ أن يُوصِى .

٢ ـ أنها مُعْتَبَرَة ولو كان الإنسان وصل إلى مُقَدِّمات الموت وعلامته ما دام عَقْله ثابِتاً .

٣ ـ أن شهادة الوصية لا بُدَّ فيها مِن اثنَيْن عَدْلَيْن .

٤ ـأن شهادَة الكافِرَيْن فى هذه الوصية ونحوها مقبولة لوجود الضرورة وهذا مَذْهَب الإمام أحمد، وَزَعَمَ كثير مِن أهل العلم : أن هذا الحُكْم مَنْسوخ، وهذه دَعْوَى لا دليل عليها (٢)

٥ ـ أنه ربما اسْتُفِيدَ مِن تَلميح الحُكْم ومعناه أن شهادة الكفار عند عَدَم غيرهم حتى فى غير هذه المسألة مَقْبولة، كما ذَهَبَ إلى ذلك شَيْخُ الإسلام ابن تَيْمِيَة رحمه الله تعالى .

٦ ـ جواز سَفَر المُسْلِم مع الكافِر إذا لم يَكُن مَحْذُوراً .

٧ ـ جواز السَّفَر للتِّجارَة .

٨ ـ أنَّ الشَّاهدَيْن إذا ارتِيبَ فيهما ولَم تَبْدُ قَرينَة تدل على خيانتهما وأراد الأولياء أن يؤكدوا عليهما اليَمِين، يحبسونهما مِن بعدِ الصلاة فَيُقْسِمانِ بصفة ما ذَكَرَ الله تعالى.

٩ ـ أنه إذا لَم تحصل تُهْمَة ولا رَيْب لَم يَكُن حاجَة إلى حَبْسهما وتأكيد اليمين عليهما .

١٠ ـ تعظيم أمر الشهادة حيث أضافها تعالى إلى نَفْسِه، وأنه يجب الاعتناء بها والقيام بها بالقِسْط .

---

(١) تفسير السعدى رحمه الله تعالى

(٢) ومِمَّن قال بعدم نَسْخ هذه الآية وأنها مُحْكَمَة ويُعْمَل بها مِن الصحابة : أبو موسى الأشعرى وقضَى بها، وعبد الله بن قيْس، وعبد الله بن عباس رضى الله عنهم . وَمِن التابعين : سعيد بن المُسَيِّب وسعيد بن جُبَيْر وإبراهيم النَّخعى وغيرهم . وَمِن الأئمَّة إمام أهل السُّنَّة والجماعة أحمد بن حَنْبَل رَحِمَ الله الجميع (أيسر التفاسير - الجزائرى)



١١ ـ أنه يجوز امْتِحان الشَّاهِدَيْن عِنْدَ الرِّيبَة فيهما وتفريقهما، لينظر فى قيمة شهادتهما صِدْقاً وكَذِباً.

١٢ ـ أنه إذا وُجِدَتْ القَرائِن الدَّالَّة على كَذِب الوَصِيَّيْن فى هذه المسالة، قام اثنان مِن أوْلياء المَيت فأقْسَما بالله أنَّ أيْمانَنَا أصْدَقُ مِن أيمانهما ولقد خانا وكَذَبا، ثم يُدْفَع إليهما ما ادَّعَيَاه وتكون القَرينَة ـ مع أيْمانِهما ـ قائِمَة مَقام البَيِّنَة (١)

سبب نزول الآية الكريمة :

وهذه الآية نزلت فيما ذهب إليه أكثر المُفَسِّرينَ : فى تَمِيم الدَّارى وَعَدِىّ بن بَدَّاء، إذ رَوَى البخارى وغَيْره أنَّ تَميماً الدَّارى وابن بداء كانا يَخْتَلِفان إلى مَكَّة فخرج معهما فَتَى مِن بَنِى سَهْم فَتُوفِّىَ بأرضٍ ليس فيها مُسْلِم فأوْصَى إليهما فَدَفَعا تَركَتَه إلى أهْله وحَبَسا جاماً (إناءً) مِن فِضَّة مُخَوَّصاً بالذَّهَب فاسْتَحْلَفَهُما رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم (ما كَتمتما ولا أطلعتما) ثم وَجَدَ الجامَ بِمَكَّة . فقالوا : اشْتَرَيْناهُ مِن عَدِىٍّ وَتَمِيم فجاء رَجُلانِ مِن وَرَثَةِ السَّهْمِى فَحَلَفا أن هذا الجام للسهمى ولشهادتنا أحق مِن شهادتهما وما اعْتَدَيْنا، فقال : فأَخَذوا الجَامَ وفيهم نَزَلَتْ الآية (٢)

فوائد مِن الآيات الكَريمات :

١ ـ واحِد (الأوْلَيَان) : الأوْلى بمعنى الأجْدَر والأحَقّ وعُرِّفا باللام العَهدِيَّة لأنه مَعْهُود للمُخاطَب ذِهْناً، والأوْليان : الأحَقَّان بالشهادة لِقَرابَتهما مِن المَيْت، قال أهل العلم : إن هذه الآية فى غايَة الصُّعُوبَة إعْراباً وَنَظْماً وَحُكْماً .

٢ ـ التَّخْويف مِن قوله تعالى (وأشهدوا ذوَى عَدْلٍ منكم) فلا داعى إليه مع وجود ضرورة السَّفَر وانعِدام وجود المُسْلِم، كما لا مَحْذور مِن تَحْليف الشاهد إذا حامَتْ حَوْلَه رِيبَة أو شَكٌّ فى عَدَالَته لا سِيَّمَا فى ظُروف تَقِلُّ فيها العَدالَة لِفَساد أحْوال الناس؛ ولهذا فإن الآية مُحْكَمَة والعَمَل بها جائِز .

٣ ـ استِحْباب الحَلِف بَعد الصَّلاة (٣) تَغْليظاً فى شأن اليمين (٤)

٤ ـ هذه الثلاث آيات مِن سورة المائدة رقم ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ أصْعَب ما فى القرآن الكريم إعْراباً وَنَظْماً وَحُكْماً (٥)

---

(١) تفسير السعدى رحمه الله تعالى

(٢) أيسر التفاسير ـ الجزائرى ج١ ص ٣٧٢

(٣) قال ابن عباس : صلاة العَصْر

(٤) أيسر التفاسير ـ الجزائرى ج١ ص ٣٧٤

(٥) زُبْدَة التفسير ـ الأشْقَر



٥ ـ قوله تعالى (ذلك أدْنَى أن يأتُوا بالشَّهادَة على وَجْهها) أى شَرْعِيَّة هذا الحُكْم على هذا الوَجه المُرْضِى مِن تحليف الذِّميينَ إذا اسْتُريبَ بهما أقرب إلى إقامتهما الشهادَة على الوَجْه المُرْضِى، وقوله (أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم) أى يكون الحامِل لهم على الإتيان بها على وَجهها هو تعظيم الحَلِف بالله ومُراعاة جانِبه وإجلاله . والخوف مِن الفَضِيحَة بين الناس، إن رُدَّتْ اليمين على الوَرَثَة فيحلفون ويستحقون ما يَدَّعُون، ولهذا قال : (أو يخافوا أن تُرَدَّ أيمان بعد أيمانهم) ثم قال (واتقوا اللهَ) أى فى جميع أموركم (واسمَعوا) أى : وأطِيعُوا . (والله لا يهدى القوم الفاسقين) أى الخارجِينَ عن طاعة ومُتابَعَة شَرْعه (١)

---

(١) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى



النداء الرابع والأرْبَعون ـ قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ(١) (١٥) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦)﴾

سورة الأنفال : ١٥ ، ١٦

الأنفال : جمع نَفْل بسكون الفاء : اليَمين وفى الحديث (فتبرئكم يهود بِنَفْل خَمسين منهم) وهو أيضـاً الانتفاء مِن الشئ وفى الحديث (فانتفل من ولدها). والنَّفْل : نَبْت مَعروف، والنَّفْل : الزِّيادَة على الفرائِض فى الصَّلاة. والنَّفَل : بتحريك الفاء ما يعطيه الإمام لأفراد الجَيْش تشجيعاً لهم (٢)

والنَفَل : قيل هو الغَنِيمَة بِعَيْنها لكن اختلفت العِبارَة عنه لاختلاف الاعتِبار، فإنه إذا اعتبر مَظْفوراً به يقال له غنيمَة، وإذا اعتبر بكونه مِنحَة مِن الله ابتداءً مِن غير وجوب يُقال له نَفَلٌ، ومنهم مَن فَرَّقَ بينهما مِن حيث العموم والخُصوص فقال : الغَنيمة ما حَصَل مُسْتَغْنَماً بِتَعَبٍ كان أو غير تَعَب، وباسْتِحقاق كان أو غير استحقاق، وقبل الظَّفَر كان أو بَعْدَه . والنَّفَل ما يَحصل للإنسان قَبْل القِسْمَة مِن جُمْلَة الغنيمة، وقيل هو ما يحصل للمسلمين بغير قِتالٍ وهو الفَئ، وقيل هو ما يُفْصَل مِن المَتَاع ونحوه بعد ما تُقَسَّم الغنائِم وعلى ذلك حُمِلَ قوله تعالى (يَسْئَلونك عن الأنفال) الآية وأصل ذلك مِن النَّفل أى الزيادة على الواجب، ويقال له النَّافِلة قال تعالى (ومِن الليل فَتَهَجَّد به نافلة لك) وعلى هذا قوله (ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة) وهو وَلَد الوَلَد، ويقال : نَفَلْته كذا أى أعطيته نَفْلا، ونَفَله السلطان أعْطاه سَلَبَ قَتِيله نَفْلا أى تَفَضُّلا وتَبَرُّعاً، والنَّوْفَل كثير العَطاء، وانْتَفَلْتُ مِن كذا انْتَفَيْتُ منه (٣)

بين يدى السورة الكريمة :

سورة الأنفال إحدى السور المَدَنِيَّة التى عُنِيَت بجانب التَّشْريع، وبخاصَّة فيما يتعلق بالغَزوات والجهاد فى سبيل الله، فقد عالَجَتْ بعض النَّوَاحِى الحَرْبِيَّة التى ظهرت عَقِب بعض الغزوات، وتضمنت كثيرا مِن التشريعات الحربية، والإرشادات الإلَهِيَّة التى يجب على المؤمنين اتباعها فى قِتالهم لأعداء الله وتناوَلَتْ جانِب السِّلْم والحَرْب وأحكام الأسْر والغنائِم .

نزلت هذه السورة الكريمة فى أعْقاب غزوة بَدْر التى كانت فاتِحَة الغزوات فى تاريخ الإسلام المَجيد، وبداية النصر لجند الرحمن حتى سَمَّاها بعض الصحابة (سورة بَدْر) لأنها تناوَلت

---

(١) (فلا تُوَلُّوهُمُ الأدْبار) فيه استِشباع الهَزيمَة بذِكْر لفظ (الدُّبُر) وهو كذلك (أيسر التفاسير ـ الجزائرى)

(٢) أيسر التفاسير ـ الجزائرى ج١ ص ٥٠٦ (٣) المفردات فى غريب القرآن ـ الراغب الأصفهانى



أحداث هذه المَوْقِعَة بإسهاب، ورسَمَتْ الخُطَّة التفصيلية للقِتال، وبَيَّنَتْ ما ينبَغِى أن يكون عليه المسلم مِن البُطولَة والشَّجاعَة، والوقوف فى وَجْه الباطِل بكل شجاعَة وجرْأة وحَزْم وصُمُود .

مِن المعلوم مِن تاريخ الغزوات التى خاضَها المسلمون أن غزوة بدر كانت فى رمضان من السنة الثانية مِن الهجرة، وكانت هى الجَوْلَة الأولَى مِن جَولات الحق مع الباطل، ورَدُّ البَغْى والطُّغْيان، وإنْقاذ المُسْتَضعَفينَ مِن الرِّجال والنِّساء والوِلدان، الذين قعد بهم الضَّعْف فى مَكَّة، وأخَذوا فى الضَّرَاعَة إلى الله أن يُخْرِجهم مِن القَرْيَة الظَالِم أهلها، وقد اسْتَجابَ الله ضَرَاعتهم فهَيَّأ لهم ظروف تلك الغزوة التى تم فيها النصر للمؤمنين على قِلَّة عَدَدهم وضَعْف فى عُدَدِهم، وعلى عدم تَهْيِئَتهم للقتال، وبها عَرَفَ أنصارُ الباطِلِ أنه مَهْما طال أمَدُه وقويَتْ شَوْكَته وامْتَدَّ سُلْطانه، فلا بُدَّ مِن يوم يَخِرُّ فيه صريعاً أمام الحَقِّ وقُوَّة الإيمان، وهكذا كانت غزوة بدر نصراً للمؤمنين وهزيمَة للمُشْركينَ، وفى ثنايا أحداث بدر جاءت النِّداءات الإلَهيَّة للمُؤْمِنينَ سِت مَرَّات بوصف الإيمان (يا أيها الذين ءَامَنوا) كَحافِز لهم على الصبر والثَّبات لهم فى مجاهدتهم لأعداء الله، وكَتَذْكير لهم بأن هذه التكاليف التى أُمِروا بها مِن مُقْتَضيات الإيمان الذى تَحَلَّوْا بـه، وأن النصر الذى حازوا عليه كان بسبب الإيمان لا بِكَثْرَة السِّلاح والرِّجال :-

أما النداء الأول : فقد جاء فيه التحذير مِن الفِرار من المَعْرَكَة (يا أيها الذين ءامنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار) وقد تَوَعَّدَت الآيات المؤمنين المُنْهَزمينَ أمام الأعداء بأشد العَذاب

وأما النداء الثاني : فقد جاء الأمر فيه بالسمع والطاعة لأمر الله وأمر رسوله (يا أيها الذين ءامنوا أطيعوا اللهَ ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون) كما صَوَّرَتْ الآية الكافرين بالأنعام السَّارِحَة التى لا تسمع ولا تَعِى ولا تَسْتَجيب لَدَعْوَة الحَقِّ .

وأما النداء الثالث : فقد بَيَّن فيه أن ما يدعوهم إليه الرسول فيه حياتهم وعِزَّتهم وسعادتهم فى الدنيا والآخِرَة (يا أيها الذين ءامنوا اسْتَجيبوا لله وللرسول إذا دَعَاكُم لِمَا يحييكم) الآية .

وأما النداء الرابع : فقد نَبَّهَهُم فيه إلى أن إفشاء سِرِّ الأمَّة للأعداء خيانة لله ولرسوله وخيانة للأمة أيضاً (يا أيها الذين ءامنوا لا تَخُونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون)

وأما النداء الخامس : فقد لفت نظرهم فيه إلى ثمرة التقوى، وذكرهم بأنها أساس الخير كله، وأن أعظم ثمرات التقوى ذلك النُّور الرَّبَّانِيّ الذى يقذِفه الله فى قلب المؤمن، وبه يُفَرِّق بين الرُّشد والغَيّ، والهُدّى والضَّلال (يا أيها الذين ءامنوا إن تَتَّقُوا اللهَ يجعل لكم فُرْقاناً ويُكَفر عنكم سيئاتكم ...)

وأما النداء السادِس : وهو النداء الأخير فقد وضَّحَ لهم فيه طريق العِزَّة، وأُسُس النَّصْر؛ وذلك بالثبات أمام الأعداء والصبر عند اللقاء، واستحضار عَظَمَة الله التى لا تُحَدُّ، وقوته التى لا تُقْهَر والاعتِصام بالمَدَد الرُّوحِى الذى يُعِينهم على الثبات ألا وهو ذِكْر الله كَثيراً (يا أيها الذين ءامنوا إذا لَقِيتُم فِئَة فاثبُتوا واذكُروا اللهَ كثيرا لعلكم تفلحونَ)



وقد خُتِمَت السورة الكريمة ببيان الولاية الكامِلة بين المؤمنين وأنه مهما تَنَاءَتْ دِيارهم، واخْتَلَفَتْ أجْناسهم فَهُم أُمَّة واحِدَة وعليهم نصرالذين يستنصرونهم فى الدين كما أن الكفر مِلَّة واحدة وبين الكافرين ولاية قائِمَة على اُسُس البَغْى والضَّلال وأنه لا ولاية بين المؤمنين والكافرين (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلاَّ تَفْعلوه تَكُن فِتْنَة فى الأرض وفساد كَبير)(١)

فقوله تعالى (يا أيها الذين ءامنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ....)

فقد تَقَدَّم الحديث عن الجِهاد وفضله وأنواعه وأحكامه عند تفسير النداء رقم ١٣ بالآية رقم ٢٠٠ من سورة آل عمران، وعند تفسير النداء رقم ٢٣ بالآية ٧١ من سورة النساء.

ونذكر هنا عند تفسير هذا النداء الرابع والأربعين الذى فى سورة الأنفال معنى الزَّحْف والفِرار والتَّرْهِيب منه، وبعضَ أحكام الجهاد والمراد منه فى الآية الكريمة.

الزَّحْف : الدُّنُوّ قليلاً قليلاً، وأصْله الاندِفاع على الإلْيَة (المِقْعَدَة)، ثم سُمِّيَ كل ماشٍ إلى حرب آخَر زاحِفاً، وازْدَحَفَ القوم : إذا مَشى بعضهم إلى بعض والزِّحاف مِن عِلَل الشِّعْر وهو أن يسْقطَ حرف فيزحف أحدهما إلى الآخَر (٢)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقات (٣) : الشِّرْك باللهِ، والسِّحْر، وقَتْل النَّفْس التى حَرَّمَ اللهُ إلا بالحَقِّ، وأكْل الرِّبا، وأكْل مالِ اليَتِيم، والتَّوَلِّى يَوْمَ الزَّحْف، وقَذْف المُحْصَنَات المُؤْمِنات الغافِلاتِ)(٤) وَرَوَى مسلم فى صحيحه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العَدُو واسألوا الله العافيَة فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظِلال السيوف) ثم قام صلى الله عليه وسلم وقال (اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتاب، ومُجْرى السَّحابِ، وهازِمَ الأحزابِ، اهْزِمْهم وزَلْزِلهم) وفى رواية أخرى (وَانْصُرْنا عَلَيْهم)(٥)

ففى قوله صلى الله عليه وسلم (فإذا لقيتموهم فاصبروا) أمر منه على الصبر والثبات وعدم التَّوَلِّى والفِرار مِن العَدُوِّ والثبات للعدو، وعدم الفرار من الزَّحْف مِن شُعَب الإيمان.

---

(١) صفوة التفاسير ـ الصابونى

(٢) أيسر التفاسير ـ الجزائرى ج١ ص ٥١٠

(٣) المُوبقات : المُوقِعات فى الآثام.

(٤) رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى عن أبى هريرة رضى الله عنه

(٥) رواه مسلم رحمه الله تعالى (كِتاب السِّيَر)



ويقول تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(١) ويقول جَلَّ وَعَلا (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٥) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦))(٢)

والثبات للعدو يكون بالاستعانة للقائه، وبالشجاعة فى الهجوم عليه حيث يعلم المؤمن أنه على حق، وأن النصر معه؛ لأن الله تعالى يقول (وكان حقّاً علينا نصر المؤمنين)(٣) ويقول سبحانه (ولن يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَه)(٤)، أما عدم الثبات للعدو ففيه الهَزِيمَة وَذِلَّة المسلمين وانكسارهم، ولا يجوز للمسلمين الفِرار مِن مِثْلَيْهِم لأن الفرار مِن الزَّحف مِن السبع الموبقات، فإن زاد العدو عن مِثْلَيْهِم جاز، ويُمْنَع المُخَذِّل والمُرْجِف مِن الخروج لمُلاقاة العدو لتأثير ذلك على مَعْنَوِيَّاتِ المُجاهِدِين، قال تعالى (فَقُلْ لن تَخْرُجُوا مَعِىَ أَبَداً ولَن تُقاتِلُوا مَعِىَ عَدُوّاً)(٥)(٦)

قال الشيخ عبد الرحمن السعدى رحمه الله تعالى فى تفسير هاتَيْنِ الآيتين الكريمتين :

أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالشجاعة الإيمانية والقوة فى أمره، والسعى فى جلب الأسباب المُقَوِية للقلوب والأبدان ونهاهم عن الفِرار إذا الْتَقَى بعضهم ببعض فقال (يا أيها الذين ءامنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً) أى : صَفُّ القتال وتَزَاحَف الرِّجالُ واقْتَرَبَ بعضهم مِن بعض (فلا تولوهم الأدبار) بل اثبتوا لقتالهم واصبروا على جِلادهم فإن فى ذلك نُصْرَةَ لِدِين الله وقوة لقلوب المؤمنين وإرهاباً للكافرين (ومَنْ يُوَلِّهم يومئذ دُبُرَه إلا مُتَحَرِّفاً لقتال أو مُتَحَيِّزاً إلى فئة فقد باء) أى : رَجَعَ (بغضب من الله ومأواه) أى مَقَرَّه (جهنم وبئس المصير) وهذا يدل على أن الفرار من الزحف من غير عُذْر مِن أكبر الكبائر كما وَرَدَتْ بذلك الأحاديث الصحيحة. وكما نَصَّ هنا على وَعِيده بهذا الوَعِيد الشديد .

ومفهوم الآية الكريمة : أن المُتَحَرِّف للقتال وهو الذى يَنْحَرِف مِن جهة إلى أُخْرَى ليكون أَمْكَن له فى القتال وأنْكَى لعدوه فلا بأس بذلك لأنه لم يُوَلّ دُبُرَه فاراً وإنما وَلَّى دُبُرَه لِيَسْتَعْلِى على عدوه أو يأتيه مِن مَحِلٍ يُصيب فيه غِرَّته (٧) أو ليخدعه بذلك أو غير ذلك من مقاصِد المُحارِبِينَ، وأن المُتَحَيِّز إلى فِئَة تمنعه وتُعِينه على قتال الكفار؛ فإن ذلك جائز فإن كانت الفِئَة فى العَسْكَر فالأمر فى هذا واضِح، وإذا كانت الفئة فى غير محل المعركة كانهزام المسلمين بين يدى الكافرين والتِجَائِهِم إلى بَلَدٍ مِن بُلْدان المسلمين أو إلى عَسْكَر آخر مِن عَسْكَر المسلمين فقد وَرَدَ مِن آثار الصحابة ما يَدُلُّ على أن هذا جائِز ولعلَّ هذا يُقَيِّد بما إذا ظَنَّ المسلمون أن الانهزامَ

---

(١) سورة الأنفال : ٤٥ **(٢) سورة الأنفال : ١٥، ١٦** **(٣) سورة الروم : ٤٧**

(٤) سورة الحج : ٤٧ **(٥) سورة التوبة : ٨٣**

(٦) أصول المنهج الإسلامى - العبيد **(٧) الغِرَّة بكسر الغين أى : الغَفْلَة**



أحمد عاقِبَة وأبْقى عليهم، أما إذا غَلَبَتْهم للكفار فى ثباتهم لقتال فيبعد ـ فى هذه الحال ـ أن تكون مِن الأحْوال المُرَخَّص فيها لأنه ـ على هذا ـ لا يُتَصَوَّر الفِرار المَنْهى عنه، وهذه الآية مُطْلَقَة وفى آخِرالسورة تَقْييدها بالعَدَد (١)

قال العلاَّمَة البَغَوىّ رحمه الله تعالى فى تفسير الآيتين الكريمتين :

ومعنى الآية النهى عن الانهزام مِن الكفار والتولى عنهم إلا على نِيَّة التَّحَرُّفِ للقتال والانضِمام إلى جماعة المسلمين ليستعين بهم ويعود إلى القِتال، فَمَن وَلَّى ظَهْرَه لا عَلَى هذه النِّيَّة لَحِقَهُ الوَعيد كما قال تعالى (فقد باء بغضب مِن الله ومأواه جهنم وبئس المصير). واخْتَلَفَ العلماء فى هذه الآية فقال أبو سعيد الخُدْرىّ : هذا فى أهل بَدْرٍ خاصَّة، ما كان يجوز لهم الانهزام، لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان معهم ولَم يَكُن لهم فِئَة يَتَحَيَّزونَ إليها دُونَ النبى ولو انْحازوا لانْحازوا إلى المُشْرِكِينَ، فأما بعد ذلك فإن المسلمين بعضهم فِئَة لِبَعض، فيكون الفارُّ مُتَحَيِّزاً إلى فئة فلا يكون فِرَاره كَبِيرَة، وهو قول الحَسَن وقتادَة والضَّحَّاك . قال يزيد بن أبى حبيب : أوْجَبَ اللهُ النارَ لِمَن فَرَّ يوم بَدْرٍ، فَلَمَّا كان يوم أُحُدٍ بعد ذلك قال (إنما اسْتَزَلَّهُم الشَّيْطانُ ببعض ما كَسَبوا ولقد عفا اللهُ عنهم) ثم كان يوم حُنَيْنٍ بعده فقال (ثُمَّ وَلَّيْتُم وأنتم مُدْبِرِينَ .... ثم يتوب اللهُ مِن بعد ذلك على مَن يشاء)

وقال عبد الله بن عُمَر رضى الله عنهما : كُنَّا فى جَيْشٍ بَعَثَنا رسول الله فَحَاصَ الناسُ حَيْصَةً (٢) فانْهَزَمْنا فقلنا : يا رسول الله نحن الفَرّارُونَ ؟ قال : بلْ أنتم الكَرَّارُونَ، أنَا فِئَة المُسْلِمينَ (٣)

وقال محمد بن سيرين : لَمَّا قُتِلَ أبو عُبَيْدَة جاء الخَبَر إلى عُمَرَ فقال لو انحازَ إلَيَّ كُنْتُ له فِئة فأنا فِئَة كُلِّ مُسْلِمٍ . وقال بعضهم : حُكْم الآية عامٌّ فى حَقِّ كل مَن وَلَّى مُنْهَزِماً . وقال عَطاء بن أبى رَباح : هذه الآية مَنْسوخَة بقوله (الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُم) فليس لقَوْمٍ أن يَفِرُّوا مِن مِثْلِهم فَنُسِخَتْ تلك إلا فى هذه العِدَّة . وعلى هذا أكْثَر أهل العِلم، أن المسلمين إذا كانوا على الشَّطْر (أى النِّصْف) مِن عَدَدِهم لا يجوز لهم أن يَفِرُّوا أو يُوَلُّوا ظُهُورهم ويَنْحازوا عنهم، قال ابن عباس : مَن فَرَّ مِن ثلاثة فَلَم يَفِر ومَن فَرَّ مِن اثْنَيْن فَقَدْ فَرَّ (٤)

---

(١) تفسير السعدى رحمه الله تعالى

(٢) حاصَ عن الحَق يحيص أى حادَ عنه إلى شِدَّة ومَكروه (مُخْتار الصِّحاح ـ الرازى)، وحاص عنه حَيْصاً ومَحيصاً : عَدَلَ وحاد، وحاصَ القَوْم : جالوا جَوْلَة يطلبون الفِرار والمَهْرَب (المعجم الوجيز)

(٣) أخْرَجَه الترمِذى فى الجهاد وقال حسن غريب وأبو داود فى الجهاد

(٤) تفسير البَغَوى المُسمى بـ (معالِم التَّنْزيل) للإمام أبى محمد الحسين البغوى الشافعى المُتَوَفَّى سنة ٥١٦هـ



النداء الخامس والأربعون ـ قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٢١) ﴾ سورة الأنفال : ٢٠، ٢١

الطَّوْع : الانقياد والطَّاعَة، لكن أكثر ما تُقال فى الائتمار لِما أُمِر والارْتِسام فيما رُسِمَ قال تعالى (ويقولون طاعة – طاعة وقول معروف) أى : أطيعوا، وقد طاع له يَطُوع وأطاعه يُطِيعه، قال (وأطيعوا الله – من يُطِع الرسول فقد أطاع الله – ولا تُطِع الكافرين) وقوله فى صفة جبريل عليه السلام (مُطاع ثَمَّ أمين)(١)

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى رحمه الله تعالى :

لما أخبر تعالى أنه مع المؤمنين أمرهم أن يقوموا بمقتضى الإيمان الذى يدركون مَعِيَّته فقال (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله) بامتثال أمرهما واجتناب نهيهما (ولا تولوا عنه) أى : عن هذا الأمر الذى هو طاعة الله ورسوله (وأنتم تَسْمَعُونَ) ما يُتْلى عليكم من كتاب الله وأوامره ووصاياه ونصائحه، فتوليكم فى هذه الحال مِن أقبح الأحوال (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) أى لا تَكْتَفُوا بِمُجَرَّدِ الدَّعْوَى الخالية التى لا حقيقة لها، فإنها حالة لا يرضاها الله ورسوله، فليس الإيمان بالتَّمَنِّى والتَّحَلِّى وَلَكِنَّهُ ما وَقَرَ فى القلوب وصَدَّقَتْه الأعمال(٢)

قال الشيخ أبو بكر الجزائرى :

ينادى اللهُ تعالى عباده المؤمنين الذين آمنوا به وبرسوله وصدقوا وَعْدَه وَوَعِيدَه يوم لقائه، فيأمرهم بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وينهاهم عن الإعراض عنه وهم يسمعون الآيات تُتْلى والعِظات تَتَوالَى فى كتاب الله وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم؛ لأن نصركم وتأييدكم كان ثمرة لإيمانكم وطاعتكم فإن أنتم أعرضتم وعصيتم فتركتم كل ولاية لله تعالى لكم أصبحتم كغيركم مِن أهل الكفر والعصيان، وقوله (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) ينهاهم عز وجل أن يسلكوا مَسْلَك الكافِرينَ المُشْرِكِينَ (٣) فى التَّصامُم عن سماع الآيات الحاملة للحق والداعية إليه، والتَّعامِى عن رُؤيَة آيات الله الدَّالَّة على توحيده الذى قالوا : إنا عَمًّا يقوله مُحَمَّدُ فى صَمَمٍ، وفيما يذكر ويشير إليه فى عَمَى فهم يقولون سمعنا بآذاننا وهم

---

(١) المفردات فى غريب القرآن – الراغب الأصفهانى ص٢١٢

(٢) تفسير السعدى رحمه الله تعالى ص ٣٢٦

(٣) واليهود والمنافقين أيضا، إذ الكل كان هذا موقفهم مما يدعوهم إليه الرسولُ صلى الله عليه وسلم.





لا يسمعون بقلوبهم؛ لأنهم لا يتدبرون ولا يفكرون فلذا هم فى سماعهم كَمَن لم يسمع إذ العبرة بالسَّماع الانتِفاع به(١) لا مُجَرَّد صَوْت(٢)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى :

يأمر تعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ويزجرهم عن مخالفته والتشبه بالكافرين به المعاندين له، ولهذا قال: (ولا تولوا عنه) أي تتركوا طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره (وأنتم تسمعون) أي بعدما عَلِمْتُم ما دَعاكم إليه، (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) قيل : المراد المشركون، واختاره ابنُ جرير، وقال ابنُ إسْحاق : هم المنافقون، فإنهم يُظْهرُون أنهم قد سَمِعُوا واسْتجابوا وليسوا كذلك، ثم أخبر تعالى أن هذا الضَّرْبَ مِن بَنِي آدمَ شَر الخلق والخَلِيقَة فقال : (إنَّ شَرَّ الدَّوابِّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ) أي عن سماع الحق، (البُكْم) عن فَهْمِهِ، ولهذا قال : (الذين لا يعقلون) فهؤلاء شر البرية؛ لأن كل دابة مما سواهم مطيعة لله فيما خلقها له (٣)، وهؤلاء خلقوا للعبادة فكفروا، ولهذا شبههم بالأنعام في قوله : (أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) وقيل: المراد بهؤلاء المذكورين نفر من بني عبد الدار من قريش، ثم أخبر تعالى بأنهم لا فهم لهم صحيح ولا قصد لهم صحيح - ولو فُرِضَ أن لهم فهماً – فقال : (ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم) أي لأفهمهم وتقدير الكلام (و) لكن لا خير فيهم فلم يُفْهِمْهُم؛ لأنه يعلم أنه (لو أسمعهم) أي أفهمهم (لتولوا) عن ذلك قصداً وعناداً بعد فهمهم ذلك (وهم مُعْرِضُونَ) عنه.(٤)

---

(١) فى الآية دليل على أن المؤمن إذا أُمِرَ أو نُهى فقال سمعاً وطاعة أى : سَمِعْتُ وأطعْتُ ولم يفعل ولم يترك لا وزنَ ولا عِبْرَة بقوله بل لابد مِن الفعل والتَّرْك.

(٢) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ص٥١٣

(٣) قال تعالى (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) سورة الإسراء : ٤٤

(٤) مختصر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى – الصابونى



النداء السادس والأربعون – قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥) ﴾

سورة الأنفال : ٢٤ ، ٢٥

أصل الفَتْن : إدخالُ الذَّهَبِ النارَ لتظهر جودته من رداءته واسْتُعْمِلَ فى إدخال الإنسان النارَ قال (يوم هم على النار يفتنون – ذوقوا فتنتكم) أى عذابكم وتارة يُسَمُّونَ ما يحصل عنه العذاب فيستعمل فبه نحو قوله تعالى (ألا فى الفتنة سَقَطُوا) وتارة فى الاختبار نحو قوله تعالى (وفتناك فُتُوناً) وجُعِلَتْ الفتنة كالبلاء فى أنهما يستعملان فيما يُدْفَع إليه الإنسان مِن شِدَّةٍ ورَخاء وَهُما فى الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالا، وقد قال فيهما (ونَبْلُوكُم بالشَّرِّ والخَيْرِ فِتْنَة) وقال فى الشدة (إنما نحن فتنة – والفتنة أشد من القتل – وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) وقال : (ومنهم مَن يقول ائْذَن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا) أى يقول لا تَبْلُنِى ولا تعذبنى، وهم بقولهم ذلك وقعوا فى البَلِيَّة والعذاب. وقال (فما آمَنَ لِمُوسَى إلا ذُرِّيَّةٌ مِن قَوْمِه على خَوْفٍ مِن فِرْعَوْنَ وملائِهِم أن يَفْتِنَهُم) أى يبتليهم ويعذبهمن وقال (واحْذَرْهُم أن يفتنوك – وإن كادوا لَيَفْتِنُونَكَ) أى : يوقعونك فى بَلِيَّة وشِدَّة فى صرفهم إياك عمَّا أُوحِىَ إليكن وقوله (فَتَنْتُم أنفسَكم) أى أوقعتموها فى بلية وعذاب. وعلى هذا قوله (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)

والفتنة من الأفعال التى تكون من الله تعالى ومن العبد كالبلية والمصيبة والقتل والعذاب وغير ذلك من الأفعال الكريهة، ومتى كان من الله يكون على وجه الحِكْمَة ومتى كان من الإنسان بغير أمر من الله يكون بضد ذلك ولهذا يذم اللهُ الإنسانَ بأنواع من الفتنة فى كل مكان نحو (والفِتْنَة أشد مِن القَتْل – إن الذين فَتَنُوا المؤمنين والمؤمنات)(١)

قال الشيخ أبو بكر الجزائرى :

هذا النداء الثالث (أى فى سورة الأنفال) بالكرامة للمؤمنين يشرفهم الرب بندائه ليكرمهم بما أمرهم به أو ينهاهم عنه تربية لهم وإعداداً لهم لسعادة الدارين وكرامتهما فيقول (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله والرسول إذا دعاكم لِما يُحْيِيكم) وهو بمعنى النداء الأول (أطيعوا الله ورسوله)

---

(١) المفردات فى غريب القرآن – الراغب الأصفهانى ص٣٧٤



وقوله (لِما يُحْيِيكم)(١) إشعار بأن أوامر الله تعالى كنواهيه لا تخلوا أبدا مما يُحْيي المؤمنين (٢) أو يزيد فى حياتهم أو يحفظها عليهم، لذا وجب أن يطاع الله ورسوله ما أمكنت طاعتهما، وقوله (واعلموا أن الله يَحُولُ بين المَرْءِ وقلبه) تنبيه عظيم للمؤمنين إذا سَنَحَتْ لهم الفرصة للخير ينبغى أن يَفْتَرِصُوها قبل الفوات لا سِيَّما إذا كانت دعوة من الله ورسوله؛ لأنه تعالى قادر على أن يحول بين المرء وما يشتهى وبين المرء وقلبه (٣) فيقلب القلب ويوجهه إلى وِجْهَة أخرى فيكره فيها الخير ويرغب فى الشر، وقوله (وأنه إليه تحشرون) فالذى يعلم أن سَيُحْشَر رغم أنفه إلى الله تعالى كيف يسوغ له عقله أن يسمع نداءه يأمر فيه أو ينهاه فيعرض عنه (٤)

قال البغوى رحمه الله تعالى :

(لما يُحْيِيكُم) أى ما يحييكم. قال السُّدِّيُّ : هو الإيمان، لأن الكافر مَيِّت فيحيا بالإيمان، وقال قتادة : هو القرآن في الحياة وبه النجاة والعِصْمَة فى الدارين. وقال مُجاهِد : هو الحَقّ، وقال ابنُ إسْحاق : هو الجهاد أعزكم الله به بعد الذل، وقال القتيبى : بل الشهادة، قال تعالى (بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون) وَرُوِّينا أن النبى صلى الله عليه وسلم مر على أُبَىّ بن كَعْب رضى الله عنه وهو يصلى فدعاه فعجل أُبَى فى صلاته، ثم جاء، فقال رسول الله (ما منعك أن تُجيبنى إذ دعوتك ؟ قال : كنت فى الصلاة، قال (أليس يقول الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) ؟ فقال : لا جَرَمَ يا رسول الله، لا تَدْعُنِى إلا أجبت وإن كنتُ مُصَلِّياً.(٥)(٦)

---

(١) (يُحْيِيكُم) أصلها يُحْيِيُكُم) بضم الياء الثانية إلا أن حركتها حذفت فسكنت تخفيفا.

(٢) فى الآية دليل على أن الكفر والجهل موت معنوى، إذا بالإيمان والعلم تكون الحياة وبضدهما يكون الممات.

(٣) كان من دعائه صلى الله عليه وسلم (اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك) وقوله (اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك).

(٤) أيسر التفاسير – الجزائرى ص ٥١٤

(٥) أخرجه الطبرانى فى التفسير، وأخرجه بنحوه الترمذى فى فضائل الأعمال، وقال حديث حسن صحيح، والإمام أحمد فى المسند.

(٦) مختصر تفسير البغوى – د / عبد الله بن أحمد على الزيد ص٣٤٧

وقوله (واتقوا فتنة لا تصيبن(١) الذين ظلَمُوا منكم خاصة(٢)) تحذير آخر من عظيم للمؤمنين من أن يتركوا طاعة الله رسوله ويتركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فينتشر الشر وَيَعُمُّ الفساد، وينزل البلاء فيعم الصالِح والطالِح، والبارَّ والفاجِر، والظالِم والعادِل. وقوله (واعلموا أن الله شديد العقاب) وهو تأكيد للتحذير بكونه تعالى إذاعاقب بالذنب والمعصية فعقابه قاسٍ شديد لا يُطاق فَلْيَحْذَرْ المؤمنون من ذلك بلزوم طاعة الله ورسوله (٣)

قال المُفَسِّرُونَ : نزلت هذه الآية فى أصحاب رسول الله ومعناه : اتقوا فتنة تصيب الظالم وغير الظالم. قال الحسن : نزلت فى عَلِىّ، وعَمَّار، وطلحة، والزُّبَيْر، رضى الله عنهم. قال الزبير : لقد قرأنا هذه الآية زماناً وما أُرانا مِن أهلها، فإذا نحن المَعْنِيُّونَ بها، يعنى ما كان يوم الجَمَل. وقال السدى : ومُقاتِل والضَّحَّاك وقتادَة : هذا فى قوم مخصوصين من أصحاب رسول الله أصابتهم الفتنة يوم الجمل.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ستكون فِتَنٌ، القاعِدُ فيها خير مِن القائم، والقائم خير مِن الماشى، والماشى فيها خير مِن السَّاعِى، مَن تَشَرَّفَ لها تستشرفه، فَمَن وجد مَلْجَأً أو مُعاذاً فَلْيَعُذ به)(٤)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : والقول بأن هذا التحذير يعم الصحابة وغيرهم – وإن كان الخِطاب لهم – هو الصحيح، ويدل عليه الأحاديث الواردة فى التحذير مِن الفتن (٥)

---

(١) قال ابن عباس رضى الله عنه فى هذه الآية : أمر الله تعالى المؤمنين أن لا يُقِرُّوا المنكر بين أظهرهم فيعمهم العذاب، وفى صحيح مسلم عن زينب بنت جحش رضى الله عنها أنها سألت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال (نعم إذا كثر الخبث)

(٢) إعراب هذه الجملة مُشْكَل، يكتفى بعرض صورتين : الأولى : إنها كقوله تعالى (ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده) آى : إن تدخلوا لا يحطمنكم، فيكون معنى الآية : إن تتقوا ..... لا تصيبن، فدخلت نون التوكيد لما فى التركيب من معنى الجزاء، والثانية : تكون على حذف القول أى : اتقوا فتنة مقول فيها : لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة، كقول الشاعر :

حتى إذا جَنَّ الظلام واختلط .... جاؤوا بمذق هل رأيت الذنب قط

أى مقول فيها : هل رأيت الذنب قط، فقوله (فتنة) موصوف بجملة مقول فيها : لا تُصيبنَّ.

(٣) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ ص٥١٤

(٤) أخرجه البخارى رحمه الله فى الفِتَن، وفى الأنبياء، وفى المَناقِب، ومسلم رحمه الله فى الفِتَن رقم ٢٨٨٦.

(٥) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى ج٢ص٩٩٩





هداية الآيتين الكريمتين :

١- وجوب الاستجابة لنداء الله ورسوله (١) بفعل الأمر وترك النهى لِما فى ذلك من حياة الفرد المسلم.

٢- تعيين اغتنام فرص الخير قبل فواتها، فَمَتى سَنَحَتْ للمؤمن تَعَيَّنَ اغْتِنامها.

٣- وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر اتّقاءً للفتن العامة التى يهلك فيها العادل والظالم.

٤- أن القلب هو أمير الأعضاء، وبتغيره يتغير حال العبد، وأن القلوب بين يدى الله تبارك وتعالى.

---

(١) روى البخاري رحمه الله تعالى عن أبى سعيد بن المعلى رضى الله عنه قال : كنت أصلى فى المسجد فدعانى رسول الله فلم أجبه، ثم أتيته فقلت : يا رسول الله إنى كنت أصلى، فقال (ألَم يَقُل اللهُ عز وجل) (استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) وذكر الحديث . قال العلماء : هذا دليل على أن الفعل الفرض أو القول الفرض إن أتِى به فى الصلاة لا تبطل.

النداء السابع والأربعون – قال تعالى :



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧) وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٨) ﴾

سورة الأنفال : ٢٧ ، ٢٨

الخِيانَة والنّفاق واحد، إلا أن الخيانة تقال اعتبارا بالعَهْد والأمانَة، والنفاق يقال اعتبارا بالدِّين ثم يتداخلان، فالخيانة مخالفة الحق بنقض العهد فى السر. ونقيض الخيانة الأمانة. يقال : خُنْتُ فلانا وخنت أمانة فلان، وعلى ذلك قوله تعالى (لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم) وقوله تعالى (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نُوح وامرأت لُوط كانتا تحت عَبْدَيْنِ من عِبادِنا صالِحَيْنِ فَخانَتاهُما) وقوله تعالى (ولا تزال تَطَّلِعُ على خائِنَة منهم) أى جماعة خائِنَة منهم، وقيل رَجُلٌ خائن، يقال رجل خائن وخائنة، نحو رَاوِيَة وداهِيَة موضوعة موضع المصدر نحو قُم قائِماً (١)

سبب نزول الآية الكريمة :

قال عبد الله بن أبى قتادة : نزلت فى أبى لُبابَة بن عبد المُنْذِر الأنصارى، ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حاصَرَ يَهُودَ قُرَيْظَة إحدى وعشرين ليلة، فسألوا رسول الله الصُّلحَ على ما صالَحَ عليه إخوانهم مِن بَنِى النَّضِير، على أن يسيروا إلى إخوانهم بأذْرِعات وأريحا مِن أرض الشام، فأبَى أن يعطيهم ذلك إلى أن نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ سَعْد بن مُعاذ، فأبوا وقالوا : أرْسِلْ إلينا أبا لبابة – وكان مناصِحا لهم – لأن عياله وماله وولده كانت عندهم، فبعثه رسول الله فأتاهم فقالوا : يا أبا لبابة ما تَرَى، أتَنزِل على حكم سعد بن معاذ ؟ فأشار أبو لبابة بيده إلى حَلْقِه : إنه الذَّبح فلا تفعلوا، قال أبو لبابة : والله ما زالت قدماى حتى علمت أنى خُنتُ اللهَ ورسولَه، فنزلت الآية. فلما نزلت شَدَّ نفسه على سارية مِن سوارى المسجد وقال : والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله علىَّ، فمكث سبعة أيام لا يذوق فيها طعاما حتى خَرَّ مَغْشِيًّا عليه، ثم تاب الله عليه، فقيل يا أبا لبابة قد تِيبَ عليك، فقال : لا والله لا أحِلّ نفسى حتى يكون رسول الله هو الذى يَحُلُّنى، فجاءه فَحَلَّه بيده، ثم قال أبو لبابة : إن من تمام توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب، وأنخلع مِن مالى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يَجْزِيكَ الثُّلُث أن تتصدق به)(٢)

---

(١) المفردات فى غريب القرآن – الراغب الأصفهانى ص١٦٧

(٢) أسباب النزول – الواحدى ص١٩٣

قال الشيخ أبو بكر الجزائرى :



هذا نداء ربانى آخَر يُوَجَّه إلى المؤمنين (يا أيها الذين آمنوا) يا مَن آمنتم بالله رَبَّاً وبمحمد رسولا وبالإسلام دِينا (لا تخونوا اللهَ والرسولَ)(١) بأن يظهر أحدكم الطاعة لله ورسوله ويَسْتَسِرُّ المعصية، ولا تخونوا أماناتكم التى يأتمن بعضكم بعضا عليها (وأنتم تعلمون) عظيم جريمة الخيانة وآثارها السيئة على النفس والمجتمع. وقوله (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم)(٢). فيه إشارة إلى السبب الحامل على الخيانة غالباً؛ هو المال والأولاد، فأخبرهم أن أموالهم وأولادهم فتنة تصرفهم عن الأمانة والطاعة وأن ما يرجوه من مال أو ولد ليس بشئ بالنسبة إلى ما عند الله تعالى، إن الله تعالى عنده أجر عظيم لمن أطاعه واتقاه وحافظ على أمانته مع الله ورسوله ومع العباد.(٣)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى :

والصحيح أن الآية عامة، وإن صح أنها وردت فى سبب خاص، فالأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، عند الجماهير من العلماء، والخيانة تعم الذنوب الصغار والكبار اللازمة والمتعدية. وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (وتخونوا أماناتكم) الأمانة : الأعمال التى ائتمن اللهُ عليها العباد – يعنى الفريضة – يقول (لا تخونوا) أى : لا تنقضوها. وقال فى رواية (ولا تخونوا الله والرسول) يقول سنته وارتكاب معصيته (٤)

هداية الآيتين الكريمتين :

١- تحريم الخِيانة مُطْلَقاً وأسوأها ما كان خيانة لله والرسول.

٢- فى المال والأولاد فتنة قد تَحْمِل على خيانة الله ورسوله، فليحذرها المؤمن.

---

(١) لفظ الآية عام فى كل ذنب صغير أو كبير وما رُوِى أنها نزلت فى أبى لبابة حيث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى قريظة لينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشاروه فى ذلك فأشار عليهم بذلك وأشار بيده إلى حلقه أى : إنه الذبح، لا ينافيه.

(٢) وهذه الآية أيضا عامَّة وإن قيل : إنها نزلت فى أبى لُبابَة، إذ كان له مال وولد فى بنى قريظة، فلا يُتَّهَم لأجل ذلك.

(٣) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ص٥١٥

(٤) تفسير ابن كثير ج٢ ص١٠٠١

النداء الثامن والأربعون – قال تعالى :





﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا(١) وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩) ﴾

سورة الأنفال : ٢٩

الفُرْقان أبلغ من الفَرْق لأنه يستعمل فى الفَرْق بين الحق والباطل، وتقديره كتقدير رَجُلٌ قُنْعان، يُقْنَع به فى الحُكْم، وهو اسم لا مَصْدَر، فيما قيل، والفَرْق يُسْتَعْمَل فى ذلك وفى غيره، وقوله (يوم الفرقان) أى فى اليوم الذى يُفْرَقُ فيه بين الحق والباطل، والحُجَّة والشُّبْهَة، وقوله (يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) أى نورا وتوفيقا على قلوبكم يُفْرَق به بين الحق والباطل، فكان الفرقان هاهنا كالسكينة والرَّوْح فى غيره وقوله (وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان) قيل أريد به يوم بدر فإنه أول يوم فُرق فيه بين الحق والباطل، والفرقان كلام الله تعالى لِفَرْقِهِ بين الحق والباطل فى الاعتقاد والصدق والكذب فى المقال والصالح والطالح فى الأعمال وذلك فى القرآن والتوراة والإنجيل، قال تعالى (وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان – ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان – تبارك الذى نَزَّلَ الفرقان – شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان)(٢)

قال الشيخ عبد الرحمن السعدى رحمه الله تعالى :

امتثال العبد لتقوى ربه عنوان السعادة وعلامة الفلاح، وقد رَتَّبَ اللهُ على التقوى من خير الدنيا والآخرة شيئاً كثيرا، فذكر هنا أن مَن اتقى اللهَ حصل له أربعة أشياء، كل واحد منها خير من الدنيا وما فيها : الأول : الفرقان وهو العلم والهدى الذى يُفَرِّق به صاحبه بين الهُدَى والضَّلال، والحَق والباطِل، والحلال و الحَرام، وأهل السعادة والشقاوة، والثانى، والثالث : تكفير السيئات ومغفرة الذنوب، وكل واحد منها داخل فى الآخَر عند الإطلاق وعند الاجتماع يفسر تكفير السيئات بالذنوب الصغائر، ومغفرة الذنوب بتكفير الكبائر، الرابع : الأجر العظيم والثواب الجزيل لِمَن اتقاه وآثرَ رضاه على هوى نفسه (والله ذو الفضل العظيم)(٣)

---

(١) قال بعضهم واصفاً للتقوى المورثة للفرقان : هى امتثال الأوامر واجتناب المناهى، وترك الشبهات مخافة الوقوع فى المحرمات وشحن القلب بالنية الخالصة، والجوارح بالأعمال الصالحة، والتحفظ من شوائب الشرك الخفى والظاهر (أيسر التفاسير ج١ ص٥١٤)

(٢) المفردات فى غريب القرآن – الراغب الأصفهانى ص ٣٨٠

(٣) تفسير السعدى رحمه الله تعالى ص٣٢٨

النداء التاسع والأربعون – قال تعالى :



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا(١) اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ(٢) وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) ﴾

سورة الأنفال : ٤٥ ، ٤٦

(فاثبتوا) الثبات ضد الزوال، يقال ثَبَتَ يَثْبُتُ ثباتاً، قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا) وَرَجُلٌ ثَبْتٌ وَثَبِيتٌ فى الحرب، وأثْبَتَ السهم، ويقال ذلك للموجود بالبصر أو البصيرة، فيقال فلان ثابت عندى، ونُبُوَّة النبى ثابتة، والإثبات والتثبيت تارة يقال بالفعل، فيقال لِما يَخْرُج من العَدَم إلى الوجود، نحو أثبت الله كذا وتارة لِما يثبت بالحكم فيقال أثْبَتَ الحاكم على فلان كذا وثَبَّتَه، وتارة لِما يكون بالقول سواءٌ كان ذلك صدقاً أو كذبا، فيقال أثبت التوحيد وصدق النبوة، وفلان أثبت مع الله إلها آخَر، وقوله (لِيُثْبِتُوكَ أو يَقْتُلُوكَ) أى يُثَبِّطُوك ويُحَيِّرُوكَ، وقوله تعالى (يُثَبِّتُ اللهُ الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا) أى يقويهم بالحُجَج القوية (٣)

التَّنازُع والمُنازَعَة المُجاذَبَة، ويُعَبَّر بهما عن المُخاصَمَة والمُجادَلَة، قال تعالى (فإنْ تَنازَعْتُم فى شئ فَرُدُّوه إلى الله ورسوله – فتنازَعُوا أمرهم بينهم) والنَّزْع عن الشئ الكَفّ عنه ونَزَعَ الشئ جَذَبَه فى مَقَرِّه كَنَزْع القَوْس عن كَبِده، ويستعمل ذلك فى الأعراض، ومنه نزع العداوة والمحبة من القلب، قال تعالى (ونزعنا ما فى صدورهم من غِلّ)(٤)

قال الشيخ أبو بكر الجزائرى :

هذا النداء الكريم مُوَجَّه إلى المؤمنين، وقد أذِنَ اللهُ لهم فى قتال الكافرين، وبدأ بسَرِيَّة عبد الله بن جحش رضى الله عنه، وثَنَّى بهذه الغزوة؛ غزوة بَدْر الكبرى، فلذا هم فى حاجة إلى تعليم رَبَّانِىّ وهداية إلهيَّة يعرفون بموجبها كيف يخوضون المعارك وينتصرون فيها، وفى هذه الآيتين الكريمتين وما تلاها، تعليم عالٍ جداً لِخَوْض المعارك والانتصار فيها وهى :

١- الثبات فى وجه العَدُوّ والصُّمُود فى القتال حتى لكأنَّ المجاهدين جبل شامخ لا يتحرك و (فئة) أى جماعة مقاتِلة.

---

(١) الذكر المطلوب هو : ما كان باللسان والقلب معاً، وفى الآية دليل على أن ذكر الله تعالى لا يُتْرَك فى حال إلا فى حال التغوط، قال محمد القرطبى : لو رُخِّص لأحد فى ترك الذكر لرخص لزكريا عليه السلام إذ قال تعالى له (ألا تكلم الناس ثلاث أيام إلا رمزاً واذكر ربك كثيرا) ولرخص للرجل فى الحرب لقوله تعالى (إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا) وحكم هذا الذكر أن يكون خفيا إلا أن يكون فى بداية الجملة بصوت واحد، الله أكبر، فإن ذلك محمود لأنه يرعب العدو ويَفُتّ فى أعضاده.

(٢) المراد بالرِّيح هنا : القوة والنصر، كما يقال : الريح لفلان إذا كان غالباً فى أمره.

(٣) المفردات فى غريب القرآن – الراغب الأصفهانى ص ٨٤

(٤) المفردات فى غريب القرآن – الراغب الأصفهانى ص ٤٩٠



٢- ذِكْر الله تعالى تهليلاً وتكبيراً وتسبيحاً ودعاءً وضراعَةً وَوَعْداً وَوَعِيداً، ومعنى (تفلحون) أى تفوزون بالنصر فى الدنيا والجنة فى الآخِرَة بعد النجاة من الهزيمة والمَذَلَّة فى الدنيا، والنار والعذاب فى الآخرة.

٣- طاعة الله ورسوله فى أمرهما ونهيهما، ومنه طاعة قائد المعركة ومديرها، وهذا نوع من أكبر عوامل النصر حَسَب سُنَّة الله تعالى فى الكَوْن.

٤- عدم التنازع والخِلاف عند التدبير للمعركة وعند دخولها وأثناء خوضها.

٥- بيان نتائج التنازع والخلاف وأنها : الفشل الذَّريع، وذهاب القوة المُعَبَّر عنها بالرِّيح.

٦- الصبر على مواصلة القتال والإعداد له وتوطين النفس وإعدادها لذلك.

٧- الإخلاص فى القتال والخروج له لله تعالى، فلا ينبغى أن يكون لأى اعتبار سِوَى مَرْضاة الله تعالى (ولا تكونوا كالذين(١) خرجوا من ديارهم بَطَراً ورئاء الله ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط)(٢) فهذه عوامل النصر وشروط الجهاد فى سبيل الله تضمنتها تلك الآيات الكريمات(٣)

قال البغوى رحمه الله فى قوله (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) :

أى : لا تختلفوا (فتفشلوا) أى : تَجْبُنُوا وتَضْعُفُوا، (وتذهب ريحكم) قال مجاهد : نصرتكم. وقال السدى : جراءتكم وجدكم، وقال مقاتل : حِدَّتكم، وقال النَّضْر بن شُمَيْل : قوتكم، وقال الأخْفَش : دولتكم. والريح هاهنا كناية عن نفاذ الأمر وجريانه على المراد، تقول العرب : هَبَّت ريح فلان إذا أقبل أمره على ما يريد. قال قتادة وابن زيد : هو ريح النصر، لم يكن نصر قطّ إلا بريح يبعثها الله عز وجل تضرب وجوه العدو. ومنه قول النبى (نُصِرْتُ بالصَّبا وأُهْلِكَتْ عاد بالدَّبُور)(٤). وقوله عز وجل (واصبروا إن الله مع الصابرين) قال رسول الله (يا أيها الناس لا تَتَمَنُّوا لقاء العدو وسلوا الله َ العافية، فإذا لَقِيتُمُوهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف)(٥)

---

(١)هم أبو جهل وأصحابه الخارجون يوم بدر لنصرة العير حيث خرجوا بالقَيْنات والمغنيات والمَعازِف .

(٢) سورة الأنفال : ٤٧ **(٣) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ ص٥٢٢**

(٤) ، (٥) رواه والبخارى ومسلم رحمهما الله تعالى



النداء الخمسون – قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آَبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٣) قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ(١) وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤) ﴾ سورة التوبة : ٢٣ ، ٢٤

سورة التوبة مدنية وآياتها مائة وتسع وعشرون آية، وبها ست نداءات للمؤمنين.

أجمع القراء العَشَرة على حذف البسملة فى أولها، ويجوز لكل من العشرة بين الأنفال وبراءة ثلاثة أوجه : القَطْع، والسَّكْت، والوصل، وهذا إذا وصلها بالأنفال. أما إذا فَصَلَها عنها وابتدأ القراءة بها، فلا يجوز التَّعَوُّذ حينئذ، سواء وقف عليها أم وصلها بأول السورة (٢)

(اقترفتموها) أصل القَرْف والاقتراف قَشْر اللحاء عن الشجر والجلدة عن الجَرْح، وما يؤخذ منه قِرْف، واستعير الاقتراف للاكتساب حسناً كان أو سُوءاً، قال (سيجزون ما كانوا يقترفون – وليقترفوا ما هم مقترفون – وأموال اقترفتموها) والاقتراف فى الإساءة أكثر استعمالا، لذا يقال : الاعتراف يزيل الاقْتِراف، وقارَفَ فلانٌ أمراً إذا تعاطى ما يُعاب به (٣)

(فتربصوا) التَّرَبُّص الانتظار بالشئ سِلْعَة كانت يقصد بها غلاءً أو رخصاً، أو أمراً يُنْتَظَر زواله أو حصوله، يقال تَرَبَّصْتُ لكذا، ولِى رُبْصَة بكذا وتَرَبَّصَ، قال تعالى (والمطلقات يتربصن – قل تربصوا إنى معكم من المتربصين – قل هل تربصون بنا إلا إحْدَى الحُسْنَيَيْن ونحن نتربص بكم)(٤)

(أولياء) : جمع وَلِىّ، وهو مَن تتولاه بالمحبة والنصرة ويتولاك بمثل ذلك. (الظلم) : وضع الشئ فى غير مَوْضِعه، ومَن أحَبَّ مَن لا تجوز محبته فقد وضع شيئاً فى غير موضعه فهو ظالم (عشيرتكم) : أى قرابتكم من النَّسَب كالأعمام الأباعد وأبنائهم.

(كَسادها) بَوَارها وعدم رَوَاجها.

---

(١) (عَشِيرتكم) قرأ شعبة بألف بعد الراء على الجمع، والباقون بغير ألف على الإفراد، وفيه ترقيق الراء لورش.

(٢) البدور الزاهرة فى القراءات العشر المتواترة – عبد الفتاح القاضى ص ١٣١

(٣) المفردات فى غريب القرآن – الراغب الأصفهانى ص ٤٠٢

(٤) المفردات فى غريب القرآن – الراغب الأصفهانى ص ١٩٢



(حتى يأتى أمر الله) أى بعقوبة هذه المعصية يوم فتح مكة (١)

معنى الآيتين الكريمتين :

هذا إنذار الله تعالى للمؤمنين ينهاهم فيه عن اتخاذ مَن كَفَرَ مِن آبائهم وإخوانهم أولياء لهم يُوادُّونهم ويناصرونهم ويطلعونهم على أسرار المسلمين، وبواطن أمورهم، فيقول تعالى (يا أيها الذين آمنوا) أى بالله ورسوله ولقاء الله ووعده ووعيده (لا تتخذوا آباءكم(٢) وإخوانكم(٣) أولياء إن استحبوا(٤) الكفر على الإيمان) أى آثَرُوا الكُفْرَ والإصرارَ عليه على الإيمان بالله ورسوله، ويهددهم إن لم يمتثلوا أمره ويفاصِلُوا آباءهم وإخوانهم المستحبين للكفر على الإيمان فيقول (ومَن يتولَّهم منكم فأولئك م الظالِمون)(٥) وَوَجْه الظلم ظاهر، وهو أنهم وضعوا المحبة موضع البغضاء، والنصرة موضع الخذلان. لأن الظلم وضع الشئ فى غير موضعه.

ثم أمر تعالى رسوله أن يقول لهم، وفى هذا العدول عن خطابهم مباشرة إلى الواسطة ما يُشْعِر بالغضب وعدم الرضَى، والتهديد والوعيد (قل إنْ كان آباؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال ....) فتركتم الجهاد لذلك (فتربصوا حتى يأتى الله بأمره) أى انتظِرُوا أمر الله، وهو فتح مكة عليكم، وإنزال العقوبة بكم (والله لا يهدى القوم الفاسقين) أى لا يُوَفِّقُهُم لِسُبُلِ نَجاتهم وسعادتهم(٦)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى :

أمر تعالى بمباينة الكفار به، وإن كانوا آباء أو أبناء، ونهى عن موالاتهم (إن استحبوا) أى اختاروا الكفر على الإيمان، وتوعد على ذلك كقوله (لا تَجِدُ قَوْمًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادُّونَ مَن حادَّ اللهَ ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أوعشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار) الآية (المجادلة : ٢٢) ثم أمر تعالى رسوله أن يتوعد مَن آثَرَ أهله وعشيرته على الله ورسوله وجهاد فى سبيله تعالى (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ

---

(١) أيسر التفاسير – الجزائرى ج ١ص٥٤٢

(٢) هذه الآية ما تضمنته من حكم حرمة موالاة الكافرين ولو كانوا من أقرب الأقرباء وهو عامٌّ فى الأمة إلى يوم القيامة، وإن فُهِمَ منها بعضهم أنها للمؤمنين الذين كانوا بمكة وغيرها يدعوهم إلى الهجرة والتخلى عن بلاد الكفر.

(٣) لم يذكر الأبناء؛ لأن العادة أن الأبناء تَبَعٌ لأبائهم وذِكر الأباء والإخوان ذِكْر لأقوى القرابة.

(٤) اسْتَحَبُّوا : بمعنى أحَبُّوا، نحو : استجاب بمعنى : أجاب.

(٥) قال ابن عباس : مَن تولاهم هو مشرك مثلهم؛ لأن الرضا بالشرك شرك، ويُسْتَثنى من هذه المقاطعة الإحسان والهِبَة للأقارب الكَفَرَة ، لحديث أسماء إذ قالت : يارسول الله إن أمى قدمت علىَّ راغِبَة وهى مُشْرِكَة أفأصِلُها ؟ قال : (صِلِى أمَّكِ) رواه البخارى رحمه الله تعالى.

(٦) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ ص ٥٤٣



تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا) أى تحبونها لطِيبها وحسنها، أى إن كانت هذه الأشياء (أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا) أى فانتظروا ماذا يحل بكم من عقابه ونكاله بكم، ولهذا قال (حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين). وقد ثبت فى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (والذى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين). وروى الإمام أحمد وأبو داود – واللفظ له – من حديث أبى عبد الرحمن الخُراسانِىّ عن عطاء عن نافع عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله يقول (إذا تَبايَعْتُم بالعِينَة(١)، وأخذتم أذنابَ البقر، ورَضِيتُم بالزَّرْع، وتَرَكْتُم الجِهادَ، سَلَّط اللهُ عليكم ذُلاًّ، لا يَنْزِعه حتى تَرْجِعُوا إلى دينِكُم)(٢)(٣)

ما يستفاد من الآيتين الكريمتين :

١- حُرْمَةَ اتخاذ الكافرين أولياء يُوادُّون، ولو كانوا من أقرب الأقرباء كالأبِ، والابْنِ، والأخِ، والعَم

٢- مِن الظلم الفظيع موالاة مَن عادَى اللهَ ورسولَه والمؤمنين.

٣- فرضية محبة الله ورسوله والجهاد فى سبيله، ومحبة سائر مَحابّ الله تعالى وكره سائر مَكاره الله تعالى من العقائد والأقوال والأعمال والذَّوَات والصِّفاتِ.

٤- حرمان أهل الفسق المُتَوَغِّلِين فيه مِن هداية الله تعالى إلى ما يكملهم ويسعدهم (٤)

٥- أن هذا الحكم عامٌّ فى أمة الإسلام إلى يوم القيامة ولا التفات لسبب نزولها؛ لأن العِبْرَة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

---

(١) العِينَة : نوع من أنواع الربا.

(٢) رواه أحمد وأبو داود رحمهما الله تعالى – ص.ج رقم (٤٢٣)

(٣) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى ج١ ص ١٠٤٦

(٤) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ ص٥٤٣





النداء الحادى والخمسون – قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ(١) فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا(٢) وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً(٣) فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٨) ﴾

سورة التوبة : ٢٨

(نَجَس) النَّجاسَة القذارة وذلك ضربان : ضَرَبٌ يُدْرَكُ بالحَواس، وضرب يدرك بالبصيرة، والثانى وَصَفَ اللهُ تعالى به المشركين، فقال (إنما المشركون نجس)، ويقال نَجَّسَه أى جَعَلَه نَجِساً، ونَجَّسَه أيضا أزال نَجَسَه، ومنه تَنْجِيس العرب وهو شئ كانوا يفعلونه من تعليق عَوذَة على الصَّبِىّ ليدفعوا عنه نجاسة الشيطان، والنَّاجِس والنَّجِيس داءٌ خَبيث لا دواء له (٤)

عَيْل : (وإن خفتم عَيْلَة) أى فقراً، يقال : عالَ الرَّجُلُ إذا افتقر، يعيل عَيْلَة فهو عائِل، وأما أعالَ إذا كَثُر عِيالُه فَمِن بنات الواو، وقوله (ووجدك عائِلا فأغنَى) أى أزال عنك فقر النَّفْس، وجَعَلَ لك الغِنَى الأكبر المَعْنِىّ بقوله عليه الصلاة والسلام (الغِنَى غِنَى النَّفْس)، وقيل : ما عالَ مِن مُقْتَصِد، وقيل : ووجدك فقيرل إلى رحمة الله وعفوه فأغناك بمغفرته لك ما تَقَدَّمَ مِن ذنبك وما تَأخَّر(٥)

أمر الله تعالى فى هذا النداء المؤمنين بأن يَمْنَعُوا مِن دخول المسجد الحرام كُلَّ مُشْرِكٍ وَمُشْرِكَةٍ؛ لأن المشرك نَجِس الظَّاهِر والباطِن، فلا يَحِلّ دخولهم إلى المسجد الحرام وهو مكة والحرم حولها، ومِن يَوْمَئِذ لم يدخل مَكَّة مشرك. وقوله تعالى (وإن خِفْتُم عَيْلَة) أى فقرا لأجل انقطاع المشركين عن الموسم حيث كانوا يجلبون التجارة يبيعون ويشترون فيحصل النفع للمسلمين (فسوف يغنيكم الله من فضله) فامنعوا المشركين ولا تخافوا الفقر، وقوله تعالى (إن شاء إن الله عليم حكيم) استثناء منه تعالى حتى تبقى قلوب المؤمنين متعلقة به سبحانه وتعالى راجية خائفة غير مطمئنة غافلة، وكونه تعالى عليما حكيما يرشح المعنى المذكور، فإنَّ ذا العِلم والحكمة لا

---

(١) قيل وصف المشرك بالنجس؛ لأنه جُنُب لا يغتسل من جَنَابَة غُسْلاً شَرْعِياً، فهو لذلك نجس، وقيل الشرك هو الذى جعله نجسا، إذ لو أسلم زال عن الوصف. قال النبى صلى الله عليه وسلم (إن المؤمن لا يَنجُس (متفق عليه)

(٢) هو سنة تسع من الهجرة حين حج بالناس أبو بكر رضى الله عنه، وبعث النبىُ ابنَ عَمِّه عَلِيَّاً رضى الله عنه أن يؤذن يوم الحج الأكبر بـــ (براءة)، فنادى أن لا يَحُجَّ بعد العام مُشْرِك، ولا يَطُوف بالبيت عُرْيان. (تفسير السعدى رحمه الله تعالى)

(٣) قال الشاعر : وما يَدْرِى الفَقِيرُ مَتَى غِناهُ ...... وما يَدْرِى الغَنِىُّ مَتَى يَعِيلُ أى : يفتقر

(٤) المفردات فى غريب القرآن – الراغب الأصفهانى ص ٤٨٥

(٥) المفردات فى غريب القرآن – الراغب الأصفهانى ص ٣٥٧



يَضَع شيئا إلا فى مَوْضِعه؛ فلا بُدَّ لِمَن أرادَ رحمة الله أو فضل الله أن يجتهد أن يكون أهْلاً لذلك، بالإيمان والطاعة العامَّة والخاصَّة(١)

قال البغوى رحمه الله تعالى فى قوله تعالى (فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء ...) :

قال عِكْرِمَة : فأغناهم الله عز وجل بأن أنزل عليهم المطر مِدْرارا فكثر خيرهم. قال مقاتل : أسلم أهل جدة وصنعاء وجريش من اليمن، وجلبوا المِيرَة الكثيرة (الطعام) إلى مكة فكفاهم الله ما كانوا يخافون. وقال الضحاك وقتادة : عَوَّضَهُم اللهُ منها الجِزْيَة فأغناهم به(٢)

قال الشيخ عبد الرحمن السعدى رحمه الله تعالى :

(فسوف يغنيهم الله من فضله) فليس الرزق مَقْصُوراً على باب واحد، ومحل واحد؛ بل لا ينغلق باب إلا وفتح غيره أبواب كثيرة، فإن فضل الله واسع وَجُودَه عظيم، خصوصا لِمَن ترك شيئا لوجه الله الكريم، فإن الله أكرم الأكرمين، وقد أنجز وعده، قد أغنى المسلمين من فضله، وبسط لهم من الأرزاق ما كانوا به مِن أكبر الأغنياء والملوك (إن شاء) تعليق للإغناء بالمشيئة؛ لأن الغِنَى فى الدنيا ليس مِن لوازم الإيمان، ولا يدل على محبة الله، فلهذا عَلَّقَه الله بالمشيئة، فإن الله يعطى الدنيا مَن يحي ومن لا يحب، ولا يعطى الإيمان والدين إلا مَن يحب، (إن الله عليم حكيم) أى : عِلْمه واسع يعلم من يليق به الغِنَى ومن لا يليق، ويَضَع الأشياء فى مواضعها وينزلها منازلها، وتدل الآية الكريمة (فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) أن المشركين بعدما كانوا هم الملوك والرؤساء بالبيت ثم صار بعد الفتح الحكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع إقامتهم بالبيت ومكة المكرمة ثم نزلت الآية، أُمِرَ أن يُجْلُوا مِن الحِجاز فلا يبقى فيها دِينان، وكل هذا لأجل بُعْدِ كل كافر عن المسجد الحرام فيدخل فى قوله تعالى (فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا)(٣)

قال أبو عَمْرُو الأوْزاعِيّ : كتب عمرُ بن عبد العزيز؛ أن امنعوا اليهود والنصارى من دخول مساجد المسلمين، وأتْبَعَ نَهْيَه قول الله تعالى (إنما المشركون نجس). وقال عطاء : الحَرَم كله مسجد لقوله تعالى (فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) ودلت الآية الكريمة على نجاسة المشرك، كما ورد فى الصحيح (المُؤْمِن لا يَنْجُس)، وأما نجاسة بدنه، فالجمهور على أنه ليس بنجس البدن والذات؛ لأن الله تعالى أَحَلَّ طعامَ أهل الكِتاب، وذهب الظاهرية إلى نجاسة أبدانهم (٤)

---

(١) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ص٥٤٥

(٢) مختصر تفسير البغوى – عبد الله الزيد ص٣٧١

(٣) تفسير السعدى رحمه الله تعالى ص٣٤٤

(٤) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى ج١ص١٠٥١





فوائد من الآية الكريمة :

١- تقرير نجاسة الكافر المعنوية.

٢- مَنْع دخول المُشْرك الحَرَمَ المَكّىّ كائِناً مَن كان، بخلاف باقى المساجد، فقد يُؤْذَن للكافر لمصلحة أن يدخل بإذن المسلمين.

٣- لا يَمْنَع المؤمنَ مِن امتثال أمر ربه الخَوْفُ مِن الفاقة والفقر، فإن الله تعهد بالإغناء إن شاء.

٤- إعطاء الله ومنعه للعبد يخضع لعلم وحكمة الله تعالى.

٥- مشروعية الأخذ بالأسباب، إذ قال صلى الله عليه وسلم (اعْقِلها وَتَوَّكل)، قال بعضهم : الأسباب التى يطلب بها الرزق هى : الجهاد فى سبيل الله، وأكل الرَّجُل مِن عمل يده، والتجارة، والحرث، والغَرْس، والتعليم للعلوم بالأَجْرَة.(١)

---

(١) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ص٥٤٥



النداء الثانى والخمسون – قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥) ﴾

سورة التوبة : ٣٤ ، ٣٥

قال السُّدِّى : الأحبار من اليهود، والرُّهْبان من النصارَى. وهو كما قال، فإن الأحبار هم عُلماء اليهود كما قال تعالى (لولا ينهاهم الرَّبانيُّونَ والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السُّحْت) (المائدة : ٦٣)، والرَّهْبان : عُبَّاد النَّصَارَى، والقِسِّيسُون : عُلماؤهم، كما قال تعالى (ذلك بأن منهم قِسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون) (المائدة : ٨٣). والمقصود : التحذير من علماء السُّوء وعُبَّاد الضَّلال، كما قال سُفْيان بن عُيَيْنَة : مَن فَسَدَ مِن عُلمائنا كان فيه شبه مِن اليهود، ومَن فَسَدَ مِن عُبَّادِنا كان فيه شبه من النصارى. وفى الحديث الصحيح (لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَن كان قَبْلَكُم حَذْو القُذَّة بالقذة، قالوا : اليهود والنصارى ؟ قال (فمَن ؟) وفى رواية : فارس والرُّوم؟ قال (وَمَن الناس إلا هؤلاء)(١)

والحاصل : التحذير مِن التَّشَبُّه بهم فى أحوالهم وأقوالهم، ولهذا قال تعالى (لَيَأكلون أموالهم بالباطل) وذلك أنهم يأكلون الدنيا بالدِّين ومناصبهم ورياستهم فى الناس، يأكلون أموالهم بذلك، كما كان لأحبار اليهود على أهل الجاهلية شرف، ولهم عندهم خَرْج وهدايا وضرائب تَجِئ إليهم، فلما بعث الله رسول الله صلى الله عليه وسلم، اسْتَمَرُّوا على ضلالهم وكفرهم وعنادهم، طَمَعاً منهم أن تبقى لهم تلك الرياسات، فأطْفأها الله بِنُور النُّبُوَّة، وسلبهم إياها، وعَوَّضَهُم بالذِّلَّة والمَسْكَنَة، وباؤوا بغضب مِن الله.

وقوله تعالى (ويصدون عن سبيل الله) أى : وهم مع أكلهم الحرام يصدون الناس عن اتباع الحق ويلبسون الحق بالباطل، ويظهرون لِمَن اتَّبَعَهم مِن الجَهَلَة أنهم يدعون إلى الخير، وليسوا كما يزعمون؛ بل هم دُعاة إلى النار، ويوم القيامة لا يُنصَرُونَ.

وقوله تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) : هؤلاء هم القِسْم الثالث مِن رؤوس الناس، فإن الناس عالة على العلماء، وعلى العُبَّاد، وعلى أرباب الأموال، فإذا فَسَدَت أحوال هؤلاء فسدت أحوال الناس، كما قال بعضهم :

وهل أفْسَدَ الدِّينَ إلا المُلُوكُ   وأحْبار سُوء ورُهْبانُها ؟

---

(١) رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى.





وأما الكَنْز : فقال ابن عمر : هو المال الذى لا تُؤَدَّى منه زكاته. وقال أيضا : ما أُدِّى زكاته فَلَيْسَ بِكَنْز، وإن كانت تحت سَبْع أرضين، وما كان ظاهِراً لا تؤدى زكاته فهو كَنْز.

وَرَوَى البخارى عن خالد بن أسلم قال : خرجنا مع عبد الله بن عمر فقال : هذا قيل أن تنزل الزكاة، فلما نزلت جعلها الله طُهْرا للأموال. وكذا قال عمر بن عبد العزيز، وعِراك بن مالك : نسخها قوله تعالى (خُذْ مِن أموالهم صدقة) (التوبة : ١٠٣) . وروى الإمام أحمد عن ثوبان قال : لما نزل فى الفضة والذهب ما نزل قالوا : فأى المال نتخذ ؟ قال عمر : أنا أعلم ذلك لكم، فأوضع على بعير فأدركه، وأنا فى أثره، قال : يارسول الله، أى مال نتخذ : قال : (ليتخذ أحدكم قلباً شاكِراً، ولِساناً ذاكِراً، وزوجة تعين أحدكم فى أمر آخِرتِه) ورواه الترمذى، وابن ماجه، وقال الترمذى : حسن.

وقوله تعالى (يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ) أى : يقال لهم هذا الكلام تَبْكيتاً وتَقْرِيعاً وتَهَكُّماً، كما فى قوله تعالى (ثم صُبُّوا فوق رأسه من عذاب الحميم * ذُقْ إنك أنت العزيز الحكيم) (الدخان : ٤٨ ، ٤٩) أى : هذا بذاك، وهو الذى كنتم تكنزون لأنفسكم، ولهذا يقال : مَن أحَبَّ شيئا وَقَدَّمَه على طاعة الله، عُذِّبَ به. وهؤلاء لما كان جمع هذه الأموال آثر عندهم مِن رضا الله منهم، عُذِّبُوا بها، كما كان أبو لهب، لعنه اللهُ، جاهِداً فى عَدَاوَة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وامرأتُه تعينه فى ذلك ، كانت يوم القيامة عَوْناً على عذابه أيضا (فى جيدها) أى : عُنُقِها (حَبْل مِن مَسَد) (المسد : ٥) أى : تجمع من الحطب فى النار وتُلقِى عليه ليكون ذلك أبلغ فى عذابه ممن هو أشفق عليه فى الدنيا، كانت أضر الأشياء عليهم فى الدار الآخِرَة، فَيُحْمَى عليها فى نار جهنم، وناهيك بِحَرِّها، فَتُكْوَى بها جِباههم وجنوبهم وظهورهم. قال ابن مسعود : والله الذى لا إله غيره، لا يُكْوَى عَبْدٌ بِكَنْز، فيمس دِينارٌ ديناراً، ولا دِرْهَمٌ دِرْهَماً، ولكن يُوَسّع جلده، فيوضع كل دينار ودرهم على حِدَتِهِ.

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ما مِن رَجُلٍ لا يُؤدِّى زكاة ماله، إلا جُعِلَ له يوم القيامة صفائح مِن نار يُكْوَى بها جبهته وظهره، فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقْضَى بين الناس، ثم يُرَى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار) وذَكَر تمام الحديث

وروى البخارى ومسلم عن أبى ذر رضى الله عنه قال : كنا بالشام، فقرأت (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) فقال معاوية رضى الله عنه : ما هذه فينا، ما هذه الآية إلا فى أهل الكتاب. قال : قلتُ : إنها لَفِينا وفِيهم (١)

دلت الآية الكريمة على زكاة العَيْن : الذهب والفضة وهى تجب بأربعة شروط : الحرية، والإسلام، والحَوْل، والنِّصاب السليم مِن الدَّيْن، والنِّصاب مائتا درهم فِضَّة أو عِشْرُونَ ديناراً من الدَّهَب، و الدليل من السُّنَّة قوله صلى الله عليه وسلم (ليس فى مالٍ زكاة حتى يَحُول الحَوْل

---

(١) عمدة التفاسير من الحافظ ابن كثير - الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى ج٢ ص ١٦٢ ، ١٦٤





) وقوله (ليس فى أقل مِن مائتَى دِرْهَم زكاة، وليس فى أقل مِن عِشْرِينَ دِيناراً زكاة)(١)(٢)

فوائد من الآيتين الكريمتين :

١- بيان حقيقة علماء اليهود والنصارى، وهى أنهم مادِّيُّونَ باعوا آخرتهم بدنياهم يُحارِبُونَ الإسلام ويصدون عنه للمحافظة على الرئاسة وللأكل على حساب الإسلام.

٢- حرمة أكل اموال الناس بالباطل بجميع صوره.

٣- حرمة جمع المال وكنزه وعدم الإنفاق منه.

٤ المال الذى تؤدى زكانه كل حَوْل لا يقال له كَنْز، ولو دُفِنَ تحت الأرض.

٥- بيان عقوبة مَن يكنز المال ولا ينفق منه فى سبيل الله وهى عقوبة شديدة

---

(١) رواه البخارى رحمه الله تعالى

(٢) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ص٥٤٨



النداء الثالث والخمسون - قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآَخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨) إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) ﴾

سورة التوبة : ٣٨ ، ٣٩

أصل اثاقلتُم : تثاقلتُم فأدغمت التَّاء في الثَّاء لقرب مخرجهما، وزيدت همزة الوصل للتوصل إلى النطق بالساكن. ومثله ادَّاركوا، وادَّارَأْتُم، واطَّيرْنا، وازَّيَّنَت.

هذه الآيات نزلت في غزوة تَبُوك، فقد بلغ النبيَّ أن هِرَقْل مَلِك الرُّوم قد جمع جموعه لحرب الرسول فأعلن النبيُّ التعبئة العامة وكان الزمن صيفاً حاراً، وبالبلاد جَدْب ومَجاعَة وكان ذلك في شَوَّال سنة تسع، وسُمِّيَت هذه الغزوة بغزوة العُسْرة، فاسْتَحَثَّ الربُّ تبارك وتعالى المؤمنين ليخرجوا مع نبيهم لقتال أعدائه الذين عزموا على غزوه في عُقْر داره فأنزل الله (يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا ...) والقائل هو رسول الله : أي اخرجوا للجهاد لأجل رضاه سبحانه وما عنده من نعيم مقيم وقوله (ما لكم) أى شئ يجعلكم لا تنفرون ؟ وأنتم المؤمنون طلاب الكمال والإسعاد في الدارين وقوله (اثاقلتم) أي تباطأتم عند الخروج راضين ببقائكم في دوركم وبلادكم ثم قال (إلا تنفروا) أي إنْ تخليتم عن نصرته وتركتموه يخرج إلى قتال الروم وحده (يعذبكم عذاباً أليما ويستبدل (١) قوماً غيركم ..) وفى هذا الخبر وعيد شديد اهتزت له قلوب المؤمنين (٢)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى :

هذا شروع في عتاب مَن تَخَلَّفَ عن رسول الله في غزوة تبوك حين طابت الثِّمارُ والظِّلال في شِدَّة الحَرِّ وحرارة القيظ فقال تعالي (يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا ...) أي إذا دُعيتم إلي الجهاد في سبيل الله (اثاقلتم إلي الأرض) أي تَكاسَلْتُم ومِلتُم إلي المقام والدَّعَة والخفض وطيب الثمار (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) ؟ أي مالكم فعلتم هكذا رِضاً بالدنيا بَدَلاً من الآخرة، ثم زَهَّدَ تبارك وتعالى فى الدنيا ورَغَّب في الآخرة فقال (فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل)

كما قال رسول الله (والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدُكم إصْبَعَه هذه في اليَمِّ فَلْيَنْظُر بِمَ يَرْجِع)(٣) يعنى أشار بالسبابة.

---

(١) أي لا يقعدون عن استنفارهم للجهاد والخروج معه، وأنتم بتخلفكم لا تضرونه شيئا . وفى الآية دليل على حُرْمَة التثاقل عن الجهاد إذا كان مع كراهته، ولا حرمة مع عدم الكراهة إلا أن يعيّنه الإمام فيجب .

(٢) أيسر التفاسير – الجزائري ج١ ص ٥٥١ (٣) رواه مسلم رحمه الله تعالى



وقال عبد العزيز بن أبى حازم عن أبيه : لما حَضَرَتْ عبدَ العزيز بنَ مروان الوفاةُ قال :

(ائتوني بِكفني الذى أُكَفَّن فيه أنظر اليه، فلما وُضِعَ بين يديه نظر إليه فقال : أما لي من كبير ما أخلف من الدنيا إلا هذه ؟ ثم وَلَّي ظَهْرَه فَبَكَي، وهو يقول : إفٍ لكِ من دار إن كان كثيرك لقليل، وإن كان قليلك لقصير، وإن كنا منك لفي غرور) ثم تَوَعَّدَ تعالي من ترك الجهاد (إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً) قال ابن عباس : اسْتَنْفرَ رسولُ اللهِ حَيَّاً من العرب فتثاقلوا عنه فأمسك اللهُ عنهم القَطْرَ فكان عذابهم (ويستبدل قوماً غيركم) أي لنصرة نبيه وإقامة دينه كما قال تعالي (وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم)(١) (ولا تضروه شيئاً) أي : ولا تضروا اللهَ شيئاً بتوليكم عن الجهاد، ونُكُولكم وتثاقلكم عنه (والله على كل شئ قدير) أي قادر على الانتصار من الأعداء بدونكم (٢)

ثم قال تعالي (إلا تنصروه) أي تنصروا رسولَه فإن اللهَ ناصره ومؤيده وكافيه وحافظه كما تولي نصره (إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين) أي عام الهجرة كما هَمَّ المشركون بقتله، فخرج هو وصديقه وصاحبه أبو بكر فلجأ إلي غار (ثَوْر)(٣) ثلاثة أيام ليرجع الطلب الذين خرجوا في آثارهم ثم يسيروا نحو المدينة، فجعل أبو بكر رضي الله عنه يَجْزَع أن يطّلع عليهم أحد، فيخلُص إلي الرسول منهم أذي، فجعل النبي يُسكنه ويثبته ويقول (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما)(٤) ولهذا قال تعالي (فأنزل الله سكينته عليه) أي : تأييده ونصره عليه، أي على الرسول. وقيل علي أبي بكر(٥) لأن الرسول لم تـزلْ معه سكينة (وأيده بجنود لم تروها) أى : الملائكة (وجعل كلمة الذين كفروا السفلي وكلمة الله هي العليا) . قال ابن عباس : يعني بكلمة الذين كفروا الشرك، وكلمة الله هي (لا إله إلا الله)، وفي الصحيحين أن النبي صلي الله عليه وسلم قال : (مَن قاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هي العُليا فهو في سبيل الله) وقوله (والله عزيز) أي في انتقامه وانتصاره، مَنِيع الجَناب لا يُضام مَن لاذَ ببابه، واحْتَمَى بالتمسك بخطابه (حكيم) في أقواله وأفعاله، ثم أمرهم اللهُ بالنَّفِير العام مع رسول الله عام غزوة تبوك لقتال أعداء الله من الروم الكفرة من أهل الكتاب وحتّم على المؤمنين في الخروج معه علي كل حال في المَنْشَط والمَكْرَه والعُسْر واليُسر فقال (انفروا خِفافاً وثقالاً)(٦)

---

(١) سورة محمد : ٣٨

(٢) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى

(٣) غار ثور : كهف في الجبل المسمي ثوراً وهو جبل قريب من مكة (زبدة التفسير - الأشقر)

(٤) أخرجه الشيخان رحمهما الله تعالى عن أنس رضي الله عنه .

(٥) رُويَ عن ابن عباس وغيره أن الضمير يعود على أبي بكر لأن الرسول لم تزل معه سكينة . قال ابن كثير وهذا لا ينافي تجدد سكينة خاصة) والسكينة والسَكن واحد وهو زوال الرعب (المفردات في غريب القرآن – الراغب الأصفهانى)

(٦) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى



فصل في أخبار الغَزَوات والفُتُوحات الإسلامية ومواقف المسلمين من الصحابة والتابعين وحبهم للجهاد ومحبتهم لدينهم والنبي صلى الله عليه وسلم :

إن العلماء المنصفين والمؤرخين الصادعين بالصدق بدون تبديل ولا ميل عن سواء السبيل يشهدون للإسلام بأنه ما عُرِفَ فاتح أعَزّ ولا أقوى ولا أسرع سيراً من المسلمين حين دخل الإيمان قلوبهم، بل ولا أعْدَلَ ولا أرْحَمَ منهم، وأنهم لم يتوصلوا إلى ما تحصلوا عليه إلا بالإيمان بالله وحده وأن جميع الشعوب لم يَخْضَعُوا لهم ويَدينُون بدينهم ويتعلمون لغتهم إلا لَمَّا ظهر لهم مِن أنَّ دينهم هو دين الحق المُوصل إلى سعادة الدنيا والآخرة..

فهذا هو السبب الأعظم الموجب لدخول الناس من جميع الأمم في دين الله أفواجاً طائعين مختارين. وهذا أمر مشهور مشهود به يعرفه ويعترف به كل من عَرَفَ الإسلامَ وأهله وقد قال نابليُون أحد قادة النصاري (إنَّ العرب المسلمين قد فتحوا نصف الدنيا فى نصف قرن لا غير) وقال غوستاف لوبون وهو من أكبر فلاسفة الاجتماع والعمران والتاريخ من الإفرنج (إنه ما عرف التاريخ فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب المسلمين في فتوحاتهم)

وأما سرعة انتشار الإسلام في الأقطار فسببه هو أن القرآن قد فتح الكثير من الأمصار والأقطار بدون أن تصل إليها سيوف المهاجرين والأنصار، وذلك أن هؤلاء المغلوبين بعد أن دخلوا في الإسلام أخذوا يجوبون خلال الديار الغربية البعيدة للتجارة وللسياحة وينشرون الإسلام ومحاسنه ويقرأون القرآن، فسرعان ما انتشر دين الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها ودخل الناس فيه طائعين مختارين لأنه دين الحق القويم وهو المُعْجِزَة العُظْمَى للنبي، كما في البخاري أن النبي قال (ما مِن نَبِيّ إلا وقد أُوتِي من المعجزات ما آمن به البشر الكثير، وأن المعجزة التي أُوتِيتُها هو هذا القرآن وإنّي لأرجو أن أكون أكثرهم تَبَعاً أو قال تابعاً يوم القيامة)

مكث المسلمون ثلاثة أو أربعة قرون هم المسيطرون في الأرض لا يضاهيهم مضاهٍ، أَمَدَّهُم الله بالمال والبَنِين وجعلهم أكثر أهل الأرض نفيراً . وإنما ضعف المسلمون في هذه القرون الأخيرة وساءت حالتهم وانتقص الأعداء بعض بلدانهم بسبب ضعف عملهم بالإسلام وساء اعتقادهم فيه، وصار فيهم منافقون يدعون إلي نَبْذِه وإلي عدم التَّقَيُّد بِحُدُودِه وحُكْمِه، ويدعون إلي تحكيم القوانين بدله.

فَضَعْفُ المسلمين لم يكن من الدِّين؛ بل من أجل جهلهم بالدين أو من أجل الإعراض عنه، أو من أجل عدم إجراء أحكامه كما ينبغي، فلما ضعف علمهم بالقرآن ونَبَذُوا عَزائم الدِّين؛ ذهبت رِيحُهُم وضعف سلطانهم وانتقص الأعداء بعض بلدانهم ، وكلما قام ملك من ملوك الإسلام وأطاع أوامر الله فتح الله عليه من البلاد واسترجع من الأعداء بحسب ما فيه من ولاية الله ونكاية أعدائه (١)

---

(١) مجموعة رسائل الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود ج٢ ص ٧٠ ــ ٧٢



قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالي :

(كل من عَرف سِيَرَ الملوك والأمَم رأي أن كل من كان أنصر لدين الإسلام وأعظم جهاداً لأعدائه وأقوم بطاعة الله ورسوله، كان أعظم نصرة وطاعة وحرمة من عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وإلي هذا الزمان، وليعتبر المُعْتَبِر بِسِيرَةِ نُور الدِّين، وصلاح الدين، ثم العادِل، كيف مَكنّهم اللهُ، وفَتَحَ لهم البلادَ وأذلَّ لهم الأعداءَ، بما قاموا من الدين وليعتبر بسيرَة مَن وَالَي النَّصارَى وباع عليهم بلاد المسلمين كيف أذله اللهُ وكَبَّه وَسَلَبَه مُلْكَه) ١.هـ

وَصِيَّة عُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه إلي أمراء الجيوش :

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلي سعد بن أبي وقاص فقال : أما بعد، فإني آمُرُكَ بتقوى الله على كل حال، فإن تقوي الله أفضل العُدة علي العدو، وأقوي للمكيدة في الحرب، وآمُرُك ومَن مَعَك أن تكونوا أشد احْتِراساً من المعاصي مِنكم مِن عَدُوِّكم؛ فإن ذُنُوب الجيش جُند عليه، وهي أخوف منهم على عدوهم، وإنما يُنصَر المسلمون بمعصية عدوهم لربهم، ولولا ذلك لم تكن لنا قوة بهم؛ لأن عَدَدَنا ليس كَعَدَدِهم، وإنَّنا إنْ اسْتَوَيْنا نحن وإياهم في المعصية كان لهم الفَضْل علينا في القوة، وإنْ لم ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا، فاسْتَحْيُوا منهم ولا تعملوا بمعاصي اللهِ وأنتم في سبيل الله ... ولا تقولوا إنَّ عَدُوَّنا شَرٌّ مِنَّا فلن يُسلّط علينا، فَرُبَّ قومٍ قد سُلّطَ عليهم من هو شَرٌّ منهم، كما سلط على بني إسرائيل كَفَرَةُ المَجُوس، فجاسوا خِلال الدِّيار وكان وعداً مفعولاً) .. ١. هـ

وأقول ما أشد حاجة الجُند، وطلاب المدارس إلي الإلتِزام الصحيح بدين الله تعالى، ويجب على القائمين عليهم أن يُمَرِّنُوهم على أداء الفُروض، كتمرينهم لهم علي الفنون العسكرية.

وإنه من الواجب أن يصدر قانون عام مُلزِم للمُعلمين والمُتَعلمين وللجُنود بإلزامهم بأداء فرائضهم الدينية في أوقاتها، وأن تكون عنايتهم بها أشدن واهتمامهم بأمرها آكد . إذ الوعظ والإرشاد لا يكفي بدون وازع، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له .

إن المُعَلِّم أو الجندي الذى يفرط في الصلاة وفي سائر الواجبات، فإنه سيكون أشد تفريطاً في غيرها من سائر وظائف عمله، لكون المفرط في حقوق ربه جَدِير بأن يكون أشد تفريطاً في حقوق وطنه، والخائن لأمانة ربه وعمود دينه، جدير بأن يَخُون أمته وأهل وطنه والله أعلم (١)

بعض مواقف الصحابة رضي الله عنهم في الغزوات :

فى غزوة أُحُدٍ لما تَقارَب الجيشان طلع طلحةُ بن أبي طلحة العَبْدَرِيّ حامل لواء المشركين وأشجع فرسان قريش، ودعا إلي المبارزة وهو علي بعير، فتقدم إليه الزُّبَيْرُ بنُ العَوَّام ووثب وثبة الليث حتي صار معه علي جَمَلِه، ثم أخذه واقتحم به الأرض، وذبحه بسيفه فكبّر النبي وكبّر المسلمون.

---

(١) مجموعة رسائل الشيخ عبد الله بن زيد ص ٨٨ ، ٨٩



ولما أُشيع مقتل رسول الله في غزوة أحد وقد كان النبي في مُؤَخِّرَة المسلمين ومعه سَبْعَة من الأنصار واثنان من المهاجرين، ورأي النبيُ فرسانَ خالدِ بن الوليد تطلع مِن وَراء الجَبَل نادي أصحابه بأعلي صوت : إلَيَّ عباد الله، وسمع صوته المشركون فأسرعت مجموعة منهم نحو الصوت وهاجمت رسولَ الله هُجُوماً شديداً وحاولت القضاءَ عليه قبل أن يصل إليه المسلمون فقال صلي الله عليه وسلم : مَن يَرُدهم عنا وله الجنة ؟ فتقدم رَجُلٌ من الأنصار فدفعهم وقاتلهم حتى قُتِل ثم رَهَقُوه، فأعاد قوله فتقدم رجل آخر فدفعهم وقاتلهم حتى قُتِل، ثم الثالث، ثم الرابع، وهكذا حتي قُتِل السَّبْعَة، ولما سقط السابع لم يبق حَوْلَ رسول الله إلا القُرَشِيَّان طلحة بن عبد الله، وسعد بن أبي وَقَّاص فَرَكَّزَ المشركون حملتهم على رسول الله حتي أصابته حِجارة وقع لأجلها علي شِقِه وأصيبت رَباعيته اليُمْنَي السُّفْلي وَجُرِحَتْ شَفَتُه السُّفْلي وهُشِّمَت البَيْضَة علي رأسه، فَشُجَّتْ جَبْهَته ورأسه وضُربَ بالسيف على وَجْنَته فدخلت حلقتان من حِلَق المِغْفَر (١) وضُرِب أيضاً بالسيف علي عاتقه ضربة عنيفة اشتكي لأجلها أكثر من شهر، وقع كل هذا على رغم دفاع القُرَشيَيْن الدفاع المُسْتَمِيت، فقد رَمَي سعد بن أبي وقاص حتي نثل له رسول الله كِنانته وقال : ارمِ فِداكَ أبي وأمي، وقاتل طلحة وَحْدَهُ قتال مجموع مَنَ سَبَق حتي أصابه خَمْسَةٌ وثلاثون أو تِسْعَةٌ وثلاثون جُرحاً، وَوَقَي بيده النبيَ فأصيبت أصابعه حتي شُلّت ، وفي خلال هذه الساعة الحَرِجَة نزل جِبْريلُ وميكائيلُ عليهما السلام فقاتلا عنه أشد القتال، وَفَاءَ إليه عدد من المسلمين فدافعوا عنه أشد الدفاع، وكان أوَّلهم أبا بكر الصِّدِّيق ومعه أبو عُبَيْدَه بنُ الجَرَّاح، وتقدم أبو بكر لِيَنْزَعَ حَلَقَة المِغْفَر عن وَجْهِ رسول الله فألح عليه أبو عبيدة حتي نَزَعَها هُوَ فَسَقَطَتْ إحدي ثَنِيَتَيْه (٢) ثم نزع الحلقة الأخرى فسقطت الثنية الأخرى، ثم أقبلا على طلحة بن عبيد الله فعالّجاه وهو جريح.

وفى معركة مؤتة سنة ٨ هـ جمادي الأولي :

جهز النبي صلى الله عليه وسلم جيشاً قِوامه ثلاثة آلاف مقاتِل وأمّر عليهم زيدَ بن حارثة، وقال إنْ قُتِلَ زيدٌ فجعفر، وإنْ قتل جعفر فعبد الله بن رَواحَة، وعقد لواءً أبيض حَمَله زَيْدُ بن حارثة وشيع الجيش إلي ثنية الوداع ثم ودّعه وسار الجيش حتي نزل (معان) بجنوب الأردن فبلغهم أن هِرَقْل نازل بـ (مآب) في مائة ألف من الروم وانضم إليهم من مُتَنَصِّرَة العَرَب مائة ألف، فكانوا مائتي ألف فكتبوا إلي رسول الله يطلبون منه المَدَد فشجعهم ابنُ رواحة بأن الذي تكرهونه – وهى الشهادة – إنما خرجتم تطلبونه، ونحن ما نقاتل بعدد ولا قوة ولا كثرة، إنما نقاتل بهذا الدين الذي أكرمنا الله به وما هي إلا إحدى الحُسْنَيَيْن إما الظهور وإما الشهادة، فقال صَدَقَ واللهِ ابنُ رواحة فتقدموا ونزلوا بـ (مؤتة) وتعبئوا وتهيئوا للقتال، ودارت معركة عنيفة ورهيبة وعجيبة في تاريخ البشر : ثلاثة آلاف مقاتل يواجهون جيشاً عَرَمْرَماً – مائتي ألف ويصمدون في وجهه. فأخذ راية المسلمين زيد بن حارثة فقاتل وقاتل ثم قاتل وقاتل حتى شاط في رماح القوم وَخَرَّ شهيداً في سبيل ربه ثم أخذ الرَّايَة جَعْفَرُ بن أبي طالب فقاتل وقاتل حتى إذا أرهقه القتال اقتحم فرسه الشقراء وعقرها ثم قاتل حتى قطعت يمينه فأخذ الراية بشماله، فلم يَزَلْ

---

(١) المِغْفَر : زردٌ يُنسج على قدْر الرأس يلبس تحت القلنسوة (مختار الصحاح)

(٢) ثنيته : أسنانه .



رافعاً لها حتى قُطِعَت شِمالُه فاحتضنها بِعَضُدِيه حتى أبقاها تخفق في جو السماء، إلي أن قتل بعد أن أصابته بِضْعٌ وتسعون من طَعْنَة ورَمْيَة، وجاءت نَوْبَةُ عبد الله بن رواحة فأخذ الراية وتقدم، واقتحم عن فرسه المَعْمَعَة ثم لم يزل يقاتل حتى قُتِل، إلى أن أخذ الراية خالدُ بن الوَلِيد، وفتح اللهُ على يَدِهِ، وأخبر رسولُ اللهِ أصحابَه وهو بالمدينة فى نَفْسِ اليوم بمقتل القُوَّادِ الثلاثة وبانتقال القيادة إلى خالد بن الوليد وسماه سيفاً من سيوف الله . وكذلك كثير من المواقف التي تدل على حب الصحابة للجهاد والجنة والذَّب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإعلاء كلمة الله تعالى.

حَوْل الغزوات :

كانت كلمة الحرب تعنى في الجاهلية القتل والفَتْك والإحراق والتدمير والنَّهْب والسَّلْب وهِتْك الأعراض والإفساد في الأرض، وإهلاك الحرث والنسل دون رحمة ولا هَوَادة فلما جاء الإسلام غير هذا المعنى تغييراً تاماً، فجعل الحربَ سبيلاً لنصرة المظلومين وكَبْت الظالمين ووسيلة لبسط الأمن والسلام على الأرض، وذريعة لإقامة العدل وإنقاذ الضعفاء من بَراثِن الأقوياء ولإخراج العباد مِن عبادة العباد إلى عبادة الله ومِن جَور الأديان إلى عدل الإسلام.

ولم تكن مِن شِيمَة العرب أن يخضعوا لأحد، مهما طال القتال، ومَهْما غَلا الثمن فقد دام القتال بين بَكْر وتَغْلب في حرب البَسوس أربعين عاماً، وكانت ضحيتها حوالي سبعين ألف مقاتل ولم يخضع أحدهما للآخر، ودامت حروب الأوْس والخَزْرَج أكثر من مائة عام ولم يخضع أحدهما للآخر، فهذه هي شيمة العرب قبل الإسلام : مواصلة الحروب وعدم الخضوع للعدو.

ثم جاء النبي بالإسلام فواجهته العرب بنفس الأسلوب، وجروه إلى ساحة القتال ولكنه واجههم بأسلوب آخَر حكيم، حتى فتح قلوبَهم قبل أن يفتح بلادهم، وإذا قارنت حصائد غزواته ونتائجها بنتائج حروب الجاهلية ترى عَجَباً عُجَاباً، فمجموع مَن قُتِل في جميع غزواته وحروبه صلى الله عليه وسلم من المسلمين والمشركين واليهود والنصارى هم في حدود ألف قتيل فقط والمدة التي استغرقتها هذه الغزوات لا تزيد علي ثمانية أعوام، ولكنه في هذه الفترة القليلة، وبإهراق هذا القدر القليل من الدم أخضع الجزيرة العربية كلها تقريباً، وبسط الأمن والسلام في أقصى ربوعها وأرجائها أتري أن هذا يمكن بقوة السيف ؟ ولا سِيَّما بالنسبة لأولئك الذين كانوا يتفاوتون في الحروب لأمور تافهة ويُضَحُّونَ بالآلاف بعد الآلاف دون أن يتصور منهم الخضوع ؟

كلا بل إنها نبوة رحمة، ورسالة وحِكْمَة ودعوة ومعجزة وفضل من الله ونعمة (١)



(١) روضة الأنوار في سيرة النبي المختار - صفي الرحمن المباركفوري .



النداء الرابع والخمسون ـ قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩) ﴾ سورة التوبة : ١١٩

الصِّدْق والكَذِب أصلهما في القول، ماضياً كان أو مستقبلاً وَعداً كان أو غيره ولا يكونان بالقصد الأول إلا في القول، وقد يستعمل الصدق في كل ما يحق ويحصل في الاعتقاد نحو صَدَق ظني وكذب ويستعملان في أعمال الجوارح فيقال صَدَق في القتال إذا وَفّي حقّه وفعل ما يجب وكما يجب وكذب في القتال إذا كان بخلاف ذلك قال تعالى (رجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عليه) أي: حَقّقُوا العَهْد بما أظهروه من أفعالهم وقوله (لِيَسْئَلَ الصَّادقين عن صِدْقِهم) أي يسأل مَن صَدَقَ بلسانه عن صِدْق فِعْلِه تنبيهًا أنه لا يكفي الاعتراف بالحق دون تحريه بالفعل، وقوله تعالي (لقد صَدَق اللهُ رَسُولَه الرُّؤْيا بالحَقّ) فهذا صِدْق الفعل وهو التحقق أى حَقّق رؤيته وعلي ذلك قوله (والذي جاء بالصدق وصَدَّقَ به) أي حقق ما أورده قولاً بما تَحَرَّاه فِعلاً ويُعبر عن كل فعِل فاضل ظاهراً وباطناً بالصدق فيضاف إليه ذلك الفعل الذي يوصف به نحو قوله تعالى (في مَقعد صِدق عند مَلِيكٍ مُقْتَدِر) وعلي هذا (أنَّ لَهُم قَدَمَ صِدْقٍ عند رَبِّهم) وقوله (أدخِلْني مُدْخَل صِدْق وأخْرِجْني مَخْرَجَ صِدْق ـ واجعل لي لِسانَ صِدْق في الآخِرين) فإن ذلك سؤال أن يجعله اللهُ تعالي صالحاً بحيث إذا أثني عليه مَن بَعْده لم يكن ذلك الثناء كذباً (١)

إن من أهم وأبرز صفات المؤمن الصدق في عقيدته وقوله، وفعله قال تعالي (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) ومِن هنا فقد اتفق العلماء على إطلاق الصِّدّيقيَة على الذي تستوي سَريرته وعلانيته في صدق العمل، ولا شك أن من اتصف بذلك فهو الصِّدّيق الحقيقي وأول الصَدّيقين أبو بكر رضي الله عنه، وهو الذي صَدّق رسولَ الله وآزَرَه، والصِّدّيقية أيضاً طاعة الله وقول الخير والإمساك عن الشر عامة قال تعالى (ومن يُطع اللهَ والرسولَ فأولئك مع الذين أنعم اللهُ عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقاً)(٢) وقال في صفة الصديقين (والذين آمَنوا باللهِ وَرُسُلِه أولئك هم الصِّدِّيقُون والشُّهداء عند ربهم)(٣) .

ومَن تَحَرَّى الصِّدْق في أقواله وأفعاله صار سَجِيّة له، وهو ينتهي بصاحبه إلي الجنة والصَّدُوق مقبول الحديث عند الناس، ومقبول الشهادة عند الحكام، والكذوب بخلاف هذا كله، مما يدل على عظمة شأن الصدق وأهميته في حياة المسلم . وفي الصحيحين (إنَّ الصِّدقَ يَهْدِي إلي البِرِّ، وإن البر يهدي إلي الجَنَّة وإنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُق حتى يُكْتَبَ عند الله صدّيقاً، وإن الكَذِب يهدي إلي الفُجور وإنَّ الفُجُور يهدي إلي النار وإنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حتي يُكْتَبَ عند الله كذاباً)(٤)

---

(١) المفردات في غريب القرآن ـ الراغب الأصفهاني .

(٢) سورة النساء : ٦٩

(٣) سورة الحديد : ١٩

(٤) أصول المنهج الإسلامي ـ العبيد ص ٥٤٦



ويحسن هنا قبل ذكر تفسير قوله تعالي (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) أن نذكر الآية التي قبلها وهي قوله تعالي (وعلي الثلاثة الذين خُلِفوا حتى إذا ضاقتْ عليهم الأرْضُ بِما رَحُبَتْ وضاقتْ عليهم أنفسُهم وَظَنُّوا أنْ لا مَلْجأ مِن اللهِ إلا إليه ثم تاب عليهم لِيَتُوبُوا إنَّ اللهَ هو التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)(١)

هذه الآية نزلت في أحداث غزوة تبوك حينما تَخَلّفَ مَن تخلف عن الغزوة بغير عُذر من المنافقين وغيرهم، وكان مِمَّن تَخَلّفَ عن هذه الغزوة ثلاثةٌ من الصحابة رضي الله عنهم هم كَعْبُ بن مالِك، وهِلال بنُ أُمَيَّة الواقِفِى، ومُرارَة بنُ الرَبيع الأنصارى الأوْسِىّ .

و نذكر قصة توبة كعب بن مالك رضي الله عنه لما فيها من الفوائد والدروس والعِبَر الجَمّة.

روي الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه عن كعب بن مالك قال :

لم أتخلّف عن رسول الله في غزوة غزاها، إلا في غزوة تبوك غير أني كنت تخلّفتُ في غزوة بدر، ولم يُعاتِب أحداً تخلف عنها، إنما خرج رسولُ الله يريد عِير قريش (٢) حتي جمع الله بينهم وبين عدوهم مع غير ميعاد ولقد شهدتُ مع رسول الله ليلة العقبة حين تواثقنا (٣) على الاسلام، وما أحب أن لي بها (٤) مشهد بدر، وإن كان بدراً أذْكَر(٥) فى الناس منها . كان من خَبَري أني لم أكن قطُ أقوي ولا أيْسَر حين تخلفتُ عنه في تلك الغزوة . واللهِ ما اجتمعتْ عندي قبْلَه راحلتان قط، حتى جمعتُها في تلك الغزوة . ولم يكن رسول الله يريد غزوة إلا وَرّي (٦) بغيرها . حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله في حر شديد واستقبل سَفَراً بعيداً ومَفازاً (٧) وعدواً كثيراً، فجلي (٨) للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أُهْبَة غزوهم (٩) فأخبرهم بوجهه (١٠) الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله كثير ولا يجمعهم كتابٌ حافظ (يريد الدِّيوان)(١١)

---

(١) سورة التوبة : ١١٨

(٢) عير قريش : العير هي الإبل التي للمِيرة (الطعام)

(٣) تواثقنا : أي تعاهدنا وتعاقدنا .

(٤) أن لي بها : أي بدلها

(٥) أذْكر : أي أعظم ذِكراً في تلك الغزاة أي في غزوة تبوك .

(٦) وَرّي : أي أوْهَمَ غيرها . والتورية أن تذكر لفظاً يحتمل معنيين .

(٧) مفازاً : فلاة (صحراء) لا ماء فيها ، يخاف فيها الهلاك .

(٨) فجلي : أي كشف وبين وأوضح .

(٩) أي ليستعدوا بما يحتاجون إليه في سفرهم ذلك .

(١٠) بوجهه : أي بمقصده .

(١١) الديوان هو مجتمع الصُحُف، أو الدفتر الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء .





قال كعب : فما رجل يريد أن يتغيّب إلا ظن أنـه سيخفي لـه، ما لم ينزل فيه وحىُ الله، وَغَزا رسولُ الله تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، وتجهز رسول الله صلي الله عليه وسلم والمسلمون معه، فَطَفِقتُ أغدو لكي أتجهز معهم . فأرجعُ ولم أقض شيئاً فأقول في نفسي : أنا قادرٌ عليه . فلم يزل يَتَمادَي بى، حتى اشتد بالناس الجِدّ (١) فأصبح رسول الله صلي الله عليه وسلم والمسلمون معه . ولم أقض من جهازي شيئاً . فقلت : أتجهز بعده بيوم أو يومين، ثم ألحقهم، فغدوتُ بعد أن فَصلَوا، لأتجهز، فرجعت ولم أقض شيئاً ثم غدوت ثم رجعتُ ولم أقض شيئاً، فلم يزل بى حتى أسرعوا، وتَفارَط العدو (٢) وَهَمَمْتُ أن أرْتَحِل فأدركهم وليتني فَعلت فلم يُقدر لي ذلك . فكنتُ إذا خرجتُ في الناس، بعد خروج رسول الله صلي الله عليه وسلم فَطُفتُ فيهم أحزنني أني لا أري إلا رَجُلاً مَغْمُوصاً (٣) عليه النفاق أو رَجُلاً ممن عذر اللهُ مِن الضُّعفاء ولم يَذْكُرْنِي رسولُ الله حتى بلغ تبوكَ، فقال، وهو جالس في القوم بتبوك : (ما فعل كعب ؟) فقال رجل من بَنِي سَلَمَة : يا رسول الله : حبسه بُرْدَاه ونظرُه في عِطفه (٤) فقال مُعادُ بنُ جَبَل : بئس ما قُلتَ واللهِ يا رسول الله ما عًلمنا إلا خيراً ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال كعب بن مالك : فلما بلغني أنه توجه قافلاً حضرني همي، وطفقتُ (٥) أتذكّر الكذب، وأقول : بماذا أخرج من سخطه غداً ؟ واستعنتُ علي ذلك لكل ذي رأي من أهلي . فلما قيل إن رسول الله قد أظلّ (٦) قادماً زاح (٧) عني الباطل، وَعَرفتُ أني لن أخرج منه أبداً بشئ فيه كذب، فأجمعتُ صِدقه (٨). وأصبح رسول الله قادماً وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس. فلما فعل ذلك جاءه المخلفون(٩)، فطفقوا يعتذرون إليه، ويحلفون له، وكانوا بضعةً وثمانين رَجُلاً ، فقبل منهم رسولُ الله علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم، ووكّل سرائرهم إلي الله . فجئته . فَلما سلمتُ عليه تبسّم تبسُم المغضَب . ثم قال (تعال) فجئتُ أمشي، حتى جلست بين يديه . فقال لي : (ما خلفك) (١٠) ؟ ألم تكن قد ابتعتَ (١١) ظهرك (١٢) . فقلت : بلي إني والله : لو جلستُ عند غيرك من أهل الدنيا لرأيتُ أن سأخرج من سخطه

---

(١) الجِد : الجهد في الشئ والمبالغة فيه .

(٢) تفارط العدو : أي تقدم الغزاة وسبقوا وفاتوا .

(٣) مغموصاً عليه النفاق : أي يظن به النفاق ويتهم به .

(٤) ونظره في عِطفه : أي جانبه كناية عن كونه مُعْجَباً بنفسه، ذا زهو وتكبر، أو لباسه أو كني عن حُسْنِه وبهجته

(٥) وطفقتُ : أي أخذت . **(٦) أظلّ قادماً : أي دنا قدومه .**

(٧) زاح : أي زال .

(٨) فأجمعتُ صِدقه : أي جَزَمْتُ به وعقدتُ عليه قصدي . يقال أجمع أمره وعلي أمره وعزم عليه.

(٩) المُخَلّفون : الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم عن غزوة تبوك .

(١٠) ما خلّفك : ما أخرك عن الغزو . **(١١) ابتعت : اشتريت**

(١٢) ظهرك : أي ركابك والركاب المَطي جمع مَطيّة.



بعُذر. ولقد أُعطيتُ جَدَلاً (١) ولكنني والله لقد علمتُ لئن حدثتُكَ اليوم حديث كذبٍ، ترضي به عني ليُوشِكَنَّ اللهُ أن يُسْخِطَكَ عَلَيّ، ولئن حدثتك حديث صِدق تجد عليّ فيه (٢). إني لأرجو فيه عفو الله، لا . والله ما كان لي من عذر. والله ما كنت قط أقوي، ولا أيسر مني، حين تخلفت عنك، فقال رسول الله (أَمَّا هذا فقد صَدَقَ . فقم حتي يقضي الله فيك) فقمتُ، وثار رَجُلٌ مِن بَنِي سَلِمَة ، فاتبعوني فقالوا لي : والله ما عَلِمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلي رسول الله بما اعتذر إليه المتخلفون، قد كان كافِيكَ ذنبك استغفار رسول الله لك . فوالله ما زالوا يؤنبوني (٣) حتي أردت أن أرجع فأكذّب نفسي، ثم قلتُ لهم : هل لقي هذا معي أحد ؟ قالوا : نعم رجلان، قالا مثل ما قُلتَ، فقيل لهما مثل ما قيل لك . فقلتُ : مَن هما ؟ قالوا : مُرارة بن الربيع، وهلال بن أُمَيَّة الواقفي . فذَكَرُوا لي رَجُلَيْن صالِحَيْن، قد شَهِدا بَدْراً، فيهما أُسْوَة فمضيتُ حين ذكروهما لي، ونَهي رسول الله المسلمين عن كلامنا، أيها الثلاثة (٤) من بين من تخلف عنه . فاجْتنبَنا الناسُ، وتغيروا لنا حتي تَنَكَّرَتْ في نفسي الأرض(٥) فما هي التى أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة . فأما صاحباي . فاستكانا (٦) وقعدا في بيوتهما، يبكيان وأما أنا فكنتُ أشَبّ القوم وأجلدهم فكنتُ أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين . وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وآتِي رسولَ الله فأسَلِم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة . فأقول في نفسي : هل حَرّك شفتيه برَدِّ السلام عليّ أم لا ؟ ثم أُصَلّي قريباً منه، فأسارِقُه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليّ، وإذا التفتُ نحوه أعرض عني، حتي إذا طال عليّ ذلك من جفوة الناس (٧) مشيتُ حتي تسوّرتُ (٨) جدار حائط أبى قتادة وهو ابن عمى وأحب الناس إلى، فَسَلَّمْتُ عليه، فوالله ما رد عليّ السلام (٩) فقلت : يا أبا قتادة أَنْشِدُكَ (١٠) بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله ؟ فسكت . فعُدْتُ له . فنشدته فقال : الله ورسوله أعلم (١١) ففاضت عيناي وتوليتُ حتي تسوَّرتُ الجدار.

---

(١) أعطيت جدلاً : أي فصَاحة وقوةً في الكلام وبَراعة بحيث أخرج عن عُهْدَة ما ينسب إلىَّ بما لا يقبل.

(٢) تَجِد عليّ فيه : أي تغضب عليّ .

(٣) يلومونني لوماً عنيفاً.

(٤) بها الثلاثة بالرفع أي خصوصاً الثلاثة.

(٥) معناه تغيّر عليّ كل شئ حتى الأرض فإنها توحشت علىَّ وصارت كأنها أرض لم أعرفها لتوحشها عليّ وهذا يجده الحزين والمهموم .

(٦) أي خضعا . **(٧) أي إعراضهم.**

(٨) تسَوَرت : أي علوته وصعدت سُوره وهو أعلاه .

(٩) ما رد عليّ السلام : لعموم النهي عن كلامهم .

(١٠) أنشدك : أى أسألك الله . وأصله من النشيد وهو الصوت .

(١١) فقال الله ورسوله أعلم : ليس ذلك تكليما لكعب لأنه لم ينوبه ذلك لأنه منهي عنه بل أظهر اعتقاده فلو حلف لا يكلم زيداً فسأله عن شئ فقال الله أعلم ولم يرد جوابه ولا إسماعه ، يحنث .





قال: فبينما أنا أمشي بسوق المدينة، إذ نَبطي من أنباط أهل الشام (١) ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك ؟ فطفق الناس يشيرون له، حتي إذا جاءني، دفع إلىَّ كتاباً من ملك غسان (٢) فإذا فيه : أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مَضيْعَة (٣) فَالحَقْ بنا نُواسكْ (٤)

فقلت لما قرأتها : وهذا أيضاً من البلاء . فتيممت (٥) بها التَّنُور (٦) فَسَجّرتُه (٧) بها، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين، إذا رسول الله يأتيني فقال : إن رسول الله يأمرك أن تعتزل امرأتك . فقلتُ : أُطلقها ؟ أم ماذا أفعل ؟ قال : لا . بل اعتزلها ولا تَقْرَبها . وأرسل إلي صاحِبَيّ مثل ذلك . فقلت لامرأتي : الحقي بأهلك، فكوني عندهم حتي يقضي اللهُ في هذا الأمر .

قال كعب : فجاءت امرأةُ هلالِ بن أمية رسولَ الله فقالت : يا رسول الله إن هلال بن أمَية شيخ ضائع، ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه ؟ قال : لا ولكن لا يَقرْبك قالت : إنه والله ما به حركة إلي شئ . والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلي يومه هذا.

فقال لي بعض أهلي : لو استأذنتَ رسولَ الله في امرأتك (٨) كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه فقلتُ : والله لا أستأذنُ فيها رسول الله وما يدريني ما يقول رسولُ الله إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب ؟ فلبثت بعد ذلك عشر ليالٍ ، حتي كملتْ لنا خمسون ليلة . من حين نهي رسول الله عن كلامنا ، فلما صليت الفجر، صُبح خمسين ليلة، وأنا علي ظهر بيت من بيوتنا . فبينما أنا جالس علي الحال التي ذكر الله، قد ضاقت عليّ نفسي وضاقت عليّ الأرض بما رَحُبتْ . سمعت صوت صارخ، أوْفي (٩) علي جبل سلْع (١٠) بأعلي صوته : يا كعب بن مالك أبشِرْ (١١) . قال فَخَرَرْتُ ساجِداً، وعرفتُ أنْ قد جاء فرجٌ، وآذَنَ (١٢) رسولُ الله بتوبة الله علينا حين صلي صلاة الفجر .

---

(١) نَبطي : النبط، والانباط، والنبيط، وهم فلاحو العَجَم .

(٢) ملك غسّان : هو جبله بن الأيهم .

(٣) أي في موضع وحال يضاع فيه حقك.

(٤) أي نشاركك فيما عندنا . **(٥) أي قصدتُ.**

(٦) التنور : ما يخبز فيه .

(٧) فسجرته : أي أوقدته وأنَّثَ الكتاب علي معني الصحيفة.

(٨) أي لتخدمك. **(٩) أشرف . أو صعده وارتفع عليه.**

(١٠) سلْع : جبل بالمدينة معروف . **(١١) أبْشِر : سُرّ أو افرح .**

(١٢) آذَنَ : أعلَمَ



فذهب الناس يبشروننا، وذَهَبَ قِبَل (١) صاحِبَىّ مُبَشِّرُونَ، وركض إليّ رَجلٌ فرساً (٢)، وسعي ساعٍ من أسلم فأوفي على الجبل وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعتُ صوتَه يبشرني نزعتُ له ثوبي، فكسوتُهُ إياهما ببشراه . واللهِ ما أملكُ غيرهما يومئذ واستعرتُ ثوبين، فلبستهما وانطلقتُ إلي رسول الله فيتلقاني الناس فَوْجاً فوجاً . يُهَنّوني بالتوبة : يقولون لِتَهنِكَ توبةُ الله عليك.

قال كعب : حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله جالس حول الناس . فقام إليّ طلحة بن عبد الله يُهرول (٣) وهَنّاني . والله ما قام إليّ رجلُ من المهاجرين غيره . ولا أنساها لطلحة .

قال كعب : فلما سَلّمتُ علي رسول الله قال رسول الله وهو يبرق وَجْهَه من السرور : (أَبْشِر بخير يوم مر عليك منذ ولدتْكَ أمُك) قال : قلتُ أمِن عِنْدِكَ يا رسولَ الله ؟ أَمْ مِنْ عِنْدِ الله ؟ قال : لا (بل من عند الله) وكان رسول الله، إذا سُرّ استنار وجهه، حتي كأنه قطعة قمر . وكنا نعرف ذلك منه . فلما جلستُ بين يديه ، قلت يا رسول الله، إن من توبتي أن أنْخَلِعَ مِن مالي (٤) صدقة إلي الله وإلي رسول الله . قال رسول الله (أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك) قلت فإني أمْسِك سَهْمي الذي بخيبر . فقلتُ : يا رسول الله : إن الله إنما نجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أُحَدّثَ إلا صدقاً ما بَقِيتُ فَوَ اللهِ ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث، منذ ذكرت ذلك لرسول الله، أحسن مما أبلاني ما تعمدتُ، منذ ذكرت ذلك لرسول الله إلي يومي هذا كذباً . وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيتُ. وأنزل الله علي رسوله (لقد تاب اللهُ علي النبي والمهاجرين (٥) إلي قوله وكونوا مع الصادقين (٦) فو الله ما أنعم علىَّ من نِعمة قط . بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله أن لا أكونُ كَذبتُه (٧) فأهلكَ كما هَلَك الذين كذبوا . فإن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي . شَرّ ما قال لأحدٍ، فقال تبارك وتعالى : (سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم) (٨) إلي قوله (فإن الله لا يرضي عن القوم الفاسقين (٩))

---

(١) قِبَل : جهة **(٢) ركض إلي رجل فرساً : أي استحثه للعَدْو**

(٣) يهرول : أي يسير بين المشي والعَدْو .

(٤) أي أخرج من جميع مالي

(٥) أي تجاوز عنه إذنه للمنافقين في التخلف ، كقوله (عفا الله عنك لِمَ أذِنتَ لهم)

(٦) وكونوا مع الصادقين : في إيمانهم دون المنافقين، أو مع الذين لم يتخلفوا .

(٧) قال الإمام النووي : (قال العلماء : لفظة " لا " في قوله (أن لا أكون) زائدة ومعناه أن أكون كذبتُه . كقوله تعالي (ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك) .

(٨) أي إذا رجعتم إليهم من الغزو .

(٩) أي فإن رضاكم وحدكم لا ينفعهم ، إذا كان الله ساخطاً عليهم ، وكانوا عرضة لعاجل عُقوبته وآجلها .

قال كعب : وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبِلَ منهم رسول الله حين حلَفوا له (١) ، فبايعهم واستغفرَ لهم وأرْجأ (٢) رسول الله أمرنا، حتي قضي الله فيه .

فبذلك قال الله : (وعلي الثلاثة الذين خُلِفوا) وليس الذي ذكر اللهُ مما خُلّفْنَا عن الغزو إنما هو تخليفه إيانا، وإرجاؤه أمرنا . عمّن خلَف له، واعتذر إليه فقبِلَ منه (٣)

فوائـد من الحديث الشَّريف :

١- بيان فضل أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم.

٢- بيان فضل غزوة العُسرة علي غيرها من الغزوات (وهي غزوة تبوك)

٣- بيان ثبات الصحابة رضي الله عنهم في حال الشدة والفتن.

٤- بيان فضل كعب بن مالك وصاحبيه في صبرهم وصدقهم ولجوئهم إلي الله تعالي حتي فَرَّج عليهم وتاب عليهم وكان مثالاً للصدق.

٥- وجوب التَّقوي والصدق والثبات في الأقوال والأفعال .

٦- قال جابر رضي الله عنه : اجتمع عليهم عُسْرة الظهر أي (المركوب) وعسرة الزَّاد وعُسرة الماء (٤)

٧- خوف الصحابة من النفاق لِمَا علموا ماله مِن سُوء عاقبة وأنه يستوجب سخط الله.

٨- فضيلة معاذ بن جبل حين ذَبَّ عن غيبة أخيه كعب بن مالك وأحسن الظن فيه وقال : والله يا رسول الله ما علمنا إلا خيراً.

٩- فضيلة الصدق الذي هو مَنْجاة فالصِّدْق مُنْجي وإنْ خفته والكذب مُردِي وإنْ أمِنْتَه.

١٠- استحباب البدء بصلاة ركعتين في المسجد عقب القدوم من سفر .

١١- قبول كلام الناس علي علانيتهم وتوكيل سرائرهم إلي الله .

١٢- عدم علم رسول الله بالغيب إلا ما أطلعه الله عليه.

---

(١) أي تخلفهم كان لعذر .

(٢) أي أخَرَّ : قال الحافظ في الفتح (وحاصله أن كعباً فَسَّر قوله تعالي (وعلي الثلاثة الذين خلفوا ..) أي أخِرّوا حتي تاب الله عليهم، لا أن المراد أنهم خُلِفوا عن الغزو) وإرجاؤه أي تأخيره .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المَغازي باب حديث كعب بن مالك وقوله الله عز وجل (وعلي الثلاثة الذي خُلِفوا ....) .

(٤) أيسر التفاسير - الجزائري ج١ ص ٥٨٦ .



١٣- حسن خُلُق النبي وحسن معاتبته للصحابة والتثبيت مما يقال له ولنا فيه أسوة حسنة.

١٤- محبة الصحابة للنبي وتوقيرهم له والحزن علي غضبه وسخطه.

١٥- مَن أرْضَي الناسَ بِسَخَط اللهِ سَخِطَ اللهُ عليه وأسْخَطَ عليه الناس ومَن أسخطَ الناسَ برضا الله رَضيَ الله عنه وأرضي عنه الناس.

١٦- حُسن ظن الصحابة رضي الله عنهم بالله عز وجل وأنه لا يُضيِّعُ أولياءه.

١٧- جواز الحَلِف للتأكيد دون طلبه.

١٨- فِراسة النبي صلي الله عليه وسلم في عِلمه بصدق كعب لما قال (أمَّا هذا فقد صدق)

١٩- جواز طُرُوء الهَمِّ بالسوء علي الصالحين.

٢٠- فضيلة استغفار رسول الله صلي الله عليه وسلم ودعائه.

٢١- فضيلة من شِهِدَ بدراً.

٢٢- جواز التعزيز بمقاطعة الحديث وعدم رد السلام وهجر العاصي والإعراض عنه حتي يتوب.

٢٣- جواز سؤال الغير عن استقامتك مع الله.

٢٤- حرص الكفار علي التحريش ووقوع الفتن بين المسلمين وتصَيّد مواطن الضعف والكبوات

٢٥- محبة الصحابة للنبي وطاعتهم له.

٢٦- مشروعية السُّجُود لِمَنْ بُشّرَ بنعمة أو خَبَر سار.

٢٧- مشروعية العاريَّة وهي إباحة الانتفاع بعَيْن من أعيان المال بلا عِوَض وهي مستحبة.

٢٨- جواز التهنئة لمن حَدثَ له نِعْمة وخير كقولك " لِتَهْنِكَ ... أو لِيهْنِكَ ...) كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب لما سأله عن أعظم آية في القرآن (ليهنك العلمُ أبا المنذر)

٢٩- حفظ الجميل والمعروف وعدم جحوده ونكرانه كما قال كعب بن مالك على طلحة بن عُبيد الله وهنأني ... ولا أنساها لطلحة.

٣٠- استحباب التصدق ببعض المال عند حدوث النعمة.

٣١- نسبة الفضل في النِّعَم لله وحده إذ قال كعب : " إن الله إنما نَجاني بالصدق "

٣٢- من تمام وإحسان التوبة العزم على عدم العودة للذنب بعد الندم والإقلاع عنه.

٣٣- البلاء قد يكون في الخير والشر كما قال تعالى (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) ولكن إذا أُطلق كان للشر غالباً فإن أُريد به الخير قُيدّ كما قيده هنا كعب في قوله (أحسن مما أبلاني : أي أنعم عليه) .

٣٤- الكَذِب هَلَكَة، فإن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شرّ ما قال لأحد وسَمَّاهُم فاسقين.

٣٥- معنى (وعلى الثلاثة الذين خُلِفوا) أي تخليف الله وإرجاؤه أمر الثلاثة عمن حَلَف له واعتذر إليه فقبل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣٦- علامة الخير وزوال الشدة إذا تعلق القلب بالله تعلقاً تاماً وانقطع عن المخلوقين .

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى (يا أيها الذين آمَنوا اتقوا الله وكُونوا مع الصادقين) أي : يا أيها الذين آمنوا بالله وبما أمر الله بالإيمان به قوموا بما يقتضيه الإيمان وهو القيام بتقوى الله باجتناب ما نهى الله عنه والبعد عنه (وكونوا مع الصادقين) في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم الذين أقوالهم صدق وأعمالهم وأحوالهم لا تكون إلا صِدْقاً خالياً من الكسل والفتور سالِمَة من المقاصِد السيئة مُشْتَمِلَة على الإخلاص والنية الصالحة فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة قال تعالى (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) الآية (١) .

---

(١) تفسير السعدي رحمه الله تعالى .



النداء الخامس والخمسون ـ قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٢٣) ﴾ سورة التوبة : ١٢٣

يَلُونَكم : أي يَلُون بلادكم وحدودها .

غِلظَة : قوة بأس وشدة مِراس ليرهبوكم وينهزموا أمامكم .

المُتَّقِين : هم الذين اتَّقوا الشركَ والمعاصي والخروج عن السُّنَن الإلهية في النصر والهزيمة.

قال الشيخ أبو بكر الجزائري :

لَمَّا طُهِّرَتْ الجزيرة من الشرك وأصبحت دار إسلام وهذا في أُخْرَيَات حياة الرسول وذلك بعد غزوة تبوك أمر الله تعالى المؤمنين بأن يواصلوا الجهاد في سبيله بعد وفاة نبيه وأرشدهم إلى الطريقة التي يجب أن يتبعوها في ذلك وهي : أن يبدأوا بدعوة وقتال أقرب كافر منهم والمراد به الكافر المتاخِم لحدودهم كالأردن، أو الشام، أو العراق، مثلاً فيعسكروا على مَقرُبَة منهم ويدعونهم إلى خصلة من ثلاث : الدخول في دين الإسلام أو قبول حماية المسلمين لهم بدخول البلاد وضرب الجزية على القادرين منهم مقابل حمايتهم وتعليمهم وحكمهم بالعدل والرحمة الإسلامية أو القتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم فإذا ضُمَّت أرض هذا العدو إلى بلادهم وأصبحت لهم حدود أخرى فعلوا كما فعلوا أولاً وهكذا حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فتسعد البشرية في دنياها وآخرتها . وتوجيه الخطاب للذين آمنوا دون النبي فيه إيماءً إلى أن النبي لا يغزو لله بعد ذلك وأن أجَلَهُ الشريف قد اقترب، وفعلاً فإنه صلى الله عليه وسلم ما غزا بعد تبوك وإنما حَجَّ حجة الوداع وبعدها بواحد وثمانين يوماً استأثر اللهُ تعالى بروحه الطاهرة الشريفة .

وكلمة (غِلظة) الكسر لغة الحجاز، والضُم (غُلظة) لغة بني تميم والمراد الجرأة على القتال والصبر عليه مع العنف والشدة في القتل والقصد من هذا إلقاء الرعب في قلوب الكافرين حتى يَخْشَوا قتال المسلمين . وفي قوله (واعلموا أن الله مع المتقين) افتتاح الجملة بـ (اعلموا) للاهتمام بما يراد العلم به وفي الجملة تسلية للمؤمنين بعد فقد نبيهم، وأن الله معهم بالنصر والتأييد فاتقوه بلزوم طاعته وطاعة رسوله في أمرهما ونهيهما في السلم والحرب (١)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى :

أمر الله تعالى المؤمنين أن يقاتلوا الكفار الأقرب فالأقرب إلى حَوْزَة الإسلام ولهذا بدأ رسول الله بقتال المشركين في جزيرة العرب، فلما فرغ منهم وفتح مكة والمدينة والطائف وغير ذلك من أقاليم جزيرة العرب ودخل الناس من سائر أحياء العرب في دين الله أفواجاً شرع في قتال أهل

---

(١) أيسر التفاسير ـ الجزائرى ج ١ ص ٥٨٨

الكتاب، فتجهزوا لغزو الروم لأنهم أهل كتاب، فبلغ تَبُوكَ ثم رجع لأجل جهد الناس وجدب البلاد، وضيق الحال، وذلك سنة تسع من هجرته عليه الصلاة والسلام، ثم اشتغل في السنة العاشرة بحجة الوداع ثم عاجلته المَنِيَّة صلوات الله وسلامه عليه بعد حجته بأحد وثمانين يوماً فاختاره الله لما عنده، وقام بالأمر بعده وَزِيرُه وخَلِيفتُه أبو بكر الصديق، فأدى عن الرسول ما حمله، ثم شرع في تجهيز الجيوش الإسلامية إلى الروم عَبَدَة الصُّلبان، وإلى الفرس عبدة النيران، ففتح الله ببركة سفارته البلاد، وأرغم أنف كسرى وقيصر ومن أطاعهما من العباد، وأنفق كنوزهما في سبيل الله، كما أخبر بذلك رسول الله، وكان من تمام الأمر على يدي وَصيّهُ من بعده، وَوَلِيُّ عَهدِهِ الفاروق عمر بن الخطاب فأرْغَمَ اللهُ به أنوف الكَفَرة المُلحِدِين واستولى على المَمالك شَرْقاً وَغَرْباً، ثم لما مات أجمع الصحابة من المهاجرين والأنصار على خلافة عثمان بن عفان شهيد الدار، فكَسا الإسلامَ حُلَةً سابغة وأحدث في سائر الأقاليم على رقاب العباد حجة الله البالغة فظهر الإسلامُ في مشارق الأرض ومغاربها وعَلَت كلمة الله وظهر دينه، وبلغت الملة الحنيفية من أعداء الله غاية مآربها، وكلما عَلَوْا أمة انتقلوا إلى مَن بعدهم ثم الذين يَلُونَهم من العُتاة الفجار امتثالاً لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ...)

وقوله تعالى (وَلْيَجِدُوا فيكم غِلْظَة) أي وَلْيَجِد الكفار منكم غلظة في قتالكم لهم، فإن المؤمن الكامل هو الذي يكون رفيقاً بأخيه المؤمن، وغليظاً على عدوه الكافر كقوله تعالى (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) وقوله (أشداء على الكفار رحماء بينهم) وقال تعالى (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم)

وقوله (واعلموا أن الله مع المتقين) أي قاتلوا الكفار وتوكلوا على الله واعلموا أن الله معكم إذا اتقيتموه وأطعتموه ، وهكذا الأمر لما كانت القرون الثلاثة الذين هم خير هذه الأمة في غاية الاستقامة والقيام بطاعة الله لم يزالوا ظاهرين على عدوهم، ولم تزل الفتوحات كثيرة، ثم لما وقعت الفتن والأهواء والاختلافات بين الملوك طمع الأعداء في البلاد ثم لم يزالوا حتي اسْتَحْوَذُوا علي كثير من بلاد الإسلام (١) ولله الأمر من قبل ومن بعد (٢)

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالي - الصابونى ج٢ص ١٧٩ .

(٢) قلتُ : اذا كان ابن كثير رحمه الله تعالى المُتَوَفَّي سنة ٧٧٤ هـ أي منذ أكثر مِن ستة قُرون يقول هذا الكلام في زمانه فماذا نقول نحن الآن ؟ فالله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله .



النداء السادس والخمسون ـ قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) ﴾

سورة الحج : ٧٧

سورة الحج مدنية وآياتها ثمان وسبعون آية، وفُضِّلت سورة الحج بسجدتين : هذه الآية والآية رقم (١٨) وهي قوله تعالي (ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض ....)

الرُّكُوع : الانْحِناء، فتارة يستعمل في الهيئة المخصوصة في الصلاة كما هي، وتارة في التواضع والتذلل إما في العبادة وإما في غيرها (١) .

السُّجود : أصله التَّطامُن والتذلل ، وجُعِلَ ذلك عبارةً عن التذلل لله وعبادته وهو عام في الإنسان والحيوانات والجمادات وذلك ضربان سجود باختيار وليس ذلك إلا للإنسان وبه تستحق الثواب نحو قوله (فاسجدوا لله واعبدوا) أى تذللوا له، وسجود تسخير وهو للإنسان والحيوان والنبات وعلي ذلك قوله (ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً – وظلالهم بالغدو والآصال) وقوله (يَتَفَيَّؤ ظِلالُه عن اليَمِين والشَّمائل سُجَّداً لله) فهذا سجود تسخير وهو الدلالة الصامتة الناطقة المُنَبِّهه علي كونها مخلوقة وأنها خَلَقُ فاعل حكيم .

وقوله (وللهِ يَسْجُدُ ما في السَّمواتِ وما في الأرْض من دابَّة والملائكة وهم لا يَسْتَكْبِرُون)

ينطوي علي النوعين من السجود والتسخير والاختيار وقوله (والنجم والشجر يسجدان) فذلك علي سبيل التسخير وقوله (اسجدوا لآدم) قيل أمَروا بأن يتخذوه قِبلة وقيل أمِروا بالتذلل له والقيام بمصالحه ومصالح أولاده فائتمروا إلا إبليس وقوله (وادخلوا الباب سُجداً) أي متذللين منقادين . وخُصَّ السجود في الشريعة بالركن المعروف من الصلاة وما يجرى مجري ذلك من سجود القرآن وسجود الشكر ، وقد يُعَبَّر به عن الصلاة بقوله تعالي (وأدبار السجود) أي أدبار الصلاة . (والمسجد) موضع الصلاة اعتباراً بالسجود . وقيل المساجد : مواضع السجود الجَبْهَة والأنْف واليَدَان والرُّكْبَتان والرِّجْلان (٢) .

وفي الصحيحين عن أبي ذر قال : قال لي رسول الله صلي الله عليه وسلم (أتدري أين تذهب هذه الشمس ؟) قلت : الله ورسوله أعلم . قال (فإنها تذهب فتسجد تحت العرش ، ثم تستأمر فيوشك أن يقال لها ارْجِعي من حيث شِئتِ)

وقد نهي النبي صلي الله عليه وسلم عن قراءة القرآن في الركوع والسجود.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كشف رسول الله الستارة والناس صفوف خَلْف أبي بكر فقال : (أيها الناس، إنه لم يبقَ مِن مُبَشِّرات النُّبُوَّة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلمُ أو تُرَى له،

---

(١) المفردات فى غريب القرآن – الراغب الأصفهانى ص ٢٠٨

(٢) المفردات فى غريب القرآن - الراغب الاأصفهانى ص ٢٣٠





ألا وإني نُهيتُ أن أقرأ القرآن راكِعاً أوساجِداً، فأما الركوع فَعَظّمُوا فيه الرَّبّ، وأما السجود فاجتْهدوا في الدعاء فَقَمِنٌ (١) أن يُسْتَجابَ لَكُم (٢))

فَضْلُ السُجـودِ :

عن مَعْدان بن أبي طلحة اليَعمري قال : لقيت ثوبان مولي رسول الله فقلتُ : أخبرني بعمل أعمله يُدخلني الله به الجنة أو قال : قلتُ : بأحب الأعمال إلي الله فسكت، ثم سألتُه فسكت ثم سألتُه الثالثة فقال : سألتُ عن ذلك رسولَ الله فقال : (عليك بكثرة السجود لله، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك اللهُ بها درجةً، وحَطَّ عنك بها خطيئة) – قال معدان : ثم لقيتُ أبا الدَّرْداء فسألتُه، فقال لي مثل ما قال ثوبان (٣) .

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء)(٤) .

الركوع والسجود ركنان في الصلاة :

وكان النبي صلي الله عليه وسلم في الركوع يضع يديه علي ركبتيه فيمكنهما من ركبتيه ويُفَرِّج بين أصابعه ويجافي مِرْفَقَيْه عن جَنبيه ويجعل رأسه حِيَال ظهره، ويمد ظهره ثم يقول : " سبحان ربي العظيم " وربما مَكَث قدر ما يقول القائل " عشر مرات " وأدني الكمال " ثلاث مرات " وتمام الكمال عَشر . وربما يمكث فوق ذلك ودونه وربما قال " سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي " وربما قال " سُبُّوح قُدُّوس رَبُّ الملائكة والروح " وربما قال غير ذلك مما ورد وكان ركوعه مناسباً لقيامه في التطويل والتخفيف. وهذا بيّن في سائر الأحاديث .

وكان يسجد علي جبهته وأنفه ويديه وركبتيه وأطراف قدميه، ويستقبل بأصابع يديه ورجليه القبلة ويرفع مرفقيه ، ويجافي عضديه عن جنبيه حتي يبدو بياضُ إبطَيْه، ويرفع بطنه عن فَخِذَيْهِ، وفخذيه عن ساقيه، ويعتدل في سجوده، ويُمَكّن وجْهَه من الأرض غير ساجد علي كور العمامة، وكان يقول في سجوده " سبحان ربي الأعلي " ويكثر الدعاء فيه وكان يجعل سجوده مناسباً لقيامه (٥) .

قال الشيخ أبو بكر الجزائري في تفسير الآية :

أَمَرَهُم اللهُ بإقامة الصلاة (واعبدوا ربكم) أي أطيعوه فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه مُعَظّمين له غاية التعظيم خاشعين له غاية الخشوع (وافعلوا الخير) من كل ما انتَدَبَكُم اللهُ إليه ورَغَّبَكُم فيه مِن أنواع البِرِّ وضُرُوب العبادات (لعلكم تفلحون) أي لتتأهلوا بذلك للفلاح الذي هو الفوز بالجنة بعد النجاة من النار . وخصَّ الركوع والسجود من بين أركان الصلاة لأنهما أشرف أجزائها وأدَلّ علي خضوع العبد لربه وذلته له وأمرهم أيضاً بأمرٍ مُهم وهو جهاد الكفار حتي

---

(١) فقمِنٌ : خليق وجدير .

(٢) رواه مسلم رحمه الله تعالى – كتاب الصلاة – باب : النهي عن القراءة في الركوع والسجود .

(٣) رواه مسلم رحمه الله تعالى – كتاب الصلاة . باب فضل السجود والترغيب والإكثار منه .

(٤) رواه مسلم رحمه الله تعالى – كتاب الصلاة . باب الدعاء في السجود .

(٥) أصول المنهج الإسلامي - العبيد ص ١٩١



لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ومعني حق جهاده أي كما ينبغي الجهاد من اسْتِفْرَاغ الجهد والطاقة كلها نفساً ومالاً، وقوله (وما جعل عليكم في الدِّين من حَرَج) هذه مِنَّة ذَكَّرَ اللهُ بها المؤمنين حتى يشكروا الله بفعل ما أمرهم به أي لم يُضَيِّق عليكم فيما أمركم به؛ بل وَسَّعَ فجعل التوبة لكل ذنب، وجعل الكفارة لبعض الذنوب، ورخصَّ للمسافر والمريض في قصر الصلاة، والإفطار في رمضان، ومَن لم يَجِد الماءَ أو عَجَزَ عن استعماله في التيمم (١)

فَوائِد السُّجُود :

ذكر السجود في القرآن حوالي ٩٢ مرة في حوالي ٣٢ سورة، منها مواضع يستحب فيها السجود أثناء التلاوة . فإن الإنسان يومياً يتعرض إلي شحنات كهرومَغناطيسية من البيئة المحيطة به وهذه الشحنة تتسلط علي الجهاز العصبي المركزي وخاصة المنطقة الأمامية من الدماغ، ولذلك يجب التخلص من هذه الشحنات وإلا الناتج يكون آلاماً وتشنجات في الرقبة وبعض عضلات الجسم، ولهذا يلجأ كثير من الناس لأخذ المهدئات والعقاقير والأدوية لتقليل الضغط علي الدماغ وأحياناً يصل الحال إلي أننا نحتاج أطباء علم النفس والأعصاب .

إن الطريقة المُثْلي للتخلص من هذه الشحنات وتأثيراتها هو أن نضع رأسنا وخاصة الجَبْهَة علي الأرض لتفريغ الشحنات وبهذا نحصل علي الراحة النفسية، والسجود علي الأعضاء السبعة له تأثير كبير علي مفاصل العمود الفقري، وعلي عملية حركة الدم ورجوعه إلي القلب من جميع مناطق الجسم، وكذلك فإن عملية السجود تساعد علي علاج البواسير، والسجود كذلك يسهل خروج الإفرازات من الجيوب الأنفية والوجهية، وأثناء التسليمتين حيثما ندير رقبتنا يميناً ويساراً فإننا نكون عالجنا التشنج العضلي في الرقبة والكتفين وبدوره يساعد علي علاج صداع الرأس التشنجي، علاوة علي فائدة خضوع العبد لله تعالي وطاعته في السجود لوجهه العظيم رهبة ورغبة فيما عنده من جزاء (٢)

---

(١) أيسر التفاسير - الجزائرى ج ٢ ص ٩٦٥

(٢) الفوائد المختارة - عبدالله سليمان العتيقي





النداء السابع والخمسون ـ قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ(١) الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١) ﴾

سورة النور : ٢١

بَيْنَ يَدَيّ السُّورَة الكريمة :

سورة النور مدنية بالإجماع وآياتها ٦٤ آية .

اشتملت هذه السورة الكريمة على أحكام عامة تتعلق بالأسرة، التي هي النُّواة للمجتمع الأكبر، ووضَّحت الآداب الاجتماعية التي يجب أن يتمسك بها المؤمنون من : الاستئذان عند الدخول وغَضّ البصر وحفظ الفروج وحرمة الاختلاط، وذكر ما ينبغي أن تكون عليه الأسرة المسلمة من العفاف والسِّتْر، والطهارة والنزاهة صيانة للأسرة وحِفاظاً عليها من عوامل التفكك والانهيار الخُلُقي.

وقد ذُكِرَت في هذه السورة بعض الحدود الشرعية كَحَدِّ الزِّنى، وَحَدّ القذف، وأحكام اللعان وكل هذه الحدود إنما شُرعتْ تطهيراً للمجتمع من الفساد والفوضي، والتحلل الخُلقي وحفظاً للأمة من عوامل التردي في بؤرة الإباحية، والفجور، والدّعارة والمُجون التى تُسبب ضياع الأنساب وذهاب العِرض والشرف . وقد عالجت هذه السورة ناحية من أخطر النواحي هي (ناحية الأسرة) وما يحفُّها من مخاطر وبخاصة في أمر العِرض والشرف ، وما يستتبع ذلك من إشاعة الفاحشة بين الناس واتهام البريئِينَ إلي غير ذلك مما هنالك من علاج للأمراض الاجتماعية، والمفاسد الخُلُقية، التي تكتنف الأسرة والمجتمع، عدا ما فيها من آداب سامية وحِكَمٍ عالية، وإشارات دقيقة، إلي أسس الحياة الفاضلة وآدابها السامية، وما يَجب أن يكون عليه بيوت المؤمنين من النزاهة والعِفَّة والاستقامة والطُّهْر.

قال القرطبي رحمه الله تعالى :

مقصود هذه السورة ذكر أحكام العفاف والستر، وكتب عمرُ رضي الله عنه إلي أهل الكوفة : عَلّموا نساءكم سورة النور، وقالت عائشة : لا تُنزلوا النساءَ الغُرَف ، وعَلّمُوهُن سورة النور.

ووجه تسمية سورة النور بهذا الاسم لما فيها من إشعاعات النور، بتشريع الأحكام والآداب الإسلامية العامة التي تحافظ علي الأنساب والأعراض، وكل هذا من نور الله الذي نَوَّر الكائنات، بإنزال الوحي علي الأنبياء والمرسلين . قال تعالي في هذه السورة : (اللهُ نُورُ السَّموات والأرض مَثَلُ نُوره كَمِشْكَاةٍ فيها مِصْباحٌ المِصْباحُ في زُجاجَة الزُّجاجَةُ كأنَّها كَوْكَبٌ دُرِّي ..) فالله جَلَّ ثناؤه هو الذي أفاض علي الوجود من فَيض جُوده وأنار قلوب عباده المؤمنين بكتابه المبين الذي هو النور والضياء (وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً)(٢)

---

(١) خُطُوات : قرأها ورش عن نافع وغيره بإسكان الطاء (خُطْوات) (البدور الزاهرة ص ٢٢٠)

(٢) روائع البيان ـ محمد علي الصابوني ـ ج ٢ ص ٥ ، ٦





(الشَّيْطان) النون فيه أصلية وهو مِن شَطَنَ أي تباعد ومنه بئر شَطُون وشَطَنتْ الدار وغُربة شطون . وقيل النون فيه زائدة من شاط يَشِيط احترق غضباً، فالشيطان مخلوق من النار كما دل عليه (وخَلَق الجانَّ مِن مارجٍ من نار) ولكونه من ذلك اختصَّ بفرط القوة الغَضَبية والحَمِيَّه الذميمة وامتنع من السجود لآدم . قال أبو عُبيدة : الشيطان اسم لكل عارم من الجن والإنس والحيوانات وقال (شياطين الإنس والجن) وقال (وإذا خَلَوْا إلي شياطينهم) أي أصحابهم من الجن والإنس) وسُميّ كل خُلُق ذميم للإنسان شيطاناً(١) .

(الفَحْشَاء) : الفُحْش، والفَحْشاء، والفاحِشَة، ما عَظُم قبحه من الأفعال والأقوال، قال (إن الله لا يأمر بالفحشاء ـ وينهي عن الفحشاء والمنكر والبَغْي ـ إنما حرم ربي الفواحش ـ إلا أن يأتين بفاحشة مُبينة) كناية عن الزِّنَى، وفَحُشَ فلان صار فاحشاً والمُتَفَحِّش الذي يأتي بالفُحش (٢)

(المُنْكَر) : الإنكار ضد العِرْفان، والمنكر كل فعل تَحْكُم العقولُ الصَّحِيحَة بِقُبْحه، أو تتوقف في استقباحه واستحسانه العقول فتحكم بقبحه الشريعة وإلي ذلك قصد بقوله (والآمِرُون بالمعروف والنَّاهُون عن المنكر ـ كانوا لا يَتَنَاهَوْنَ عن مُنْكرٍ فَعَلُوه)(٣) .

قال الشيخ أبو بكر الجزائري في تفسير الآية :

أي : يا مَن صدَّقتم اللهَ ورسوله لا تتبعوا (٤) خطوات الشيطان فانه عدوكم فكيف تمشون وراءه وتتبعونه فيما يُزين لكم من قبيح المعاصي وسَيئ الأقوال والأعمال فإن من يتبع خطوات الشيطان لا يلبث أن يصبح شيطاناً يأمر بالفحشاء والمنكر، ففاصلوا هذا العدو، واتركوا الجَرْيَ وراءه فإنه لا يأمر بخير قط، فاحذروا وَساوِسَه وقاوموا نَزَغاتِه بالاستعاذة بالله السميع العليم فإنه لا ينجيكم منه إلا هو سبحانه وتعالي، وقوله (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زَكَى منكم من أَحَدٍ أبداً) وهذه مِنَّة أخرى وهي أنه لولا فضل (٥) الله علي المؤمنين ورحمته بحفظهم ودفع الشيطان عنهم ما كان ليطهر أحداً، وذلك لضعفهم واستعدادهم الفطري للاستجابة لعدوهم، فعلي الذين شعروا بكمالهم؛ لأنهم نَجَوا مما وقع فيه عصبة الإفك من الإثم أن يستغفروا لإخوانهم وأن يقللوا من لومهم وعتابهم، فإنه لولا فضله عليهم ورحمته بهم لوقعوا فيما وقع فيه إخوانهم . فليحمدوا الله الذي نجاهم وليتطامنوا (٦) تواضعاً لله وشكراً له وقوله (ولكنَّ اللهَ يُزَكِّي من يشاء والله سميع عليم) أي : فمن شاء الله تزكيته زكاه وعليه فَلْيُلجَأ إليه وليطلب التزكية منه، وهو تعالى يزكي من كان أهلاً للتزكية، ومن لا فلا، لأنه السميع لأقوال عباده والعليم بأعمالهم ونياتهم وأحوالهم وهي حال تقتضي التضرع إليه والتذلل (٧)

---

(١) المفردات في غريب القرآن ـ الراغب الأصفهاني ص ٢٦٤ .

(٢) المفردات في غريب القرآن ـ الراغب الأصفهاني ص ٣٧٦

(٣) نفس المصدر السابق ص ٥٠٧

(٤) في الآية إشارة أفصح من عبارة وهي : أن الظنون السيئة وحب الفاحشة وحب إشاعتها بين المؤمنين كل هذا من وساوس الشيطان وتزيينه للناس للفتنة والإفساد .

(٥) لولا هنا : حرف امتناع لوجود، امتنع عدم التزكية لوجود فضل الله تعالي ورحمته، والجملة سيقت للامتنان علي المؤمنين ليشكروا .

(٦) تَطَأمَنَ : سكن أو انخفض ويقال تطامن (المعجم الوجيز)

(٧) أيسر التفاسير – الجزائرى ج١ ص ٩٩٦



وفي الآية الكريمة فوائد منها :

١- حرمة اتّباع الشيطان فيما يزينه من الباطل والسوء والفحشاء والمنكر .

٢- متابعة الشيطان والجري وراءه في كل ما يدعوا إليه يؤدي بالعبد أن يصبح شيطاناً يأمر بالفحشاء والمنكر .

٣ - علي من حفظهم الله من الوقوع في السوء أن يتطامنوا ولا يشعروا بالكِبر فإن عصمتهم من الله تعالي لا من أنفسهم (أيسر التفاسير – الجزائرى) .

وقد حذَّر الله تعالي في آيات كثيرة من اتباع هذا الشيطان اللعين الذي يدعو إلي الكفر وإلي كل مفسدة وضلال وبدعة، ولما كان خطره عظيم جاءت الآيات في النهي عن اتباعه بكل ما يوسوس به للمؤمنين وأنه سيتبرأ يوم القيامة ممن أطاعه . فإن الشيطان يدعو إلي أكل الحرام والخبيث من المآكِل والمشارب والأمر بكل ما هو سيئ وفاحش حيث ربط الله هذا باتباع خطوات الشيطان . فقال تعالي : (يا أيها الناس كُلوا مِمَّا في الأرض حلالاً طيِّباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين * إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا علي الله ما لا تعلمون)(١)

وربط الله عز وجل اتباع خطوات الشيطان بعدم اتباع شرائع الإسلام كاملة إذ كل من اتبع خُطوات الشيطان يأخذ من الدين ما يوافق هواه ويدع ما يخالفه، قال تعالي :

(يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين)(٢) .وربط الله عز وجل شحَّ الناس وبُخْلِهم في النفقة في سبيل الله والخوف من الفقر إن هم أنفقوا، باتباع الشيطان إذ هو الذي يوسوس لهم بأنهم إن أنفقوا فسوف يفتقرون وينتقص مالهم وغير ذلك مما يوسوس به لمن أراد أن يتصدق فقال تعالي :

(الشيطان يَعِدُكم الفَقرَ ويَأمُركم بالفحشاء والله يَعِدُكم مغفرَةً منه وفضلاً)(٣)

وربط الله عز وجل الرياء في الإنفاق وحب السمعة باتباع الشيطان ونزغاته حيث إنه يكون كالقرين والصاحب لهذا المُرائي فقال سبحانه :

(والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً)(٤) .

وربط الله تعالي الإيمان بالجِبْت والطاغوت والتحاكم له دون شرع الله باتباع الشيطان إذ أمرهم الله بالكفر بكل ما لم يشرعه الله من القوانين الطاغوتية التي تدعو إلي الانحراف والشرك بالله وتعطيل الحدود وإشاعة الفواحش بين المؤمنين فقال تعالي :

(ألم تر إلي الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلي الطاغوت وقد أُمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً)(٥)

---

(١) سورة البقرة : ١٦٨ ، ١٦٩ **(٢) سورة البقرة : ٢٠٨** **(٣) سورة البقرة : ٢٦٨**

(٤) سورة النساء : ٣٨ **(٥) سورة النساء : ٦٠**



وحَذَّر الله عز وجل من إغواء الشيطان لِبَني آدم مُذكِّراً إياهم بما صنع مع أَبَوَيْهما من إخراجهما من الجنة بعد نزعه لباسهما عنهما فانكشفت سوءاتهما، الأمر الذي سبَّبَ إخراجهما من دار السلام مُنبهاً علي خطورة هذا العدو وجنوده . فقال تعالي :

(يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون)(١) .

وقد أخبر الله عز وجل أن هذا العدو اللعين الذي يجاهد أعظم مجاهدة لِيُشركَ بالله عز وجل ويوسوس بالمعاصي أنه سيتبرأ يوم القيامة من أتباعه ويجلس علي منبر من نار ويخطب خطبة تدل علي نذالته وحقده الدفين للمؤمنين ويخبرهم أنه لم يكن له عليهم سلطان إلا أنه كان يوسوس لهم فقط في آذانهم ويزين لهم المعصية والباطل ولا يستطيع دفع العذاب عن نفسه ولا عن أتباعه حينئذ . فقال تعالي (وقال الشيطان لما قُضِيَ الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتُكم فأخلفتُكم وما كان لِيَ عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرتُ بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم)(٢)

ويُبين اللهُ عز وجل أنه كل من يجادل في الله بغير علم فينسبون له الولد والصاحِبَة، ويزعمون أنه ما أرسل رسولاً، وأنه لا يُحي الموتى بعد فناء الأجسام، وجهلوا بجلال الله وكماله وبشرائعه وأحكامه وسننه في خلقه وكل ذلك كان بسبب إتباع كل شيطان متجرد من الحق ويهديه إلي عذاب السعير في النار فقال تعالي (ومِن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد * كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلي عذاب السعير) (٣) .ويبين الله عز وجل أن اتباع الشياطين سبب في الصد عن ذكر الله تعالي والقرآن الكريم الذي جعله الله هداية للناس وبعد ما يفعل الإنسان ذلك يتخلي عنه الشيطان ويخذله فقال تعالي : (لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً)(٤)

وقد أمر الله سبحانه صراحة في القرآن الكريم باتخاذ الشيطان عدواً وأوجب محاربته فقال سبحانه : (إن الشيطان لكم عَدُوٌّ فاتخذوه عدواً إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير)(٥) وقال سبحانه (ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين)(٦) . وكذلك يستحوذ الشيطان علي العبد الغافل العاصي ينسيه ذكر الله وترك أوامره فقال سبحانه (استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون)(٧) . وقال تعالي : (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني برئ منك إني أخاف الله رب العالمين)(٨) .

كما أنه لا يجوز أن يزكي الإنسان نفسه لأن تزكية النفس تؤدي إلي العُجب، والله وحده هو الذي يزكي لأنه وحده أعلم بما في قلوب العباد التي محلها التقوي وقد وبخ الله هذا الموقف الذي ادَّعاه صاحب الجنة في قصة سورة الكهف حينما قال (وما أظن الساعة قائمة ولئن رددتُ إلي

---

(١) سورة الأعراف : ٢٧ — **(٢) سورة إبراهيم : ٢٢**

(٣) سورة الحج : ٣ ، ٤ — **(٤) سورة الفرقان : ٢٩**

(٥) سورة فاطر : ٦ — **(٦) سورة يس : ٦٠**

(٧) سورة الحشر : ١٦ — **(٨) سورة الحشر : ١٦**



ربي لأجدن خيراً منها منقلباً)(١) فزكي نفسه وظن أنه عندما يلقى اللهَ سوف يجد خير منقلب .

وكما أخبر تعالي عن موقف العاص بن وائل في موقفه مع خَبَّاب بن الأرَتّ رضي الله عنه فقال تعالي (أفرأيت الذين كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً * أطَّلعَ الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً)(٢) أي كذب العاص بن وائل المسمي أبو عمرو بن العاص وقال لخباب (لأوتين مالاً وولداً) أي يوم القيامة حينما طالبه خباب بن الأرت بَدَيْن له عليه فأبَي العاص أن يعطيه استصغاراً له لأنه (حَدَّاداً) وقال : لا أُعْطِيكَهُ حتي تكفر بمحمد، فقال له خباب : والله ما أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث فقال له العاص : إذا أنا مِتُّ ثم بُعِثْتُ كما تقول ثم جئتني ولي مال وولد قَضَيْتُك دَيْنَك فأكذبه الله ورد عليه بقوله سبحانه (أطَّلع الغيبَ) فعرف أن له يوم القيامة مالاً وولداً (أم اتخذ عند الرحمن عهداً) بذلك بأن سنعطيه مالاً وولداً يوم القيامة (كلا) لم يطلع علي الغيب ولم يكن له عند الرحمن عهداً.

ويبين الله عز وجل سَعَة مغفرته لمن يجتنب كبائر الإثم والفواحش ويبين أنه سبحانه هو الذي خلق الخلق وأنشأهم من الأرض ثم بمراحل خَلْقِهم فهو عليم بهم قبل خلقهم وما في قلوبهم ونهاهم أن يزكوا أنفسهم فقال سبحانه (الذين يَجْتَنِبُون كبائِرَ الإثم والفَواحِشَ إلا اللَّمَم)(٣)

فصل في مداخل الشيطان إلي القلب :

اعلم أن مثال القلب مثال الحِصْن والشيطان يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولي عليه، ولا يقدر علي حفظ الحصن من العدو إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه، ولا يقدر علي حراسة أبوابه من لا يدري أبوابه، فحماية القلب من وساوس الشيطان واجب ولا يتوصل إلي دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة ومداخل الشيطان وأبوابه صفات العبد وهي كثيرة فمن أبوابه العظيمة :

١ - الغضب والشهوة : فإن الغضب هو غَوْل العقل وإذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان .

٢ - الحَسَد والحِرص : فمهما كان العبد حريصاً أعماه حرصه وأصَمَّه ونور البصيرة هو الذي يعرف مدخل الشيطان فإذا غطاه الحسد والحرص لم يبصر فحينئذ يجد الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله إلي شهوته وإن كان منكراً فاحشاً، وأما الحرص فقد قال صلي الله عليه وسلم (ما ذِئبان جائعان أُرْسِلا في غَنَم بأفسد لها من حرص المرء علي المال والشرف لدينه)(٤)

٣ - الشّبَع من الطعام : وإن كان حلالاً فإن الشبع يُقَوِّي الشهوات، والشهوات أسلحة الشيطان .

٤ - العَجلة : وترك التثبت في الأمور قال صلي الله عليه وسلم (العجلة من الشيطان والتأني من الله تعالي)(٥)

٥ - سُوء الظَّنِّ بالمسلمين : قال تعالي (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم)(٦) والمؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب.

---

(١) سورة الكهف : ٣٦ (٢) سورة مريم : ٧٧ ، ٧٨ (٣) سورة النجم : ٣٢

(٤) رواه الترمذي والدارمي وأحمد والنسائي رحمهم الله تعالى وصححه الألباني .

(٥) رواه الترمذي رحمه الله تعالى وحسنه الألباني في الصحيحة .

(٦) سورة الحجرات : ١٢



فإن قُلتَ فما العلاج في دفع الشيطان ؟ وهل يكفي في ذلك ذكر الله تعالي وقول الإنسان : "لا حول ولا قوة إلا بالله" ؟ فاعلم أن علاج القلب في ذلك سد هذه المداخل بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة.

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم (في القلب لَمَّتان لُمَّة من المَلَك إيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله، ولَمَّة من العدو إيعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم)(١) ثم تلا قوله تعالي (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء)(٢) قال الحسن: إنما هُما هَمَّان يَجُولان في القلب : هَمٌّ مِن الله تعالي، وَهَمٌّ مِن العَدُوّ، فَرَحِمَ اللهُ عبداً وقف عند هَمِّه فما كان من الله تعالي أقضاه، وما كان من عَدُوِّه جاهَدَهُ .

والقلب بأصل فطرته صالح لقبول آثار المَلَك ولقبول آثار الشيطان صلاحاً متساوياً ليس يترجح أحدهما علي الآخر، وإنما يترجح أحد الجانبين باتباع الهَوَي والانكباب علي الشهوات أو الإعراض عنها ومخالفتها فإن اتبع الإنسان مُقتضَى الغضب والشهوة ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوي وصار القلب عُشّ الشيطان ومَرْتَعه وإن جاهد الشهوات ولم يسلطها علي نفسه وتشبه بأخلاق الملائكة عليهم السلام صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم.(٣)

---

(١) رواه الترمذي وحسنه والنسائي في الكبري .

(٢) سورة البقرة : ٢٦٨ - (انظر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى فى هذه الآية)

(٣) البحر الرائق – الشيخ د / أحمد فريد حفظه الله تعالى



النداء الثامن والخمسون ـ قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٢٩) ﴾

سورة النور : ٢٧ ــ ٢٩

هذه الآيات الكريمات من سورة النور تدل علي الإرشاد من الله تعالى إلي أدب ضائع في هذه الأيام بين المسلمين إلا من رحم الله ألا وهو : (أدب الاستئذان)، ولِعِظَم هذا الأدب ذَكَرَه الله في قرآنه الكريم لِما له من أهمية عظيمة، وإهماله وتركه يؤدي إلي مفاسد عظيمة بين المجتمع الإسلامي والوقوع في الرذائل والمنكرات، وللشيخ الدكتور محمد إسماعيل المقدم حفظه الله تعالى كتيب قيِّم عن هذا الموضوع باسم (الأدب الضائع)

(تستأنسوا) : قال الزَّجَّاج (تستأنسوا) في اللغة بمعني تستأذِنوا وكذا هو في التفسير كما نُقل عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وأصل الاستئناس : طلب الأنس بالشئ وهو سكون النفس واطمئنان القلب وزوال الوَحْشَة، قال الشاعر :

عَوى الذِّئبُ فاستَأنَسْتُ للذئب إذ عَوىَ وصَوَّتَ إنسانٌ فكِدْتُ أطيرُ

وقال بعضهم : الاستئناس هو الاسْتِعْلام مِن آنَسَ الشئ إذا أبصره ظاهراً مكشوفاً ومنه قوله تعالي (إني آنستُ ناراً) أي أبصرتُ ناراً.

والمعني : حتي تستعلموا أيريد أهلها أن تدخلوا أم لا ؟

قال الطبري : والصواب عندي أن " الاستئناس " استفعال من الأنس وهو أن يستأذن أهل البيت في الدخول عليهم ويؤذنهم أنه داخل عليهم فيأنس إلي إذنهم ويأنسوا إلي استئذانه .

(علي أهلها) المراد بالأهل السكان الذين يقيمون في الدار سواء سكناهم بالمِلك ، أو بالإجارة أو بالإعارة .

(ذلكم خير لكم) : الإشارة راجعة إلي الاستئذان والتسليم أي دخولكم مع الاستئذان والسلام خير لكم من الهجوم بغير إذن ومن الدخول علي الناس بغتة .

(لعلكم تذكَّرون) أي كي تتعظوا وتتذكروا وتعلموا بموجب تلك الآداب الرفيعة وهو مضارع حُذِفَ منه إحدي التاءين .

(أزكي لكم) أي أطهر وأكرم لنفوسكم وهو خير لكم من اللجاج والعناد والوقوف علي الأبواب فالرجوع في مثل هذه الحال أشرف وأطهر للإنسان العاقل .



(جُنـاح) : أي إثم وحَـرَج ، قال تعالي (وليس عليكـم جُناح فيما أخطأتم بـه)(١)

(غير مسكونة) : المراد البيوت العامرة التي تقصد لمنـافع عامـة غير السُكْني كالحوانيت (٢) والبيوت التي لا تُخَصُّ بسكني أحد كالفنادق وما شابهها فهذه وأمثالها لا حرج في دخولها بغير إذن.

(متاع لكم) المتاع في اللغة يطلق علي (المَنْفَعَة) أي فيها منفعة لكم كالاستظلال من الحَرّ وحفظ الرجال والسلع والاستحمام وغيره ، ويطلق ويراد منه (الغَرض والحاجة) أي فيها لكم غرض من الأغراض، أو حاجة من الحاجات.

المعني الإجمالي للآية الكريمة :

يُؤَدِّبُ المَوْلَى تبارك وتعالى عباده المؤمنين بالآداب الجليلة، ويدعوهم إلي التخلق بكل أدب رفيع فيأمرهم بالاستئذان عند إرادة الدخول إلي بيوت الناس، وبالتلطف عند طلب الاستئذان ، وبالسلام علي أهل المنزل لأن ذلك مما يدعو إلي المحبة والوئام، وينهاهم عن الدخول بغير إذن لئلا تقع أعينهم على ما يسوءهم فيطلعوا علي عورات الناس أو تقع علي مكروه لا يحبه أهل المنزل، فإن في الاستئذان والسلام ما يدفع خطر الريبة أو القصد السَّئ ويجعل الزائر محترماً مكرماً متأنساً به، وإذا لم يؤذن له فعليه بالرجوع فذلك خير له من الوقوف علي الأبواب أو الإثقال علي أهل المنزل، فقد يكون أهل البيت في شغل شاغل عن استقبال أحد من الزائرين .

وإذا لم يكن في البيوت أحد فلا يجوز الدخول أو الاقتحام؛ لأن للبيوت حرمة، ولا يحل دخولها إلا بإذن أربابها، وربما كان أهل البيت لا يرغبون أن يَطَّلِعَ أحدٌ علي ما عندهم في المنزل من مال أو متاع وربما أدي الدخول إلي فقدان شئ أو ضياعه ووقعت التهمة علي ذلك الإنسان . أما البيوت التي ليس بها مساكن، أو التي فيها للإنسان منفعة أو مصلحة فلا مانع من دخولها بغير إذن، ذلك هو أدب الإسلام وتربيته الحميدة الرشيدة التي أدّب بها المؤمنين .

وجه الارتباط بين الآيات الكريمات :

الآيات التي ذُكرت في صدر سورة النور كانت في بيان (حُكم الزِّنَـى) وبيان ضرره وخطره وبيان أنه قبيح ومحرم وأن مرتكبه يستحق العذاب والنكال .

ولما كان الزني طريقُه النظر والخلوة والإطلاع علي العورات .. وكان دخول الناس في بيوت غير بيوتهم مَظِنَّة حصول ذلك كله . أرشد اللهُ عباده إلي الطريقة الحكيمة التي يجب أن يتبعوها إذا أرادوا دخول هذه البيوت حتي لا يقعوا في ذلك الشر الوَبيل ، والحظر الجسيم، الذي يقضي علي أواصر المجتمع ويدمر الأُسَر ويشيع الفاحشة بين الناس.

سبب نزول الآية الكريمة :

رُوى في سبب نزول هذه الآية أن امرأة أتت النَّبيَ صلي الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله إني أكون في بيتي علي الحالة التي لا أحب أن يراني عليها أحد لا والد ولا ولد فيأتيني آتٍ فيدخل عَلَيَّ فكيف أصنع ؟ فنزلت الآية الكريمة (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم ..) (تفسير الطبري)

---

(١) سورة الأحزاب : ٥

(٢) الحَوَانِيت : جمع حانوت : دُكَّان الخَمَّار ومحل التجارة (المعجم الوجيز)



ورَوَى ابنُ أبي حاتم عن مُقاتل أنه لما نزل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم ...) قال أبو بكر : يا رسول الله فكيف بتجار قريش الذين يختلفون من مكة والمدينة والشام وبيت المقدس ولهم بيوت معلومة علي الطريق فكيف يستأذنون ويُسَلّمون وليس فيها سكان ؟ فرخص سبحانه في ذلك فأنزل قوله تعالى (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة ...) الآية .

وفي قوله تعالي (فارجعوا) **قال ابن كثير رحمه الله تعالى :**

قال بعض المهاجرين : لقد طلبت عمري كله هذه الآية فما أدركتُها .. أن أستأذن على بعض إخواني فيقول لي : ارْجِعْ : فأرْجِع وأنا مُغْتَبِطٌ لقوله تعالى (وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكي لكم)(١)

أحكام شرعية من الآيات الكريمات :

١- الحكم الأول : هل السلام قبل الاستئذان أم بعده ؟

جمهور الفقهاء علي تقديم السلام على الاستئذان حتي قال النووي : الصحيح المختار تقديم التسليم علي الاستئذان لحديث (السلام قبل الكلام)(٢) .

واستَدَلَّ الجُمْهُور بما رُوي أن رجلاً من بني عامر استأذن علي النبي وهو في البيت فقال : أألِجْ ؟ فقال النبي لخادمه اخرج إلي هذا فَعَلّمْه الاستئذان فقال له قل : السلام عليكم أأدخل ؟)(٣)

وفصَّل بعض العلماء في المسألة فقال : إن كان القادم يري أحداً من أهل البيت، سلَّم أولاً، ثم استأذن في الدخول، وإن كانت عينه لا ترى قدَّم الاستئذان علي السلام وهذا اختيار (الماوردي) وهو قول جيد وفيه جمع بين الأدلة ولا يشترط أن يكون الإذن صريحاً بلفظ (أألج أو أدخل) بل يجوز بكل لفظ يشير إلي الاستئذان كالتسبيح والتكبير والتنحنح وغير ذلك . وفي عصرنا الحالي أن يطرق الباب أو يقرع الجرس فهذا نوع من الاستئذان مشروع لأن في عصر الصحابة لم يكن لها هذه الستور والأبواب والله أعلم.

٢ - الحكم الثاني : كم عدد الاستئذان ؟

لم توضح الآية الكريمة عدد الاستئذان . وظاهرها يدل علي مرة واحدة ولكن السُّنة بينت أن الاستئذان يكون ثلاثاً، ومما يدل علي ذلك قصة أبي موسى الأشعري مع عمر ابن الخطاب وتفصيل القصة في صحيحي البخاري ومسلم .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال (كنتُ جالساً في مجالس الأنصار فجاء أبو موسي فزعاً، فقلنا له ما أفْزَعَكَ ؟ فقال : أمرني عُمَرُ أن آتِيه فأتيتُه، فاستأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت فقال : ما منعك أن تأتيني ؟ فقلت قد جئت فاستأذنتُ ثلاثاً فلم يؤذن لي وقد قال عليه الصلاة والسلام : (إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يُؤذَنْ له فليرجع) فقال : لتأتيني علي هذا بالبينة.

---

(١) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى ج ٣ ص ٢٨١

(٢) رواه الترمذي رحمه الله تعالى عن جابر رضي الله عنه

(٣) رواه أحمد فى المسند والبخاري في الأدب المفرد رحمهما الله تعالى



أو لأعاقِبَنَّكَ . فقال أُبيّ بن كعب : لا يقوم معك إلا أصغر القوم، قال أبو سعيد وكنتُ أصغرهم فقمتُ معه . فأخبرتُ عمر أن النبي قال ذلك (١)

٣ - الحكم الثالث : ما الحِكمة في إيجاب الاستئذان ؟

الحكمة هي عدم الأمن فمن يهجم علي البيوت المسكونة بغير استئذان أن يري عورات الناس وما لا يحل النظر إليه، وربما كان الرجل مع امرأته علي فراش واحد، فيقع نظره عليهما، وهذا بلا شك يتنافي مع الآداب الاجتماعية التي أرشد إليها الإسلام .

٤ - الحكم الرابع : هل يُستأذن علي المحارم ؟

ومن الآداب السامية أن يستأذن الإنسان علي المحارم لما رُوي أن رجلاً قال للنبي أأستأذن علي أمي ؟ قال : نعم . قال : إنها ليس لها خادم غيري أفأستأذن عليها كلما دَخَلْتُ ؟ قال : أتحبُ أن تراها عُريانة ؟ قال الرجل : لا . قال فاستأذِن عليها (٢)

٥ - الحكم الخامس : هل الاستئذان والسلام واجبان علي الداخل ؟

جمهور الفقهاء علي أن الاستئذان والسلام ليسا بمرتبة واحدة فالاستئذان واجب والسلام مستحب لأن الاستئذان من أجل البصر لئلا يقع نظره علي عورات الناس، وفي الحديث (إنما جُعل الاستئذان من أجل النظر)(٣) وأما السلام فهو من أجل المحبة والمودة لقوله عليه الصلاة والسلام (ألا أدلكم علي شئ إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم) فكان ذلك مندوباً . وقد أرشد القرآن في مواطن عديدة إلى ذلك، فقال الله جلَّ ثناؤه (فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا علي أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة ..) الآية

٦ - الحكم السادس : كيف يقف الزائر علي الباب ؟

من الآداب الشرعية في الاستئذان . ألّا يستقبل الزائر الباب بوجهه، بل يجعله عن يمينه أو شماله، فقد صح أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا أتي باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه . ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر فيقول السلام عليكم، وذلك لأن الدُّوُر لم يكن عليها حينئذ سُتُور(٤)

٧ - الحكم السابع : هل يجب الاستئذان على النساء أو العُمْيان ؟

ظاهر الآية يدل علي أنه يجب الاستئذان علي كل طارق سواء كان رجلاً أو امرأة مبصراً أو أعمي . وبهذا قال جمهور العلماء وحجتهم في ذلك أن من العورات ما يدرك بالسمع والحكمة التي شرع من أجلها الاستئذان متحققة في الرجال والمساء معاً ولهذا قال العلماء إن التعبير باسم الموصول (يا أيها الذين) فيه تغليب الرجال علي النداء أو المراد بالخطاب الوصف ويكون معني الآية (يا من اتصفتم بالإيمان) فيدخل فيه الرجال والنساء علي السواء.

---

(١) رواه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى

(٢) رواه مالك رحمه الله تعالي في الموطأ

(٣) رواه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى وغيرهما

(٤) أخرجه البخاري في الأدب وأبو داود عن عبد الله بن بسر





٨- الحكم الثامن : ما هي الحالات التي يباح فيها الدخول بدون إذن ؟

ظاهر الآية يدل علي النهي عن دخول البيوت بغير إذن في جميع الأزمان والأحوال ولكن يستثني من الحالات التي تقضي بها الضرورة وهي حالات اضطرارية تبيح الدخول بغير إذن وذلك إذا عَرضَ أمر في دار من حريق أو هجوم سارق أو ظهور منكر فاحش (كما نبّه علي ذلك الفخر الرازي – من فقهاء الشافعية – في تفسيره الشهير)

٩ - الحكم التاسع : هل يجب الاستئذان على الطفل والصغير ؟

يجوز الدخول عليهم بدون إذن إلا إذا بلغوا مبلغ الرجال لقوله تعالى (وإذا بلغ الأطفال منكم الحُلُم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم). وهناك أوقات ثلاثة يجب علي الأطفال الاستئذان فيها وهي (وقت الفجر، ووقت الظهيرة، ووقت العشاء)

١٠ - الحكم العاشر : لو اطّلَعَ إنسانٌ علي دار غيره بغير إذنه فما الحكم ؟

اختلف الفقهاء في ذلك فذهب الشافعي وأحمد إلي أنه لو فُقِئتْ عينه فهي هَدَر ولا قصاص وذهب مالك وأبو حنيفة إلي القول بأنها جِناية يجب فيها الأرْش أو القِصاص . والراجح قول الشافعية والحنابلة ودليلهم حديث أبي هريرة أن النبي صلي الله عليه وسلم قال (مَن اطّلَعَ في دار قوم بغير إذنهم ففقأوا عينَه فقد هدرت عينه)(١) ولحديث سهل بن سعد قال : (اطّلع رَجُلٌ في حُجْرَةٍ من حُجَرَ النبي ومع النبي مِدْرَي (آلة رفيعة من الحديد) يَحُكُّ بها رأسه فقال (لو أعلم أنك تنظر لطعنتك بها في عينك إنما جُعل الاستئذان من أجل النظر)(٢)

ما ترشد إليه الآيات الكريمات :

١ - وجوب الاستئذان عند دخول بيت الغير .

٢ - حرمة الدخول إذا لم يكن في البيت أحد .

٣ - وجوب الرجوع إذا لم يؤذن للداخل .

٤ - السلام مشروع للزائر لأنه من شعائر الإسلام .

٥ - لا يجوز لإنسان أن يطّلِع علي عورات الناس .

٦ - البيوت إذا لم تكن مسكونة فلا حَرَج مِن دخولها .

٧ - علي المسلم أن يرعى حرمة أخيه المسلم فلا يؤذيه في نفسه أو ماله .

٨ - في هذه الآداب التي شرعها الله طهارة للمجتمع والأفراد (٣)

---

(١) رواه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي رحمهم الله تعالى عن سهل بن سعد رضي الله عنه .

(٣) روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن ـ محمد علي الصابوني



وإذا سأل صاحبُ الدار الطارقَ مَن ؟ فلا يقل : أنا . بل يقول أنا فلان بن فلان، لحديث الشيخين وغيرهما عن جابر رضي الله عنه قال : استأذنتُ رسولَ الله فقال : مَن هذا ؟ فقلت : أنا . فقال النبي (أنا أنا كأنه كره ذلك)(١)

ثم تلا تلك الآيات الكريمات آيات الأمر بغَضّ البَصر فأتي النَّهى للرجال والنساء في قوله تعالي (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ..) وقوله (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ...) وفي الآيات ترابط وثيق كما بَيَّنَّا والله الموفق والهادي إلي سواء السبيل .

النداء التاسع والخمسون ـ قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ(٢) لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآَيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٨) وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آَيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٩) وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٦٠) ﴾ سورة النور : ٥٨ ــ ٦٠

سبب نزول الآية الكريمة :

رُوى في نزول هذه الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث غلاماً من الأنصار يقال له "مدلج" إلى عمر بن الخطاب يدعوه له فوجده نائماً في وقت الظهيرة فدق الباب ودخل فاستيقظ عُمَرُ فانكشف منه شئ فقال له عمر : وددت أن الله نَهَى أبناءَنا ونِساءَنا وخَدمَنا أن لا يدخلوا علينا في هذه الساعة إلا بإذن، ثم انطلق إلى رسول الله فوجد هذه الآية قد أنزلت فَخَرَّ ساجداً شكراً لله (٣)

---

(١) أيسر التفاسير ــ الجزائرى ج١ ص ٩٩٩

(٢) العَورة : في الأصل الخلل والنقص ثم أطقت علي ما يكره انكشافه والنظر إليه .

(٣) أيسر التفاسير - الجزائرى ج٢ص١٠١٣



رُوِى أن أسماء بنت أبي مرشد دخل عليها غلام كبير لها في وقت كَرِهَت دخوله فأتت رسولَ اللهِ فقالت : إنَّ خَدمَنا وغِلمَانَنا يدخلون علينا في حال نكرهها فأنزل الله تعالى (يا أيها الذِينَ آمَنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم ....)(١) ورُوِى عن مقاتل بن حيّان أنه قال : بُلِغنا أن رجلاً وامرأته (أسماء بنت أبي مرشد) صَنَعا للنبي طعاماً . فقالت أسماء: يا رسول الله ما أقبح هذا ؟ إنه ليدخل علي المرأة وزوجها غُلامُهُما وهما في ثوب واحد بغير إذن . فأنزل الله فيهم هذه الآية يعني بها العبيد والإماء (٢)

ورَوى ابنُ أبي حاتم عن السُّدِيّ أنه قال :

كان أناس من أصحاب رسول الله يعجبهم أن يواقِعُوا نِساءَهم في هذه الساعات فيغتسلوا ثم يخرجوا إلي الصلاة فأمرهم الله تعالى أن يأمروا المملوكين والغِلمان أن لا يدخلوا عليهم في تلك الساعات إلا بإذن فذلك قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم ...) (٣)(٤)

(لِيَستأذنكم) اللام لام الأمر، واستأذن طَلَبَ الإذن لأن السين والتاء للطلب مثل استنصر طلب النصرة، واستغفر طلب المغفرة، والاستئذان المذكور في الآية يراد منه الإعلام بالحضور، والسماح للمستأذِن بالدخول .

والمعني : ليستأذنكم في الدخول عليكم عبيدُكم وإماؤكم . والصغار من الأطفال .

(الحُلُم) : بضم الحاء واللام الاحتلام ومعناه : الرؤيا في النوم . والحِلْم بكسر الحاء وسكون اللام الأناة والعقل، تقول حَلُم الرجل بالضم إذا صار حليماً . وفي القاموس (٥) : الحُلْم بالضم وبضمتين الرؤيا جمعه أحلام .

وحلم به رأي له رؤيا أو رآه في النوم . والحُلْم والاحتلام : الجِماع في النوم والاسم منه الحُلُم كَعُنُق . ويقال بلغ الصبي الحُلُم أي أصبح في سن البلوغ والتكليف .

(عَوْرات) : جمع عَوْرة : ومعناه الخَلَل . وسمي الله تعالى كل واحدة من تلك الأحوال في هذه الآية عورَة لأن الناس يختل حفظهم وتسترهم فيها .

وعورة الإنسان (سَوْأتُه) سميت عورة لأنها من العار وذلك لما يلحق في ظهورها من المَذمَّة والعار(٦) .

(العِشاء) المراد بها العشاء الآخرة والعرب تسميتها العَتَمة . وفي صحيح مسلم قال صلي الله عليه وسلم (لا تَغلبَنّكُم الأعراب علي اسم صلاتكم العِشاء فإنها في كتاب الله العِشاء وإنها تُعتِم بحِلاب الإبل)(٧) . والمغرب تسمي العشاء الأولى وفي الحديث : فصلاها (يعني العَصر) بين العِشاءَيْن أى : المغرب والعِشاء .

قال القرطبي : فالله سماها صلاة العشاء فأحب النبي صلي الله عليه وسلم أن تسمي بما سماها الله تعالى به فكأنه نَهْيُ إرشاد إلي ما هو الأوْلى وليس علي جهة التحريم والعرب كانوا يسمونها العَتَمة وهي الحلبة التي كانوا يحلبونها في ذلك الوقت ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (فإنها تَعتِم بحلاب الإبل)

---

(١) تفسير الألوسِي **(٢) فتح البيان** **(٣) الدر المنثور ج٥ ص ٥٥**

(٤) روائع البيان ج٢ ص ٢٠٦ **(٥) القاموس المحيط للفيروز آبادي** **(٦) القاموس المحيط للفيروز آبادي**

(٧) رواه مسلم رحمه الله تعالى – كتاب الصلاة – باب في اسم صلاة العشاء



(طوَّافون) جمع طوَّاف بالتشديد وهو الذي يدور علي أهل البيت للخِدْمَة والطَّوَاف في الأصل الدَوَران ومنه الطَّواف حول الكعبة ووصف هؤلاء الخَدَم بالطواف لأنهم يذهبون في خدمة السادة ويرجعون .

والمراد في الآية أنهم خدمكم يدخلون ويخرجون عليكم للخدمة فلا حرج عليكم ولا عليهم في الدخول بغير استئذان في غير هذه الأوقات .

المعني الإجمالي للآيات الكريمات :

ينادي اللهُ المؤمنين الذين صَدَّقوا بالله ورسوله وأيقنوا بشريعة الله نِظاماً ومِنْهاجاً ليستأذنكم في الدخول عليكم هؤلاء العبيد والإماء الذين تملكونهم بملك اليمين، والأطفال الذين لم يبلغوا مبلغ الرجال من الأحرار فلا يدخلوا عليكم في هذه الأوقات الثلاثة .

(وقت الفَجْر) و (وقت الظُّهْر) و (وقت العِشاء) إلا بإذن منكم لأن هذه الأوقات أوقات خلودكم إلي النوم والراحة، وهي أوقات يختل فيها تَسَتُّركم، والتكشف فيها غالب، فعلّموا عبيدكم وخدمكم وصبيانكم ألاَّ يدخلوا عليكم في مثل هذه الأوقات إلا بعد الاستئذان، وأما في غير هذه الأوقات فلا إثم ولا حرج عليكم ولا عليهم في الدخول بغير إذن، لأنهم يقومون علي خدمتكم، والله لا يكلفكم ما فيه حرج أو ضيق عليكم، لأن تشريعه من أجل صالحكم وهو جل وعلا العليم الحكيم .

وأما إذا بلغ هؤلاء الأطفال مبلغ الرجال فعلموهم الأدب السَّامي ألاَّ يدخلوا عليكم إلا بعد الاستئذان كما أُمِر الكِبار من قبل، وذلك هو أدب الإسلام الذي ينبغي أن يتمسك به المؤمنون، وأما النساء العجائز اللاتي لا يَرْغَبْن في الزواج ولا يَطْمَع فيهن الرِّجالُ لِكِبَرِهِنَّ وقد انعدمت فيهن دوافع الشهوة والفتنة والإغراء فلا حرج ولا جناح عليهن أن يضعن بعض ثيابهن كالرداء والجلباب ويظهرن أمام الرجال بملابسهن المعتادة التي لا تلفت انتباهاً. ولا تثير الشهوة وإذا بالَغْنَ في التستر والتعفف ولَبِسْنَ الجلباب الذي تلبسه الشابات من النساء فذلك خير لهن وأكرم وأزكي عند الله وأطهر والله يعلم خفايا النفوس، ومُجازٍ كل إنسان على ما قدّم فاتقوه واجتنبوا سخطه وعقابه (١)

فوائد وتنبيهات :

١ - قوله تعالى (أن يضعن ثيابهن) ليس المقصود بذلك أن يضعن جميع ثيابهن وإنما المراد بعضها كالجلباب والرداء وهي الثياب الظاهرة التي لا يفضي وضعها لكشف العورة، فهو من باب (إطلاق الكل وإرادة الجزء) ويسميه علماء البلاغة (المجاز المرسل) .

٢ - قوله تعالى (وأن يستعففن خير لهن) قال بعض العلماء :

إذا كان استعفاف العجائز عن وقع الثياب خيراً لهن فما ظنك بذوات الزينة من الشَّوَاب ؟ وأبلغ من هذا أن التستر والتحفظ إذا كان مطلوباً من القواعد فكيف بالكَواعِب ؟؟ . والمرأة ولو كانت عجوزاً لا تُشتهى فإن بعض النفوس قد تميل إليها وتشتهيها ولهذا ينبغي لها الاستعفاف.

---

(١) روائع البيان - الصابونى ج٢ ص ٢٠٥





٣ - كيف يُخَاطَب الصِّغار ولا تكليف قبل البلوغ ؟

الخطاب وإن كان ظاهره للصغار الذين لم يبلغوا الحُلُم ، إلا أن المراد به الكِبار فقد أمر اللهُ الرجالَ أن يُعلّموا مماليكهم وخدمهم وصبيانهم ألاّ يدخلوا عليهم إلا بعد الاستئذان فهو في الظاهر متوجه للصغار وفي الحقيقة للمكلفين الكبار .

٤ - الآية محكمة لم ينسخها شئ علي رأي الجمهور . وَوَهِمَ بعضهم أنها منسوخة لأن عمل الصحابة والتابعين في الصدر الأول كان جارياً علي خِلافه .

٥ - ما هو سِن البلوغ الذي يلزم به التكليف ؟

أشارت الآية الكريمة وهي قوله تعالى (وإذا بلغ الأطفالُ منكم الحُلُم) إلي أن الطفل يصبح مكلّفا بمجرد الاحتلام، وقد اتفق الفقهاء علي أن الصبي إذا احتلم فقد بلغ وكذلك الجارِيَة (الفتاة) إذا احْتَلَمَتْ أو حاضَتْ أو حَمَلَتْ فقد بلغت، فالاحتلام علامة واضحة علي بلوغ الصبي أو الجارية سن التكليف وهذا بإجماع الفقهاء لم يختلف فيه أحد وهو الراجح، ولكنهم اختلفوا في تقدير السن التي يصبح بها الإنسان مكلّفاً .

٦ - هل يعتبر الإنبات (١) دليلاً علي البلوغ ؟

الراجح من أقوال الفقهاء أن البلوغ لا يكون إلا بالاحتلام أو بالسن وهى سِن الخامس عشرة . فلا يكون الإنبات دليلاً علي البلوغ .

ما ترشد إليه الآيات الكريمات :

١- ضرورة استئذان الخَدَم من العبيد والإماء في أوقات الخَلَوات .

٢ - تعليم الأطفال الآداب الإسلامية ومنها الاستئذان عن الدخول في الأوقات الثلاثة .

٣ - لا يطلب من الخادم أن يستأذن في كل وقت لضرورة قيامه بالخدمة لِسَيّده .

٤ - إذا بلغ الطفل سِن المُراهَقَة فعليه أن يستأذن قبل الدخول في جميع الأوقات .

٥- لا يجوز للمُسْلِمَة أن تنكشف أمام الخدم من الغِلمان إذا بلغوا مبلغ الرجال .

٦ - النساء العجائز لا يجب عليهن المبالغة في التستر ولبس الجلباب لرفع الحرج عنهن .

٧ - التبرج وإظهار الزينة أمام الأجانب يستوي فيه العجائز والأبْكار .

٨ - شرع الله حكيم ونظامه رحيم، فعلى المؤمنين أن يتمسكوا به (٢)

---

(١) المراد بالإنبات هو نبات شَعْر العَانة من أسفل.

(٢) روائع البيان – الصابونى ج٢ ص ٢١٧



النداء الستون ـ قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) ﴾ سورة الأحزاب : ٩

سورة الأحْزاب مدنية وآياتها ثلاث وسبعون آية، وَرَدَ بها سَبْعُ نِداءات للمؤمنين وسميت هذه السورة باسم (الأحزاب) لأن جنود الأحزاب تحزبوا علي رسول الله وغزوه إلى المدينة وهي الغزوة المسماة " غزوة الخَنْدَق " أو غزوة الأحزاب . والأحزاب هم أبو سفيان بن حرب بقُريش ، وعُيينة بن حِصن الفزاري وقومه غَطَفان ، وبنو قريظة والنضير من اليهود . وكانت الغزوة في شوال سنة خمس من الهجرة (١)

وهذه الآيات في قصة غزوة الخندق أو الأحزاب قصَّها الله تبارك وتعالى علي المؤمنين في مَعْرض التذكير بنعمه تعالى عليهم ليشكروا بالانقياد والطاعة لله ورسوله وقبول كل ما يشرع لهم لإكمالهم وإسعادهم في الحياتَيْن فقوله (اذكروا نعمة الله عليكم) المتمثلة في دفع أكبر خطر قد حاق بكم وهو اجتماع جيوشٍ عدة علي غزوكم في عُقْر داركم وهم جيوش قريش وأسد وغطفان وبنو قريظة من اليهود ألَّبهم عليهم وحزَّب أحزابَهم حُيَيُّ بن أخطب النَّضْريّ يريد الانتقام من الرسول صلي الله عليه وسلم والمؤمنين إذ أجْلَوْهُم عن المدينة وأخرجوهم منها فالتحقوا بيهود خَيْبَر وتَيْماً ، ولما بلغ النبيَ خَبَرُهم أَمَرَ (٢) بحفر الخندق تحت سَفْح جبل سَلْع غَرْبِيّ المدينة وذلك بإشارة " سَلْمان الفارسِيّ " رضي الله عنه إذ كانت له خبرة حربية عَلِمَها من ديار قومه فارس .

وتم حفر الخندق خلال شهر من الزمن، وكان صلي الله عليه وسلم يعطي لكل عشرة أنفار أربعين ذراعاً أي عشرين متراً، وما إن فَرَغُوا مِن حَفْره حتي نزلت جيوش المشركين وكانوا قُرابة اثنى عَشْرَ ألفاً ولما رأوا الرسولَ والمسلمين وراء الخندق تحت جبل سَلْع قالوا : هذه مكيدة لم تكن العرب تعرفها فتناوشوا بالنبال ورمى عمرو بنُ عبد وُد القُرشي بفرسه في الخندق فقتله عَلِيُّ بنُ أبي طالب ودام الحصار والمُناوَشَة وكانت الأيام والليالي باردة والمجاعة ضاربة أطنابها قُرابة الشهر (٣)

أما المسلمون فكانوا يدعون الله (اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا) وابتهل رسول الله إلى ربه عز وجل (اللهم مُنزل الكتاب ، سريع الحساب، اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم) فأرسل اللهُ عليهم ريحاً وجُنُوداً من الملائكة، فزلزلوهم وقذفوا في قلوبهم الرُّعْبَ، وكَفَأت الريحُ قُدُورَهُم، وقلعت خِيامهم وضربهم البرد القارس حتي لم يقر لهم قرار، وبدأوا يتهيأون للرحيل. وأرسل رسولُ الله صلي الله عليه وسلم حُذَيْفة بنَ اليمان إليهم ليأتي بخبرهم فذهب ودخل بينهم ثم رجع ولم يجد مَسّ البرد بل كأنه في حَمَّام (الذي يغتسلون فيه بالماء الحميم أي الحار) فلما

---

(١) زبدة التفسير – محمد سليمان الأشقر ص ٤١٩

(٢) روي البخاري ومسلم عن البراء بن عازب قال : لما كان يوم الأحزاب وحَفَرَ الخَندقَ رسولُ الله رأيته ينقل من تراب الخندق حتي وارى عني الغبار جلدة بطنه وكان كثير الشعر فرأيته يرتجز بكلمات ابن رواحة ويقول : اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا فأنزلن سكينة علينـا وثبّت الأقدام أن لاقيْنا.

(٣) أيسر التفاسير - الجزائرى ج ٢ ص ١٢٠١





رجع أخبر برحيل القوم ونام . فلما أصبح المسلمون رأوا ساحة القتال من جهة الكفار ليس فيها داعٍ ولا مجيب، فقد (رد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً) وكانت بداية هذه الغزوة في شوال سنة ٥ هـ ونهايتها بعد نحو شهر في ذي القعدة، وكانت أكبر محاولة قام بها أعداء الإسلام لضرب المدينة، وللقضاء عليها وعلي الإسلام والمسلمين ولكنَّ اللهَ خَيَّبهم ورد كيدهم في نحورهم، وكان فشلهم بمجموع هذه القوات يعني أن الطوائف الصغيرة والمتفرقة أَوْلي أن لا تَجْتَرِئ علي التوجه إلي المدينة وقد أخبر بذلك النبي صلي الله عليه وسلم فقال (الآن نَغْزُوهُم ولا يَغْزُونا، نحن نَسِيرُ إليهم)(١)

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسير الآيات الكريمات :

يُذَكِّر الله عباده المؤمنين نعمته ويحثهم علي شكرها حين جاءتهم جنود أهل مكة والحجاز من فوقهم وأهل نجد من أسفل منهم وتعاقدوا وتعاهدوا علي استئصال الرسول والصحابة وذلك في وقعة الخندق ومالأتْهُم طوائفُ اليهود الذين حوالي المدينة فجاءوا بجنود عظيمة وأمم كثيرة وخَنْدق رسول الله علي المدينة فحصروا المدينة واشتد الأمر وبلغت القلوب الحَناجِر حتي بلغ الظن من كثير من الناس كل مبلغ لما رأوا من الأسباب المستحكمة والشدائد الشديدة فلم يزل الحصار علي المدينة مدة طويلة والأمر كما وصف الله في قوله (وإذ زاغَتِ الأبصارُ وبَلَغَت القُلوبُ الحناجِرَ وتَظُنُّونَ باللهِ الظُّنُونا) أي الظنون السيئة أن الله لا ينصر دينه ولا يتم كلمته (هنالك ابتُلِيَ المؤمنون) بهذه الفتنة العظيمة (وَزُلْزِلُوا زِلْزالاً شَدِيداً) بالخوف والقلق والجوع ليتبَين إيمانهم ويزيد إيقانهم فظهر ولله الحمد من إيمانهم وشدة يقينهم ما فاقوا به الأولين والآخرين وعندما اشتد الكرب وتفاقمت الشدائد صار إيمانهم عين اليقين (ولما رأي المؤمنون الأحزابَ قالوا هذا ما وَعَدَنا اللهُ ورَسُولُه وصَدَقَ اللهُ ورسولُه وما زادَهُم إلا إيماناً وتَسْلِيماً)(٢)

---

(١) روضة الأنوار في سيرة النبي المختار – صفي الدين المباركفوري ص ١٤٣ ، ١٤٤

(٢) تفسير السعدي رحمه الله تعالى ص ٧٢٢



النداء الحادى والستون ـ قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ(١) بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) ﴾

سورة الأحزاب : ٤١ ، ٤٣

(الذّكر) يقال اعتِباراً باستحضاره، وتارة يقال لحضور الشئ القلب أو القول . ولذلك قيل الذِكر ذِكران : ذِكر بالقلب وذِكر باللسان ، وكل واحد منهما ضربان، ذكر عن نسيان وذكر لا عن نسيان بل عن إدامة الحفظ، وكل قول يقال له ذكر، فمِن الذكر باللسان قوله تعالى (وهذا ذكر مبارك أنزلناه) وقوله (أأنزِلَ عليه الذكر من بيننا) أي القرآن، ومن الذكر عن النسيان قوله (فإني نسيتُ الحُوتَ وما أنسانِيه إلا الشيطان أن أذكره) ومن الذكر بالقلب واللسان معاً قوله تعالى (فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً) وقوله (فاذكروا الله عند المَشْعَر الحَرام واذكروه كما هداكم)

والذِكّرى : كثرة الذِكر وهو أبلغ من الذكر ، قال تعالى (رحمة منا وذِكرى لأولي الألباب ـ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) في آي كثيرة .

والتَّذْكِرَة : ما يُتذكَّر به الشئ وهو أعم من الدلالة والأمارة قال تعالى (فما لهم عن التذكرة معرضين ـ كلا إنها تذكرة) أي القرآن (٢)

(سَبِّحوه) التسبيح تنزيه الله تعالى وأصله المَرُّ السريع في عبادة الله تعالى، وجُعِلَ ذلك في فعل الخير كما جُعِل الإبعاد في الشر فقيل : أبْعَده الله ، وجُعِلَ التسبيح عاماً في العبادات قولاً كان أو فعلاً أو نية قال تعالى (فلولا أنه كان من المُسَبِّحين) قيل من المصلين والأوْلي أن يُحمل علي ثلاثتِها قال (ونحن نسبح بحمدك – وسَبِّح بالعَشِيّ – فَسَبِّحْه وأدْبار السُّجود – لولا تُسَبِّحون) أي هلّا تعبدونه وتشكرونه . والأشياء كلها تسبح له وتسجد بعضها بالتسخير وبعضها بالاختيار ولا خلاف أن السموات والأرض والدواب مُسَبِّحات بالتسخير من حيث أحوالها تدل علي حكمة الله تعالى، وقوله (ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض) فذلك يقتضي أن يكون التسبيح علي الحقيقة وسجوداً علي وجه لا نفقهه بدلالة قوله (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) .

وسُبْحان أصله مصدر نحو : غُفْران . والسُّبُّوح القُدُّوس من أسماء الله تعالى، والسُّبْحة التسبيح وقد يقال للخَرَزات التي بها يُسبَّح سُبْحَة (٣) .

(البُكْرةَ) التي هي أول النهار فاشْتُقَّ من لفظه لفظ الفعل فقيل بَكَر فلان بُكُوراً إذا خرج بُكْرَة والبَكوُر المبالغ فى البُكُور.

---

(١) يجوز أن يراد بالتسبيح صلوات النوافل، وجائز أن يكون التسبيح نحو " سبحان الله وبحمده "

(٢) المفردات فى غريب القرآن – الراغب الأصفهاني ص ١٨٤

(٣) المفردات فى غريب القرآن - الراغب الأصفهانى ص ٢٢٧



(أصِيلاً) : الآصال أي العَشايا يقال للعَشيَّة أصيل وأصيلة فجمع الأصيل أُصُل وآصال وقال تعالى (بُكْرَة وأصيلاً) وأصل الشئ قاعدته (١) .

الذِكْر هو المنزلة الكبرى التي منها يتزود العارفون، وفيها يتجرون وإليها دائماً يترددون، وهو منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل ومن منعه عُزِل، وهو قوت قلوب العارفين التي متى فارقها صارت الأجساد لها قبوراً، وعمارة ديارهم التي إذا تعطَّلت عنه صارت بُوراً، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قُطَّاع الطريق، وماؤهم الذين يطفئون به التهاب الطريق ودواء أسقامهم متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب.

به يستدفعون الآفات ويستكشفون الكُرُبات وتَهُون عليهم به المصيبات، إذا أظلَّهم البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون، ورؤوس أموال سعادتهم التي بها يَتَّجِرُون، يدع القلب الحزين ضاحكاً مسروراً ويوصل الذاكر إلي المذكور بل يدع الذاكر مذكوراً، وفي كل جارحَة من الجَوَارح عبودية مؤقتة (والذِّكْر) عبودية القلب واللسان وهي غير مؤقتة، بل هم يؤمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال قياماً وقعوداً وعلي جنوبهم، فكما أن الجنة قِيعان وهو غِراسُها فكذلك القلوب بُوُرٌ خراب وهو عمارتها وأساسها.

وهو جلاء القلوب وصقالتها ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقاً ازداد محبة إلي لقائه للمذكور واشتياقاً، وإذا وَطَّأ في ذكره قلبه للسانه نسي في جنب ذكره كل شئ، وحفظ الله عليه كل شئ، وكان له عِوضاً من كل شئ، به يزول الوَقْر عن الأسماع والبُكْم عن الألسنة وتنقشع الظُّلْمة عن الأبصار .

زيَّن الله به ألسنة الذاكرين كما زين بالنور أبصار الناظرين فاللسان الغافل كالعين العمياء والأذن الصماء واليد الشَّلاء . وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته . قال الحَسن البصري : تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء : في الصلاة والذكر وقراءة القرآن، فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق (٢)

أنواع الذِّكر :

١ - ذِكر أسماء الله عز وجل وصفاته ومدحه والثناء عليه بها نحو (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله) .

٢ - الخبر عن الله عز وجل بأحكام أسمائه وصفاته نحو : الله عز وجل يسمع أصوات العباد ويري مكانهم .

٣ - ذكر الأمر والنهي كأن تقول : إن الله أمر بكذا ونهي عن كذا .

٤ - ذِكر آلائه وإحسانه.

والذكر يكون بالقلب أو باللسان وأفضل الذكر ما تَوَاطأ عليه القلب واللسان، وذكر القلب أفضل من ذكر اللسان.

---

(١) المفردات فى غريب القرآن - الراغب الأصفهانى ص ٢٨

(٢) البحر الرائق – الشيخ د / أحمد فريد حفظه الله تعالى ص ٩٦



وأفضل الذكر تلاوة القرآن وذلك لتضمنه لأدوية القلوب كما قال تعالى (ونُنَزِّلُ مِن القرآن ما هو شفاءٌ ورحمة للمؤمنين ولا يَزِيد الظالمين إلا خساراً)(١) وقال (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظةٌ من ربكم وشفاءٌ لِما في الصدور وهُدَىً ورحمة للمُؤمنين)(٢) . وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (خَيْرُكُم مَن تعلَّم القرآنَ وعلَّمَه)(٣) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبى صلي الله عليه وسلم قال (مَن قرأ حرفاً مِن كتاب الله فله به حسنة والحسنة بِعَشْر أمثالها لا أقول (ألم) حرف؛ لكن : ألف حرف ولام حرف وميم حرف) (٤) .

وقال خباب بن الأرَت رضي الله عنه : تقرب إلى الله ما استطعت فإنك لن تتقرب إليه بشئ أحب إليه من كلامه .

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه : لو طَهُرَت قلوبكم ما شبعت من كلام ربكم .

وقال ابنُ مسعود رضي الله عنه : من كان يحب أن يعلم أنه يحب اللهَ فليعرض نفسه على القرآن، فإن أحبَّ القرآن فهو يحب الله، فإنما القرآن كلام الله (٥) .

فوائد الذِكْر :

روي مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلي الله عليه وسلم قال ك (سَبَقَ المُفَرِّدون . قالوا : وما المفردون يا رسول الله ؟ قال : الذاكرون اللهَ كثيراً والذاكراتُ) .

فَذِكْرُ اللهِ له فوائد كثيرة يجنيها العبدُ الذاكر لله تعالى في دنياه وأخراه، وذكر ابن القيم – رحمه الله تعالى – في كتابه الوابل الصَّيِّب أكثر من سبعين فائدة للذكر، وهذا ملخص كلامه :-

١ - أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره ويرضي الرحمنَ عز وجل ويزيل الهم والغَم والحزن ويجلب للقلب الفرح والسرور .

٢ - أنه يقوي القلب والبَدَن ويُنَوِّر الوَجْه والقَلْب ويُجْلِب الرِّزقَ .

٣ - أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنصرة ويورثه المحبة التي هي روح الإسلام وقُطْب رَحَى الدين ومدار السعادة والنجاة.

٤ - أنه يورث المراقبة حتي يدخل العبد في باب الإحسان ويورثه الإنابة والقرب فعل قدر ذكر العبد لربه يكون قربه منه وعلى قدر غفلته يكون بعده عنه .

٥ - أنه يُورث ذِكْرَ الله للعبد قال تعالى (فاذكروني أذكركم) .

٦ - أنه يورث حياة القلب كما قال ابن تيمية : الذكر للقلب كالماء للسمك .

---

(١) سورة الإسراء : ٨٢ **(٢) سورة يونس : ٥٧**

(٣) رواه البخاري رحمه الله تعالى عن عثمان رضي الله عنه .

(٤) رواه الترمذي والحاكم رحمهما الله تعالى عن ابن مسعود رضي الله عنه – ص . ج رقم ٦٤٦٩ .

(٥) البحر الرائق – الشيخ د / أحمد فريد حفظه الله تعالى ص ١٠٢ – ١٠٤





٧ - أنه يورث جلاء القلب مِن صداه، وكل شئ به صدأ، وصدأ القلب الغفلة والهوى وجلاؤه الذكر والتوبة والاستغفار .

٨ - ومنها أنه يحط الخطايا ويذهبها .

٩ - أنه سبب لنزول الرحمة والسَّكينة .

١٠ - أنه سبب لاشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والفُحْش والباطل .

١١ - أنه غِراس الجنة كما في حديث جابر عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال (من قال سبحان الله وبحمده غُرِسَت له نَخْلَة في الجنة)(١) .

١٢ - أن دوام ذكر الرب تعالى يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده فإن نسيان الرب سبحانه وتعالى يوجب نسيان نفسه ومصالحها، قال تعالى (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ..)(٢) .

١٣ - أن الذكر شفاء لقسوة القلوب، قال رجل للحسن البصري : يا أبا سعيد أشكو إليك قسوة قلبي . قال : أَذِبْه بالذكر، وقال مَكْحُول : ذكر الله شفاء وذكر الناس داء .

١٤ - أن الذكر يوجب صلاةَ الله تعالى وملائكته علي الذاكر، ومن صلى الله تعالى عليه وملائكته فقد أفلح كل الفلاح وفاز كل الفوز، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً * وسبحوه بكرة وأصيلاً * هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلي النور وكان بالمؤمنين رحيماً)(٣)

١٥ - أن الله يباهي بالذاكرين ملائكته .

١٦ - أن جميع الأعمال إنما شُرِعتْ إقامةً لذكر الله عز وجل قال تعالى (وأقم الصلاة لذكري)(٤) أي لإقامة ذِكري . وقال شيخ الإسلام في قوله تعالى (إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر)(٥) : الصحيح أن معني الآية أن الصلاة فيها مقصودان عظيمان وأحدهما أعظم من الآخر، فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولِما فيها من ذكر الله أعظم من نهيهما عن الفحشاء والمنكر.

١٧ - أن إدامته تنوب عن الطاعات وتقوم مقامها حيث لا تنوب جميع التطوعات عن ذكر الله وعن ابن مسعود قال : لأن أسَبّحُ اللهَ تعالى تسبيحات أحب إلـيّ مِن أن أنفق عددهن دنانير في سبيل الله عز وجل .

١٨ - أن الذكر يعطي الذاكر قوة في قلبه وبدنه حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه وقد علَّم النبيُّ صلي الله عليه وسلم ابنته فاطمة وعلياً رضي الله عنهما أن يُسَبِّحا كل ليلة إذا أخذا مضاجعهما ثلاثاً وثلاثين ويَحْمَدا ثلاثاً وثلاثين ويُكَبِّرا ثلاثاً وثلاثين لما سألته الخادمَ وشَكَتْ

---

(١) رواه ابن حبان والترمذي رحمها الله تعالى وصححه الألباني . **(٢) سورة الحشر : ١٩**

(٣) سورة الأحزاب :٤١ - ٤٣

(٤) سورة طه :١٤

(٥) سورة العنكبوت :٤٥



إليه ما تقاسيه من الطَّحْن والسعي والخدمة فعلّمها ذلك وقال (إنه خير لكما من خادم)(١) . فقيل : إن مَن دَاوَمَ علي ذلك وجد قوة في يومه تغنيه عن خادم .

١٩ - أن كثرة الذكر أمان من النفاق فإن المنافقين قليلو الذكر لله تعالى قال سبحانه في المنافقين (ولا يذكرون الله إلا قليلاً)(٢) .

٢٠ - أن الذكر أفضل من الدعاء : الذكر ثناء على الله عز وجل، والدعاء سؤال العبد لحاجته فأين هذا من هذا، والذكر كذلك يجعل الدعاء مستجاباً، فالدعاء الذي تَقَدَّمَه الذكر والثناء أفضل وأقرب إلي الإجابة من الدعاء المجرد (٣) .

ومن فوائد الذكر أنه غذاء القلب والروح الذي يتقويان به فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين غذائه .

قال ابن القيم – رحمه الله – وحضرتُ شيخَ الإسلام ابنَ تيمية مَرَّة صَلَّى الفَجْرَ ثم جلس يذكر اللهَ تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفتَ إليَّ وقال : هذه غَدْوتِي ، ولو لم أتغَد هذا الغدَاء لسقطت قوتي . وقال لي مرة : أنا لا أترك الذِّكْر إلا بنية إجمام نفس أو إراحتها لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر (٤) .

قال الشيخ أبو بكر الجزائري في تفسير الآيات الكريمات :

هذا النداء الكريم من رب رحيم يوجه إلى المؤمنين الصادقين ليعلمهم ما يزيد إيمانهم ونورهم ويُحفظون به من عدوهم وهو ذكر الله تعالى ذكراً كثيراً لا حَدَّ له إذ هو الطاقة التي تساعد علي الحياة الرُّوحِية (وسبحوه بكرة وأصيلاً) بصلاة الصبح وصلاة العصر وبقول سبحان الله والحمد لله والله أكبر دُبُرَ كل صلاة من الصلوات الخمس وقوله (هو الذي يصلي عليكم وملائكتُه) وصلاته تعالى عليهم رحمته لهم وصلاة ملائكته الاستغفار لهم (ليخرجكم من الظلمات إلي النور) أي من ظلمات الكفر والمعاصي إلي نور الإيمان والطاعات، فصلاته تعالى وصلاة ملائكته هي سبب الإخراج من الظلمات والنور . وقوله (وكان بالمؤمنين رحيماً) وهذه علاوة أخرى زيادة علي الإكرام الأول وهو الصلاة عليهم وإنه بالمؤمنين عامة رحيم فلا يعذبهم ولا يشقيهم(٥)

وعن أبي موسي الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (مَثَل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مَثَل الحي والميت)(٦) . وعن أبي هريرة أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال (يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي، وإن ذكرني في مَلأٍ ، ذكرتُه في مَلأٍ خيرٍ منه)(٧)

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي رحمهم الله تعالى **(٢) سورة النساء :١٤٢**

(٣) البحر الرائق - الشيخ د/ أحمد فريد ص ٩٧- ١٠١

(٤) الفوائد المختارة – عبد الله سليمان العتيقي

(٥) أيسر التفاسير – ج ٢ ص ١٢١٦

(٦) رواه البخاري رحمه الله تعالى

(٧) رواه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى





وعن جابر رضى الله عنـه قال سمعتُ رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم يقول (أفضل الذكر : لا إله إلا الله)(١)

وعن عبد الله بن بُسرْ رضي الله عنه أن رجلاً قال : يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثُرتْ عَلَيَّ. فأخبرني بشئ أتشبث (٢) به. قال : (لا يزال لسانك رَطْباً من ذكر الله)(٣)

ورطوبة اللسان عبارة عن سهولة جريانه، كما أن يُبْسَه عبارة عن ضده، ثم إن جريان اللسان عبارة عن مداومة الذكر فكأنه صلى الله عليه وسلم قال دَوام الذكر . فهو من أسلوب قوله تعالي (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : (ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة وخير لكم مِن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلي . قال : (ذكر الله تعالى)(٤)

---

(١) رواه الترمذي وصححه ابن حِبّان والحاكم وأقره الذهبي

(٢) أتشبث به : أي أتعلق به

(٣) رواه أحمد والترمذي رحمهما الله تعالى وغيرهما – ص . ج رقم ٧٧٠٠

(٤) رواه الترمذي وأخرجه أحمد وابنُ ماجه رحمهم الله تعالى وإسناده صحيح وصححه الحاكم ووافقه الذهبي



النداء الثاني والستون - قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ(١) فَمَا لَكُمْ(٢) عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا(٣) فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٤٩) ﴾

سورة الأحزاب : ٤٩

(نَكَحْتُم) يطلق النكاح تارةً ويراد به العَقد، ويطلق تـارةً ويراد بـه الوَطْء، والمراد هنـا العقد باتفاق العلماء ويدل عليه قوله تعالى (من قبل أن تمسوهن). وأصل النكاح في اللغة : الضَّم قال الشاعر :

ضَمَمْتُ إلى صَدْري معطرَ صَدْرها   كَمَا نَكَحَتْ أمُّ الغُلامِ صَبِيَّها (٤)

قال القرطبي : ولم يَرِدْ لفظ النكاح في القرآن إلا في معنى العقد لأنه في معنى الوطء . وهو من آداب القرآن الكناية عنه بلفظ (المُلامَسَة ـ والمماسَّة ـ والقُرْبان ـ والتَّغشي ـ والإتيان) .

(المؤمنات) فيه إشارة إلى أنه ينبغي أن يقع اختيار الأزواج علي المؤمنات وليس لفظ الإيمان في قوله (المؤمنات) للقيد أو الشرط بل هو لمراعاة الغالب، ولو كان للقيد أو الشرط لكان حكم (الكتابيات) مختلفاً عن حكم المؤمنات مع أن الحكم واحد . وهو مما اتفق عليه الفقهاء.

(تَمَسُّوهُنَّ) : المراد بـالمَسّ هنا (الجماع) بإجماع الفقهاء . وقد اشتهرت الكناية به وبلفظة الملامسة والمماسة ونحوه في لسان الشرع علي الجماع . ولو كان المراد في الآية حقيقة المس باليد وهي إلصاق اليد بالجسم للَزمَتْ العِدَّةُ فيما لو طلقها بعد أن مَسَّها بيده من غير جماع ولا خلوة . ولم يقل بهذا أحد من الفقهاء.

(عِدَّة) : العدة مأخوذة مِن العَدّ لأن المرأة تَعِدُّ الأيام التي تجلسها بعد طلاق زوجها لها أو وفاته . وهى شرعاً : المدة التي تتربص فيها المرأة لمعرفة براءة رحمها . أو للتعبد، أو للتضجع علي زوج مات، وتعتدونها : أي تعدونها عليهن، أو تستوفون عليهن.

---

(١) تَمَسُّوهُنَّ : قرأ حمزة والكِسائي وخَلَف بضم التاء وألف بعد الميم فيصير مَداً لازماً (تُمآسُّوهُنَّ) والباقون بفتح التاء ولا ألف بعد الميم (البدور الزاهرة) ص ٢٥٤ .

(٢) قوله (فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) : (ما) نافية حجازية تعمل عمل ليس . و(لكم) جار مجرور خبرها مُقدم . و (مِن) صلة تأدباً مع القرآن وليست زائدة و (عدة) اسم ليس مؤخر مجرور لفظاً مرفوع محلاً . قال ابن مالك في ألفيَّته :

وَزيدَ في نَفْي وشِبْهِهِ فجَر   نكِرَة كما لِباغ مِنْ مَفر .

والمعني : ليس لكم عليهم عدة توجبونها عليهن (روائع البيان)

(٣) (من عدة تعتدونها) بتشديد الدال من العَدّ أي تستوفون عددها . من قولك : عَد الدراهم فاعْتَدَّها أي استوفي عددها . وقرأ ابنُ كثير وغيره بتخفيف الدال (تَعْتَدونها) . قال الزمخشري : أي تعتدون فيها كقوله : ويوماً شهدناه . والمراد بالاعتداء ما في قوله (ولا تمسكوهن ضِراراً لتعتدوا) .

(٤) مختار الصِّحاح ، وتاج العروس ، ولسان العرب



(فمتعوهن) أي أعطوهن المتعة . والمتعة في الأصل ما يُتمتع به من مال أو ثياب . والصحيح أن المتعة لا تختص بالكسوة بل هي في الشرع : كل ما يعطيه الزوج لمطلقته ارضاءً لها وتخفيفاً من شِدة وقع الطلاق .

(وسَرِحُوهن) أي طلقوهن . والمراد تركهن وعدم حبسهن في منزل الزوجية (١)

(سراحاً جميلاً) : أي طلاقاً بالمعروف فهو مثل قوله (فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف) وقوله كذلك " فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان " . والسراح الجميل يكون بالتلطف مع المطلقة بالقول . وترك أذاها وعدم حرمانها مما وجب لها من حقوق والإحسان إليها (٢) .

معني الآية الكريمة :

يخبر اللهُ تعالى المؤمنين إذا نكحوا المؤمنات ثم طلقوهن من قبل أن يمسوهن فليس عليهن في ذلك عدة تعتدها أزواجهن عليهن وأمرهم بتمتعهن بهذه الحالة بشئ من متاع الدنيا الذي يكون فيه جبر لخواطرهن لأجل فراقهن وأن يفارقوهن فراقاً جميلاً من غير مخاصمة ولا مشاتمة ولا مطالبة ولا غير ذلك، ويُسْتَدَل بهذه الآية علي أن الطلاق لا يكون إلا بعد النكاح، فلو طلقها قبل أن ينكحها أو عَلَّق طلاقها علي نكاحها لم يقع لقوله تعالى (إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن) فجعل الطلاق بعد النكاح فدل علي أن ذلك لا محل له، وإذا كان الطلاق الذي هو فرقة تامة وتحريم لا يقع قبل النكاح فالتحريم الناقص لظهار أو إيلاء ونحوه من باب أولى وأحرى أن لا يقع قبل النكاح كما هو أصح قَوْلَيَ العلماء، وعلي جواز الطلاق؛ لأن الله أخبر به عن المؤمنين على وجه لم يَلُمْهُم عليه ولم يؤنبهم مع تصدير الآية بخطاب المؤمنين، وعلي جوازه قبل المسيس كما قال في الآية الأخرى (لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن) وعلي أن المطلقة قبل الدخول لا عدة لها بل بمجرد طلاقها يجوز لها التزوج حيث لا مانع وعلي أن عليها العدة بعد الدخول، وهل المراد بالدخول والمسيس الوطء كما هو مُجْمَع عليه ؟ أو وكذلك الخلوة ولو لم يحصل معها وَطْء كما أفتي بذلك الخلفاء الراشدون، وهو الصحيح، فمتي دخل عليها ووطئها أم لا إذا خلا بها وجب عليها العدة، وعلي أن المطلقة قبل المسيس تمتع علي الموسع قدره وعلي المقتر قدره ولكن إذا لم يفرض لها مهر فإن كان لها مهر مفروض فإنه إذا طلق قبل الدخول تَنصَّفَ المهر وكفي عن المتعة، وعلي أنه ينبغي لمن فارق زوجته قبل الدخول أو بعده أن يكون الفراق جميلاً يحمد فيه كل منهما الآخر ولا يكون غير جميل فإن في ذلك من الشر المترتب عليه من قدح كل منهما بالآخر شئ كثير، وعلي أن العدَّة حق للزوج . فقوله (فما لكم عليهن من عدة) دل مفهومه أن لو طلقها بعد المسيس كان له عليها عدة، وعلى أن المفارقة بالوفاة تعتد مطلقاً لقوله (ثم طلقتموهن) الآية . وعلى أن من عدا غير المدخول بها من المفارقات من الزوجات بموت أو حياة عليهن العِدَّة (٣)

---

(١) روح المعاني للألوسي

(٢) روائع البيان - الصابونى ج ٢ ص ٢٨٤ ـ ٢٨٦

(٣) تفسير السعدي رحمه الله تعالى ص ٧٣١





لطيفـة :

قوله تعالى (ثم طلقتموهن) . التعبير بـ (ثم) دون الفاء أو الواو . والعطف بها للتراخي إشارة إلي أن الطلاق ينبغي أن يكون بعد تريث وتفكير طويل، ولضرورة مُلِحَّة لأن الطلاق من الأمور التي يبغضها الله حيث فيه هدم وتحطيم للحياة الزوجية ولهذا قال بعض الفقهاء : إن الآية ترشد إلي أن الأصل في الطلاق الحَظْر، وأنه لا يباح إلا إذا فسدت الحياة الزوجية، ولم تفلح وسائل الإصلاح بين الزوجين . والحكم واحد لا يختلف فيمن تزوج امرأة فطلقها علي الفور، أو طلقها علي التراخي (انظر روح المعاني للألوسي)(١)

قلتُ : أما ما اشتهر وتفشي في أيامنا هذه من كثرة تهديد الزَّوْج لِزَوْجِه بألفاظ الطلاق، فهذا من الجهل والعبث، ويدل علي ضعف شخصية الزوج، كما أنه سبب في شعور الزوجة بعدم الأمان مع زوجها، إذ تظن دائماً أنه من الممكن أن يطلقها في أية لحظة ولو لأتفه الأسباب، ومن المحزن أيضاً كثرة الحَلِف بالطلاق من قِبَل الأزواج علي كل شئ، ويجهل أكثر الأزواج بهذا الحكم إذ ربما كان طلاقه واقعاً ومتكرراً فزاد عن ثلاث، وحينئذ تَبِينُ منه زَوْجُه وهو لا يدري أنها قد حُرِّمَتْ عليه ولا يزال يعاشرها ويساكنها، وربما أدرك ذلك ووعاه؛ لَكِنَّه مُمْسِك عليها حفاظاً علي أولاده ولا حول ولا قوة إلا بالله . فالله المستعان .

أحكام شرعية تَخُصُّ الآية الكريمة :

١- هل يقع الطلاق قبل النكاح ؟

أجمع الفقهاء علي أن الطلاق لا يقع قبل النكاح استدلالاً بقوله تعالى (إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن) فقد رَتَّبَ الطلاق علي النكاح . وقوله صلي الله عليه وسلم (لا طلاق قبل النكاح)(٢) واختلفوا فيمن عَلَّق الطلاق مثل قوله : إن تزوجت فلانة فهي طالق أو قوله : كل امرأة أتزوجها فهي طالق . فذهب الجمهور من الصحابة والتابعين علي أنه لا يقع وهو مذهب الشافعي وأحمد وهو مَروي عن ابن عباس رضي الله عنهما .

٢- هل الخلوة الصحيحة توجب العِدة والمَهْر ؟

ذهب الجمهور (الحنفية والمالكية والحنابلة) إلي أن الخلوة كالجماع توجب المهر كاملاً وتوجب العدة وقد ذهب الشافعي إلي أن الخلوة ليست جِماعاً فلا يجب بها العدة والمهر، والراجح : قول الجمهور إذ يحتمل أن يبقي رجل مع زوجته عاماً كاملاً يبيت في فراش واحد ولكنه لم يجامعها طيلة هذه المدة فلابد أن توجب عليه دفع المهر كاملاً . ونلزمها بالعدة وذلك اعتباراً بالخلوة الصحيحة ودفعاً للنزاع والخلاف (٣)

وإذا حصل الدخول أو الخلوة تقرر لها مهر المِثل، لما رَوَى أحمدُ وغيره من قضاء الخلفاء الراشدين : أن من أغلق باباً أو أرخي ستاراً فقد وجب المهر . وإن حصلت الفُرقة من قِبلِها قبل الدخول فليس لها شئ كما لو ارْتَدَّتْ أو فسخت النكاح بسبب وجود عيب في الزوج (٤)

---

(١) روائع البيان - الصابونى ج٢ ص ٢٨٨

(٢) رواه ابن ماجه رحمه الله تعالى عن علي رضي الله عنه – ص . ج رقم ٧٥٢٣

(٣) روائع البيان ج ٢ ص ٢٩٣

(٤) الملخص الفقهي – د / صالح الفوزان ج ٢ ص ٣٦١



٣- ما حكم المطلقة رَجْعِيَّاً هل تَسْتَأنِف العِدَّة إذا راجعها زوجها ثم طلقها قبل المَماس ؟

اختلف الفقهاء في المرأة المطلقة رجعياً فيما إذا طلقها زوجها بعد المراجعة قبل أن يمسها علي أقوال : فمذهب أبو حنيفة ومالك أن عليها أن تستأنف عدة جديدة؛ لأن الطلاق الثاني وإن حصل لم يفصل بينه وبين الرجعة مس ولا خلوة . لكنه لا يصدق عليه أنه قد حصل قبل الدخول على الإطلاق . إذ المفترض أن المرأة كان مدخولاً بها مِن قَبْل . فيجب عليها أن تستأنف عدة كاملة لأنها في حكم المَوطوءة . قال القرطبي نقلاً عن الإمام مالك : إنها تنشئ عدة مستقلة وقد ظلم زوجها نفسه وأخطأ إن ارتجعها ولا حاجة له بها، وعلي هذا أكثر أهل العلم لأنها في حكم الزوجات المدخول بهن في النفقة والسُّكْنَي وغير ذلك . وهو قول جمهور فقهاء البصرة والكوفة والمدينة والشام .

٤- هل تجب المتعة لكل مطلقة ؟

ظاهر قوله تعالى (فمتعوهن) إيجاب المتعة للمطلقة قبل الدخول سواء فرض لها مهر أو لم يفرض لها . ويقوي هذا الظاهر قوله تعالى (وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً علي المتقين) فقد أوجبت لكل مطلقة (المتعة) وقد اختلف الفقهاء في وجوب المتعة علي أقوال وسبب الخلاف بين الفقهاء في وجوب المتعة أو استحبابها . هو أنه قد ورد في القرآن آيات كريمات ظاهرها التعارض فمنها ما يوجب المتعة علي الإطلاق، ومنها ما يوجب المتعة عند عدم ذكر المهر المفروض لها، ومنها ما لم ينص علي المتعة أصلاً . فلهذا وقع الخلاف .

أما الآيات الكريمات فهي : آية الأحزاب (فمتعوهن وسرحوهن سراحاً جميلاً) وآية البقرة (لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن علي الموسع قدره وعلي المقتر قدره متاعاً بالمعروف) وآية البقرة كذلك (وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم)فالآية الأولي : مُطْلَقَة، والثانية : مقيدة بقيدين (عدم المس، وعدم الفَرض)

والثالثة : أوجبت نصف المهر فقط ولم تذكر المتعة . فَمِن الفقهاء من جعل آية البقرة مُخَصِّصَة لآية الأحزاب ويكون المعنى (فمتعوهن إن لم يكن مفروضاً لهن مهر في النكاح) وبهذا التفسير قال ابن عباس ويؤيده أن المتعة إنما وجبت دفعاً لإيحاش الزوج لها بالطلاق فإن وجب للمطلقة قبل الدخول نصف المهر كان ذلك جابراً للوحشة فلا تجب لها المتعة والراجح أن المتعة واجبة للمطلقة قبل الدخول التي لم يفرض لها مهر وهو مذهب الحنفية والشافعية وبهذا قال ابن عباس وأما التي فرض لها مهر فتكون المتعة مستحبة (١)

ما ترشد إليه الآيات الكريمات :

١- علي المسلم أن يختار في الزواج المرأة المؤمنة الطاهرة .

٢- الطلاق هدم للحياة الزوجية، فلا يصح أن يقع إلا في الحالات الضرورية .

٣- لا تجب العِدَّة بالإجماع إذا طُلِّقَتْ المرأة قبل الدخول بها .

٤- علي الزوج أن يَجْبُر خاطِرَ مُطَلَّقَته بالمتعة .

٥- حرمة إيذاء المطلقة، وأن يكون تسريحها بالمعروف والإحسان

---

(١) روائع البيان - الصابونى ج ٢ ص ٢٩٤ – ٢٩٦



النداء الثالث والستون ـ قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣) ﴾

سورة الأحزاب : ٥٣

قال الشيخ أبو بكر الجزائري في تفسير هذه الآية الكريمة :

لما بَيَّن اللهُ تعالى لرسولهِ ما ينبغي له مراعاته من شأن أزواجه أمهات المؤمنين بَيَّن تعالى بهذه الآية ما يجب علي المؤمنين مراعاته أيضاً نحو أزواج النبي وأمهاتهم فقال (يا أيها الذين آمنوا) حقاً وصدقاً (لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم) بالدخول إلي طعام تطعمونه (غير ناظرين إناه) أي وقته وذلك أن هذه الآية والمعروفة بآية الحجاب نزلت في شأن نَفَرٍ من أصحاب رسول الله لما أكلوا طعام الوليمة التى أقامها رسولُ الله لمَّا زوَّجه اللهُ بزَيْنَب بنت جحش وكان الحِجاب ما فُرضَ بَعدُ على النساء مكثوا بعد انصراف الناس يتحدثون فقام رسول الله وخرج أمامهم لعلهم يخرجون فما خرجوا وتردد رسول الله على البيت فيدخل ويخرج رَجاءَ أن يخرجوا معه فلم يخرجوا واسْتَحَى رسولُ الله أن يقول لهم هَيَّا فاخرجوا، فأنزل الله هذه الآية . فقوله (غير ناظرين إناه)(١) يعني ذلك النفر ومن يريد أن يفعل فعلهم فإذا وَجَّهَ إليه أخوه استدعاءً لحضور وليمة بعد الظهر مثلاً أتي إلى المنزل من قبل الظهر يضايق أهل المنزل فهذا معنى (ناظرين إناه) أي وقته لأن الإِنَى هو الوقت.

وقوله (ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا) أي فلا تدخلوا بدون دعوة أو إذن (فإذا طعمتم فانتشروا) أي فرغتم من الأكل فانصرفوا منتشرين في الأرض فهذا إلي بيته وهذا إلي بيت ربه وهذا إلي محله .

وقوله (ولا مستأنسين الحديث) أى لا تمكثوا بعد الطعام يحدث بعضكم بعضاً مستأنسين بالحديث . حرم الله تعالى هذا عليكم أيها المؤمنون لأنه يؤذي رسوله وإن كان الرسول لكمال أخلاقه لا يأمركم بالخروج حَياءً منكم فالله لا يستحي من الحق.

---

(١) أي غير منتظرين وقت نُضْجِه ، وإناه : مقصور : وفيه لغات : إنَى بكسر الهمزة ، وأنَى بفتح الهمزة والنون والمد . والفعل أنَى يأنى : إذا حان وأدرك وفرغ . ومنه قوله تعالي (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ...) وجُزم الفعل بـ (ألَم) فحذفت الياء .



وقوله (وإذا سألتموهن متاعاً)(١) أي طلبتم من الأمتعة التي توجد في البيت كإناء ونحوه (فسئلوهن من وراء حجاب) أي باب وسِتْر ونحوهما لا مواجهة لحرمة النظر إليهن وقوله (ذلكم أطهر لقلوبكم) أنتم أيها الرجال (وقلوبهن) أيتها المؤمنات. (أطهر) أي من خواطر السوء الفاسدة التي لا يخلو منها قلب الإنسان إذا خاطب فَحْلٌ أنثَى أو خاطَبَتْ امْرأةٌ فَحْلاً من الرِّجال وقوله (وما كان لكم)(٢) أي ما ينبغي ولا يصح (أن تؤذوا رسول الله) أي أذى (ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً) أي ولا أن تتزوجوا بعد وفاته نساءه فإنهن محرمات علي الرجال تحريم الأمهات تحريماً مؤبداً لا يحل بحال . (إن ذلكم كان عند الله عظيماً) أي في حكمه وقضائه وشرعه ذنباً عظيماً لا يقادِر قدْره ولا يعرف مدي جزائه وعقوبته إلا بالله (٣) .

هداية الآية الكريمة :

١- بيان ما ينبغي للمؤمنين أن يلتزموه من الآداب في الاستئذان والدخول علي البيوت لحاجة الطعام ونحوه .

٢- بيان كمال الرسول في خُلُقِه في أنه ليستحي أن يقول لضيفه اخرج من البيت فقد انتهى الطعام .

٣- وصف الله تعالي نفسه بأنه لا يستحي من الحق أن يقوله ويأمر به عبادَه .

٤- مشروعية مخاطبة الأجنبية من وراء حجاب، ستر ونحوه .

٥- حرمة أذيَّة رسول الله وأنها جريمة كبرى لا تعادل بأخرى . كما قال تعالى (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم)(٤) . وقوله (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً)(٥)

٦- بيان أن الإنسان لا يخلو من خواطر السوء إذا كلم المرأة أو نظر إليها .

٧- حرمة نكاح أزواج النبي بعد موته وحرمة الخاطر يخطر بذلك (٦)

---

(١) روي أبو داود عن أنس بن مالك قال عمر : وافقتُ ربي في أربع منها قول عمر : قلت يا رسول الله لو ضَرَبْتَ الحِجاب علي نسائك يدخل عليهن البَرُّ والفاجِرُ فأنزل الله عز وجل (وإذا سألتموهن متاعاً ...) الآية.

(٢) رُوي أن رجلاً من المنافقين لما تزوج رسولُ الله أمَّ سَلمة وحفصة بعد خُنيس بن حُذافة قال : فما بال محمدٍ يتزوج نساءنا والله لو قد مات لأجلنا السهام علي نسائه فأنزل الله هذه الآية . فحرَّم الله نكاح أزواجه من بعده وجعل لهن حُكم الأمهات . وقال (زوجاتي في الدنيا هن زوجاتي في الآخرة) وهذه علة من علل التحريم أيضاً (أيسر التفاسير للجزائري)

(٣) أيسر التفاسير - الجزائرى ج ٢ ص ١٢٢٢ ، ١٢٢٣

(٤) سورة التوبة : ٦ (٥) الأحزاب : ٥٧

(٦) قلتُ : سمعتُ أنه في إحدى دول الخليج العربى أن الحاكم إذا تزوج امرأة، ثم طلقها أو تُوُفّي عنها، فإن القانون يمنعها من الزواج برَجُلٍ آخَر، فإن صَحَّ الخَبَر فهذا غير جائز شرعاً؛ لأن هذا الأمر خاصّ بالنبي صلي الله عليه وسلم فقط، لآية الأحزاب . وأن هذا يُعَدُّ ظُلْمَاً وَعَضْلاً للمرأة وإهْداراً لِحقوقها الشرعية التي شرعها الله لها في أنها إذا انقضت عدتها بعد طلاقها أو وفاة زوجها أو انخلاعها جاز لها أن تتزوج . فالله المستعان .



النداء الرابع والستون ـ قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦) ﴾

سورة الأحزاب : ٥٦

(يُصلُّون على النبي) صلاة الله على النبي هي ثناؤه ورضوانه عليه وصلاة الملائكة دعاء واستِغْفار له وصلاة العباد عليه تشريف وتعظيم لشأنه .

لما ذكَرَ اللهُ تعالى في الآيات السابقة ما يجب علي المؤمنين من تعظيم نبيهم واحترامه حَيَّاً وميتاً أعلن في هذه الآية عن شرف نبيه الذي لا يدانيه شرف وعن رفعته التي لا تدانيها رفعة فأخبر أنه سبحانه يصلي عليه وأن ملائكته كذلك يصلون عليه وأمر المؤمنين كافة أن يصلوا عليه فكان واجباً علي كل مؤمن ومؤمنة أن يُصَلِّي علي النبي ولو مَرَةً في العُمر يقول (اللهم صَلِّ على محمد وسَلِّم تسليماً) وقد بَينتْ السُّنةُ أنواعاً من صِيَغ الصلاة والسلام علي الرسول وأعظمها أجراً الصلاة الإبراهيمية وهي واجبة في التشهد الأخير من كل صلاة فريضة أو نافلة وتستحب استحباباً مؤكداً عند ذكره صلي الله عليه وسلم (١) .

اختُلِفَ في الضمير في (يُصَلُّون) علي مَن يعود والصحيح أنه عائد على الله تعالى والملائكة معاً، ولا حرج لأنه قول الله تعالى، ولله أن يرفع من يشاء من عباده لجمع ضمير الملائكة مع ضميره، وليس هذا من باب " ومن يَعْصِهما " الذي أنكره رسولُ الله إذ ذاك من قول خطيب أراد يخطب في الناس وهذا قول الله تعالى وليس من حقنا أن نعترض على الله تعالى . ورُوِى أن ابن عباس قرأ (وملائكته) بالرفع، أى يُصَلُّون وعليه انفصل الضمير وأصبح خاصَّاً بالله وهو وَجْه . وما تقدم أولى لقراءة الكافة بالنصب (٢)

قال ابن كثير رحمه الله تعالي في تفسير الآية الكريمة :

المقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلي بأنه يثني عليه في الملأ الأعلى عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى العالم السفلي بالصلاة والتسليم، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالَمِينَ العلوي والسفلي معاً .

---

(١) أيسر التفاسير ـ الجزائرى ج٢ ص ١٢٢٤

(٢) نفس المصدر السابق



فضل الصَّلاة علي النَّبي صلى الله عليه وسلم :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مَنْ صَلَّي عَلَيَّ واحدة صَلَّى اللهُ عليه بها عَشْراً)(١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (رَغِمَ أنفُ امرئ ذُكِرْتُ عِنْدَه فَلَمْ يُصلِّ عَلَيّ، ورغم أنف امرئ أدرك أبَوَيْه عنده الكِبَر فلم يُدخلاه الجَنَّة ، ورغم أنف امرئ دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يُغفرَ له)(٢) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن للهِ مَلائِكَة سياحين يُبَلِّغونِي من أمتي السَّلام)(٣) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مَن صَلَّى عَلَيَّ أو سأل لي الوسيلة حَقَّتْ عليه شفاعتي يوم القيامة)(٤)

وعن علي بن الحسين قال : أخبرني أبي عن جَدِّي أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تَجْعَلُوا قَبْري عِيداً وصَلُّوا عَلَيَّ وسَلِّموا حيثما كنتم فَسَيَبْلُغُنِي سلامُكُم وصلاتكم)(٥)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِساً لم يَذْكُرُوا اللهَ ولم يُصلُّوا علي نبيهم صلى الله عليه وسلم إلا كان مَجلسهم عَليهم تِرَة يوم القيامة، إنْ شاء عفا عنهم وإن شاء أخذهم)(٦)

كيفيةُ الصَّلاة عَلَى النَّبيّ صلى الله عليه وسلم :

ورد صِيَغ كثيرة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم منها :

ما رواه البخاري من حديث كَعْب بن عُجْرة عن عبد الرحمن بن أبي لَيْلَى قال : لَقِيَنِي كَعْبُ بن عُجرة فقال : ألا أهدي لك هَدية سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم فقلت بلي فأهْدِها لي . فقال : سألنا رسولَ الله فقلنا : يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت ؟ فإن الله قد عَلَّمنا كيف نُسَلِّم عليك، قال : (قُولُوا : اللهم صَلِّ على محمد وعلي آلِ محمد كما صَلَّيتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حَمِيد مَجيد، اللهم بارِك على محمد وعلى آل محمد كما بارَكْتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد)(٧)

وحديث أبي حُمَيْد الساعِدَي رضي الله عنه أنهم قالوا : يا رسول الله كيف نُصَلِّي عليك ؟ فقال

---

(١) رواه مسلم والترمذي وأبو داود والنسائي رحمهم الله تعالى .

(٢) رواه الترمذي وقال الألباني : إسناده صحيح رجاله رجال الصحيح .

(٣) رواه النسائي والحاكم رحمهما الله تعالى وصححه ووافقه الذهبي . وقال الألباني : إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح

(٤) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي رحمهم الله تعالى .

(٥) رواه أحمد وأبو داود وحَسَّنه الحافظ . وقال الألباني صحيح بطرقه وشواهده .

(٦) رواه الترمذي رحمه الله تعالى وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة . ومعني تِرَة : حَسْرة .

(٧) رواه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى .



رسـولُ الله : (قولـوا : اللهم صَلِّ علـى محمد وأزواجـه ودُرِّيَتـه كمـا صليت علـى آل إبـراهيم، وبارك علي محمد وأزواجـه وذريتـه كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد)(١) .

الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة علي النبي صلى الله عليه وسلم :

١- امتثال أمر الله سبحانه وتعالى وموافقته سبحانه في الصلاة عليه وموافقة ملائكته منها .

٢- حصول عَشْر صلوات من الله عز وجل على المُصلّي بالصلاة مرة واحدة علي النبي صلي الله عليه وسلم .

٣- أنها سبب لشفاعته صلى الله عليه وسلم إذا قرنها بسؤال الوسيلة أو أفردها .

٤- أنها سبب لكفاية العبد ما أهَمَّه .

٥- أنها تَرْمِي بصاحبها علي طريق الجنة وتُخْطِئ بتاركها عن طريقها .

٦- أنها سبب لإبقاء الله سبحانه بالثنـاء الحسن والبركـة للمصلي لأن المصلي طلب من الله أن يثني علـى رسوله ويكرمـه ويشرفه ويبـارك عليـه وعلي آلـه، وهذا الدعاء مستجاب فلا بد أن يحصل للمصلي نوع من ذلك والجزاء من جنس العمل .

٧- أنها سبب لدوام محبة العبد لرسول الله وزيادتها وتضاعفها وذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به، وهي سبب أيضاً لزيادة محبته صلى الله عليه وسلم وعَرْض اسم المصلي عليه، وكفي بالعبد نُبْلاً أن يُذْكَر اسمه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

مَواطِن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم :

- المَوْطِن الأول : وهو أهمها وآكدُها في الصلاة في آخر التشهد وقد أجمع المسلمون علي ذلك.

- الموطن الثاني : صلاة الجِنـازة بعد التكبيرة الثانيـة، عن الزُّهْري قال : سمعتُ أبـا أُمامَـة بن سهل بن حنيف يُحَدِّث عن سعيد بن المسيب قال (إنَّ السُّنَّة في صلاة الجنـازة أن يقرأ بفاتحة الكتاب، ويُصلي علي النبي ثم يُخْلِص الدُّعاءَ للميت حتي يَفْرَغ ولا يقرأ إلا مرة واحدة ثم يسلم في نفسه)(٢)

- الموطن الثالث : عند ذكره صلي الله عليه وسلم وقد اختلف في وجوبها كلما ذكر اسمه صلي الله عليه وسلم فقال الطَّحاويُّ والحليمي : تجب الصلاة عليه كلما ذكر اسمه . وقال غيرهما : ذلك مستحب وليس بفرض يأثم تاركه .

- الموطن الرابـع : عند دخول المسجد وعند الخروج منه.

- الموطن الخامس : عقب سماع الأذان.

- الموطن السادس : عند الدعاء لقوله (إذا صَلّي أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم لِيُصلِّ

---

(١) رواه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى

(٢) رواه النسائي رحمه الله مختصراً والحاكم بمعناه . وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي والألباني



على النبي صلي الله عليه وسلم – ثم لِيَدْعُ بَعْدُ – بما شاء)(١)

- الموطن السابع : الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة.

- الموطن الثامن : الخُطَب كَخُطْبَة الجُمُعة والعيدين والاسْتِسْقاء وغيرها.

- الموطن التاسع : عند القيام من المَجْلِس .

- الموطن العاشر : عند خِطبة الرجلُ المرأةَ في النِّكاح(٢)

فصْل

وأما الصلاة علي غير الأنبياء، فإن كانت علي سبيل التبعية كما جاء في الحديث (قولوا اللهم صَلِّ على محمد وأزواجه ودُرِّيَتِه) فهذا إجماع، وإنما وقع النزاع فيما إذا أُفردَ غير الأنبياء بالصلاة عليهم، فقال قائلون يجوز ذلك، واحتجوا بقوله (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) وبقوله (أولئك عليهم صَلَوات مِن ربِّهم ورَحْمَة) وبقوله : (خُذْ من أمْوالِهم صَدَقَةً تُطَهِّرُهم وتُزَكِّيهم بها وصَلِّ عليهم) الآية, وبحديث عبد الله بن أبي أوْفَي قال : كان رسول الله إذا أتاه قوم بِصَدَقَتِهم قال : (اللهم صَلِّ عليهم) فأتاه أبي بصدقته فقال (اللهم صَلِّ عَلى آل أبي أوْفَي)(٣) .

وقال الجمهور من العلماء : لا يجوز إفراد غير الأنبياء بالصلاة لأن هذا قد صار شعاراً للأنبياء إذا ذُكِرُوا، فلا يلحق بهم غيرهم، فلا يقال : قال أبو بكر صلي الله عليه وسلم أو قال عَلِيّ صلي الله عليه وسلم ، وإن كان المعني صحيحاً، كما لا يقال : محمد عز وجل وإن كان عزيزاً جليلاً؛ لأن هذا شعار ذكر الله عز وجل ، وحَمَلُوا ما ورد في ذلك من الكتاب والسنة علي الدعاء لهم ، ولهذا لم يثبت شعاراً لآل أبي أوفى ولا لجابر وامرأته، وأما السَّلام . فقال الجويني : هي في معني الصلاة فلا يستعمل في الغائب ولا يُفْرَد به غير الأنبياء، فلا يقال عَلِيّ عليه السلام، وسواء في هذا الأحياء والأموات، وأما الحاضر فيخاطب به، فيقال : سلام عليكم، أو السلام عليك أو عليكم وهذا مجمع عليه (٤)

قال الشيخ محمد علي الصابوني :

وقد غلب هذا في عبارة كثير من النُّسَّاخ للكتب أن يفرد علي رضي الله عنه بأن يقال : عليه السلام من دون سائر الصحابة أو كرَّم الله وجهه، وهذا وإن كان المعني صحيحاً لكن ينبغي أن يسوي بين الصحابة رضي الله عنهم في ذلك فإن هذا من باب التعظيم والتكريم، فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان أولي بذلك منه رضي الله عنهم أجمعين .

قال عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهم : لا تصح الصلاة علي أحد إلا علي النبي ولكن يُدْعَي للمسلمين والمسلمات بالمغفرة، وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله : أما بعد فإن ناساً من الناس قد التمسوا الدنيا بعمل الآخرة، وإن ناساً من القُصَّاص قد أحدثوا في الصلاة علي

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن حبان رحمهم الله تعالى وغيرهم عن فضالة بن عبيد – ص . ج رقم ٦٤٨

(٢) البحر الرائق في الزهد والرقائق – الشيخ د/ أحمد فريد ص ١٢٠- ١٢٣

(٣) أخرجاه في الصحيحين (٤) مختصر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى - الصابونى ج٣ ص ١١٢



خلفائهم وأمرائهم عدل الصلاة علي النبي فإذا جاءك كتابي هذا، فَمُرْهُم أن تكون صلاتهم علي النبيين ودعاؤهم للمسلمين عامة ويَدَعوا ما سوي ذلك (١) .

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى : إذا صلي علي النبي فليجمع بين الصلاة والتسليم، فلا يقتصر علي أحدهما فلا يقول صلي الله عليه فقط ، ولا عليه السلام فقط وهذا من الآية الكريمة (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً (٢)

ثم تبعت هذه الآية الكريمة التي أمر الله فيها المؤمنين بالصلاة والسلام علي النبي صلي الله عليه وسلم نَهْي وتَوَعُّد من يؤذي الله بمخالفة أوامره لأذيته وَسَبّه وسَبّ المؤمنين وإيذائهم فقال (إن الذين يُؤذُون اللهَ ورسولَه لعَنَهُم اللهُ في الدنيا والآخرة وأعَدَّ لهم عَذاباً مُهيناً * والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكْتَسَبُوا فقد احْتَمَلُوا بُهْتاناً وإثماً مُبيناً)(٣) .

قال ابن كثير رحمه الله تعالي : يقول تعالى متهدداً ومتوعداً مَن آذاه بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره، وإيذاء رسولَه بعيب أو بنقص . عياذا بالله من ذلك – قال عكرمة (إن الذين يؤذون الله ورسوله ..) نزلت في المُصَوِّرينَ . وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال، قال رسول الله (يقول الله عز وجل : يؤذيني ابنُ آدم، يَسُبُّ الدَّهْرَ وأنا الدَّهْرُ بيَدِي الأمْر، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ والنَّهارَ)(٤) . ومعنى هذا أن في الجاهلية يقولون : يا خَيْبَة الدهر(٥) فعل بنا كذا وكذا، فَيُسْنِدُونَ أفعال الله تعالى إلى الدهر وَيَسُبُّونَه، وإنما الفاعِل هو اللهُ عز وجل فنهي عن ذلك . وقال ابن عباس في قوله تعالي (إن الذين يؤذون الله ورسوله ..) نزلت في الذين طَعَنُوا علي النبي في تَزْويجه صَفِيَّة بنت حُيَي بن أخْطَب، والظاهر أن الآية عامة في كل ما آذاه بشئ، ومن آذاه فقد آذي الله كما أن من أطاعه فقد أطاع الله ، كما قال صلي الله عليه وسلم (اللهَ اللهَ في أصحابي، لا تَتَّخِذُوهُم غَرَضاً بَعْدِي، فَمَنْ أحَبَّهُم فَبِحُبِّي أحَبَّهُم، ومَن أبْغَضَهُم فَبِبُغْضِي أبْغَضَهُم، ومَن آذاهُم فَقَدْ آذانِي، ومَن آذاني فقد آذي اللهَ، ومَن آذي اللهَ يُوشِكُ أن يأخُذَه)(٦)

وقوله تعالى (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) أي ينسبون إليهم ما هم بَرآء منه لم يعملوه ولم يفعلوه (فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً) وهذا هو البُهْت الكبير أن يحكي أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه علي سبيل العيب والتنقص لهم، ومن أكثر ما يدخل في هذا الوعيد الرافضة (٧) الذين يَنْتَقِصُونَ الصَّحابَة ، ويُعِيبونَهُم بما قد بَرَّأهُم الله منه، ويَصِفُونَهم بنقِيض ما أخْبَرَ اللهُ عنهم ، فإن الله عز وجل قد أخبر أنه قد رضي عن المهاجرين والأنصار ومدحهم (٨)، وهؤلاء الجهلة الأغبياء يَسُبُّونَهم وَيَنْتَقِصُونَهُم ، وَيَذْكُرُونَ عنهم ما لم يكن ولا فعلوه أبداً، فهم في الحقيقة مُنَكَّسو القلوب، يذمون الممدوحين ويمدحون المذمومين (٩)

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله تعالى : أثر حسن (٢) مختصر تفسير ابن كثير تعالى ج٣ ص١١٣

(٣) سورة الأحزاب : ٥٧ ، ٥٨ (٤) رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود – ص .ج رقم ٤٣٤٢

(٥) ويجري علي ألسنة الناس في عصرنا الحالي ألفاظ مخالفة للشرع . فيقولون : زمن أغبر، أو جَارَ عليّ الزمن، أو أيام سوداء ونهار أسود، ونحو ذلك . فهذا مَنْهِيٌّ عنه لما ورد في الحديث المذكور فالدهر هو الزمن وأجزاؤه، فهذا سب لأفعال الله سبحانه عز وجل. انظر كتاب (أقوال وأفعال واعتقادات خاطئة) لشيخنا الكريم الدكتور / طلعت زهران حفظه الله تعالى، فإنه كتاب قَيِّم.

(٦) أخرجه أحمد والترمذي رحمه الله تعالى (٧) الرافضة : غُلاة الشيعة .

(٨) انظر كتيب الفوائد البديعة في فضل الصحابة وذم الشيعة للشيخ د/ أحمد فريد حفظه الله تعالى فإنه قيم)

(٩) مختصر تفسير ابن كثير ـ الصابونى .



النداء الخامس والستون ـ قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩) ﴾ سورة الأحزاب : ٦٩

أخرج الإمام البخاري عند تفسير هذه الآية عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : (إنَّ مُوسَي كان رجلاً حَيّياً سِتِّيراً، لا يُري من جِلده شئ، اسْتِحْياءً منه، فآذاه مَن آذاه من بني إسرائيل ، فقالوا : ما استتر إلا من عيب بجلده، إما بَرص، وإما أُدْرة (١)، وإما آفة وإن الله عز وجل أراد أن يبرأه مما قالوا : فَخَلا يوماً وحده، فوضع ثيابَه علي الحَجَر، ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلي ثيابه ليأخذها وإن الحَجَر عَدا (٢) بثوبه فأخذ موسي عصاه، وطلب الحجرَ، فجعل يقول: ثَوْبِي حَجَر، ثَوْبِي حَجَر، حتي انتهى إلَي مَلأٍ مِن بَني إسرائيل، فرأوه عُرْياناً، أحسن ما خَلَق اللهُ، وبَرَّأه مما يقولون، وقام الحَجر فأَخَذ ثوبه فلبسه، وطَفِقَ بالحَجَر ضرباً بعصاه، فوالله إن للحجر لَنُدَباً (٣) من أثر ضربه، ثلاثاً، أو أربعاً، أو خمساً، فذلك قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذَوْا موسى فَبَرَّأه اللهُ مِمَّا قالُوا)(٤) .

قال الإمام النووي في شرح مسلم : (وفي هذا الحديث فوائد منها أن فيه معجزتين ظاهرتين لموسي صلى الله عليه وسلم إحداهما مَشْي الحَجَر بثوبه إلي ملأ بني إسرائيل، والثانية حصول النُّدَب في الحَجَر. وفي رواية عن أبي هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (كانت بنو إسرائيل يغتسلون عُراة، ينظر بعضهم إلي بعض، وكان موسى يغتسل وحده . فقالوا : والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدَر ...) أخرجه البخاري – كتاب الغسل – باب من اغتسل عرياناً وحده في الخلوة) .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ـ قال قسم رسولُ اللهِ ذات يوم قَسْماً فقال رجل من الأنصار : إن هذه القِسْمَة ما أُرِيدَ بها وَجْهُ اللهِ، قال . فقلت يا عدو الله أما أخبرنا رسولَ الله بما قلتَ، فذكرتُ ذلك للنبي فاحْمَرَّ وجْهُه ثم قال: (رَحِمَ اللهُ مُوسَى قَدْ أُوذِي بأَكْثَرَ مِن هذا فَصَبر)(٥)

وقوله تعالى (وكان عند الله وجيهاً) أي له وَجاهة عند ربه عز وجل، قال الحسن البصري : كان مستجاب الدعوة عند الله . وقال غيره من السلف : لم يسأل اللهَ شيئاً إلا أعطاه، ولكن منع الرؤية لما يشاء عز وجل . وقال بعضهم : مِن وجاهته العظيمة عند الله أنه شفع في أخيه هارون أن يُرسِلَه اللهُ معه فأجاب اللهُ سؤاله فقال (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً)(٦)(٧)

---

(١) أدْرَة : انتفاخ الخصيتين فهو آدَر : أي عظيم الخصيتين أي منتفخهما. (٢) عَدا : جَرَى

(٣) نُدَب : الأثر من الضرب .

(٤) رواه أحمد والبخاري والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه – صحيح الجامع ٢٢٣٩

(٥) رواه أحمد والبخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه (٦) سورة مريم : ٥٣

(٧) مختصر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى ج ٣ ص ١١٦



فصل في النُّبَوَّة ومُؤهِّلات الأنبياء وصِفاتهم :

النُّبُوَة : اسم مشتق مِن نَبا الشئ ينبو نبوة إذا ارتفع متجاوزاً غيره .

أو هو اسم مشتق من أنْبَأ فلان غيره ينبئه إنباءً إذا اخبره بخبر ذي شأن ولهذا يقال النُّبَوءَة بالهمزة بعد الواو، وبها قرأ ورش عن نافع (آتيناهم الكتاب والحكم والنبوءَة)(١) . وبناءً علي هذا فالنبوة الشرعية هي إعلام الله تعالى مَن اجتبى مِن الناس لرفعته، والإعلام من شأنه بإنبائه بالوحي الذي أراده له، أو له ولغيره.

مُؤَهِّلاتُ النُّبُوَة :

الذي ينبغي أن يُعلم هنا أن النبوة لا تأتي من طريق الكسب والاجتهاد أبداً، فلو انقطع المرء إلي العبادة كلية، وتخلي عن سائر الحظوظ النفسية، وعن كل الرغبات والشهوات وسائر متع الحياة ولذائذها لم يؤهله ذلك لأن يكون نبياً أو رسولاً بحال من الأحوال .

إن النبُّوة هبة خاصة، يختص بها الله واهبها مَن أهَّلَهُ لها من عباده المؤمنين، بَيْدَ أنَّ الله يُهيئ لها بإعداد خاص عبداً من عباده، فيحفظه من التلوث النفسي، والضلال العقلي، والفساد الخُلُقي، والانحراف الفِطْري ويُضفِي عليه من الكمالات النفسية والعقلية، والخُلُقِية ما يؤهله به لمقام النبوة الشريف . ومن المؤهلات للنبوة :

١- المِثاليَّة : أي الكمال البشري المُرَشَّح لِمَقام النبوة والذي لا يسمو إليه غيرهم من الناس .

٢- شَرَف النَّسَب : وهو يكون بانتقال الصفات والخصائص والمميزات بعوامل الوراثة من الأصل الوالد إلي الفرع المولود ومن هنا كان الأنبياء يبعثون في أشراف أقوالهم مما يؤدي إلي الترفع عن الدنايا والتنزه عما يخل بالمُرُوءات .

٣- عامِل الزَّمَن : والمراد منه هو وجود مقتضيات في الزمن المعين تحتم بعثة نبي وإرسال رسول وتقتضيه ومن ذلك وجود فراغ روحي تسبب عن فساد اجتماعي كبير وفساد عام في الأرض من شأنه أن تتطلع معه النفوس إلي مُصلِح يصلح الله به البلاد والعباد .

ونبوة محمد صلي الله عليه وسلم موجودة بين أيدينا وهي محفوظة لم تُشَبْ بفساد، ولم تخلط بباطل ولم يمسها سوء، ولأمر ما حفظها الله تعالى صالحة نقية بعد مُضِي زمن طويل علي ظهورها .

صفات الأنبياء :

إن للمؤهَّلين لِحَمْل رسالة الخالق إلي الخلق صفات كمال لا تُفْقَد في أحدهم أبداً .إذ هي واجبة لكل من يحمل رسالة الله تعالى إلي عباده ومن تلك الصفات : -

---

(١) سورة الأنعام : ٨٩





١-الصِّدْق : صدق النية والإرادة وصدق القول والعمل بحيث يستحيل أن يتصف المؤهل للنبوة بضد الصدق وهو الكذب والنفاق، أو الإهمال والمبالاة .

٢-الأمانَة : في كل شئ في القول والعمل، في الحُكْم والقَضاء، في الحديث والنقل في الرواية والتبليغ في السر والعلن معاً، فيستحيل أن يتصفوا بالخيانة ولو في أتفه الأشياء .

٣- التبليغ : والمراد منه أن يبلغ الرسولُ كُلَّ ما أُمِرَ بتبليغه فلا يُخْفِي منه شيئاً، ولا يَكْتُمه بحال من الأحوال فلا تحمله رغبة علي أن يكتم بعضاً مما أوحي إليه، وأمر بإبلاغه إلي الناس، ويستحيل كتمان الوحي في حقهم لأن الله تعالى أَهَّلَهُم للبلاغ عنه ما أراده لعباده من الهُدي والخير .

٤- الفِطْنَة : إن الفطنة ليست الفهم والذكاء فَحَسْب، بل هي مع ذلك رقة الشعور وصفاء الذهن، ورهافة الحِسّ وصدقه وسرعة البداهة . فالغباء وبلادة الحِس وَبُطْء الإدراك يتنافى مع مقام النبوة وشرف التلقي من الله تعالي .

قد عُلِمَ من علم التوحيد أن الأنبياء – بالإجماع – مَعْصُومُون بعد النبوة من صغائر الذنوب وكبائرها وفي تفسير النَّسَفِي (ذنب الأنبياء ترك الأفضل دون مباشرة القبيح) أما ذنوبنا مباشرة القبائح من الصغائر والكبائر (١)

العِصْمة : المَنْع يقال (عَصَمه) الطعام أي مَنعَه من الجوع و (العِصْمة) أيضاً الحِفْظ وقد (عَصَمه) يَعْصِمُهُ بالكسر (عِصْمَة) فانْعَصَمَ و(اعْتَصَم) بالله أي امتنع بِلُطْفِهِ من المعصية . وقوله تعالي (لا عاصِم اليوم من أمر الله) يجوز أن يراد لا معصوم أي لا ذا عِصْمةٍ فيكون فاعُلُ بمعني مفعول و(المِعْصَم) موضع السِّوار من الساعد و (اعْتَصَمَ) بكذا و (اسْتَعْصَمَ) به إذا تقوَّي وامتنع وفي المثل : كن (عِصامِيَّاً) ولا تكن (عِظَامِيًّا)(٢)

---

(١) تفسير السعدي ص ٨٧٤ (التعليق بالهامش علي قوله تعالي (واستغفر لذنبك) سورة محمد : ١٩

(٢) مختار الصحاح - الرازى ص ٢١١



النداء السادس والستون – قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ سورة الأحزاب : ٧٠ ، ٧١

قال الشيخ أبو بكر الجزائري في هذه الآية :

(يا أيها الذين آمنوا) أي صدقوا الله ورسوله (اتقوا الله) أي خافوا عقابه . فأدُّوا فرائضه واجتنبوا محارمه . والثاني بالتزام القول الحق الصائب السديد، ورتَّبَ على الأمرين صلاح أعمالهم ومغفرة ذنوبهم إذ قول الحق والتزام الصدق مما يجعل الأقوال والأعمال مثمرة نافعة، فتثمر زكاة النفس وطهارة الروح ثم أخبرهم إياهم بقوله (ومن يطع الله ورسوله) في الأمر والنهي (فقد فاز فوزاً عظيماً) وهي سعادة الدَّاريْن : النجاة من كل مخوف والظَّفَر بكل محبوب مرغوب ومن ذلك النجاة من النار ودخول الجنة (١) .

وعن ابن عباس موقوفاً : (مَن سَرَّهُ أن يكون أكْرَم الناس فليتق الله) قال عكرمة : القول السديد : "لا إله إلا الله"، وقال غيره : السديد الصدق، وقال مجاهد هو السداد وقال غيره : هو الصواب . والكل حق (٢) .

هداية الآيتين الكريمتين :

١- وجوب تقوى اللهِ عز وجل بفعل أوامره وترك نواهيه .

٢- صلاح الأعمال لتثمر للعاملين الزكاة للنفس، وطيب الحياة متوقف علي التزام الصدق في القول والعمل وهو القول السديد المنافي للكذب والانحراف في القول والعمل .

٣- طاعة الله ورسوله سبيل الفوز والفلاح في الداريْن (٣)

قال الشيخ الدكتور طلعت زهران حفظه الله تعالى :

إذاً فلنعلم يا إخوتنا ويا أخواتنا : أن الله تعالى أمركم بتقواه، وأن تقولوا قولاً سديداً مستقيماً عدلاً، ووعدكم علي ذلك إصلاح أعمالكم ومغفرة ذنوبكم ثم الفوز العظيم في الآخرة. ولنعلم أن الأمة الإسلامية تبقي صالحة، ما صلح رجالها ونساؤها. والصلاح لا يكون إلا بتقوى الله والاستقامة والثبات علي دين الله الحق، الذي ارتضاه لعباده . أي لابد من صلاح في الأقوال

---

(١) أيسر التفاسير ج٢ ص ١٢٢٨

(٢) مختصر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١١٧ .

(٣) أيسر التفاسير ج ٢ ص ١٢٢٩

وصلاح في الأعمال وصلاحِ في الاعتقادات، وصلاح في المعاملات، وصلاح في كل نواحي الحياة ، ومن المؤسف أن نجد كثيراً من الأمثال الشَّعْبيَّة والأقوال والأفعال والاعتقادات والمعاملات والأسماء تجترئ جرأة غريبة على شرع الله وتتعارض مع كلام الله وسنة رسوله، حتي أصبح كثير من الناس يعتقدون في الخرافات والجهالات ويضربون الأمثال الضالة المُضِلَّة التي تتصادم مع العقيدة الصحيحة ومثل هذا الذي يفعله الناس أو يعتقدونه أو تَلُوكُه ألسنتُهم بغير تدبر أو رَوِيَّة قد يؤدي إلي الخُسْران المبين قال تعالي (وتَحْسَبُونَه هَيناً وهو عند الله عَظِيم)(١) وبسبب البعد عن دين الله – مع التمسك بهذه الأخطاء والخُرافات والاعْتِقادات الخاطِئَة – أصبحنا أضعف أهل الأرض، وحَلَّ بنا البَوار في ديننا ودنيانا، حتي ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدينا .

ولْنعلم أن الكلمة أمانة وتَبِعاتها من أعظم وأجَلّ التَّبعات، ونظراً لِعِظَم مسئولية الكلمة قال الله تعالى (ما يَلْفِظُ مِن قوْلٍ إلا لَدَيْهِ رَقيبٌ عَتِيدٌ) (٢) . وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم (إنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَة مِن رضْوان اللهِ تعالى ما كان يظن أنْ تَبْلُغَ ما بَلَغتْ يكتب اللهُ له بها رضوانه إلى يوم يَلْقاه، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّم بالكَلِمَة مِن سَخَطِ اللهِ ما يَظُنُّ أنْ تَبْلُغَ ما بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللهُ لَه بها سَخَطَه إلي يوم يَلْقاه)(٣). فيجب أن يكون كلامُنا وأفعالُنا ومعاملاتُنا وأسماؤنا موافقة لشرع الله سبحانه وتعالي (٤)

---

(١) سورة النور : ١٥

(٢) سورة ق : ١٨

(٣) رواه مالك وأحمد والترمذي وغيرهم رحمهم الله تعالى

(٤) احذر أقوال وأفعال واعتقادات خاطئة (المقدمة) الشيخ د / طلعت زهران



النداء السابع والستون - قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧) وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (٨) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٩) ﴾

سورة محمد : ٧ – ٩

سورة محمد تسمى سورة القِتَال وهي مدنية وآياتها ثمان وثلاثون .

والنَّصْر والنُّصْرَة : العَوْن . قال تعالى (نَصْرٌ مِن الله – إذا جاء نَصْرُ الله - وانصُروا آلهتَكُم – إن يَنْصُرْكم اللهُ فلا غالِبَ لكم – وانصُرْنا على القوم الكافرين - وكان حَقَّاً علينا نصر المؤمنين – إنا لننصر رسلنا – وما لهم في الأرض مِن ولي ولا نصير – وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً – وما لكم من دُون الله مِن ولي ولا نصير – فلولا نَصَرَهُم الذين اتَّخَذُوا مِن دُون اللهِ) إلي غير ذلك من الآيات . ونُصرة الله للعبد ظاهرة، ونصرة العبد لله هو نصرته لعباده والقيام بحفظ حدود ورعاية عهوده واعتناق أحكامه واجتناب نهيه . قال (ولِيعلم الله من ينصره – إن تنصروا الله ينصركم – كونوا أنصار الله) . والانتصار والاستنصار طلب النُّصْرَة (والذين إذا أصابهم البَغْيُ هُم يَنتصرون – ولَمَن انتصَر بَعْد ظُلْمِه – فدعا ربه أني مَغْلُوب فانتَصِر) وإنما قال فانتصِر ولم يقل انْصُر تنبيهاً أنَّ ما يلحقني يلحقك من حيث أني جئتهم بأمرك فإذا نصرتني فقد انتصرتَ لنفسك . والتَّناصُر التَّعاوُن قال تعالى (ما لكم لا تناصرون)(١) .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : قال تعالي (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) كقوله عز وجل (ولَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَن ينصره) فإنَّ الجزاء من جنس العمل ولهذا قال (ويثبت أقدامكم)، كما جاء في الحديث (مَن بَلّغ ذا سلطان حاجَة مَن لا يَسْتَطِيع إبلاغها، ثَبَّتَ اللهُ تعالى قَدَمَيْه علي الصِّراطِ يَوْمَ القِيامَة) .

ثم قال تبارك وتعالى (والذين كفروا فتعساً لهم) عكس تثبيت الأقدام للمؤمنين، وقد ثَبَت في الحديث عن رسول الله أنه قال (تَعِسَ عَبْدُ الدِّينار تَعِسَ عبدُ الدِّرْهَم، تَعِسَ عَبْدُ القَطِيفَة، تَعِسَ وانتَكَسَ، وإذا شِيكَ فلا انتقِشْ) أي فلا شفاه الله عز وجل، وقوله سبحانه (وأضلَّ أعمالهم) أي أحبطها وأبطلها، ولهذا قال (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله) أي لا يريدونه ولا يحبونه (فأحبط أعمالهم)(٢)

---

(١) المفردات في غريب القرآن – الراغب الأصفهانى ص ٤٩٧ .

(٢) مختصر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى ج٣ ص ٣٣١

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى :

هذا أمر منه تعالي للمؤمنين أن ينصروا الله بالقيام بدينه والدعوة إليه وجهاد أعدائه وأن يقصدوا بذلك وجه الله فإنهم إذا فعلوا ذلك نصرهم وثبت أقدامهم أي : يربط علي قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات ويُصَبِّر أجسادهم على ذلك ويعينهم على أعدائهم، فهذا وعد من كريم صادق الوعد أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه وييسر له أسباب النصر من الثبات وغيره ، وأما الذين كفروا بربهم ونصروا الباطل (فتعساً لهم)(١) فإنهم في تَعْس : أي انتكاس من أمرهم وخذلان (وأضل أعمالهم) أي : أبطل أعمالهم التي يكيدون بها الحق، فرجع كيدهم في نحورهم وبطلت أعمالهم التي يزعمون أنهم يريدون بها وجه الله ذلك الإضلال والتَّعْس للذين كفروا بسبب أنهم (كرهوا ما أنزل الله) من القرآن الذي أنزله صلاحاً للعباد وفلاحاً لهم فلم يقبلوه بل أبغضوه وكرهوه (فأحبط أعمالهم) (٢)

النداء الثامن والستون – قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣) ﴾

سورة **محمد** : ٣٣

(تبطلوا أعمالكم) أي بالرياء والشرك والمعاصي . وإبطال العمل : جَعْله باطلاً أي : لا فائدة منه ولا ثواب، فالإبطال تتصف به الأشياء الموجودة وكان الحسن البصري يقول (لا تبطلوا أعمالكم بالمعاصي) . وما يبطل العمل على الحقيقة هو أمور ثلاثة : الشرك، والرياء، وأداء العمل علي غير الوجه المشروع عليه . قد سبق هذه الآية الكريمة قولُه تعالى (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدي لن يضروا الله شيئاً وسيحبط أعمالهم) سورة محمد :٣٢

قال ابن كثير رحمه الله تعالي : يخبر تعالى عَمَّن كفر وصد عن سبيل الله، وخالف الرسول وشاقَّه، وارتد عن الإيمان من بعد ما تبين له الهدي أنه لن يضر الله شيئاً، وإنما يضر نفسه ويخسرها يوم معادها وسيحبط الله عمله، فلا يثيبه على سالف ما تقدم

---

(١) التعس : الهلاك والعثار بالسقوط والشر والبعد والانحطاط، ورجل تاعس وتَعِس. وفي مختار الصحاح : التعس الهلاك وأصله الكَبّ وهو ضد الانتعاش . ويقال تعساً لفلان أي ألزمه الله هلاكاً . وفي المفردات للراغب الأصفهانى : التعس : أي لا ينتعش مِن العَثرة، وأن ينكسر من سَفال، وتعس تعساً وتعسة وفي تفسير الجلالَيْن : فتعساً لهم : أي هلاكاً وخيبة من الله لهم .

(٢) تفسير السعدي رحمه الله تعالى ص ٨٧١





من عمله مثقال بعوضة من خير بل يحبطه ويمحقه بالكلية، كما أن الحسنات يُذْهِبْنَ السيئات، وقد قال أبو العالية : كان أصحاب رسول الله يرون أنه لا يضر مع "لا إله إلا الله" ذَنْبٌ كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) فخافوا أن يبطل الذَّنْبُ العملَ. وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كنا معشر أصحاب رسول الله نرى أنه ليس شئ من الحسنات إلا مقبول حتي نزلت (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) .

فقلنا : ما هذا الذي يبطل أعمالنا ؟ فقلنا : الكبائر الموجبات والفواحش، حتي نزل قوله تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فلما نزلت كففنا عن القول في ذلك، فكنا نخاف على من أصاب الكبائر والفواحش ونرجو لمن لم يُصِبْها ثم أمر الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله، التي هى سعادتهم في الدنيا والآخرة، ونهاهم عن الارتداد الذي هو مبطل للأعمال ولهذا قال تعالي (ولا تبطلوا أعمالكم) أي بالرِّدَّة، ولهذا قال بعدها (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) كقوله سبحانه (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) ثم قال جَلَّ وعلا لعباده المؤمنين (فلا تَهِنُوا) أي لا تضعفوا عن الأعداء (وتدعوا إلى السَّلْم) أي المهادَنَة والمُسالمة ووضع القتال بينكم وبين الكفار في حال قوتكم، ولهذا قال (وأنتم الأعلون) أي في حال علوكم على عدوكم، فأما إذا كان الكفار فيهم قوة وكثرة بالنسبة إلي جميع المسلمين ، ورأي الإمام في المهادنة والمعاهدة مصلحة، فله أن يفعل ذلك، كما فَعَلَ رسولُ الله حين صَدَّه كفارُ قريش عن مكة ودَعَوه إلي الصلح ووضع الحرب بينهم وبينه عشر سنين، فأجابهم صلي الله عليه وسلم إلي ذلك، وقوله جَلَّت عظمته (والله معكم) فيه بشارة عظيمة بالنصر والظفر على الأعداء، (ولن يَتِرَكُم أعمالَكُم) أي لن يحبطها ويبطلها ويسلبكم إياها، بل يوفيكم ثوابها ولا ينقصكم منها شيئاً، والله أعلم (١)

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى - الصابونى ج ٣ ص ٣٣٨



النداء التاسع والستون – قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) ﴾

سورة الحُجُرات : ١

سورة الحُجُرات مدنية وآياتها ثماني عشرة آية، وهي بداية المُفَصَّل . فأشهر الأقوال أن أول المفصل (الحُجُرات) وأول وسط المفصل (عَبَس) وأول قِصار المفصل (الضُّحي) هذا أشهر أقوال المالكية . وطلب هذا لأجل الصلاة المفروضة، ففي الصُبح يستحب القراءة بطوال المفصل، وفي الظهر والعشاء بمتوسطه وفي المغرب بِقِصاره . ذكر لسبب نزول هذه السورة عِدَّة روايات . منها ما ذكره الوَاحِدِي ورواه البخاري وهو أن راكباً مِن بني تميم قَدِمَ علي رسول الله . فقال أبو بكر : أمِّر القعقاع بن معبد ، وقال عمر : أمِّر الأقرع بن حابس ، فقال أبو بكر : ما أردتَ إلا خلافي ، فقال عمر ما أردتُ خِلافك ، فتماريا حتي ارتفعت أصواتهما فنزلت في ذلك (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا (١) بين يدي الله ورسوله .. (٢) .

ونزلت هذه السورة في الأمر بمكارم الأخلاق ورعاية الآداب زيادة على ما تضمنت من الأحكام الشرعية والهدايات القرآنية (٣) .

قال الشيخ أبو بكر الجزائرى في تفسير الآية الكريمة :

لو بحثنا عن المناسبة بين هذه السورة والتي قبلها لتجلّت لنا واضحة إذا رجعنا بالذاكرة إلى موقف عمر رضي الله عنه . وهو يريد أن لا يتم صلح بين المؤمنين والمشركين، وإلى موقف الصحابة كافة من عدم التحلل من إجرامهم ونحر هداياهم والرسول يأمر وَهُم لا يستجيبون حتي تَقدمَّهم صلى الله عليه وسلم فَنَحَرَ هَدْيَه ثم نحروا بعده وتحللوا، إذ تلك المواقف التي أشرنا إليها فيها معنى تقديم الرأي والقول بين يدي الله ورسوله وفي ذلك مَضَرَّة لا يعلم مداها إلا اللهُ، ولما انتهت تلك الحال وذلك الظرف الصعب أنزل الله (يا أيها الذين آمنوا) أي بالله رباً وإلهاً وبالإسلام شِرعة وديناً وبمحمد نبياً ورسولاً، ناداهم بعنوان الإيمان ليقول لهم ناهياً (لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) أي قولاً ولا عملاً ولا رأياً ولا فِكْراً أي لا تقولوا ولا تعلموا إلا تَبَعاً لما قال اللهُ ورسولُه ، وشَرْعِ اللهِ ورسولِه (واتقوا الله) في ذلك فإن التقدم بالشيء قبل أن يشرع الله ورسوله فيه معني أنكم أعلم وأحكم من الله ورسوله وهذه زَلَّة كبرى وعاقبتها سوء، ولذا قال (واتقوا الله إن الله سميع عليم) أي لأقوالكم (عليم) بأعمالكم وأحوالكم . ومن هنا فواجب المسلم

---

(١) قرأ يعقوب (لا تَقَدَّمُوا) بفتح التاء والدال من التقدم أي لا تتقدموا وقرأ الآخرون بضم التاء وكسر الدال من التقديم .

(٢) ذكر البغوى في تفسيره عن قتاده في سبب نزول الآية . قال قتادة : نزلت الآية في ناس كانوا يقولون لو أنزل في كذا وصُنِع في كذا وكذا . فكَره اللهُ ذلك . وقال مجاهد : لا تفتأوا على رسول الله بشيء حتي يقضيه الله علي لسانه وقال الضحاك : يعني في القتال وشرائع الدين لا تقضوا أمراً دون الله ورسوله .   (٣) أيسر التفاسير - الجزائرى ج ٢ ص ١٥٠٠



أن لا يقول ولا يعمل ولا يقضي ولا يُفتي برأيه إلا إذا علم قوْلَ اللهِ ورسولِه وحُكْمهما وبعد أن يكون قد علم أكثر أقوال الله والرسول وأحكامهما، فإن لم يجد من ذلك شيئاً اجتهد (١) فقال أو عمل بما يراه أقرب إلى رضا الله فإذا لاح له بعد ذلك نَصٌ مِن كتاب أو سنة عَدَلَ عن رأيه وقال بالكتاب والسنة (٢) .

فيجب تقديم كلام الله وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحكامهما وأمرهما ونهيهما علي سائر الكلام والأحكام والأوامر والنواهي فكل ما فيه الخلاف بين الصحابة فَمَن بعدهم يجب رده إلى الكتاب والسنة . قال تعالى : (فإن تنازعتم في شيء فرُدُّوه إلي الله والرسول)(٣) فالرد إلي الله تعالى هو الرد إلي كتابه والرد إلى الرسول هو الرد إلي سنته بعد انقطاع الوحي فما وافقهما قُبل وما خالفهما رُدَّ على قائله كائناً من كان .

وقال علي بن أبي طالب : لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخُف أولى بالمسح من أعلاه .

وقال عمر بن عبد العزيز : لا أري لأحد مع سنة سَنَّها رسولُ الله صلي الله عليه وسلم .

وقال الشافعي : أجمع الناسُ على أن مَن اسْتَبَانَ له سُنَّة عن رسول الله لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس (٤) .

---

(١) شاهِدُه حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه حيث قال له رسول الله حين بعثه إلي اليمن : (بِمَ تَحكُم ؟) قال : بكتاب الله تعالى قال رسول الله : (فإن لم تجد ؟) قال بسنة رسول الله . قال رسول الله : (فإن لم تجد ؟) قال رضي الله عنه : أجتهد رأيي ولا آلو . فضَرَبَ رسولُ الله في صَدره وقال : (الحمد الله الذي وَفَّقَ رسولَ رسولِ اللهِ لما يرضى رسول الله . وقد قال بعض أهل العلم إن هذا الحديث فيه مقال.

(٢) أيسر التفاسير - الجزائرى ج ٢ ص ١٥٠١ .

(٣) سورة النساء : ٥٩

(٤) مختصر معارج القبول – هشام عقدة ص ٤٤٣ .



فصلٌ في الخِلاف والاجْتِهاد :

الخلاف كله شر :

ولا شك أن الخلاف كله شر سواء كان في أصول الدين أو فروعه، في المسائل الكبار أو الصغار في مسائل الاعتقاد الذي ينبني عليهما عمل أو التي لا ينبني عليهما عمل، أو في المسائل العملية غير الاعتقادية . وكم من مسألة من مسائل العمل، ومن فروع الدين وقع بسببها فتن عظيمة وبلاء عظيم في المسلمين، بل وقتال وسفك دماء، والفتن الأولى بين الصحابة رضوان الله عليهم وحرب "الجَمَل" و "صِفّين" لم تكن حول قضايا عقائدية، ولا أصل من أصول الدين، ولكن على خلاف في حكم تقديم أو تأخير المطالبة بدم عثمان الذي كان عليه الجميع متفقاً على وجوب الأخذ بثأر وقتْلِ قاتِلِيهِ .

الخلاف درجات :

ولكن الخلاف درجات، فهناك خلاف يخرج فريقاً من المختلفين من الإسلام ويحل قتالهم ودماءهم وهناك خلاف دون ذلك .

١- الخلاف المُخْرِج مِن مِلَّة الإسلام :

وأعظم الخلاف هو الذي يخرج صاحبه من ملة الإسلام ويلحقه بالكفار ويوجب علي أهل الإسلام قتاله وذلك كجحود المرتدين للزكاة، ومنع إعطاءها لخليفة رسول الله ولذلك قاتلهم أبو بكر الصديق قتال الكفار وسماهم بالمرتدين عِلماً بأنهم لم ينفوا الشهادتين ولا الصلاة .

٢- خلاف البِدْعَة غَير المُكَفِّرَة :

ويلي ذلك خلاف البدعة غير المكفرة مع إيجاب قتل قائليها كخلاف الخوارج الذين قالوا بكفر مرتكب الكبيرة، ويستحلوا دماء المسلمين وأموالهم فقاتلهم علي بن أبي طالب والخلفاء مِن بعده، وقد جاء في شأنهم أحاديثُ كثيرة تبين أصل بدعتهم ووجوب قتالهم .

والخلاف الواقع بين أهل السنة والجماعة والفِرَق إنما هو في هذا الباب والذي قبله فقد قاموا علي الدوام برد المقالات والعقائد والأهواء المخالفة للكتاب والسنة وإجماع الأمة . كالذي انتحلته فرق الخوارج والرافضة والجهمية والقدرية والمرجئة وما تفرعَ من هذه الفِرَق .

٣- القول الاجتهادي المخالف للقرآن والحديث :

وهناك الأقوال الاجتهادية المخالِفَة لصريح القرآن وصحيح السنة وقد يصور هذا من بعض المجتهدين والأئمة لأسباب كثيرة جداً منها : النسيان، والغفلة عن النص، ومنها تأويله بغير معناه الحقيقي، أو معارضته بما يظنه أقوى منه، أو ظنه أنه منسوخ ... إلي غير ذلك من الأسباب الكثيرة، وقد يقع العالِم المجتهد في مخالفته النص بزلَّة من الزَّلات فإن العصمة منفية إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم .





وهذا الخلاف يُعْذَر قائله إذا كان مجتهداً متحرياً للحق ويؤجر أجراً واحداً، ولا يجوز لأحد استبانت له السنة، وعرف الحق أن يقلده فيه .

٤- اختلاف الأقوال الاجتهادية في الأمور العَاريَة عن الدليل :

والخلاف الرابع وهو أخف أنواع الخلاف هو اختلاف آراء المجتهدين فيما لا نص فيه من أمور الدين، وهذا الخلاف يقع لاختلاف الفُهُوم والعقول والاطّلاع والنظر وليس هذا من الخلاف المذموم، ما لم يقع بـه فُرْقَة في الدين، وتباغض وتشاجر بين المسلمين .

واجب المسلم إزاء الخلاف :

١- الاعتصام بالكتاب والسنة وإجماع الأمة فهذه هي الأصول التي لا يتطرق إليها الخلل ولا يعتريها النقص . قال تعالي (واعتَصِموا بحبل الله جميعاً)(١) . وجعل الله كتابه وسنة نبيه والجماعة عِصمة من الافتراق ومن شذَّ شذَّ في النار .

٢- وجوب الرد إلي الكتاب وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإذا وقع خلاف بين المسلمين وجب عليهم أن يردوا ما تنازعوا فيه إلى كلام الله وكلام رسولـه . كما قال الله تعالي : (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلي الله)(٢) وقال (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلي الله والرسول)(٣) .

٣- وجوب الرضا بحكم الله وحكم رسوله، فيجب علي المؤمن أن يرضي بحكم الله وحكم رسوله ولا يخرج عن ذلك كما قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ..)(٤) .

٤- وجوب مُجانبة الهَوَى والبَغي، فأعظم الأسباب الموجبة لمخالفة أمر الله وأمر رسوله هو الهوى والبغي ، فالهوى يُعْمِي ويُصِم عن الحق قال تعالي (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ..)(٥) فذكر سبحانه وتعالى أن الهوى يصد ويضل صاحبه عن سبيل الله وقال تعالى ذاكراً سبب ترك الكفار للحق (إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس) (٦) وقال (ومَن أضَلُّ مِمَّن اتَّبَعَ هَوَاهُ بغير هُدَىً مِن اللهِ)(٧)

وأما البغي وهو العدوان والظلم والتحاسد والتباغض، فقد ذكر الله سبحانه أنه كان سبب الفرقة في اتباع الأنبياء . قال تعالى (وما اختلف فيه إلا الذين أوتُوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى اللهُ الذين آمَنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)(٨) وبغياً هنا مفعول لأجله أي لأجل البغي .

---

(١) سورة آل عِمْران : ١٠٣ (٢) سورة الشُّورَي : ١٠ (٣) سورة النساء : ٥٩

(٤) سورة النساء : ٦٥ (٥) سورة ص : ٢٦ (٦) سورة النَّجْم : ٢٣

(٧) سورة القصَص : ٥٠ (٨) سورة البقرة : ٢١٣



٥- إقرار المُخالِفِ في الأمور الاجتهادية إذا لم يظهر رُجْحان الرأي الآخر.

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رحمه اللهُ تعالى : (وقد اتفق الصحابة في مسائل تنازعوا فيها على إقرار كل فريق للفريق الآخر علي العمل باجتهادهم كمسائل في العبادات، والمناكح والمواريث، والعطاء والسياسة وغير ذلك). وقال أيضاً رحمه الله تعالي : (وقد تنازع الصحابةُ في مسائل علمية اعتقادية كَسَماع الميتِ صوتَ الحي، وتعذيب الميت ببكاء أهله، ورؤية محمدٌ رَبه قبل الموت مع بقاء الجماعة والألفة).

٦- لا إنكار فيما يسوغ فيه الاجتهاد مما لا يخالف نصاً من كتاب أو سنة أو إجماع، وقد سُئِلَ شيخُ الإسلام رحمه الله تعالى عَمَّن وُلِيَ أمراً من أمور المسلمين ومذهبُه لا يُجوِّز (شركة الأبْدان)(١) فهل يجوز له منع الناس ؟ فقال رحمه الله : (ليس له منع الناس من ذلك، ولا من نظائره مما يَسوُغ فيه الاجتهاد وليس معه بالمنع نص من كتاب ولا سنة ولا إجماع ، ولا ما هو في معني ذلك، لا سِيَّما وأكثر العلماء علي جواز مثل ذلك ، وهو مما يعمل به عامة المسلمين في عامة الأمصار) (٢) . ا.هـ

وإذا تم الاتفاق بينهم علي ذلك، فما تقبَّله أحدهم من عمل، لزم بقية الشركاء فعله، فيطالب كل واحدٍ بما تقبَّله شريكه من أعمال، لأن هذا هو مقتضاها (٣)

الأئمة الأربعة رحمهم الله تعالى مِن أجِلَّةِ العلماء :

ومن أئمة العلم والفضل : الأئمة الأربعة (٤) أصحاب المذاهب المتبوعة رحمهم الله تعالى وأجزل مثوبتهم وقد كانوا مع جلالة قدرهم وسعة علمهم يَنهون الناس عن تقليدهم، وقد أمَروا إذا رأوا دليلاً في الكتاب أو السنة يعارض قولهم أن يأخذوا بما دل عليه الكتاب والسنة ويَدعَوا أقوالهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : وَلْيُعلَم أنه ليس أحد من الأئمة المقبولين عند الأئمة قبولاً عاماً يتعمد مخالفة رسول الله في شيء من سُنته دقيق ولا جليل ، فإنهم متفقون اتفاقاً علي وجوب اتباع الرسول، وعلي أن كل أحد من الناس يُؤخَذ من قوله ويترك إلا رسولَ الله ، ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلا بد له من عذر في تركه،

---

(١) شركة الأبدان هي : أن يشترك اثنان فأكثر فيما يكتسبان بأبدانهما، سُمِّيَت بذلك لأن الشركاء بذلوا أبدانهم في الأعمال لتحصل المكاسب واشتركوا فيما يحصُلون عليه من كسب ودليل جواز هذا النوع من الشركة ما رواه أبو داود النسائي وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (اشتركتُ أنا وعَمَّارُ وسعدُ فيما نُصيب يومَ بدر، فجاء سعد بأسيرَيْن ، ولم أرجيء أنا وعمار بشيء) . قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : (أشْرَكَ بينهم النبي صلي الله عليه وسلم فدل هذا الحديث علي صحة الشركة في مكاسب الأبدان) . ا. هـ .

(٢) الفتاوي – ابن تيمية رحمه الله تعالى ج ١٩ ص ١٢٢

(٣) الملخص الفقهي – للشيخ د/ صالح الفوزان ج ٢ ص ١٣٣

(٤) الأئمة الأربعة : أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل رحمهم الله جميعاً وقد أفردنا لهم ترجمة في هذا الكتاب (النداءات الإلهية)



وجميع الأعذار ثلاثة أصناف :

أحدها : عدم اعتقاد أن النبي صلي الله عليه وسلم قاله .

والثاني : عدم اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك القول .

والثالث : اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ . وهذه الأسباب الثلاثة تتفرع إلي أسباب متعددة)(١)

٧- لا يجب على أحد من المسلمين تقليد عالم بعينه : (تابع درجات الخلاف)

ولا يجب على أحد من المسلمين تقليد أحد بعينه من العلماء – الأئمة الأربعة أو غيرهم – في كل ما يقول، وعلى المسلم إذا نزلت به نازلة أن يستفتي من يعتقد أنه يفتيه بشرع الله ورسوله امتثالاً لقوله تعالى : (فسئلوا أهل الذكر أن كنتم لا تعلمون)(٢)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : (وإذا نزلت بالمسلم نازلة فإنه يستفتي من اعتقد أنه يفتيه بشرع الله ورسوله من أي مذهب كان، ولا يجب علي أحد من المسلمين تقليد شخص معين من العلماء في كل ما يقول، ولا يجب علي أحد من المسلمين التزام مذهب شخص معين من العلماء في كل ما يوجبه ويخبر به، بل كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله، واتباع شخص لمذهب بعينه لعجزه عن معرفة الشرع من غير جهته إنما هو مما يَسُوغ له، ليس هو مما يجب علي كل أحد إذا أمكنه معرفة الشرع بغير ذلك الطريق، بل كل أحد عليه أن يتقي اللهَ ما استطاع، ويطلب علم ما أمر اللهُ به ورسولُه، فيفعل المأمور ويترك المحظور (٣)

الشروط التي تجب على المسلم عند اتباع مذهب معين :

وإنما يَسُوغ للمرء اتباع مذهب أحد الأئمة بثلاثة شروط :

الأول : أن يعتقد أن لا عِصمة لأحد من الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الإمام أحمد يقول : (لا تُقلّدوني ولا تُقلّدوا مالكاً ولا الشافعي ولا الثوري وتعلموا كما تعلمنا .

الثاني : أن يجعل الحق طَلِبَتَه فمتى استبان له أن القول الراجح بالأدلة في مسألة ما خلاف ما عليه مذهبه أخذ بالراجح دون تردد . قال الإمام الشافعي : أجمع الناس علي أن من استبانت له سنة عن رسول الله لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس (٤)

الثالث : أن لا يعتقد عليه ولاء ولا براء فلا يخص بالموالاة أتباع مذهبه، ولا يُعادي أحداً لأجل أن يلتزم المذهب الذي يتبعه، ويقول الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله تعالى – (ولا يجوز التفرق والاختلاف ولا الدعوة إلى حزب فلان، ورأي فلان، وقول عِلاّن وإنما الواجب أن تكون الدعوة واحدة إلى الله ورسوله إلى كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام لا إلى مذهب

---

(١) رفع الملام عن الأئمة الأعلام ص ١٠ ، ١١ **(٢) سورة النحل :٤٣**

(٣) مجموع الفتاوى ج ٢ ص ٢٠٨ ، ٢٠٩

(٤) إعلام المُوَّقعين – ابن القيم رحمه الله تعالى ج ٢ ص ٢٦٣



فلان أو دعوة علان، يجب علي المسلمين أن تكون طريقتهم واحدة وهدفهم واحداً، وهو اتباع كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام .

٨- ليس الاجتهاد واجباً علي كل أحد في الأئمة :

ولا يجب الاجتهاد علي كل أحد . **قال الخطيب البغدادي :**

(وأما مَن يسوغ له التقليد فهو العامي الذي لا يعرف طُرُق الأحكام الشرعية، فيجوز لـه أن يقلد عالماً ويعمل بقولـه إلـى أن قال : وحُكِي عن بعض المعتزلـة أنـه قال : لا يجوز للعامي العمل بقول العالم حتي يعرف علة الحكم، وإذا سألَ العَالِمَ فإنما يسأله أن يعرّفه طريق الحكم، فإذا عرفه وقف عليه وعمل به، وهذا غلط لأنه لا سبيل للعامي إلى الوقوف علي ذلك إلا بعد أن يتفقه سنين كثيرة ويخالط الفقهاء المدة الطويلة، ويتحقق طرق القياس ويعلم ما يصححه وما يفسده وما يجب تقديمه على غيره من الأدلة، وفي تكليف العامة بذلك تكليف ما لا يُطيقونه ولا سبيل لهم إليه (١)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

والذي عليه جماهير الأمة أن الاجتهاد جائز في الجملة والتقليد جائز في الجملة لا يوجبون الاجتهاد على كل أحد ويحرمون التقليد، ولا يوجبون التقليد على كل أحد ويحرمون الاجتهاد، وأن الاجتهاد جائز للقادر علي الاجتهاد والتقليد جائز للعاجز عن الاجتهاد . فأما القادر علي الاجتهاد فهل يجوز له التقليد ؟ هذا فيه خلاف والصحيح أنه يجوز بحيث لو عجز عن الاجتهاد ؟ إما لتكافؤ الأدلة، وإما لضيق الوقت عن الاجتهاد، وإما لعدم ظهور دليل له، فإنه حيث عجز سقط عنه وجوب ما عجز عنه وانتقل إلي بدله وهو التقليد ، كما لو عجز عن الطهارة بالماء (٢)

٩- يجب اجتنابُ زَلَّةِ العَالِمِ :

قال عمر بن الخطاب (ثلاثة يَهدِمْنَ الدِّين : زلة عالم، وجدال منافق، وأئمة مُضِلُّون)(٣)

١٠- لو أخذتَ برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كُلّه :

وقد أجمع أهل العلم علي تحريم تَلَقُّطِ الرُّخَص المترتبة علي زلات العلماء، وقال الأوزاعى (من أخذ بنوادر العلماء خرج من الإسلام)(٤)

---

(١) الفقيه والمتفقه ص ٦٨ ، ٦٩

(٢) مجموع الفتاوى – شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ج٢ ص ٢٠٣ ، ٢٠٤

(٣) أخرجه الدَّارمِيّ رحمه الله تعالى بسند صحيح ٧١/١

(٤) سير أعلام النبلاء – للذهبي رحمه الله تعالى ١٢٥/٧



١١- لا يجوز التشنيع علي العلماء بزلاتهم :

ولا يشنع علي العلماء بزلاتهم، بل هم مأجورون علي اجتهادهم، وإن لم يُصِب العالمُ الحقَّ . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد)(١)

والخبر المنقول عن العَالِم يجب التأكد أولاً من صحة النقل، وثانياً من صحة فهم الدلالة وينبغي أن يعرض ذلك الخبر علي أقواله وأفعاله السابقة واللاحقة فإن خالف ذلك الخبر المعروف من سيرته، وقوله كانت هذه قرينة مهمة في رد الخبر أو حمله علي المعروف من حاله . قال ابن القيم رحمه الله تعالي (والكلمة الواحدة يقولها اثنان يريد بها أحدهما أعظم الباطل، ويريد بها الآخر مَحْضَ الحق، والاعتبار بطريقة القائل وسيرته ومذهبه، وما يدعو إليه ويناظر عنه (٢)

١٢- الموقف من العَالِم العَامِل إذا تَلَبَّسَ ببدعة :

وتَلَبُّس العالم ببدعة لا تبلغ به الكفر المخرج من الملة غير مانع من الانتفاع بعلمه الموافق للسُّنة ويحذر من بدعته، ولا تُهدَر حسناته لأجلها، فإن العدل والإنصاف يقتضيان ذلك . قال تعالي : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط)(٣) وقال (ولا تبخسوا الناس أشياءهم)(٤)

وقد يجتمع في الرجل الواحد خير وشر، وطاعة وفجور، وسنة وبدعة، فيستحق من الثواب والموالاة بقدر ما فيه من الخير ومن العقاب والمعاداة بقدر ما فيه من الشر ...

قال الإمام الذهبي : (ثم إن الكبير من العلماء إذا كَثُر صوابُه وعُلِمَ تحريه للحق واتَّسَع علمه وظهر ذكاؤه وعُرِفَ صلاحُه وورعُه واتباعه يُغْفَر له زَلَلُه ، ولا نُضلِلُه ولا نَطْرَحه وننسى مَحاسِنَه . نعم ولا نقتدي به في بدعته وخطئه ، ونرجو له التوبة من ذلك)(٥)

١٣- الموقف من مصنفات العلماء الذين جمعوا بين حق وباطل وسنة وبدعة :

ويعتبر هذا المعيار في الحكم علي تصانيف أولئك العلماء، فيشار إلى ما فيها من الفوائد العلمية النافعة وينبه علي ما فيها من الاعتقادات البِدْعِيَّة، وهكذا صنع شيخ الإسلام في حكمه علي مصنفات أبي عبد الرحمن السلمي شيخ الصوفية ومُؤَرّخهم المُتَوَفَّي سنة ٤١٢ هـ فقال : (وهو في نفسه رجل من أهل الخير والدين والصلاح والفضل، وما يرويه من الآثار فيه من الصحيح شيء كثير، ويروي أحياناً أخباراً ضعيفة بل موضوعة، يعلم العلماء أنها كذب إلي أن قال (فالذي جمعه الشيخ أبو عبد الرحمن ونحوه في تاريخ (أهل الصُّفَّة) وأخبار زُهَّاد السلف وطبقات الصوفية يستفاد منه فوائد جليلة، ويُجتنب منه ما فيه من الروايات الباطلة ويتوقف فيما

---

(١) رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى

(٢) مَدارج السالِكِين – ابن القيم رحمه الله تعالى ٣/٥٢١

(٣) سورة المائدة : ٨ **(٤) سورة هود : ٨٥**

(٥) سِير أعلام النُبلاء – الذهبى رحمه الله تعالى ٥ / ٢٧





فيه من الروايات الضعيفة وهكذا كثير من أهل الروايات ومن أهل الآراء والأذواق من الفقهاء والزهاد والمتكلمين وغيرهم)(١)

١٤- وجوب تحذير العامة وطالب العلم المُبْتَدِىء ومن الكتب التي احتوت علي بعض البدع :

ويلزم التنبيه علي ضرورة أن يحرص الخِطاب الدعوى الموجه إلي العامة علي توجيههم نحو كتب علماء أهل السنة والجماعة المُصَفَّاة من البدع والاعتقادات الزائغة، فلا يُنصحون مثلاً بقراءة كتاب (إحياء علوم الدين) للغزالى لِما فيه من بيان حَسن لأعمال القلوب ، ولا كتاب (الكَشَّاف) للزمخشري لاحتوائه علي جُمَل عجيبة من أسرار الإعجاز البياني للقرآن الكريم ، وذلك أن العامة تَقْصُر فُهُومُهم عن التمييز بين الحق والباطل والغَثّ والسمين في هذين الكتابَين وأحزابهما . فالمفاسد المترتبة علي قراءة العامة لهذه الكتب أعظم من المصالح المُتَحَصَّلَة من وراء ذلك . وقد تقرر أن درء المفاسد مُقَدَّم علي جلب المصالح.

١٥- واجب العلماء نحو أمتهم :

ونظراً لأمانة العلم التي حملها العلماء فإن الواجب عليهم أن يقوموا بمهمتهم في قيادة الأمة من خلال تبليغ العلم الذي ائتمنهم الله على نشره وأخذه عليهم ألاّ يكتموه ، لا سِيَّما في الفترة التي تموج فيها فتن الشبهات والشهوات تواجه فيها الأمة حرباً ضَرُوساً يَشُنُّها عليها خصومُ الإسلام من الخارج والداخل، وإن تَنحيَّ العلماء عن تَوَلّي هذه المَهمة القيادية يفسح المجال للأدعياء ليتصدوا لأمور لا قِبَل لهم بها فَيَضِلُّون ويُضِلُّون.

قال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز – رحمه الله تعالى :

(فأهل العلم رعاة وهُداة فعليهم أن يُعْنوا برعيتهم، والشعوب رعية لهم ، فعليهم أن يعنوا بهذه الرعية وأن يخافوا اللهَ فيهم، وأن يرشدوها إلي أسباب النجاة، ويُحَذّروها من أسباب الهلاك وأن يغرسوا فيما بينهم حب الله ورسوله والاستقامة على دين الله والشوق إلي الله وإلى جنته وكرامته، والحذر من النار، فالنار بئس المصير، يجب الحذر منها والتحذير منها، وأولي الناس بهذا الأمر هم العلماء، وطلاب العلم.

هكذا يكون حالهم أبداً وهكذا تكون أخلاقهم أبداً، مسارعة إلى مرضاة الله وابتعاداً عن معاصي الله ودعوةً إلي الله وإرشاداً إليه ووقوفاً عند حدوده، وأخذاً بالأحْوَط دائماً، وبُعْداً عما حرم الله وعما كرهه الله، حتي يتأسي بهم إخوانهم من المؤمنين، وحتي يتأثر بهم المسلمون أينما كانوا(٢)

---

(١) مجموع الفتاوي – ابن تيمية رحمه الله تعالى ١١/ ٤٢ – ٤٣

(٢) الصراط – عبد الرحمن عبد الخالق اليوسف حفظه الله تعالي



النداء السبعون - قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤) ﴾ سورة الحُجُرات : ٢ - ٤

قال الشيخ أبو بكر الجزائرى :

هذه الآية تطالب المسلم بالتأدب مع رسول الله، فأولاً : نهاهم الله عن رفع أصواتهم فوق صوت رسولِ الله إذا هم تحدثوا معه وأَوْجَبَ عليهم إجلال النبي وتعظيمه وتوقيره بحيث يكون صوت أحدهم إذا تكلم أخفضُ من صوت رسول الله . ولقد كان أبو بكر الصديق إذا كلم رسولَ الله يُسارُّه الكلام مُسارَّةً، وثانياً : نهاهم إذا ناجوَا رسولَ الله أنْ لا يجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض؛ بل يجب عليهم توقيره وتعظيمه، وأعلمهم أنه يخشي عليهم إذا هم لم يوقروا رسولَ الله ولم يُجِلّوه أن تحبط أعمالهم بالشرك والكفر وهم لا يشعرون إذ رَفْعُ الصوت لرسول الله ونداؤه بأعلى الصوت يا محمد يا محمد أو يا نبي الله ويا رسول الله وبأعلى الأصوات إذا صَاحَبَه استخفاف أو إهانة وعدم مبالاة صار كفراً محبِطاً للعمل قطعاً .

وفي الآية الثالثة وهي قول الله تعالى (إنَّ الذِينَ يَغُضُّون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن اللهُ قلوبهم للتقوى) . يُثْنِي اللهُ تعالى علي أقوام يغضون أصواتهم عند رسول الله أي يخفضونها في حَضْرَتِه وبين يديه كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، هؤلاء يخبر تعالى أنه امتحن قلوبهم للتقوى أو وسَّعها وشرحها لتحمل تقوى الله والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (التقوى ها هُنا) ويشير إلى صدره ثلاثاً ويذكر لهم بشرى نِعمَ البشرى وهى أن لهم منه تعالى مغفرةً لذنوبهم، وأجراً عظيماً يوم تلقونه وهو الجنة دار المتقين جعلنا الله منهم بفضله.

وبما أن الله قد قبض نبيه ولم يبقَ بيننا رسولُ اللهِ نتكلم معه أو نناجيه فنخفض أصواتنا عند ذلك فإن علينا إذا ذُكِرَ رسولُ اللهِ بيننا أو ذُكِرَ حديثُه أن نتأدب عند ذلك فلا نضحك ولا نرفع الأصوات، ولا نظهر أي استخفاف أو عدم مبالاة وإلا يخشى علينا أن تحبط أعمالنا ونحن لا نشعر وعلي الذين يغشون مسجدَ رسولِ الله أن لا يرفعوا أصواتهم فيه إلا لضرورة درس أو خطبة أو آذان أو إقامة (١)

ثم قال تعالي (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتي تخرج إليهم لكان خيراً لهم) فما زال السياق الكريم في تأديب المؤمنين إزاء نبيهم صلى الله عليه وسلم فقد عاب تعالى أقواماً معهم جَفاءً وغِلْظةً، قيل إنهم وفد من أعراب بَني تميم منهم الزبرقان بن بدر، والأقرع بن حابس وعُيينة بن حِصن جاءوا والرسول قائل وقت القيلولة

---

(١) أيسر التفاسير - الجزائرى ج ٢ ص ١٥٠١





ووقفوا علي أبواب الحُجُرات (١) ينادون بأعلى أصواتهم يا محمد، يا محمد، اخرج إلينا فإنَّ مَدْحَنا زَيْنٌ وإن ذمَّنا شَيْن فأنزل الله فيهم هذه الآية تأديباً لهم .

وقوله (أكثرهم لا يعقلون)(٢) أي فيما فعلوه بمقام الرسول الشريف ومكانته الرفيعة (ولو أنهم صبروا حتي تخرج إليهم) بعد هبوبك من قيلولتك (لكان خيراً لهم)(٣) أي من ذلك النداء بتَعالِي الأصوات من وراء الحجرات . وقوله (والله غفور رحيم) أي غفور لمن تاب رحيم بهم إذ لم يعجل لهم العقوبة وفتح لهم باب التوبة وأدَّبَهم ولم يُعنّف ولم يغلظ (٤)

قال ابن عباس في نزول هذه الآية الكريمة :

بعث رسول الله سرية إلى بني العنبر وأمَّر عليهم عُيينة بن حِصن الفزارى، فلما علموا أنه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم، فسباهم عُيَيْنَة بن حِصن وقدم بهم على رسول الله فجاء بعد ذلك رجالهم يَفدون الدَّراري ، فجعلوا ينادون : يا محمد اخرج إلينا، ويصيحون . فأنزل الله (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات ...) الآية (٥) .

---

(١) الحجرات : جمع حُجْرة . وهي تسع تدخل ضمن البيت النبوي.

(٢) هذا الاحتراس دَالٌ علي أن الوفد مَن كان متأدِّباً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينادِ بصوتٍ عالٍ وألفاظ نابية لا تليق بمقام الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٣) أي لو انتظروا خروجك لكان أصلح لهم في دينهم ودنياهم، وكان النبي لا يحتجب عن الناس إلا في أوقات يشتغل فيها بمهمات نفسه فكان إزعاجه في تلك الحال من سوء الأدب .

(٤) أيسر التفاسير - الجزائرى ج ٢ ص ١٥٠٢

(٥) تفسير البغوى رحمه الله تعالى.



النداء الحادي والسبعون - قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨) وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠) ﴾

سورة الحُجُرات : ٦- ١٠

(فاسقٌ) الفاسق الخارج من حدود الله، والفسق في أصل الاشتقاق : موضوع لما يدل على معنى الخروج . وسُمِّي الفاسق فاسِقاً لانْسِلاخِه عن الخير . وفي لسان العرب لابن منظور المصري رحمه الله تعالى :

والفسق : العصيان والترك لأمر الله والخروج عن طريق الحق ومنه قوله تعالى (ففسق عن أمر ربه) والفَوَاسِق من النساء الفواجر .

قال الراغب الأصفهاني في كتابه المفردات في غريب القرآن :

والفسق أعم من الكفر لأنه يقع بالقليل والكثير من الذنوب ولكن تُعُورف فيما كان بالكثير وأكثر ما يقال لمن كان مؤمناً ثم أخَلَّ بجميع الأحكام أو ببعضها . فالفاسق أعم من الكافر والظالم أعم من الفاسق . وسُمّيت الفأرة (فُوَيْسِقَة) لما اعتقِد فيها مِن الخُبث والفسق وقيل لخروجها من بيتها مرة بعد أخرى(١)

(بنَبأ) : النبأ في اللّغة الخَبَر والجمع أنْباء . ويري بعض اللُّغَويّين أنه لا يقال للخبر : نبأ حتى يكون مُهِمَّاً ذا فائدة عظيمة . قال تعالى (وجئتُك مِن سبأ بنبأ يقين) سورة سبأ .

(فتبينوا) : التَّبَيُّن : طلب البيان والتعرف، وقريب منه التثبيت والمراد به هنا التحقق والتثبت من الخبر حتي يكون الإنسان علي بصيرة من أمره.

---

(١) المفردات في غريب القرآن – الراغب الأصفهاني ص ٣٨٢



معني الآيات الكريمات :

إن جاءكم فاسق بنبأ عظيم له نتائج خطيرة فلا تقبلوا قوله حتي تتثبتوا وتتحققوا من صدقه، لتأمنوا العاقبة .

(بجهالة) أي جاهلين حالهم، أو تصيبوهم بسبب جهالتكم أمرهم .

(نادِمِينَ) : النَّدم : الغَمّ عَلى وقوع شيء مع تمني عدم وقوعه . يقال : نَدِمَ نَدَماً ونَدَامَة، وتنَّدم أسِف كذا في لسان العرب .

(لَعَنِتُّم) أي لوقعتم في العَنَت . قال ابن الأثير: العَنَت : المشقة والفساد والهلاك وقوله تعالى (لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم) أي لوقعتم في الفساد والهلاك .

(الراشِدون) جمع راشِد وهو المهتدي إلي محاسن الأمور ومنه سُمّي الخلفاء الراشدون . والرَشَد الاستقامة علي طريق الحق مع تصلُّب فيه من الرَّشاد وهو الصَّخْر(١)

(بَغَتْ) البَغْي : التَّطاوُل والفساد . قال تعالى (إن قارون كان من قوم موسى فَبَغَي عليهم) . وأصل البَغْي : مجاوزة الحَد في الظلم والطغيان .

والفِئَة الباغِيَة : هي الظالمة الخارجَة عن طاعة الإمام العادل وفي الحديث (وَيْحَ عَمَّار تقتله الفئة الباغية) .

(تفيء) أي ترجع إلي الطاعة وفَاءَ إلى الشيء : رجع إليه ومنه قوله تعالى (فإن الله غفور رحيم) أي رجعوا . والفَيء : ما رجع إلى المسلمين من الكفار بدون حرب.

(المُقْسِطِين) : العادِلِين المُحِقين، من الفِعْل الرباعي أقْسَطَ بمعنى عَدَل وأما قَسَطَ فمعناه ظَلَم.

سبب نزول الآية الكريمة : روى الإمام أحمد عن الحارث بن ضِرار الخُزاعي أنه قال :

(قدِمْتُ عَلى رسول الله فدعاني إلي الإسلام فدخلتُ فيه وأقررتُ به، ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها، وقلت : يا رسول الله أرجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة، فمَن استجاب لي جمعتُ زكاته وترسل إليَّ يا رسولَ اللهِ رسولاً لأبان كذا وكذا، لِيأتينك بما جمعتُ من الزكاة .. فلما جمع الحارثُ الزكاةَ ممن استجاب له، وبلغ زمان الوعد الذي أراد رسول الله أن يبعث إليه احتبس الرسولُ فَلم يأتِ، فَظَنَّ الحارثُ أنْ قد حدث فيه سخطة من الله ورسوله، فدعا سَرَوَات (٢) قومه فقال لهم : رسولُ الله كان وَقَّتَ لي وقتاً يرسل إليَّ رسولَه ليقبض ما كان عندنا من الزكاة وليس من رسول الله الخُلف، ولا أرى حبسَ رسولِهِ إلا من سخطة عليَّ، فانطلقوا بنا نأتي رسولَ الله . وبعث رسول الله (الوليد بن عقبة) إلي الحارث ليقبض ما كان

---

(١) تفسير القرطبي رحمه الله تعالى ج ١٦ ص ٣١٤

(٢) سَرَوات : (جمع سَرَاة وهم أشراف القوم) . سَرَاةُ كل شيء أعلاه (مختار الصحاح)



عنده مما جمع من الزكاة، فلما سار الوليد حتى بلغ بعضَ الطريق، فَرِقَ (١) فرجع، فأتى رسولَ اللهِ فقال : إنَّ الحارث منعني الزكاة وأراد قتْلِي، فَضَرب رسولُ الله البَعْثَ (٢) إلى الحارث، فأقبل الحارث بأصحابه حتى استقبله البعث وقد فصل عن المدينة، قالوا : هذا الحارث، فلما غشِيَهم قال إلى أين ؟ قالوا : إليك، قال : ولِمَ ؟ قالوا : إن النبي صلى الله عليه وسلم كان بعث إليك (الوليد بن عقبة) فزعم أنك منعتَه الزكاة وأردتَ قتلَه ، قال : لا والذي بعث محمداً بالحق ما رأيتُه، ولا أتاني، فلما دخل الحارث على النبي قال : مَنَعْتَ الزكاة وأردتَ قتلَ رسولي ؟ قال : لا والذي بعثك بالحق ما رأيتُه ولا أتاني وما أقبلتُ إلا حين احتُبِس عليَّ رسولُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . خشية من أن تكون سخطة من الله ورسوله عَلَيَّ . فنزلت الآية (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبينوا ...)(٣) .

وأما قوله تعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) ذُكِرَ في سبب نزولها ما أخرجه البخاري ومسلم وابن جرير وغيرهم عن أنس رضي الله عنه أنه قال : (قيل للنبي لو أتيت (عبد الله بن أُبَيّ) فانطلق إليه وركب حماراً وانطلق معه المسلمون يمشون، فلما أتاه النبي قال : إليك عني (٤) فو اللهِ لقد آذاني نتن حِمارك فقال رجل من الأنصار واللهِ لحِمار رسولِ الله أطيب ريحاً منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه، وغضب للأنصاري آخرون من قومه، فكان بينهم ضرب بالجَريد والأيدي والنِّعال، فأنزل الله فيهم (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ..)

وُجُوه القِراءات :

١- قوله تعالى (إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) قرأ الجمهور (فتبينوا) من التَّبَيُّن ، وقرأ حمزة والكِسائي (فَتَثَبَّتُوا) مِن التَّثَبُّت والمعنى واحد لأن التَّبَيُّن معناه في اللغة التثبت والتحقق .

٢- قوله تعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) قرأ الجمهور (اقتتلوا) بصيغة الجمع . وقرأ أُبَيُّ بنُ كعب، وابنُ مسعود (اقْتَتَلا) بالتثنية عَلَى فعل مُذكَّرَيْن . وقرأ أبو المتوكل وابن أبي عبلة (اقْتَتَلَتا) بتاء وألف بعد اللام على فعل اثنتين مُؤَنَّثَتَيْن.

٣- قوله تعالى (فأصلحوا بين أخويكم) قرأ الأكثرون (بين أخويكم) بياء التثنية ، وقرأ أبى بن كعب وابن جُبير: (بين إخْوتَكِم) بالتاء علي الجَمْع . وقرأ الحَسَنُ وابنُ سِيرين (بين إخوانكم) بالنون والألف قبلها . ويكون المراد بين الأوْس والخَزْرَج (٥)

---

(١) فَرِقَ : أي خَافَ وفَزِعَ

(٢) البَعث : فرقة من المقاتلين وجمعها بعوث.

(٣) رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات كذا في مجمع الزوائد ج ٧ / ص ١٠٩

(٤) إليك عني : أي تَنَحَّ وابتعد عني.

(٥) روائع البيان - الصابونى ج ٢ ص ٤٨٣



المعني الإجمالي للآيات الكريمات :

يقول الله تبارك وتعالى ما معناه : يا مَن اتصفتم بالإيمان، وصَدَّقْتُم بكتاب الله وآمَنتُم برسوله، وعلمتم علم اليقين أن ما جاءكم الرسول حق لأنه من عند الله . لا تسمعوا لكل خبر ، ولا تصدقوا كل إنسان ، بل تحققوا وتثبتوا من الأمر، قبل أن تصيبوا إخوة لكم مؤمنين، بسبب خبر لم تتحققوا مِن صحته، وكلام لما تتأكدوا من صدقه، فتندموا على ما فرط منكم، ولكن لا ينفعكم حينئذ الندم .

واعلموا – أيها المؤمنون – أن فيكم النبي المعظم (رسول الله) المعصوم الذي لا ينطق عن الهوي، الذي يطلعه الله علي الخفايا . فلا تحاولوا أن تستميلوه لرأيكم، ولو أنه استجاب لكم وأطاعكم في غالب ما تشيرون به عليه، لوقعتم في الجهد والهلاك، ولكن الله – بمنّه وفضله – حفظه وحفظكم، وَنَوّر بصائر أتباعه المؤمنين، وحَبَّبَ إليهم الإيمان وبَغَضَّ إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وأرشدهم إلى سبيل الخير والسعادة .

ثم عَقَّبَ تعالى بما يترتب على سَماع مثل هذه (الأنباء المكذوبة) من تخاصم، وتباغُض وتقاتل، فقال : إذا رأيتم أيها المؤمنون طائفتين من إخوانكم جَنَحَتا إلي القتال والعدوان فابذلوا جهدكم للتوفيق بينهما وادعوهما إلى النزول على حكم الله، فإن اعْتَدَتْ إحْدَى الطائفتين على الأخْرى وتجاوزتْ حَدّها بالظلم والطغيان وأرادت أن تبغي في الأرض فقاتِلُوا تلك الطائفة الباغية، حتى تئوب إلى رشدها، وترضى بحكم الله عز وجل وتقلع عن البغي والعدوان فإذا كفَّت عن العدوان فأصلحوا بينهما بالعدل لأنهم إخوانكم في الدين، ومن واجب المسلمين أن يصلحوا بين الإخوان، لا أن يتركوا البغضاء تَدُبّ، والفرقة تعمل عملها، لأن المؤمنين جميعاً إخوة، جمعتهم (رابطة الإيمان) وليس ثمة طريق إلي إعادة الصفاء إلا بالإصلاح بين المتخاصمين، فهو سبيل الفلاح وطريق الفوز والنجاح . واتقوا الله لتنالكم رحمته، وتسعدوا بمرضاته ولقائه (١)

لطائف وفوائد :

١ - سورة الحجرات تسمي سورة (الأخلاق والآداب) فقد أرْشَدَتْ إلي مكارم الأخلاق، وجاء فيها النداء بوصف الإيمان بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) خمس مرات، وفي كل مرة إرشاد إلي مَكْرُمَة من المكارم وفضيلة من الفضائل .

٢ - قوله تعالى (إن جاءكم فاسق بنبأ) في هذا التعبير إشارة لطيفة إلي أن المؤمن ينبغي أن يكون حَذِراً يَقِظاً لا يقبل كل كلام يلقي على عواهنه دون أن يعرف المصدر، وتنكير (فاسق) للتعميم، لأنه نكرة في سياق الشرط، وهي كالنكرة في سياق النفي تفيد العموم (٢) كما قرره علماء الأصول والمعنى إن جاءكم أي فاسق فتثبتوا من خبره، وجاء بحرف التشكيك (إن) ولم يقل (إذا) التي تفيد التحقيق، ليشير إلى أن وقوع مثل هذا إنما هو علي سبيل (النُّدرة) إذ الأصل في المؤمن أن يكون صادقاً.

---

(١) نفس المصدر السابق

(٢) انظر رسالة فى أصول التفسير فى ملحق هذا الكتاب.



٣- قوله تعالى (واعلموا أن فيكم رسول الله) تقديم خبر" أنَّ " على اسمها ليفيد معنى الحَصْر المتتبع لزيادة التوبيخ على ما فرط منهم في حق الرسول وفي الكلام إشعار بأنهم زينوا بين يدي الرسول الإيقاع بالحارث وقومه وقد أريد أن ينعي عليهم ذلك بتنزيلهم منزلة من لا يعلم أنه صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم.

٤ - قوله تعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) الطائفة في اللفظ مفرد وفي المعني جمع، لأنها تدل على عدد كبير من الناس، ولهذا جاء التعبير بقوله (اقتتلوا) رعاية للمعنى فإنَّ كل طائفة من الطائفتين جماعة ، ثم قال تعالى (فأصلحوا بينهما) ولم يقل بينهم رعاية للفظ .

والنُّكْتَة (١) في هذا هو ما قيل : إنهم عند الاقتتال تكون الفتنة قائمة وهم مختلطون فلذا جمع الضمير، وفي حال الصلح تتفق كلمة كل طائفة حتى يكون كنفَسيْن فلذا ثُنّي الضمير .

٥ - سُئِل بعض العلماء عمَّا وقع بين الصحابة رضوان الله عليهم من قتال، فقال : تلك دماء قد طهَّر الله منها أيدينا، فلا نُلوِّث بها ألسِنَتَنا وسبيل ما جرى بينهم كسبيل ما جري بين يوسف وإخوته . وسُئِلَ الحسن البصري عن قتالهم فقال : قتال شَهِدَهُ أصحابُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم وغِبْنا وعَلِموا وجَهِلْنا واجتمعوا فاتَّبعنا واختلفوا فوقفنا (٢)

ما ترشد إليه الآيات الكريمات :

١ - وجوب التثبت من الأخبار وعدم الوثوق بخبر الفاسق الخارج عن طاعة الله .

٢ - وجوب التريث قبل الحكم على الأشخاص لمجرد سماع الأنباء خشية الظلم والعدوان عليهم

٣ - الرسول صلى الله وعليه وسلم هو المرجع للمؤمنين فلا يجوز لأحد من أهل الإيمان أن يقطع بأمر دونه .

٤ - وجوب الإصلاح بين طوائف المؤمنين عند حصول النزاع خشية تَصَدُّع الصَفّ وتَفَرُّق الكلمة.

٥- إذا بَغت إحدى الطائفتين على الأخرى ولم يمكن الإصلاح وجب قبر الفتنة بحَدّ السيف .

٦- المؤمنون إخوة جمعتهم رابطة (العقيدة والإيمان) وهذه الرابطة أقوى من رابطة النسب والدم .

٧- يجب على المؤمنين مقاومة أهل البَغْي إبقاءً لوحدة الأمة الإسلامية ودفعاً للظلم عن المستضعفين(٣)

---

(١) النُّكْتَة : هى المسألة العِلْمِيَّة الدقيقة أو الاسْتنباط الدقيق وجمعها : نُكَت .

(٢) روائع البيان – الصابوني ص ٤٧٩ – ٤٨٢ (٣) روائع البيان - الصابونى ج ٢ ص ٤٩٤



الأحكام الشرعية في الآيات الكريمات :

١ - هل يُقْبَل خبر الواحد إذا كان عَدْلاً ؟

استدل العلماء بهذه الآية الكريمة (إن جاءكم فاسق بنبأ) علي قبول خبر الواحد إذا كان عدلاً، لأن الله تعالى أمَرَ بالتثبت في خبر الفاسق ولو كان خبر الواحد العدل لا يُقْبَل لما كان ثمة فائدة من ذكر التثبت . وهذا الاستدلال كما يقول علماء الأصول هو (مفهوم المخالفة) كما أن العلة في رد الخبر هي (الفِسْق) فإذا انتفَتْ انتفى الرد، أما خبر المجهول الذي لا تُعلَم عدالته ولا فسقه فإن صح أن الأصل العدالة فهو باقٍ علي عدالته حتي يتبين خلافها . وإن كان الأصل عدمها فهو داخل في حكم الفسق حتي تتبين عدالته.

٢ - هل يَجب البحث عن عدالة الصحابة في الشهادة والرواية ؟

رأي جمهور علماء السلف والخلف أن الصحابة كلهم عدول ولا يبحث في عدالتهم في رواية ولا شهادة وذلك ببركة صحبة النبي ومزيد ثناء الله عليهم في كتابه، كقوله (وكَذَلِكَ جَعَلْناكم أُمَّةً وَسَطاً) أي عُدُولاً وقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وقوله (رضي الله عنهم ورضوا عنه) وقوله (يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) وكذلك ما ثبت في السنة المطهرة مِن مَدْحِهِم والثناء عليهم وبيان أنهم أفضل الناس بَعْدَ رسول الله على الإطلاق كقوله صلى الله عليه وسلم (خَيْرُ النَّاسِ قَرْني ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُم ثم الذين يلونهم)(١) وقوله (لا تَسُبُّوا أصحابي فَوَ الذِي نَفْسِي بيَدِهِ لَوْ أنَّ أحَدَكُم أنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً ما بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِم وَلا نَصِيفَه)(٢) .

والقول بأن بعض الصحابة قد وقع في الذنب والمخالفة – بناءً على الاعتقاد بعدم عصمتهم – لا يعني أنهم غير عدول، لأن الفاسق الذي تُرَدُّ شهادته وروايته هو الذي يُصِرّ علي الذنب والمعصية وليس في الصحابة مَن يُصِرّ على ذلك . وقد ذكر الإمام الفخر الرازي أن هذه الآية لم تنزل خاصة بسبب (الوليد بن عُقْبة) وهو صحابي قطعاً، وإنما نزلت عامة في بيان حكم كل فاسق وأنها نزلت في ذلك الوقت الذي حدثت فيه تلك القصة ، فهي مثل التاريخ لنزول الآية لا أنها نزلت لتشهد بفسق (الوليد بن عقبة) رضي الله عنه.

٣ - هل تُقْبَل شهادة الفاسق أو المبتدع ؟

اتفق العلماء علي أن شهادة الفاسق لا تقبل عملاً بقوله (إن جاءكم فاسق بنبأ ..) وكذلك لا تقبل روايته لأن الرواية عن رسول الله أمانة ودين، والفسق يبطلها لاحتمال كذبه على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال القرطبي : وَمَن ثَبَتَ فسقه بطل قوله في الأخبار إجماعاً . لأن الخبر أمانة والفسق قرينة يبطلها.

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي رحمهم الله تعالى

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي رحمهم الله تعالى



واستثنى العلماءُ من قبول خبر الفاسق أموراً تتعلق بالمعاملات وليس فيها شهادة على الغير منها :

أ - قبول قوله في الإقرار علي نفسه مثل : لفلان عندي مائة درهم فيقبل قوله كما يقبل في ذلك قول الكافر . لأنه لإقرار لغيره بحق على نفسه فلا تشترط فيه العدالة.

ب - قبول قوله في الهدية والوكالة مِثل، إذا قال : إنَّ فلاناً أهْدَى إليك، هذا يجوز له قبوله وقبضه ومثل هذا جميع أخبار المعاملات إذا لم يكن فيها شهادة على الغير.

ج- وكذلك في الإذن بالدخول ونحوه كما إذا استأذن إنسان فقال له : ادخل، لا تشترط فيه العدالة

واختلف العلماء في أمر الولاية بالنكاح :

فذهب الشافعي وغيره إلى أن الفاسق لا يكون ولياً في النكاح لأنه يسيء التصرف، وقد يضر بمن يلي أمر نكاحها بسبب فسوقه . وقال أبو حنيفة ومالك : تصح ولايته لأنه يلي مالها فَيَلِي بُضْعَها كالعدل، وإذا وَلِيَ المال فالنكاح أوْلى (القرطبي) .

وأما المبتدع وهو الفاسق الذي يكون فسقه بسبب الاعتقاد . وهو مُتَأَوِّل للنصوص كالجَبْرِيَّة والقَدَرِيَّة ويقال له : المُبْتَدِع بدعة واضِحَة . فَمِنَ الأصوليين مَن رَدَّ شهادته وروايته كالإمام الشافعي رحمه الله ومنهم مَن قَبِلها ، وفَرَّقَ الحنفية قالوا تقبل منه الشهادة ولا تقبل منه الرواية لأن من ابتدع بدعة بسبب الدِّين فلا يَبْعُد أن ينتصر لهواه ويدعو الناس إلي ذلك فنرد روايته دُون شهادته؛ لأن الدعوة إلى مذهبه داعية إلى النقل فلا يؤتمن على الرواية وهذا مذهب جمهور أئمة الفقه والحديث.

٤- هل يجب قتال أهْل البغي ؟

ذهب جمهور العلماء إلى وجوب قتال أهل البغي الخارجين على الإمام أو أحد المسلمين ولكن بعد دعوتهم إلى الوفاق والصلح والسير بينهم بما يصلح ذات البين فإن أقاموا على البغي وَجَبَ قتالهم عملاً بقوله تعالى (فأصلحوا بينهما فإن بغت أحداهما علي الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ..)

قال الطبري : لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين الفريقين الهرب منه ولزوم المنازل، لَمَا أُقِيمَ حَدٌّ، ولا أُبطِلَ باطل، ولَوَجَدَ أهل النفاق والفجور سبيلاً إلى استحلال كل ما حرم الله عليهم من أموال المسلمين وسَبْي نسائهم وسَفْك دمائهم بأن يتحزَّبُوا عليهم، ويكفّ المسلمون أيديهم عنهم .

وقال الجَصَّاص في كتابه أحكام القرآن ج٣ ص ٤٠١ : ولم يختلف أصحاب رسول الله في وجوب قتال (الفئة الباغية) بالسيف إذا لم يردعها غيره، ألا ترى أنهم كلهم رأوا قتال الخوارج ولو لم يروا قتال الخوارج وقعدوا عنهم لقتلوهم وسَبَوا ذراريهم ونسائهم.



٥ - هل تكون أموال البغاة غنيمة للمسلمين ؟

اختلف العلماء في حُكْم أموال البغاة هل تكون غنيمة للمسلمين ؟ أم تُرد إليهم بعد الصلح وانتهاء الحرب ؟

قول الجمهور : إنَّ بَغْيَهم يُحِلّ قتالهم ولا يحل أموالهم وذراريهم لأنهم ليسوا كفاراً وإنما هم مؤمنون باغون، أو فاسقون خارجون عن الطاعة والأمر بقتالهم من أجل ردهم إلي صف المسلمين . وهو القول الراجح .

قال القرطبي رحمه الله تعالى :

(والمُعَوَّل في ذلك عندنا أن الصحابة رضى الله عنهم في حروبهم لم يتبعوا مُدبِراً، ولا ذقَّفُوا (١) علي جريح ولا قتلوا أسيراً ولا ضَمَّنوا نفساً ولا مالاً، وهم القدوة)(٢)

قال الشيخ أبو بكر الجزائري في قوله تعالى (فأصلحوا بين أخَوَيْكُم) :

الآية دليل على أن اسم الإيمان لا يزول بالبغي فأثبتَ أُخُوَّة الإيمان ولم يسقطها بالبغي، ورُوِيَ أن علياً رضى الله عنه سُئِلَ عن قتال أهل البغي من أهل الجَمَل وصِفِّين . أَمُشْرِكُونَ هُمْ ؟ قال : لا، مِنَ الشِّرْك فرُّوا . فقيل : أَمُنافِقُونَ ؟ قال : لا، لأن المنافقين لا يَذْكُرُونَ اللهَ إلا قليلاً. فقيل له : فما حالهم ؟ قال : إخواننا بَغَوا علينا (٣)

---

(١) ذقَّفُوا : أي أجهزوا علي جريح

(٢) روائع البيان - الصابونى ج ٢ ص ٤٨٤-٤٩٣

(٣) أيسر التفاسير -الجزائرى ج ٢ ص ١٥٠٥

النداء الثاني والسبعون ـ قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) ﴾

سورة الحجرات : ١١

سَخَرْتُ منه واسْتَسْخَرْتُه للهُزْء منه سُخَرَةً لمن سَخِرَ ، وسُخْرَة لمن يُسْخَر منه .

(تَلْمِزُوا) : اللَّمْز : الاغْتِياب وتَتَبُّع المَعاب . يقال : لَمَزَهُ يَلْمِزُه وَيَلْمُزُهُ قال تعالى (ومنهم مَن يَلْمِزُك في الصدقات – الذينَ يَلْمِزُون المُطَّوعين – وتَلْمِزُوا أنفسكم) أي لا تلمزوا الناس فيلمزونكم فتكونوا في حُكْم مَن لمَزَ نَفسه، ورَجُلٌ لَمَّاز ولُمَزة كثير اللَّمْز . قال تعالي (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) (تنابزوا) النَّبْز التَّلْقِيب قال (ولا تنابزوا بالألقاب)(١)

قال ابنُ كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية الكريمة :

يَنْهَى تعالى عن السخرية بالناس واحتقارهم والاستهزاء بهم كما ثبت في الحديث الصحيح عن رسول الله أنه قال : (الكِبْرُ بَطَرُ الحق وغَمْط الناس)(٢) . والمراد من ذلك احتقارهم واستصغارهم وهذا حرام فإنه قد يكون المحتَقَر أعظم قدراً عند الله تعالى وأحب إليه من السَّاخِر منه المحتَقِر له ، ولهذا قال (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ..) فنص على نهي الرجال، وعطف بنهي النساء ، وقوله تعالى (ولا تلمزوا أنفسكم) أى : لا تلمزوا الناس والهَمَّاز واللَّمَّاز مِن الرِّجال مَذْمُوم مَلْعُون كما قال تعالى (ويل لكل همزة لمزة) . والهمز بالفعل واللمز بالقول، كما قال عز وجل (هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيم) . قال ابن عباس ومجاهد (ولا تلمزوا أنفسكم) أى لا يَطْعَنْ بعضُكم على بعض، وقوله تعالى (ولا تنابزوا بالألقاب) أى لا تداعوا بالألقاب وهى التي يسوء الشخص سماعها . وقوله جل وعلا (بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان) أى بئس الصفة والاسم الفسوق، وهو التنابز بالألقاب كما أن أهل الجاهلية يتناعتون بعد ما دخلتم في الإسلام وعقلتموه (ومن لم يتب) أى من هذا (فأولئك هم الظالمون)(٣) .

وفي الآية دليل علي أن غير التائب والمُصِرّ علي المعاصي والذنوب يُعدَ ظالماً.

---

(١) المفردات فى غريب القرآن - الراغب الأصفهاني

(٢) رواه أبو داود والحاكم رحمهما الله تعالى عن أبي هريرة رضى الله عنه – ص . ج رقم ٤٦٠٨

(٣) مختصر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى – الصابونى ج ٣ ص ٣٦٣ .





النداء الثالث والسبعون ـ قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢) ﴾

سورة الحجرات : ١٢

الظَنّ : اسم لما يحصل عن أمارة ومتى قويَتْ أدَّتْ إلى العلم، ومتى ضَعُفَتْ حَدّاً لم يتجاوز حَدَّ التَّوَهُّم ومتى قوي أو تصوَّر تَصَوُّر القَويّ استعمل معه " أنَّ " المشددة وأنْ المخففة منها . ومتى ضعف استُعمل أنَّ وأنْ المختصة بالمعدومين من القول والفِعل فقوله (الذين يظنون أنهم مُلاقُوا ربهم)، وكذا فَمِنَ اليَقين (وَظَنَّ أَنَّهُ الفِراق) وقوله (ألا يظن أولئك) وهو نهاية في ذَمِّهم ومعناه ألا يكون منهم ظنٌّ لذلك تنبيهاً أن أمارات البعث ظاهرة.

وقوله (وظن أهلها أنهم قادِرون عليها) تنبيهاً أنهم صاروا في حكم العالِمين لِفَرْطِ طَمعهم وأملهم . وقوله (وظن داودُ أنما فتناه) أي عَلِم. والفتنة ها هنا كقوله (وفتناك فتونا) . وقوله (وذا النون إذ ذهب مغاضِباً فظن(١) أن لن نقدر عليه) فقد قيل الأَوْلَى أن يكون من الظن الذي هو التوهم أى ظن أن لن نضيق عليه . وقوله تعالى (واستكبر هو وجنوده فى الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون) تنبيها أنهم اعتقدوا ذلك اعتقادهم للشئ المتيقن وإن لم يكن متيقناً. وقوله تعالى (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) أة يظنون أن النبى لم يصدقهم فيما أخبرهم به، كما ظن أهل الجاهلية تنبيهاً أن هؤلاء المنافقين فى حَيِّز الكفار، وظنوا أنهم اعتقدوا اعتقادا كانوا منه فى حكم المتيقنين، وعلى هذا قوله (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) وقوله (الظَّانِّين بالله ظَنَّ السَّوء) هو مفسَّر بما بعده. وهو قوله تعالى (بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول – إن نظن إلا ظنا) والظن فى كثير من الأمور مذموم ولذلك قال (وما يتبع أكثرهم إلا ظنا – وأنهم ظنوا كما ظننتم) وقُرِئ (وما هو على الغيب بظنين) أى : بِمُتَّهَمٍ (٢)

يقول تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن كثير من الظنّ وهو التهمة والتَّخَوُّن للأهل والناس فى غير محله؛ لأن بعض ذلك يكون إثما محضا، قال عمر بن الخطاب : لا تظن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيرا وأنت تجد لها فى الخير مَحْمَلا. وعن عبد الله بن عمر قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة ويقول (ما أطْيَبَكِ وأطيبَ ريحك، ما أعظَمَكِ وما أعظم حرمتك، والذى نفسى بيده لَحُرْمَةُ المؤمن أعظم عند الله تعالى حُرْمَةً منكِ ماله ودمه وأن يُظَنَّ به إلا خيرا)(٣) وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(إياكم والظنَّ، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا

---

(١) فظن هنا بمعن اليقين أى تيقن أن الله لن يضيق عليه وهو حسن ظن الأنبياء بالله تعالى

(٢) المفردات فى غريب القرآن – الراغب الأصفهانى ص ٣٢٠

(٣) أخرجه ابن ماجه رحمه الله تعالى فى سننه.



تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يخطب الرجل على خِطْبَة أخيه حتى ينكح أو يترك)(١)

وقوله تعالى (ولا تجسسوا) أى على بعضكم بعضا، والتجسس غالبا يطلق فى الشر ، ومنه الجاسوس. وأما التَّحَسُّس فيكون فى الخير كما قال عز وجل إخبارا عن يعقوب عليه السلام (يا بَنِيَّ اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا مِن رَوْح الله). وقال الأوزاعى : التحسس البحث عن الشئ، والتجسس الاستماع إلى حديث القوم أو يتسمع على أبوابهم.

وقوله (ولا يغتب بعضكم بعضا) فيه نهى عن الغيبة، وقد فسرها الشارع كما جاء فى الحديث الذى رواه أبو داود عن أبى هريرة قال : قيل يا رسول الله : ما الغِيبَة ؟ قال صلى الله عليه وسلم (ذِكْرُكَ أخاك بما يكره). قيل : أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول ؟ قال صلى الله عليه وسلم (إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بَهَتَّه) أى ظلمته. وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت للنبى صلى الله عليه وسلم : حسبك مِن صفية كذا وكذا، تعنى أنها قصيرة. فقال صلى الله عليه وسلم (لقد قلتِ كلمة لو مُزِجَتْ بماء البحر لَمَزَجَتْه). قالت : وحكيت له إنسانا (أى قلدت إنسانا بحركاته) فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما أحب أنى حَكَيتُ إنسانا وأن لى كذا وكذا)(٢). والغِيبَة مُحَرَّمَة بالإجماع، ولا يُستثنى من ذلك إلا ما رجحت مصلحته كما فى الجرح والتعديل والنصيحة (٣)

إن الصرح الشامخ من المؤاخاة والترابط والتعاون والتآلف الذى بناه النبى صلى الله عليه وسلم بل وتعهده إلى آخِر حياته، أعظم ما يدمره وأكبر المعاول التى تأتى على آخره هى الآفة الاجتماعية التى انتشرت بين المسلمين ومع الأسف، فقد تكون هذه الآفة بين الأشِقَّاء وبين التجار، وقد تكون بين طلبة العلم، وهذه شرها وأقبحها وأكثرها ضررا على الأفراد والمجتمعات. فالحذر كل الحذر مِن طلاقة اللسان للنيل من أعراض الناس بالغيبة والنميمة.

واعلم يرحمك الله أن كلا الأمرين أو أحدهما إذا تفشى فى مجتمع لحقت به الفُرْقَة والشقاق والخلاف والتنازع ثم يَؤول المجتمع إلى الضعف والهوان، وهذا ما نعيشه فى زماننا المعاصر، فنجد المسلمين وأهل العقيدة السليمة قد أصابهم هذا الوباء القاتل، فتجدهم شِيَعا وأحزابا، لكل فرد منهم جماعة، ولكل واحد منهم فِئَة يتعصب لها ويُوالِى ويُعادِى مِن أجلها بغير برهان ولا دليل واضح قاطع الدلالة. قال تعالى (وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن إن الشيطان يَنْزَغُ بينهم..)(٤). فليعلم المسلم أن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم، وهو حريص على تفريق الإخوان، وقد صَحَّ الحديث فى ذلك (إن الشيطان قد أيسَ أن يَعْبُدَه المُصَلُّونَ ولكنْ فى التحريش بينهم)(٥). وقال تعالى ناهيا عباده عن تتبع خطوات الشيطان (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا

---

(١) رواه مالك وأحمد والبخارى ومسلم وغيرهم رحمهم الله تعالى – ص . ج رقم ٢٦٧٩

(٢) أخرجه أبو داود والترمذى رحمهما الله تعالى.

(٣) مختصر تفسير ابن كثير – الصابونى ج٢ ص ٣٦٤

(٤) سورة الإسراء : ٥٣

(٥) صحيح الجامع للألبانى رقم ١٦٥١





خطوات الشيطان ...)(١). فالحَذَر كل الحَذَر مِن ذلك العدو المُبين الذى أخذ الميثاق على نفسه بإغواء بنى آدم.

ورحم اللهُ عُمَرَ بنَ عبدِ العزيز، فقد رُوِىَ عنه أن دخل على رجل فذكر له عن رجل شيئا، فقال له عمر : إن شئت نظرنا فى أمرك، فإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأٍ فتبينوا..)(٢) وإن كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية (هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بنميم)(٣). وإن شِئْتَ عفونا عنك، فقال الرجل : العَفْو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبدا.

وقال صلى الله عليه وسلم (وتجدون مِن شَرِّ الناس يوم القيامة : ذا الوَجْهَيْن يوم القيامة : ذا الوَجْهَيْن الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه)(٤). فهم شر الخلق عند الله تعالى، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم (ألا أُخْبِرُكُم بِشِرارِكُم. قالوا : بلى، قال : المَشَّاؤون بالنميمة، المُفْسِدونَ بين الأحِبَّة الباغُون للبَراءِ العَنَت)(٥)

أخى الكريم، عندما تتأمل ألسنة الناس، ستجدها نارا تحترق وأفاعى تلدغ، فيا لها من ألسنة تزرع الهموم، وتثمر الغموم وتحصد الشرور، إنه عضو صغير الحجم ولكنه عظيم الأثر والمفعول، فكَم من كلمة أنشبَتْ حَرْبا بين الناس.

وكم من كلمةِ سُوءٍ نُقِلَتْ بين الإخوان فقطعت أواصر المحبة بينهم.

وكم من كلمة مزقت أُسْرَة وشردت أطفالا بعدما كانت السعادة ترفرف على ربوعهم.

وكم من كلمة كانت سببا فى قتل مؤمن وهتك عرض مسلمة ودمار للممتلكات العامة والأموال.

وكم من كلمة أخرجت المسلم مِن دائرة الإيمان والتوحيد إلى دائرة الكفر والشرك والطغيان.

وكم من كلمة سوء أذاعها المرجفون بين صفوف الشباب المسلم فبادت وحدتهم لشتات، وقوة كلمتهم لوهنٍ وذل وعار. وكم من مسلم قال كلمة كُتِبَ له بها رضوان الله تعالى إلى يوم يلقاه.

وكم من كلمة خرجت لا يلقى صاحبها لها بالاً قذفته فى نار جهنم أبعد ما بين المشرق والمغرب.

وكم من الوَيْلات والآهات والجحيم صُلِيَتْ بها الأمة بسبب الغيبة والنميمة لتساهل الناس بذلك، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول (أكثرُ خطايا ابن آدم فى لسانه)(٦)

---

(١) سورة النور : ٢١ **(٢) سورة الحُجُرات : ٦**

(٣) سورة القلم : ١١

(٤) رواه أحمد والبخارى ومسلم رحمهم الله تعالى عن أبى هريرة رضى الله عنه – ص. ج رقم ٢٩١٦

(٥) صحيح الأدب المُفْرَد للبخارى رحمه الله تعالى ص ٣٢٣

(٦) رواه الطبرانى رحمه الله تعالى وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة رقم ٥٣٤



أخى الكريم، اعلم وفقنى الله وإياك لكل خير وهداك وسدد على الصراط المستقيم خُطاك : أن الغِيبَة والنميمة من كبائر الذنوب وعظائمها. فقد توعد اللهُ سبحانه وتعالى ونبيهُ صلى الله عليه وسلم مرتكبهما بالعذاب الأليم، وبشره بالنكال والأغلال – أعاذنا الله وإياك – وما ذلك إلا لِعِظَمِ آثار الغيبة والنميمة فى المجتمعات، وخاصة المجتمعات التى تتميز بالالتزام والاستقامة على منهج الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام؛ لأن هذه الطبقات هى التى يجدر بها الابتعاد عن هذه العظائم، لأن انزلاقها فى هذه الشهوة له تَبِعات وآثار لا يُحْمَد عُقْباها على عامة المسلمين، فمتى ما نظر الناس إلى المُلْتَزمين الذين هم بمثابة القدوة الحسنة الصالحة وهم الذين يتمثلون بهدى خير العباد عليه الصلاة والسلام، ثم يُفَاجَأ العامَّة بأن أولئك المُنتسبين للإسلام هم من أكثر خلق الله خِلافا وجِدالا ومِراء على المسائل الخِلافية فى الإسلام، ووسائل الدعوة والإرشاد – إلا مَن رَحِمَ اللهُ - فلا شك أن هذه المفاجأة سوف تؤثر تأثيرا مباشرا على قناعة الناس ومدى استقبالهم وتأثرهم بالوعظ والتوجيه والإرشاد.

واللهِ الذى لا إله غيره، إن القلب لَيَحْزَن وإن العين لَتَدْمَع والكَبِد يتفطر حُزْنا وأسَى عندما يتفكر المسلم الغَيور بهذه الحال المُزْرِية التى وصل إليها بعض دعاة الإسلام وحُماته مِن طعن وشتم وسب ولعن وغيبة ونميمة وتُهَمٍ باطلة ومناظرات جَوْفاء لا طائل من وراءها، وكره وشحناء وتدابر وقطيعة لأواصر المحبة والأُخُوَّة التى أمر الله تعالى بها وتشاهد على صفحات الجرائد والمجلات إذاعة للخلاف بين من ليس له فى الأمر ناقة ولا جمل، وتأليف الرسائل والكتب فى الرد على دعاة الإسلام المخلصين والتشنيع عليهم و .... و..... و .....

كل هذا الشقاق والفرقة حدثت ومع الأسف من بعض أولئك المنتسبين لهذا الدين العظيم الذى يأمر بكل ما يصلح بين الناس ويزرع بذور المحبة والإخلاص والوفاء والتضحية والإيثار فى تربة المجتمع المسلم، وما ذاك إلا بسبب فهمهم القاصر لمقاصد هذا الدين العظيم وبسبب ضعف إدراكهم لدرجات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وجهلهم بأن الاختلاف أنواع، فمنه ما هو سائغ كاختلاف التنوع فلا يُنْكَر فيه على المخالف، ومنه ما هو غير سائغ وغير مُعْتَبَر شرعا كاختلاف التضاد.

وهناك آفات كثيرة ينبغى على المسلم أن يحفظ لسانه عنها. منها :

- حفظ اللسان عن فضول الكلام وزيادته بما لا فائدة من ورائه.
- حفظ اللسان عن الكلام فيما لا يعنى(مِن حُسْنِ إسلام المَرْءِ تَرْكُه ما لا يَعْنِيه)(١)
- حفظ اللسان عن المِراء والمُجادَلَة لما تُورِث من الضغائن والكراهية (ما ضَلَّ قومٌ بَعْدَ هُدَىً كانوا عليه إلا أُوتوا الجَدَل)(٢)

---

(١) رواه الترمذى وابن ماجه رحمهما الله تعالى عن أبى هريرة رضى الله عنه – ص . ج رقم ٥٩١١

(٢) رواه الترمذى رحمه الله تعالى عن أبى الدرداء رضى الله عنه – ص . ج رقم ٥٦٣٣



- حفظ اللسان عن الفُحْش والسَبّ والطَّعْن واللَّعْن (ليس المُؤمنُ بالطَّعَّان ولا اللَّعَّان ولا الفاحِش ولا البَذِئ)(١). والفُحْش هو التعبير عن الأمور المستقبحة بألفاظها الصريحة الدارِجَة على ألسنة العامة (لَعْنُ المُؤمِنِ كَقَتْلِه)
- حفظ اللسان عن رَمْى المؤمن بالكفر، كمن يقول : هذا يهودى أو كافر. (مَن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله)(٢)
- حفظ اللسان عن الاستهزاء والسخرية بالناس واحتقارهم (بحسب امرئ من الشر أن يَحْقِرَ أخاه المسلم)(٣)
- حفظ اللسان عن كثرة المزاح، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه (مَن كثر ضحكه قلت هيبته، ومن مزح استُخفَّ به، ومن أكثر من شئ عُرِفَ به، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قلَّ حياؤه، ومن قل حياؤه قل وَرَعُه، ومن قل ورعه مات قلبه)
- حفظ اللسان عن الكذب خاصة فى وقت ا لمزاح، وأعظم الكذب على الإطلاق الكذب على النبى صلى الله عليه وسلم بالافتراء عليه والتَّقَوُّل عليه بغير علم.
- حفظ اللسان عن شهادة الزور؛ وهى أن تشهد على شئ لم تكن حاضرا فيه (واجتنبوا قول الزُّور)(٤)
- حفظ اللسان عن المَنّ بالعَطِيَّة (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى)(٥)

الأسباب الباعثة على الغِيبَة :

- تَشَفّى الغيظ والغضب بأن يقوم المغتاب بذكر سلبيات وسيئات الذى أغضبه أو ضره بشئ من الأشياء أمام الملأ تَشَفّيا وانتقاصا وتصغيرا لقدره أمام الناس.
- موافقة الأصدقاء والجلساء ومجاملتهم، فإنه إن أنكر عليهم غيبتهم للناس استثقلوه، لذا فهو يجاملهم بالجلوس معهم، وليتذكر هذا الأخ الكريم حديث النبى صلى الله عليه وسلم (مَن التمس رضا الله بسخط الناس، كفاه اللهُ مُؤْنَة الناس، ومَن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس)(٦)
- إرادة رفع نفسه وتنقيص غيره وأن يسلط أنظار الناس واهتمامهم له ويصرف ذلك عن أخيه الذى اغتابه بأن يقول : فلان جاهل أو فلان لا يحسن إرادة العمل أو فلان ضعيف الشخصية وما شابه ذلك مما يوحى بالنقيصة.

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه والحاكم رحمهم الله تعالى عن ابن عباس رضى الله عنهما – ص . ج رقم ٥٣٨١

(٢) رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى.

(٣) رواه مسلم رحمه الله تعالى.

(٤) سورة الحج : ٣٠

(٥) سورة البقرة : ٢٦٤

(٦) رواه الترمذى رحمه الله تعالى عن عائشة رضى الله عنها – ص . ج رقم ٦٠٩٧



- اللعب والهزْل : فيذكر غيره بما يضحك الناس عليه على سبيل النكات والفكاهة، فليتذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم (ويلٌ للذى يُحَدِّث فيكذب لِيُضْحِكَ به القوم، ويل له ويل له)(١). ومن الناس من أخذها كوظيفة يتكسب منها كالمسرحيات الكوميدية والأفلام والمسلسلات التى يحاكَى بها شحصيات واقعية على شكل الدُّعابة والضَّحِك والسُّخْرية.
- الحسد، وربما مُدِحَ شخص فى المجلس وفيه أحد الحاسدين، فلا يجد سبيلا إلا الاستهزاء بذلك الممدوح، وذكر بعض سلبياته وسيئاته وفضائحه.
- كثرة الفراغ والشعور بالملل والسآمة، فلا يجد ما يشغل به نفسه سوى الانشغال بالناس وعيوبهم وذكر ما يكرهون. وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم (نِعْمتان مَغْبون فيهما كثير مِن الناس : الصحة والفراغ)(٢)
- التقرب لدى أصحاب الأعمال والمسؤولين عن طريق ذم العاملين معه بشكل يوافق هوى المسؤول، وذلك ليرتقى إلى منصب أفضل أو درجة أرفع.
- العُجْب ورؤية النفس وعدم تذكر عيوبها ومثالبها وازدرائه للخلق، فلا يرى الناسَ إلا مُقَصرين متهاونين بعيدين عن الحق، يرى القَذاة فى أعين الناس ويرى نفسه أنه الكامل والشخصية المتميزة.
- عدم التثبت فى نقل الأخبار وبما نُقِل إليه خبر عن فلان من الناس فظن فيه السوء وأخذ بانتقاصه والهجوم عليه دون تثبت، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم (كَفَى بالمَرْء كَذِبا أن يُحَدِّثَ بكل ما يسمع)(٣)

مَن ذَبَّ عن عِرْضِ أخيه :

أخى الحبيب : ألا تحب أن يُقَيِّض اللهُ تعالى لك مَن يدافع عنك فى الدنيا والآخِرَة، وأن يرد عن عِرْضِكَ متى تطاول الناس عليه .. إذاً أحبب للناس ما تحب لنفسك وخالِق الناس بما تحب أن يخالقوك به، وعاملهم بما تود أن يعاملوك به. عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (مَن رَدَّ عن عِرْضِ أخيه كان له حِجابا مِن النار)(٤) وقال (مَن رَدَّ عن عِرْضِ أخيه، رَدَّ اللهُ عن وجهه النار يوم القيامة)(٥) وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ما مِن امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَءاً مُسْلِماً فى موطن يُنتَقَصُ فيه مِن عِرْضِه وينتهك فيه مِن حُرْمَته إلا خَذَلَه اللهُ فى مَوْطِنٍ يحب فيه نُصْرَته، وما من أحد ينصر

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وغيرهما رحمهم الله تعالى – ص . ج رقم ٧١٣٦

(٢) رواه البخارى والترمذى وابن ماجه رحمهم الله تعالى عن ابن عباس رضى الله عنهما

(٣) رواه أبو داود والحاكم رحمهما الله تعالى عن أبى هريرة رضى الله عنه – ص . ج رقم ٤٤٨٠

(٤) رواه البيهقى رحمه الله تعالى عن ابى هريرة رضى الله عنه – ص . ج رقم ٦٢٦٣

(٥) رواه أحمد والترمذى رحمهما الله تعالى – ص.ج رقم ٦٢٦٢





مسلما فى موطن يُنتَقَص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نَصَرَه اللهُ فى موطن يحب فيه نصرته)(١)

قال الإمام النَّوَوِىّ رحمه الله تعالى :

(اعلم أنه ينبغى لِمَن سمع غيبة مسلم أن يردها ويزجر قائلها، فإنْ لم يَنْزَجِرْ بالكلام زَجَرَه باليد، فإن لم يستطع باليد ولا باللسان فارق ذلك المجلس، فإن سمع غِيبة لِشَيْخِه أو غيره مِمَن له حق عليه، أو من أهل الفضل والصلاح كان الاعتناء بما ذكرنا أكثر)(٢)

ما يباح مِن الغِيبَة :

اعلم رحمك الله أن الغيبة تُباح لِغَرَضٍ شرعى لا يمكن الوصول إلا بها وهى ستة مواضع، قال النَّاظِم ابن أبى شريف :

القَدْحُ لَيْسَ بغِيبَةٍ فى سِتَّـــةٍ   مُتَظَلِّمٍ و مُعَرِّفٍ و مُحَـــذِّرِ

ومُجاهِرٍ فِسْقاً ومُسْتَفْتٍ وَمَن   طَلَبَ الإعانَةِ فى إزالَةِ مُنْكَرِ

١- التَّظَلُّم : فيجوز لِلمُتَظَلِّم أن يتظلم للقاضِى أو السُّلطان أو مَن له وَلاية يقدر علي إنصافه مِن ظالمه، والدليل حديث عائشة رضى الله عنها. قالت (قالت هند امرأة أبى سفيان للنبى : إن أبى سفيان رجل شحيح (بخيل) وليس يعطينى ما يكفينى أنا وَوَلَدِى إلا ما أخذتُ منه وهو لا يعلم. قال (خُذِى ما يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بالمَعْرُوفِ)(٣) فإن كانت هذه غيبة لا تباح لأنكرها النبىُّ صلى الله عليه وسلم على هند؛ لأنه لا يُقِرّ على باطل صلوات الله وسلامه عليه.

٢- الاستفتاء : وذلك كأن نقول للمفتى أو العالِم : ظَلَمَنى أخى أو فلان وفعل كذا وكذا، فما هو الحق فى ذلك ؟. والأحوط أن لا يُعَيّن بالاسم كأن يقوم ما حُكْمُ الشرع بِمَن وَقَعَ عليه كذا وكذا ؟ والتصريح جائز لحديث عائشة رضى الله عنها السابق. فإنه يصلح للتظلم والاستفتاء معاً.

٣- الاستعانة على تغيير المنكر أو رفع البلاء عن مسلم، لحديث فاطمة بنت قَيْس رضى الله عنها، قالت : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلتُ : إن أبا الجَهْم ومعاوية خَطَبانِى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أما معاوية فَصُعْلُوك لا مالَ له، وأما أبو الجهم فلا يَضَعُ العصا عن عاتِقِه)(٤) وفى رواية لمسلم (وأما أبو الجَهْم فَضَرَّابٌ للنساء)

---

(١) رواه أحمد وأبو داود رحمهما الله تعالى عن جابر وأبى طلحة رضى الله عنهما – ص . ج رقم ٥٦٩٠

(٢) الأذكار النووية ص ٢٩٤

(٣) رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى

(٤) رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى



٤- تحذير المسلمين ونصحهم من أصحاب الشر وممن له ضرر بالمسلمين، ومنها جرح المجروحين من الرواة والشهود، وذلك للذب عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. فَعَن عائشة رضى الله عنها أن رجلا استأذن على النبى صلى الله عليه وسلم فقال (ائذَنُوا له، بِئْسَ أخو العَشيرة أو ابن العشيرة) فلما دخل ألان له الكلام، قلت يا رسول الله : قلتَ الذى قُلْتَ ثم ألَنْتَ له الكلام. قال (إى عائشة، إنَّ شَرَّ النَّاس مَنْزِلَةً عند الله يوم القيامة مَن تَرَكَه الناسُ اتِّقاءَ فُحْشِه)(١)

ومن ذلك النصيحة لِمَن استشارك وطلب رأيك فى زواج أو مشاركة أو جوار أو غيرها، فالمُسْتَشار مُؤتَمَن. ومنها كما ذَكَر النووىُ رحمه اللهُ إذا رأى مُتَفَقِهاً يتردد على مُبْتَدِع وخاف من التضرر بأفكاره أو رجل مُتَوَلّيا لأمر من أمور المسلمين وهو غاشّ للمسلمين مُضَيِّعا لمصالحهم، يتعامل بالرشوة وينبذ أهل الخير والصلاح ويتولى أهل الفساد والانحراف، فإنه يجوز لمن يستطيع أن يرفع أمره لمسؤوله أو من هو أعلى منه ليعزله أو يؤدبه وذلك لرفع الحرج عن المسلمين، ويراعَى فى هذا الباب النية الخالصة للنصيحة وحدها، فإن كانت فى ظاهرها النصح وفى الباطن التشهير والفضيحة حرم ذلك.

٥- المجاهرة بالفسق والبدعة : إذا كان الفاسق أو المبتدع مظهراً لفسقه وبدعته وجب أولا الإنكار عليه والنصح له بالتى هى أحسن وأن يهجر ويذم على ذلك أما إذا كان مستترا بذنبه مُسْتَخْفِياً فإن هذا يستر عليه لكن ينصح سرا، ويهجره من عرف حاله حتى يتوب ويذكر أمره على وجه النصيحة، أما إن كان الفاسق يدعو إلى فسقه وكذلك المبتدع يدعو إلى بدعته وإلى عقائد تخالف الكتاب والسنة ويخاف أن يضل الناس بذلك بيّن أمره للناس ليتقوا ضلاله ويعلموا حاله وذلك بعد الإعراض عن النصيحة ويكون غرض الناصح أن يكفي الله المسلمين ضرره فى دينهم ودنياهم.

٦- التعريف به : التعريف بإنسان معروفا عند الناس باسم أو لقب أو وصف معين بحيث لا يُعرف إلا به كأن تقول جاء الأعمش، أو الأعمى، أو الأعرج .... بشرط أن لا يقصد بذلك التنقيص والاحتقار وإلا حرم (٢)

أمُورٌ يُظَن أنها ليست بغِيبة وهى غِيبة :

١- قد يذكر المرء أخاه بما يكره ويغتابه فإذا أُنكِر عليه الغيبة قال (أنا على استعداد للقول أمامه والرد عليه، فما الداعى للتكلم من خلفه إذا كان يستطيع فعلا التكلم أمامه.

٢- قول القائل (الحمد لله الذى عافانا) أو (ونعوذ بالله من قلة الحياء) أو (نسأل الله العافية). ويكون ذلك إذا فهم السامع تنيقص المُتَكَلَّم عنه وهذا من أعظم ما يخفى على المسلم لأنه يأتى بصيغة دعاء وهو فى الحقيقة انتقاص وسُخْرية بمن تكلم عنه.

---

(١) رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى وغيرهما

(٢) أمسك عليك لسانك – الشيخ / ناصر الشمرى ص ٤٨ - ٥١



٣- قول بعض الكلمات التى تشعر بالنقيصة مثل (حضرة الأفندى) أو (جناب السيد) أو (الأخ المحترم).

٤- قول القائل : هذا صغير تجوز غيبيته، وهذا باطل، فالغيبة محرمة.

٥- التساهل فى غيبة العاصى والجاهل وأهل الذنوب، وأكثر ما يوجد ذلك عند بعض الدعاة وأئمة المساجد والمصلحين، فَهُم بقصد الإنكار والتحذير يقعون فى هذه المزالق، وليس ذلك على الإطلاق، فإذا كانت الغيبة فى أمرٍ من الفساد قد ذاع عن ذلك العاصى، فلا بأس مع عدم التصريح باسمه.

٦- التعريض مثل التصريح، والفعل مثل القول، والإشارة والإيماء والغَمْز بالعين ومَد الشِّفاه، والتلويح بالكف على شكل الازدراء والتحقير.

أخى العزيز اعلم أن الغيبة لا تكون إلا للشخص الغائب، أما الحاضر فتسمى سَبًّا وشَتْما، وقد نهانا الله سبحانه وتعالى عن كل ذلك.

غِيبة غير المسلم :

قال ابن المُنذِر فى قوله صلى الله عليه وسلم فى تفسير الغيبة (ذِكْرك أخاك بما يكره) فيه دليل على أن مَن ليس أخاك فى الإسلام لا غيبة له، كاليهودى أو المَجُوسِى ومَن أخْرَجَتْه بدعته عن الإسلام، كالبهائية والقاديانية والقرامطة.

أما الذِّمّى (وهو الذى يعيش فى حماية المسلمين وعهدهم) تحرم غيبته لأنه معصوم المال والدم والعِرْض كما هو معلوم ... وأما المبتدِع فإن كَفَرَ فهو كالحَرْبِى غيبته ليس بحرام وإلا فهو كالمسلم. وأما ذكره ببدعته فليست مكروهة، وينبغى إذا عرضت للمسلم غيبة أن يتفكر فى عيوب نفسه ويشتغل بإصلاحها، ويستحى أن يَعيب وهو مُعاب كما قال بعضهم :

فإذا عِبْتَ قَوْماً بالذى فيكَ مِثْلُهُ — فَكيفَ يَعِيبُ الناسَ مَن هو أعْوَرُ

وإنْ عِبْتَ قَوْماً بالذى ليسَ فيهم — فَذلِكَ عِندَ اللهِ والناس أعْظَــــمُ

ويجب التوبة من الغيبة واستحلالها ممن اغتابه ويطلب منه الاستغفار، فإذا خَشِىَ حصول مَفْسَدَة فإنه يتجنبه ويكتفى بالدعاء.

أقوال طيبة ومأثورة عن السَّلَف رحمهم الله تعالى :

- قال الحسن البصرى : والله لَلْغِيبة أسرع فى دين الرجل من الأكَلَة فى الجَسد.
- قال عمر بن الخطاب : عليكم بذكر الله فإنه شِفاء وإياكم وذكرَ الناس فإنه داء.
- قال ابن عباس : إذا أردتَ أن تَذْكر عُيوبَ صاحبك فاذكر عُيوبك.
- وسمع على بن الحسين رجلا يغتاب آخَرَ فقال له : إيَّاكَ والغِيبة فإنها إدامُ الكِلاب.
- ويُرْوَى عن الحسن البصرى أن رَجُلا قال له : تغتابنى، فقال (ما بَلَغَ قَدْرُكَ عِندى أن أحَكّمك فى حسناتى.



- ورُوِىَ عن ابن المبارك أنه قال : لو كُنتُ مُغتابا أحدا لاغتبتُ وَالِدَىّ لأنهما أحَقّ بحسناتى.
- وقال آخر : إن ضعفت عن ثلاث فعليك بثلاث : إن ضعفت عن الخير فأمسك عن الشر، وإن كنت لا تستطيع أن تنفع الناس فأمسك عنهم ضرك، وإن كنت تستطيع أن تصوم فلا تأكل لحوم الناس.

المَرْء إنْ كان عاقِلا ورِعا ... أشْغَلَه عَن عُيوبِ غَيْرِهِ ورَعُه

كَما العَليلُ السَّقيمُ أشْغَلَــهُ ... عَن وَجَعِ الناس كُلّهم وَجَعُــه(١)

وأرسل أخٌ رسالة يعاتب فيها أخاه قائلا :

هَذِي رِسالتي مِن أبْعَد البُلْدانِ ... أزُفّها إليكَ يا أخا الإيمانِ

إنْ بَلّغَ الوشاةُ عني وِشايَة ... فاثبُتْ أخي ولا تَسِر مع الشيطانِ

سَلِ الذي عَن الوشايَة أنبأك ... لِمَ الزُورُ و الفِرى بلا برهانِ

دَعْ سُوءَ ظَنٍّ أُخَيَّ فإنَّهُ ... سَهْمٌ كَذوبٌ كَأكْذَبِ الأيْمانِ

واذكُرْ مَحاسِناً مِني بَدَتْ يَوْما ... واسْتُر عُيُوباً بَدَتْ مَعَ الأزْمانِ

لا تَنشغِلْ بِعَيْبِ الغَيْر فإنَّهُ ... عَيْبٌ عَليكَ ونَقصٌ مِن الإيمانِ

صَوْنُ اللسان مِنك فَضيلَة ... كَصَوْن عِرْضٍ لأهْلٍ وَخِلانِ

لِكُلِّ امْرِئٍ حالٌ لسْتَ تَعْلَمُهُ ... فَكُن لِحالِ الغَيْرِ مُراعِياً دانِي

دُوَلُ الدُّهورِ أخِي لازِمٌ أبَدا ... فَوْقَ الرقابِ لِكُل ذِي عَيْنانِ

فيا فَوْزَ مَن مَرَّ دَوْماً يَوْمُهُ ... طَوْعَ الإلهِ عاصِيَ الشَّيْطانِ

يا رّبِّ أصْلِحْ ذاتَ البَيْنِ فإنَّنِي ... لِعَدْلِكَ والقَضا مِن ذَوي الإذْعانِ

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٥٨ ، ٥٩



النداء الرابع والسبعون – قال تعالى

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٨) ﴾

سورة الحديد : ٢٨

سورة الحديد مدنية وآياتها تسع وعشرون. روى ابن كثير رحمه الله فى تفسيره عن العِرباض بن سارية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ المُسَبِّحات قبل أن يَرْقد، وقال (إنَّ فِيهنَّ آية أَفْضَل من ألف آية)(١). والآية المشار إليها فى الحديث والله أعلم هى قوله تعالى (هو الأول والآخِر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم)(٢)

اسْتُعْمِلَ الإيمان هنا استعمالاً لَقَبِيًّا إذ المراد بالذين آمنوا : اليهود والنصارى. إذ هم يؤمنون بالله ولقائه وكتبه ورسله فى الجملة (أيسر التفاسير - الجزائرى ج٢ ص ١٥٩١)

قال الإمام البغوى فى تفسير هذه الآية : الخطاب لأهل الكِتابَيْن مِن اليهود والنصارى، يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله فى محمد صلى الله عليه وسلم (وآمنوا برسوله) محمد (يؤتكم كفلين) نصيبين (من رحمته) يعنى يؤتكم أجرين لإيمانكم بعيسى عليه الصلاة والسلام والإنجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم (٣)

ويَحْسُن هنا أن نذكر الآيتين اللتين قبل هذه الآية وهما قوله تعالى (ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا فى ذريتهما (٤) النبوة والكتاب (٥) فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون * ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية(٦) ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون) سورة الحديد : ٢٦ ، ٢٧

---

(١) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى رحمهم الله تعالى وقال الترمذى : حسن غريب

(٢) سورة الحديد : ٣ (٣) مختصر تفسير البغوى - ص ٩٣٥

(٤) هود وصالح وشعيب وإبراهيم ولوط من ذرية نوح، وإسماعيل وإسحاق وباقى الأنبياء من ذرية إبراهيم عليهم السلام (أيسر التفاسير - الجزائرى)

(٥) أى الكتب وهى : التَّوْراة والزَّبُور والإنْجِيل والقُرآن.

(٦) نسبة إلى الراهب وهو الخائف من الله، والأصل أن يقال الرَّاهِبِيَّة فزيدت فيها النون كما زيدت فى ربانىّ، ونصرانىّ، وشعرانىّ، ولحيانىّ.



قال ابن كثير رحمه الله تعالى :

يخبر الله تعالى أنه منذ بعث نوحا عليه السلام، لم يرسل بعده نبيا ولا رسولا إلا من ذريته، وكذلك إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن، لم يرسل رسولا إلا وهو من سلالته كما قال تعالى فى الآية الأخرى (وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب)حتى آخِر أنبياء بنى إسرائيل وهو عيسى عليه السلام الذى بُشّر مِن بَعْدِه بمحمد صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا قال (ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل) وهو الكتاب الذى أوحاه الله إليه (وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه) وهم الحواريون (رأفة) أى رقّة وهى الخشية (ورحمة) بالخلق، وقوله (ورهبانية ابتدعوها) أى ابتدعها أمة النصارى (ما كتبناها عليهم) أى ما شرعناها وإنما التزموها من تلقاء أنفسهم، وقوله (إلا ابتغاء رضوان الله) فيه قولان : أحدهما : أنهم قصدوا بذلك رضوان الله. قاله سعيد بن جُبَيْر وقتادة والآخَر : ما كتبناها عليهم ذلك إنما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله. وقوله (فما رعوها حق رعايتها) أى فما قاموا بما التزموه حق القيام، وهذا ذم لهم من وجهين أحدهما : الابتداع فى دين الله ما لم يأمر به الله، والثانى : فى عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قربة يقربهم إلى الله.

وعن أبى سعيد الخُدْرى أن رجلا جاءه فقال : أوْصِنِى. فقال : سألتَ عما سألتُ عليه رسولَ الله مِن قبلك. (أوصيك بتقوى الله تعالى فإنه رأس كل شئ، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن فإنه رُوحك فى السماء وذِكْرك فى الأرض)(١)

وعن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثلاث يُؤْتَوْنَ أجرهم مرتين : رجل مِن أهْلِ الكتاب آمَنَ بنبيه وآمَن بى فله أجران، وعبد مَمْلوك أدَّى حَق اللهِ وحق مَوَالِيه فله أجران، ورَجُلٌ أدَّبَ أمَتَه فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران)(٢)

وقال سعيد بن جبير : لما افتخر أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين أنزل الله هذه الآية فى حق هذه الأمة (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمِنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته) أى ضِعْفَيْن (من رحمته) وزادهم (ويجعل لكم نورا تمشون به) يعنى هُدَى يُتَبَصَّر به مِن العَمَى والجهالة (ويغفر لكم) ففضلهم بالنور والمغفرة. وهذه الآية كقوله تعالى (يا أيها الذين آمَنُوا إن تتقوا اللهَ يجعل لكم فُرْقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم)(٣)

وعن أبى موسى الأشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :(مَثَل المسلمين واليهود والنصارى، كَمَثَل رجل استأجر قوما يعملون له عَمَلا إلى الليل فعَمِلوا إلى نصف النهار، فقالوا: لا حاجة لنا إلى أجرك الذى شَرَطْتَ لنا وما عملنا لك، فقال لهم : لا تفعلوا، أكملوا بقية عملكم، وخذوا أجركم كاملا فَأبَوْا وتركوه، فاستأجَرَ أُجَراء بعدهم، فقال: اعملوا بقية يومكم ولكم الذى شرطتُ لهم من الأجر فعملوا، حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا : لك ما عملنا، ولك الأجر

---

(١) رواه أحمد رحمه الله تعالى وحسنه الألبانى رحمه الله تعالى – ص . ج رقم ٢٥٤٣

(٢) أخرجه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى (٣) سورة الأنفال : ٢٩



الذى جعلت لنا فيه، قال : أكمِلُوا بقية عملكم فإنما بقى من النهار شئ يسير، فَأَبَوْا، فاستأجر قوما أن يعملوا له بقية يومهم، فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس، واستكملوا أجر الفريقين كليهما، فذلك مَثَلُهم، ومَثَل ما قبِلوا مِن هذا النُّور)(١)

ولهذا قال تعالى (لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شئ من فضل الله) أى ليتحققوا أنهم لا يقدرون على رد ما أعطاه الله ولا إعطاء ما منع الله)(٢). (وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم). قال ابن جرير : (لئلا يعلم أهل الكتاب) أى لِيَعْلَم. وعن ابن مسعود أنه قرأها (لكى يعلم).لأن العرب تجعل (لا) صلة فى كل كلام دخل فى أوله أو آخِره جحد غير مصرح، فالسابق كقوله (ما منعك ألا تسجد)،(وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون)(٣)

قال الشيخ أبو بكر الجزائرى فى قوله تعالى (ويجعل لكم نورا تمشون به) :

فى الدنيا وهو الهداية الإسلامية، إذ الإسلام صراط مستقيم صاحبه لا يضل ولا يشقى وتمشون به فى الآخرة على الصراط إلى دارِ السلامِ الجَنَّةِ (ويغفر لكم) ذنوبكم الماضية والحاضرة (والله غفور رحيم) وذلك ليعلم أهل الكتاب مِن اليهود والنصارى الذين رفضوا الإيمان بمحمد والدخول فى الإسلام أنهم (لا يقدرون على شئ من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) أى : إلا بإذن الله، إذ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء. والظاهر أن المراد من الفضل هنا خصوص النبوة والرسالة وأن أهل الكتاب من اليهود يريدون حصر النبوة والرسالة فى شَعْب إسرائيل فلذا جحدوا نبوة ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم وكفروا بها فناداهم تعالى بعنوان الإيمان الذى يَدَّعُونه وأمرهم بتقواه بترك الكذب والاحتيال وأمرهم بالإيمان برسوله ووعدهم مضاعفة الأجر إن هم آمنوا، وكان هذا إعلاما منه تعالى أن أهل الكتاب لا يقدرون على حصر الفضل فيهم ومنعه عن غيرهم، فقد نَبَّأ وأرسلَ من بنى عَمِّهم محمدا صلى الله عليه وسلم. وهم كارهون مُنْكِرُون مُكَذِّبُون، وهم بين خِيارين، إما الإيمان بمحمد والفوز بالجنة والنجاة من النار وإما على الإصرار على إنكار رسالته والكفر به مع الخسران فى الحياتين ولا يهلك على الله إلا هالك (٤)

---

(١) رواه البخارى رحمه الله تعالى

(٢) كان من دعاءه صلى الله عليه وسلم (اللهم لا مانعَ لِما أعْطيتَ ولا مُعْطِىَ لِما مَنَعْتَ ولا يَنْفعُ ذا الجَدِّ مِنكَ الجَدُّ) رواه مسلم رحمه الله تعالى. والجَد : الحَظ والعَظَمَة والغِنَى، أى لا ينفعه ذلك وإنما ينفعه العمل الصالح. أما معنى (تَعَالَى جَدُّك) أى :علا جلالك وعظمتك.

(٣) مختصر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى - الصابونى ج٣ ص ٤٥٦ ، ٤٥٧

(٤) أيسر التفاسير – الجزائرى ج ٢



ما يستفاد من الآيات الكريمات :

١- بيان مِنَّة الله على عبادة بإرسال الرسل.
٢- بيان سُنَّة الله فى الناس، وهو أنه أرسل الرسل لهداية الناس، فمنهم من يهتدى ومنهم من يضل
٣- ثناء الله على عيسى بن مريم عليه السلام وأتباعه بحق من الحواريين إلى أن غَيَّرَتْ الملوك دين المسيح، وضل الناس وأصبحوا فاسقين عن دين الله تعالى.
٤- تحريم البدع والابتداع، وأنه لا رهبانية فى الإسلام، ولَكِن يُعْبَدُ اللهُ بما شرع.
٥- أعظم نصيحة تُقدَّم لأهل الكتاب لو أخَذُوا بها تضمنها نداء الله لهم وما وعدهم به.
٦- فضل الإيمان والتقوى، إذ هما سبيل الولاية والكرامة فى الدنيا والآخِرة.
٧- إبطال مزاعم أهل الكتاب فى احتكار الجنة لهم، وإعلامهم بأنهم محرومون منها ما لم يؤمِنوا برسول الله، ويتقوا اللهَ بِفِعْل أوامره واجتناب نواهيه.



النداء الخامس والسبعون - قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩) إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٠)﴾

سورة المجادلة : ٩ ، ١٠

سورة المجادلة مدنية وآياتها ثنتان وعشرون. عن عائشة رضى الله عنها قالت : الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات. لقد جاءت المُجادِلةُ إلى النبى تُكلمه وأنا فى ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله ..)(١). والمُجادِلة هى خَوْلَة بنت ثَعْلَبَة وزوجها أَوْس بن الصَّامِت (٢)

(تناجيتم) ناجَيْتُهُ أى سارَرْتُه، وأصله أن تَخْلُو به فى نجوة من الأرض. والنَّجْوى : أصله المصدر.قال (إنما النجوى من الشيطان) وقال (ألم تر إلى الذين نُهُوا عن النجوى). وقوله (وأَسَرُّوا النَّجْوَى الذين ظَلَمُوا) تنبيها أنهم لم يظهروا بوجه لأن النَّجْوَى ربما تظهر بعد. والنَّجِى المُناجى ويقال للواحد والجمع. قال (وقربناه نَجِيًّا) وانتجيتُ فلانا استخلصتُه لِسِرِّى. والاستِنْجاء تَحَرِّى إزالة النَّجْو أو طلب نَجْوَة لإلقاء الأذى. والنَّجْأة بالهمز الإصابة بالعَيْن (٣)

قال تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِما نُهُوا عنه ويَتَناجَوْنَ بالإثمِ والعُدْوان ومَعْصِيَتْ الرَّسُولِ وإذا جاءُوكَ حَيَّوْكَ بِما لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ ويَقُولُونَ فى أَنْفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنا اللهُ بِما نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّم يَصْلَوْنَها فَبِئْسَ المَصِيرُ)(٤)

كان بين النَّبِى صلى الله عليه وسلم واليهود مُوادَعَة، وكانوا إذا مَرَّ بهم الرَّجُلُ مِن أصحاب النبى جلسوا يتناجون بينهم، حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكره فإذا رأى المؤمن ذلك خَشِيَهم فترك طريقه عليهم، فنهاهم النبى عن النجوى فلم ينتهوا وعادوا إلى النجوى، فأنزل الله (ألم تر إلى الذين نُهُوا عن النجوى ثم يعودون لِما نُهُوا عنه ....)(٥)

وقوله (ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصيت الرسول) أى يتحدثون فيما بينهم بالإثم وهو ما يختص بهم (والعدوان) وهو ما يتعلق بغيرهم ومنه معصية الرسول ومخالفته يصرون عليها ويتواصَوْنَ بها. وقوله (وإذا جاءُوك حيوك بما لم يحيك به الله). عن عائشة قالت : دخل على

---

(١) أخرجه البخارى رحمه الله تعالى تعليقا ورواه النَّسائى وابن ماجه رحمهم الله تعالى
(٢) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى
(٣) المفردات فى غريب القرآن - الراغب الأصفهانى ص ٤٨٦
(٤) سورة المجادلة : ٨

(٥) رُوِىَ هذا عن مجاهد ومقاتل بن حيان رحمهم الله تعالى



رسول الله يهود فقالوا السَّامُ (١) عَلَيْكَ يا أبا القاسِم. فقالت عائشة : وعليكم السام، فقال رسول الله (يا عائشة إن الله لا يحب الفُحْشَ ولا التَّفَحُّش). قلتُ : ألا تسمعهم يقولون : السام عليك ؟ فقال رسول الله (أوَ سَمِعْتِ ما أقول وعليكم ؟) فأنزل الله (وإذا جاءوك حيوك بما لم يُحَيِّكَ به الله ..)(٢). وفى رواية الصحيح أنها قالت لهم : عليكم السَّام والدَّام واللعنة وأن رسول الله قال (إنه يُسْتَجاب لنا فيهم ولا يُسْتَجاب لهم فينا). وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إذا سَلَّمَ عليكم اليهود فإنما يقول أحدهم : السام عليك، فَقُلْ : وعليك)(٣). وفى رواية أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (إذا سَلَّمَ عليكم أحَدٌ من أهل الكِتاب فقولوا : وعليكم (٤)

قال الشيخ أبو بكر الجزائرى : اخْتُلِفَ فى جواز ومنع السلام على أهل الكتاب، والذى عليه الجمهور جوازه للسنة الصحيحة فى ذلك، ويرى بعضهم وجوب الرد لعموم قوله تعالى (وإذا حُيِيتم بتحية فَحَيُّوا بأحسن منها أو ردوها..) سورة النساء **(أيسر التفاسير - الجزائرى) ج٢ ص ١٥٩٦**

وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ....) أى كما يتناجى به الجهلة من كفرة أهل الكتاب ومَن مالأهم على ضلالهم من المنافقين (وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذى إليه تحشرون) أى فيخبركم بجميع أعمالكم وأقوالكم التى أحصاها عليكم وسيجزيكم بها. ثم قال تعالى (إنما النجوى من الشيطان..) أى إنما النجوى وهى المُسارَّة حيث يتوهم المؤمن بها سُوءاً (من الشيطان ليحزن الذين آمنوا) يعنى إنما يصدر هذا المُتناجين عن تسويل الشيطان وتزيينه ليسوء الذين آمنوا وليس بضارهم الشيطان شيئا إلا بإذن الله. ومن أحَسَّ بذلك فليستعذ بالله ولْيَتوكل على الله فإنه لا يضره شئ بإذن الله. وقد وردت السنة بالنهى عن التناجى حيث يكون فى ذلك تأذٍ على مؤمن كما روى ابن مسعود قال : قال رسول الله (إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجَ رجلان دون الآخَر حتى تختلطوا بالناس فإن ذلك يحزنه)(٥)

قال الشيخ أبو بكر الجزائرى : وفى هذا الحديث دليل على التحريم ونظيره أن يتكلم اثنان بلُغَةٍ غير لغة الثالث فإنه كنجوى اثنين دون ثالث (٦)

---

(١) السَّام : المَوْت
(٢) أخرجه ابن أبى حاتم رحمه الله تعالى
(٣) رواه مالك وأحمد والبخارى ومسلم رحمهم الله تعالى – ص . ج رقم ٦٠٦
(٤) رواه أحمد والبخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه رحمهم الله تعالى – ص . ج رقم ٦٠٥
(٥) رواه أحمد والبخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه رحمهم الله تعالى – ص . ج رقم ٧٨٦
(٦) أيسر التفاسير – الجزائرى ج٢ ص١٥٩٥



النداء السادس والسبعون – قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ(١) فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا(٢) يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١) ﴾

سورة المجادلة : ١١

(تفسحوا) الفُسْح والفَسيح الواسع من المكان والتَّفَسُّح التَّوْسِيع، يقال فَسَّحْتُ مجلسه فتَفَسَّح فيه. ومنه قيل فسحت لفلان أن يفعل كذا كقولك وَسَّعْتُ له وهو فى فُسْحَة مِن هذا الأمر (٣)

(انشُزُوا) النَّشْز المرتفع من الأرض ونَشَزَ فلان إذا قصد نَشْزا ومنه نَشَزَ فلان عن مَقَرِّه نبا وكل نابٍ ناشِز، قال تعالى (وإذا قيل انشزوا فانشزوا) ونشوز المرأة بُغْضُها لزوجها ورفع نفسها عن طاعته وعينها عنه إلى غيره (٤)

قوله تعالى (إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا) أى إذا قال لكم رسول الله أو غيره توسعوا(٥) فى المجلس ليجد غيركم مكانا بينكم فتوسعوا ولا تَضِنوا بالقرب من الرسول أو من العالِم الذى يعلمكم أو المُذَكِّر الذى يُذَكِّركم، وإن أنتم تفسحتم أى فإن الله تعالى يكافئكم فيوسع عليكم الدنيا بسعة الرزق وفى البرزخ وفى الآخرة فى غُرُفات الجِنان. وقوله تعالى (وإذا قيل انشزوا فانشزوا) أى قوموا من المجلس لعلة أو للصلاة أو للقتال أو لفعل بر وخير، فانشزوا يثبكم الله فيرفع الذين آمنوا منكم درجات بالنصر والذكر الحسن فى الدنيا وفى غرف الجنة فى الأخرة والذين أوتوا العلم درجات أى ويرفع الذين أوتوا العلم منكم أيها المؤمنون درجات عالية لجمعهم بين العِلْم والعمل، فهو سبحانه عليم بهم فى جميع أحوالهم ليراقبوه ويكثروا من طاعته

---

(١) قرأ الجمهور (فى المَجْلِس) بالإفراد على إرادة معنى الجمع وقرأ عاصم وقتادة (المجالس) بالجمع.

(٢) قرأ الجمهور (انشُزُوا فانشُزُوا) بضَم الشين فيهما، وقرأ حمزة والكِسائى (انشِزُوا فانشِزوا) بكسر الشين فيهما.

(٣) ، (٤) المفردات فى غريب القرآن للراغب ص ٣٨١ ، ٤٩٥

(٥) قال قتادة : كانوا يتنافسون فى مجلس النبى فأُمِرُوا أن يفسح بعضهم لبعض. ورُوِىَ عن ابن عباس أن هذا فى صفوف القتال إذ كانوا يَتَشاحُّونَ على الصف الأول فأُمِرُوا بالفَسْح لبعضهم حتى يتمكنوا من الوقوف فى الصف الأول مع رسول الله، واللفظ عامّ يشمل هذا وذلك. قال القرطبى : والصحيح فى الآية أنها عامَّة فى كل مجلس اجتمع فيه المسلمون للخير والأجر سواء كان مجلس حربٍ أو علمٍ أو ذِكْرٍ أو مَجْلِسِ صلاةٍ كيوم الجمعة، وفى الصحيح (لا يُقِمْ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِن مَجْلِسِه فيجلس فيه ولكن تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا) متفق عليه (أيسر التفاسير - الجزائرى ج٢ص١٥٩٧





ويحافظوا على تقواه (١)

قال مُقاتل بن حَيَّان : أُنزلت هذه الآية يوم الجمعة وكان رسول الله يومئذ فى الصُّفَّة وفى المكان ضيق وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فجاء الناس من أهل بدر وقد سبقوا إلى المجالس، فقاموا حيال رسول الله فقالوا : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته فرد النبى عليهم ثم سَلَّمُوا على القوم بعد ذلك فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فعرف النبى ما يحملهم على القيام فلم يفسح لهم فشق ذلك على النبى فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر : (قُم يا فلان وأنت يا فلان) فلم يزل يقيمهم بعِدَّة النَّفَر الذين هم قيام بين يديه من ا لمهاجرين والأنصار أهل بدر، فشق ذلك على مَن أُقيمَ مِن مجلسه وعرف النبى الكراهة فى وجوههم، فقال المنافقون : ألسْتُم تزعمون أن صاحبكم يعدل بين الناس ؟ والله ما رأيناه قبل عدل على هؤلاء. إن قوما أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من بينهم فأقامهم وأجلس مَن أبطأ عنه، فبلغنا أن رسول الله قال : (رَحِمَ اللهُ رَجُلا يفسح لأخيه) فجعلوا يقومون بعد ذلك سِراعا فيفسح القوم لإخوانهم ونزلت هذه الآية يوم الجمعة (٢)

وقد اختلف الفقهاء فى جواز القيام للوارد إذا جاء على أقوال :

فمنهم مَن رَخَّصَ فى ذلك مُحْتَجًا بحديث (قُوموا إلى سَيِّدكم)(٣) يعنى سَعْدَ بَن مُعاذ رضى الله عنه، **ومنهم** مَن مَنَعَ مِن ذلك محتجا بحديث (مَن أَحَبَّ أن يَتَمَثَّلَ له الرِّجالُ قِياماً فَلْيَتَبَوَّأ مَقْعَدَه مِن النَّار)(٤)، **ومنهم** مَن فَصَّلَ فقال : يجوز القيام عند القُدوم مِن سَفَر، وللحاكم فى محل ولايته، كما دَلَّ عليه قصة سعد بن معاذ، فإنه لما استقدمه النبى حاكِماً فى بنى قُرَيْظَة فرآه مُقْبِلا قال للمسلمين (قُوموا إلى سيدكم)، وما ذاك إلا ليكون أنفذ لحكمة، والله أعلم، فأما اتخاذه دَيْدَناً فإنه مِن شِعار العَجَم، وقد جاء فى السنن أنه لم يكن شخص أَحَبّ إليهم مِن رسول الله وكان إذا جاء لا يقومون له لِما يعلمون من كراهته لذلك (٥)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى فى قوله (يَرْفَع اللهُ الذين آمَنُوا مِنكم والذين أُوتُوا العِلْمَ دَرَجات ...) أى : لا تعتقدوا أنه إذا أفسح أحد منكم لأخيه أن ذلك يكون نقصا فى حقه، بل هو رفعة ورتبة عند الله، والله تعالى لا يضيع ذلك له بل يجزيه بها فى الدنيا والآخرة فإن مَن تواضع لأمر الله رفع قدره ونشر ذِكْرَه. فهو سبحانه خبير بِمَن يستحق ذلك وبمن لا يستحقه.

---

(١) أيسر التفاسير - الجزائرى ج٢ص١٥٩٨

(٢) مختصر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى - الصابونى ج٣ص٤٦٤

(٣) رواه أبو داود رحمه الله تعالى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه – ص . ج رقم ٤٤٢٧

(٤) رواه أحمد وأبو داود والترمذى رحمهم الله تعالى عن معاوية رضى الله عنه.

(٥) مختصر تفسير ابن كثير - الصابونى ج٣ص٤٦٥



فصل فى معنى العِلْم وفضله :

العِلم إدراك الشئ على حقيقته وذلك ضَرْبان : أحدهما إدراك ذات الشئ، والثانى الحُكْم على الشئ بوجود شئ هو موجود له أو نفى شئ هو منفى عنه فالأول هو المتعدى إلى مفعول واحد نحو (لا تعلمونهم الله يعلمهم)، والثانى المتعدى إلى مفعولين نحو قوله (فإن علمتموهن مؤمنات). والعلم من وَجْه ضربان : نَظَرِىّ وعَمَلِىّ. فالنَظَرِىّ ما إذا عُلِمَ فقد كَمُلَ نحو العلم بموجودات العالَم، والعَمَلِى ما لا يتم إلا بأن يُعْمَل، كالعلم بالعبادات ومِن وَجْهٍ آخَر ضَربان : عَقْلِىّ و سَمْعِىّ وأعْلَمْتُه وعَلَّمْتُه فى الأصل واحد إلا أن الإعلام اختص بما كان بإخبار سريع والتَّعَلُّم اختص بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر فى نفس المتعلم، قال بعضهم : التعليم تنبيه النَّفْس لتصور المعانى. والتَّعَلُّم تنبيه النفس لتصور ذلك، وربما استعمل فى معنى الإعلام إذا كان فيه تكرير نحو (أتُعَلِّمُونَ اللهَ بِدِينكم) فَمِنَ التعلم قوله (الرَّحْمنُ عَلَّمَ القُرْآنَ – عَلَّمَ بِالقَلَم – وعُلِّمْتُم ما لم تَعْلَمُوا – عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْر) ونحو ذلك وقوله (وعَلَّمَ آدَمَ الأسماءَ كُلَّها) فتعليمه الأسماء هو أن جعل له قوة بها نَطَقَ ووَضَعَ أسماء الأشياء وذلك بإلقائه فى رُوُعِه، وكتعليمه الحيوانات كل واحد منها فِعلا يتعاطاه وصَوْتا يَتَحَرَّاه. قال (وَعَلَّمْناه مِن لَدُنَّا عِلما) (قال له موسى هل أتبعك على أن تُعَلِّمَن مما عُلِّمْتَ رُشْدا) قيل عُنِىَ العلم الخاصّ الخَفِى على البَشَر الذى يَرونه ما لم يعرفهم الله منكرا بدلالة ما رآه موسى لما تبعه فأنكره حتى عَرَّفه سببه، قيل وهذا العلم فى قوله (قال الذى عنده عِلْم مِن الكِتاب) فتنبيه من الله تعالى على تفاوت منازل العلوم وتفاوت أربابها (١)

لذا اهتم الإسلام بطلب العلم من أجل معرفة التكاليف الشرعية وما خُلِقَ الإنسان مِن أجله. قال تعالى (فاعلم أنه لا إله إلا اللهُ واستَغْفِر لذنبك)(٢)، وقال سبحانه (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)(٣) ومن السُّنَّة قوله صلى الله عليه وسلم (طَلَبُ العِلْم فَرِيضَةٌ عَلَى كُل مُسْلِمٍ وإنَّ طالِبَ العْلِم يَسْتَغْفِرُ له كل شئ حتى الحِيتان فى البَحر)(٤)

وسُئِلَ الفُضَيْلُ بن عياض عن هذا الحديث (طلب العلم فريضة) فقال : كل عمل كان عليك فرضا، فَطَلَب علمه فَرْضا، وما لم يكن العمل به عليك فرضا، فليس طلب علمه عليك بواجب)ا.هـ

حقيقة العلم :

حقيقة العلم الشرعى أنه يبحث فيما يتعلق بمعرفة الله عز وجل ومعرفة رسوله صلى الله عليه وسلم ومعرفة دين الإسلام بالأدلة. قال ابن حَجَر فى فتح البارى : والمراد بالعلم الشرعى الذى يفيد معرفة ما يجب على المكلف فى أمر دينه وعباداته ومعاملاته والعلم بالله وصفاته وما يجب له من القيام بأمره وتنزيهه عن النقائص ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقه) ا. هـ

---

(١) المفردات فى غريب القرآن – الراغب الأصفهانى (٢) سورة محمد : ١٩ (٣) سورة النحل : ٤٣

(٤) رواه ابن عبد البر رحمه الله تعالى فى (العلم) عن أنس رضى الله عنه ص . ج رقم ٣٩١٤

ولذلك يجب على كل مسلم أن يتعلم من علوم الشريعة ما تصح به عبادته من توحيد وطهارة وصلاة وزكاة وصيام وحج، وما تصح به معاملاته من بيع وشراء ونكاح وطلاق وما يحل له من المأكل والمشرب والملبس واللهو والمال وغير ذلك مما لا يَسَع الجهل به لأحد من الناس، وأما علوم القضاء والمواريث والحدود والجنايات والجهاد فهى فرض كفاية إذا قام بها البعض سقط الحَرَج عن الباقين وإذا تَرَكها الجميع أثِمُوا.

فضل العلم والعلماء :

وفى الإشادة بالعلم ونفى تسوية أهله بغيرهم قال تعالى (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون)(١) وفى فضل العلماء العاملين وردت نصوص شرعية تبين قدر العلم والصفات والفضائل التى يتميز بها العلماء، **وأولها** : الخشية وهى الخوف من الله وهذه من أعظم المنازل. قال تعالى (إنما يَخْشَى اللهَ مِن عبادِهِ العُلَماءُ)(٢) **وثانيها** : اقتران شهادتهم بشهادة الله والملائكة وهذا نوع من التزكية لأن الله لا يستتشهد لمن خلقه إلا العُدُول. قال تعالى (شَهِدَ اللهُ أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط .. (٣) **وثالثها** : كَوْنُه فَضْلا من الله يستحق الدعاء لزيادته قال تعالى (وَقُل رَبِّ زِدْنِى عِلْما)(٤) **ورابعها** : ارتفاع درجات أهله إذا بَنَوْه على الإيمان، قال تعالى (يرفع اللهُ الذين آمَنُوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)(٥) وفى فتح البارى (ورِفْعَتها تشمل المعنوية فى الدنيا بعلو المنزلة وحسن الصِّيت، والحِسِّيَّة فى الآخِرَة بعلو المنزلة فى الجنة) ا.هـ **وخامسها :** أن العلم يُسَهِّلُ لهم الطريق إلى الجنة حيث يستغفر لهم مَن فى السماوات والأرض، لقوله صلى الله عليه وسلم (ومَن سَلَكَ طريقا يَلْتَمِسُ فيه عِلماً سَهَّلَ اللهُ به طريقا إلى الجنة، وما اجتمع قَوْمٌ فى بيت مِن بُيوت الله يَتْلُون كتاب الله وَيَتَدارَسُونَه فِيما بَيْنَهم إلا نَزَلَتْ عليهم السَّكِينَةُ وحَفَّتْهُم الملائكةُ وغَشِيَتْهُم الرَّحْمَة وذَكَرَهم الله فِيمَن عِنْدَه)(٦)

وسادسها : شفاعتهم يوم القيامة، مما يدل على عُلُو مكانتهم ومنزلتهم عند الله تعالى وإليك هذا الحديث من أحاديث الشفاعة والدال على عموم الشفاعة في الأنبياء وغيرهم ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ . . . فذكر الحديث ، حتى ذكر مرور المؤمنين على الصراط وشفاعتهم في إخوانهم الذين دخلوا النار ولا شك أن العلماء من بينهم : (يَقُولُونَ رَبَّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا وَيَصُومُونَ مَعَنَا وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ (٧) **وسابعها :** حصولهم على الأجر العظيم، لحديث (مَن عَلَّمَ عِلماً فَلَه أجر مَن عَمِلَ به، لا ينقص مِن أجر العامل)(٨) **وثامنها :** دلالة العلم على خيرية أهله وشهادته لهم بالفضل، فعَن معاوية رضى الله عنه عن النبى صلى

---

(١) سورة الزمر : ٩ (٢) سورة فاطر : ٢٨ (٣) سورة آل عمران : ١٨

(٤) سورة طه : ١١٤ (٥) سورة المجادلة : ١١

(٦) رواه مسلم وأبو داود والترمذى رحمهم الله تعالى

(٧) رواه البخارى رحمه الله تعالى. (٨) رواه ابن ماجه عن معاذ بن أنس – ص . ج رقم ٦٣٩٦



الله عليه وسلم قال (مَن يُرِدِ اللهُ به خَيْراً يُفَقِّهُ فى الدِّين، وإنما أنا قاسِم، والله يُعْطِى ولَن تَزال هذه الأمَّةُ قائِمَة على أمر الله لا يَضُرُّهم مِن خالَفَهُم حتى يَأْتِىَ أمرُ اللهِ عز وجل)(١)

وقال على بن أبى طالِب رضى الله عنه : العالِم أفضل مِن الصائم القائِم المجاهد وإذا مات العالِم ثُلِمَ فى الإسلام ثُلْمَة (٢)

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : عليك بالعلم قبل أن يُرْفَع، ورفعه موت رُواته، فَوَ الذى نفسى بيده لَيَوَدَنَّ رجال قُتِلُوا فى سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء لِما يَرَوْنَ مِن كرامتهم، وإن أَحَداً لَم يُولد عالِما، وإنما العِلم بالتعلم (٣)

وعن معاذ بن جَبَل رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (فَضْل العِلم على العابِد، كَفَضْلِ القَمَر ليلة البَدْر على سائِر الكواكب)(٤)

وعن أبى أُمامَة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (فَضْل العالِم على العابِد كَفَضْلِى على أدناكم، إن الله عز وجل وملائكته وأهل السموات والأرض، حتى النَّمْلَة فى جُحْرِها، وحتى الحُوت، لَيُصَلُّونَ على مُعَلِّم الناس الخَيْرَ)(٥)

وعن حُذَيْفَة بَن اليَمان رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (فَضْل العِلم أَحَبُّ إلَىَّ مِن فضل العِبادَة، وخَيرُ دِينِكم الوَرَع)(٦)

وعن أبى الدَّرْداء رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (مَن سَلَكَ طريقا يَطْلُبُ فيه عِلْماً، سَلَكَ اللهُ به طريقا مِن طُرُق الجَنَّة، وإن الملائكة لَتَضَعُ أجنِحَتَها لطالب العِلم رِضاً بما يصنع، وإن العالِم لَيَسْتَغْفِر له مَن فى السموات ومَن فى الأرض والحِيتان فى جَوْفِ الماء، وإن فضل العالِم على العابِد كَفَضْل القَمَر ليلة البَدْر على سائر الكواكب، وإن العلماء وَرَثَة الأنبياء، وإن الأنبياء لَم يُوَرِّثُوا دينارا ولا دِرْهَما، إنما وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَن أَخَذَه أَخَذَ بِحَظٍّ وافِر)(٧)

ولا بد لطالب العلم من إحضار نية تقوم على رفع الجهل عن نفسه وعن الناس. قال الإمام أحمد بن حَنْبَل رحمه الله تعالى : لا شَئَ يَعْدِل العِلم لِمَن حَسنت نيته. قيل كيف ذلك ؟ قال ينوى به رفع الجهل عن نفسه وعن الناس. ا. هـ، وعلى هذه النية مدار التقوى . قال تعالى (واتقوا الله

---

(١) رواه أحمد والبخارى ومسلم رحمهم الله تعالى

(٢) الثُلْمَة : الخَلَل فى الحائط وغيره (مختار الصِّحاح ص ٢٥٠)

(٣) أصول المنهج الإسلامى - العبيد ص ١١٩، ١٢٢

(٤) رواه أبو نعيم فى الحلية – ص . ج رقم ٤٢١٢

(٥) رواه الترمذى رحمه الله تعالى – ص . ج رقم ٤٢١٣

(٦) رواه البَزَّار والحاكِم – ص . ج رقم ٤٢١٤

(٧) رواه أحمد وأصحاب السنن وابن حِبَّان رحمهم الله تعالى – ص . ج رقم ٦٢٩٧



ويعلمكم الله)(١) ولأن طلب العلم عبادة، والإخلاص والعمل به هو سبيل الانتفاع به وسبب التوفيق لبلوغ المراتب العُليا فى الدنيا والآخِرَة، وحينما يتعلم الإنسانُ العِلْمَ الذى يُبْتَغَى به وَجْه اللهِ مما تُعْرَفُ به الأحكام مِن حلال وحرام بقصد عَرَضٍ دُنيَوىّ أو مادىّ يدفعه إلى ذلك فهذا مِن القَصْد السَّيئ الذى يعاقِب اللهُ عليه. فعَن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (مَن تَعَلَّمَ عِلما مِمَّا يُبْتَغَى به وجه الله لا يَتَعَلَّمُه إلا لِيُصيب به عَرَضا مِن الدنيا لَمْ يَجِد به عَرْفَ الجَنَّة يوم القيامة)(٢)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (مَن تَعَلَّمَ العِلْمَ لِيُباهِى به العلماءَ، أو يُمارى به السُّفَهاءَ، أو يَصْرِفَ به وُجُوهَ الناس إليه، أَدْخَلَهُ اللهُ جَهَنَّمَ)(٣)

الطريقة المشروعة لاكتساب العِلْم :

ومما يجب التنويه عليه فى هذا الموضوع أن لا ينبغى أخذ العلم عن أهل الأهواء والبدع والمتساهلين الذين عُرِفُوا بِقِلَّةِ الوَرَع ومخالفة السُّنَّة، لا سِيَّما إن كانت مخالفتهم فى أمر من أمور العقيدة كَمَن يُؤَوِّلون صفات الله تعالى ومَن يحتجون بالضعيف والموضوع من الأحاديث، وأفضل طريقة لاكتساب العلم : هى اختيار المُعَلِّم الثِّقة فى دِينه وحِكْمَته وعلمه وصحة عقيدته واتباعه لمنهج السلف الصالح، والبِدْء بالمُخْتَصَرات والمُتُون التى يتدرج بها الطالب، ويتخذ منها سُلَّما إلى المُطَوَّلات، ثم العناية بمعرفة المسائل والدلائل الشرعية ومعرفة أصول العقيدة والحديث والتفسير ودراسة أحكام القرآن الكريم واختيار المَراجِع العِلْمِيَة السهلة المُيَسَّرَة، ثم إذا وجد من نفسه قدرة على التحصيل والفهم عَمَدَ إلى المطولات من أمهات الكتب، ففيها خير كثير.

وأما الإعراض عن العلم فهو من أسوأ ما يصاب به الإنسان. قال تعالى (ومَن أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بآياتِ رَبِّه ثُمَّ أَعْرَضَ عنها ....)(٤). قال ابن كثير رحمه الله تعالى : أى لا أحد أظلم ممن ذَكَّرَه اللهُ بآياته وبَيَّنها له ووضحها ثم بعد ذلك تَرَكها وجحدها وأعرضَ عنها وتناساها كأنه لا يَعْرِفها. ا.هـ

---

(١) سورة البقرة : ٢٨٢

(٢) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم رحمهم الله تعالى – ص . ج رقم ٦١٥٩

(٣) رواه ابن ماجه رحمه الله تعالى عن أبى هريرة رضى الله عنه – ص . ج رقم ٦١٥٨

(٤) سورة السجدة : ٢٢

آداب العِلم ومَراتبه :



وأما آداب العلم فقد أرْشَدَنا إليها رسول الله بقوله (تَعَلّمُوا العِلمَ، وتعلموا له السَّكِينَة والوَقار، وَتَواضَعُوا لِمَن تَتَعَلّمُونَ منه، ولا تَكونوا جَبابرة العُلَماء)(١)

وقال ابن القَيِّم رحمه الله تعالى : (وللعلم ست مراتب : أولها حسن السؤال، الثانية حسن الإنصات والاستماع، والثالثة حُسْن الفَهم، والرابعة الحفظ، والخامِسة التَّعْليم، والسادسة وهى ثمرته العَمَل به ومراعاة حدوده) ا.هـ

ولا بد على طالب العلم والعالِم أن ينشر العلم الشرعى الدَّاعِي إلى معرفة الله تعالى وتوحيده وبيان شرعه ومحاسنه حيث يكون فيه إنقاذ للأمة وقيام الحُجَّة على أهل الضلال. ومِن وسائل نشر العلم التبليغ بالخَطابَة والصَّحافة والإذاعة وتأليف الكُتُب. قال تعالى (فَلوْلا نَفَر مِن كل فِرْقةٍ منهم طائفة لِيَتَفَقَهُوا فى الدِّين ولِيُنذِرُوا قوْمَهم إذا رَجَعُوا إليهم ...)(٢) وقال النبى صلى الله عليه وسلم (بَلِّغُوا عَنِّى ولو آية، وحَدِّثُوا عَن بَنى إسرائيل ولا حَرَجَ، ومَن كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدا فلْيَتَبَوَّأ مَقعَدَه مِن النار)(٣). ولا بد للداعيَةِ أن يحدد أهدافه وغايته من وراء دعوته وأعظمها الدعوة إلى التوحيد وتعظيم أمر الله والشفقة على خَلقِه. قال النبى صلى الله عليه وسلم (واللهِ لأن يُهْدَى بِهُداكَ (٤) واحِدٌ خَيْر لَكَ مِن حُمْر النَّعَم)(٥)

كما أن نَشْرَ العِلمِ يَبْقَى أثَرُه حتى بعد الموت لحديث (إذا مات ابْنُ آدَمَ انقطَعَ عَمَلُه إلا مِن ثلاث : صَدَقَة جارية، أو عِلم يُنْتَفَعُ به، أو وَلَد صالِح يدعو له)(٦)

أدَبُ الدَّعْوَة إلى الله تعالى :

والدعوة إلى الله تعالى تبدأ بنشر العلم وتبليغ ما نزل من الحق مما يحصل به تذكير الغافل وتعليم الجاهل وإرشاد الضال. قال تعالى (ومَن أحْسَنُ قَوْلا مِمَّن دعا إلى الله وعَمِلَ صالِحا وقال إنَّنِى مِنَ المُسْلِمين)(٧)

وللدعوة إلى الله تعالى بصفة عامَّة آداب ينبغى الالتزام بها حتى تُؤْتِى ثِمارها ومن أهمها :

١- العِلم بالكتاب والسُّنَّة. (قُلْ هذه سَبيلِى أدْعُوا إلى اللهِ عَلَى بَصِيرةٍ أنا ومَن اتَّبَعَنِى .....)(٨)

٢- الإيمان بما يدعو إليه والعمل بمقتضاه.

---

(١) أخرجه البخارى رحمه الله تعالى فى الأدب المُفْرَد. **(٢) سورة التوبة : ١٢٢**

(٣) رواه البخارى رحمه الله تعالى.

(٤) الهدايَة هنا هداية إرشاد وبيان، لا هداية توفيق إذ أن هداية التوفيق مِن الله تعالى وَحْدَه

(٥) رواه أبو داود رحمه الله تعالى عن سهل بن سعد رضى الله عنه – ص.ج رقم ٧٠٩٤

(٦) رواه مسلم رحمه الله تعالى وغيره. **(٧) سورة فُصِّلَت : ٣٣** **(٨) سورة يوسف : ١٠٨**

٣- الصبر على ما يلقاه الداعية من الأذى وتحمل ذلك.



٤- استعمال الحِكْمَة قال تعالى (ادْعُ إلى سَبِيل رَبِّكَ بالحِكْمَة والمَوْعِظةِ الحَسَنَة ....)(١) وقال النبى صلى الله عليه وسلم (يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا وبّشِّرُوا ولا تُنَفِّرُوا)(٢)

٥- تَخَوُّل الناس بالمَوْعِظة ومَجالِس العلم وعدم إمْلالهم. وأما القول على الله بغير عِلم فهو مُحَرَّم، وهو قرين الشِّرْك الذى هو أعظم المُحَرَّمات بل عَدَّهُ المُحَقِّقُ ابنُ القَيِّمِ رحمه الله تعالى أشَد من الشرك؛ لأن الشرك قاصِر على صاحِبه، والقول على الله بغير علم مُتَعَدٍّ ضَرَره إلى الناس.

٦- الرِّفْق وحسن الخُلق. قال تعالى (فقُولا له قوْلا لَيناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أو يَخْشَى)(٣)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : (وهذه الآية فيها عِبرَة عظيمة فى أسلوب الدعوة فى اللِّين والمُلاطَفَة أى : ذَكِّراهُ بأن له رَبًّا وله مَعاداً وهناك جنة ونار، كل ذلك يكون بكلام رفيق سهل لَيِّن ليكون أوْقع فى النفوس وأبْلَغ وأنْجَع) ا.هـ (٤)

فالعِلم عِلمان : عِلم مَحْمُود وعِلم مَذْمُوم. فالعلم المحمود هو العلم المَوْرُوث عن النبى صلى الله عليه وسلم المتمثل فى الكتاب والسنة وما يحتاج إليه لفهمهما. أما العلم المذموم هو كل ما يؤدِى إلى مُخالَفَة ما جاء به الله ورسوله، كالفَلْسَفَة وعلم الكلام والتَّصَوُّف المخالِف لِهَدْى النبى والرأى المخالف للسُّنَّة. قال الإمام الذهبى رحمه اللهُ تعالى :

العِلمُ قالَ اللهُ قال رَسُولُـــــهُ ... قال الصَّحابَةُ لَيْسَ بالتَّمْوِيــهِ
ما العِلمُ نَصْبٌ لِلخِلافِ سَفاهَةً ... بَيْنَ الرَّسُولِ وَبَيْنَ رَأى فَقِيهِ

وقد أطبق علماء السلف على التحذير مِن علم الكلام ومن الرأى المذموم المخالف لِما جاء عن الرسول وعن النُّسُك فى غير هَدْى النُّبُوَّة.

ومن آداب طالِب العِلْم :

١- العَقْل والدِّين : قال الإمام الشَّعْبِىّ : إنما كان يطلب العلم مَن اجتمعت فيه خَصْلَتان العقل والنُّسُك

٢- الإخلاص : فإن كان فيه رِياء فلا بركة فيه ولا انتفاع.

٣- حُسْن السَّمْت والتِزام الخُلق الطَّيب : قال الإمام الذهبى : ينبغى للعالِم أن يتكلم بنية وحُسْن قصْد، فإن أعجبه كلامه فليصمت وإن أعجبه الصمت فلينطق ولا يَفتر عن محاسبة نفسه فإنها تحب الظهور.

---

(١) سورة النَّحْل : ١٢٥ **(٢) رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى**

(٣) سورة طه : ٤٤ **(٤) أصول المنهج الإسلامى ص١٣٢**

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوَهَّاب رحمهم الله تعالى : ومِن علامَة إخلاص طالب العلم أن يكون صَمُوتا عما لا يَعْنِيه، مُتذللا لربه، متواضعا لعباده، متورعا متأدبا

لا يبالى ظهر الحق على لسانه أو على لسان غيره، ولا ينتصر لِنَفْسِه ولا يفتخر، ولا يحقد ولا يحسد ولا يميل به الهَوى ولا يركن إلى زينة الدنيا (مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٤/٤٠٦)

وعلى طالب العلم أن يتخلق بمكارم الأخلاق فإنه ليس كأحد الناس إذ كان من ورثة الأنبياء.

قال الإمام الآجُرِّىّ فى كتابه (أخلاق حَمَلَة القرآن) عن حامل القرآن :

مُقبِلا على شأنه، مهموما بإصلاح ما أفسد مِن أمره، حافظا للسانه مُمَيِّزا لكلامه، إن تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ بعِلم، إذا رأى الكلام صوابا، وإذا سَكَتَ سكت بعلم إذا رأى السكوت صوابا، قليل الخوض فيما لا يعنيه، يخاف مِن لِسانه أشد مما يخاف مِن عَدُوِّه، باسط الوجه طيب الكلام لا يمدح نفسه بما فيه، فكيف بما ليس فيه، يحذر نفسه أن تغلبه على ما تَهْوَى مما يُسْخِطُ مولاه، لا يغتاب أحَداً ولا يَحْقِر أحدا ولا يَسُبُّ أحدا، ولا يَشْمَت بمُصِيبَة ولا يَبْغِى على أحدٍ ولا يحسده ولا يُسِيئ الظن بأحد إلا لِمَن يستحق. ولا يَجْهَل فإن جُهِلَ عليه حَلُمَ، ولا يَظْلِم وإن ظُلِم عَفا، لا يَبْغِى فإن بُغِىَ عليه صَبَر، يَكْظِم غيظه لِيُرْضِى رَبَّه ويغيظ عدوه، متواضع فى نفسه، إذا قيلَ له الحق قَبِلَه مِن صَغير أو كبير يطلب الرِّفْعَة مِن الله لا مِن المخلوقين ماقِتٌ لِلكِبْر خائِف على نَفْسِه منه.

وإن أعظم سبب فى تحصيل العلم هو التقوى ثم الحرص والاجتهاد وإصلاح النية وإرادة وجه الله والدار الآخِرَة. فإن النية عليها مدار الأعمال ولا يتم أمرٌ ولا تحصل له بركته إلا بصلاح القصد والنية.

قال شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَة رحمه الله تعالى وطَيَّبَ ثراه : وقد أوْعَبَتْ الأمَّةُ فى كل فَن مِن فنون العِلمِ إيعاباً، فَمَن نَوَّرَ اللهُ قلبه هداه بما يبلغه ذلك ومَن أعْماه لَم نَزِدْه كَثرة الكُتُب إلا حيرةً وضلالا) (مجموع الفتاوى ٦٦٥/١٠)(١) وقد أورَدَ العَلّامة ابنُ القَيِّم رحمه الله تعالى فى كتابه القيم (مفتاح السعادة) أربعين وَجْهاً لفضل العلم على المال نذكر بعضها مُخْتَصَراً :

١- العلم مِيراث الأنبياء والمال ميراث الملوك والأغنياء.

٢- العلم يحرس صاحِبه وصاحِب المال يحرس ماله.

٣- المال تذهبه النفقات والعلم يزكو على النفقة.

٤- صاحِب المال إذا مات فارقه مالُه والعلم يدخل معه قبره.

٥- العلم حاكم على المال والمال لا يحكم على العلم.

٦- العلم يحتاج إليه الملوك فَمَن دُونَهم، وصاحِب المال يحتاج إليه أهلُ العَدَم والفاقة.

---

(١) الصراط – الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق اليوسف حفظه الله تعالى ص ١٧٧، ١٧٨

٧- المال يَحْصُل للمُؤمِن والكافِر والبَرِّ والفاجر، والعلم النافِع لا يَحْصل إلا للمؤمن.



٨- النَّفْس تَزْكُو بجمع العلم وتَشْرُف بتحصيله، والمال لا يُزَكِّيها ولا يكملها، بل تَنْقص وتشح وتبخل بجمعه والحِرْص عليه، فَحِرْصها على العلم عين كمالها وحرصها على المال عين نقصها.

٩- المال يدعو إلى الطُّغْيان والفَخْر والخُيَلاء، والعلم يدعو غلى التواضع والقيام بحق العبودية.

١٠- حب العلم وطلبه أصل كل طاعة، وحب المال وطلبه أصل كل سيئة.

١١- ما أطاع اللهَ أحَدٌ قطُّ إلا بالعلم، وعامَّة مَن يَعْصيه إنما يعصيه بالمال.

١٢- المال يمدح صاحبه بتَخَلِّيه عنه وإخراجه، والعلم يمدح صاحبه بتَحَلِّيه به واتصافه به.

١٣- لَذَّة الغِنَى بالمال لذة زائِلَة مُنقَطِعَة يَعْقُبُها الألَم، ولذة الغِنَى بالعِلْم لذة دائِمَة لا يَلْحَقُها ألَم.

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : (العلم يُكْسِب العالِم الطاعة فى حياته وجَمِيل الأُحْدُوثة بعد وفاته) أى مُطاعاً فى حياته لأن الحاجة إلى العلم عامة لكل إنسان، للمُلُوك فَمَن دونهم، فكل إنسان محتاج إلى طاعة العالِم فإنه يأمر بطاعة الله ورسوله فيجب على الخَلْق طاعته. فإذا مات العالِمُ أحيا اللهُ ذِكْرَه ونَشَرَ له فى العالمين أحسن الثناء، فالعالم بعد وفاته ميت وهو حَىّ بين الناس، والجاهل فى حياته حَىٌّ وهو مَيِّتٌ بين الناس، ومَن تأمَّلَ أحوالَ أئمة الإسلام كأئمة الحديث والفقه كيف هم تحت التراب وهم فى العالمين كأنهم أحياء بينهم لم يفقدوا منهم إلا صُوَرَهم وإلا فَذِكْرهم وحديثهم والثَّناء عليهم غير مُنْقطِع وهذه هى الحياة حَقًّا.

قال سُفيانُ بنُ عُيَيْنَة رحمه الله تعالى : (أرْفَعُ الناس مَنْزِلَةً عند اللهِ مَن كان بينَ اللهِ وَبَيْنَ عِباده وَهُم الأنبياءُ والعُلَماءُ)

ما الفَخْر إلا لأهْلِ العِلْمِ إنَّهُمُ ... عَلَى الهُدَى لِمَن اسْتَهْدَى أدِلاءُ
وَقَدْرُ كُلِّ امْرِئٍ ما كانَ يُحْسِنُه ... والجاهِلُونَ لأهْلِ العِلْم أعْداءُ
فَفُزْ بِعِلْمٍ تَعِشْ حَيًّا بِهِ أبَدا ... والنَّاس مَوْتَى وأهْلُ العِلْمِ أحْياءُ

وقال آخَر :

وَمَن لَمْ يَذُق طَعْمَ المَذَلَّةِ ساعَةً ... قَطَعَ الزَّمانَ بِأسْرِهِ مَذْلُولا

قال ابن عباس رضى الله عنهما : (ذللتُ طالِباً فَعَزَزْتُ مَطْلُوباً)(١)

---

(١) البحر الرائق فى الزهد والرقائق – الشيخ د / أحمد فريد حفظه الله تعالى ص٣٥

النداء السابع والسبعون – قال تعالى :



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢) ﴾ سورة المجادلة : ١٢

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : يقول تعالى آمِرا عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم أن يُناجِيَ رسولَ اللهِ أى يُسارُّه فيما بينه وبينه أن يقدم بين يَدَىّ ذلك صدقة تطهره وتزكيه وتُؤَهِّله لأن يصلح لهذا المقام، ولهذا قال (ذلك خير لكم وأطهر) ثم قال تعالى (فإن لم تجدوا) أى : إلا مَن عَجَز عن ذلك لفقره (فإن الله غفور رحيم) فما أمَرَ بها إلا مَن قدَر عليها، ثم قال (ءأشْفَقتُم أنْ تُقدِّمُوا بَيْنَ يَدَىّ نَجْواكم صَدَقاتٍ) أى أخِفتُم مِن استمرار هذا الحكم عليكم مِن وجوب الصدقة قبل مُناجاة الرسول (فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتُوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون) فنسخ وجوب ذلك عنهم، وقد قيل : إنه لم يَعْمَل بهذه الآية قبل نسخها سوى على بن أبى طالب. قال مجاهد : نُهُوا عن مناجاة النبى حتى يتصدقوا فلم يُناجِه إلا علىُ بن أبى طالب. قَدَّمَ ديناراً صدقة تصدق به ثم ناجَى النبىَ فسأله عن عَشْر خِصال، ثم أُنْزِلَتْ الرُّخْصة. وقال عَلِىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : آيَة فى كتاب الله عز وجل لم يَعْمَل بها أحَدٌ قبْلِى ولا يَعْمَل بها أحَدٌ بَعْدِى، كان عندى دينار فصَرَفْتُه بعَشرة دراهِم، فكنت إذا ناجَيْتُ رسُولَ الله تَصَدَّقتُ بِدِرْهَم، فنُسِخَتْ ولم يعمل بها أحد قبْلِى ولا يعمل بها أحد بَعْدِى ثم تلا هذه الأية (يا أيها الذين آمَنُوا إذا ناجَيْتُم الرسولَ فقدموا بين يَدَىّ نَجْواكم صَدَقَة...)(١). وقال ابن عباس : فى قوله تعالى (فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) وذلك أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله حتى شَقُّوا عليه فأراد اللهُ أن يُخَفِّف عن نَبِيِّه عليه الصلاة والسلام، فلما قال ذلك جَبُنَ كثير مِن المسلمين وكَفُّوا عن المسألة فأنزل الله بعد هذا (ءأَشْفَقتُم أن تُقدّمُوا بَيْنَ يَدَىّ نجواكم صَدَقات ...) فَوَسَّعَ اللهُ عليهم ولَم يُضَيِّق (٢)

قال الشيخ أبو بكر الجزائرى : قال ابنُ العَرَبى : فى الآية دليل على أن الأحكام لا تترتب بحسب المصالح، فإن الله تعالى قال (ذلك خير لكم وأطهر) ثم نسخ ذلك مع كونه خيرا وأطهر . ولكن قد يقال إن ما نسخ من أجله يكون أكثر منفعة للمسلمين فى دينهم ودنياهم، وإن كان خافِياً عن المسلمين لا يعلمونه. والاستفهام فى قوله (ءَأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات..) المراد به لَوْم الأصحاب عن تأخرهم عن المُناجاة لما فرضت عليهم الصدقة. قيل ما كان بين الآيتين الناسِخَة والمَنْسوخَة عَشْرة أيام (٣)

---

(١) انظر أسباب النزول للواحدى رحمه الله تعالى ص٣٥١ ، والحديث صحيح أسنده الحاكم فى المستدرك وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبى رحمه الله تعالى.

(٢) مختصر تفسير ابن كثير - الصابونى ج٣ص٤٦٥

(٣) أيسر التفاسير – الجزائرى ج٢ص١٥٩٨

النداء الثامن والسبعون ـ قال تعالى :





﴿ يا أَيُّها الذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إنَّ اللهَ خَبيرٌ بِما تَعْمَلُـــونَ (١٨) ولا تَكُونُوا كالذِينَ نَسُوا اللهَ فَأنْساهُم أَنْفُسَهُم أُولَئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ)(١٩) ﴾

سورة الحشر : ١٨، ١٩

سورة الحَشْر مدنية وآياتها أربع وعشرون. وكان ابن عباس يقول : سورة بَنِى النَّضِير.

رَوَى البخارى عن سعيد بن جُبَيْر قال : قلت لابن عباس : سورة الحَشْر ؟ قال سورة بَنِى النَّضِير.

عن جرير بن عبد الله قال : كنا عند رسول الله فى صدر النهار قال : فجاءه قومٌ حُفاةٌ عُراة مُجْتابِى النِّمار أو العَباء مُتَقَلِّدِى السُّيُوف عامَّتُهُم مِن مُضَر، بل كلهم من مضر فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسول الله لَمَّا رأى بهم من الفاقة. قال فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فأذَّنَ وأقام الصلاة فَصَلَّى ثم خَطَبَ فقال (يا أيها الذين ءَامَنُوا اتقوا الله الذى خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ واحِدَة) إلى آخِرِ الآية. وقرأ الآية التى فى سورة الحَشْر (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) تصدق رجل مِن دِيناره مِن درهمه من ثوبه من صاع بُرّه من صاع تَمْره – حتى قال – ول بشِقّ تَمْرَة. قال فجاء رَجُل مِن الأنصار بِصُرَّةٍ كادت كَفّه تعجز عنها، بل عجزت عنها، ثم تتابع الناس حتى رأيت كَوْمَيْنِ مِن طعام وثياب حتى رأيتُ رسول الله يَتَهَلَّل فَرَحا كأنَّهُ مَدْهَبَةٌ فقال رسول الله (مَن سَنَّ فى الإسلام سُنَّةً فَلَه أجرها وأجر مَن عَمِلَ بها بَعْدَه مِن غير أن يَنْقُصَ مِن أُجُورهم شَىْء، وَمَن سَنَّ فى الإسلام سُنَّةً سَيِّئَةً كان عليه وِزْرُها وَوِزْرُ مَن عَمِلَ بها مِن غير أن ينقص مِن أوْزارهم شَىْءٌ)(١)

فقوله تعالى (يا أيها الذين ءَامَنُوا اتقوا الله) أمر بتقواه وهو يشمل فعل ما أمر به وترك ما زجر عنه. وقوله (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) أى حاسِبُوا أنْفُسَكُم قبل أن تُحاسَبُوا وانظروا ما ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم (واتقوا الله) تأكيد ثانٍ (إن الله خبير بما تعملون) أى اعْلَمُوا أنه عالِمٌ بجميع أعمالكم وأحوالكم لا تَخْفَى عليكم مِنه خافية ولا يغيب مِن أموركم جليل ولا حقير . وقوله (ولا تكونوا كالذين نَسُوا اللهَ فأنساهم أنفسَهم) أى : لا تَنسوا ذِكْرَ اللهِ فَيُنسِيكم العَمَلَ لِمصالِح أنفسكم فإن الجزاء مِن جنس العَمَل، ولهذا قال (أولئك هم الفاسقون) أى الخارجُونَ عن طاعة الله الهالِكُونَ يوم القيامة، الخاسِرُونَ يوم مَعادِهم كما قال تعالى (يا أيها الذين ءَامَنُوا لا تُلْهِكُم أمْوالُكُم ولا أوْلادُكُم عَن ذِكر اللهِ ومَن يفعلْ ذلك فأولَئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ)(٢)

وقوله تعالى (لا يَسْتَوِى أصْحابُ النَّار وأصْحابُ الجَنَّةِ أصْحاب الجَنَّةِ هُمُ الفائِزُونَ) أى لا يستوى هؤلاء وهؤلاء فى حُكْمِ الله تعالى يوم القيامَة كما قال تعالى (أَمْ حَسِبَ الذِينَ اجْتَرَحُوا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ومسلم رحمهما الله تعالى.

(٢) سورة المنافقون : ٩



السَّيِّئات أن نَجْعَلَهُم كالذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَواءً مَحْياهُم ومَماتُهُم ساءَ ما يَحْكُمُونَ)(١) وقال تعالى (أم نَجْعَلُ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحات كالمُفْسِدِينَ فى الأرض أم نَجْعَلُ المُتَّقِينَ كالفُجَّارِ)(٢) ولهذا قال هاهنا (أصحاب الجنة هم الفائزون) أى النَّاجُونَ المُسَلَّمُونَ مِن عذاب الله عز وجل (٣)

والآية الكريمة تدعو إلى محاسبة النفس. وقبل الحديث عن محاسبة النفس لابد أن نتعرف على أحوال النَّفْس أوَّلاً. فقد اتفقَ السالِكُونَ إلى ربهم عَزَّ وجلَّ عَلَى اختلاف طرقهم وتباين سلوكهم على أن النفس قاطِعَة بين القلب وبين الوُصول إلى الرَّب وأنه لا يُدْخَلُ عليه سبحانه ولا يُوصَلَ إليه إلا بعد إماتتها وتركها بِمُخالفتها والظَّفر بها. فإن الناس على قِسْمَيْن :

قِسْم ظَفَرَتْ به نفسه فَمَلَكَتْه وأهْلَكَتْه وصار طَوْعا لها تحت أوامرِها.

وقِسْم ظَفَرُوا بِنُفُوسِهم فقروها فصارت طوعا لها مُنْقادَة لأوامرهم. قال تعالى (فأمَّا مَن طَغَى * وآثَرَ الحَياةَ الدنيا * فإنَّ الجَحِيم هى المَأوَى * وأمَّا مَن خاف مَقامَ رَبّهِ ونَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى * فإنَّ الجَنَّة هِى المَأوَى *)(٤)

والنفس تدعو إلى الطُّغْيان وإيثار الحياة، والرب يدعو عبده إلى خوفه ونهى النفس عن الهوى، والقلب بَيْنَ الدَّاعِيَيْن يميل إلى هذا الدَّاعِى مَرَّة وإلى هذا الدَّاعِى مرة وهذا موضع المِحْنَة والابتلاء، وقد وصف اللهُ سبحانه النفس فى القرآن بثلاث صفات المُطْمَئِنَّة واللَّوَّامَة والأمَّارَة بالسُّوء. وصدق القائل حين قال :

والنَّفْسُ كالطِّفْلِ إن تَهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى حُبِّ الرَّضاع وإن تَفْطِمْهُ تَنْفَطِمِ

فالنفس المطمئنة : هى التى سَكَنَتْ إلى الله واطمأنَّتْ إلى بِذِكْره وأنابَت إليه واشتاقت إلى لِقائه وأنِسَتْ بِقُرْبِه. فصاحِب النفس المطمئنة يطمئن من الشك إلى اليقين ومن الجهل إلى العلم ومن الغفلة إلى الذكر ومن الخيانة إلى التوبة ومن الرياء إلى الإخلاص ومن الكذب إلى الصدق ومن العجز إلى الكَيِّيس ومن صَولَة العُجْب إلى ذِلَّة الإخبات ومِن التِّيه إلى التَّواضُع. وأصل ذلك كله هى اليقظة التى كشفت عن قلبه سِنَة الغَفْلَة وأضاءت له قصور الجنة فصاح :

ألا يا نَفْسُ وَيْحَكِ ساعِدِينِى بِسَعْى مِنْك فى ظُلَمِ الليالِـــى

لَعَلَّكِ فى القِيامَة أنْ تَفُوزِى بِطِيب العَيْش فى تِلْكَ العَلالِى

فرأى فى ضوء هذه اليقظة ما خُلِقَ له وما سيلقاه بين يديه من حين يموت إلى دخول القرار ورأى سرعة انقضاء الدنيا وقلة وفائها لِبَنِيها وقتلها لِعُشَّاقِها وفعلها بهم أنواع المَثُلات فنهض فى ذلك الضَّوْء على ساق عزمه قائِلا (يا حَسْرَتَى عَلَى ما فَرَّطْتُ فى جَنْبِ اللهِ ..)(٥).

---

(١) سورة الجاثِيَة : ٢٢ **(٢) سورة ص : ٢٨**

(٣) مختصر تفسير ابن كثير – الصابونى ج٣ص٤٧٧ **(٤) سورة النَّازعات : ٣٧ – ٤١** **(٥) سورة الزُّمَر : ٥٦**



فاستقبل بقية عمره مُسْتَدْركا ما فات مُحْيِيَا ما أمات مُستقبلا ما تقدم له مِن العَثَرات مُنْتَهِزاً فرصة الإمكان التى إن فاتتْ فاتته جميعُ الخيرات.

أما النَّفْس اللَّوَّامَة : قالت طائفة هى التى لا تَثْبُت على حالٍ واحِدَة، فهى كثيرة التقلب والتلون فَتَذْكُر وتَغفل وتُقْبِل وتُعْرِض وتُحِب وتُبْغِض وتفرح وتحزن وترضى وتغضَب. وقالت طائفة أخرى : هى نفس المؤمن. قال الحَسَنُ البَصْرِىّ : إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه دائما يقول : ما أردتُ بهذا ؟ لِمَ فَعَلْتُ هذا ؟ كان هذا أولى مِن هذا . وقالت أخرى : اللَّوْم يوم القيامة، فإنَّ كل أحَد يَلُوم نفسَه إن كان مُسيئاً على إساءته وإن كان مُحْسِناً على تقصيره. يقول الإمام ابن القيم : وهذا كله حق.

والنفس اللَّوامَة نوعان : لَوَّامَة مَلُومَة، ولَوَّامَة غير مَلُومة.

اللوامة المَلُومَة : هى النفس الجاهلة الظالمة التى يلومها الله عز وجل وملائكته.

واللوامة غير المَلُومَة : وهى التى لا تزال تلوم صاحبها على تقصيره فى طاعة الله مع بَذْلِه جُهْدَه.

وأمَّا النَّفْس الأمَّارَة بالسُّوء : فهى النفس المَذْمُومَة التى تأمر بكل سوء وهذا مِن طبيعتها. فمَا تَخَلَّصَ أحَدٌ مِن شَرّها إلا بتوفيق الله، كما قال تعالى حاكياً عن امرأة العزيز (وما أُبَرِّئُ نَفْسِى إنَّ النَّفْسَ لأمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إلا ما رَحِمَ رَبِّى ...)(١) وقوله (ولولا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُم وَرَحْمَتُهُ ما زَكَى مِنْكُم مِن أحَدٍ أبداً ولَكِنَّ اللهَ يُزَكِّى مَن يشاءُ واللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(٢) وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعلمهم خُطْبَة الحاجَة (إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا)(٣). فالشر كامِنٌ فى النَّفْس وهو يوجب سيئات الأعمال، فإذا خَلَّى اللهُ بين العبد وبين نفسه هَلَك بين شرها وبين ما تقتضيه مِن سيئات الأعمال وإنْ وَفَّقه وأعانه نجا مِن ذلك كله.

وقد انتصبت النفس الأمَّارَة بالسوء مقابل المطمئنة فكلما جاءت به تلك من خير ضاهتها هذه وجاءت من الشر بما يقابله حتى تفسده عليها، فتُريهِ حقيقة الجهاد فى صورة تقتل النفس وتنكح الزوجة ويصير الأولاد يَتامَى، ويُقَسَّم المال، وتُريه حقيقة الزكاة والصدقة فى صورة مفارَقَة المال ونقصه وخُلُوّ اليد منه واحتياجه إلى الناس ومساواته بالفقير(٤)

مُحاسَبَة النَّفْس :

وعلاج استيلاء النفس الأمارة بالسوء على قلب المؤمِن محاسبتها ومُخالفتها. أخرج الإمام أحمد بن حَنبَل عن عمر بن الخطاب أنه قال (حاسِبُوا أنفسَكُم قبل أن تُحاسَبُوا وَزِنُوا أعمالكم قبل أن

---

(١) سورة يُوسُف : ٥٣ **(٢) سورة النُّور : ٢١**

(٣) رواه مسلم والنسائى رحمهما الله تعالى.

(٤) البحر الرائق فى الزهد والرقائق – الشيخ د / أحمد فريد ص١٣١-١٣٣



تُوزَنُوا فإنه أهْوَنُ عليكم فى الحِساب غدا أن تحاسِبُوا أنفسكم اليوم، وَتَزَيَّنُوا للعَرْض الأكْبَر يومَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنكم خافِيَة)(١). قال مالِك بن دِينار (رَحِمَ اللهُ عَبْداً قال لنفسه ألسْتِ صاحِبَة كذا، ألسْتِ صاحِبَة كذا ، ثم زَمَّها ثم خَطَمها ثم ألزَمَها كِتاب الله عز وجل فكان لها قائِدا)

فَحَقٌّ على الحازم المؤمن بالله واليوم الآخِر ألا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها فى حركاتها وسكناتها وخَطَراتها. قال تعالى (يوم تجِد كل نفس ما عملت مِن خير مُحْضَرا وما عَمِلتْ مِن سُوء تَوَدُّ لو أن بينها وبينه أمَدا بعيدا)(٢)

ومحاسبة النفس نوعان : نوع قبل العمل، ونوع بعده.

أما النوع الأول : فهو أن يقف عند أول هَمِّه وإرادته ولا يبادر بالعمل حتى يتبين له رُجْحانه على تركه. قال الحسن البصرى (رَحِمَ اللهُ عَبْدا وَقَفَ عند هَمِّه فإذا كان للهِ أمْضاه وإن كان لغيره تأخَّر)

وأما النوع الثانى : فمحاسبة النفس بعد العمل وهو ثلاثة أنواع :

أحدهما : محاسبته على طاعة قصَّرَتْ فيها مِن حق الله تعالى فلَم توقعها على الوجه الذى يَنْبَغِى، وحَقّ الله فى الطاعة سِتَّة أمور : الإخلاص فى العمل والنصيحة فيه ومتابَعَة الرسول وشُهُود مَشْهَد الإحسان وشهود مِنَّة الله وشهود تقصيره فيه بعد ذلك كله.

الثانى : أن يحاسب نفسه على كل عمل كان تركه خيرا من فعله.

الثالث : أن يحاسب نفسه على أمر مُباح لِمَ فَعَلَه ؟ وهل أراد به اللهَ والدارَ الآخِرَة ؟ فيكون رابحا أو أراد به الدنيا فيخسر ذلك الرِّبْحَ ويفوته الظَّفر به، وآخَر ما عليه الإهمال وترك المحاسبة والاسترسال وتسهيل الأمور وتمشيتها فإن هذا يَؤُول به إلى الهلاك وهذه حال أهل الغرور يغمض عينيه عن العواقب ويتكل على العَفْو فيهمل محاسبة نفسه والنظر فى العاقِبَة وإذا فعل ذلك سهل عليه مُواقعَة الذنوب وأنس بها وعسر عليه فِطامها ولو حضره رُشْدُه لعَلِمَ أن الحِمْيَة أسهل مِن الفِطام وترك المألوف والمعتاد.

وجماع ذلك : أن يحاسب نفسه أولا على الفرائض، فإن تَذَكَّرَ نَقْصا تَدَارَكَه إما بقضاء أو إصلاح، ثم يحاسب نفسه على المَناهِى فإن عرف أنه ارتكب منها شيئا تداركه بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحِيَة، ثم يحاسب نفسه على الغفلة فإن كان قد غَفَل عما خُلِقَ له تداركه بالذِّكْر والإقبال على الله تعالى ثم يحاسبها بما تكلم به أو مَشَتْ رِجْلاه أو بَطَشتْ يداه أو سمعته أُذُناه ماذا أراد بهذا ؟

---

(١) رواه الترمذى رحمه الله تعالى – صفة يوم القيامة

(٢) سورة آل عِمْران : ٣٠

ولِمَ فَعَلَه وعلى أى وجه فعلته ؟ قال تعالى (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُم أجْمَعِينَ عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ)(١) وقال تعالى (فَلَنَسْأَلَنَّ الذين أُرْسِلَ إلَيْهِم ولَنَسْأَلَنَّ المُرْسَلين)(٢) وقال (لِيَسْأَل الصادِقِين عن صِدْقِهِم)(٣)

فإذا سُئِلَ الصادِقُونَ وحُوسِبُوا فما الظَّنّ بالكاذبين. قال قَتادَة (إن الله سائِل كل عبد عَمَّا استودعه مِن نِعَمِه وحقه)، فإذا كان العبد مَسئولاً مُحاسَبا على كل شئ حتى سَمْعِه وبَصَره وقلبه كما قال تعالى (إن السَّمْعَ والبَصَرَ والفُؤادَ كل أُولئك كان عنه مَسْئولا)(٤). فهو حَقِيق أن يحاسِبَ نفسَه قبل أن يُناقشَ الحِساب.

فوائد مُحاسَبة النَّفْس :

مِن فوائد محاسبة النفس الاطلاع على عُيوبها، ومَن لم يَطَّلِع على عَيْب نفسه لم يتمكن مِن إزالته فإذا اطَّلَع على عيبها مَقَتها فى ذات الله. روى الإمام أحمد بن حنبل عن أبى الدَّرْداء قال (لا يَفْقَه الرَّجُل كل الفِقْه حتى يَمْقُتَ الناس فى جَنْبِ الله ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أشد مَقْتاً). قال محمد بن واسِع (لو كان للذنوب رائِحَة ما استطاع أحَدٌ أن يُجالِسَنِى) وقال أبو حفص (مَن لَم يَتَّهم نفسَه على دوام الأوقات ولم يخالفها فى جميع الأحوال ولم يَجُرَّها إلى مكروهها فى سائر أوقاته كان مَغْرُوراً، ومَن نَظَرَ إليها باستحسان شئ منها فقد أهلكها).

ومِن فوائد المحاسَبة أيضا : أن يعرف العبدُ بذلك حق الله ومَن لَم يعرف حق الله فإن عبادته لا تكاد تُجْدِى عليه وهى قليلة المنفعة جدا.

فمحاسبة النفس هو نظر العبد فى حق الله عليه أولا، ثم نظره هل قام به كما ينبغى، وأفضل الفِكر الفكر فى ذلك، فإنه يُسَيِّر القلب إلى الله ويطرحه بين يديه ذليلا خاضِعا مُنكَسِرا كَسْرا فيه جَبْرُه، ومُفْتَقِرا فقرا فيه غِناه، وذليلا ذُلاً فيه عِزَّة، ولو عمل مِن الأعمال ما عساه أن يعمل فإنه إذا فاته هذا فالذى فاته مِن البرِّ أفضل مِن الذى ناله (٥)

---

(١) سورة الحِجْر : ٩٢

(٢) سورة الأعْراف : ٦ ، ٧

(٣) سورة الأحْزاب : ٨

(٤) سورة الإسْراء : ٣٦

(٥) البحر الرائق فى الزهد والرقائق – الشيخ د / أحمد فريد ص ١٣٦

النداء التاسع والسبعون ـ قال تعالى :



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) ﴾ سورة المُمْتَحِنَة : ١

سورة الممتحنة مدنية وآياتها ثلاث عشر. قال الإمام القرطبى : المشهور فى اسم السورة أنه (المُمْتَحِنة) بكسر الحاء اسم فاعل، وهو الذى جَزَمَ به السُّهَيْلى، والمراد من الممتحنة الآية التى فى هذه السورة، إذ بها تُمْتَحَن المرأة التى تَجِيئ مُهاجِرَة مِن بلادها وتترك زوجها، والآية هى (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ...) الآية. ورَجَّحَ الحافظ ابن حَجَر فتح الحاء باسم المفعول أى : المرأة المُمْتَحَنَة

كان سبب نزول صدر هذه السورة الكريمة قصة الصَّحابىّ (حاطِب بن أبى بَلْتَعَة) رضى الله عنه. وذلك أن حاطِباً هذا كان رَجُلاً مِن المهاجرين، وكان مِن أهل بَدْر أيضا وكان له بمَكَّة أولاد ومال، ولم يكن مِن قُرَيْشٍ أنفسهم، فلما عزم رسولُ الله فتح مكة لما نقض أهلها عهدهم، أمَرَ النَّبِىُّ المُسلمينَ بالتجهيز لِغَزْوِهِم وقال (اللَّهُمَّ عَمِّ عَلَيْهِم خَبَرَنا) فعَمَدَ حاطِب فكَتَبَ كِتاباً، وبَعَثَه مع امرأة (١) من قريش إلى أهل مكة يُعْلِمُهم بما عَزَم رسول الله مِن غَزْوِهم لِيَتَّخِذ بذلك عندهم يَدَاً.

روى الإمام أحمد عن عَلِىّ بن أبى طالب قال : بَعَثَنِى رسول الله أنا والزُّبَيْر والمِقْداد فقال (انطَلِقُوا حتى تأتوا رَوْضَة خاخ(٢) فإن بها ظَعِينَة(٣) معها كِتاب، فَخُذُه منها) فانطلَقنا تُعادِى بنا خَيْلُنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظَّعِينَة، قلنا : أخْرِجى الكتاب، قالت : ما مَعِى مِن كتاب، قُلنا لتُخْرِجِنَّ الكتاب، أو لنُلْقِيَنَّ الثِّياب، قال فأخْرَجَتْ الكتاب مِن عِقاصِها(٤)، فأخَذْنا الكتاب، فأتينا به رسول الله فإذا فيه : مِن حاطِب بن أبى بلتعَة إلى أُناسٍ مِن المُشْرِكين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله. فقال رسول الله : (يا حاطِب ما هذا ؟) قال : لا تَعْجَلْ عَلَىَّ إنى كنتُ امْرَءاً مِن قُرَيْش، ولَم أكُن مِن أنفسهم، وكان مَن مَعَكَ مِن المهاجرين لَهُم قرابات يَحْمُون أهْلِيهم بمكة فأحْبَبْتُ إذا فاتتنى ذلك من النَّسَب فيهم أن اتخذ يدا يحمون بها قرابَتِى، وما فَعَلْتُ

---

(١) تُسَمَّى (سارة) وهى مَوْلاة لأبى عَمْرٍو بن صَيْغِر بن هاشِم بن عبد مَناف وهى يومئذ مُشْرِكَة (أيسر التفاسير – الجزائرى)

(٢) رَوْضَة خاخ : مَوْضِع بينه وبين المَدِينَة اثنا عشر مِيلاً (أيسر التفاسير – الجزائرى)

(٣) الظَّعِينَة : المَرْأة المُسافِرَة.

(٤) العَقِيصَة : الضَّفِيرَة. وعقْص الشَّعْر ضَفْرُه ولَيُّهُ على الرأس، والجمع عِقاص (المُعْجَم الوَجِيز)

ذلك كُفْرا ولا ارتدادا عن دِينِى ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام فقال رسول الله : (إنه صَدَقَكُم) فقال عمر : دَعْنِى أضْرِبُ عُنُقَ هذا المُنافِق. فقال رسول الله (إنه قد شَهِدَ بَدْراً وما يُدْرِيكَ لَعَلَّ





اللهَ اطَّلَعَ على أهل بدر فقال : اعْمَلُوا ما شِئْتُم فَقَد غَفَرْتُ لَكُم). ونزلت فيه (يا أيها الذين آمَنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ....) وهكذا قال ابن عباس ومُجاهِد وقتادة وغير واحد أن هذه الآيات نَزَلَتْ فى حاطب بن أبى بلتعة.

فقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ...) يعنى المشركين والكفار الذين هم محاربون لله ورسوله. نهى الله أن يتخذوهم أولياء وأصدقاء وأخِلاء كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض...) وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، وقال تعالى (لا تتخِذوا الذين اتخَذوا دينهم هُزُوا ولعِبا ..) الآية. وقال تعالى (لا يَتَّخِذِ المؤمنون الكافرين أولياءَ مِن دون المؤمنين ..) ولهذا قَبِلَ رسول الله عُذْرَ حاطِب بن أبى بلتعة لما ذكر أن فعل ذلك مُصانَعَة لقريش لأجل ما كان له عندهم مِن الأموال والأولاد. وقوله (يُخْرِجُون الرسولَ وإياكم) هذا مع ما قبله مِن التَّهْييج على عداوتهم وعدم موالاتهم لأنهم أخرجوا الرسول وأصحابه مِن بين أظهرهم، كراهة لما هم عليه من التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده ولهذا قال (أن تؤمِنُوا بالله ربكم) أى : لم يكن لكم عندهم ذنب إلا إيمانكم بالله رب العالمين ، كقوله تعالى (وما نَقَمُوا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) وكقوله (الذين أُخرِجُوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله).

وقوله تعالى (إن كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى) أى إن كنتم كذلك فلا تتخذوهم إن كنتم خرجتم مجاهدين فى سبيلى فلا توالوا أعدائى، وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم حَنَقا عليهم وسخطا لدينكم. وقوله تعالى (تُسِرُّون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) أى : تفعلون ذلك وأنا العالِم بالسَّرائِر والضَّمائِر والظَّواهِر، (ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل * إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) أى : لو قدروا عليكم لما اتقوا فيكم من أذى ينالونكم به المقال والفِعال، (وودوا لو تكفرون) أى : ويحرصون على أن لا تنالوا خيرا، فعداوتهم لكم كامِنَة وظاهرة فكيف توالون مثل هؤلاء ؟. وهذا تهييج أيضا على عداوتهم. وقوله تعالى (لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير) أى : قراباتكم لا تنفعكم عند الله إذا أراد بكم سوءا، ونفعهم لا يصل إليكم إذا أرضيتموهم بما يسخط الله، ومَن وافق أهله على الكفر ليرضيهم، فقد خاب وخسر وضل عمله ولا ينفعه عند الله قرابته من أحد.(١)

قال الشيخ أبو بكر الجزائرى فى قوله تعالى (وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) أى : أنا أعلم منكم ومن غيركم وها قد أطْلَعْتُ رَسُولِى على رسالتكم المرفوعة إلى مُشْرِكِى مَكَّة والتى تتضمن فَضح سِرِّ رَسُولى فى عزمه على غزوهم مفاجأة لهم حتى يتمكن من فتح مكة بدون كثير إراقة دم وإزهاق أنفس.

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى - الصابونى ج ٣ ص٤٨١

هداية الآيات الكريمات :





١- حُرْمَة مُوالاة الكافرين بالنُّصْرَة والتأييد والمُوالاة دون المسلمين.

٢- الذى ينقل أسرار المسلمين الحربية إلى الكافرين خطر عظيم وإن صام وإن صلى.

٣- بيان أن الكافرين لا يرحمون المؤمنين متى تمكنوا منهم لأن قلوبهم عمياء لا يعرفون معروفا ولا يُنْكِرون مُنْكَرا بظلمة الكفر فى نفوسهم وعدم مراقبة الله عز وجل لأنهم لا يعرفون ولا يؤمنون بما عنده من نعيم وجحيم يوم القيامة.

٤- فضل أهل بدر وكرامتهم على الله عز وجل.

٥- قبول عُذْر الصادقين الصالحين ذوى السَّبْق فى الإسلام إذا عثر أحدهم اجتهادا منهم.

٦- عدم انتفاع المرء بقرابته يوم القيامة إذا كان مسلما وهم كافرون.(١)

---

(١) أيسر التفاسير – الجزائرى ج٢ص١٦١٤

النداء الثمانون – قال تعالى :





﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآَتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آَتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠) وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآَتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (١١) ﴾

سورة الممتحنة : ١٠ ، ١١

(إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات) أى : المؤمنات بألسنتهن مهاجرات من الكفار.

(فامتحنوهن) أى : اختبروهن بالحَلِف أنهن ما خَرجنَ إلا رغبة فى الإسلام لا بُغْضاً لأزواجهن ولا عِشْقًا لرجال من المسلمين.

(فإن عَلمتموهن مؤمنات) أى : صادقات فى إيمانهنّ بحسب حلفهنّ.

(فلا ترجعوهن إلى الكفار) أى : لا تَرُدُوهُنَّ إلى الكفار بمكة.

(لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) لا المؤمنات يحللن لأزواجهن الكافرين، ولا الكافرون يحلون لأزواجهم المؤمنات.

(وآتوهم ما أنفقوا) أى : وأعْطُوا الكُفَّارَ أزْواجَ المؤمناتِ المُهاجراتِ المُهُورَ التى أعطوْها لأزواجهم.

(ولا جناح عليكم أن تنكحوهن) بالإسلام وبعد انقضاء العدة فى المدخول بها وباقى شروط النكاح

(إذا آتيتموهن أجورهن) أى : مُهُورهن وإن لم يتم طلاق من أزواجهن لانفِساخ العقد.

(ولا تمسكوا بعصم الكوافر) أى : زوجاتكم لقطع إسلامكم للعِصْمَة الزوجية، وكذا ارتدت ولحقت بدار الكفر. إلا أن ترجع إلى الإسلام قبل انقضاء عدتها فلا يفسخ نكاحها وتبقى العصمة إن كان مدخولا بها.

(وسئلوا ما أنفقتم) أى : اطلبوا ما أنفقتم عليهن من مهور فى حال الارتداد.

(وليسئلوا ما أنفقوا) أى : على المهاجرات من مهور فى حال إسلامهن.

(وإن فاتكم شئ مِن أزواجكم إلى الكفار) أى : بأن فَرّت امرأةُ أحَدِكم إلى الكفار ولحقت بهم ولم يعطوكم مهرها فعاقبتم أى الكفار فَغَنِمتُم منهم غنائِم.





(فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا) أى : فأعْطوا الذين ذهبت أزواجُهم إلى الكفار مثل ما أنفقوا عليهن من مهور.

(واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون) أى : خافُوا اللهَ الذى أنتم به مؤمنون فأدُّوا فرائضه واجْتَنِبُوا نواهيه. والآيتان نَزَلَتا بعد صلح الحديبية إذ تضمنت وثيقة الصلح أن مَن جاء الرسولَ مِن مَكَّة مِن الرجال ردَّه إلى مكة ولو كان مُسْلِما، ومَن مِن المُشْركين المَدينَة لَمْ يَرُدُّوه إليه ولَمْ يَنُصَّ على النساء وأثناء ذلك جاءتْ أمُّ كُلْثُوم بنت عُقْبَة بن أبى مُعَيْط مُهاجِرَة إلى المدينة (١) فَلَحِقَ بها أخَواها عمَّار والوليد (٢) لِيَرُدَّاها إلى قُرَيْش فنزلت الآية الكريمة فلم يردها عليهما النبى صلى الله عليه وسلم.

معنى الآيتين الكريمتين :

أى يا مَن آمنتم بالله ربا وإلها وبمحمد نبيا ورسولا والإسلام دِينا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات مِن دار كفر إلى دار إسلام فامْتَحِنوهن (٣) الله أعلم بإيمانهن (فإن عَلِمْتُموهن) أى غَلَبَ على ظنِّكم أنهن مؤمنات فلا تَرْجِعُوهن إلى الكفار، وصورة الامتحان أن يُقال : احْلِفى بالله أى قولى بالله الذى لا إله إلا هو ما خَرَجْتُ إلا رَغْبَة فى الإسلام لا بُغْضاً لِزَوْجِى ولا عِشْقاً لِرَجُل. وقوله (لا هُنَّ حِلٌ لَهُم ولا هُم يَحِلُّون لهن) لأن الإسلام فَصَمَ تلك العِصْمَة التى كانت بين الزوج وزوجته إذ حَرَّمَ اللهُ نِكاح المُشْركات وإنكاح المُشْركينَ، ولِذا لَم يَأذَن اللهُ تعالى فى ردهن إلى أزواجهن الكافرين. وقوله تعالى (وآتُوهم ما أنفَقوا) إذا جاء زَوْجُها المُشْرِكُ يُطالِب بها أعْطَوْهُ ما أنفق عليها مِن مَهْر، والذى يُعْطيه هو جماعةُ المسلمين وإمامهم. وقوله تعالى (ولا جُناحَ عليكم أن تنكحوهن) أى تتزوجوهن إذا آتَيْتُمُوهُنَّ أجُورَهُنَّ أى مُهُورَهُنَّ مع باقى شروط النكاح مِن وَلِىّ وشاهِدَيْن وانقضاء العِدَّة فى المَدْخُولِ بها. وقوله تعالى (ولا تُمْسِكُوا بعصم الكوافر) أى إذا أسْلَمَ وبَقِيَتْ امرأته مُشْركَة انقطعت عِصمة الزوجية وأصبحت لا تحل لزوجها الذى أسلم، وكذا إذا ارتدَّتْ امرأة مسلمة ولحق بدار الكفر فإن العِصْمَة قد انقطعت، ولا يَحِلّ الإمساك

---

(١) وكذلك جاءت سَبيعَة الأسْلمِيَّة مُهاجِرَة هاربة مِن زوجها صيفى، وجاءت أمَيْمَة بنت بِشْر هاربَة مِن زوجها ثابت بن الشمراخ، فجاء أزْواجُهُنَّ مُطالِبين بهنَّ فقال زوجُ سبيعة للنبى : إن طِينة الكِتاب الذى بيننا وبينك لَم تَجِفّ، فنزلت هذه الآية.

(٢) ذكَر القُرْطُبىّ أن أخَوَىّ أم كلثوم أتَيا النبىَّ مع أخْتِهما مُهاجِرَيْن وأن النبى ردهما على المشركين ولم يَرُدّ أخْتَهما أمَّ كُلْثُوم، وكانت أم كلثوم تحت عمرو بن العاص وهو مُشْرك يومئذ، وذكَر ابن كَثِير : أن أخَوَىّ أم كلثوم وَفدا يطالبان بأختهما لا مُهاجِرَيْن وهذا الظاهِر.

(٣) اخْتُلِفَ فى صِيغة الامتحان فقال ابن عباس : كان الامتحان أن تُسْتَحْلَف بالله أنها ما خَرَجَتْ مِن بُغْض زَوْجِها ولا رَغْبة عن أرض ولا التماس دنيا ولا عِشْقا لرجل منا بل حُبَّاً لله ورسوله فإن حَلَفتْ عل ذلك أعْطى النبى زَوْجَها مَهْرَها وما أنفق عليها ولم يردها.

بها، وفائدة ذلك لو كان تحت الرَّجُل ثلاثة نِسْوَة له أن يَزيد رابعة لأن التى ارتدت أو التى كانت مشركة وأسلم وهى فى عِصْمَته لا تمنعه مِن أن يتزوج رابعَة لأن الإسلام قَطَعَ العِصْمَة، لقوله تعالى (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) والعِصَم جمع عِصْمَة. وقوله تعالى (وَسْئَلُوا ما أنفقتم)



اطلبوا مِن المُرْتَدَّةِ ما أنفقتم عليها مِن مَهْر يؤدَى لكُم، وليسألوا هُم ما أنفَقُوا وأعطوهم أيضا مهور نِسائهم اللآئى أسْلمْنَ وهاجَرْنَ إليكم.

وقوله تعالى (ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم) بخَلْقِهِ (حكيم) فى قضائه وتدبيره فليسلم له الحكم وَلْيَرضَ به فإنه قائم على أساس المصلحة للجميع. وقوله تعالى (وإن فاتكم شئ من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم)(١) أى وإن ذَهَبَ بَعْضُ نِسائكم إلى الكفار مُرْتَدَّاتٍ، وطالبتم بالمهور فلم يُعْطوكم، ثم غَزَوْتم وغنمتم فأعْطُوا من الغنيمة قبل قِسمتها الذين ذهبتْ زَوْجَتُه إلى دار الكفر ولم يحصل على تعويض أعْطُوه مثلَ ما أنفق. وقوله تعالى (واتقوا اللهَ الذى أنتم به مؤمنون) أى : خافوا عِقابه فأطِيعوه فى أمره ونهيه ولا تَعْصوه، والجملة تذييلية والمراد منها تحريض المؤمنين على الوفاء بما أُمِرُوا به ونُهُوا عنه، وأتْبَعَ اسم الجَلالة بجملة (الذى أنتم به مؤمنون) إشارة غلى أن الإيمان يبعث على التقوى التى هى امتثال واجتناب.

هِدايَة الآيتين الكريمتين :

١- وجوب امتحان المُهاجِرَة. فإن عُلِمَ إسلامها لا يَحِلُّ إرجاعها إلى زوجها الكافر لأنها لا تحل له، وإعطاؤه ما أنفق عليها من مَهْر. ويجوز بعد ذلك نكاحها بمَهْر وَوَلِى وشاهِدَيْن إن كانت مَدْخُولاً بها فبعد انقضاء عدتها وإلا فلا حَرَج فى الزواج بها فَوْراً.

٢- حُرْمَة نِكاح المُشْرِكَة لقوله تعالى (ولا تَنْكِحُوا المُشْرِكات حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأمَةٌ مُؤْمِنَة خَيْرٌ مِن مُشْرِكَة ولو أعْجَبَتْكم ..)(٢)

٣- لا يجوز الإبقاء على عِصْمَة الزوجة المشركة (٣)، وللزوج المسلم الذى بقيت زوجته على الكفر أو ارتدت بعد إسلامها أن يطالب بما أنفق عليها من مهر وللزوج الكافر الذى أسلمت زوجته وهاجرت أن يسأل كذلك ما أنفق عليها.

---

(١) (عاقبْتُم) أى غَزَوْتُم فغَنِمتُم، فأعطوا الذين ذهبت أزواجهم مِن المسلمين. حَكَى الثَّعْلبىّ عن ابن عباس أن سِتًّاً مِن النسوة رَجَعْنَ عَن الإسلام وَلَحِقْنَ بالمشركين وسَمَّاهُنَّ واحدة واحدة، وأكْرَمَهُنَّ : أم الحَكَم بنت أبى سُفْيان وفى هذه نزل الآية.

(٢) سورة البَقرَة :٢٢١

(٣) اخْتُلِفَ فى الرَّجُل يُسْلِم وتحته كافرة، أوكافرة تسلم وهى تحت زوج كافر. والذى عليه الشافعى وأحمد أن العِصمة تبقى مدة العدة فإذا انقضت العدة ولم يسلم الكافر منهما يُفَرَّق بينهما ولا يحلان لبعضهما. قال مالك : يفرق بينهما من يوم إسلام أحدهما.

٤- ومن ذهبت زوجته ولم يُرَدّ عليه شئ مما أنفق عليها ثم غزا المسلمون تلك البلاد وغنموا، فإن مَن ذهبت زوجته ولم يُعَوَّض عنها يعطى ما أنفقه من الغنيمة قبل قسمتها. وإن لم تكن فجماعة المسلمين وإمامهم يساعدونه ببعض ما أنفق من باب التكافل والتعاون.





٥- وجوب تقوى الله تعالى بتطبيق شَرْعه وإنفاذ أحكامه والرضا به (١)

وجوه القراءات :

١- قوله تعالى (إذا جاءكم المؤمنات مُهاجرات) قرأ الجمهور (مهاجراتٍ) بالنصب على الحال، وقُرئ (مهاجراتٌ) بالرفع على البدل من المؤمنات، فكأنه قيل : إذا جاءكم مهاجراتٌ.(٢)

٢- قوله تعالى (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) قرأ الجمهور (تُمْسِكُوا) بضم التاء والتخفيف مِن الإمساك، وقرأ أبو عمرو ويعقوب (تُمَسَّكُوا) بضم التاء والتشديد من التَّمْسُّك، وقرأ عِكْرِمَة والحَسَن (تَمَسَّكُوا) بفتح التاء والميم والسين المشددة.(٣)

٣- قوله تعالى (وإن فاتكم شئ مِن أزواجكم فعاقبتم) قرأ الجمهور (فَعاقَبْتُم) وقرأ ابن مسعود والنَّخْعِي (فَعَقَبْتُم) بالتخفيف ، وقرأ ابن عباس والأعمش (فَعَقَّبْتُم) بتشديد القاف.

قال الزَّجَّاج : والمعنى فى التشديد والتخفيف واحد أى : كانت العُقْبَى لكم بأن غَلَبْتُم وقرأ مُجاهِد (فأعْقَبْتُم)(٤)

---

(١) أيسر التفسير – الجزائرى ج٢ص١٦١٨ **(٢) البحر المحيط والألوسى**

(٣) زاد المسير والألوسى والبحر المحيط **(٤) روائع البيان – الصابونى ج٢ص٥٥٥**

النداء الحادِى والثمانون – قال تعالى :



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾ سورة الممتحنة : ١٣

قال الشيخ عبد الرحمن السعدى رحمه الله تعالى :

أى : يا أيها المؤمنون إن كنتم مؤمنين بربكم ومُتَّبعين لرضاه ومُجانِبِينَ لِسَخَطِهِ (لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) وإنما غضب عليهم لكفرهم وهذا شامل لجميع أصناف الكفار (قد يئسوا من الآخرة) أى : حُرِمُوا مِن خير الآخرة فليس لهم نصيب، فاحذروا أن تولوهم فتوافقوهم على شرهم فتحرموا خير الآخرة كما حُرِمُوا، وقوله (كما يئس الكفار من أصحاب القبور) حين أفضوا إلى الدار الآخرة وشاهدوا حقيقة الأمر وعلموا علم اليقين أنهم لا نصيب لهم منها، ويحتمل أن المعنى قد يئسوا من الآخرة أى : قد أنكروها وكفروا بها فلا يستغرب حينئذ منهم الإقدام على مساخِط الله ومُوجِبات عذابه وإياسهم من الآخرة كما يئس الكفار المنكرون للبعث فى الدنيا مِن رجوع أصحاب القبور إلى الله تعالى (١)

قال الشيخ أبو بكر الجزائرى فى قوله تعالى (كما يئس الكفار من أصحاب القبور) :

أى : كما يئس إخوانهم الذين ماتوا قبلهم من دخول الجنة إذ كفروا بعيسى عليه السلام وحاربوه ووالدتَه، واتهموا عيسى بالسحر ووالدته بالعُهْر والعياذ بالله فيئس هؤلاء من دخول الجنة كما يئس مَن مات منهم ممن هم أصحاب القبور. وصالِحٌ لأن يكون معنى الكلام قد يئس الكفار من عودة أصحاب القبور إليهم، وكما يئس أصحاب القبور من العودة إلى الحياة الأولى (٢)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى فى قوله تعالى (غَضِبَ الله عليهم) :

يعنى اليهود والنصارى وسائر الكفار ممن غضب الله عليه ولعنه واستحق من الله الطرد والإبعاد فكيف توالونهم وتتخذونهم أصدقاء وأخِلاء (٣)

---

(١) تفسير السعدى رحمه الله تعالى ص٩٥٢

(٢) أيسر التفاسير - الجزائرى ج٢ص١٦٢١

(٣) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى

النداء الثانى والثمانون – قال تعالى :



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) ﴾ سورة الصَّف :٢ ، ٣

سورة الصف مدنية وآياتها أربع عشر.

روى الترمذى عن عبد الله بن سلام قال : قعدنا نَفَراً من أصحاب رسول الله فتذاكرنا، فقلنا لو نعلم أى الأعمال أحب إلى الله عز وجل لعملناه، فأنزل الله تعالى (سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم * يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون) قال عبد الله بن سلام : فقرأها علينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم (١)

قال الإمام النووى رحمه الله تعالى : باب تغليظ عقوبة مَن أمر بمعروف أو نهى عن مُنكَر وخالف قَوْلُه فِعْله. قال تعالى (أتأمُرُون الناسَ بالبرّ وتَنسَوْنَ أنفُسَكُم)(٢) وقال سبحانه (يا أيها الذين آمَنُوا لِمَ تَقُولون ما لا تَفْعَلونَ)(٣). وقال تعالى إخبارا عن شُعَيْبٍ عليه السلام (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ...)(٤)

وعن أبى زيد أُسامَة بن زيد بن حارثة رضى الله عنهما قال : سَمِعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول (يُؤْتَى بالرجل يوم القيامة فيُلْقَى فى النار، فَتَندَلِق أقتابُ بَطْنِه (٥)، فيدور بها كما يدور الحِمار فى الرَّحا، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يا فُلان مالَكَ ؟ أَلَمْ تأمُر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بَلَى، كُنتُ آمُرُ بالمعروف ولا آتيه، وأنْهَى عن المُنكَر وآتِيه(٦)(٧)

قال الشيخ أبو بكر الجزائرى :

لفظ النداء عام والمراد به جماعة من المؤمنين قالوا لو نعلم أحب الأعمال إلى الله تعالى لفعلناه فلما علموه ضعفوا عنه ولم يعلموا فعاتبهم اللهُ فى هذه الآية ولِتَبْقَى تشريعا عامًّا إلى يوم القيامة ، فكل مَن يقول فعلت ولم يفعل فقد كذب وبئس الوصف الكذب، ومن قال سأفعل ولم يفعل فهو مخالف للوعد وبئس الوصف خُلْف الوعد وهكذا يُرَبّى اللهُ عباده على الصدق والوفاء.

---

(١) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى . قال الشيخ أيمن صالح شعبان مُحَقِّق كتاب (أسباب النزول) للواحدى : الصحيح ما أخرجه الحاكم فى المُسْتَدْرَك ٦٩/٢، والترمذى فى التفسير ٣٨٥/٥ ، وأشار إلى رواية ابن المُبارَك المحفوظة بلفظ (فقرأ علينا)

(٢) سورة البَقَرَة : ٤٤ (٣) سورة الصَّف : ٢ ، ٣ (٤) سورة هود : ٨٨

(٥) تَنْدَلِق بالدال المُهْمَلَة أى تخرج والأقتاب الأمعاء واحدها قِتْب.

(٦) رواه أحمد والبخارى ومسلم رحمهم الله تعالى

(٧) رياض الصالحين - الإمام النووى رحمه الله تعالى





وقوله (كَبُر مَقْتا (١) عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) أى قولكم نفعل ولم تفعلوا مما يمقت عليه صاحبه أشد المقت أى يبغض أشد البغض. وقوله (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا) أى صاقين مُتلاصِقِين لا فُرْجَة بينهم كأنهم بُنْيان مَرْصوص بعضه فوق بعض لا خَلَلَ فيه ولا فُرْجَة كأنه مُلَحَّم بالرَّصاص(٢)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (آيَةُ (٣) المُنافِق ثلاث : إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ وإذا اؤتُمِنَ خانَ)(٤) وفى رواية (وإنْ صام وصَلَّى وزَعَمَ أنه مُسْلِم) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (أرْبَعٌ مَن كُنَّ فِيه كان مُنافِقا (٥) خالِصاً، ومَن كانت فيه خَصْلَة منهن، كانت فيه خصلة من النِفاق حتى يَدَعَها : إذا اؤتُمِنَ خان، وإذا حَدَّثَ كَذَب، وإذا عاهَدَ غَدَرَ، وإذا خاصَمَ فَجَرَ)(٦)

قال ابن عباس : كان ناسٌ مِن المؤمنين قبل أن يُفْرَض عليهم الجهاد يقولون : لَوَدِدنا أن الله عز وجل دَلّنا على أَحَبّ الأعمال إليه فنعمل به، فأخبر الله نَبِيه أن أحب الأعمال إيمان به لا شَكَّ فيه وجِهاد أهل مَعْصِيته الذين خالَفُوا بالإيمان ولم يُقِرّوا به، فلما نزل الجهاد كَرِه ذلك ناسٌ مِن المُؤمِنين، وشق عليهم أمره، فقال سبحانه (يا أيها الذين آمنوا لِمَ تَقولون ما لا تفعلون)(٧)

---

(١) مَقْتا : منصوب على التمييز وهو تمييز نسبة، والتقدير : كَبُرَ مَمْقُوتا قولكم ما لا تفعلون.

(٢) أيسر التفاسير – الجزائرى ج٢ص١٦٢٢

(٣) آيَة المُنافِق : أى علامَة المنافق ثلاث خِصال.

(٤) رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى.

(٥) النفاق نوعان : عَمَلِىّ واعْتِقادِىّ والمقصود فى الحديث هو العَمَلى الذى يُنْقِص الإيمان. أما النفاق الاعتقادى فهو إظهار الإيمان وإبطان الكفر وهذا مُخْرِج مِن المِلّة ويَكْفُر صاحِبُه، كَنِفاق عبد الله بن أُبَىّ بن سَلُول ومَن على شاكِلته.

(٦) رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى.

(٧) مختصر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى - الصابونى ج٣ ص ٤٩٢

النداء الثالث والثمانون – قال تعالى :



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣) ﴾

سورة الصَّف : ١٠ – ١٣

قال ابن كثير رحمه الله تعالى :

فَسَّر اللهُ تعالى هذه التجارة العظيمة التى لا تبور، التى مُحَصِّلَة للمقصود ومُزيلة للمَحْذُور فقال تعالى (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله ..) أى : مِن تجارة الدنيا والكدّ لها والتَّصَدِّى لها وحدها ثم قال (يغفر لكم ذنوبكم) أى إن فعلتم ما أُمِرْتُم به ودَلَلْتُكُم عليه، غفرت لكم الزَّلات، وأدخلتكم الجنات، والمساكن الطيبات، ولهذا قال (ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عَدْن ذلك الفوز العظيم) ثم قال (وأُخْرَى تُحِبُّونَهَا) أى : وأزيد على ذلك زيادة تحبونها وهى (نَصْرٌ مِن الله وَفَتْحٌ قريب) أى : إذا قاتلتم فى سبيله ونصرتم نبيه تكفل بنصركم (وفتح قريب) أى عاجل. فهذه الزيادة هى خير الدنيا موصول بنعيم الآخرة لِمَن أطاع اللهَ ورسولَه ونَصَرَ اللهَ ودِينَه ولهذا قال (وبَشِّر المؤمنين)(١)

قال الشيخ أبو بكر الجزائرى فى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) : هذا جواب ما سألوا عنه وطلبوا معرفته وهو : أحب الأعمال إلى الله تعالى، والاستفهام مستعمل فى العرض. كما يقال : هل لك فى هذا ؟ وهل لك إلى كذا ؟ على سبيل العرض والترغيب والتشويق إلى ما يذكر له (وأخرى تحبونها) أى وفائدة أخرى تحبونها نصر من الله أى : لكم على أعدائكم ولدينكم على سائر الأديان وفتح قريب لِمَكَّة وباقى المدن والقُرَى فى الجزيرة وما ورائها. وبشر المؤمنين يا رسولنا الذين آمنوا بنا وبرسولنا وبوعدنا ووعيدنا بحصول ما ذكرناه وقد تم لهم كاملا ولله الحمد والمِنَّة (٢)

وقد تقدم الحديث عن الجهاد باستفاضة فى النداءات الخاصة به فى سور (البقرة وآل عمران والأنفال)

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى – الصابونى ج٢ص٤٩٥

(٢) أيسر التفاسير – الجزائرى ج٢ص١٦٢٥

النداء الرابع والثمانون – قال تعالى :



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآَمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (١٤) ﴾ سورة الصَّف : ١٤

الأنصار جَمْع نَصِير وهو النَّاصِر : القوى النُّصْرَة. وقرأ نافِع (كُونُوا أنصاراً لله) بتنوين (أنصاراً) وقرأ حفص بدون تنوين مُضافا إلى اسم الجلالة.

الحَوَاريون جمع حَوَارىّ بفتح الحاء وتخفيف الواو وهى مُعْرَبَة عن الحَبَشية (حواريا) وهو الصاحِب الصَّفِىّ وأُطْلِقَ هذا الاسم على أصحاب عيسى عليه السلام الاثنَى عَشَر رَجُلاً، وقد سَمَّى النبىُ صلى الله عليه وسلم الزُّبَيْرَ بَن العَوَّام حَوَاريَّه على التشبيه بأحد الحَوَاريينَ قال (إنَّ لِكُلِّ نَبِىٍّ حَوَارِيًّا وإنَّ حَوَارِىِّ الزُّبَيْر)(١)

(ظاهِرِين) أى : غالبين يقال ظَهَر عليه أى : غَلَبَه وهو مُشْتَق مِن الظَّهْر الذى هو العَمود الوسط مِن جسد الإنسان والدَّواب ومثل الظهور التأييد مُشْتَق مِن اليَدّ وكذا عَضَّدَه : إذا نصره وقوَّاه مأخوذة مِن العَضُد (٢)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى فى تفسير الآية الكريمة :

يقول تعالى آمِراً عِباده المؤمنين، أن يكونوا أنصار الله فى جميع أحوالهم بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم وأن يستجيبوا لله ولرسوله كما استجاب الحواريون لعيسى حين قال (مَن أنصارى إلى الله) أى مُعِينى فى الدَّعْوَة إلى الله عز وجل (قال الحواريون) وهم أتباع عيسى عليه السلام (نحن أنصار الله) أى نحن أنصارك على ما أُرْسِلتَ به ومُؤَازِرُوكَ على ذلك وهكذا كان رسول الله يقول فى أيام الحج (مَن رَجُل يُؤوينى حتى أُبَلِّغ رِسالة رَبِّى، فإن قُرَيْشاً قد منعونى أن أُبَلِّغ رِسالة رَبِّى) حتى قَيَّضَ اللهُ عز وجل له الأوْسَ والخَزْرَجَ مِن أهل المدينة، فَبايَعُوه وَوازَرُوه وشاطَرُوه أن يَمْنَعُوه مِن الأسْوَد والأحْمَر إنْ هُو هاجَر إلَيْهم، فلما هاجَرَ إليهم بِمَن معه مِن أصحابه وَفَّوْا له بما عاهدوا اللهَ عليه، ولهذا سَمَّاهُم اللهُ ورسولُه (الأنصار) وصار ذلك عَلَماً عليهم رضى الله عنهم.

وقوله تعالى (فآمَنَتْ طائِفَةٌ مِن بَنِى إسْرائيل وكَفَرَتْ طائِفَة) أى : لما بَلَّغَ عيسى عليه السلام رِسالة رَبِّهِ إلى قَوْمِه، ووازَرُوه مَن وازَرَه مِن الحواريين، اهْتَدَتْ طائِفَةٌ مِن بَنِى إسرائيل بما

---

(١) رواه البخارى والترمذى رحمهما الله تعالى عن جابر رضى الله عنه – ص . ج رقم ٢١٥٥

(٢) أيسر التفاسير – الجزائرى ج٢ص١٦٢٦

جاء به وضَلَّتْ طائفة ، فَخَرَجَتْ عمَّا جاءهم به وجَحَدُوا نُبوته ورَمَوْه وأمَّه بالعظائم، وهم اليهود عليهم لعائن الله المتتابعَة إلى يوم القيامة وغَلَتْ فيه طائفة مِمَّن اتَّبَعَه حتى رَفَعُوه فوق ما



أعطاه الله مِن النُّبُوَّةِ وافترقوا فِرَقاً وَشِيَعا فَمِن قائل منهم : إنه ابن الله وقائل : إنه ثالِث ثلاثة (الأب والابْن والرُّوح القُدُس) وَمِن قائِل : إنه الله. وكل هذه الأقوال مُفَصَّلة فى سورة النِّساء.

وقوله تعالى (فَأيَّدْنا الذين آمَنُوا على عَدُوِّهم) أى : نَصَرْناهم على مَن عاداهم مِن فِرَق النَّصارَى (فأصْبَحُوا ظاهِرين) أى : عليهم وذلك ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم. قال ابن عباس فى قوله تعالى (فآمَنَتْ طائفة مِن بنى إسرائيل وكفرت طائفة) يعنى الطائفة التى كَفَرَتْ من بنى إسرائيل فى زمن عيسى والطائفة التى آمنت فى زمن عيسى (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) بإظهار محمد صلى الله عليه وسلم دينهم على دين الكفار. فأُمَّة محمد صلى الله عليه وسلم لا يزالون ظاهرين على الحق حتى يأتى أمر الله وهم كذلك. وحتى يقاتل آخِرُهُم الدَّجالَ مع عيسى بن مريم عليه السلام كما وردت بذلك الأحاديث الصِّحاح والله أعلم (١)

النداء الخامس والثمانون – قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١) ﴾

سورة الجمعة : ٩ – ١١

روى مسلم فى صحيحه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين. وروى مسلم من حديث النُّعْمان بن بَشِير أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى الأولى بـ (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الأعْلى) وفى الثانية بـ (هَلْ أتاكَ حَدِيثُ الغاشِيَة) وروى البخارى فى صحيحه من حديث أبى هريرة قال (كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى – الصابونى ج٣ص٤٩٥

فى الجمعة فى صلاة الفجر ألم تنزيل، السجدة وهل أتى على الإنسان (١)



إنما سُمِّيَتْ الجُمُعَة جُمُعَة لأنها مُشْتَقَّة مِن الجَمْع، فإن أهل الإسلام يجتمعون فيه فى كل أسبوع مرة بالمَعابِد الكِبار، وفيه كَمل جميع الخلائق، وفيه خلق آدَم، وفيه أُدْخِلَ الجَنَّة، وفيه أُخْرِجَ مِنها، وفيه تقوم السَّاعَة، ما ثبت ذلك بالأحاديث الصِّحاح . وقد كان يقال له (يوم العَرُوبَة) وثبت أن الأمم قبلنا أُمِرُوا به فَضَلُّوا عَنه واختار اليهود يوم السبت الذى لم يقع فيه خلق آدم، واختار النصارى يوم الأحد الذى ابْتُدِئَ فيه الخَلق واختار الله لهذه الأُمَّة يوم الجمعة الذى أكْمَلَ اللهُ فيه الخَلِيقَة.

أخرج البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (نحن الآخِرُون السَّابِقون يَوْمَ القيامة بَيْدَ أَنَّهُم أُوتُوا الكتابَ مِن قَبْلنا، ثم إنَّ هذا يومهم الذى فرض اللهُ عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا اللهُ له، فالناس لنا فيه تَبَع، اليهود غَداً والنصارى بعد غَد) وعن أبى هريرة وحُذَيْفَة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (أضَلَّ اللهُ عَن الجمعة مَن كان قَبْلَنا، فكان لليهود يوم السَّبْت وكان للنصارى يوم الأحَد، فَجاء اللهُ بنا فَهدانا يوم الجمعة)(٢)(٣) .وقد أمر الله تعالى المؤمنين بالاجتماع لعبادته يوم الجمعة فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا نُودِىَ للصَّلاة مِن يوم الجُمُعَة فاسْعَوا إلى ذِكْرِ اللهِ ..) أى اقْصُدُوا واعْمَدُوا واهْتَمُّوا فى سَيْرِكُم إليها، وليس المراد بالسعى هَهُنا المَشْى السَّريع وإنما هو الاهتمام بها كقوله تعالى (ومَن أرادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لها سَعْيَها وهو مؤمن ..) فأما المَشْى السريع فقد نهى عنه، لِما أخرجاه فى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (إذا أتَيْتُم الصلاةَ فَعَلَيْكُم بالسَّكِينَةِ ولا تأتُوها وأنت تَسْعَوْنَ فما أدْرَكْتُم فَصَلُّوا وما فاتَكُم فأتِمُّوا)(٤) وفى رواية (إذا أتَيْتَ الصَّلاةَ فَأتِها بِوَقارٍ وسَكِينَة فَصَلِّ ما أدْرَكْتَ واقْضِ ما فاتَكَ)(٥) وقال الحَسَن : أمَا والله ما هو السَّعْى على الأقدام، ولقد نُهُوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السَّكِينَة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع. وقال قتادة فى قوله تعالى (فاسْعَوا إلى ذِكْرِ الله) يعنى أن تَسْعَى بقلبك وعملك وهو المَشْى إليها (٦) ، ويوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع لقوله صلى الله عليه وسلم (إن مِن أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خُلِقَ آدَم، وفيه قُبِضَ وفيه النَّفْخَة وفيه الصَّعْقَة فأكْثِرُوا عَلَىَّ مِن الصلاة فيه، فإن صلاتكم مَعْرُوضَة عَلَىَّ، إن الله حَرَّمَ على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء)(٧) وقال (خَيْرُ يَوم طَلَعَتْ عليه الشمس يوم الجمعة فيه خُلِقَ آدم وفيه أُدْخِلَ الجَنَّة وفيه أُخْرِجَ منها ولا

---

(١) رواه البخارى رحمه الله تعالى فى كتاب الجمعة - باب ما يقرأ فى صلاة الفجر يوم الجمعة.

(٢) رواه مسلم رحمه الله تعالى **(٣) انظر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى**

(٤) رواه أحمد والبخارى ومسلم رحمهم الله تعالى – ص . ج رقم ٢٧٥

(٥) رواه الطبرانى رحمه الله تعالى – ص . ج رقم ٢٧٢

(٦) مختصر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى – الصابونى ج٣ص٤٩٩

(٧) رواه أحمد وأبو داود والنسائى رحمهم الله تعالى وغيرهم عن أوس بن أوس – ص . ج رقم ٢٢١٢

تقوم السَّاعَة إلا فى يوم الجمعة)(١)



وشُرِعَ اجتماع المسلمين فيه لتنبيههم على عِظَمِ نِعْمَة الله عليهم وشُرِعَتْ فيه الخُطْبَة لِتَذْكِيرهم بتلك النعمة وحثهم على شكرها. وشُرِعَتْ الصلاة فى وسط النهار، ليتم الاجتماع فى مسجد واحد، وأمر الله المؤمنين بحضور ذلك والاجتماع وسماع الخطبة وإقامة تلك الصلاة قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا نُودِىَ للصلاة من يوم الجمعة فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا البَيْعَ ...)

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : (كان مِن هَدْى النبى تعظيم هذا اليوم وتشريفه وتخصيصه بعبادات يختص بها عن غيره، وقد اختلف العلماء : هل هو أفضل من يوم عرفة ؟ على قولين، هما وجهان لأصحاب الشافعى. وكان يقرأ فى فجره بسورتى (ألم تنزيل) السجدة، و (هل أتى على الإنسان) إلى أن قال : (وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : إنما كان النبى يقرأ هاتين السورتين فى فجر الجمعة لأنهما تضمنتا ما كان يكون فى يومها، فإنهما اشتملتا على خلق آدم وعلى ذِكْر المَعاد وحَشْر العِباد، وذلك يكون يوم الجمعة وكان فى قراءتهما فى هذا اليوم تذكيرٌ للأمَّة بما كان ويكون، والسجدات جاءت تَبَعاً ليست مقصودة حتى يقصد المصلى قراءتها حيث اتفقت (يعنى : من أى سورة)(٢)

وليوم الجمعة خصائص منها :

١- استحباب كثرة الصلاة على النبى فيه وفى ليلته لقوله (أكْثِرُوا الصلاة عَلَىَّ يوم الجمعة، فَمَن صَلَّى عَلَىَّ صلاةً صَلَّى اللهُ عليه عَشْراً)(٣)

٢- الأمر بالاغتسال فيه وهو سنة مؤكدة، ومِن العُلَماء مَن يُوجِبه فى حق مِن به رائِحَة يحتاج إلى إزالتها. لقوله صلى الله عليه وسلم (غُسْلُ الجمعة واجِب على كُلِّ مُحْتَلِم)(٤) وقوله (مَن تَوَضَّأ يوم الجمعة فَبِها وَنَعِمَتْ ومَن اغْتَسَلَ فالغُسْل أفضَل)(٥). والعمل على هذا عند أهل العلم مِن أصحاب النبى ومَن بَعْدَهم ورأوا أن يُجْزِئ الوضوء مِن الغُسْل. قال ابنُ عَبْدِ البَرّ : أجمع علماء المسلمين قديما وحديثا على أن غسل يوم الجمعة ليس بفرض واجب. قال أبو هريرة (بينما عمر ابن الخطاب يخطب يوم الجمعة، إذ دخل عثمان بن عفان فَعَرَّضَ عمر فقال : ما بال رجال يتأخرون بعد النداء ؟ فقال عثمان : يا أمير المؤمنين، ما زِدْتُ حين سمعت النداء أن توضأتُ ثم أقبلت. فقال عمر : والوضوء أيضا ! ألَمْ تسمعوا رسول الله يقول (إذا جاء أحدُكم الجمعة فَلْيَغْتَسِل)(٦) فلو عَلِما أن أمره للوجوب لا على الاختيار لم يترك عُمَرُ عُثْمانَ حتى

---

(١) رواه أحمد ومسلم رحمهما الله تعالى وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه – ص . ج رقم ٣٣٣٣

(٢) زاد المَعاد فى هَدْى خير العِباد – ابن القيم رحمه الله تعالى ج١ ص١٢٠

(٣) رواه البَيْهَقِىّ رحمه الله تعالى عن أنس رضى الله عنه – ص . ج رقم ١٢٠٩

(٤) رواه البخارى رحمه الله تعالى.

(٥) رواه أحمد وأبو داود رحمهما الله تعالى وغيرهما عن سَمُرَة رضى الله عنه – ص . ج رقم ٦١٨٠

(٦) رواه البخارى رحمه الله تعالى





يَرُدَّه ويقول له ارجع فاغتسِل، وَلَما خَفِى على عثمان ذلك مع علمه ولكن دل هذا الحديث أن الغسل يوم الجمعة فيه فضل من غير وجوب على المرء فى ذلك. وغسل الجمعة يمتد وقته مِن طلوع الفجر إلى الظهر. ونقل الزرقانى فى شرح المُوَطَّأ ج١ ص ١٩٠ عن ابن عبد البر قال (ليس المراد أنه واجب فرضا، بل هو مُؤَوَّل أى : واجب فى السُّنَّة أو فى المُروءة أو فى الأخلاق الجميلة كما تقول العرب : (وَجَبَ حَقُّكَ). ثم أخرج بسنده عن أشهب، أى : مالِكاً - رحمه الله – سُئِلَ عن غُسْل يوم الجمعة أوَاجِبٌ هو ؟ قال : هو حَسَن ليس بواجب. وأخرج ابن وَهْب أن مالِكاً سُئِلَ عن غسل يوم الجمعة فقال : هو سُنَّة مَعْرُوفَة . قِيل إن فى الحديث واجب ؟ قال : ليس كل ما جاء فى الحديث يكون كذلك (١)

٣- ومن أعظم خصائص يوم الجمعة : صلاة الجمعة التى هى آكد فروض الإسلام ومن أعظم مجامع المسلمين. وجاء الترهيب فى التفريط فيها لقوله صلى الله عليه وسلم (مَن تَرَكَ ثلاث جُمَعٍ تَهاونا بها، طَبَع اللهُ على قَلْبِه)(٢) وقال (مَن تَرَكَ ثلاثَ جُمُعاتٍ مِن غَيْر عُذْرٍ كُتِبَ مِن المنافِقِين)(٣)

٤- استحباب التَّطَيُّب فيه وهو أفضل من الطيب فى غيره من أيام الأسبوع.

٥- استحباب التَّبْكِير إلى المسجد لصلاة الجمعة.

٦- الاشتغال بالصلاة النافلة والذكر والقراءة حتى يخرج الإمام للخُطبة ووجوب الانصات للخطبة إذا سمعها فإن لَم ينصت للخطبة كان لاغِياً، لقوله صلى الله عليه وسلم (مَن قال : صه فقد تكلم، ومن تكلم فلا جمعة له)(٤) وقوله (مَن مَسَّ الحَصى فقد لَغا)(٥) وتحريم الكلام وقت الخطبة، ففى المُسْنَد مَرْفوعاً (والذى يقول لصاحبه : أنْصِتْ فلا جمعة له)(٦)

٧- ومن خصائص يوم الجمعة : قراءة سورة الكهف فى يومها فقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (مَن قرأ سُورَةَ الكَهْف يوم الجمعة فقد أضاء له النُّور ما بينه وبين البيت العَتِيق)(٧)

---

(١) الصلاة قرة عيون المؤمنين – الشيخ د / طلعت زهران حفظه الله تعالى ص ٩٦ ، ٩٧

(٢) رواه أحمد وأصحاب السنن رحمهم الله تعالى عن أبى الجعد – ص . ج رقم ٦١٤٣

(٣) رواه الطبرانى رحمه الله تعالى عن أسامة بن زيد – ص . ج رقم ٦١٤٤

(٤) أخرجه أحمد رحمه الله تعالى من حديث على رضى الله عنه.

(٥) رواه ابن ماجه رحمه الله تعالى عن أبى هريرة رضى الله عنه – ص . ج رقم ٦٥٥٣

(٦) أخرجه أحمد رحمه الله تعالى من حديث ابن عباس رضى الله عنه.

(٧) رواه البيهقى رحمه الله تعالى – ص . ج رقم ٦٤٧١



٨- أن بها ساعة إجابة، فَعَن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (إن فى الجمعة ساعة لا يوافقها عَبْدٌ مُسْلِمٌ وهو قائِمٌ يُصَلّى، يسأل اللهَ منها خيرا إلا أعْطاه اللهُ إيَّاه)(١)

٩- أن فيه الخطبة التى يقصد بها الثناء على الله وتمجيده والشهادة له بالوحدانية ولرسوله بالرسالة وتذكير العباد.

١٠- ويستحب التبكير فى الذهاب ليوم الجمعة فإذا دخل المسجد صلى تحية المسجد ركعتين لحديث (مَن اغتسل يوم الجمعة ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قرَّبَ بَدَنَة، ومَن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بَقَرَة، ومَن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كَبْشَاً أقْرَنَ، ومَن راح فى الساعة الرابعَة فكأنما قرب دَجاجَة، ومَن راح فى الساعة الخامِسَة فكأنما قرَّب بَيْضَةً، فإذا خرج الإمام حَضَرَتْ الملائكةُ يستمِعُون الذِّكْرَ)(٢)

وخصائص يوم الجمعة كثيرة ذَكَرَها ابنُ القيم رحمه الله تعالى فى كتابه (زاد المعاد) فأوْصلها إلى ثلاث وثلاثين ومائة. ومع هذا يتساهل كثير مِن الناس فى حق هذا اليوم، فلا يكون له مَزِيَّة على غيره من الأيام، والبعض الآخَر يجعل هذا اليوم وقتا للتكاسل والنوم، والبعض يُضَيّعه فى اللهو واللعب والغفلة عن ذكر الله، حتى إنه لينتقص عدد المصلين فى المساجد فى فجر ذلك اليوم نقصاً ملحوظاً ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى (ولهذا كان جماهير الأئمة متفقين على أنه ليس قبل الجمعة سُنَّة مُوَقَّتَة بوقت مُقَدَّرَة بعدد، والصلاة قبل الجمعة حَسَنَة، وليست بسنة راتبة وإن فعل أو ترك لم ينكر عليه، وهذا أعْدَل الأقوال، وحينئذ يكون الترك أفضل إذا اعتقد الجُهَّالُ أنها سنة راتبة) ا.هـ (٣)

هذا ما يتعلق بصلاة النافلة قبل صلاة يوم الجمعة فليس لها سنة راتبة قبلها وإنما راتبتها بعدها، ففى صحيح مسلم (إذا صلى أحدكم الجمعة فَلْيُصَلِّ بعدها أرْبَعاً)(٤) وفى الصحيحين (أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى بعد الجمعة ركعتين)(٥)

والجَمْع بين الحديثين أنه صلى الله عليه وسلم إنْ صَلَّى فى بيته صلى ركعتين، وإنْ صلى فى المسجد صلى أربع ركعات.

والأحقية فى المكان فى المسجد للسابق بالحضور بنفسه وأما ما يفعله الناس مِن حَجْز مكان فى

---

(١) رواه مالك وأحمد ومسلم رحمهم الله تعالى وغيرهم – ص.ج رقم ٢١٢٠

(٢) رواه البخارى رحمه الله تعالى.

(٣) انظر الفتاوى لا بن تيمية رحمه الله تعالى ج٢٢ص٨٩ ، ١٩٠

(٤) أخرجه مسلم رحمه الله تعالى عن أبى هريرة رضى الله عنه.

(٥) رواه مسلم رحمه الله تعالى عن ابن عمر رضى الله عنهما.





المسجد، بوضع سجادة أو عصا أو نَعْلين ويتأخر هو عن الحضور ويَحْرِم المتقدمَ م ذلك فإن ذلك عمل غير سائغ، بل صَرَّحَ بعض العلماء أن لِمَن أتَى المسجدَ رَفْع ما وُضِعَ فى ذلك المكان والصلاة فيه؛ لأن السابق يستحق الصلاة فى الصف الأول، ولأن وضع الحِمَى للمكان فى المسجد دون الحضور من الشخص اغتصاب للمكان.

ومن أحكام يوم الجمعة :

١- أن مَن دخل المسجد والإمام يخطب لم يجلِس حتى يصلى ركعتين ويُوجِز فيهما لقوله صلى الله عليه وسلم (إذا جاء أَحَدُكُم يوم الجمعة وقد خرج الإمام فَلْيُصَلِّ ركعتين)(١) وزاد مسلم (وَلْيَتَجَوَّز فيهما) أى يسرع، فإن جلس قام فأتى بهما لأن النبى أَمَرَ الرَّجُلَ الذى جَلَسَ قبل أن يصليهما فقال له (قُمْ فارْكَع رَكْعَتَيْن)(٢)

٢- أن لا يجوز الكلام والإمام يخطب. لما فى الصحيحين من حديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (إذا قُلْتَ لِصاحِبِك يوم الجمعة : أنْصِتْ والإمام يخطب فقد لَغَوْتَ)(٣) أى : قلت اللَّغْو واللغو الإثم، فإذا كان الذى يقول للمتكلم أنصت – وهو فى الأصل يأمر بالمعروف – فقد لَغا – وهى مَنْهِىّ عنها فغير ذلك من الكلام مِن باب أوْلَى.

٣- يجوز للإمام أن يُكَلِّمَ بَعْضَ المأمومين حالَ الخُطْبَة ويجوز لغيره أن يكلمه لمصلحة، لأن النبى صلى الله عليه وسلم كَلَّمَ سائِلاً (٤) وكلمه هو وتكرر ذلك فى عِدَّة وقائع.

٤- لا يجوز لِمَن يستمع الخطبة أن يتصدق على السائل وقت الخطبة، لأن السائل فَعَل ما لا يجوز فعله فلا يعينه على ما لا يجوز فعله وهو الكلام حال الخطبة (٥)

٥- تُسَنّ الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم إذا سمعها من الخطيب ولا يرفع صوته بها لِئَلا يشغل غيره بها.

٦- يسن أن يُؤَمِّن على دُعاء الخطيب بلا رفع صوته ولا يديه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى (ورفع الصوت قُدَّام الخطيب مكروه أو مُحَرَّم اتفاقا، ولا يرفع المؤذن ولا غيره صوته بصلاة ولا غيرها) ا.هـ (الفتاوى ج٢٢ص٤٦٩)

٧- ومن دخل والإمام يخطب فإنه لا يُلْقِى السَّلامَ، بل ينتهى إلى الصف بسكينة ويصلى ركعتين خفيفتين كما سبق ويجلس لاستماع الخطبة ولا يصافح مَن بجانبه.

---

(١) رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى من حديث جابر رضى الله عنه.

(٢) رواه البخارى ومسلم رحمهما الله من حديث جابر رضى الله عنه.

(٣) رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى.

(٤) السائل هو : سُلَيْك الغطفانِى كما فى الصحيحين من حديث جابر رضى الله عنه.

(٥) قلتُ : ومِن الأعجب ما يحدث فى بعض المساجد أن يَمُرَّ مارٌّ بين الناس أثناء الخطبة وهو يحمل إناءً به ماء ليسقى الناس والخطيب على المنبر، وقد شاهدتُ مِراراً ذلك بعَيْنَى رأسى.



٨- لا يجوز له العَبَثَ حال الخطبة بيَدٍ، أو رجْل، أو لِحْيَةٍ، أو ثوْب، أو غير ذلك. وكذا لا ينبغى له أن يلتفت يمينا وشمالا، ويشتغل بالنظر إلى الناس أو غير ذلك لأن ذلك يشغله عن الاستماع للخطبة ولكن ليتجه إلى الخطيب كما كان الصحابة يتجهون إلى النبى صلى الله عليه وسلم حال الخطبة. وإذا عَطَسَ فإنه يَحْمد اللهَ سِرّاً بينه وبين نفسه.

٩- صلاة الجمعة فرض عَيْن على كل مسلم ذكَر حُر مُكَلَّف مُسْتَوطِن. روى أبو داود بسنده عن طارق بن شهاب مرفوعا (الجمعة حق واجب على كل مسلم فى جماعة إلا أربعة : عَبْد مملوك أو امْرأة أو صَبِىّ أو مَريض)(١)

١٠- لا تَجِب الجمعة على مسافر سَفَر قصْر؛ لأن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يسافرون فى الحَجِّ وغيره فلَم يُصَلّ أحدٌ منهم الجمعة فى السفر. ولا تجب على المرأة. قال ابن المُنذِر وغيره (أجمعوا على أن لا جمعة على النساء وأجمعوا على أنهن إذا حَضَرْنَ الإمام فَصَلَّيْنَ معه أن ذلك يُجْزِى عنهن)

ما يشترط لصحة الجمعة :

١- دخول الوقت : لأنها صلاة مفروضة فاشْتُرِط لها دخول الوقت كبَقية الصلوات فلا تصِح قبل وقتها ولا بعده وأداؤها بعد الزوال أفضل وأحوَط لأنه الوقت الذى كان يصليها فيه رسول الله فى أكثر أوقاته، وأداؤها قبل الزوال مَحِل خلاف بين العلماء وآخِر وقتها آخِر وقت صلاة الظهر بلا خلاف.

٢- أن يكون المصلون مُسْتَوْطِنين بمساكن مبنية بما جَرَت العادة بالبناء به فلا تصح مِن أهل الخِيام وبيوت الشَّعْر الذين ينتجعون فى الغالب مواطن القطر ويُنَقِّلون بيوتهم، فقد كانت قبائل العرب حول المدينة ولم يأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم بصلاة الجمعة.

ومَن أدرك مع الإمام مِن صلاة الجمعة ركعة أتمها جمعة لحديث أبى هريرة مرفوعا (مَن أدرك ركعة مِن الجمعة فقد أدركَ الصلاة)(٢). وإن أدرك أقل من ركعة بأن رفَعَ الإمام رأسه من الركعة الثانية قبل دخوله معه فاتَتْهُ صلاة الجمعة فيدخل معه بنية الظهر فإن سَلَّمَ الإمامُ أتَمَّها ظُهراً.

٣- ويشترط لصحة صلاة الجمعة تَقَدُّم خُطْبَتيْن لِمُواظبَة النبى صلى الله عليه وسلم عليهما وقال ابن عمر (كان النبى صلى الله عليه وسلم يخطب خطبتين وهو قائم يفصل بينهما بجلوس)(٣)

ومن شروط صحتهما : حَمْد الله تعالى، والشهادتان، والصلاة على رسول الله، والوصية بالتقوى والموعِظة، وقراءة شئ من القرآن ولو آية، بخلاف ما عليه خُطَب بعض المعاصرين اليوم مِن

---

(١) رواه أبو داود رحمه الله تعالى بإسناد صحيح

(٢) رواه البيهقى رحمه الله تعالى وأصله فى الصحيحين

(٣) رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى.



خُلُوّها من هذه الشروط أو غالبها . فبعض الخطباء أو كثير منهم يجعل الخطبة كأنها موضوع إنشاء مَدْرَسِيّ يرتجل فيه ما حَضَرَه مِن الكلام بمناسبة وبدون مناسبة ويطيل الخطبة تطويلاً مُمِلا حتى إن بعضهم يهمل شروط الخطبة أو بعضها، ولا يتقيد بضوابطها الشرعية فهبطوا بالخطب إلى هذا المستَوَى الذى لَم تَعُد معه مُؤدِية للغرض المطلوب من التأثير والإفادة.

وبعض الخُطَباء يُقْحِم فى الخطبة مواضيع لا تتناسب مع موضوعها وليس مِن الحِكْمَة ذِكْرها فى هذا المقام وقد لا يفهمها غالب الحُضُور لأنها أرفع من مستواهم فَيُدْخِلُونَ فيها المواضيع الصحفية والأوضاع السياسية وسَرْد المُجْرَيات التى لا يستفيد منها الحاضرون.

فيا أيها الخُطَباء : عُودوا بالخطبة إلى الهَدْى النبوى (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة)(١) ركِّزُوا مواضيعها على نصوص من القرآن والسنة التى تتناسب مع المقام، ضمنوها الوصية بتقوى الله والموعظة الحسنة، عالِجُوا بها أمراض مجتمعاتكم بأسلوب واضح مُخْتَصَر، أكْثِرُوا فيها مِن قراءة القرآن العظيم الذى به حياة القلوب ونور البصائر.

ولا تحصل الخطبة باختصار يُفَوِّت المقصود، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْناه وعَلا صَوْتُه واشْتَدَّ غَضَبه حتى كأنه مُنْذِر جَيْش يقول : صَبَحَكُم ومسَّاكُم (٢)

وذَكَرَ الفقهاءُ رحمهم الله تعالى : أن يُسَنّ فى خُطْبَتَىّ الجمعة أن يخطب على المِنْبَر لِفِعْلِه عليه الصلاة والسلام، ولأنه أبْلَغ فى الإعْلام والوَعْظ حينما يشعر الحضورُ الخَطِيبَ أمامهم. ويُسَن أن يُسَلِّم الخَطيبُ على المأمومينَ إذا أقْبَلَ عليهم بوَجْهه، لقول جابر رضى الله عنه (وكان رسول الله إذا صَعِدَ المنبر سَلَّمَ)(٣)

وَيُسَن أن يجلس على المنبر إلى فراغ المؤذن وأن يجلس بين الخطبتين. ومِن سننها أن يخطب قائما لفعل الرسول ولقوله تعالى (وتركوك قائما)(٤). ويسن أن يعتمد على عَصا ونحوها. ويسن أن يقصد تِلقاء وجهه، لفعله صلى الله عليه وسلم ولأن التفاته إلى أحد جانِبَيه إعراض عن الآخَر ومخالفة للسنة؛ لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقصد تلقاء وجهه فى الخُطْبَة ويستقبله الحاضِرُونَ بوجوههم. ويسن له أن يُقَصّر الخطبة تقصيرا مُعْتَدِلا بحيث لا يَمَلُّوا وتنفر نفوسهم ولا يقصرها تقصيرا مُخِلا فلا يستفيدون منها. روى مسلم عن عَمَّار مرفوعا (إنَّ طُولَ صَلاة الرَّجُل وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّة مِن فِقْهِهِ، فَأَطِيلُوا الصَّلاة وأقْصِرُوا الخُطْبَة)(٥) ومعنى قوله (مَئِنَّة مِن فِقْهِه) أى علامَة على فقهه.

ويسن أن يلقيها بعبارات واضحة قوية مُؤَثِّرَة وبعبارات جَزلة، ويسن أن يدعو للمسلمين بما فيه صلاح دينهم ودنياهم ويدعو لإمام المسلمين وولاة أمورهم بالصلاح والتوفيق وكان الدعاء لولاة الأمور فى الخطبة معروفا عند المسلمين وعليه عملهم؛ لأن الدعاء لولاة أمور المسلمين بالتوفيق والصلاح من منهج أهل السنة والجماعة وتركه من منهج المبتدعة.

---

(١) سورة الأحْزاب : ٢١ (٢) أخرجه مسلم رحمه الله تعالى.

(٣) رواه ابن ماجه رحمه الله تعالى. (٤) سورة الجمعة : ١١ (٥) أخرجه مسلم رحمه الله تعالى.



قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : (لو كان لنا دعوة مستجابة لدَعَوْنا بها للسلطان؛ لأن فى صلاحه صلاح الدين)

وقد تُركَتْ هذه السنة حتى صار الناس يستغربون الدعاء لولاة الأمور ويسيئون الظن بمن يفعله. ويسن إذا فرغ من الخطبتين أن تقام الصلاة مباشرة وأن يشرع فى الصلاة من غير فصل طويل(١)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى فى قوله (إذا نُودِىَ للصلاة من يوم الجمعة ...) : المراد بهذا النداء هو النداء الثانى الذى كان يُفْعَل بين يدى رسول الله إذا خرج فجلس على المِنْبَر، فإنه كان حِينَئِذٍ يؤذن بين يديه فهذا هو المراد، فأما النداء الأول الذى زادَه أميرُ المؤمنين عُثْمان بن عفان رضى الله عنه فإنما كان هذا لكثرة الناس كما روى البخارى رحمه الله تعالى عن السَّائِب بن يزيد قال : كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله وأبى بكر وعمر، فلما كان عثمان بعد زمن وكثر الناس زاد النداءَ الثانى على الزَّوْراء(٢) يعنى يُؤَذَّن على الدار التى تسمى الزوراء وكانت أرْفَع دار بالمدينة بقرب المسجد. وذلك الذى يحرم عنده الشراء والبيع إذا نُودِى به، فأمَرَ عثمانُ رضى الله عنه أن يُنادَى قبل خروج الإمام حتى يجتمع الناس، وإنما يُؤْمَر بحضور الجمعة الرِّجال الأحرار دون العَبيد والنساء والصِّبْيان، ويعذر المسافر والمريض وما أشبه ذلك من الأعذار كما هو مقرر فى كتب الفروع.

وقوله تعالى (وذروا البيع) أى اسْعُوا إلى ذِكْر الله واتركوا البيع إذا نودى للصلاة ولهذا اتفق العلماء على تحريم البيع بعد النداء الثانى.

وقوله (فإذا قُضِيَتْ الصلاة) أى فُرِغَ منها (فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله) لما حَجَرَ عليهم فى التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع أَذِنَ لَهُم بعد الفراغ فى الانتشار فى الأرض والابتغاء (٣) من فضل الله. وَرُوِىَ عَن بعض السَّلَف أنه قال : (مَن باع واشترى فى يوم الجمعة بعد الصلاة بارك اللهُ له سبعين مرة) وقوله تعالى (واذكروا اللهَ كثيرا لعلكم تفلحون) أى فى حال بيعكم وشرائكم وأخذكم وإعطائكم اذكروا اللهَ ذِكْرا كثيرا، ولا تشغلنَّكم الدنيا عن الذى ينفعكم فى الآخِرَة، ولهذا جاء الحديث (مَن دَخَل السُّوقَ فقال : لا إله إلا الله وَحْدَه لا شَرِيكَ له، له المُلْكُ وله الحَمْد، يُحْيِى ويُميت وهو حَىٌّ لا يَمُوت بيَدِه الخَيْرُ وهو عَلَى كُلِّ شَئٍ قدِير، كَتَبَ اللهُ له ألفَ ألفِ حَسَنَة، ومَحا عَنْهُ ألفَ ألفِ سَيِّئَة ورَفَعَ له ألفَ ألف دَرَجَة وبَنَى له بَيْتاً فى الجَنَّة)(٤)

---

(١) انظر المُلَخَّص الفِقْهِىّ – الشيخ صالح الفوزان ج١

(٢) رواه البخارى رحمه الله تعالى.

(٣) الابْتِغاء بمعنى الطَّلَب قال تعالى (وابْتَغ فيما آتاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَة ولا تَنْسَ نَصِيبَك من الدنيا ...) سورة القصص : ٧٧

(٤) رواه أحمد والترمذى رحمهما الله تعالى وغيرهما – ص . ج رقم ٦٢٣١





وقوله تعالى (وإذا رأوْا تجارة أو لهوا انفضوا (١) إليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللَّهْوِ ومِن التجارة والله خير الرازقين) يعاتب تَبارَكَ وتعالى على ما كان وقع مِن الانصِراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التى قَدِمَتْ المدينة يومَئذ والنبى صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر. عن جابر قال : قَدِمَتْ عِيرٌ مَرَّةً المدينة ورسول الله يخطب فخرج الناس وبَقِى اثنا عَشَرَ رَجُلا فنزلت (وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً ..)(٢)

وقوله (قل ما عند الله خير) أى الذى عند الله من الثواب فى الدار الآخرة (خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين) أى لِمَن تَوَكَّلَ عليه وطلب الرِّزْق فى وقته (٣)

قال الشيخ أبو بكر الجزائرى :

لفظة الجمعة : بِضَمِّ كل مِن الجِيم والمِيم وَبِتَسْكِينِ المِيم، والجَمْعُ جُمَع، كَغُرْفَة غُرَف، وجُمُعات كَغُرُفات، وكان يومها يسمى (العَرُوُبَة) بفتح العَيْن وقيل أول مَن سَمَّاها الجمعة كَعْبُ بنُ لُؤَىّ وقيل الأنصار، وأول جمعة صُلِّيَتْ فى الإسلام هى الجمعة التى جَمَع فيها أسْعَدُ بن زُرارَة ومُصْعَبُ بنُ عُمَيْر أهلَ المدينة وصَلَّوْها وكانوا اثنَىّ عَشَرَ رَجُلاً. وأوَّل جمعة صلاها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة هى جمعته فى بَنِى سالِم بن عَوْف وهو فى طريقه مِن قِباء إلى المدينة وأول جمعة بعدها كانت بجواثى (قرية مِن قُرَى البَحْرَيْن)(٤)

---

(١) الانفِضاض معناه : التَّفَرُّق والانصِراف

(٢) رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى.

(٣) مختصر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى – الصابونى ج٣ص ٥٠١

(٤) أيسر التفاسير – الجزائرى ج٢ص١٦٣٠



النداء السادس والثمانون – قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١) ﴾ سورة المنافِقون : ٩ – ١١

سورة المنافقون مدنية وآياتها إحدى عشر.

يقول تعالى آمِراً عِباده المؤمنين بكثرة ذِكْره ناهياً لهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك، ومخبرا لهم بأن مَن التَهَى بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عن طاعة ربه وذكره، فإنه مِن الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ثم حَثَّهُم على الإنفاق فى طاعته، فقال (وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) فكل مُفَرِّطٍ يَنْدَم عند الاحْتِضار، ويسأل طول المُدَّة ليستعتبَ ويَسْتَدْرِكَ ما فاته وهَيْهاتَ كما قال تعالى (وأنْذِر الناسَ يوم يأتيهم العذابُ فيقول الذين ظلموا ربنا أخِّرْنا إلى أجَلٍ قريب نُجِبْ دَعْوَتَك ونَتَّبِع الرُّسُلَ)(١) وقال تعالى (حتى إذا جاء أحَدَهُم المَوْتُ قال رَبِّ ارْجِعُون * لَعَلِّي أعْمَلُ صالِحاً فيما تَرَكْتُ...)(٢) ثم قال تعالى (ولن يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسا إذا جاء أجَلُها والله خبير بما تعملون) أى : لا يُنْظِرُ اللهُ أحَداً بعد حُلُول أجله وهو أعلم وأخْبَر بِمَن يكون صادِقا فى قوله وسؤاله مِمَّن لو رُدَّ لَعَاد إلى شَر مما كان عليه ولهذا قال (والله خبير بما تعملون)

وروى ابن أبى حاتِم عن أبى الدرداء قال : ذَكَرْنا عند رسول الله الزيادة فى العُمر فقال (إن اللهَ لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها وإنما الزيادة فى العمر أن يرزق اللهُ العبدَ ذُرِّيَّة صالِحَة يدعون له، فيلحقه دعاؤهم فى قَبْره)(٣)

قال الشيخ أبو بكر الجزائرى فى قوله تعالى (لا تُلْهِكُم أموالُكَم) :

(لا) هى النافية أشربَتْ معنى النَّهْى فَجَزَمَتْ المضارع، وفى الآية دليل على أن ما لا يشغل عن ذكر الله مِن مال لا إثمَ فيه. وقوله تعالى (وأنفقوا من ما رزقناكم مِن قبل أن يأتى أحدكم الموت ...) قال القُرْطُبِيّ : فى الآية دليل على وجوب تعجيل أداء الزّكاة ولا يجوز تأخيرها أصلاً وكذلك سائر العِبادات إذا تَعَيَّنَ وقتها وهو كما قال رحمه الله تعالى.

---

(١) سورة إبراهيم : ٤٤

(٢) سورة المُؤمِنُونَ : ٩٩ ، ١٠٠

(٣) مختصر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى – الصابونى ج٣ص ٥٠٦



وكلمة (نَفْساً) جاءت نَكِرَة فى سياق النفى وهو (لن يؤخر) تَعُمّ كلَ نفس والمراد من النَّفْس الرُّوح وقيل فيها : نَفْس أَخْذاً مِن النَّفَس وهو الهَوَاء الذى يخرج من الأنْفِ والفَمّ مِن كل حَيَوَان ذِى رِئَة وسُمِّيَتْ رُوُحاً أخْذاً مِن الرَّوْح بفتح الراء؛ لأن الرَّوْح به، والرَّوْح : الرَّاحَة.

ما تدل عليه الآيات الكريمات :

١- حُرْمَة التَّشاغُل بالمال والولد مع تضييع بعض الفرائِض والواجِبات.

٢- حرمة تأخير الحَجّ مع القُدْرَة على أدائه تسويفاً وتماطُلاً مع الإيمان بِفَرْضِيَّته.

٣- وُجُوب الزَّكاة والترغيب فى الصَّدَقات الخاصَّة كَصَدَقَة الجهاد والعامَّة على الفقراء والمساكين

٤- تقرير عقيدة البعث والجزاء (١)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الوَلَدُ ثَمَرَة القَلْب، وإنَّه مَجْبَنَة، مَبْخَلَة، مَحْزَنَة)(٢) أى قد يكون الولد (الذَّكَر أو الأُنْثَى) سَبَباً فى جُبْنِ الوالِد فى تقاعُسه عن الجهاد مَثَلاً، أو سببا فى بُخْلِه فى الإنفاق، أو سببا فى حُزْنِه.

---

(١) أيسر التفاسير – الجزائرى ج٢ص ١٦٣٦

(٢) رواه أبو يَعْلَى رحمه الله تعالى فى مُسْنَده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه – ص . ج رقم ٧١٦٠





النداء السابع والثمانون – قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦) إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) ﴾

سورة التَّغابُن : ١٤ – ١٨

سورة التغابن مدنية وآياتها ثمانى عشرة.

هذه الآيات الكريمات نزلت (١) فى أناسٍ كان لهم أزواج وأولاد عاقوُهم عن الهجْرَة والجهاد فترة من الوقت، فلما تغلبوا عليهم وهاجَرُوا ووجدوا الذين سبقوهم إلى الهجرة قد تَعَلَّمُوا وتَفَقَّهُوا فى الدِّين فتأسَّفُوا عن تخلفهم فَهَمُّوا بأزواجهم وأولادهم الذين عاقوهم عن الهجرة فترة طويلة أن تعاقبوهم بنوع مِن العِقاب مِن تجويع أو ضرب وتثريب وعتاب، فأنزل اللهُ هذه الآيات (يا أيها الذين ءَامَنُوا إن من أزواجكم ...) أى يا أيها المؤمنون إنَّ مِن (٢) أزواجكم (٣) وأولادكم أى : مِن بعضهم لا كُلّهم إذ منهم مَن يساعد على طاعة الله ويكون عَوْناً عليها، عدوا لكم صرفكم عن طاعة الله والتزود للدار الآخرة، وقد ينازعونكم فى دينكم ودنياكم إذاً فاحذروهم أى كونوا على حَذَر أن تطيعوهم فى التخلف عن فعل الخير مِن هجرة وجهاد وغيرهما وإن تعفوا وتغفروا أى عَمَّن شَغَلوكم عن طاعة الله فعاقوكم عن الهجرة والجهاد فلم تضربوهم ولم تجوعوهم ولم تُثَرِّبُوا عليهم ولم تُعاتِبُوهُم بل تطلبون العُذْرَ لمن قاموا به نَحْوَكُم يكافِئْكُم الله تعالى بِمِثْلِه فيعفو عنكم ويصفح ويغفر لكم كما عفوتم وصفحتم وغفرتم لأزواجكم وأولادكم الذين أَخَّرُوا هجرتكم وعطلوكم عن الجهاد فى سبيل الله.

وقوله تعالى (إنما أموالكم وأولادكم فِتْنَة والله عنده أجر عظيم) أى : كل أموالكم وأولادكم فتنة واختبار من الله لكم هل تُحْسِنون التصرف فيهم فلا تَعْصُوا اللهَ لأجلهم، لا بترك واجب ولا بفعلِ ممنوع أو تُسِيئون التصرف فيحملكم حبهم على التفريط فى طاعة الله أو التقصير فى بعضها

---

(١) قال القرطبى رحمه الله تعالى : قال ابن عباس رضى الله عنهما : نزلت فى عوف بن مالك الأشجعى بالمدينة النبوية، شكا إلى النبىَ جفاء أهله وولده. وعن عطاء بن يسار قال : نزلت سورة التغابن كلها جملة واحدة إلا هؤلاء الآيات (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم ....)

(٢) مِن : للتبعيض إذ ما كُلُّ مَن له زوجة وولد كانوا له عدواً.

(٣) الآية عامَّة فى الرِّجال والنِّساء، فكما يكون للرجل مِن امرأته وولده عدو يكون للمرأة مِن زوجها وولدها عدو، ووجب الحذر على المؤمنين، ويكون الحذر على وجهين إما لضرر فى البدن، وإما لضرر فى الدِّين.



بترك واجب أو فعل حرام، والله عنده أجر عظيم فآثِرُوا ما عند الله على ما عندكم مِن مال وولد، إن ما عند الله باقٍ وماعندكم فانٍ فآثِرُوا الباقى على الفانى.

وقوله (فاتقوا الله ما استطعتم)(١) هذا إحسان الله تعالى إلى عباده المؤمنين أنه لمَّا أعلَمَهُم أن أموالهم وأولادهم فِتْنَة (٢) حَذَّرَهم أن يُؤثِروهم على طاعة الله ورسوله عَلِمَ أن بعضَ المؤمنين سوف يزهدون فى المال والولد وأن بعضاً سوف يعانون أتعابا ومشقة شديدة فى التوفيق بين المصلحتين فأمرهم أن يتقوه فى حدود ما يُطِيقون فقط، وخير الأمور الوسط فلا يُفْرِط فى ولده وماله ولا يُفَرِّط فى عِلَّة وُجُودِه وسبب نجاته وسعادته وهى عبادة الله التى خُلِقَ لأجْلِها وعليها مَدار نجاته من النار ودخوله الجنة.

وقوله (واسْمَعُوا)(٣) ما يدعوكم الله ورسوله إليه (وأطيعوا وأنفقوا) فى طاعة الله مِن أموالكم خيراً لأنفسكم مِن عدم الإنفاق فإنه شر لكم وليس خير لكم.

وقوله (ومَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِه فأولئك هم المُفْلِحُونَ) أعلمهم أن عدم الإنفاق ناتج عن شُحِّ النَّفْس، وشح النفس لا يَقِى منه إلا اللهُ فَعَلَيْكُم باللجوء إلى الله تعالى لِيَحْفَظَكُم مِن شُح نفوسكم فادعوه وتوسلوا إليه بالإنفاق قليلا قليلا حتى يحصل الشِّفاء مِن مرض الشُّح الذى هو البُخْل مع الحِرْص الشديد على جمع المال والحفاظ عليه ومَن شُفِى مِن مَرَض الشح أفْلَحَ وأصبح فى عِداد المفلحين الفائزين بالجنة بعد النجاة مِن النار.

وقوله (إن تُقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضاعِفه لكم ويغفر لكم) هذا الترغيب عظيم مِن الله تعالى للمؤمنين فى النفقة فى سبيله إذ سَمَّاها قَرْضاً والقَرْض مَرْدُود وَوَعَدَ بمضاعفتها وزيادة أخرى أن يغفر لهم بذلك ذنوبهم، واشتراط الحُسْن للقرض اشتراط معقول وهو أن يكون المال الذى اقرض الله حلالاً لا حَراماً، وأن تكون النفس طيبة به لا كارهة له، وهذا مِن باب النصح للمؤمنين ليحصلوا على الأجر مضاعَفا. وقوله تعالى (والله شكور حليم) ترغيب أيضا لهم فى الإنفاق لأن الشكور معناه يُعْطَى القليل فَيُكافِئ، والحَلِيم الذى لا يُعاجِل بالعقوبة. ومثله يقرض القرض الحَسَن. وقوله (عالِم الغيب والشهادة) ترغيب أيضا فى الإنفاق إذ أعلَمَهم أنه لا يَغِيب عنه مِن أمورهم شئ، يعلم الخَفِىّ منها والعَلَنِىّ، وما غاب عنهم فلم يَرَوْه وما ظهر لهم فشهدوه فَذُو العِلم بهذه المَثابَة معاملته مضمونة لا يخاف ضياعها ولا نِسْيانها (العزيز الحكيم) أى : العزيز الانتقام مِن أعدائه، الحكيم فى إجراء أحكامه وتدبير شؤون عباده.

---

(١) هل هذه الآية مُخَصِّصَة لآية آل عمران (اتقوا الله حق تقاته) ؟ هذا هوالظاهر، إذ مِن غير المُمْكِن أن يُتَّقَى اللهَ حق تقاته. أى : تقواه الحَقَّة. فلو أن العبد ذاب ذَوَباناً مِن خشية الله ما اتقى اللهَ حق تقاته.

(٢) فِتْنَة : أى بلاء واختبار يحملكم على كسب المُحَرَّم ومنه حق الله تعالى فلا تطيعوهم فى معصية الله تعالى، رُوِىَ عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه كان يقول : لا تقولوا اللهم اعصمنى من الفتن فإنه ليس أحد منكم يرجع إلى مال وأهل وولد إلا وهو مشتمل على فتنة ولكن ليقل : اللهم إنى أعوذ بك مِن مُضِلات الفِتَن.

(٣) قال القرطبى رحمه الله تعالى : اسمعوا ما توعَظُون به وأطيعوا فيما تُؤْمَرُون به وتُنْهَوْنَ عنه، والآية أصل فى السمع والطاعة فى بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم والطاعة لأولى الأمر.



هداية الآيات الكريمات :

١- بيان أن مِن بعض الزوجات والأولاد عَدُوَّاً فَعَلَى المؤمن أن يحذر ذلك ليسلم من شرهم.

٢- الترغيب فى العفو والصفح والمغفرة على من أساء أو ظلم.

٣- التحذير من فتنة المال والولد ووجوب التيقظ حتى لا يهلك المرء بولده وماله.

٤- وجوب تقوى الله بفعل الواجبات وترك المَنْهِيَّات فى حدود الطاقة البشرية.

٥- الترغيب فى الإنفاق فى سبيل الله والتحذير مِن الشُّح فإنه داء خَطير (١)

---

(١) أيسر التفاسير – الجزائرى ج٢ص١٦٤١

النداء الثامن والثمانون – قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) ﴾

سورة التَّحْرِيم : ٦

سورة التحريم مدنية وآياتها اثنتا عشرة آية، وبها نداءان للمؤمنين فى القرآن الكريم بترتيب المصحف الشريف. وتسمى سورة التحريم سورة (النَّبىّ)

قال عَلِىّ بن أبى طالِب رضى الله عنه ومُجاهِد وقتادة : قُوا أنفسكم بأفعالكم وقوا أهليكم بوصيتكم. قال ابن العَرَبىّ رحمه الله تعالى : هذا هو الصحيح لِما يُعْطِيه العطف الذى يَقتَضِى التَّشْرِيك بين المَعْطوف والمعطوف عليه فى معنى الفعل كقول الشاعر (عَلَفْتُها تِبْناً وماءً بارداً) أى سَقَيْتُها ماءً بارِداً.

(قُوا أنفسكم) الوقاية لا تتم إلا بالإيمان وصالح الأعمال بعد اجتناب الشِّرْك والمَعاصى، وهذا يتطلب العِلْم بذلك وتوطين النفس على العمل بما يعلم من ذلك فعلا لما يفعل وتَرْكا لِما يَتْرك فَلْيَأخُذ العَبْد نفسه وأهله بهذا نُصْحاً له ولَهُم حتى يَقِى نَفْسَه وَيَقِى أهْلَه (١)

قال الشيخ عبد الرحمن السعدى رحمه الله تعالى فى تفسير الآية :

أى : يا مَن مَنَّ اللهُ عَلَيْهم بالإيمان قوموا بلوازمه وشروطه فـ (قُوا أنفسكم وأهليكم ناراً) موصوفة بهذه الأوصاف الفَظيعَة ووقاية الأنفس بإلزامها أمر الله امتثالا ونهيه اجتناباً والتوبة عما يسخط اللهَ ويُوجِب العذاب، ووقاية الأهل والأولاد بتأديبهم وتعليمهم وإجبارهم على أمر الله فلا يُسْلِم العبد إلا إذا قام بأمر الله فى نفسه وفيمَن تَحت ولايته وتصرفه، ووصف اللهُ النارَ بهذه الأوصاف ليزجر عباده عن التهاون بأمره، فقال : (وَقودَها الناسُ والحِجارَة) كما قال (إنكم وما تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّم أنتُم لَها وارِدُونَ)(٢). (عليها ملائِكَة غِلاظٌ شِدادٌ) أى : غَلِيظَة أخلاقهم شديد انتصارهم يُفْزِعُونَ بأصواتهم ويُزْعِجُونَ بمرآهم ويُهِينُونَ أصحاب النار بقولهم ويُنَفِّذُونَ فيهم أمر الله الذى حَتَّمَ عليهم بالعذاب وأوجب عليهم شِدَّة العِقاب،(لا يَعْصُونَ اللهَ ما أمَرَهُم ويفعلون ما يُؤْمَرُونَ) وهذا فيه أيضاً مَدْح للملائِكَة الكِرام وانقيادهم لأمر الله وطاعتهم له فى كل ما أمر به (٣)

---

(١) أيسر التفاسير – الجزائرى ج٢ص١٦٥١

(٢) سورة الأنبياء : ٩٨

(٣) تفسير السعدى رحمه الله تعالى ص ٩٦٨



النداء التاسع والثمانون – قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٨) ﴾

سورة التَّحْرِيم : ٨

ذُكِرَتْ التَوْبَة بمشتقاتها فى القرآن الكريم فى نحو سَبْعٍ وأربَعِينَ مَوْضِعاً.

التَّوْب : ترك الذنب على أجمل الوجوه وهو أبلغ وجوه الاعتذار فإن الاعتذار على ثلاثة أوْجُه : إما أن يقول المُعْتَذِر لَمْ أفْعَل، أو يقول فَعَلتُ لأجْل كَذا، أو فَعَلتُ وقد أقْلَعْتُ ولا رابع لذلك وهذا الأخير هو التَّوْبَة.

والتَّوْبَة فى الشَّرْع ترك الذنب لِقُبْحِه والنَّدَم على ما فرط منه والعَزِيمَة على ترك المُعاوَدَة وتدارُك ما أمْكَنَه أن يُتَدارَك مِن الأعمال بالإعادة، فَمَتى اجْتَمَعَتْ هذه الأربع فقد كَمَّلَ شرائِطَ التوبة . وتاب إلى الله تَذَكَّرَ ما يقتضِى الإنابَة نحو (وتوبوا إلى الله جميعاً أيُّه المؤمنون - أفَلا يَتُوبونَ إلى الله - ثَمَّ تاب اللهُ عَلَيْهِم) أى قَبِلَ تَوْبَتَه منهم : (لقد تاب اللهُ على النبى والمُهاجِرين – ثُمَّ تاب عليهم لِيَتُوبُوا). والتائب يُقال لِباذِل وَلِقابِل التوبة. فالعبد التائب إلى الله والله تائب على عَبْدِه، والتَّواب العبد الكَثِير التوبة وذلك بتركه كل وقت بَعْض الذنوب على الترتيب حتى يَصِير تاركاً لِجَميعه، وقد يُقال لله ذلك لِكَثْرَة قَبُوله توبَة العباد حالاً بعد حالٍ. وقوله (وَمَن تابَ وَعَمِلَ صالِحاً فإنَّهُ يَتُوب إلى اللهِ مَتابا) أى التوبة التَّامَّة وهو الجمع بين تَرْكِ القَبيح وتَحَرّى الجَمِيل : (عليه تَوَكَّلت وإليه مَتاب – إنَّهُ هو التَّوَّاب الرَّحِيم)(١)

قال الشيخ أبو بكر الجزائرى فى تفسير الآية الكريمة :

هذا هو النداء الثانى الذى ينادِى فيه اللهُ تعالى عِبادَه المؤمنين (أى فى سورة التحريم) يأمرهم فيه بالتوبة العاجِلة النَّصُوح التى لا يَعُود صاحِبها إلى الذنب كما لا يعود اللَّبَنُ إلى الضَّرْع، ويبشرهم ويَعِدُهُم بتكفير سيئاتهم، ويبشرهم بالجَنَّة دار النَّعِيم المُقِيم فيقول (عَسَى (٢) رَبُّكُم أن يُكَفِّر عَنكم سيئاتكم وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تحتها الأنهارُ ....) أى بعد ذلك يوم لا يُخْزِى اللهُ النبىَ والذين آمَنُوا معه بإدخالهم الجنة (نُورُهُم يَسْعَى بين أيديهم) أى : وهُم مُجْتازُونَ الصِّراط يَسْألُونَ رَبَّهُم أن يُبْقِى لَهُم نورَهم لا يقطعه عنهم حتى يجتازوا الصراط وينجون مِن السقوط فى جهنم كما يسألونه أن يغفر ذنوبهم التى قد يَرِدُون بها إلى النار بعد اجتياز الصراط. وقولهم : إنك على كل شئ قدير هذا تَوَسُّل منهم لِقَبُول دُعائهم حيث تَوَسَّلُوا بصِفَة القُوَّة والقُدْرَة لله تعالى

---

(١) المفردات فى غريب القرآن - الراغب الأصفهانى ص٨٣

(٢) عَسَى مِن الله واجِبَة ويشهد لهذا قول النبى (التائب مِن الذنب كَمَن لا ذَنْبَ لَه)



فقالوا : إنك على كل شئ قدير فأتْمِمْ لنا نُورَنا واغْفِر لنا (١)

والتوبة مِن الذنوب بالرجوع إلى علام الغُيُوب وغَفَّار الذنوب مَبْدأ طَريق السَّالِكِين ورأس مال الفائزين وأول أقدام المُريدين ومفتاح اسْتِقامَة المائلين ومَطْلَع الاصْطِفاء والاجتِباء للمُقَرَّبين. ومنزل التوبة أول المنازل وأوسطها وآخِرها. فلا يفارقه العبد السالك ولا يزال فيه إلى المَمات وإن ارْتَحَل إلى مَنزل آخَر ارتَحَل به واستصحبه معه ونزل به. فالتوبة هى بداية الطريق ونهايته وقد قال تعالى (وَتُوبُوا إلى اللهِ جَمِيعاً أيُّهَ المُؤْمِنُونَ ...)(٢) وهذه الآية فى سورة مَدَنِيَّة خاطَبَ الله بها أهلَ الإيمان وخِيار خَلْقِه أن يتوبوا إليه بعد إيمانهم وصبرهم وهجرتهم وجهادهم، ثُمَّ عَلَّقَ الفلاحَ بالتوبة وأتى بكلمة (لَعَلَّ) إيذاناً بأنكم إذا تُبْتُم كنتم على رَجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاحَ إلا التَّائِبُونَ جَعَلَنا اللهُ منهم وقال تعالى (وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأولئك هم الظَّالِمُونَ)(٣) فَقسَّمَ اللهُ تعالى العباد إلى تائب وظالِم وليس ثَمَّ قِسْم ثالِث، وأوقع اسم الظُّلْم على مِن لم يَتُب ولا أظْلَمَ منه لِجَهْلِه برَبِّه وبحقه وبعيب نفسه وآفات عَمَلِه وقد قال صلى الله عليه وسلم (يا أيُّها النَّاسُ تُوبُوا إلى رَبِّكُم فَوَالله إنِّى لأتُوبُ إلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فى اليَوْمِ مِائَة مَرَّة)(٤) وهو أعلم الخَلْق بالله عز وجل. والتوبة هى رجوع العبد إلى الله ومفارقته لصراط المغضوب عليهم والضالين.

شرائط التوبة :

إذا كان الذنب فى حق الله عز وجل فشرائط التوبة ثلاثة هى النَّدَم والإقلاع عن الذنب والعزم على عدم العودة. فأما الندم فإنه لا تتحقق التوبة إلا به لقوله صلى الله عليه وسلم (النَّدَم تَوْبَة)(٥) إذ مَن لم يَندَم على القبيح فذلك دليل رضاه به وإصراره عليه. وأما الإقلاع عن الذنب فتستحيل التوبة مع مباشَرَة الذنب. والشرط الثالث ك هو العزم على عدم العودة ويعتمد أساساً على إخلاص هذا العزم والصدق فيه.

أما إذا كان الذنب مُتَضَمِّنَاً لِحَقِّ آدَمِىّ فَعَلَى التائب أن يُصْلِحَ ما أفْسَدَ أو يسترضِى مَن أخْطَأ فى حقّه لقوله صلى الله عليه وسلم (مَن كانَ لأخِيه عندَه مَظْلَمَة مِن عِرْضٍ أو مالٍ فَلْيَتَحَلَّله اليَوْمَ، قَبْلَ أن يُؤخَذَ منه يوم لا دينار ولا دِرْهَم، فإن كان له عَمَل صالِح، أُخِذَ منه بِقَدْر مَظْلَمَته وإن لم يَكُن له عَمَل أُخِذَ مِن سَيِّئات صاحِبه فَجُعِلَتْ عَلَيْه)(٦). فهذا الذنب الذى يتضمن حَقَّيْن : حق الله، وحق الآدَمِىّ، فالتوبة منه بتحلل الآدمى لأجل حقه، والندم فيما بينه وبين الله لأجل حقه.

---

(١) أيسر التفاسير – الجزائرى ج٢ص ١٦٥١

(٢) سورة النُّور : ٣١ **(٣) سورة الحُجُرات : ١١**

(٤) رواه أحمد ومسلم رحمهما الله تعالى عن الأغرّ المزنى – ص . ج رقم ٧٨٨١

(٥) رواه أحمد وابن ماجه والحاكم رحمهم الله تعالى عن ابن مسعود رضى الله عنه – ص . ج رقم ٦٨٠٢

(٦) رواه أحمد والبخارى رحمهما الله تعالى عن أبى هريرة رضى الله عنه – ص . ج رقم ٦٥١١



مسألة :

إذا تاب العبد مِن الذنب، هل يَرْجِع إلى ما كان عليه قبل الذنب مِن الدَّرَجَة التى حَطَّه عنها الذنب أو لا يرجع إليها ؟؟

قالت طائفة : يرجع إلى درجته لأن التوبة تَجُبُّ الذنب بالكُلِّيَة وتُصَيِّره كأن لم يَكُن.

وقالت أُخْرَى : لا يعود إلى درجته وحاله لأنه لم يكن فى وُقُوف وإنما كان فى صعود فبالذنب صار فى هبوط، فإذا تاب نقص منه ذلك القدر الذى كان مستعدا به للتَّرَقِّى.

قال شيخُ الإسلام ابنُ تَيْمِيَة رحمه الله تعالى : (والصحيح أن مِن التائبين مَن لا يَعود إلى دَرَجَته ومنهم مَن يعود إلى أعلى فَيَصِير خَيْراً مِمَّا كان عليه قبل الذنب وكان داود بعد التوبة خيراً منه قبل الخَطِيئَة) ا.هـ

التَّوْبَة النَّصُوح :

قال تعالى (يا أيها الذين ءامَنُوا تُوبوا إلى الله تَوْبَةً نَصُوحاً ...)(١) وعن أبى موسى الأشْعَرِىّ رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (إنَّ اللهَ تعالى يَبْسُطُ يَدَهُ لِيَتُوبَ مُسِيئُ النَّهار ويَبْسُطُ يَدَهُ لِيَتُوبَ مُسِيئُ اللَيْل حتى تطلع الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِها)(٢). وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مَن تابَ قَبْلَ أن تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبها تابَ اللهُ عليه)(٣). وعن أبى عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ ما لَمْ يُغَرْغِر)(٤) والغَرْغَرَة هى بُلُوغ الرُّوح إلى الحُلْقوم . والنُّصْح فى التوبة هو تخليصها من كل غِشٍّ ونَقصٍ وفساد.

قال الحَسَن البَصْرِىّ رحمه الله تعالى : هى أن يكون العبد نادِما على ما مضى مُجْمِعاً على أن لا يعود فيه. وقال سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى : (توبة نَصُوحا) تَنْصَحُونَ بها أنفسكم.

قال ابنُ القَيِّم رحمه الله تعالى :

النُّصْح فى التوبة يتضمن ثلاثة أشياء :

الأول : تعميم جميع الذنوب واستغراقها بحيث لا تدع ذنبا إلا تناولته.

الثاني : إجماع العَزْم والصِّدْق بِكُلِّيَته عليها بحيث لا يبقى عنده تَرَدُّد ولا تَلَوُّم ولا انتظار بل يجمع عليها كُلَّ إرادته وعَزِيمَته مُبادِراً لها.

---

(١) سورة التحريم : ٨ **(٢) رواه مسلم رحمه الله تعالى.**

(٣) رواه مسلم رحمه الله تعالى.

(٤) رواه أحمد والترمذى وابن ماجه رحمهم الله تعالى وحسنه الألبانى رحمه الله تعالى.



الثالث : تخليصها مِن الشَّوائِب والعِلل القادِحَة فى إخلاصها ووقوعها لِمَحْض الخَوْف مِن الله وخشيته والرغبة فيما لَدَيْه والرَّهْبَة مما عنده، لا كَمَن يَتُوب لِحِفْظِ حاجته وحُرْمَته ومَنْصِبه ورياسته ولِحِفْظِ قُوَّته وماله، أو استِدْعاء حَمْد الناس أو الهروب مِن ذَمِّهم، أو لِئلا يَتَسلَّط عليه السُّفهاء أو لِقضاء نهمة مِن الدنيا أو لإفلاسه وعجزه ونحو ذلك مِن العِلل التى تَقْدَح فى صحتها وخلوصها لله عَزَّ وَجَلَّ. فالأول يتعلق بما يتوب منه، والثانى يتعلق بذات التائب، والثالث يتعلق بِمَن يتوب إليه، فنُصْحُ التوبة الصدق فيها والإخلاص وتعميم الذنوب، ولا رَيْبَ أن هذه التوبة تستلزِم الاستغفار وتتضمنه وتمحو جميع الذنوب وهى أكمل ما يكون مِن التوبة. ا.هـ

اتِّهام التَّوْبَة – ومن اتهام التوبة :

١- ضعف العزيمة والتفات القلب إلى الذنب الفَيْنَة بعد الفَيْنَة وتذكر حلاوتها.

٢- طمأنينته ووثوقه من نفسه بأنه قد تاب الله عليه كأنه أُعْطِى مَنشورا بالأمان، فهذا من علامات التُّهْمَة.

٣- ومنها جُمُود العَيْنَين واستمرار الغَفْلة وأن لا يستحدث أعمالا صالحة لم تكم له قبل الخَطِيئَة.

علامات صحة التوبة :

١- أن يكون بعد التوبة خَيْراً مما كان قبلها.

٢- أن لا يزال الخوف مُصاحِباً له لا يأمَن مَكْرَ الله طَرْفَة عَيْن فخوفه مستمر إلى أن يسمع قول الرسل لقَبْض رُوحه (أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالحنة التى كنتم توعَدونَ)(١) فهناك يزول خوفه.

٣- انخِلاع قلبه وتقطعه نَدَماً وخوفا، وهذا على قَدْرِ عِظَم الجِناية وصِغَرها.

٤- كَسْرَة خاصَّة تحصل للقلب لا يشبهها شئ ولا تكون لغير المُذْنِب لا تحصل بجُوع ولا رياضَة ولا حُبّ مُجَرَّد وإنما هى على أمر وراء هذا كله، تكسر القلب بين يدىّ الرَّبّ كَسرة عامَّة قد أحاطت به مِن جميع جهاته وألقته بين يدى ربه طريحاً وذليلا خاشِعا، وما أحْلَى قول القائل فى هذه الحال (أسألُكَ بعِزِّكَ وَذُلِّى إلا رَحِمْتَنِى، أسألك بِقُوَّتِكَ وضَعْفِى وبِغِناكَ وفَقْرى إلَيْكَ هذه ناصِيَتِى الكاذِبَة الخاطِئَة بين يَدَيْكَ، عَبيدك سِواى كَثير وليس رَبٌّ سِواكَ، لا مَلْجأ ولا مَنْجَى مِنك إلا إلَيْكَ، أسألك مَسْألة المِسْكين وأبْتَهلُ إليك ابتهال الخاضِع الذليل وأدْعُوكَ دُعاء الخائِف الضَّرير، سُؤال مَن خضَعَتْ لَكَ رَقَبَتُه وَرَغِمَ لَكَ أنْفُه وفاضَت لك عَيْناهُ وذَلَّ لَكَ قَلْبُه)

يا مَن ألُوذُ بِهِ فِيما أؤَمِّلُــــــــهُ ... وَمَن أعُوذُ به مِمَّا أحــــــاذِرُهُ

لا يَجْبُرُ النَّاسُ عَظْماً أنتَ كاسِرُهُ ... ولا يَهيضُون عَظْماً أنتَ جابِرُهُ

---

(١) سورة فُصِّلت : ٣٠



فهذا وأمثاله مِن آثار التوبة المَقبُولة فَمَن لم يَجِد ذلك فى قلبه فلْيَتَّهم توبته ولْيَرْجِع إلى تصحيحها فما أصعب التوبة الصحيحة بالحقيقة وما أسهلها باللسان والدَّعْوَى (١)

والله عز وجل يَفْرَح بتوبة عبده. قال صلى الله عليه وسلم (للهُ أفْرَحُ بتوبة عبده حين يتوب إليه مِن أحَدِكُم كان على راحِلَته بأرضٍ فَلاة فانفلتتْ مِنه وعليها طعامه وشرابه فأيسَ منها فأتى شَجَرَةً فاضْطَجَعَ فى ظِلِّها قد أيس مِن راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائِمَة عنده، فأخَذَ بخِطامِها ثُمَّ قال مِن شِدَّة الفَرَح : اللهم أنتَ عَبْدِى وأنا رَبُّكَ، أخْطأ مِن شِدَّة الفَرَح (٢)

وقد بَيَّنَ النبى صلى الله عليه وسلم محبة الرَّب جل وعلا للتوبة، فإن الله يحب التَّوَّابينَ ويحب المُتَطَهِّرينَ، فأوجبت هذه المحبة فَرَحاً كأعظم ما يُقَدَّر مِن الفَرَح ولو كان فى الفرح المَشْهُود فى هذا العام نوع أعظم من فرحة هذا الواجد لمادة حياته وبلاغه فى سَفَره بعد إياسِه مِن أسباب الحياة بفقده راحلته، وهذا كَشِدَّةِ محبته لتوبة التائب المُحِبّ إذا اشْتَدَّتْ محبته للشئ وغاب عنه ثم وجده وصار طوع يده، فلا فَرْحَة أعظم مِن فرحته به، نسأل اللهَ أن يرزقنا توبَة نَصُوحاً.

قال شَيْخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَة ـ رحمه الله تعالى ـ :

وجميع ما يتوب العبد منه سواء كان فِعْلاً أو تَرْكاً، قد لا يكون عالِماً بأنه ينبغى التوبة منه وقد يكون كان عالماً بذلك، فإن الإنسان كثيرا ما يكون غير عالم بوجوب الشئ أو قُبْحه، ثم يتبين له فيما بعد وجوبه أو قُبْحه، ويتركه أو يفعله للضعف المُقْتَضى لِفِعْل الواجب، أو قوة المقتضى لفعل القبيح، لكن لا يكاد يقع إلا مع ضعف العلم بوجوبه أو قبحه، وإلا فإذا كَمُلَ العِلْم استلزم الإرادة الجازمة فى الطرفين ... ولهذا قال سبحانه (إنَّما التوبةُ عَلَى اللهِ للذين يَعْمَلون السُّوءَ بِجَهالَة ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيب فأولَئِكَ يَتُوب اللهُ عَلَيْهِم وكان اللهُ عَلِيماً حَكِيماً)(٣)

قال أبو العالِيَة : قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : كُلُّ مَن عَصَى اللهَ فَهُوَ جاهِل، وَكُلُّ مَن تاب قبل المَوْتِ فقد تاب مِن قَرِيب. وقال تعالى (وإذا جاءَكَ الذين لا يُؤْمِنُونَ بآياتِنا فَقُلْ سلامٌ عَلَيْكُم كَتَبَ رَبُّكُم على نَفْسِهِ الرَّحْمَة أنَّه مَن عَمِلَ مِنكم سُوءاً بِجَهالَة ثُمَّ تابَ وأصْلَحَ فأنه غَفُورٌ رَحِيمٌ)(٤)

---

(١) البَحْر الرَّائِق فى الزُّهْد والرَّقَائِق – الشيخ د / أحمد فريد ص ١٥٩ ـ ١٦٢

(٢) رواه مسلم رحمه الله تعالى والبخارى رحمه الله تعالى مُخْتَصَراً.

(٣) سورة النِّساء : ١١٧

(٤) سورة الأنْعام : ٥٤



والمؤمن لا يزال يخرج من الظلمات إلى النور ويزداد هُدَى فيتجدد له مِن العلم والإيمان ما لم يَكُن قبل ذلك فيتوب مما تركه وفعله، والتوبة تُصْقِل القلبَ وتُجْلِيه مِما عَرَضَ له مِن رَيْن القلوب، كما قال صلى الله عليه وسلم (إن العَبْدَ إذا أذْنَبَ نُكِتَتْ له فى قلبه نُكْتَة سَوْداء، فإن تابَ ونَزَعَ واسْتَغْفرَ صُقِلَ قَلْبُه وإن زادَ زِيدَ فيها حَتَّى يَعْلُوَ قلبه، فذلك الرَّان الذى قال الله (كلا بَلْ رانَ على قلوبهم ما كانوا يكسِبُونَ)(١)(٢) وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم (إنَّه لَيُغانُ (٣) عَلَى قَلْبِى وإنِّى لأَسْتَغْفِرُ اللهَ فى اليَوْمِ مِائَة مَرَّة)(٤)

والتوبة مِن الاعتقاد أعظم من التوبة من الإرادات، فإنَّ مَن تَرَكَ واجباً أو فعل قبيحاً يعتقد وجوبه وقبحه، كان ذلك الاعتقاد داعيا له إلى فعل الواجب ومانِعاً له مِن فعل القبيح، فلا يكون فى فعله وتركه ثابت الدَّوَاعِي والصَّوارف، بل تكون دَوَاعِيه وصوارفه مُتَعارِضَة ولهذا يكون الغالِب على هذا هو التَّلوُّم، وتكون نفسهم لوَّامَّة، تارَةً يُؤَدُّونَ الواجب وتارة يتركونه وتارة يتركون القبيح وتارة يفعلونه، كما تجده فى كثير مِن فُسَّاق القِبْلَة الذين يؤدون الحقوق تارة ويمنعونها أُخْرَى، لِتعارض الإرادات فى قلوبهم، إذ معهم أصل الإيمان الذى يأمر بِفِعْل الواجِب، ويَنْهَى عن فِعْل القبيح ومعهم مِن الشُبُهات والشَّهوَات ما يدعوهم إلى خِلاف ذلك، وأما إذا فَعَلَه الإنسانُ مع اعتقاد وُجُوبه، وتَرَكَه مع اعتقاد تحريمه فهذا يكون ثابت الدواعى والصوارف أعظم مِن الأول بكثير، وهذا تحتاج توبته إلى إصلاح اعتقاده أوَّلاً وبيان الحق وهذا يكون أصعب من الأول إذ ليس معه داعٍ إلى أن يترك اعتقاده كما كان مع الأول داعٍ إلى أن يترك مُراده، وقد يكون أسهل إذا كان له غَرَض فيما يخالف مُوجب الاعتقاد، مثل الآصار والأغلال التى على أهل الكِتاب، وإذلال المسلمين لهم، وأخذ الجِزْيَة منهم، مع مُخالَفة المسلمين له فهذا يكون داعِياً إلى أن ينظر فى اعتقاده، هل هو حق أو باطل حتى يتبين له الحق، وقد يكون أيضاً مُرَغِّباً له فى اعتقاد بخرج به مِن هذا البَلاء(٥)

وقال رحمه الله تعالى :

وَمَن زَعَمَ أن الله قد ذَمَّ أحَداً مِن البَشَر أو عاقبَه على ما فَعَله ولم يكن له ذنبا فقد قدَح فيما أخبر اللهُ به وما وَجَبَ له مِن حِكْمَتِه وعَدْلِه، فالجاهِل يريد تنزيه الصحابَة أو العُلَماء أو المَشايخ مِن شئ لا يضيرهم ثبوته فيقدح فى الرسول أو فى الله تعالى، ويريد تنزيه الأنبياء عما لا يضرهم ثبوته بل هو أرفع درجة لهم، فيقدح فى الربوبية، فتدبر هذا فإن أنفع.

والقائلون بِعِصْمَة الأنبياء مِن التوبة من الذنوب ليس لهم حُجَّة مِن كِتاب الله ولا سُنَّة رسوله، ولا لهم إمام مِن سَلَف الأمَّة وأئمتها، وإنما مَبْدَأ قوْلهم مِن أهل الأهواء كالرَّوافِض والمُعْتَزِلَة وحُجَّتهم آراء ضَعِيفَة مِن جنس قول الذين فى قلوبهم مَرَض والقاسِيَة قلوبهم الذين قال الله فيهم (

---

(١) سورة المُطَفِّفِين : ١٤ **(٢) رواه أحمد رحمه الله تعالى وغيره – ص . ج رقم ١٦٧٠**

(٣) قال القاضي عياض : ويحتمل أن هذا الغين حال خشية وإعظام يغشى القلب ويكون استغفاره شكرا.

(٤) رواه أحمد ومسلم رحمهما الله تعالى وغيرهما – ص . ج رقم ٢٤١٥

(٥) رسالة التَّوْبَة – ابن تَيْمِيَة رحمه الله تعالى ص ٢٥ ، ٢٧



لِيَجْعَلَ ما يُلْقِى الشَّيْطانُ فِتْنَة للذينَ فى قلوبهم مَرَضٌ والقاسِيَة قلوبُهُم ون الظَّالِمِينَ لَفِى شِقاقٍ بَعِيد)(١)

وعمدة مَن وافَقهم مِن الفقهاء أن الاقتداء بالنبى فى أفعاله مَشْروع، ولولا ذلك ما جاز الاقتداء به وهذا ضعيف، فإنه قد تَقَدَّمَ أنهم لا يُقِرُّونَ، بل لا بد مِن التوبة والبيان والاقتداء إنما يكون بما استقر عليه الأمر، فأما المَنسوخ والمَنْهى عنه والمَتوب منه فلا قُدْوَة فيه بالاتفاق، فإذا كانت الأقوال المَنسوخة لا قدوة فيها، فالأفعال التى لم يقر عليها أوْلى بذلك، وأما مَذْهَب السَّلَف والأئِمَّة وأهل السُّنَّة والجَماعَة القائلين بما دَلَّ عليه الكتابُ والسُّنَّةُ من توبة الأنبياء من الذنوب، فقد ذكرنا من آيات القرآن ما فيه من دلالات على ذلك. وفى الصحيحين عن أبى مُوسَى الأشْعَرِىّ عن النبى أنه كان يدعو (اللهُمَّ اغفِر لى خَطيئتى وَجَهْلِي وإسْرافى فى أمْرى وما أنتَ أعْلَمُ به مِنِّى، اللهُمَّ اغفِر لِى جَدِّى وَهَزْلِى وخَطَأى وَعَمْدِى وَكُلُّ ذَلِكَ عِندى، اللهُمَّ اغفِر لِى ما قَدَّمْتُ وما أخَّرْتُ وما أسْرَرْتُ وما أعْلَنْتُ وما أنتَ أعْلَم به مِنِّى أنتَ المُقَدِّمُ وأنتَ المُؤَخِّرُ وأنت عَلَى كُلِّ شَئ قَديرٌ(٢)

---

(١) سورة الحَجّ : ٥٣

(٢) رسالة التوبة – ابن تيمية رحمه الله تعالى ص ٦٨



خاتمة

فَهَذا ما تَيَسَّرَ جَمْعُهُ وَعَرْضُهُ للنِّداءاتِ الإلَهِيَّة للمُؤْمِنينَ فى القُرْآنِ الكَرِيمِ، وَهُــوَ جُهْدٌ مُقِل، وَشَتاتٌ مَجْمُوعٌ، قاصِرٌ عَن بُلُوغِ المَرامِ، فَما كانَ مِن تَوْفِيقٍ فَمِن اللهِ تَعالى وَحْدَهُ، وَما كانَ مِنْ سَهْوٍ، أو خطأٍ، أو نِسْيانٍ فَمِنْ نَفْسى المُقَصِّرَة وَمِــن الشَّيْطانِ، وأَعُوذُ باللهِ أنْ أُذَكِّرَكُم بِهِ وأنْساهُ، واللهَ تَعالى أسْأَلُ أنْ يَنْفَعَ بِهِ كُلَّ مَن قَرَأَه، وأنْ يكون خالِصاً لِوَجْهِهِ الكَرِيمِ، وأن يَكُونَ فى مِيــزانِ الحَسَــناتِ يَــوْمَ القِيامَةِ، يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ ولا بَنُونَ، إلا مَن أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ، ولله الحَمْدُ أوَّلاً وآخِراً، وآخِرُ دَعْوانا أنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَــى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

وَكَتَبَهُ الفقير إلى عفو ربه؛

محمد حسن نور الدين إسماعيل حسن خضر

عفا اللهُ عنه وعن والديه

فى الخامس والعشرين من شهر صفر عام ١٤٢٨ هجرية

الموافق الرابع عشر من شهر مارس عام ٢٠٠٧ ميلادية



رِسَالَةٌ فِي أُصُولِ التَّفْسِيرِ وَعُلُومِ القُرْآن

إعداد

محمد حسن نور الدين إسماعيل



رِسَالَةٌ فِى أُصُولِ التَّفْسِيرِ وَعُلُومِ القُرْآنِ الكَرِيمِ

مِن كِتابِ (بَدائِع الفَوَائِدِ) للعَلَّامَة ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وكِتَابِ (تَيْسِير الكَرِيمِ الرَّحْمَن) للشَّيْخ عبد الرَّحْمَن بن ناصر السَّعْدِى رَحِمَه اللهُ تَعَالَى .

* **فصْل** : النَّكِرَة تَعُم

- ففى سياق النَّفْى مستفاد مِن قوله تعالى (ولا يَظْلِمُ رَبُّكَ أحَدَاً)، (فلا تَعْلَمُ نَفسٌ ما أُخْفِىَ لَهُم مِن قُرَّةِ أعْيُن)

- وفى الاستفهام من قوله تعالى (هَلْ تَعْلَم له سَمِيًّا) .

- وفى الشَّرْط من قوله تعالى (فإما تَرَينَّ من البشر أحداً) و (وإنْ أحَدٌ مِنَ الْمُشرِكِينَ اسْتَجَارَكَ) .

- وفى النهى من قوله تعالى (ولا يَلتفِتْ مِنكم أحَدَاً) .

- وفى سياق الإثبات ، بعموم العِلَّة والمُقتَضَى من قوله (عَلِمَتْ نَفسٌ ما أحْضَرَتْ) ، وإذا أُضِيفَ إليها (كُلّ) نحو (وجاءت كُلُّ نَفسٍ معها سائِقٌ وشَهيد)، ومِن عُمومها بعموم المُقتَضَى (ونَفْسٍ وما سَوَّاها) .

* **فصل :**

- ويستفاد عموم المُفْرَد المُحَلَّى باللام من قوله (إنَّ الإنسانَ لَفِى خُسْر) وقوله (ويقول الكافِر) .

- وعموم المفرد المُضاف مِن قوله (وصَدَّقَتْ بكلماتِ رَبِّها وكُتُبه) و (كِتابه)، قرأ أهلُ البَصْرَة وحَفْص (وَكُتُبه) على الجمع وقرأ الآخَرُونَ (وكِتابه) على التوحيد ، وقوله (هذا كِتابنا ينطق عليكم بالحق) والمراد جميع الكُتُب التى أُحْصِيَتْ فيها أعمالهم .

- وعموم الجَمْع المُحَلَّى باللام من قوله (وإذا الرُّسُلُ أُقّتَتْ) (وإذ أخَذنا مِن النَّبيين مِيثاقهُم) (إنَّ المُسْلِمين والمسلِمات والمؤمِنين والمؤمنات .) .

- والمُضاف من قوله (كُلٌّ آمَن بالله وملائكته وكُتُبه ورُسُله ...)

- وعموم أدوات الشرط من قوله (ومَن يعمل مِن الصالحات وهو مُؤْمِن فلا يخاف ظُلما ولا هَضْماً) وقوله (فَمَن يعمل مِثقال ذَرَّة خيراً يَرَه) وقوله (وما تَفْعَلوا مِن خَيْرٍ يَعْلَمْه الله) وقوله (أيْنَما تكونوا يُدْرِكْكُم المَوْتُ) وقوله (وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شَطْره) وقوله (وإذا رأيتَ الذينَ يَخُوضُونَ فى آياتنا فأعْرِض عنهم) وقوله (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقُل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة) هذا إذا كان الجواب طَلَباً مِثْل هاتَيْن الآيتين، فإذا كان خَبَراً ماضِياً لم يَلْزَم العموم كقوله (وإذا رأوْا تِجارَة أو لَهْوَاً انْفَضُوا إليها) وقوله (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله)، وإذا كان مُسْتَقْبَلاً فالتزموا رد العموم كقوله تعالى (وإذا كالوهم أوْ



وَزَنوهم يُخْسِرون) وقوله (وإذا مَرُّوا بهم يتغامَزون) وقوله (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) وقد لا يَعُمُّ كقوله (وإذا رأيْتَهُم تُعْجِبك أجْسامُهُم)

*** فصل :**

ـ ويستفاد كون الأمر المطلق للوجوب من ذمه لِمَن خالفَه، وتسميته إيَّاه عاصياً وترتيبه عليه العقاب العاجل أو الآجل .

ـ ويستفاد الوُجُوب بالأمر تارَّة، وبالتصريح بالإيجاب والفَرْض والكَتْب ولفْظة (عَلَى) ولفْظة (حَق على العباد وعلى المؤمنين) .

ـ ويستفاد كون النَّهْى للتحريم مِن ذمه لِمَن ارتكبه وتسميته عاصياً، وترتيبه العِقاب على فعله .

ـ ويستفاد التحريم مِن النهى، والتصريح بالتحريم والحَظْر، والوَعيد على الفِعْل، وذم الفاعِل، وإيجاب الكَفَّارَة بالفِعْل، وقوله (لا يَنْبَغِى) فإنها ـ فى لُغَة القرآن والرسول ـ لِلْمَنْع عَقْلاً وَشَرْعاً، ولفظة (ما كان لهم كذا وكذا) و (لم يَكُن لهم) ، وترتيب الحَدِّ على الفِعْل، ولفظة (لا يَحِلّ) و (لا يَصْلُح)، ووَصْف الفِعْل بأنه فَسَاد، وأنه مِن تَزْيين الشَّيطان وعمله، وأن الله لا يُحِبه ولا يَرْضاه لِعِباده، ولا يُزَكِّى فاعِله ولا يُكَلِّمه، ولا يَنْظُر إليه،ونحو ذلك .

ـ ويُسْتَفاد الإباحة مِن الإذن والتَّخْيير والأمْر بَعْدَ الحَظْر، ونَفْى الجُناح والحَرَج والإثم والمُؤَاخَذَة والإخبار بأنه يَعْفو عنه، والإقرار على فعله فى زمن الوحى، وبالإنكار على مَن حَرَّمَ الشَئ، والإخبار بأنه خَلَقَ لنا كذا وكذا وجَعَله لنا، وامتنانه علينا به، وإخباره عن فعل مَن قَبْلنا، غير ذامّ عليه لهم، فإن اقْتَرَنَ بإخْباره مَدْحٌ دَلَّ على رُجْحانه، اسْتِحْباباً وَوُجُوباً .

*** فصل :**

وكل فِعل ٍعَظَّمَه اللهُ ورسولُه، أو مَدَحه، أو مَدَحَ فاعِلَه لأجْله، أو فَرِحَ به، أو أحَبَّه ، أو أحَبَّ فاعله، أو رَضِى عن فاعِله، أو وَصَفَه بالطِّيِّب، أو البَرَكَة ، أو الحُسْن، أو نَصَّبَه سَبَباً لِمَحَبَّته أو ثوابه، عاجِلاً أو آجِلاً، أو نَصَّبَه سَبباً لِذِكْره، أو لِشُكْره، أو لِهدايته إيَّاهُ أو لإرْضاء فاعله، وَوَصَفَ فاعله بالطيب أو وصف الفعل بأنه معروف، أو نَفَى الحُزْن أو الخَوْف عن فاعله، أو وَعَدَه بالأمْن، أو نَصَّبَهُ سَبَباً لولايته، أو أخبر عن دعاء الرسول بحصوله، أو وَصَفَه بكَوْنِه قُرْبَة، أو اقْسَمَ به أو بفاعِله

كالقَسَم بالخَيْل التى يركبها المُجاهِدون وإثارتها، أو ضَحِك الرَّب جَلَّ جَلالُه عن فاعله، أو عَجَبه به فهو دَليل على مَشْروعيته المُشْتَرَكَة بين الوُجُوب والنَّدْب.

*** فصل :**

وَكُلُّ فِعْلٍ طَلَب الشَّارع تَرْكَه، أو ذم فاعله، أو عابَ عليه، أو مَقَتَ فاعِلَه، أو لَعَنَه، أو نَفَى مَحَبَّتَه إيَّاه أو مَحَبة فاعِله، أو نَفى الرِّضا به، أو الرِّضا عن فاعِله، أو شَبَّه فاعله بالبَهائِم أو الشَّياطِين، أو جَعَله مانِعاً مِن الهُدَى، أو وَصَفَه بسُوءٍ أو كَرَاهَة، أو اسْتَعاذ الأنبياءُ مِنه أو أبْغَضوه، أو جَعَلَ سَبَباً لِنَفْى الفلاح، أو لِعذابٍ عاجِل أو آجِل، أو لِذَمٍّ أو لَوْم أو ضَلالَة أو مَعْصِية، أو وَصَفَه

بالخَبيث، أو رِجْس، أو نَجس، أو بكونه فِسْقاً أو إثماً ، أو سَبباً لإثم أو رِجْس، أو لَعْن أو غَضَب، أو زَوال نِعْمَة أو حُلول نِقْمَة، أو حَد مِن الحدود، أو قَسْوَة، أو خِزْى أو ارتِهان نَفْس أو لِعَداوَة الله ومحاربته، أو الاسْتِهْزاء به وسُخْريته، أو جَعَله سبباً لنسيان فاعله، أو وَصَفَ نَفْسَه بالصَّبْر عليه، أو الحِلم عنه، أو الصَّفْح، أو دعا إلى التَّوْبَة منه، أو وَصَفَ فاعله بِخُبْثٍ واحْتِقار، أو نَسَبه إلى الشَّيْطان وتَزْيينه، أو تَولِّى الشيطان لفاعله، أو وَصَفَه بصِفَة ذَمّ، مِثل كونه ظُلْمات أو بَغْياً أو عُدْوَاناً أو إثماً، أو تَبَرَّأ الأنبياءُ مِنْه أو مِن فاعله، أو شَكَوْا إلى الله فاعله، أو جاهَرُوا فاعله بالعَدَاوَة، أو نَصب سَبباً لِخَيْبَة فاعِله، عاجِلاً أو آجِلاً، أو رَتَّبَ عليه حرْمان الجنة، أو وصف فاعله بأنه عدو لله، أو الله عدوه أو أعْلَنَ فاعله بحرب مِن الله ورسوله أو حَمَّلَ فاعله إثمَ غَيْره، أو قيل فيه (لا ينبغى) أو (لا يصلح) أو أمَر بالتقوى عند السؤال عنه، أو أمر بفعل يُضادّه، أو هَجَرَ فاعله، أو تلاعَنَ فاعِليه فى الآخِرَة، أو تَبَرؤ بعضهم مِن بعض، أو وصف فاعله بالضلالة، أو أنه (ليس مِن الله فى شئ) أو أنه ليس مِن الرسول وأصْحابه، أو قَرنَ بمُحَرَّم ظاهِر التحريم فى الحُكْم، والخبر عنه بخبر واحد، أو جعل اجتنابه سبباً للفلاح، أو جعل سبباً لإيقاع العَدَاوَة والبغْضاء بين المسلمين، أو قيل لفاعله (هل أنت مُنْتَهٍ) أو نَهى الأنبياءَ عن الدعاء لفاعله، أو رتب عليه إبعاد أو طَرْد، أو لفظة (قُتِلَ مَن فَعَله) أو أخبر أن فاعله (لا يُكَلِّمُه اللهُ يوم القيامَة، ولا يَنْظُر إليه، ولا يُزَكّيه) أو أن الله لا يُصْلِح عَمَله، ولا يهدِى كَيْدَه، أو أن فاعله لا يفلح، ولا يكون يوم القيامة مِن الشهداء ولا مِن الشفعاء، أو أن الله يَغار مِن فِعله، أو نَبَّه على وَجْه المَفْسَدَة فيه، أو أخْبَرَ أنه لا يقبل مِن فاعله صَرْفاً ولا عَدْلاً، أو أخْبَرَ أنَّ مَن فَعَلَهُ قَيّضَ له الشيطانَ فَهُوَ له قَرين، أو جَعَل الفِعل سبباً لإزاغَة قلب فاعله، أو صرفه عن آياته وفَهْم آلائه، أو سؤال الله سبحانه عن عِلّة الفِعْل (لِمَ فَعَل) نحو : (لِمَ تَصُدُّونَ عن سبيل الله) (لِمَ تَلبسون الحق بالباطل) (ما مَنَعَك أن تَسْجُد) (لِمَ تَقولون ما لا تَفعَلون) ما لم يَقترن به جواب مِن السؤال، فإذا قُرِنَ به جواب كان بِحَسَب جوابه.

فهذا ونحوه، يدل على المَنْع مِن الفعل، ودِلالته على التحريم أطْرَد (أى أنْسَب لِجَرَيَانه على قواعِد اللُّغَة والأُصُول) مِن دلالته على مُجَرَّد الكَراهَة .

وأمَّا لفظة يَكْرهه اللهُ ورَسُوله، أو مَكْروه فأكْثر ما يُسْتَعْمَل فى المُحَرَّم، وقد يُسْتَعْمَل فى كراهة التَّنْزيه . وأما لفظة (ما يكون ذلك) و (ما يكون لنا) فاطَّرَدَ اسْتِعمالها فى المُحَرم نحو (فَما يكون لك أن تَتَكَبَّرَ فيها) (وما يكون لنا أن نعود فيها) (ما يكون لى أن أقول ما ليس لى إلا بِحَقّ)

*** فصل :**

وتُسْتَفاد الإباحَة مِن لَفْظ الإحلال، ورَفْع الجُناح، والإذْن، والعَفْو، و (إنْ شِئْتَ فافعَل) و (إنْ شِئْتَ فلا تَفْعَل) وَمِن الامتنان بما فى الأعْيان مِن المَنافِع، وما يَتعلَّق مِن الأفعال نحو : (وَمِن أصْوافِها وأوْبارِها وأشْعارِها أثاثاً ومَتاعاً إلى حِين) ونحو : (وبالنَّجْم هم يَهْتَدون) ومِن السكوت عن التَّحْريم، ومِن الإقرار على الفِعْل فى زَمَن الوَحْى .



فوائد ذكرها ابن القيم رحمه الله تعالى :

ـ التَّعَجُّب كما يدل على مَحَبَّة اللهِ تعالى للفعل نحو : (عَجَبَ رَبُّنا مِن شابٍّ ليس له صَبْوَة) ونحوه، قد يدل على بُغْض الفعل كقوله (وإنْ تَعْجَب فَعَجَبٌ قولهم) وقوله (بَل عَجِبْتَ ويَسْخَرون) وقولــه (وكيف تَكْفُرونَ وأنتُم تُتْلى عليكُم آياتُ الله وفيكم رسولُه)، وقد يدل على امتِناع الحُكْم، وعَدَم حُسْنه كقوله (كيف يكونُ للمُشْرِكينَ عَهْد عِنْدَ اللهِ)، وقد يدل على حُسْن المَنْع منه قدَراً، وأنه لا يَلِيق بـــه فعله كقوله تعالى (كيف يهدى الله قوماً كَفَروا بعد إيمانهم).

ـ نَفْى التَّساوِى فى كِتاب الله قد يأتى بين الفِعْلَيْن كقوله تعالى (أجَعَلْتُم سِقايَة الحاجّ وعِمارة المسجد الحرام كمَن آمَن بالله واليوم الآخِر) الآية، وقد يأتى بَيْنَ الفاعِلَيْن كقوله (لا يَسْتَوى القاعِدونَ مِن المؤمنين غيرُ أُولِى الضَّرَر والمُجاهِدون فى سبيل الله)، وقد يأتى بَيْنَ الجَزَاءيْن كقوله (لا يَسْتوى أصحاب النَّار وأصحاب الجَنَّة) وقد جَمَع اللهُ بين الثلاثة فى آيَة واحِدَة وهى قوله تعالى (وما يستوى الأعْمَى والبَصير * ولا الظلمات والنور * ولا الظل ولا الحرور * وما يستوى الأحياء ولا الأموات ......) سورة فاطر ١٩ ـ ٢٢ .

ـ ضَرْب الأمْثال فى القرآن يُستفاد منه أمور : التذكير، والوَعْظ، والحَث، والزَّجْر، والاعتِبار، والتقرير، وتَقريب المراد للعقل وتصويره فى صورة المَحْسوس، بحيث تكون نسبته للعقل كنِسْبَة المَحسوس إلى الحِسِّ . وتأتى أمْثال القرآن مُشْتَمِلَة على بيان تَفاوت الأجْر، وعلى المَدْح والذَّم، وعلى الثواب، وعلى تفخيم الأمر أو تَحْقيره، وعلى تَحْقيق أمْر، وإبْطال الأمر.

ـ السِياق يرشد إلى بيان المُجْمَل، وتَعْيين المُحْتَمل، والقطْع بعَدَم احتمال غير المُراد، وتَخْصيص العام وتَقْييد المُطْلَق، وتَنَوُّع الدلالة، وهو مِن أعْظَم القرائِن الدَّالَّة على مُراد المُتَكلم، فَمَن أهْمَلَه غَلَط فى نظره، وغالَط فى مُناظرته . فانظر إلى قوله (ذُقْ إنَّك أنتَ العَزيز الكَريم) كيف تَجِد سِياقه يدل على أنه الذَّليل الحَقِير.

ـ إخْبار الرَّب عن المحسوس الواقع له عِدَّة فوائد منها :

١ ـ أن يكون توطِئَة وتَقْدِمَة لإبطال ما بعده .

٢ ـ أن يكون مَوْعِظَة وتَذْكِرة .

٣ ـ أن يكون شاهِداً على ما أخبر به، من توحيده، وصِدْق رسوله، وإحْياء المَوْتَى .

٤ ـ أن يذكر فى مَعْرِض الامتنان .

٥ ـ أن يذكر فى معرض اللَّوْم والتَّوْبيخ .

٧ ـ أن يذكر فى معرض الإخبار عن اطِّلاع الرَّب عليه، وغير ذلك مِن فوائد .

انتهى كلامه رحمه الله تعالى وهو فى غاية النَّفاسَة، والاشْتِمال على كثير مِن القواعِد والضَّوَابط المتعلقة بتفسير القرآن . فجزاه الله خيرا.



قال الشيخ عبد الرحمن السعدى رحمه الله تعالى فى كتاب (تيسير الكريم الرحمن) :

وقد اشتمل القرآن على عِدَّةِ علوم قد ثُنِّيَتْ فيه وأُعِيدَتْ، فمنها :

١ـ ضَرْبُ الأمْثال .

٢ـ ذِكْرُ صِفات أهل السعادة والشقاوة، وفى ذلك عدة فوائد منها :

أ ـ أن الأوصاف التى يوصف بها أهل الخير تدل على محبة الله ورضاه، وأنها محمودة، والصفات التى يوصف بها أهل الشر تدل على بُغض الله لها، وأنها مَذْمُومَة .

ب ـ ما يُكْرِم الله به أولياءه مِن الثَّناءِ الحَسَن بين عباده، فهو ثواب مَعَجَّل، ويُهين به أعداءه من الأوصاف القَبيحة فيكون عِقاباً مُعَجَّلاً.

ج ـ أن فيه حَثّاً للنفوس على الاقتداء بأهل الخير ، ومنافستهم وتنشيط العُمَّال على الأعمال ببيان أن مَن عَمِلها فهو مِن أولياء الله، وفيه الترهيب عن أفعال الشر وتبغيض المَعاصِى التى أثَّرَت مع عامليها ما أثَّرَتْ .

د ـ الاعتبار بصفات أهل الخير والشَّر، وأن مَن فَعَلَ مِثلَ فِعْلِهم ناله ما نالهم . وقد حث تعالى على الاعتِبار فى غير موضع من كتابه، وحقيقته : العبور مِن شئ إلى شئ، وقياس الشئ على نظيره .

هـ ـ أن العبد إذا نَظَرَ إلى أعمال أهل الخير، وعجزه عن القيام بها، أوْجَب له ذلك الإزراء على نفسه واحتقارها، وهذا هو عين صلاحه، كما أن رؤيته نفسه بعين الإعجاب والتكبر، هو عين فساده، إلى غير ذلك مِن الفوائد .

٣ـ ذِكْرُ صِفات الله وأسمائه وأفعاله وتقديسه عن النقائص، وفى ذلك فوائد عظيمَة منها :

أ ـ أن هذا العلم ـ وهو العلم المتعلق بالله تعالى ـ أشْرَف العلوم وأجَلُّها على الإطْلاق، فالاشتِغال بفهمه، والبحث التام عنه، اشْتِغال بأعلى المَطالِب، وحصوله للعبد مِن أشْرَف المَوَاهِب .

ب ـ أن معرفة الله تعالى تدعو إلى محبته وخشيته، وخوفه، ورجائه، وإخلاص العمل له، وهذا عين سعادَة العبد، ولا سبيل إلى معرفة الله إلا بمعرفة أسمائه وصفاته، والتفقه فى فهم معانيها . وقد اشْتَمَل القرآن مِن ذلك على ما لَم يشتمِل عليه غيره مِن تفاصيل ذلك وتوضيحها، والتعرف بها إلى عباده، وتعريفهم لنفسه، كى يَعْرفُوه .

ج ـ أن الله خَلَقَ الخَلق لِيَعْرفوه ويعبدوه، وهذه هى الغاية المطلوبة منهم، فالاشتغال بما خُلِقَ له العَبد، وتركه وتَضْييعه إهمال لِمَا خُلِقَ له، وقبيح بِعَبْدٍ، لم تَزَل نِعَم الله عليه مُتَواتِرَة، وفَضْله عليه عظيم مِن كل وجه أن يكون جاهِلاً بربه، مُعْرِضاً عن معرفته .

د ـ أن أحَد أرْكان الإيمان، بل أفْضلها وأصْلها، الإيمان بالله، وليس الإيمان مجرد قوله (آمَنْتُ بالله) مِن غير معرفته بربه، بل حقيقة الإيمان أن يعرف الرَّبَّ الذى يُؤْمِن به، ويبذل جهده فى معرفة أسمائه وصفاته، حتى يبلغ دَرَجَة اليَقِين، وبِحَسَب معرفته بربه يكون إيمانه، فكُلَّما ازداد





معرفة بربه ازداد إيمانه، وكلما نقص نقص، وأقرب طريق يوصله إلى ذلك تدبر صفاته وأسمائه فى القرآن، والطريق فى ذلك إذا مَرَّ به اسمٌ مِن أسماء الله أن يثبت له ذلك معنى وكماله وعمومه، وينزهه عَمَّا يُضادُّ ذلك ومعنى ذلك : أن المؤمن إذا طَرَقَ سَمْعَه اسمٌ مِن أسمائه تعالى أو صِفَةٌ مِن صِفاته أن يثبت لله ذلك المعنى بكماله على وجه العموم، مع اعْتِقاد أن كمال الله لا تحيط به العُقول كما أنه سبحانه مُنَزَّه عن النَّقائِص مهما اسْتَصْغَرَتها العقول، فالنَّقائِص ـ صغيرها وكبيرها ـ بعيدة عن الله كل البُعْد، فلا بُدَّ مِن إثبات بلا تَشْبيه وتَنْزيه بلا تَعْطِيل

هـ ـ أن العِلْم به تعالى أصل الأشياء كلها، حتى إن العارفَ به حقيقة المَعْرِفَة يَسْتَدِل بما عرف مِن صفاته أفعاله، على ما يفعله، وعلى ما يُشَرِّعُه مِن الأحكام، لأنه لا يَفْعَل إلا ما هو مُقْتَضَى أسمائه وصفاته، فأفعاله دائِرَة بَيْنَ العَدْل والفَضْل والحِكْمَة . وكذلك لا يُشَرِّع ما يُشَرِّعه مِن الأحكام إلا حَسَب ما اقْتَضاه حمده وحِكْمَته وفضله وعدله، فأخباره كلها حَق وصِدْق، وأوامره ونواهيه عَدْل وحِكْمَة (وتَمَّت كَلِمَة ربك صِدْقاً وَعَدْلاً) وهذا العِلْمُ أعظم وأشهر مِن أن يُنَبَّه عليه لوضوحه.

٤ـ ذِكْرُ الأنبياء والمُرْسَلِين، وما أُرْسِلوا به، وما جَرَى لهم مع أُمَمِهم وفى ذلك عِدَّة فوائِد منها :

أ ـ أن مِن تمام الإيمان بهم معرفتهم بصفتهم وسِيَرِهم وأحوالهم، وكلما كان المؤمن بذلك أعْرَف كان أعظم إيماناً بهم، ومحبة لهم، وتعظيماً لهم، وتعزيزاً وتَوْقيراً .

ب ـ أن مِن بعض حقوقهم علينا ـ خصوصاً النبى صلى الله عليه وسلم ـ معرفتهم ومحبتهم محبة صادِقة، ولا سبيل لذلك إلا بمعرفة أحوالهم .

ج ـ أن معرفة الأنبياء، مُوُجِبَة لشكر الله تعالى على ما مَنَّ به على المؤمنين، إذ بَعَثَ فيهم رسولاً منهم يزكيهم ويعلمهم الكِتابَ والحِكْمَة بعد أن كانوا فى ضلالٍ مُبين .

د ـ أن الرُّسُلَ هم المُرَبُّونَ للمؤمنين، الذين ما نالَ المؤمنون مِثْقال ذَرَّة مِن الخير، ولا انْدَفَعَ عنهم مِثْقال ذرة مِن الشَّرِّ، إلا على أيْدِيهم وبِسَبَبِهم . فَقَبيحٌ بالمؤمن أن يجهل حالة مُرَبِّيه ومُزَكِّيه وَمُعَلِّمه وإذا كان مِن المُسْتَنْكَر جَهل الإنسان بِحالِ أبَوَيْهِ ومباعدته لذلك، فكيف بحالة الرسول الذى هو أوْلَى بالمؤمنين مِن أنفسهم، وهو أبوهم الحَقيقى، الذى حقه مُقَدَّم على سائِر الحُقوق بعد حق الله تعالى ؟؟

هـ ـ أن معرفة ما جَرَى لهم، وجرى عليهم، تُحَصِّل للمؤمنين الأسوَة والقُدْوَة، ويَخِفّ عنهم كثير مِن المُقْلِقات والمُزْعِجات، لأنها مهما بَلَغَتْ مِن الثُّقل والشِّدَّة فلا تصل إلى بعض ما جرى على الأنبياء . قال تعالى (لقد كان لكم فى رسول الله أُسْوَة حَسَنَة) الأحزاب .

ومِن أعظم الاقتداء، الاقتداء بتعليماتهم، وكيفية إلقاء العِلْم على حَسَب مراتب الخَلْق، والصبر على التعليم، والدَّعْوَة إلى الله بالحِكْمَة والمَوْعِظة الحَسَنَة، والمُجادَلَة بالتى هى أحْسَن، وبهذا وأمْثاله، كان العلماء وَرَثَة الأنبياء .

ومن فوائد معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم معرفة الآيات القرآنية عليه وفهم المَعْنَى، والمراد منها موقوفة على معرفة أُصُول الرسول، وسيرته مع قَوْمه وأصْحابه، وغيرهم مِن الناس، فإن الأزْمِنَة والأمْكِنَة والأشْخاص تختلف اخْتِلافاً كثيراً . فَلَوْ أرادَ الإنسان أن يصرف هَمَّه لمعرفة



القرآن مِن دُوُن معرفة ذلك، لَحَصَلَ مِن الغَلَط على الله وعلى رسوله، وعلى مُراد الله مِن كلامه شَئ كثير، وهذا إنما يعرفه مَن عَرَفَ كيف كثر حَمْل مُراد الله ورسوله على العُرْف الحادِث، فَوَقَعَ الخَلَل الكثير ولَغَيَّرَ ذلك مِن ا لفوائِد المُفيدَة، والنتائِج السَّدِيدَة .

ومِن عُلوم القرآن :

الأمر والنَّهى المُوَجَّه لهذه الأمَّة وغيرها، وهذا هو المقصود منهم، وفى معرفة ذلك عِدَّة فوائد منها :

١ ـ أن الله تعالى حَثَّ على معرفة حدود ما أنزل على رسوله، وذّم مَن لَم يعرف ذلك، ومِن أعْظَم ما يجب معرفته : الأوامر والنَّواهى التى كَلَّفَنا بها، وألْزَمَنا بالقيام بها، وتعلمها وتعليمها، ولا سبيل إلى امتثالها أو اجْتِنابها إلا بمعرفتها، ليتأتى فعلها أو تركها، وذلك أن المُكَلَّف إذا أُمِرَ وَجَبَ عليه أولاً معرفة ما هو الذى أمر به، وما يدخل به، وما لا يدخل، فإذا عرف ذلك اسْتَعانَ بالله واجْتَهَدَ فى امتثاله بِحَسَب القُدْرَة والإمكان .

وكذلك إذا نُهِىَ عن أمْرٍ مِن الأمور، وَجَبَ عليه معرفة ذلك المَنْهى عنه وحقيقته، ثم يبذل جُهده مُسْتَعيناً بِرَبِّه، على تَركه، امتثالاً لأمْر اللهِ ، واجْتِناباً لِنَهْيه . وامتِثال الأمْر، واجتِناب النَّهْى، كُلٌّ منها واجِب، وما لا يَتِم الواجِبُ إلا به فهو واجِبٌ . فَعُرِفَتْ أن العلم بها قبل العمل، ومُتَقَدِّم عليه .

٢ ـ أن الدَّعْوَة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنَّهْى عن المُنْكَر لا يمكن حُصُولهما وتحصيلهما إلا بَعْدَ معرفة الخير، ليدعو إليه، ومعرفة المعروف لِيَأْمُر به، ومعرفة المُنْكَر لِيَنْهَى عنه، والقرآن مُشْتَمِل على ذلك أعْظَم اشْتِمال، ومُتَضَمِّن له أكْمَل تَضَمُّن .

ومِن علوم القرآن :

أحوال اليوم الآخِر وهو ما يكون بعد الموت، مما أخْبَرَ به اللهُ فى كِتابه، أو أخْبَر به رسولُه مِن أهْوال المَوْت، والقَبْر، والمَوْقِف، والجَنَّة والنَّار، وفى العِلْم بذلك فوائد كثيرة منها :

١ ـ أن الإيمان باليوم الآخِر أحَد أرْكان الإيمان السِّتَّة، التى لا يصلح الإيمان بدونها، وكلما ازدادَتْ معرفته بتفاصيلها ازْدادَ إيمان العَبْد به .

٢ ـ أن معرفة ذلك حقيقة المعرفة يفتح للإنسان باب الخَوْف والرَّجاء، اللَّذَيْن إذا خلا القلب منهما خَربَ كل الخَراب، وإنْ عُمِّرَ بهما أوْجَبَ له الخوفُ الانْكِفاف عن المعاصِى . والرجاء تيسير الطاعَة وتسهيلها، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة تفاصيل الأمور التى يخاف منها ويحذر كأحْوال القبر وشِدَّته وأحوال الموقف الهائِلَة، وصفات النار المُفْظِعَة، وبمعرفة تفاصيل الجنة وما فيها مِن النَّعيم المُقيم، والحُبُور والسرور، ونعيم القلب والرُّوُح والبَدَن فيحدث بسبب ذلك الاشْتِياقُ الدَّاعِى للاجْتِهاد فى السَّعْى للمَحْبوب المَطْلوب، بكل ما يَقْدِر عليه .

٣ ـ أن يعرف بذلك فضل الله وعدله فى المُجازَاة على الأعمال الصالِحة والسَّيئَة، الموجب لكمال حَمْده، والثَّناء عليه بما هو أهْلُه . وعلى قَدْر عِلْم العَبْد بتفاصيل الثَّواب والعِقاب يَعْرِف بذلك فَضْل اللهِ، وَعَدْلِهِ وحِكْمَتِه .



ومِن علوم القرآن :

مُجادَلة المُبْطِلينَ، ودَفْع شُبَه الظَّالِمين، وإقامَة البراهين العَقْلِيَّة المُوافِقة للأدِلَّة النَّقْليَّة . وهذا الفَن مِن علوم القرآن مِن خَوَاص العلماء الرَّبَّانِيينَ، والجَهَابِذَة الرَّاسِخِينَ والعُقَلاء المُسْتَبْصِرين .

وقد اشْتَمَلَ هذا الفَنّ على الأدلة العقلية والقواطِع البُرْهانِيَّة، ما لَوْ جُمِعَ ما عِنْدَ المُتَكَلِّمِينَ مِن حَقٍّ لكانَ بالنسبة إليه كَنَقْرَةِ عُصْفُورٍ بالنسبة لِماءِ البَحْر، ذلك بأن القرآن هو الحق، وقد اشْتَمَل على الحق والصِّدْق والمِيزان العادِل والقِسْط والصَّلاح والفلاح، فإنه ذكر التوحيد والشِّرْك وأمَر بالأوَّل ونَهَى عن الثانِي، وأقام مِن البراهين القاطِعَة على صِحَّة التوحيد وحسنه وتَعَيُّنه طريقاً للنجاة، وقبح الشرك وبُطْلانه وكونه هو الطريق للهَلاك، ما يجعل ذلك للبصيرة كالشَّمْس فى نَحْر الظَّهيرَة .

وإنْ أمَرَ بالأوامر الشرعية وحث على الآداب، ومكارم الأخْلاق، رأيْتَه يُنَبِّه العُقول النَّيِّرَة على ما اشْتَمَلَت عليه مِن المَصالِح الضرورية، التى يحتاجونها فى معاشهم ومَعادِهم، ما يجزم بأنه لا أحْسَنَ منها، وأن حِكْمته تَقْتَضِى الأمْر بها أشّد اقْتِضاء .

وإنْ نَهَى عن المَحَارم والقبائح والخَبائِث، أخبر بما فى ضِمْنِها مِن الفَساد والضَّرَر، والشَّر الحاصِل بتناولها، وأن نِعْمَة الله عليهم بتحريمها عليهم، وتَنْزيههم عنها، وتَكْريمهم، وتَعْلِيَة أقْدارهم عن التَّلَبُّس بها فَوْق كل نِعْمَة، فالمَأمُورات مُشْتَمِلَة على المَصالِح، والمُحَرَّمات مُشْتَمِلَة على المَفاسِد .

وإنْ شَرَعَ فى الحِجاج للمُبْطِلين وتزييف شُبَه المُشَبِّهين وبُطْلان مذاهِب الضَّالِّين، فَقُل ما شِئْتَ مِن إحقاق حَقٍّ ودَفْع باطِل وإرشاد ضالّ وإقامَة حُجَّة على المُعانِد، وبيان أن الباطِل لا يقوم لأقل شئ مِن الحَقّ، بل هو على اسمِهِ، باطل لا حقيقة له، إن هو إلا أسماء يُسَمُّونَ بها الباطل إذا جُرِّدَتْ تَبَيَّنَتْ هباءً مَنْثُوراً، ورأيْته يَسُوق البراهين العَقْلِيَّة بأوْضح عبارة وأوْجَزها، وأسلمها مِن الاعْتِراض والنَّقض والخَفاء . فيجمع بين الدليل العقلى والنَّقْلِى فى كلمة واحِدة، إيجازاً غير مُخِلٍّ بالمَطْلوب وتارة يُفَصِّل ذلك، فيسرد مِن البراهين ما يكفى بعضه بالبيان فلله الحمد والشكر .....



أُصُولٌ وَكُلِّيَّاتٍ مِن أُصُولِ التَّفْسِيرِ وَكُلِّياتِه لا يَسْتَغْنِى عَنْها المُفَسِّرُ للقُرْآنِ الكَرِيمِ

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى رحمه الله تعالى :

النكرة فى سياق النفى، أو سياق النَّهْى، والاستفهام، أو سياق الشَّرْط، تَعُم وكذلك المُضاف يَعُمُّ وأمْثِلَة ذلك كثيرة .

فمتى وجدت نكرة واقعة بعد المَذكورات، أو وجدَت مُفْرَدَة مُضافة إلى معرفة، فأثبت جميع ما دخل فى ذلك اللفظ ولا تعتبر سبب النزول وَحْدَه، فإن (العِبْرَة بعموم اللفظ لا بخصوص السَّبَب).

وينبغى أن تنزل الحوادث والأفعال الواقِعَة والتى لا تزال تحدث على العمومات القرآنية، فبذلك تعرف أن القرآن تِبْيان لكل شئ، وأنه لا يحدث حادِث ولا يَسْتَجِدّ أمْر مِن الأمور إلا وفى القرآن بيانه وتوضيحه .

ومِن أصوله أنَّ الألف واللام الدَّاخِلَة على الأسماء المُشْتَقَّة كاسم الفاعِل واسم المَفْعول ونحوهما وعلى أسماء الأجناس، تفيد اسْتِغْراق جميع ما دخلت عليه مِن المعانِى .

ومِن كُلِّيَّات القرآن أنه يدعو إلى توحيد الله ومعرفته بذكر أسماء الله ومعرفته بذكر أسماء وأوصافه وأفعاله الدَّالَّة على تَفَرُّدِه بالوحدانية وأوصاف الكمال، وإلى أنه الحق وعبادته حق وأن ما يَدْعُونَ مِن دُونِه هو الباطل، ويبين نقص كل ما عبد مِن دون الله مِن جميع الوجوه .

ويدعو إلى صحة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وصِدْقه، ببيان أحكامه، وتمامه، وصِدْق إخْباراته كلها، وحسن أحكامه، ويبين ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم مِن الكَمَال الذى لا يَلْحَقه فيه أحَد مِن الأوَّلِينَ والآخِرين، ويتحداهم بأن يأتوا بمثل ما جاء به إن كانوا صادِقِينَ، ويُقَرر ذلك بشهادته تعالى بقوله وفِعْله وإقراره إياه وتصديقه له بالحُجَّة والبرهان وبالنصر وبشهادة أهل العلم المُنْصِفِين، ويُقابِل بين ما جاء به مِن الحَقّ فى إخْباره وأحكامه، وبين ما كان عليه أعداؤه والمُكَذِّبُونَ به مِن الكَذِب فى إخْبارهم والباطل فى أحْكامهم، كما يُقَرر ذلك بالمُعْجِزات المُتَنَوِّعَة، ويقرر الله المعاد بذكر كمال قدرته، وخلقه للسموات والأرض اللتَيْن هما أكبر مِن خَلق الناس، وبان الذى بَدَأ الخَلق قادِر على إعادته مِن باب أوْلى، وبأن الذى أحيا الأرض بعد موتها قادر على إحياء الموتى .

ويذكر أيضاً أيامه فى الأمم ووقوع المَثلات التى شاهَدَها الناس فى الدنيا، وأنها نموذج مِن جزاء الآخِرَة . ويدعو جميع المُبْطِلين، مِن الكُفَّار والمُشْركين والمُلْحِدين بذِكْر مَحاسِن الدِّين، وأنه يهدى للتى هى أقْوَم فى عقائِدِه وأخلاقه وأعماله، وبيان ما لله مِن العَظَمَة والربوبية والنِّعَم العظيمة، وأنَّ مَن تَفَرَّدَ بالكمال المُطْلَق والنِّعَم كلها هو الذى لا تصلح العِبادة إلا له، وأن ما عليه المبطلون إذا مُيِّزَ وحُقِّق وُجِدَ شَرّاً وباطِلاً وعواقِبه وَخِيمَة .



ومِن أصُولِ التَّفْسِير :

إذا فهمت ما دَلَّت عليه الآيات الكريمات مِن المعانى مُطابَقَة وتضمناً، فاعلم أن لوازم هذه المعانى لا تتم إلا به وشروطها وتوابعها تابِعَة لهذا المعنى . فما لا يتم الخبر إلا به فهو تابع للخَبَر، وما لا يتم الحكم إلا به فهو تابع للحكم، وأن الآيات التى يُفْهَم منها التعارض والتناقض، ليس فيها تناقض ولا تعارض، بل يجب حَمْل كل منها على الحالة المناسبة اللائِقَة بها، وأنَّ حذف المُتعلقات مِن مَفْعولات وغيرها يدل على تعميم المعنى لأن هذا مِن أعظم فوائد الحذف، وأنه لا يجوز حذف ما لا يدل عليه السِّيَاق اللفظى والقرينة الحالية .

كما أن الأحكام المُقيَّدَة، بشروط أو صفات تدل على أن تلك القيود لا بد منها فى ثبوت الحكم إذا أَمَرَ اللهُ بشئ كان ناهيا عن ضِدِّه،وإذا نَهَى عن شئ كان آمِراً بضِدِّه، وإذا أثْنَى على نَفْسه بنفى شئ مِن النقائص كان إثباتاً للكمال المنافى لذلك النقص، وكذلك إذا أثنى على رسله وأوليائه وَنَزَّهَهُم عن شئ من النقائص فهو مَدْح لهم بما يضاد ذلك النقص ومثله : نفى النقائص عن دار النعيم يدل على إثبات ضد ذلك.

ومِنَ الكُلِّيَّاتِ : أنه إذا وَضَحَ الحق وظهر ظهوراً جَلِيَّاً لَم يَبْقَ للمُجادَلات العِلْمِيَّة والمُعارَضات العَمَلِيَّة مَحِل؛ بل تَبْطل المُعارَضات وتَضْمَحِلُّ المُجادَلات .

ما نَفاه القرآنُ، فإما أن يكون غير موجود أو أنه موجود ولكنه غير مفيد ولا نافع .

والموهوم لا يَدْفَعُ المَعْلومَ، والمَجهول لا يُعارِض المُحَقَّق، وما بَعْدَ الحَقِّ إلا الضَّلال .

ذَكَرَ اللهُ تعالى فى القرآن الإيمانَ والعَمَلَ الصالِح فى مَوَاضِع كَثيرَة، ورَتَّبَ عليهما مِن الجزاء العاجِل والآجِل والآثار الحميدَة شيئاً كثيراً . فالإيمان : هو التصديق الجازم بما أَمَرَ اللهُ ورَسُولُه وبالتصديق به، المُتَضَمِّن لأعمال الجوارح . والعمل الصالح : هو القيام بحقوق الله وحقوق عِباده .

وكذلك أَمَر بالتَّقْوَى ومَدَحَ المُتَّقين، ورَتَّبَ على التقوى حصول الخَيْرات وزوال المَكْروهات، والتقوى الكاملة امتثال أمر الله وأمر رسوله، واجْتِناب نَهْيهما وتصديق خبرهما . وإذا جمع اللهُ بين التقوى والبِرّ ونحوه كانت التقوى اسماً لِتَوَقِّى جميع المعاصِى، والبِر اسْماً لِفِعْل الخَيْرات، وإذا أَفْرِدَ أَحَدهما دَخَلَ فيه الآخَر.

وذَكَرَ اللهُ الهُدَى المَطلوب فى مواضع كثيرة، وأثنى على المُهتَدى، وأخبر أَنَّ الهُدَى بيده، وأمرنا بطلبه منه وبالسَّعْى فى كل سبب يحصل الهدى، وذلك شامِل العلم والعمل، فالمهتدى مَن عَرَفَ الحَقَّ وعمل به وضِده الغَىّ والضَّلال فَمَن عرف الحق ولَم يعمل به فهو الغَاوى، ومَن جَهلَ الحق فهو ضالّ .

أمر اللهُ بالإحْسان وأثنى على المحسنين وذكر ثوابهم المتنوع فى آيات كثيرة وحقيقة الإحسان : أن تعبد اللهَ كأنَّكَ تراه فإن لَم تَكُن تراه فإنه يراك، وأن تبذل ما تستطيعه من النفع المالِىّ والبَدَنِىّ والقَوْلِى إلى المَخْلوقِين .

وأمَر بالإصلاح وأثنَى على المُصلِحين وأخبر أنه لا يضيع ثوابهم وأجْرهم، والإصلاح : هو أن تسعى فى إصلاح عقائد الناس وأخْلاقهم وجميع أحوالهم، بحيث تكون على غاية ما يمكن مِن الصلاح، وأيضاً يشمل إصلاح الأمور الدينية والأمور الدنيوية وإصلاح الأفراد والجماعات، وضد هذا الفساد، والإفساد قد نَهَى عنه وذم المُفْسِدين وذكر عقوباتهم المُتَعَدِّدَة، وأخْبَر أنه لا يُصْلِح أعمالهم الدِّينيَّة والدُّنْيَويَّة .

أثنى اللهُ على اليَقين والمُوقِنِين، وأنهم هم المُنْتَفِعون بالآيات القرآنية ، واليقين أخَصّ مِن العِلْم، فهو : العِلْم الرَّاسِخ المُثْمِر للعمل والطمأنينة .

أمر الله بالصبر وأثنَى علي الصابرين وذكَر جزاءهم العاجِل والآجِل فى عِدَّة آيات، نحو تسعين مَوْضِعاً وهو يشمل أنواعه الثلاثة :

١ـ الصبر على طاعة الله حتى يُؤَدِّيها كامِلَة مِن جميع الوُجُوه .

٢ ـ الصبر على مَحارِم الله حتى يَنْهَى نَفْسَه الأمَّارَةَ بالسُّوء عنها .

٣ ـ الصبر على أقدار الله المُؤْلِمَة، فيتلَقَّاها بصبر وتسليم غير مُتَسَخِّط فى قلبه ولا بَدَنه ولا لِسانه .

وكذلك أثنَى اللهُ على الشُّكْر وذكَرَ ثواب الشَّاكِرينَ، وأخبر أنهم أرْفَع الخَلْق فى الدنيا والآخِرَة، وحقيقة الشكر هو الاعْتِراف بجميع نِعَم الله والثناء على الله بها والاسْتِعانَة بها على طاعة المُنْعِم .

وذكَرَ اللهُ الخَوْفَ والخَشْيَة فى مَواضِعَ كثيرة، أمر به وأثنى على أهله وذكر ثوابهم وأنهم المُنْتَفِعون بالآيات التاركون للمُحَرَّماتِ، وحقيقة الخَشْيَة والخَوْف أن يخاف العَبْدُ مَقامَه بين يَدَىّ اللهِ ومَقامه عليه، فينهى نفسه بهذا الخوف عن كل ما حَرَّم اللهُ .

والرَّجاء : أن يرجو العبد رحمة الله العامة ورحمته الخاصة به، فيرجو قبول ما تفضل الله عليه من الطاعات وغُفْران ما تاب منه من الزَّلاَّت، ويعلق رجاءَه بربه فى كل حالة من أحواله .

وذكَرَ الإنابَة فى مَواضِعَ كثيرة وأثنَى عَلَى المُنِيبين وأمر بالإنابة إليه، وحقيقة الإنابة انْجِذاب القلب فى كل حالة من أحواله، ينيب إلى ربه عند النَّعْماء بشكره، وعند الضَّرَّاء بالتضرع إليه، وعند مَطَالِب النفوس الكثيرة بكثرة دُعاءه فى جميع مَهَمَّاتِه وينيب إلى رَبِّه باللَّهج بذِكْره فى كل وقت، والإنابة أيضاً : الرجوع إلى الله بالتَّوْبَة مِن جميع المعاصى والرجوع إليه فى جميع أعماله وأقواله، فيعرضها على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فتكون الأعمال والأقوال مَوْزُونَة بمِيزان الشَّرْع .

أمَرَ اللهُ بالإخلاص وأثنَى على المُخْلِصين وأخبر أنه لا يَقْبَل إلا العَمَلَ الخالِصَ، وحقيقة الإخْلاص : أن يَقْصِدَ العامِل بعمله وَجْهَ اللهِ وَحْدَه وثوابه، وضده الرِّيَاء، والعَمَل للأغْراض النَّفْسِيَّة .





نَهَى الله ُعن التَّكَبُّر وَذَمَّ الكِبْرَ والمُتَكَبِّرين، وأخبر عن عقوباتهم العاجِلة والآجِلة، والتَّكَبُّر هو : رَدُّ الحَقِّ واحْتِقار الخَلْق، وضِدّه التَّوَاضُع، فقد أمر به وأثنى علي أهله وذكر ثوابه، فهو قبول الحق مِمَّن قاله وأن لا يَحْتَقِرَ الخَلق بَلْ يَرَى فَضْلهم ويحب لهم ما يُحِب لنَفْسه .

العَدْل : هو أداء حقوق الله وحقوق العباد، والظُّلْم : عَكْسه، فهو يَشْمَل ظُلْم العبد لنفسه بالمعاصِي والشِّرْك، وظلم العباد فى دِمائهم وأموالهم وأعراضهم .

الصِّدْق : وهو اسْتِوَاء الظَّاهِر والباطِن فى الاسْتِقامَة على الصِّراط المُسْتَقيم، والكَذِب بِخِلاف ذلك .

حُدُود اللهِ هى مَحارِمه، وهى التى يقول فيها الله تعالى (تِلْكَ حُدُود اللهِ فَلا تَقْرَبُوها) ويُراد بها ما أباحَه اللهُ وحَلَّله وقَدَّرَه وفَرَضَه، فيقول فيها سبحانه (تِلك حدود الله فلا تَعْتَدُوها).

الأمانَة : هى الأُمُور التى يُؤْتَمَن عليها العَبْد، فيشمل ذلك أداء حُقوق الله وخصوصاً الخَفِيَّة، وحقوق خَلْقِه كذلك .

العُهُود والعُقُود، ويدخل فيها التى بَيْنَه وبَيْنَ اللهِ وهو : القِيام بعبادَة الله مُخْلِصاً له الدِّين، والتى بَيْنَه وبين العِباد مِن المُعامَلات ونحوها .

الحِكْمَة والقِوام، فِعْل ما يَنْبَغِى على الوَجْهِ الذى يَنْبَغى .

والإسْراف والتَّبْذِير: مُجاوَزة الحَدِّ فى الإنفاق، والتَّقْتِير والبُخْل عَكْسه، وهو التَّقْصِير فى النَّفَقات الوَاجِبَة .

والمَعْرُوف : اسْمُ جامِع لِكُلِّ ما عُرِفَ حُسْنُه ونَفْعه شَرْعاً وعَقْلاً، والمُنْكَر عَكْسه .

الاسْتِقامَة : لُزُوم طاعَة اللهِ وطاعَة رَسوله صلى الله عليه وسلم على الدَّوَام .

مَرَض القَلْب : هو اعْتِلاله وهو نَوْعان : مَرَض الشُّكُوك فى الحَقِّ ومَرَض الشَّهْوَة للأمور المُحَرَّمَة

النِّفاق : إظْهار الحَقِّ وإبْطان الشَّر، فيدخل فيه النِّفَاق الاعْتِقادِى والنفاق العَمَلى .

القُرآن كُلُّه مُحْكَم وأحْكِمَتْ آياته مِن جِهَة موافقتها للحِكْمَة، وأن أخْباره على أعْلَى دَرَجات الصِّدْق وأحْكامه فى غايَة الحُسْن، وكله مُتَشابِه مِن جِهَةِ اتِّفاقه فى البَلاغَة والحُسْن وتَصْديق بَعْضه لِبَعض وكمال اتفاقه . ومنه مُحْكَم مُتَشَابِه مِن جِهَة أنَّ مُتشابِهَه : ما كان فيه إجْمال أو احْتِمال لبعض المَعانِى، ومُحْكَمه واضِح مُبين صَريح فى مَعْناه، إذا رُدَّ إليه المُتَشابه اتَّفَقَ الجميع واسْتَقامَت معانيه.

مَعِيَّة اللهِ نَوْعان والتى ذَكَرَها فى كِتابه :

معية العِلْم والإحاطة وهى : المَعِيَّة العامَّة، فإنه مع عِباده أيْنَما كانوا .

ومعية خاصَّة : وهى مَعِيَّته مع خَوَاصِّ خَلْقِه بالنُّصرَة واللُّطف والتَّأْييد .



الدُّعاء والدَّعْوَة : يشمل" دعاء العبادة " فيدخل فيه كل عِبادة أمرَ اللهُ بها ورسولُه و" دعاء المَسْأَلة " وهو : سُؤال الله جَلْب المَنافِع، ودَفْع المَضارّ .

الطَّيِّبات :اسْمٌ جامِع لكل طَيِّب ونافِع، مِن العَقائِد والأخْلاق والأعمال والمَآكِل والمَشارب والمَكاسِب، والخَبيث ضِد ذلك، وقد يراد بالخَبيث : الرَّدِئ، وبالطَّيِّب : الخِيار كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنــوا أنْفِقوا مِن طَيِّبات ما كَسَبْتُم ومما أخْرَجْنا لكم مِن الأرض) .

النَّفَقة تشمل النَّفَقة الواجِبَة، كالزَّكاة، والكَفَّارَة، ونَفَقة النَّفْس والعائِلة والمماليك، والنفقة المُسْتَحَبَّة كالنفقة فى جميع طرق الخير.

التَّوَكُّل على الله والاسْتِعانَة به قد أمر الله بهما وأثنَى على المُتَوَكِّلِينَ فى آيات كثيرة، وحقيقته كذلك، قوة اعتِماد القلب على الله فى جَلْبِ المَنافِع والمَصالِح، ودَفْع المَضارّ الدينية والدنيوية، مع الثِّقَة به فى حُصُول ذلك.

العَقْل الذى مَدَحَه الله وأثنى علي أهله وأخبر أنهم هم المُنْتَفِعون بالآيات، هو الذى يَفْهَم ويَعْقِل الحقائِق النافِعَة ويعمل بها، ويعقل صاحِبه عن الأمور الضارَّة، ولذلك قيل حِجْر ولُبّ ونُهَى، لأنه يَحجر صاحِبه وينهاه عمَّا يضره.

العِلم هو مَعْرِفة الهُدَى بِدَليله، فهو معرفة المَسائِل النافِعَة المَطْلوبَة ومعرفة أدِلَّتها وطرُقها التى تَهْدِى إليها، والعِلم النَّافِع هو : العلم بالحَقِّ والعَمَل به وضِدّ الجَهْل.

*** لفظ (الأُمَّة) فى القرآن على أربعة أوْجه :**

- يراد به (الطَّائِفَة مِن النَّاس) وهو الغالِب كقوله تعالى (وإنْ مِن أمَّةٍ إلا خلا فيها نَذِير)

- ويُراد به (المُدَّة) كقوله تعالى (وادَّكَر بَعْد أُمَّة)

- ويراد به (الدِّين) كقوله تعالى (إنَّا وَجَدْنا آباءنا على أُمَّة)

- ويراد به (الإمام) كقوله تعالى (إنَّ إبراهيم كان أُمَّة)

*** لفظ (اسْتَوَى) فى القرآن على ثلاثة أوْجُه :**

- إن عُدِّيَ بـ (عَلَى) كان معناه العُلُو والارتِفاع كقوله تعالى (ثُمَّ اسْتَوَى على العَرْش)

- وإن عُدِّيَ بـ (إلى) فَمَعناه قَصَد كقوله تعالى (ثُمَّ اسْتَوَى إلى السماء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سموات)

- وإن لم يُعَدَّ بشئ فَمَعْناه (كَمُلَ) كقوله تعالى (ولَمَّا بَلَغَ أشُدَّه واستَوَى)

التَّوْبَة ورد فى آيات كثيرة الأمر بها ومَدَحَ التَّائِبين وذكر ثوابهم، وهى الرجُوع عما يَكْرهه الله ظاهِراً وباطِناً إلى ما يحبه ظاهراً وباطِناً .



الصِّراط المُسْتَقيم، الذى أمَر الله بلُزومه وأثنى على المستقيمين عليه هو : الطريق المُعْتَدِل المُوصل إلى رضوان الله وثوابه، وهو مُتابَعَة النَّبى صلى الله عليه وسلم فى أقواله وأفعاله وكل أحواله .

الذِّكْر للهِ الذى أمَرَ به وأثنى على الذَّاكِرينَ وذكر جزاءهم العاجِل والآجِل، هو : عند الإطلاق، يشمل جميع ما يقرب إلى الله من عقيدة أو فكر نافِع أو خُلُق جَميل أو عَمل قلبى أو بَدَنى أو ثناء على الله أو تسبيح ونحوه، أو تعلم أحكام الشرع الأصولية والفروعية أو ما يعين على ذلك فكله داخِل فى ذِكْر اللهِ (١)

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ـ الشيخ / السعدى رحمه الله تعالى





مُصْطَلَحَاتٌ فِقْهِيَّةٌ

إعداد

محمد حسن نور الدين إسماعيل





مُصْطَلَحَاتٌ فِقْهِيَّةٌ (١)

- **الطَّهَارَة** : لُغَةً النَّظَافة والنَّزَاهة مِن الأحْداث وهى نوعان بالماء والصَّعيد ، واصطلاحاً : رَفْع الحَدَث وإزالة الخَبَث .

- **النَّجاسات** : جمع نجاسة وهى كل شئ يستقذره أهلُ الطَّبائع السَّلِيمَة ويتحفظون منه ويغسلون منه الثياب إذا أصابهم كالعَذِرَةِ والبَوْل .

- **الماء الطَّهُور** : كل ما نَزَلَ مِن السَّماء أو نَبَعَ مِن الأرض .

- **المَذْى** : ماء أبيض رقيق لَزِج يخرج عند شَهْوَة لا بِشَهْوَة ولا دِفْقٍ ولا يَعْقُبُه فُتُور، وربما لا يُحَسُّ بخروجه، ويكون ذلك للرَّجُل والمرأة، وهو نَجِس .

- **الوَدْى** : ماء أبيض ثَخِين يخرج بَعْدَ البَوْل وهو نَجِس .

- **المَنِيّ** : ماء أبيض ثخين يخرج بِلَذَّةٍ وَتَدَفُّق عند الجِماع أو الاستمناء، ويجب فيه الغسل، وهو طاهر.

- **المَيْتَة** : ما مات حَتْف أنْفِه مِن غير ذكاةٍ شرعية.

- **الصَّعيد** : الأرض الطَّيِّبَة : تُراب طيب : وَجْه الأرض.

- **الحَيْض** : هو دَمٌ يُرْخِيه الرَّحِمُ إذا بَلَغَتْ المرأةُ، ثم يعتادها فى أوقات معلومة، وأقلُّه يوم وليلة وأكثره خمسة عشر يوماً، وهو يُوجِب الغُسْل بعد الطُّهْر منه (بعد انقطاع الدم)

- **النِّفاس** : هو الدَّمُ الخارج بسبب الولادة وأكثره أربعون يوماً .

- **الاسْتِحاضَة** : هى دم يخرج فى أوقات الحَيْض والنفاس أو مُتَّصِلاً بهما وهو دم طبيعى يختلف عن دم الحيض .

- **الأذان** : هو الإعلام بدخول وقت الصلاة بألفاظ مخصوصة .

- **التَّرْجِيع** : هو العَوْد إلى الشهادَتَيْن مَرَّتَيْن بصوت مرتفع بعد قولهما بصوت منخفِض فى الأذان

---

(١) من كِتاب (الوَجِيز فِى فِقْهِ السُّنَّة والكِتاب العَزِيز) للشيخ د / عبد العظيم بن بَدَوى الخَلَفِى ، وكتاب (أصُول المَنْهَج الإسْلامى) للشيخ / عبد الرحمن بن عبد الكَريم العبيد ، وكتاب (الصلاة قرة عيون المؤمنين) للشيخ د / طلعت بن زهران .





- **التَّثْويب** : هو قول المُؤَذِّن فى أذان الفَجْر الأول (الصلاةُ خَيْرٌ مِن النَّوْم) مرتين بعد الحَيْعَلَتَيْن .

- **الصَّلاة** : أقوال وأفعال مخصوصة يُقْصَدُ بها التَّقرُّب إلى الله تعالى، تُفْتَتَح بالتكبير، وتُخْتَتَم بالتسليم ، لها شروط وأركان وواجبات وسُنَن خاصة تتعلق بها .

- **الغُسْل** : هو إفاضة الماء الطَّهور على جميع البَدَن على وَجْهٍ مَخصوص .

- **التَّيَمُّم** : التعبد لله تعالى بِقَصْدِ الصَّعِيد الطَّيِّب لِمَسْح الوجه واليَدَيْن بِنِيَّة استباحة الصلاة ونحوها .

- **فَرْضُ العَيْن** : هو ما يجب على كل مسلم بنفسه كالصلوات الخمس وصوم رمضان.

- **فَرْض الكِفاية** : وهو الذى إذا أدَّاه نَفَرٌ مِن المُسْلِمِينَ سَقَط عن الباقين، فإن تَرَكَه المسلمون جميعاً أثِمُوا، كصلاة الجِنازة.

- **المُوَالاة** : وهى متابَعَة غَسْل أعضاء الوُضُوء، دون فاصِل زَمَنِى كبير بين عُضْوٍ والعُضْوِ الذى يليه بحيث لا يَجِفُّ العضو السابق .

- **التَّوَرُّك** : خُروج الرِّجْل اليُسْرَى والجُلوس مُتَوَرِّكاً على الشِّق الأيْسَر والقُعُود على المَقْعَدَة فى الجلوس للتشهد الأخير فى الصلاة .

- **الافْتِرَاش** : وهو الجلوس على الرِّجْل اليُسْرَى ونَصْب الأخْرَى بين السجدَتَيْن فى التَّشَهُّد الأول فى الصلاة .

- **الصَّوْم** : هو الإمساك عن الطَّعام والشَّراب والجِماع مِن طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية التعبد لله تعالى.

- **الزَّكاة** : تُطْلَق على الصَّدَقَة التى فَرَضَها اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وهى رُكْنٌ مِن أركان الإسلام ، وهى زكاة السَّائِمَة (الرَّاعِيَة فى الكَلأ المُباح) أى الأنْعام، وزكاة الأثمان، وعُرُوض التِّجارة، والخارج مِن الأرض، وزكاة الفِطْر فى أوقات مخصوصة بمقادير معلومة .

- **الحَجّ** : القَصْد : زيارَةَ بَيْتِ اللهِ الحرام والطَّوَاف حوله والإحرام وغير ذلك ، بألفاظ مخصوصة فى وقت معلوم .

- **دَم التَّمَتُّع والقِران** : وهو الدَّم الذى يجب على الحاجِّ الذى لَبَّى بِعُمْرَة مُتَمَتِّعاً بها أو إلى الحَجِّ ، أو لَبَّى بحَجٍّ وَعُمْرَةٍ قارناً بينهما .

- **دَمُ الفِدْيَة** : هو الدَّم الذى يجب على الحاجِّ إذا حَلَقَ شَعْرَه لِمَرَضٍ أو شَئٍ يُؤْذِيه .

- **دَمُ الجَزاء** : هو الدَّم الذى يجب على المُحْرِم إذا قَتَلَ صَيْداً بَرِّيّاً .

- **دَمُ الإحْصار** : سببه انْحِباس الحاجّ أو المُعْتَمِر عن إتمام المناسِك، لِمَرَضٍ أو عَدُوٍ أو غير ذلك، ولا يكون قد اشْتَرَطَ عِند إحْرامِه.





- **دَمُ الوَطْءِ** : هو دم يُفْرَضُ على الحاج إذا وَطِئَ (جَامَعَ) أثناء حَجِّه .

- **الخِطْبَة** : هى طلب الزَّواج مِن المَرْأة بالوسيلة المعروفة بين الناس ، فإن حَصَلَتْ المُوافقة فهى مُجَرَّد وَعْد بالزَّوَاج، لا يَحِلُّ للخاطِب بها شَئ مِن المَخْطُوبَة، بل تَظَلُّ أجْنَبِيَّة عنه حتى يَعْقِدَ عليها .

- **الصَّدَاق** : (الأجْر أو المَهْر) هو حَق المرأة على الرَّجُل وهو مِلْكُ لها ، لا يَحِلُّ لأحَدٍ أيّاً كان أو غيره أن يأخذ منه شيئاً إلا إذا طابَتْ نَفْسُها بِهَذا الأخْذ ، وليس للصَّدَاق حَدُّ فى الشَّرع ، ولا يسقط أبَداً إلا مِن قِبَل الزَّوْجَة .

- **نِكاح الشِّغار** : هو أن يُزَوِّجَ الرَّجُلُ ابْنَتَه أو أُخْتَه أو غيرهما مِمَّن له الولاية عليه ، على أن يُزَوِّجَه الآخَرُ ابْنَه أو ابنَ أخِيه ابنَتَه أو أُختَه أو بِنْتَ أُخْتِه أو نحو ذلك ، وهو نِكاح فاسِد .

- **نِكاح المُحَلِّل** : هو أن يتزوج الرَّجُلُ المُطَلَّقة ثلاثاً، بعد انْقِضاء عِدَّتِها، ثُمَّ يُطَلِّقها لِتَحِلَّ لِزَوْجِها الأوَّل، وهو نكاح مُحَرَّم .

- **نِكاح المُتْعَة** : يُسَمَّى الزَّواج المُؤَقَّتْ والزواج المُنْقطِع ، وهو أن يَعْقِدَ الرَّجُلُ على المرأةِ يَوْماً أو أسْبوعاً أو شَهْراً أو غير ذلك مِن الآجال المعلومة ، وهو نكاح مُحَرَّم .

- **الإيلاء** : هو أن يَحْلِفَ الرَّجُلُ أنْ لا يَطأ زَوْجتَه مُدَّة دُونَ الأرْبَعة أشْهُر، والأوْلى إذا آلى أن يُكَفِّرَ اليَمِين.

- **الظِّهار** : هو أن يقول الرجل لزوجته أنتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّى ، فهو يُسَمَّى مُظاهِر ، وتَحْرُمُ عليه زوجته ، فلا يَطَؤُها ولا يستَمتِع بها بشئ حتى يُكَفِّرَ بما سَمَّاه اللهُ فى كِتابه فى سورة المُجادلة .

- **الطَّلاق** : هو حَلُّ رابطة الزَّوَاج بِلَفْظٍ صَرِيح أو كِنايَة ، وحُكْمُه الإباحَة وهو عِلاج اسْتِفْحال الخِلاف وشِدَّة الخُصُومَة بين الزَّوْجَيْن.

- **الخُلْع** : لُغَةً مأخوذ مِن خَلع الثَّوْب إذا أزَالَه ، لأن المرأة لِباس الرَّجُل، والرجل لِباس المرأة ، وهو فِراق الرَّجُل زَوْجَتَه بِبَدَلٍ يأخُذه منها (فِدْيَة) .

- **العِدَّة** : مأخوذ مِن العَدَد والإحْصاء ، أى ما تُحْصِيه المَرأةُ وَتَعُدُّه مِن الأيام والأقْراء (القُرُوء) جمع قُرْء - والعِدَّة : إسم لِمُدَّة تَتَرَبَّصُ (تنتظِر) بها المرأةُ عن التَّزْويج بعد وفاة زوجها أو فِراقِه لها ، وهذه المُدَّة إما بوضع الحمل أو بالقُروء أو بالأشْهُر حَسَب حال المرأة عند الطَّلاق.

- **الاسْتِبْراء** : طلب بَراءة الرَّحِم، ويكون بالعِدَّة، وإذا استَحْدَثَ الرَّجُل مِلْكَ أمَةٍ تُوطَأ حَرُمَ عليه الاستمتاع بها حتى تَطْهُر .

- **الحَضَانة** : هى حِفظ الطِّفل عما يضره والقيام بمصالحه .

- **الرِّكاز** : دَفْن الجاهِلِيَّة الذى يُؤخَذ مِن غير أن يُطَّلب بمالٍ ولا يُتَكَلَّفُ له كثير عَمَلٍ .

- **البُيُوع** : جمع بَيْع ، وَجُمِعَ لاختلاف أنواعه ، وهو نَقل مِلْكٍ إلى الغَيْر بِثمَن، والشِّراء قَبُوله، ويُطْلَق كل منهما على الآخَر، قال تعالى (وشَرَوْه بِثَمَنٍ بَخْسٍ) سورة يوسف ، أى باعوه .



- **بَيْع الغَرَر** : وهو كل بيع احتوى جَهَالة أو تَضَمَّنَ مُخاطَرَة أو قِماراً ، وهو مَنْهى عنه .

- **بَيْع المُلامَسَة** : بأن يلمِس كلُّ واحِدٍ منهما ثوْبَ الآخَر بغير تَأمُّل بلَيْلٍ أو نهار ، ولايُقلِّبُه ، وهو مَنهى عنه .

- **بَيْع المُنابَذَة** : أن يَنْبذ كل واحِدٍ منهما ثوْبَه إلى الآخَر ولم ينظر واحِدٌ منهما إلى ثوْب صاحِبه ، وهو مَنْهىٌّ عنه .

- **بَيْع حَبَل الحَبَلَة** : أن تَنْتج النَّاقة ثم تَحْمِل التى نَتَجَتْ فتُبَاع .

- **بَيْع الحَصَاة** : بيع شئ على رَمْى الحَصَى حتى تَصِلَ إلى مَكانٍ ما أو عَيْنٍ ما .

- **الخِيار** : طَلَب أمْرَيْن مِنَ الإمْضَاءِ أو الإلغاء فى البَيْع . ومنه خِيار المَجْلِس أى مَجْلِس العَقْد .

- **الرِّبَا** : الزِّيادَة : إما فى الشَّئ ، كقوله تعالى (اهْتَزَّتْ ورَبَتْ) أى زادَتْ ، وإما مُقابَلة كَدِرْهَم بدِرْهَمَيْن

- **ربا النَّسِيئَة** : هو الزيادة المَشْرُوطَة التى يأخذها الدَّائن مِنَ المَدِين نَظِير التَّأجيل .

- **ربا الفَضْل** : هو بَيْع النُّقود بالنقود أو الطَّعام بالطعام مع الزيادة ، وله أصْناف .

- **المُزارَعَة** : المُعامَلَة على الأرض ببعض ما يَخْرُجُ مِنها ، والمُراد بها : إعْطاء الأرض لِمَن يَزْرعها على أن يكون له النِّصْف مِمَّا يخرج منها أو نَحْوه .

- **المُساقاة** : هى دَفْع شَجَرٍ معلوم لِمَن يَقُوم بمَصالِحه بجُزْءٍ معلوم مِن ثَمَرِه كالنصف ونحوه .

- **إحْياء المَوَات** : المَوَات : الأرض لم تُعْمَر، وهو أن يَعْمَدَ الشَّخْصُ لأرضٍ لا يَعْلَم تَقدُّمَ مِلْكٍ لأحَدٍ عليها ، فيُحْيِيها بالسَّقْى أو الزَّرْع أو الغَرْس أو البناء ، فتَصير بذلك مِلْكه .

- **الإجارَة** : لُغَة الإثابة، وهى تَمْليك مَنْفَعَة رَقَبَة بعِوَض .

- **الشَّرِكَة** : هى الاختلاط ، وشَرْعا : هى ما يَحْدُث بالاختيار بين اثنين فصاعِداً لِتَحَصُّل الرِّبْح ، وقد تَحْصل بغير قَصْدٍ كالإرْث .

- **المُضارَبَة** : مأخوذة مِن الضَّرْب فى الأرض وهو السَّفَر للتِجارة، وتسمى قِراضاً وهو مُشْتَق مِن القَرْض ، وهو القَطْع، لأن المالك قَطَعَ قِطْعَة مِن ماله لِيَتَّجِرَ فيها وقطعة مِن رِبْحه، والمقصود بها : عَقْد بين طرَفَيْن على أن يَدْفَع أحدهما نَقْدا إلى الآخَر لِيَتَّجِرَ فيه والرِّبْح بينهما على ما يتفِقان عليه، والمُضارَبَة جائِزَة مُطْلَقَة أو مُقيَّدَة، ولا يَضْمَن العامِل إلا بالتَّعَدِّى والمُخالَفَة

- **السَّلَم** : السَّلَف وَزْنَاً وَمَعْنَىً، وحقيقته شَرْعاً : بَيْعُ مَوصوفٍ فى الذِّمَّة بِثَمَنٍ مُعَجَّلٍ .

- **الرَّهْن** : فى اللغة الاحتباس، مِن قَوْلِهم : رَهَنَ الشَئ إذا دام وثَبَتَ، وفى الشَّرْع : جَعْلُ مالٍ وَثِيقَة بدَيْنٍ لِيُسْتَوْفى مِنه إذا تَعَذَّرَ .

- **الحِوالَة** : مُشْتَقَّة مِن التَّحْويل، وعند الفُقهاء : نَقْلُ دَيْنٍ مِن ذِمَّة إلى ذِمَّة .



- **الوَدِيعَة** : التَّرْك وهى مأخوذة مِن وَدَعَ الشَّئ أى تَرَكَه وَسُمِّيَ الشَئ الذى يَدَعُه الإنسان عند غيره لِيَحْفَظه له بالوَدِيعَة .

- **العَارِيَّة** : هى إباحة المالك منافِعَ مِلكِه لِغَيْره بلا عِوَضٍ ومنها عارِيَّة مَضْمُونَة وأُخْرَى مُؤَدَّاة .

- **اللُّقَطة** : هى كُلُّ مالٍ مَعْصوم مُعَرَّض للضَيَاع لا يُعْرف مالِكه ، وكثيراً ما تُطْلَق على ما ليس بحيوان، أما الحيوان فَيُطْلَق عليه ضالَّة لا لُقَطَة .

- **اللَّقِيط** : هو الطِّفْل غَيْر البالِغ الذى يوجَد فى الشَّارِع، أو ضالّ فى الطريق، أوْ لا يُعْرَف نَسَبُهُ

- **الهِبَة** : هى تمليك الإنسان مالَه لِغَيْرِه فى الحياة بلا عِوَضٍ .

- **العُمْرَى** : نَوْع مِن الهِبَة مُؤَقَّت . أعْمَرْتُك إيَّاها مُدَّة عُمْرك ، مأخوذة مِن العُمْر ، وهى مَكْروهَة .

- **الرُّقْبَى** : نوع مِن الهِبَة مُؤَقَّت ، مأخوذة مِن المُراقبَة .

- **الغَصْب** : أخْذ حَقِّ الغَيْر بِغَيْر حق، وهو ظُلْم .

- **الشُّفْعَة** : لُغَة :مأخوذة مِن الشَّفْع وهو الزَّوْج ، وفى الشَّرْع هى : انتقال حِصَّة شَرِيكٍ إلى شَرِيكٍ كانت انتقلت إلى أجنبى بمِثْلِ العِوَض المُسَمَّى .

- **الوَكالَة** : التَّفْوِيض والحِفْظ ، وهى إقامَة الشَّخْص مقام نَفسِه مُطْلَقاً أو مُقَيَّداً

- **الأيْمَان** : هى تَوْكِيد الشَّئ بِذِكْر اسمٍ أو صِفَة لله تعالى .

- **اليَمِين اللَّغْو** : هى الحَلِف مِن غير قَصْدِ اليمين، كَقَوْل الرَّجُل : والله لتَأكُلنَّ، ولا تنعقِد هذه اليمين ولا كَفَّارَة لها .

- **اليَمِين الغَمُوس** : هى اليمين الكاذِبَة التى تهضم الحقوقَ أو التى يقصد بها الفِسْق والخِيانة ، ولا كفارة لها ، وهى مِن أكبر الكَبائِر التى تُوجِب التَّوْبَة .

- **اليَمِين المُنْعَقِدَة** : هى اليمين التى يقصدها الحالِف وَيُصَمِّم عليها، ويجب فيها الكَفَّارَة إذا حَنَثَ

- **النُّذُور** : جمع نَذْر، وأصْله الإنْذار بمعنى التَّخْويف، وهو إيجاب ما ليس بواجِب لحدوث أمْرٍ ما

- **الأطْعِمَة** : جمع طعام : وهى ما يأكله الإنسان ويتغذى به مِن الأقوات وغيرها .

- **الجَلَّالَة** : هى الدَّابة التى أكثر عَلَفها مِن النَّجاسَة، ولا يجوز أكلها ولا ركوبها حتى تُعْلَفَ بطاهِرٍ

- **الذَّكاة** : بالذَّال معناها التَّطْيُّب ، ومنه رائِحة ذَكِيَّة أى طَيبَة ، وسُمِّى بها الذَّبْح، لأن الإباحَة الشَّرْعِيَّة جَعَلَته طيباً ، ومعنى الذَّكاة : ذَبْح الحَيَوان أونَحْره ، فالحيوان الذى يَحِلُّ أكله لا يجوز أكل شَئ منه إلا بالتَّذْكِيَة ما عدا السَّمَك والجَراد .



- **الأُضْحِيَة** : هى اسمٌ لِما يُذْبَح مِن النَّعَم (الإبِل - البَقَر - الضَّأن) يوم النَّحْر وأيَّام التَّشريق تَقرُّباً لله

- **العَقِيقة** : اسم لِما يُذْبَح عن المَوْلود يوم سابِعِه وأفْضَلها شاة .

- **الوَصِيَّة** : مأخوذة مِن وَصَّيْتُ الشئ أوْصيته . إذا أوْصَلْته فَالمُوصِى وَصَّلَ ما كان فى حياته بعد موته ، وهى فى الشرع : هِبَة الإنسان غيره عَيْناً أو دَيْناً أو مَنْفَعَة على أن يَمْلِكَ المُوصَى له الهِبَة بعد موت المُوصِى .

- **الفَرائِض** : (المَوَاريث) جَمْع فَريضَة وهو مأخوذ مِن الفَرْض بمعنى التَّقْدير، وفى الشَّرْع النَّصيب المُقدَّر للوارث .

- **العَصَبَة** : جمع عاصِب ، وهم بَنُو الرَّجُل وَقَرابته لأبيه ، والمقصود بها هنا : مَن يُصْرَف لهم الباقى بعد أخْذ أصحاب الفروض فروضهم ، فإذا لَم يَبْقَ شئ منهم لَم يأخُذوا شيئاً إلا إذا كان العاصب ابناً ، فإنه لا يُحْرَم بحال، وإنما سُمُّوا عَصَبَة لأنهم عَصَبُوا به أى : أحاطوا به.

- **الحَجْب** : لُغَة : المَنْع ، والمقصود به مَنْع شَخْصٍ مُعَيَّن مِن ميراثه كله أو بعضه لوجود شَخْصٍ آخَر.

- **الحِرْمان** : هو مَنْع شَخْصٍ مُعَيَّنٍ مِن ميراثه بسبب تَحَقُّق مانع مِن مَوَانِع الإرْث كالقَتْل ونحوه

- **الحُدُود** : جَمْع حَد والحَدُّ فى الأصْل : الشئ الحاجِز بَيْنَ شَيْئَين، وهو فى اللُّغَة : المَنْع، واصْطِلاحاً : هى العُقوبات المُقَدَّرَة شَرْعَاً فى المعاصِى لِتَمْنَع مِن الوقوع فى مِثْلِها .

- **القَذْف** : هو الرَّمْى بالزِّنى، بأن يقول : يا زانِ أو غير ذلك مِن الألفاظ التى يُفْهَم منها رَمْيه غيره بالزِّنَى.

- **اللِّعَان** : أن يَقْذِف الرَّجُلُ امْرأته بالزِّنا فَتُكَذِّبه ، فَعَلَيْه الجَلْد إلا أن يُقيم البَيِّنَة أو يُلاعِن (سورة النور مِن الآية السادسة حتى الآية التاسعة) .

- **الحِرابَة** : هى خُروج طائِفَة مِن المُسْلِمين فى دار إسلام لإحْداث الفَوْضَى وَسَفْكِ الدِّماء وسَلْب الأموال وهَتْك الأعْراض وإهلاك الحَرْث والنَّسل مُتَحَدِّيَة بذلك الدِّين والأخْلاق والنِّظام والقانون ، ولها حَدٌ فى الشَّرْع يُسَمَّى حَدُّ الحِرابَة، وقد ذَكَره الله تعالى فى سورة المائدة.

- **الجِنايات** : جَمْع جِناية ، مَصْدَر جَنَى الذَّنْبَ يجْنِيه جِنايَة. أى جَرَّه إليه ، وقد تكون فى النَّفْس وفى الأطْراف ، وتكون عَمْداً وَخَطأً ، وهى فى الشرع : التَّعَدِّى على البَدَن بما يُوجِب قِصاصاً أوْ مالاً .

- **القَتْل العَمْد** : هو أن يقصد المُكَلَّفُ قتل إنسان مَعْصوم الدَّم بما يَغْلِبُ على الظَّنِّ أنه يُقْتَل به .

- **القَتْل شِبْه العَمْد** : هو أن يقصد المُكَلَّفُ ضَرْبَ إنسان بما لا يَقْتُل عادةً فَيَموت .

- **القَتْل الخَطأ** : هو أن يفعل المكلف ما يُباح فِعْلُه كَرَمْى صَيْدٍ أو نَحْوه فيقتل إنساناً .

- **الدِّيَة** : هى المال الذى يجب بسبب الجناية وَتُؤَدَّى إلى المَجْنِى عليه أو وَلِيِّه وهى تنتظم ما فيه القِصاص وما لا قِصاصَ فيه ، وتُسَمَّى الدِّيَة (العَقْل) وجمعها دِيَّات .

- **الدَّعَاوَى** : جَمْعُ دَعْوَى ، لغة الطَّلَب وهى فى الشَّرْع : إضافة الإنسان إلى نَفْسِه اسْتِحْقَاق شَئ فى يَدِ غَيْره .

- **المُدَّعِى** : هو الذى يُطالِب بالحق ، وإذا سَكَتَ عن المُطالَبَة تُرِكَ .

- **المُدَّعَى عليه** : هو المُطالَب بالحق وإذا سَكَتَ لَم يُتْرَك .

- **الجِهَاد** : قِتال الكُفَّار لإعْلاء كَلِمَة الله وَرَفْع رَايَة الإسلام فى سبيل الله تعالى وابتغاء وَجْهه .

- **السَّلَب** : مَن قَتَلَ كافِراً فى الحرب فَلَهُ سَلَبه أى مِن ثِياب أو حُلِىّ أو سِلاح وكذا الدَّابَّة التى قُتِلَ عليها

- **الفَئ** : هو ما أُخِذَ مِن الكفار مِن غير قِتالٍ كَمَالِهِم الذى تَرَكوه فَزَعاً ، والجِزْيَة والخَراج .

- **عَقْد الذِّمَّة** : أن يُقِرَّ الحاكمُ أو نائِبُهُ بَعْضَ أهْلِ الكِتاب أو غيرهم مِن الكفار على كُفْرهِم بِشَرْطَيْن : أن يَبْذلوا الجِزْيَة ، وأن يَلْتَزِموا بأحكام الإسلام .

- **العِتْق** : إزالة المِلك وهو تخلص العبد أو الرَّقيق مِن رِقِّهِ .

- **التَّدْبير** : هو تعليق العِتْق بالموت ، كقوله : إنْ مِتُّ فأنتَ حُرٌّ بعد مَوْتِى فإذا مات أُعْتِقَ إن كان مِن ثُلُثِ مالِهِ لا يَزيد .

- **الكِتابَة (المُكاتَبَة)** : تعليق عِتْقٍ بِصِفَة على مُعاوَضَة مَخْصوصة .

- **الوَلاء** : حَقُّ ميراث المُعْتِق مِن المُعْتَق ، ولا يَرِث صاحِبُ الولاء إلا عند عدم العَصَبات مِن النَّسَب ، ولا يجوز بَيْع الولاء ولا هِبَته (الولاء للمُعْتِق) .

- **الآبِق** : العبد الهارب مِن سَيِّدِه ، أَبَقَ يأبَق فَهُوَ آبِق .

- **ابْن لَبُون** : مِن الإبل ماله سَنَتان ودَخَلَ فى الثالِثة .

- **الإبراء** : أى إبْراء الذِّمَّة ، كأن يقول المَكْفول للكَفيل : أبْرَأتُكَ مِن كفالَتى .

- **الإحْصان** : مِن مَعانِيه العِفَّة وَسَبْق الزَّوَاج .

- **الأَرْش** : تَعْويض عَن تَلَف شئ سَبَّبَ فى نَقْصاً فى قِيمَته ، وأرْش الجِراحَة دِيَّتها .

- **الاسْتِحْداد** : حَلْق العانَة ، وهو الشَّعْر الذى ينبت فى أسْفَل البطن .

- **الاسْتِهْلال** : الصِّياح أو حَرَكَة يُعْلَم بها حياة الطِّفل ، اسْتَهَلَّ إذا صاح عند الوِلادَة .

- **أصْحاب الفُروض** : الوَرَثَة الذين لهم نصيب مُقَدَّر فى التَّرِكَة عبارة عن (النِّصْف ـ الرُّبُع ـ الثُّمُن ـ الثُّلُثان ـ الثُّلُث ـ السُّدُس) .



- **الإفاضَة** : الدَّفع مِن المَكان والتَّزاحُم ، ومِنه الإفاضَة مِن عَرَفات .

- **الإفْراد** : الإحْرام مِن المِيقات بِنِيَّة الحَجِّ وَحْدَهُ .

- **الأوْقاص** : جمع وَقْص ، وهو ما بين الفريضَتَيْن . وهو باتفاق العُلَماء عَفْوٌ لا زَكاةَ فيه ، فَمَثَلاً العَدَد بَيْنَ الأرْبَعين والمِائَة والعِشْرين مِن الغَنَم يُسَمَّى وَقْصاً .

- **الاضْطِباع** : جَعْل وسط الرِّداء تَحْت الإبِطِ الأيْمَن، وَطَرَفه على الكَتِفِ الأيْسَر، وتَبْقَى كَتِفُه اليُمْنَى مَكْشوفة .

- **الأيِّم** : مَن لا زَوْجَ له رَجُلاً كان أو امْرَأة . رَجُلٌ أيِّم، وامرأة أيِّم ، والجَمْع أيَامَى .

- **البازِلَة** : فى الشِّجاج ، وهى الدَّامِيَة التى يَخِرُّ مِنها دَمٌ يَسير .

- **البازِل** : مِن الإبِل ما دَخَلَ فى التاسِع واكْتَمَلَ قُوَّته .

- **البَدَنَة** : النَّاقة وتُجْزِئ عن سَبْعَة وكذا البَقَرَة ، والجمع بُدْن .

- **البُلُوغ** : ويكون بالاحْتِلام أو السِنِّ وأقصاه ١٨ سنة وأقلّه ١٥ واخْتُلِفَ فى الإنْبات ، وتزيد المرأة بالحَيْض .

- **بِنْتُ مَخَاض** : مِن الإبل ما لها سَنَة ، وَدَخَلَتْ فى الثَّانِيَة ، والمَخَاض آلام الوَضْع .

- **البَيْنونَة** : البُعْد والمُفَارَقة ، والبائِن التى لا رَجْعَة لِزَوْجها عليها لانْقِضاءِ عِدَّتِها ، فإذا لَم تَكْتَمِل الطَّلَقات الثَّلاث ، يَلْزَم عَقْد وَمَهْر جَدِيدانِ طالَما انْقَضَتْ عِدَّتُها ، وأمَّا البَيْنُونَة الكُبْرَى فهو المُكَمِّل للثَّلاث ، ولا تَحِلُّ إلا بَعْد نِكاح زَوْج آخَر غَيْر زوجها الذى بانَتْ منه .

- **بَيْع التَّلْجِئَة** : كِتابة عَقْد، والتَّظاهُر بالبَيْع مِن غير نِيَّة أو صِيغَة .

- **بِنْت اللَّبُون** : هى التى تَمَّ لها سَنَتان وَدَخَلَتْ فى الثالِثَة .

- **التَّبيع** : مِن البَقَر ما لَها سَنَة ، وسُمِّيَ بذلك لأنه يَتْبَع أُمَّه فى المَرْعَى .

- **التَّركَة** : ما يتركه المَيت مِن الأموال مُطْلَقاً .

- **الاسْتِثْفار** : شد المرأة خِرْقَة أو قُطْنَاً على فَرْجِها لِمَنْع سَيَلان دم الحَيْض .

- **التَّسَرِّى** : مَصْدره تَسَرَّى تَسَرِّياً ، إذا أَخَذَ سُرِّيَّتَه .

- **التَّمَتُّع** : الاعْتِمار فى أشْهُر الحَجِّ ، ثُمَّ يَحُجُّ مِن عامِه الذى اعْتَمَرَ فيه .

- **الثَّنىّ** : مِن المَعْز ما له سَنَة .

- **الثُّنْيَا** : الاستثناء مِن البيع .

- **الثَّنية مِن الإبل** : ما دَخَلَتْ فى السَّنَة السادِسة من عمره لأنها أَسْقَطَت ثَنِيَّتها .



- **الثَّيِّب** : مَن سَبَقَ له الزَّواج رَجُلاً كان أو امرأة .

- **الجائِحَة** : ما أتْلَفَ المالَ كالحَريق ونَحْوِه .

- **الجائِفَة** : فى الشّجاج وهى الجِراحة التى تصل إلى الجَوْف وفيها ثُلُثُ دِيَة .

- **جُبَار** : أى هَدْر ليس له قِيمَة تُقَدَّر .

- **جَذْعَة الضَّأن** : الشّاة أتَى عليها أكْثَر مِن سَنَة ، جَذَعَة الغَنَم ما لَها سِتَّة أشْهُر .

- **جَذَعَة** : مِن الإبل : ما لها أرْبَع سِنِين وَدَخَلَتْ فى الخامِسَة .

- **الجِزْيَة** : ما يَدْفَعُه أهْلُ الذِّمَّة لِلحُكُومَةِ الإسلامِيَّة نَظِير تأمينهم ورعايتهم .

- **الجِمار** : الحِجارة الصغيرة التى تُرْمَى بِمِنَى ، وهى جَمْرَة العَقَبَة والوسْطَى والصُّغْرَى.

- **الجَوارِح** : السِّباع الهائِمَة والطُّيور الجارِحَة.

- **الحَالِقَة** : التى تحلِق رأسها عند المُصيبَة.

- **الحِجَامَة** : أخْذُ الدَّم بِالمِحْجَم بعد تشريط الجِلد ، وقد تكون جاقَّة دون إدْمَاء .

- **حِقَّة** : ما لَها ثلاث سِنِين وَدَخَلَتْ فى الرابعة ، وسُمِّيَتْ بذلك لأنها اسْتَحَقَّتْ أن تُرْكَب ويطرقها الفَحْلُ.

- **الحِنْث** : أى الإثم لِفِعْلِ شَئ حَلَفَ على تَرْكِه ، أو تَرْك شَئ حَلَفَ على فِعْلِه .

- **الخِتَان** : قَطْع الجِلدَة التى تُغَطِّى الحَشَفَة (رأس عُضْو التَّذْكِير)، والختان في المرأة : قطع أدنى جزء من الجلدة التي في أعلى الفرج وهي فوق مخرج البول، تشبه عرف الديك

- **الخَرْص** : الحَزر أو التَّخْمِين أو التَّقْدِير.

- **الخُفّ** : خاص بالإبِل - والحافِر خاص بالخَيْل ، والخُف : جَوْرَب مِن جِلد وَنحوه يُلْبَس فى الأرْجُل

- **الخَلِفَة** : الحامِل مِن النُّوق (جمع ناقة)

- **الخَلوف** : تَغَيُّر رائِحَة الفَمِّ بِسَبَب الصِّيام.

- **الخُنْثَى** : المُشْتَبَه فى أمْرِه ، فلا يُعْرَف أذَكَرٌ هو أم أُنْثَى ؟

- **الخِمار** : غِطاء الرأس مع الصَّدْر ، الدِّرْع : القَمِيص.

- **ذات عَوَار** : هى العَوْراء المُصابَة فى عَيْنِها.

- **الذِّمَّة** : العَهْد والأمان.



- **ذوو الأرْحام** : كل قريبٍ ليس بذى فَرْضٍ ولا عَصَبَة.

- **الرِّباط** : الإقامَة فى الثُّغور تجاه العَدُو .

- **الرَّد** : رَدُّ ما بَقِى مِن أصْحاب الفُروض إليهم بِنِسْبَة فُروضهم عند عَدَم اسْتِحْقاق الغَيْر .

- **الرُّسْغ** : المِفْصَل بَيْنَ السَّاعِد والكَفِّ .

- **الرُّقبَى** : نوع مِن الهبات المُؤَقَّتَة، مأخوذ مِن المُراقبَة وهى: أن يقول رَجُلٌ لآخَر : أرْقَبْتُك دارى لك فى حياتك فإن مِتَّ قَبْلِى رَجَعَتْ إلَىَّ، وإنْ مِتُّ قَبْلَكَ فهى لك ولِعَقِبِكَ ، وسُمِّيَتْ بذَلِك لأن كل واحِدٍ يَرْقُبُ مَوْتَ صاحِبه.

- **الرَّفث** : ما فَحُشَ مِن الكلام ، وقد يُطْلَق على الجماع ، وقد يُقْصَد به الفِسْق .

- **الرَّمَل** : المَشْى السَّريع مع هَزِّ الكَتِفَيْن .

- **السَّائِمَة** : التى تَرْعَى فى الكَلأ المُباح مِن الإبل والغَنَم وغيرها .

- **السَّقْط** : الوَلَد ينزل مِن بَطن أمِّه قبل تمام مُدَّة الحَمْل وبعد تَبَيُّن خَلْقِه .

- **سُلامَى** : عَظْم البَدَن وَمَفَاصِله .

- **الشَّاقَّة** : التى تَشُقُّ ثَوْبها فى مُصيبَة ونحوها .

- **الشَّبَق** : شِدَّة ثَوَران الغَريزَة والرَّغْبَة فى الجماع .

- **الصَّائِل** : الواثِب على الغَيْر بِغَيْر حَقٍّ بِقَصْد الاستطالة .

- **الصَّاع** : ما يُساوِى أرْبَعَة أمْداد والمُد مِلء الكَفَّيْن.

- **الصَّالِقة** : التى تَرْفَع صَوْتها بالنَّدْب والنِّيَاحَة .

- **الصَّرْد** : نَوْع مِن الغِرْبان .

- **طروقة جَمَل** : التى يَطْرقها الفَحْل .

- **الطَّلاق البائِن** : المُكَمِّل للثلاث (بَيْنونَة كُبْرَى) ، أو الطَّلاق قبل الدُّخول أو الطَّلاق على عِوَض (الخُلْع)

- **الظِّئْر** : بالكَسْر ، المُرْضِعَة غير وَلَدِها ، ويقال لِزَوْجِها أيضاً .

- **العاقِلَة** : عَصَبَة الرَّجُل وَقَرَابَته الذُّكُور البالِغون المُوسِرونَ العُقَلاء ، وقيل الذين يَعْقِلونَ أى الدِّيَة . والعَقْل : الدِيَة

- **العَثَرِى** : ما يشرب بعرقه دون سَقْى .

- **العَجْفاء** : الهَزِيلَة مِن الماشِيَة .

- **العِفاص** : الوعاء مِن جِلْد أو قماش الذى يكون فيه الشَّئ مِن قِدْرٍ وغيره .

- **العِنان** : أن يَشْتَرك اثنان فى مالٍ لهما بقصد التِّجَارَة، والرِّبْح بينهما مِن غير تَسَاوٍ فى المال أو التَّصَرُّف أو الرِّبْح .

- **العِنَّة** : ارْتِخاءٌ فى عُضْو الذُّكورَة يَمْنَع مِن مُمَارَسَة الجِماع ، فهو عِنِّين. أما المَجْبُوب مَن قُطِع ذَكَرُه.

- **العواتِق** : البِكْر البالِغَة لأنها عُتِقَتْ مِن الابْتِذال وَتَصرُّف الطُّفُولَة .

- **العَوْل** : زِيادَة فى سِهام ذوى الفُروض، ونُقْصان فى مَقادير أنْصِبتهم فى الإرْث .

- **الغُلُول** : السَّرِقة مِن الغَنِيمَة قبل قِسْمَتِها .

- **الغَنِيمَة** : المال الحاصِل للمسلمين مِن الكُفَّار أهْل الحَرْب بِقِتال أو عَنوة (قَهْراً وقَسْراً).

- **الفَصْد** : أخْذ الدَّم مِن أى عُضْو غير الرأس .

- **فوَاق** : أى قَدْر الوَقْت الذى تُحْلَبُ فيه النَّاقة .

- **القائِف** : هو الذى يَتْبَعُ الأشْباه والآثار وَيَقْفُوها .

- **القانِع** : السّائِل .

- **القِران** : الإحْرام مِن الميقات بِنِيَّة الحَجّ والعُمْرَة مَعَاً .

- **القُرُوء** : جَمْعُ قُرْء ، ويُطْلَق على الحَيْض والطُّهْر . ويجمع أيضاً على أقْراء .

- **القسَامَة** : هى الأيْمان فى الدِّماء تُكَرَّر فى دَعْوَى القَتْل .

- **القِصاص** : تَوْقِيع العُقُوبَة على الجانِى .

- **القَوَد** : معناه أن يُقادَ الجانِى إلى أوْلِياء القَتِيل لِيَقْتَصُّوا منه إن شاءوا ، وهو مِن القِصاص .

- **القَزَع** : حَلْق بعض الرأس وَتَرك بعضه ، وهو مَنْهِىٌّ عَنه .

- **الكاشِح** : الذى يُضْمِر العَدَاوَة .

- **الكَفَّارَة** : ما يُكَفِّرُ الذَّنْب أى يَسْتُره .

- **الكَلالَة** : الرَّجُل يموت لا أصْل له ولا فَرْع ، قال تعالى (يستفتونك فى الكَلاَلَة ....) النساء .

- **المَأمُومَة** : فى الشِّجاج ، والمَقصود بها شَجَّة الرأس تَصِل إلى الدِّماغ ، وفيها ثُلُثُ الدِّيَة .

- **الماذِيانات** : ما يَنْبت على حافَّة الأرض ومَسَايل الماء .





- **المُتْعَة** : تُطْلَق على الزَّواج المُؤَقَّت ، كما تُطْلَق على المال الذى يُعْطيه الزَّوْجُ لِزَوْجَتِه التى طَلَّقها قبل الدخول بها ولَمْ يَفْرِض لها مَهْر ، والتَّمَتُّع نَوْع مِن أنْواع الإحْرام بِالحَجِّ .

- **المُحاقَلَة** : بَيْع الزَّرْع بِكَيْل مِن الطَّعام معلوم ، وهو مِن الحَقْل ، والمُحاقِل : المُزارِع .

- **المُخاضَرَة** : بيع الثَّمَرَة الخَضارة قبل بُدُوِّ صَلاحِها .

- **المُزابَنَة** : بَيْع ثَمَر النَّخْل بِأَوْسُق (جَمْع وَسَق) مِن التَّمْر ، وبيع العِنَب بِالزَّبيب كَيْلا .

- **المُسِنَّة** : مِن البَقَر ما لها سَنَتان ، وَسُمِّيَتْ بذلك لِتكامُل سِنِّها .

- **المُصَرَّاة** : ما حُبِسَ اللَّبَنُ فى ضِرْعِها مِن شاةٍ وَنحوها بِقَصْد غِشِّ المُشْتَرى .

- **المُعاهَد** : مَن له عَهْدٌ مع المُسلِمين إمَّا بِأمان مِن مُسْلِم أو هُدْنَة حاكِم أو عَقْو جِزْيَة .

- **المُعْتَرّ** : الذى يتعرض لطلب اللَّحْم وأكْلِه .

- **المُناسَخَة** : أن يَموت وَرَثَة بعد وَرَثَة ، وأصْل المِيراث قائِم لَمْ يُقَسَّم .

المَوَالِى : الأرِقَّاء الذين أُعْتِقوا . جمع مَوْلَى .

- **المُنَقِّلَة** : مِن الشِّجاج وهى التى تُوَضِّح وَتُهَشِّم العَظْم حتى ينتقل منها العِظام وفيها خَمْس عَشرة مِن الإبل .

- **المُوبِقات** : أى الكَبائِر مِن الذُّنوب ومعناها المُهْلِكات .

- **المَوْقوذة** : الدَّابَّة التى ضُرِبَتْ فَقُتِلَت ومِثْلها التى ماتت بِالصَّعْق الكهربائى ونحوه .

- **المُوَضِّحَة** : مِن الشِّجاج وهى التى تكشف عن العَظْم ، وفيها خَمْس مِن الإبل وهى كل جرح ينتهى إلى العَظْم فى الرأس والوَجْه .

- **النَّامِصَة** : التى تَنْتِف شَعْرَها بِالنماص (الملقاط) عن حاجبها.

- **النَّذْر** : التِزام المُكَلَّف قُرْبَة غير واجبة شرعاً.

- **النُّسُك** : الأضاحِى.

- **النِّصاب** : الحَدُّ الشَّرْعِى الذى قَدَّرَه الإسلام لِما تَجِب فيه الزَّكاة .

- **النَّصْل** : السَّهْم .

- **النَّضْح** : ما يُسْقَى بِآلَة مِن بِئْر وغَيْرها .

- **الهَدْى** : ما يُهْدَى مِن النَّعَم إلى الحَرَم تَقَرُّباً إلى الله تعالى .

- **الهَرِمَة** : التى كَبِرَتْ وَسَقَطَتْ أسْنانها .





- **الودْجان** :عِرْقانِ غَلِيظانِ فى جانِبَىّ ثغْرَة النَّحْر (العُنُق) ، المُفْرَد : وَدَج، والجمع : أوْداج

- **الوَسَق :** سِتُّون صاعاً ، وخَمْسة أوْسُق تُساوى ١٦٠٠ رَطْل عِراقى والرَّطْل العِراقى ١٣٠ درهم

- **الوّشْر** : وَشْر الأسنان وتَفْلِيجها للتَّجَمُّل .

- **الوَصْل** : وهو وَصْل الشَّعر بالشَّعْر .

- **الوصال** : ترك ما يُفَطِّر بالنَّهار عَمْداً فى ليالى الصيام ، وهو مَنْهى عنه ، فلا بد مِن صيام اليوم ولو بوَجْبَة واحِدَة .

- **الوكاء** : الخّيْط الذى تربط به الصُّرَّة ونحوها، والوِكاء : الغِطاء

- **الوَشْم** : غَرْز الجِلْد بإبرة ثم يُذَرُّ مكانه ما يجعله يَخْضر، وفى الحديث (لَعَنَ اللهُ الواشِمَة والمُسْتَوْشِمة

- يَوْم التَّرْوِيَة : اليوم الثامِن مِن شَهْر ذى الحِجَّة، وفيه يتَّجِه الحُجَّاج إلى مِنَى حامِلِين معهم ما يحتاجون إليه مِن ماء.

انتهت بعض المصطلحات الفقهية ولله الحمد والمنة وصلى الله على محمد وآل وصحبه وسلم





قَوَاعِدٌ وأُصُولٌ فِقْهِيَّةٍ

إعداد

محمد حسن نور الدين إسماعيل



قَوَاعِدٌ وأُصُولٌ فِقْهِيَّةٍ (١)

عِلْم الفِقْه اصْطِلاحاً : هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المُكْتسَبة مِن أدلتها التفصيلية.

تعريف علم أصول الفقه اصطلاحا : هو العلم بالقواعد والبُحُوث التى يُتَوَصَّل بها إلى استفادة الأحكام الشرعية العملية مِن أدلتها التفصيلية . وهو عِماد الفقه المُقارَن.

علم أصول الفقه = بُحُوث استدلالية + ضَوابط لُغَوِيَّة .

فالأُصُولِى يبحث فى العامّ ويُقَيِّدُه، والأمر وما يدل عليه وهكذا.

وهذه القواعد الكلية وغيرها مما يتوصل الأُصُولىُّ ببحثه إلى وضعها يأخذها الفَقِيه قواعِد مُسَلَّمة ويطبقها على جُزْئيات الدليل الكُلِّى ليتوصل بها إلى الحُكْم الشرعى العملى التفصيلى فيطبق قاعدة الأمر للإيجاب على قوله تعالى (يا أيها الذين ءَامَنوا أوْفوا بالعقود ...) ويحكم على الإيفاء بأنه واجب، ويطبق قاعدة النَّهْى للتحريم على قوله تعالى (يا أيها الذين ءَامَنوا لا يسخر قَوْمٌ مِن قَوْمٍ .....) ويحكم على السُّخْرِيَة بأنها حرام .

الأدلة الشرعية التى يُسْتَدَل بها على الحُكْم الشَّرْعِىّ :

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ السُّنَّة النبوية الصَّحِيحَة .

٣ ـ الإجْماع .

٤ ـ القِياس (بضوابطه المعروفة) .

٥ ـ مَذْهَب الصَّحابى .

٦ ـ شَرْع مَن قَبْلَنا (ما لَم يُخالِف شَرْعَنا) .

٧ ـ الاستِصْحاب (استِصْحْاب الأصْل) .

٨ ـ المَصالِح المُرْسَلَة .

٩ ـ الاسْتِحْسَان .

١٠ ـ العُرْف (ما لَم يُخالِف الشَّرْع ومقاصده)

أقسام الحُكْم الشرعى التَّكْليفِى وهى خمسة :

١ ـ الواجِب : وهو ما أمَرَ به الشارع أمْرَاً على سبيل الحَتْم والإلزام ، بحيث يُثاب فاعِله ويُمْدَح، ويُعاقَب تاركه ويُذَم . كقوله تعالى (وأقيموا الصلاة وءَاتُوا الزَّكاة ...)، وينقسم الواجب إلى :
- واجب عَيْنِى : يجب على كل أحد بعَيْنه أن يقوم به (كالصلوات الخمس) .



- واجب كِفائِى : إذا قام به البعض سقط الإثمُ عن الآخَرين وإذا لم يَقُم به أحَدٌ أثِموا جميعــــــاً (كصلاة الجنازة) .

٢ ـ **المَنْدوب** : وهو ما أَمَر به الشارع أمْراً لا على سبيل الحتم والإلزام ، بحيث يُثاب فاعِلُه ويُمْدَح ، ولا يُعاقب تاركه ولا يُذَم . كأمر النبى صلى الله عليه وسلم بالتَّسَوُّك.

٣ ـ **المُحَرَّم** : وهو ما نَهَى عنه الشارع نَهْيَاً على سبيل الحتم والإلزام ، بحيث يُثاب تاركه ويُمْدَح، ويُعاقب فاعِله ويُذَم كأكل الرِّبَا والسَّرِقة والزِّنَى ، وينقسم المُحَرَّم إلى محرم لِذَاتِه كالزِّنَى، ومحرم لِعارض كالبيع الذى فيه غِش ، فأصل البيع الحِل ولمَّا أتى عليه عارض الغش صار محرماً

٤ ـ **المَكْرُوه** : وهو ما نَهى عنه الشارع نَهْياً لا على سبيل الحتم والإلزام، بحيث يثاب تاركه ويُمْدَح، ولا يُعاقب فاعِله ولا يُذَم، ولا يستحِق اللوم . ككراهة تقبيل الزوجة حال الصيام .

٥ ـ **المُباح** : وهو ما خَيَّرَ الشارعُ المُكَلَّفَ بين فِعْله وتَرْكه . كقوله تعالى (أُحِلَّ لكم ليلة الصيامِ الرَّفَثُ إلى نِساءِكم .....) البقرة .

مَقاصِد الشَّرْعْ :

المَقْصد العام مِن التَّشْريع هو : تحقيق مصالِح الناس بكَفالة ضرورياتهم، وتوفير حاجياتهم وتحسيناتهم ، والذى يُرَجِّح النصوص عند تعارض ظاهرها هو مقصد الشرع، وهو الهادى للاستدلال المراد شَرْعاً، وقد شرع الإسلام للأمور الضرورية للناس أحكاما تكفل حِفْظها وصيانتها وهى خمسة مقاصِد :

١ ـ **الدِّين** : فقد شُرِعَ لإيجاده وإقامته إيجاب الإيمان وأحكام قواعد الإسلام وإقامة الصلاة وسائر العقائد وأصول العبادات وإقامة الدين وأحكام الجهاد لِحِفْظِه، وشرع عقوبة مَن يَرْتَدُّ ، ومَن يبتدِع فى الدِّين أو يُحَرِّف، والحَجْر على المُفْتِى الماجِن الذى يُحِلُّ ما حَرَّمَ اللهُ ورسولُه أو العكس

٢ ـ **النَّفْس** : فقد شُرِع لإيجاد النَّفْس الزَّوَاج والتناسُل وبقاء النوع، وإيجاب الطعام والشراب والملبس والقِصاص والدِّيَة وتحريم الإلقاء فى التَّهْلُكَة ودفع الضرر .

٣ ـ **العَقْل** : فقد شُرِعَ لحفظه تحريم الخَمْر ، وكُل مُسْكِر ، وعِقاب مَن يشربها أو أى مُفَتِّر .

٤ ـ **العِرْض** : فقد شُرِع لِحِفظه حَدُّ الزَّانى والزَّانِيَة وحد القاذِف ، و الأمر بِغَضِّ البصر وحفظ الفَرْج ، والنَّهى عن مُصافحة النساء الأجْنَبيَّات .

٥ ـ **المال** : فقد شرع لتحصيله وكسبه والسعى للرزق وإباحة المعاملات والتجارة ، وتحريم السَّرِقة وحد السارق وتحريم الغِش والخيانة والرِّبا وإتلاف مالِ الغَيْر وتضمين مَن يُتْلِف مالَ غيره والحَجْر على السَّفِيه وذى الغَفْلَة.

قواعِد أصُولِيَّة :

- (الضَّرَر يُزالُ شَرْعاً) كالأمر بقتال الضار مِن الحيوانات كالحَيَّة والعَقرَب والكَلْب العَقُور .

- (الضَّرَر لا يُزال بالضرر) كعدم جواز أن يحفظ الإنسان مالاً بإتلاف مال غيره .

- (يُتَحَمَّل الضرر الخاص لِدَفْع الضَّرر العام) كالحَجْر على المُفْتِى الماجِن أو الطَّبيب الجاهِل.

- (يُرْتَكَب أخَفُّ الضَّرَرَيْن لاتِّقاءِ أشَدِّهما) إذا عَجَز مُريد الصلاة عن التطهر أو سَتْر العَوْرَة أو استقبال القِبْلَة، صلَّى كما قدَر؛ لأن الشروط أخف مِن تَرْك الصلاة .

- (دَفع المَضار مُقَدَّم على جَلْبِ المنافِع) أو (دَرْء المَفاسِد مقدم على جلب المصالِح) يكره للصائم أن يُبالِغ فى المضمضة والاستنشاق .

- (الضَّرورات تُبيح المَحْظورات) كَمَن اضْطرَّ فى مجاعة أكل المَيْتَة ، لكِن بِقَدْر ما يَسُدُّ الرَّمَق

- (الضرورة تُقَدَّر بِقَدْرِها) ليس للمُضطر أن يتناول المُحَرَّم إلا بِقَدْر ما يسد الرَّمَق .

- (المَشَقَّة تَجْلِب التَّيْسير) وَمِن فروعها جميع الرُّخَص التى شَرَعها اللهُ تخفيفاً عن المُكلف لسبب مِن الأسباب التى تقتضِى هذا التخفيف ، وهذه الأسباب بالاستقراء سَبْعَة هى :

١ ـ السَّفَر ٢ ـ المَرَض ٣ ـ الإكْرَاه ٤ ـ النِّسْيان ٥ ـ الجَهْل

٦ ـ عُمُوم البَلْوَى ٧ ـ النَّقْص (مِثل رفع التكليف عن فاقِد الأهَلِّيَّة كالطِّفْل والمَجْنون)

- (الحَرَج مَرْفوع شَرْعاً) وكلما ضاق الأمر اتَّسَع .

- (الحاجات تَنْزِل مَنْزِلَة الضَّرورات فى إباحة المحظورات) كالترخيص فى بيع السَّلَم وبيع الاستصناع

- (إذا تعارَضَ المُحَرَّم والمُبيح قُدِّمَ المُحَرَّم) (١) .

- (لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجَة) لأن ذلك يؤدِى إلى التكليف بما لا يُطاق وهو مَمْتَنع شرعاً .

- (تأخير البيان عن وقت الخِطاب إلى وقت الحاجة جائز وواقِع عند الجُمْهُور) .

- (كل ما وَجَبَ بيانه فالتعريض به حرام) لأنه كِتْمان وتَدْليس ، ويدخل فى هذا الإقرار بالحق والشهادة والفُتْيا والحديث والقضاء ، وإن جاز بيانه وكِتمانه فحيث كانت المصلحة ، وإنْ تساوَتْ جاز التعريض والتصريح .

- (خَبَر الواحِد حُجَّة شرعية فى جميع العُصور) .

- (إتفاق الخُلَفاء الراشِدِين وَحْدَهُم لا يكون إجْماعاً) لأنهم بعض الأمة والإجماع هو قول جميع الأمَّة

- (لا إجماع إلا بدليل يَسْتَنِد إلى نَص شرعى) .

- لا يمكن أن يقع إجماع على خِلاف نص أبداً ، ولا على خلاف إجماع سابق .

---

(١) انظر كتاب (عِلم أصول الفقه) للشيخ / عبد الوهاب خلاف - رحمه الله تعالى -

- (الإجْماع لا يكون ناسِخاً لِحُكْمٍ وكذا القِياس) . لأن الإجماع لا ينعَقِد إلا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، وبعد وفاته ينقَطِع النَّسْخ .

- (لا يَثبت التكليف إلا مع القُدْرَة) (لا تكليف إلا بمَقدور) .

- (العِبْرَة فى الأحكام الشرعية بالحقائق والمعانى لا بالألفاظ والمَبانى)(١) .

- (العِبْرَة فى الأمور بمعانيها لا بصُوَرها) .

- (البَدَل له حُكْم المُبْدَل مِنْه) كالتيمم بدل للوضوء .

- (عدم السَّبَب المُعَيَّن لا يقتَضِى السبب المُعَيَّن) مثل الدعاء سبب فى جلب الرزق ، ويمكن أن يرزق بلا دعاء .

- (الفرع أضْعَف مِن الأصل) .

- (القضاء يحكى الأداء) كَمَن قضى صلاة فاتته فكَأنه أدَّاها .

- (كل ما وَجَبَ فى العِبادَة فإن تفويته مُبْطِل لها) .

- (اليقين لا يزول بالشَّك) .

- (الشَّئ فى مَعْدِنِه لا حُكْمَ له) فإن النجاسة تكون داخل بدن الإنسان ولكنه لا ينجس وإذا خَرَجَتْ منه فحكمها النَّجاسَة .

- (ما شُكَّ فى وجوده فالأصل عَدَمه)(٢)





(١) انظر كتاب (معالِم أصول الفقه) للشيخ / محمد بن حسين بن حسن الجِيزانِى ط ١ سنة ١٤٢٦ هـ

(٢) مِن فتاوى الشيخ ابن عُثَيْمين رحمه الله تعالى ، رواها عنه الشيخ محمد صالِح المُنَجِّد فى أحد الأشرطة بعنوان (مائة فائِدَة لابن عُثَيمين)





نُبْذَةٌ عَن تَرَاجِمِ الأَئِمَّةِ الأَرْبَعَةِ

الإمَام أَبُو حَنِيفَة ـ الإمام مالِك بن أَنس

الإمام الشَّافِعِيّ ـ الإمام أَحْمَدُ بن حَنْبَل

إعداد

محمد حسن نور الدين إسماعيل



نُبْذَةٌ عَن تَراجِمِ الأَئِمَّةِ الأَرْبَعَةِ رَحِمَهُمُ اللهُ تَعالى

الإمام أبو حَنِيفَة ـ الإمام مالِك بن أنَس ـ الإمام الشَّافِعِيّ ـ الإمام أحْمَد بن حَنْبَل

١ـ الإمام أبو حَنِيفَة : (ت ١٥٠ هـ)

أبو حنيفة هى الكُنْيَة التى اشْتُهِرَ بها، أما اسمه فهو النُّعْمان بن ثابت بن زوطى، وهو تَيْمِى بالوَلاء، إذ كان مولىً لِتَيْم اللهِ بن ثعلبة الكوفى، ولكن أصله مِن فارس، وهو تابعى لأنه رأى مِن الصحابة أنس بن مالك، وسهل بن سعد الساعدى، وعبد الله بن أبى أوْفَى، وأبا الطفيل عامر بن واثلة، وروى عن بعض هؤلاء، ويقول بعض العلماء أنه روى عنهم جميعا .

أخذ أبو حنيفة الفقه والحديث عن عطاء، ونافع، وابن هرمز، وحماد بن أبى سليمان، وعمرو بن دينار وغيرهم، وروى عنه أصحابُه : أبو يوسف، وزُفَر، وأبو مطيع البَلْخِى، وابن المُبارك، والحسن بن زياد، وداود الطائى، ووَكيع، وآخرون .

وقد شهد له العلماءُ بِسَعَة المَعْرِفَة، والفقه، وقوة الحُجَّة، قال الشافعى : (الناس فى الفقه عِيال عَلَى أبى حنيفة) ، وقال اللَّيث بن سَعْد : (قابلتُ مالِكاً بالمدينة فقلت له : إنى أراك تمسح العَرَقَ عن جَبينك، قال : عرقتُ مع أبى حنيفة، إنه لفقيه يا مِصْرى) ثم لَقِيتُ أبا حنيفة فقلتُ له : ما أحْسَنَ قول هذا الرَّجُل فِيك، فقال أبو حنيفة : (ما رأيتُ أسرعَ منه بجواب صادق ونَقْدٍ تام) .

وهو بِلا رَيْب فَقِيه أكثر منه مُحَدِّثاً، ولكن معرفته بالحديث لم تَكُنْ قليلة إلى الحَدِّ الذى يُصَوِّره البعض . فقد جمع له محمد بن محمود الخَوَارزْمِى خمسة عشر مُسنداً، وفى كتاب (الآثار) لصاحبه محمد بن الحسن كثير مِن الأحاديث التى أخذها عنه، ولكنَّ الفقه ظل الصفة البارزة فيه وَحَسْبه أنه مُؤَسِّس المَذْهَب الحَنَفِى المسمى باسمه، وإمام أهل الرأى .

ولقد كان أبو حنيفة تَقِيًّا وَرِعاً، يكسب حياته مِن عمل يده، ولا يقبل جوائز العلماء، إباءً وأَنَفَةً وترفعاً بكرامة العلماء أن تُذَلَّ أو تُهان . أراد أبو جَعْفَر أن يُكْرِهَه على القَضاء ، وحَبَسه وضربه مائة سَوْطٍ وعشرة أسواط كل يوم عشرة، ليحمله على قبول المَنْصِب، ولكنَّه أَبَى،

وتُوُفِّيَ بالسجن سنة ١٥٠ هـ في بغداد، وفيه يقول ابنُ المُبارك : (أفْقه الناس أبو حنيفة، ما رأيتُ في الفِقْه مِثْله، ولولا أنَّ اللهَ تعالى أغاثَنِي بأبي حنيفة لَكُنْتُ كسائر الناس .

٢ ـ الإمام مالِك بن أنَس : (ت ١٧٩ هـ)

هو إمام أهل المدينة، وأمير المؤمنين في الحديث ، مالك بن أنس بن أبي عامر الأصْبَحي، نسبة إلى ذِي أصبح مِن مُلوك اليمن، وكان يكنى أبا عبد الله وفيه يقول الشافعي (مالك حُجَّة الله على خَلْقه بعد التابعين)، ويقول ابنُ حَيَّان : (كان مالك أول مَن انتقَى الرجال مِن الفقهاء بالمدينة، مع الفقه والدين والفضل والنسك وبه تَخَرَّجَ الشافعي)، ويقول النسائيُّ (ما عندى أنْبَل من مالك ولا أجَلّ مِنه، ولا أوْثَق، ولا آمَن على الحديث منه، ولا أقل رواية عن الضعفاء . ماعَلِمْنَاه حَدَّث عن مَتْروك إلا عبد الكريم (يريد عبد الكريم بن أبي المُخارق البَصْرى) نَزيل مَكَّة لأنه كان حَسَن السَّمْت، كثير التضرع، ولم يكن مِن أهل بلد مالك ، فَخَفى عليه أمره، على أنه لم يُخَرِّج له إلا شيئاً مِن فضائل الأعمال، أو زيادة مَتْن .

وقد ألَّفَ مالك (المُوَطَّأ) وأراد المنصورُ أن يحمل الناس عليه، ولكنَّ مالِكاً أبَى ، وقد استغرق تأليفه (الموطأ) أربعين سنة، عرضه خلالها على سبعين فقيهاً مِن فقهاء المدينة . وقد جمعه مِن مِائَة ألف حديث .

ورَوَى الموطأ عنه أكثرُ مِن ألفِ رَجُل ، ولذلك اختلفَتْ نُسَخُه فكانت ثلاثين، لم يشتهر منها إلا عشرون، وأشهرها رواية يحيى الليثي الأندلسي المَصْمودى، وليست أحاديث الموطأ كلها مُسْنَدَة بل فيه المُرْسَل والمُعْضَل والمُنْقَطِع وغير ذلك .

روى مالك عن : نعيم المُجْمِر، وزيد بن أسلم ونافع وشريك بن عبد الله، والزهرى ، وأبي الزِّناد، وسعيد المَقْبُرى، وحُمَيْد الطَّويل .

أما الذين رَوَوْا عنه فكثيرون، منهم مَن كانوا شيوخاً له كالزُّهْرى ويحيى بن سعيد، ومنهم مَن كانوا أقْرَانه كالأوزاعي، والثورى، وسفيان بن عُيَيْنَة، والليث بن سعد، وابن جُرَيْجن وشُعْبة بن الحَجَّاج، ومنهم الذين أخذوا عنه كالشافعي، وابن المبارك وابن وَهْب، وابن مَهْدِى، والقَطَّان، وأبي إسحاق الفزارى، ولد الإمام مالك رحمه الله سنة ٩٣ هـ وتوفى سنة ١٧٩ هـ .

٣ ـ الإمام الشَّافِعِي : (ت ٢٠٤ هـ)

هو الإمام الذى مَلأ طباق الأرض عِلْمَاً ، محمد بن إدريس بن عباس بن عثمان بن شافِع ، وإلى جَدِّه الأخير هذا نُسِبَ فَعُرِفَ بـ (الشافعي)، وهو قُرَشِيّ مُطَّلِبِيّ مَكيّ، كُنيته أبو عبد الله وكانت أمُّه (أزْدِيَّة) .



ولد الشافعى بِغَزَّةَ سنة ١٥٠ هـ ، ثم حُمِلَ إلى مكة بعد فِطامه ، ففيها نشأ وتَلَقّى العِلم . حفظ القرآن وهو ابنُ سَبْعِ سِنِين وَجَوَّدَهُ على مُقرئ مكة فى ذلك الحين إسماعيل بن قُسْطنطين ، ويُرْوَى أنه كان يختمه فى رمضان ستين مَرَّة .

حَدَّثَ عن مالكِ بن أنسٍ إمامِ أهلِ المدينةِ، وفى الثالثة عشرة من عُمْره حفظ فى عِدَّة ليـــال (مُوَطَّأه) وعَرَضَه عليه، كما حَدَّثَ عن سفيان بن عُيَيْنَة، وعبد الله بن الماجِشون .

أما الفقه فقد أخَذَه عن مسلم بن خالد الزنجى الذى أذن له بالفتوى وهو دُونَ العشرين، وكان إلى كل هذا بارعاً فى اللغة والشِّعْر ، قوىّ الحُجَّة والمُناظَرَة، أفْحَمَ جميعَ مَن ناظَرَهم من علماء العراق ومصر، وجمع بين فِقْه الحِجازيين والمِصْريين والعِراقيين .

وُلِّىَ الحُكْمُ بِنَجْران مِن أرض اليمن ، فَوَشَوْا به إلى الرشيد وزعموا أنه كان يريد الخِلافة لنفسه، فَحُمِلَ إلى دار الخلافة ببغداد حيث اجتمع بالرشيد سنة ١٨٤ هـ وناظَرَ أمامَه محمدَ بنَ الحسن وعرف هذا قَدْرَه فَبرَّأه أمام الخليفة . ثم عاد إلى مكة ثم إلى العراق مرة ثانية سنة ١٩٥ هـ ، وفى هذه المرة اجتمع بالإمام أحمد بن حنبل والكرابيسى والزعفرانى . ومازال يتنقل بين مكة وبغداد حتى انتهى به المطاف فى مصر سنة ١٩٩ هـ . وفيها توفى سنة ٢٠٤ هـ عن أربع وخمسين سنة، وسُئِلَ إسحاق بن راهويه : كيف وضع الشافعى هذه الكتب وكان عمره يسيرا ؟ فقال : جَمَعَ اللهُ له عَقْلَه لِقِلَّةِ عُمْره .

أما كُتُبه التى سُئِلَ عنها ابن راهويه فكثيرة فى التفسير والحديث والفقه والأدب، ولكن أشهرها كتاب (الرِّسالة) التى وضعها تلبية لرغبة عبد الرحمن بن مهدى . وهذه الرسالة فى أصول الفقه ، وله كذلك كتاب (الأمّ) الذى جمع فيه أعظم الأصول الدينية.

روى عنه الإمام أحمدُ بن حنبل، وأبو عُبَيْد بن القاسِم بن سلاَّم، وعبد الله بن الزبير الحميدى شيخ البخارى، وأبو ثَوْر إبراهيم بن خالد البغدادى ، ويوسف بن يحيى البويطى، وحَرْمَلَة بن يحيى، والحسن بن محمد الزعفرانى وغيرهم، قال الإمام أحمد فى الشّافعى (ما مَسَّ أحد مَحْبَرَة ولا قَلَماً، إلا وللشافِعى فى عُنُقِه مِنَّة) .

٤ ــ الإمام أحمد بن حَنْبَل : (ت ٢٤١ هـ) (إمام أهل السُّنَّة والجماعة)

هو الإمام الجليل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال، الشَّيْبانى، المَرْوَزى، ثم البغدادى، وكنيته أبو عبد الله . كانت أُمُّه بِمَرْو حين حملت به، ولكنها خرجتْ منها واتجهت إلى بغداد فَوَلَدَتْه فيها سنة ١٦٤ هـ .

كان أكثر طَلَبه للعلم فى بغداد، إلا أنه تنقل فى البلدان فى طلب الرواية حتى انفرد بمعرفة آثار الصحابة، مع الضبط التام، والورع الكامل، وله مؤلفات كثيرة، منها كتاب العِلَل، وكتاب الزهد، والتفسير، والناسِخ والمَنْسوخ، وكتاب فضائل الصحابة، وكتاب الأشْرِبَة وغيرها .

وأشهر كتبه وأعظمها (المُسْنَد) وفيه ثمانية عشر مُسْنَداً، أولها مسند العَشَرَة، ودَافَعَ ابنُ حَجَر عن مسند أحمد بن حنبل، ونفى وجود الأحاديث الموضوعة فيه .



ويشتمل مُسْنَد الإمام أحمد بن حنبل على (٤٠٠٠٠) أربعين ألف حديث مُسْنَد، المُكَرَّر منها نحو عشرة آلاف، ولابْنِه عبدِ الله بعض الزيادات . وعبدُ الله بن أحمدَ هو الذى رَتَّبَ المُسند فوقع فيه خَلْطٌ ومات أحمدُ قبل أن يهذبه . أما الذى رتب المسند على حروف المُعْجَم فهو الحافظ أبو بَكْر محمد بن عبد الله المقدسى الحنبلى .

كان الإمام أحمد رحمه الله تعالى آية فى الحفظ والضبط ، حتى قال أبو زُرْعَة عنه (كان يحفظ ألف ألف حديث يُمْلِيها مِن حِفْظِه) فلا غَرْوَ إذْ عُدَّ مِن (أُمَرَاء المؤمنين فى الحديث) . وفيه يقول ابنُ حِبَّان (كان فقيها حافظا متقنا ، ملازماً للوَرَع الخَفِى ، مُحافِظاً على العِبادة الدائمة حتى ضُرِبَ بالسِّياط فعَصَمه اللهُ مِن البدعة، وجعله إماماً يُقْتَدَى به وملجأ يُلْجَأ إليه) .

والبِدْعَة التى عصمه اللهُ منها ، حتى ضُرِبَ بالسياط عليها ـ كما يقول ابن حبان ـ هى مِحْنَة القول بِخَلْق القُرآن، فإنه امتنع عن القول بها فضُرِبَ وَسُجِن (ودَخَلَ الكِير فخرج ذَهَباً) كما كان يقول بِشْر بن الحارث الحافِى .

كان فى أول أمره يحضر مَجْلِسَ القاضى أبى يوسف، ثم أخذ عن الشافعى الحديث والفقه والأنساب القُرَشِيَّة، وذهب إلى اليمن ليسمع مِن عبد الرَّزَّاق، ودخل الكوفة، والبصرة والجزيرة ومكة والمدينة والشام .

روى عن بشر بن المفضّل الرَّقَّاشى، وسفيان بن عُيَيْنة، ويحيى بن سعيد القَطَّان، وعبد الرزاق ابن همام الصنعانى، وسليمان بن داود الطَّيالِسِىّ، وإسماعيل بن عُلَيَّة، ومُعْتمر بن سليمان البصرى وغيرهم .

وَرَوَى عنه البخارىُّ ومسلمٌ وأبو داودَ، ووكيعُ بنُ الجَرَّاح، ويحيى بنُ آدَم الكُوفى، وعلىّ بنُ المَدِينِى وابنُ مَهْدِى، وفيهم شيوخه وأقرانه وتلامذته .

تُوُفِّىَ الإمامُ أحمدُ بنُ حنبل سنة ٢٤١هـ عن سبع وسبعين سنة ومناقبه أعظم من أن تُحْصَى (١)





----

(١) علوم الحديث ومصطلحه – د / صبحى الصالح ط ٧ سنة ١٩٧٣ دار العلم - بيروت



نُبْذَةٌ عَن تَرَاجِمِ أَصْحَابِ الكُتُبِ السِّتَّةِ

الإمام البُخَارِى ـ الإمام مُسْلِمِ ـ الإمام النَّسَائِى

الإمام أبو داوُد ـ الإمام التِّرْمِذِى ـ الإمام ابن مَاجَه

إعداد

محمد حسن نور الدين إسماعيل

نُبْذَة عن تَرَاجِم أصحاب الكُتُب السِّتَّة ـ رحمهم اللهُ تعالى

الإمام البُخَارِى ـ الإمام مُسْلِـــم ـ الإمام النَّسائِى

الإمام أبو داوُد ـ الإمام التِّرْمِذِى ـ الإمام ابن مَاجَه

١ـ الإمام البُخَارِى : (١٩٤ ـ ٢٥٦ هـ)

هو الإمام الذى لا يُجارَى فى حفظه للحديث وضبطه، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ، ويكنى أبا عبد الله ، أخذ يحفظ الحديث وهو دُونَ العاشِرة مِن عمره ، فكتب عن أكثر مِن ألف شَيْخ وحفظ مِئَة ألف حديث صحيح ومِئَتَىّ ألف حديث غير صحيح ، وهو مُصَنِّف الكِتاب العظيم (الجامع الصحيح) الذى هو أصح الكتب بعد القرآن المجيد ، سمعه من أكثر مِن سبعين ألفاً وظل يشتغل فى جمعه ست عشرة سنة .

ولصحيح البخارى شروح كثيرة ذكر منها صاحب (كَشْف الظُّنُون) اثنين وثمانين شرحاً ، ولكن أفضلها شرح ابن حَجَر العَسْقلانى المُسَمَّى (فَتْح البارِى) ويليه شرح القَسْطَلانى (إرشاد السارى) ثم شرح العِينى (عُمْدَة القارى) .

وللبخارى مُصَنَّفات كثيرة ، منها التواريخ الثلاثة الكبير والأوسط والأصغر ، وكتاب الكُنَى ، وكتاب الوحدان ، وكتاب الأدَب المُفْرَد ، وكتاب الضُّعفاء، قال فيه الترمذى : (لَم أرَ فى العِلَل والرجال أعلم مِن البخارى) .

وقال ابنُ خُزَيْمَة : (ما رأيتُ تحت أَدِيم السماء أعلم بحديث رسول الله مِن محمد بن إسماعيل البخارى ، وجاءَه مسلم بن الحجاج فَقَبَّلَه بين عينيه وقال : (دَعْنِى أُقَبِّل رِجْلَيْكَ يا أُستاذ الأُسْتاذِينَ ، وسَيِّد المُحَدِّثين ، وطبيب الحديث فى عِلَلِه) وكان من الذى انبهر به أهلُ بغداد، هذا الاختبار الذى اخْتُبِرَ فيه مِن علماء بغداد لَمَّا قَدِمَ عليهم (فى الأحاديث المَقْلُوبَة) حين قلب عليه علماء بغداد مِئَة حديث فَرَدَّ كُلَّ مَتْنٍ إلى إسناده وكل إسناد إلى مَتْنه وأدهش العَلَماءَ بحفظه وضبطه ، وفى سبيل ضبط الحديث وحفظه رَحَلَ البخارى إلى الشام ومصر ـ وبغداد والكوفة والجزيرة والحجاز والبصرة

رَوَى البخارى عن الضحاك بن مَخْلَد أبى عاصم النبيل ، ومَكِّى بن إبراهيم الحَنظلى ، وعبيد الله ابن موسى العبسى ، وعبد القدوس بن الحجاج ، ومحمد بن عبد الله الأنصارى وغيرهم .

ورَوَى عنه كثيرون أشهرهم ، الترمذى ، ومسلم ، والنسائى ، وإبراهيم بن إسحاق ، ومحمد بن أحمد الدولابى، وآخِر مَن رَوَى عنه (الصحيح) منصور بن محمد البزْدَوِى المُتَوَفَّى سنة ٣٢٩ هجرية .

كان مولد البخارى سنة ١٩٤ هـ ووفاته سنة ٢٥٦ هـ عن عُمْر يُناهِز ٦٢ عاماً فى قرية مِن قُرى سَمَرْقَنْد تسمى (خَرْتَنْك) .

٢ – الإمام مُسْلِم : (٢٠٦ ـ ٢٦١ هـ)

هو إمام أهل الحديث، مُسْلِم بن الحَجَّاج بن مسلم القُشَيْرى ، وبنو قُشَيْر قبيلة عربية معروفة ، النَّيْسابُورى، وكُنْيَته أبو الحسين، أجمع العلماء على إمامته فى الحديث وتضلعه فى الرواية ، وقد رَحَلَ كثيرا فى طلبه فسمع بخراسان يحيى بن يحيى، وإسحاق بن راهَوَيْه وغيرهما ، وبالرَّى محمد بن مهران وأبا غسان وغيرهما ، وبالحجاز سعيد بن منصور، وأبا مصعب وآخَرين ، وبالعراق أحمد بن حَنْبَل وعبد الله بن مَسْلَمَة وآخَرين ، وبمصر عمرو بن سواد، وحَرْمَلَة بن يحيى وآخَرين .

أما الذين رَوَوْا عنه فكثيرون : منهم الترمذى وأبو حاتم الرَّازِى ، وأحمد بن سلمة ، وموسى بن هارون ، ويحيى بن صاعد ، ومحمد بن مَخْلَد ، وأبو عَوَانَة يعقوب بن إسحاق الإسْفِرائِينى ، ومحمد بن عبد الوهاب الفَرَّاء ، وعلى بن الحسين ، والحسين بن محمد بن زياد القَبَّانِى ، وإبراهيم بن محمد ابن سفيان وهذا الأخير هو راوية صحيح مسلم .

ولمسلم كتب كثيرة منها صحيحه المشهور ، وكتاب العِلَل ، وكتاب أوهام المُحَدِّثين، وكتاب مَن ليس لَه إلا راوٍ واحد ، وكتاب طبقات التابعين ، وكتاب المُخَضْرَمين ، وكتاب المسند الكبير على أسماء الرِّجال ، وكتاب الجامِع الكبير على الأبواب .

وصحيح مسلم مع صحيح البخارى هما أصح الكُتُب بعد القرآن الكريم ، وقد تلقتهما الأُمَّة بالقَبول والأكثرون على أن البخارى أصحهما ، وكان مسلم شديد الاعتزاز بصحيحه لِمَا بَذَلَ فى جَمْعه مِن الجُهْد ، فإنه صَنَّفَه مِن ثلاث مِئَة ألف حديث مسموعة ، وكان مِن أجْلِ ذلك يقول : (لو أن أَهْل الحديث يكتبون مِئَتَى سَنَة الحديثَ فَمَدَارهم على هذا المسند ـ يعنى صحيحه) .

وُلِدَ الإمامُ مسلم سنة ٢٠٦ هـ وتوفى بنيسابور سنة ٢٦١ هـ عن خمس وخمسين سنة .

٣ ـ الإمام النَّسائِى : (٢١٥ ـ ٣٠٣ هـ)

هو الحافظ أبو عبد الرحمن ، أحمد بن شَعَيْب النَّسائِى ، نِسْبَة إلى نَسَا بَلْدَة مَشهورة بخراسان،. وَسُنَنه أقل السُّنَن حديثاً ضعيفاً بعد الصحيحين ، وقد جَرَّدَ الصِّحاح مِن سُنَنه الكبرى فصنع منها كِتاباً سَمَّاه (المُجْتَبَى) وهو المعدود مِن الأُمَّهات الكبرى ، وأحد الكُتُب السِّتَّة عند الإطلاق،الإمام الحافظ الثَّبْت، ناقد الحديث، قال الدارقطنى : كان أفقه مشايخ مصر فى عصره، وأعلمهم بالحديث والرجال. وقال الذَّهبِى : كان مِن نُحُور العلم مع الفهم والاتقان والبصر، ونقد الرجال، ولَم يبقَ له نَظِير فى هذا الشأن، وقال : لا يُوَثِّق أَحَداً إلا بعد الجهد. ولد النسائى سنة ٢١٥ هـ وتوفى سنة ٣٠٣ هـ

٤ ـ الإمام أبو داوُد : (٢٠٢ ـ ٢٧٥ هـ)

هو الإمام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشْعَث بن إسحاق الأزْدِى السِّجِسْتانى ، أَحَد أَئِمَّة الحديث المتقنين، الثَّبْت سيد الحُفَّظ، صاحب السُّنَن، إمام أهل الحديث فى عصره بلا مدافعة، وقال الذهبى : كان رأساً فى الحديث رأساً فى الفقه، اقتصر فى سُنَنه على أحاديث الأحكام وله ملاحظات قَيِّمَة على الرواة والأحاديث توفى سنة ٢٧٥هـ

٥ ـ الإمام التِّرْمِذِى : (٢٠٠ ـ ٢٧٩ هـ)

هو الإمام الحافظ الناقد محمد بن عيسى بن سَوْرَة التِّرْمِذِى ، ويُكْنَى أبا عيسى ، ولد سنة ٢٠٠ هـ ودخل بُخارَى وحَدَّثَ بها وانتقل فى كثير مِن البلدان ، فسمع مِن الخُراسانيين والحِجازيين والعراقيين ، روى عن البخارى ومسلم ، وإسماعيل بن موسى السُّدِّى ، وروى عنه كثيرون منهم : الهيثم بن كليب الشاشى ، ومَكْحُول بن الفضل ، ومحمد بن محبوب المَرْوَزِى راوِى كِتابه الجامع المعروف (بالسُّنَن) وللترمذى كتب كثيرة منها : العِلَل ـ الشمائل ـ أسماء الصحابة ـ الأسماء والكُنَى ، وأشهر كتبه بلا ريب (جامِعه) المُسَمَّى بالسُّنَن . ومِن مزايا سُنَن الترمذِى ما أشار إليه عبد الله بن محمد الأنصارى بقوله : (كتاب الترمذى عندى أَنْوَر مِن كتاب البخارى ومسلم) فقال له محمد بن طاهر المَقْدِسِى : وَلِمَ ؟ فقال : (لأنه لا يَصِلُ إلى الفائِدَة منه إلا مَن هو مِن أهل المعرفة التامَّة بهذا الفن) ، وكتاب الترمذى قد شَرَح أحاديثه وبينها فيصل إليها كل أحد مِن الناس مِن الفقهاء والمُحَدِّثِين

وغيرهم، وكان الترمذى يَعْرِف قَدْرَ كِتابه فيقول : (صَنَّفْتُ هذا الكتاب فَعَرَضْتُه على علماء الحِجاز والعراق وخُراسان وَرَضَوا به ، ومَن كان فى بيته هذا الكِتاب فَكَأَنَّمَا فى بيته نَبى يتكلم) ، و أُصِيب فى بَصَرِه رحمه الله فى أُخْرَيات حياته ، وتوفى سنة ٢٧٩ هـ .

٦ ـ الإمام ابن مَاجَه : (٢٠٩ ـ ٢٧٣ هـ)

هو الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القَزْوينى ، المعروف بابن ماجه (بِهَاءٍ ساكنة وَصْلاً ووقفاً لأنه اسم أَعْجَمِى) وهو لقب أبيه لِجَدِّه، قال الخليل : ثقة كبير متفق عليه مُحْتَجّ به، له معرفة بالحديث، وله مصنفات فى السنن والتفسير، والتاريخ، وأول مَن أضاف (سُنَنَه) مُكَمِّلا به الأصول السِّتَّة أبو الفضل محمد بن طاهر بن على المَقْدِسِى فى أطراف الكُتُب الستة له، وُلِدَ فى إيران سنة ٢٠٩ هـ، عدد أحاديث سننه ٤٣٤١ حديثاً ، وقد توفى ابن ماجه رحمه الله تعالى فى رمضان سنة ٢٧٣ هـ (١)

---

(١) علوم الحديث ومصطلحه ـ الدكتور / صبحى الصالح (بتصرف يسير وإضافة) ط ٧ دار العلم ـ بيروت سنة ١٩٧٣ م





نُبْذَةٌ عَن عِلْمِ القِرَاءَاتِ والقُرَّاءِ العَشَرَةِ

إعداد

محمد حسن نور الدين إسماعيل



نُبْذَةٌ عَن عِلْمِ القِراءاتِ والقُرَّاءِ العَشَرَةِ

نشأة القِراءات :

لقد بُعِث النبى صلى الله عليه وسلم لجميع الناس باختلاف ألْسِنتهم عكس ما كان عليه الأنبياء السابِقون ، فقد كانوا يُبعَثون إلى أقوامٍ مُعيَّنين.

وفى الصحيحين عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (أُعْطِيتُ خَمْساً لَم يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِن الأنبياء قَبْلِى ، نُصِرْتُ بالرُّعب مَسِيرَة شَهْر ، وَجُعِلَتْ لِىَ الأَرْض مَسْجِداً وَطَهُورا ، فَأَيُّما رَجُلٌ مِن أُمَّتِى أَدْرَكَتْه الصلاةُ فَلْيُصَلِّ ، وأُحِلَّتْ لِىَ الغنائِم ، وَلَم تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِى ، وَأُعْطِيَتُ الشَّفَاعَة ، وكان النبى يُبْعثُ إلى قَوْمِه خاصَّة وَبُعِثْتُ إلى الناسِ عامَّة).

كذلك القرآن الكريم ، أُنزِل للناس كافة ، فكان منهم الطفل والعَجوز والشَّيْخ الكبير والرَّجُل الذى لَم يقرأ القرآن قَطّ .

والله سبحانه وتعالى أنزل القرآن مُيَسَّرا لا مُضَيَّقاً ، فأُمِرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يقرأه على سبعة أحرف لكى يسهل على القارِئ قِراءته وفهم معانيه ، ولكن يُشْتَرَط فى القراءة أن تكون نزل بها الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، معنى ذلك أن لا ينفَرِد كُلٌّ بِلُغَته ويقرأ ما يريد .

واختلف العلماء رحمهم الله تعالى فى : أين ومتى كان نزول القراءات ؟ هل كان ذلك بمكة قبل الهجرة ؟ أم كان نزولها بالمدينة بعد الهجرة النبوية ودخول القبائل العربية المختلِفَة فى الإسلام ؟ للعلماء فى ذلك رأيان :

الأول : أن القراءات نزلت بمكة المكرمة قبل الهجرة النبوية . ودليلهم أن الأحاديث الوارِدَة فى نشأة القراءات تفيد أنها بمكة منذ بداية نزول القرآن الكريم ، منها قوله صلى الله عليه وسلم (أَقْرَأَنِى جِبْرِيل على حَرْفٍ فراجَعْتُه ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيده حتى انتهَى إلى سَبْعَة أَحْرُف) أخرجه أحمد والبخارى ومسلم .

كما أن سور القرآن الكريم تنقسم إلى : مكية ومدنية ومعظمها مكية ، وفيها من القراءات ما فى السور المدنية ، ولا دليل على نزولها بالمدينة مرة ثانية ، فهذا يدل على أن القِراءات نزلت بمكة

المكرمة ، كما يدل عليه حديث عمر رضى الله عنه مع هشام بن حكيم لأنهما اختلفا فى قراءة سورة الفرقان .

الثانى : أنها نزلت بالمدينة بعد الهجرة النبوية لأنها نزلت للتيسير على الأمة بسبب اختلاف لَهَجات القبائل ولغاتهم ولم تكن الحاجة إليها إلا بعد الهجرة دخول القبائل المتجاوِرَة والمتباعِدَة فى الإسلام ، كما أنَّ اختلاف الصحابة فى القراءات كان بالمدينة ولم يكن ذلك فى مكة ، يدل على ذلك حديث أُبَىّ بن كعب رضى الله عنه الآتى .

وقد حاول البعض الجمع بين القولين ، بأن بداية نزول القراءات كان مع بداية نزول القرآن الكريم بمكة ، حيث توجد القراءات فى السور المكية ، ولكن الحاجة لم تَدْعُ إلى استخدامها لوحدة اللغة واللهجة بمكة وما جاورها ، خِلافاً لِمَا حدث بعد الهجرة حيث دخلت فى الإسلام قبائل مختَلِفَة اللهجات واللغات .

القراءات توقيفية :

مِن المعلوم مِن الدِّين بالضرورة أن القرآن وَحْى رّبانِىّ أوْحاه اللهُ عز وجل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل الأمين عليه السلام ، قال تعالى (وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الرُّوحُ الأمين * على قلبك لتكون مِن المُنْذِرين * بِلِسانٍ عربى مبين)(١)

وَمَهَمَّة جِبريل عليه السلام تعليمه الرسول صلى الله عليه وسلم وإنزاله عليه ، ومَهَمَّة الرسول صلى الله عليه وسلم تبليغه للناس بأمرٍ مِن الله عز وجل (يا أيها الرسول بَلِّغ ما أُنزل إليك مِن ربك وإن لَم تفعل رسالة فما بلغت رسالته)(٢)

وليس للرسول صلى الله عليه وسلم أن يُغَيِّر حرفا مكان حرف أو كلمة مكان كلمة أخرى وهذا أمر مُجْمَع عليه فى الأمة الإسلامية ، وإذا كانت القراءات جزءاً مِن القرآن الكريم ، فهى كذلك مِن عند الله عز وجل ، ومُنَزَّلَة وحيا منه تبارك وتعالى ، وإذا كان الرسول صلى الله علي وسلم لا يستطيع أن يُغَيِّر فيه كما ذكَرْنا فغَيْره مِن باب أَوْلَى ، فإذاً القراءات توقيفية ليست اجتهاديَّة وليست اختيارية ، وهى سُنَّة مُتَّبَعَة ، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما اختلف الصحابة رضى الله عنهم : (هكذا أُنْزِلَتْ) .

---

(١) الشعراء : ١٩٢ ـ ١٩٥ (٢) المائدة : ٦٧



والخلاصة : أن القراءات مُنَزَّلَة من عند الله عز وجل ومصدرها وَحْيٌ رَبَّانِيّ ، لا يجوز أخذها بالقياس أو الاجتهاد فى ألفاظ القرآن الكريم ، وهى وإن كانت تشتمل على اللغات واللهجات لكن لا يجوز الأخذ ولا القراءة بلهجة أو بِلُغَة إلا بِأثرٍ ورواية مُسْنَدَة (١) .

أركان القراءة الصحيحة :

وضع علماء القراءات ثلاثة أركان بالِغَة الدِّقَّة تُعْرَف بها القراءات المقبولة ، وتميزها عن غيرها من القراءات الشَّاذَّة المردودة ، وهذه الأركان هى :

١ ـ أن تكون موافِقَة للغة العربية ولو بوَجْه :

بمعنى أن توافِق وجها مشهورا ، ومعتدا به ، مما قاله النُّحاة سواء أكان هذا الوجه هو الأَصَحّ أم الصحيح ، لأن القراءة متى ثبتت بالسند المتواتر وموافِقَة رسم المصحف فلا ينبغِى أن ترد ، بل تصبح هى حُجَّة على قواعد النَّحْو لا تكون قواعد النحو حُجَّة عليها ، وقد أحسن الكوفيون باحتجاجهم بقراءة الإمام حَمْزَة فى قوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم مِن نَفْسٍ واحدة وخلق منها زوجها وبَثَّ منهما رجالا كثيرا ونساءً واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إنَّ الله كان عليكم رقيبا)(٢) بِجَرِّ (الأرحام) على أن يجوز العطف على المجرور دون إعادة الجَرّ ، والبصريون المُعارِضون لهذا يقولون : إن (الأرحام) جُرَّتْ على القَسَم تعظيماً لها ، وحثا على صلتها. فالقراءة سنة مُتَّبَعَة كما رُوِىَ عن زيد بن ثابت .

٢ ـ أن تكون مُوافِقَة لِخَطٍّ أَحَد المَصاحِف العُثْمانية ولو احتمالاً :

فيكفى لتحقق هذا الشرط أن تكون القراءة ثابتة فى بعض المصاحف العثمانية دون البعض الآخَر ، كقراءة ابن عامِر الشَّامِى (وقالوا اتخذ اللهُ ولدا)(٣) مِن غير واو (قالوا) ، وقوله تعالـى (والزُّبُر والِكتاب المُنِير)(٤) بزيادة (الباء) فى الاسمَيْن (وبالزُّبُر وبالكِتاب المُنِير).فإن ذلك ثابت فى المصحف الشامى ، فلو لم تكن القراءة موافِقَة لأحَد المصاحِف لكانت شَاذَّة ولا يُشْتَرَط أن تكون الموافقة صريحة ، بل يكفى أن تحصل الموافقة ولو تقديرا ،

---

(١) المُقَدِّمَة فى علم القراءات – بدرية الحسن ص ٢٣ ـ ٢٥ (٢) النساء : ١
(٣) البقرة : ١١٦ (٤) آل عِمران : ١٨٤





إذ يحتملها الخَطُّ إحتمالا ، كما فى قوله تعالى (مَلِك يَوْم الدِّين)(١) فإنها كُتِبَت مِن غير اَلِف فى جميع المصاحِف ، فقرءاة الحَذْف توافق الرسم تحقيقا ، وقراءة الأَلِف توافِقُه تقديرا ، لحذفها فى الخَط اختصاراً .

٣ ـ صِحَّة السَّنَد المُتَواتِر :

وهذا الركن شرط لصحة الرُّكْنَيْنِ السابِقَيْنِ وهو أن يأخذ القراءة عن شَيْخ مُتْقِن فَطِن اتَّصَلَ سَنَدُه بالنبى صلى الله عليه وسلم .

فإن تَوافَرَت هذه الأركان والضوابِط فى قراءة حَكَمْنا ـ ونحن مطمئِنُون ـ بصحتها وأنها قرآن يُتْلَى وَيُصَلَّى به ، وإذا اخْتَلَّ رُكْنٌ مِن هذه الأركان الثلاثة كانت القراءة شاذَّة .

ويرى جمهورُ العُلَماء مِن الأُصوليين وفقاء المَذاهِب الأربعة ، والمُحَدِّثِين والقُرَّاء أن شرط القراءة الصحيحة التواتر ، ولا تَثْبُت بالسَّنَد الصحيح غير المتواتِر ، والقراءة التى تُكْتَب بِسَنَد غير مُتواتِر لا تُسَمَّى قُرآناً ولا يُقْرأ بها ، لأن مِن تعريف العلماء للقرآن قولهم : (المنقول إلينا بالتواتر) .

بعض الأحاديث الدَّالَّة على نزول القرآن على سبعة أحرف

١ـ حديث عُمَر بن الخَطَّاب رضى الله عنه . يقول : سَمِعْتُ هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فاستَمَعْتُ لِقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يُقْرِئْنِيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فَكِدْتُ أُساوِره فى الصلاة فَتَصَبَّرْتُ حتى سَلَّمَ فَلَبَبْتُه بِردائه ، فقلتُ : مَن أَقْرَأَكَ هذه السورة التى سمعتُك تقرأ ؟ فقال : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلتُ له : كَذَبْتَ ، أقرأنيها على غير ما قرأتَ ، فانطَلَقتُ به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت : إنى سمعتُ هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لَم تُقْرِئْنِيها. فقال : أَرْسِلْه. فقال اقرأ يا هِشام ، فقرأ القراءة التى سمعتُه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذلِك أُنْزِلَتْ. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ يا عُمَر ، فقرأتُ التى أَقْرأَنِى . فقال : كذلك أُنْزِلَتْ إن هذا القرآن أُنْزِلَ على سَبْعَةِ أَحْرُف ، فاقرؤوا ما تَيَسَّرَ منه)(٢) .

٢ ـ عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أَقْرَأَنى جِبْريلُ على حَرْفٍ فَرَاجَعْتُه فَلَم أَزَلْ أَسْتَزِيده ويزيدنى حتى انتهى إلى سَبْعَةِ أَحْرُف)(٣)

---

(١) الفاتحة : ٤ (٢) أخرجه أصحاب الكتب الستة إلا ابن ماجه رحمهم الله تعالى

(٣) رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى



٣ ـ عن أُبَيّ بن كَعْب رضى الله عنه قال : (إن النبى صلى الله عليه وسلم كان عند أَضاة بنى غِفار. فأتاه جبريل عليه السلام فقال : إن الله يأمرك أن تَقْرَأَ أُمَّتكَ القرآن على حرف ، فقال : أسأل اللهَ مُعافاته ومَغْفِرته ، وإن أُمَّتى لا تُطيق ذلك ، ثم أتاه الثانية فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك على حَرْفَيْنِ ، فقال : أسأل الله مُعافاته ومغفرته ، وإن أمتى لا تطيق ذلك ، ثم جاءه الثالثة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف فقال : أسأل اللهَ معافاته ومغفرته وإن أمتى لا تطيق ذلك ، ثم جاءه الرابعَة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك على سبعة أحرف ، فَأَيُّما حَرْفٍ قَرَؤوا عليه فَقَد أَصابوا)(١)

الحِكْمَة مِن إنْزال القرآن على سبعة أحرف :

هو التخفيف والتيسير على الأمة المحمدية ؛ لأن العرب الذين أُنْزِلَ القرآن بِلُغَتِهِم، ألسنتهم مختلفة ولهجاتهم مُتباينَة ، فلو كلفهم اللهُ تعالى مُخالَفة لهجاتهم والعُدُول عنها إلى غيرها لَشَقَّ ذلك عليهم ، ولكان مِن قَبيل التكليف بما لا يدخل تحت الطاقة ، وهذا أمر يتنافَى مع سماحة الإسلام ويُسْرِه .

المراد بالأحْرُف السَّبْعَة :

الحَرْف فى اللُّغَة : الطَّرَف والجانِب ، وبه سُمِّى الحَرْف مِن حروف الهِجاء .

وقال ابنُ مَنظورٍ صاحب كتاب لسان العرب : وكل كلمة تُقْرأ على الوَجْه مِن القرآن تسمى حرفا. تقول هذا فى حرف ابن مسعود أى فى قراءة ابن مسعود .

وقال غيره : المراد بالحرف : اللُّغَة .

هذا فى اللغة ، فما المراد إذن بالأحرف فى الأحاديث ؟

لقد اختلف العلماء فى المراد بالأحرف السبعة اختلافا كثيرا حتى بلغَتْ الأقوال إلى أكثر مِن أربعين قَوْلاً. منها ما يصلح للاعتبار والنظر ، ومنها أقوال قد قالها قائِلون مِن غير أن يكون لهم سَنَد مُعْتَبَر. ويذكر العلماءُ أن مِن أحسن الأقوال وأقربها للصواب هو قول الإمام فَخْر الدِّين أبى الفَضْل عبد الرحمن الرَّازِى المُتَوَفَّى سنة ٤٥٤ هـ ، وقول الإمام محمد بن الجَزَرِى المتوفى سنة ٨٣٣ هـ رحمهما الله تعالى ، وسنورد فى هذا المقام قول الإمام الرَّازِى ، وهو أن المراد بالأحرف السبعَة الأوجه الى يقع بها التَّغايُر الإختلاف ، وهذه الأوْجُه لا تخرج عن سَبعة.

---

(١) رواه مسلم رحمه الله تعالى

١ ـ اختلاف الأسماء بالإفراد والتَّثْنِيَة والجَمْع، والتَّذكير والتأنيث نحو :



- قوله تعالى (وأحاطت به خطيئته)(١) قُرِئَ (خطيئته) بالإفراد وقُرِئَ (خطيئاته) بالجَمْع
- قوله تعالى (مِن الذين اسْتَحَقَّ عليهم الأَوْلَيان)(٢) قِرئ (الأَوْلَيان) مُثَنَّى أَوْلَى ، وقُــــرِئَ (الأَوَّلِين) جمع أَوَّل .
- قول تعالى (فإن يَكُن مِنْكُم مِائَة)(٣) قرئ (يَكُن) بياء التذكير ، و (تَكُن) بتاء التأنيث .

٢ ـ اختلاف تصريف الأفعال مِن ماضٍ ومضارِعٍ وأمر نحو :

- قوله تعالى (وَمَن تَطَوَّعَ)(٤) قرئ (تَطَوَّعَ) فعل ماضٍ ، وقُرِئ (يَطَّوَع) فعل مضارع .

٣ ـ اختلاف وجوه الإعراب نحو :

- قوله تعالى (وإن تَكُ حَسَنَةً يُضاعِفْها)(٥) قرئ (حَسَنَةً) بالنصب ، و (حَسَنَةٌ) بالرفع .

٤ ـ الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو :

- قوله تعالى (وسارِعوا إلى مَغْفِرَةٍ)(٦) قرئ بإثبات الواو قبل السين وقُرِئ بحذفها .

٥ ـ الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو :

- قوله تعالى (وَقاتَلُوا وَقُتِلُوا)(٧) قرئ (وَقُتِلوا وقاتَلوا) بتقديم (وَقُتِلوا) وتأخير (وقاتَلوا) .

٦ ـ الاخْتِلاف بالإبدال، أى يجعل حرف مكان حرف نحو :

- قوله تعالى (وانظُر إلى العِظام نُنْشِزُها)(٨) قرئ (نُنْشِزُها) بالزَّاى وقُرِئ (نُنْشِرُها) بالراء

٧ ـ الاختلاف فى اللَّهَجات نحو :

- الفَتْح والإمالَة والإدغام والإظهار ، وإبدال الهَمْزَة وتحقيقها ، ونقل حَرَكة الهمزة أو إبقائها ، إلى غير ذلك.

---

(١) البقرة : ٨١ (٢) المائدة : ١٠٧ (٣) الأنفال : ٦٦
(٤) البقرة : ١٥٨ (٥) النساء : ٤٠ (٦) آل عمران : ١٣٣
(٧) آل عمران : ١٩٥ (٨) البقرة : ٢٥٩

القِراءات السَّبْع وَصِلتها بالأحرف السبعة :



ليس المقصود بالأحرف السبعة القِراءات السَّبْع ، لأن القِراءات السبع بل والقراءات العشر- جزء مِن الأحرف السبعة التى أُنزِلَ بها القرآن الكريم كما ورد فى الحديث (إن هذا القرآن أُنْزِلَ على سَبْعَة أَحْرُف فاقرؤوا ما تيَسَّر منه) أخرجه البخارى وباقى الأئمة الستة سِوَى ابن ماجه

وقال ابن الجَزَرِى رحمه اللهُ تعالى ما نصه : وكان مِن جواب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى (لا نِزاع بين العلماء المُعتبَرين أن الأحرف السبعة التى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم أن القرآن أُنزِلَ عليها ليست قراءات القراء السبعة المشهورة ، بل أول مَن جَمع ذلك ابنُ مُجاهِد ، ليكون ذلك موافِقا لِعدد الحروف التى أنزل عليها القرآن . لا لاعتقاده واعتقاد غيره مِن العلماء أن القراءات السبع هى الحروف السبعة ، أو أن هؤلاء السَّبْعَة المُعَيَّنِين هم الذين لا يجوز أن يقرأ بغير قراءتهم)

هل القرآن الذى كَتَبَه عُثْمانُ رضى الله عنه اشْتَمل الأَحْرُف السبعة ؟

اختَلَف العلماء على ثلاثة أقوال :

الأول : ماذهب إليه الطَّبرىُ والطَّحاوىُ وغيرُهما ، أنه على حرف واحد وهو حرف قُرَيْش فقط ، وذلك للنجاة بالأمة مِن الاختلاف فى كتاب ربها اختلاف اليهود والنصارى فى كتبهم واستدلوا على ذلك بقول عثمان رضى الله عنه للرهط القُرَشِيين (إذا اختلفتم أنتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم) .

الثانى : ما ذهب إليه جماعةٌ مِن الفقهاء والقراء إلى اشتمال المصاحِف العثمانية على الأحرف السبعة جميعا ومِن حُجَجِهم : بأنه لا يجوز للأمة إهمال شئ مِن الأحرف لكونها مُنَزَّلَة قرآناً .

الثالث : ما ذهب إليه جماهيرُ العلماء مِن السّلَف والخَلَف إلى أن المصاحِف فى مجموعها تشتمل على ماثبَتَ فى العَرْضَة الأخيرة مِن الأحرف السبعة ، فليس كل مُصْحَف بمفرده يشتمل على جميع الأحرف السبعة ، بل الثابت من الأحرف السبعة منتشِر فى المصاحِف العثمانية كلها .

وقال ابن الجَزَرِى رحمه اللهُ تعالى فى نَشْرِه : (وهذا القول هو الذى يظهر صوابه ، لأن الأحاديث الصحيحة والآثار المشهورة المستفيضة تدل عليه وتشهَد له)(١)

---

(١) المُقَدِّمَة فى عِلْم القراءات - بَدْرِيَّة الحَسن ص ٢٦ - ٣٢

الفرق بين القرآن والقراءات والتجويد :

القرآن : هو كلام الله المُعجِز ، المُنَزَّل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله بن عبد المُطَّلِب صلى الله عليه وسلم . بواسِطَة جِبْرِيل عليه السَّلام ، المكتوب فى المصاحِف ، المَنْقُول إلينا بالتواتر ، المُتَعَبَّد بتلاوته ، المَبْدوء بسورة الفاتِحَة ، المختوم بسورة الناس ، أَنْزَلَه الله تبارَكَ وتعالى مِنْهاجا للأمة ، وهداية للخَلْق ، وليكون آيَة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبرهانا ساطِعا على نُبُوَّته ورسالته ، وحجة قائِمَة إلى يوم الدِّين ، وهو المُعْجِزَة الخالِدَة التى تتحدى الأجيال والأمم على كَرِّ الأزمان ومَرِّ الدُّهور .

القراءات : هو عِلْم يُعْرَفُ به كيفية النطق بالكلمات القرآنيَّة ، وطريق أدائها اتفاقا واختلافا مع عَزْوِ كُلِّ وجهٍ لناقِلِه .

وقيل أيضا : هى اختلاف ألفاظ الوحى المذكورة فى الحروف أو كيفيتها مِن تخفيف وتثقيل وإبدال وتسهيل وغيرها ، وهى توقيفية وليست اختيارية خِلافا لجماعة منهم الزَمَخْشَرِى حيث ظَنُّوا أنها اختيارية تدور مع اختيار الفُصَحاء واجتهاد البُلَغاء (فهما يلتقيان فى أن كلاً منهما مُنَزَّل مِن عند الله)

التَّجْوِيد : هو عِلْم يبحث فى كيفية أداء كلمات القرآن الكريم مِن حيث إخراج كل حرف مِن مَخْرَجِه وإعطاؤه حقه ومُسْتَحَقَّه مِن الصفات اللازِمَة والعارِضَة .

مِن خصائِص القراءات :

١ ـ تعضيدها لِفَن التَّفْسير بحيث لا يستغنى عنها أحدٌ من المُفَسِّرِين .

٢ ـ استنباط المسائل الفقهية وما يتفرع منها مِن الخِلاف .

٣ ـ تُبَيِّن حُكْما مُجْمَعا عليه .

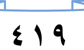
٤ ـ يُرَجَّح بها حُكْما اخْتُلِفَ فيه .

٥ ـ تَوْضِيح حكم يقتضى الظاهِر خِلافه .

٦ ـ إن فى اختلاف القراءات مِن دَقِيق الإشارات وكمين الأسرار ، ولطيف الحِكَم ما يَكِلُّ عَنه الوصف ، ويقف دونه البيان ، فما مِن قراءة إلا وهى تدل على نهاية البلاغة ، وكمال الإعجاز ، وسهولة الحفظ ، وتيسير الفهم .

٧ ـ إنها وسيلة الضبط لمجاميع الإختلاف مِن التَّشديد والتخفيف وهو أمر لا بد منه لِصَوْن كلام الله ، ولولاه لَتَطَرَّق إلى القرآن التحريف واعْتَرَاهُ التغيير ، فالقراءة كالحِصْن الحصين الذى يدافِع عما لا يليق به .

٨ ـ إنها مِن بدائِع القرآن ، فأما الصُّحُف السَّماوِيَّة الأُخْرَى ، فقد انعدَم فيها هذا الفن ونحوه مِن فَن القراءة مما كان له دور عظيم فى تحريفها وتغييرها عما كانت عليه مِن قَبْل .



٩ ـ إنها بعثتْ أرباب الهِمَم العالية على التقديم إلى ضبط القراءة وحفظها فى أكْباد الكُتُب فأكْثَروا مِن التأليف فيها حتى يَرْبُو عددها الآن على المِئَات . ولو ضَمَمْنا إليها ما أُلِّفَ فى التَّجْوِيد وكشف وجوه القراءات وما يتعلق بجميع العلوم القرآنية لقفز عددها إلى ملايين الكتب ، فَقُصارَى الأمر إن القراءة لها اليَدُ الطُّولَى فى ازدِهار اللُّغَة العربية مع جميع أنواعها فهى مِلاك الفنون كلها ومَبْناها .

١٠ ـ إنها تحافظ على لَهَجات القبائل (١) .

مبادِئ علم القراءات :

قال أبو العرفان محمد بن على الصَّبَّان المُتَوَفَّى سنة ١٢٠٦ هـ :

إنَّ مَبادِئَ كُلِّ فَنٍّ عَشَرَةْ الحَدُّ(٢) والمَوْضُوعُ ثُمَّ الثَّمَرَةْ
وَنِسْبَةٌ وَفَضْلُهُ وَالواضِعْ والاسْمُ الاسْتِمْدادُ حُكْمُ الشَّارِعْ
مَسَائِلٌ والبّعْضُ بِالبَعْضِ اكْتَفَى ومَن دَرَى الجَمِيعَ حازَ الشَّرَفا

ـ **تعريفه :** هو علم يُعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية ، وطريق أدائها اتفاقا واختلافا مع عَزْوِ كل وَجْهٍ لِناقله .

ـ **موضوعه :** كلمات القرآن الكريم مِن حيث أحوال النطق بها وكيفية أدائها .

ـ **ثمرته وفائدته :** العِصْمَة مِن الخَطأ فى النطق بالكلمات القرآنية ، وصيانتها مِن التحريف والتغيير ، بما يقرأ به كلٌ مِن أئمة القراءة ، والتمييز بين ما يُقرأ وما لا يقرأ به إلى غير ذلك مِن الفوائد .

ـ **فَضْله :** أنه مِن أشرف العلوم الشرعية ، أو هو أشْرَفها لشدة تعلقه بأشرف كتاب سَمَاوِىّ مُنَزَّل .

ـ **نسبته إلى غيره مِن العلوم :** التَّبايُن .

ـ **واضِعه :** أئمة القُرَّاء ، وقِيل أبو عُمَر حفص بن عمر الدُّورِى . وأَوَّل مَن دَوَّن فيه أبو عُبَيْد القاسم بن سَلاَم .

ـ **اسمه :** عِلم القِراءات جمع قراءة بمعنى مَقْروء به .

ـ **استمداده :** مِن النُّقول الصحيحة والمتواترة عن علماء القراءات الموصولَة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ـ **حُكْم الشَّارِع فيه :** الوُجوب الكِفائِى تَعَلُّماً وَتَعْليماً .

---

(١) المقدمة فى علم القراءات ـ بدرية الحسن ص ٣١ ، ٣٢ (٢) أي التعريف

ـ **مسائله :** قواعده الكُلِّيَّة كَقَوْلِهم : كُلُّ أَلِفٍ مُنقَلِبَة عن ياء يميلها حَمْزَة والكِسائى وخَلَف العاشِر ويقَلِّلها وَرْش بِخُلفٍ عنه . وكل راءٍ مَفْتوحَة أو مَضمومة وَقَعَتْ بعد كَسْرَة أصلية أو ياء ساكنة يرققها وَرْش ، وهكذا .



أول مَن دَوَّن فى علم القرءات :

قَيَّضَ اللهُ تعالى لكتابه المجيد الذى (لا يأتيه الباطل مِن بين يديه ولا مِن خلفه تنزيل مِن حكيم حميد) مَن دَوَّنَ وُجُوهَ قراءاته ، وضَبَطَ طُرَقَ رواياته ، فاجتهدوا فى ذلك حق الاجتهاد ، وبذلوا النصح فى ذلك لله ورسوله والعباد فأخذوا فى جمع ذلك وتدوينه فاستفرَغُوا فيه وُسْعَهُم وبذلوا جُهْدَهم ، فكان أول إمام مُعْتَبَر جَمَعَ القراءات فى كِتاب هو أبو عُبَيْد القاسِم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ حيث أَلَّفَ كِتاب (القراءات) جَمَع فيه قِراءَة خمسة وعشرين قارِئًا . ثُم تلاه كثير مِن العلماء رحمهم اللهُ .

الفَرْق بين القِراءات والروايات والطُّرُق والخِلاف الواجب والجائز :

خلاصة ما قاله علماء القراءات فى هذا المقام أنَّ :

كل خلاف نُسِبَ لإمام مِن الأَئمَّة العَشَرَة مما أجمع عليه الرواةُ عنه فهو **قراءة** .

وكل ما نُسِبَ للراوى عن الإمام فهو **رواية** .

وكل ما نُسِبَ للآخِذ عن الراوى وإن سفل فهو **طريق** . نحو :

الفتح فى لفظ (ضَعْف) فى سورة الروم قراءة حمزة ، ورواية شُعْبَة ، وطريق عبيد بن الصباح عن حَفْص وهكذا .

وهذا هو الخِلاف الواجب ، فهو عين القراءات والروايات والطرق ، بمعنى أن القارِئ مُلْزَم بالإتيان بجميعها ، فلو أخَلَّ بشئ منها عُدَّ ذلك نقصاً فى روايته كأوجه البَدَل مع ذات الياء لورش ، فهى طُرُق، وإن شاع التعبير عنها بالأوجه تساهُلاً .

وأما الخِلاف الجائز فهو خِلاف الأَوْجُه التى على سبيل التخيير والإباحَة كأوجه البَسْمَلَة ، وأوجه الوقف على عارِض السكون ، فالقارِئ مُخَيَّر فى الإتيان بأى وجه منها غير مُلْزَم بالإتيان بها كلها ، فلو أتى بوجه واحد منها أجزأه ، ولا يعتبر ذلك تقصيراً منه ولا نقصا فى روايته ، وهذه الأوجه الاختيارية لا يقال لها قِراءات ولا روايات ولا طرق بل يقال لها **أَوْجُه فقط** .(١)

---

(١) المُقَدِّمَة فى عِلْم القِراءات ـ بَدْرِيَّة الحَسَن



القُرَّاءُ العَشَرَةُ ورُوَاتُهُم

القُرَّاء العَشَرَة :

١ ـ نافِع المَدَنِى : هو أبو رُوَيْم نافِع بن عبد الرحمن بن أَبِى نعيم الليْثِى . أصله مِن أصْفَهان وتوفى بالمدينة سنة تسع وستين ومائة ١٦٩ هـ .

٢ ـ ابن كَثِير : هو عبد الله بن كثير المَكِّىّ ، وهو مِن التابعين ، وتوفى بمكة سنة عِشرِين ومائة ١٢٠ هـ .

٣ ـ أبو عَمْرو البَصْرِى : هو زَيَّان بن العلاء بن عمار المازِنى البصرى ، وقيل اسمه يحيى . وقيل اسمه كُنْيته ، وتوفى بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة ١٥٤ هـ .

٤ ـ ابن عامر الشَّامِىّ : هو عبد الله بن عامر الشامِى اليَحْصِى بِضَمِّ الصَّاد وكسرها ، قاضِى دِمَشْق فى خلافة الوليد بن عبد الملك ويكنى أبا عِمْران . وهو مِن التَّابِعين . وتوفى سنة ثمان عشرة ومائَة ١١٨ هـ .

٥ ـ عاصِم الكُوفِىّ : هو عاصِم بن أبى النَّجُود . ويقال له ابن بَهْدَلة ، ويكنى أبا بكر ، وهو مِن التَّابِعين ، وتوفى بالكوفة سنة ثمان وعشرين ومائة ١٢٨ هـ .

٦ ـ حَمْزَة الكُوفِى : هو حمزة بن حبيب بن عُمارَة الزَّيَّات الفَرَضِىّ التَّيمىّ ، ويكنى أبا عُمارَة وتوفى بحلوان فى خِلافَة أبى جَعْفَر المنصور سنة ست وخمسين ومائة ١٥٦ هـ .

٧ ـ الكِسائِى الكُوفى : هو على بن حمزة النَّحْوِىّ . ويكنى أبا الحسن . وقيل له الكِسائى مِن أَجْلِ أنه أَحْرَمَ فى كِساء ، وتوفى بقرية رَنْبَوَيْه (قرية مِن قُرَى خُراسان) حين توجه إلى خراسان مع هارون الرَّشِيد سنة تِسْع وثمانين ومائة ١٨٩ هـ .



٨ ـ أبو جَعْفر المَدَنِىّ : هو يَزِيد بن القَعْقاع وتوفى بالمدينة سنة ثمان وعشرين ومائة ١٢٨ هـ .
٩ ـ يَعْقُوب البَصْرِىّ : هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد الحَضْرَمِىّ وتوفى سنة خمس ومائتين ٢٠٥ هـ .

١٠ ـ خَلَف : هو أبو محمد بن هِشام بن ثَعْلَب البَزَّار البَغْدادِىّ ، وتوفى سنة تِسْع وعِشْرين ومائتين ٢٢٩ هـ .

رُوَاةُ القُرَّاءِ العَشَرَةِ :

(١) راوِيا نافِع (قالون، ووَرْش)

ـ فأما قالون فهو : عِيسَى بن مِينا بالمد والقصر . المَدَنِىّ مُعَلِّم العَرَبِيَّة ويكن أبا موسى ، وقالوا لقب أيضاً ، يُرْوَى أن نافِعا لَقَّبَه به لجودة قراءته لأن قالون بلسان الرُّوم جَيِّد ، وتوفى بالمدينة سنة عشرين ومائتين ٢٢٠ هـ .

ـ وأما وَرْش فهو : عُثْمان بن سعيد المِصْرِىّ ، ويكنى أبا سعيد . وورش لقب له . لُقِّبَ به فيما يقال؛ لِشِدَّة بَياضه ، وتوفى سنة سبع وتسعين ومائة ١٩٧ هـ .

(٢) راوِيا ابن كَثِير (البَزِّى وقُنْبُل)

ـ فأما البَزِّى فهو : أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبى بَزَّة المؤذن المكى ، ويكنى أ با الحسن ، وتوفى بمكة سنة خمسين ومائتين ٢٥٠ هـ .

ـ وأما قُنْبُل فهو : محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن سعيد المكى المَخْزُومِى ، ويكنى أبا عَمْرو ويلقب قنبلا . ويقال أهل بيت مكة يعرفون بالقنابلة ، وتوفى بمكة سنة إحْدَى وتسعين ومائتين ٢٩١ هـ ، رَوَى البزى وقنبل القراءة على ابن كثير بإسناد .

(٣) راوِيا أبى عَمْرو (الدُّورِى، والسُّوسِى)



ـ فأما الدَّورِى فهو : أبو عُمَر حفص بن عمر بن عبد العزيز الدورى النَّحْوِى ، والدَّور موضِع ببغداد ، توفى سنة ست وأربعين ومائتين ٢٤٦ هـ .
ـ وأما السُّوسِى فهو : أبو شُعَيْب صالِح بن زياد بن عبد الله السوسى ، توفى سنة إحدى وستين ومائتين ٢٦١ هـ . رَوَيا القراءة عن أبى محمد يحيى بن المُبارَك العدوى المعروف باليزيدى .

(٤) راوِيا ابن عامِر (هِشام، وابن ذكْوان)

ـ فأما هشام فهو : هشام بن عمار بن نصير القاضِى الدِّمَشْقىّ ، ويكنى أبا الوليد ، وتوفى بها سنة خمس وأربعين ومائتين ٢٤٥ هـ .

ـ وأما ذكْوان فهو : عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان القرشى ، ويكنى أبا عمرو ولد سنة ثلاث وسبعين ومائة ١٧٣ هـ ، وتوفى بدمشق سنة اثنتين وأربعين ومائتين ٢٤٢ هـ ، رَوَيا القراءة عن ابن عامِر بإسناد .

(٥) راوِيا عاصِم (شُعْبَة وحَفْص)

فأما شعبة فهو : أبو بكر شُعْبَة بن عياش بن سالِم الكوفى ، توفى بالمدينة سنة ثلاث وتسعين ومائة ١٩٣ هـ .
ـ وأما حَفْص فهو : حفص بن سليمان بن المُغِيرَة البَزَّاز الكوفى ، ويكنى أبا عمرو ، وكان ثِقَة ، وقال ابن مَعِين : هو أقْرَأ مِن أبى بكر (يعنى شعبة) وتوفى سنة ثمانين ومائة ١٨٠ هـ .

(٦) راوِيا حَمْزَة (خَلَف، وخَلاَّد)

ـ فأما خَلَف فهو : خَلَف بن هشام البَزَّاز ، ويكنى أبا محمد ، وتوفى ببغداد سنة تسع وعشرين ومائتين ٢٢٩ هـ .

ـ وأما خلاد فهو : خلاد بن خالد ، ويقال ابن خليد الصيرفى الكوفى ، ويكنى أبا عيسى ، وتوفى بها سنة عشرين ومائتين ٢٢٠ هـ ، رَوَيا القراءة عن أبى عيسى ـ سليم بن عيسى ـ الحَنَفِى الكوفى عن حمزة .

(٧) راوِيا الكِسائِي (أبو الحارِث، وحفص الدورى) .

ـ فأما أبو الحارِث فهو : الليث بن خلد البغدادى توفى سنة أربعين ومائتين ٢٤٠ هـ .

ـ وأما حَفْص الدَّورِى فهو : الراوى عن أبى عَمْرو، وقد سَبَقَ ذِكْره .

(٨) راوِيا أَبِى جَعْفَر (ابن وَرْدان، وابن جَمَّاز) .

ـ فأما ابن وَرْدَان فهو : أبو الحارِث عيسى بن وَرْدان المَدَنِى وتوفى بالمدينة فى حدود الستين ومائة ١٦٠ هـ .

ـ وأما ابن جَمَّاز فهو : أبو الربيع سليمان بن مسلم بن جماز المدنى وتوفى بالمدينة بُعَيْد السبعين ومائة ١٧٠ هـ .

(٩) راوِيا يَعْقُوب (رُوَيْس و رَوْح)

ـ فأما رُوَيْس فهو : أبو عبد الله محمد بن المتوكل اللؤلؤى البَصْرِى، ورويس لَقَبٌ له، وتوفِى بالبصرة سنة ثمان وثلاثين ومائتيْن ٢٣٨ هـ .

ـ وأما رَوْح فهو : أبو الحسن رَوْح بن عبد المؤمن البصرى النَّحْوِىّ وتوفى سنة أربع أو خمس وثلاثين ومائتين ٢٣٤ هـ أو ٢٣٥ هـ .

(١٠) راوِيا خَلَف (إسحاق، و إدريس)

ـ فأما إسحاق فهو : أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عثمان الوَرَّاق المَرْوزى ثم البغدادى وتوفى سنة ست وثمانين ومائتين ٢٨٦ هـ .

ـ وأما إدريس فهو : أبو الحسن إدريس بن عبد الكَرِيم البَغْدادِى الحَدَّاد، وتوفى يوم الأَضْحَى سنة اثنتين وتسعين ومائتين ٢٩٢ هـ (١) .

---

(١) البدور الزَّاهِرَة فى القِراءات العَشر المُتَواتِرَة ـ الشيخ / عبد الفتاح القاضى ص ٦ ، ٧

مُخَطَّط بالقُرَّاءِ العَشَرَةِ وَرُوَاتِهِم

١ ـ { نافِع المدنى } ـــــــــ {
ـــ (قالُون)
ـــ (وَرْش)

٢ ـ { ابن كَثِير المكى } ـــــــــ {
ـــ (البزى)
ـــ (قُنْبُل)

٣ ـ { أبو عَمْرو البَصْرِىّ } ـــــــــ {
ـــ (الدُّوُرِى)
ـــ (السُّوُسِى)

٤ ـ { ابن عامِر الشَّامِى } ـــــــــ {
ـــ (هِشام)
ـــ (ابن ذَكْوَان)

٥ ـ { عاصِم الكُوفِى } ـــــــــ {
ـــ (شُعْبَة)
ـــ (حَفْص)

٦ ـ { حَمْزَة الكُوفِى } ـــــــــ {
ـــ (خَلَف)



ـــــــ (خلاد)

ـــــــ (أبو الحارِث)

٧ ـ { الكِسائِى } ـــــــــــــــ}

ـــــــ (حَفْص الدُّورِى)

ـــــــ (ابن وَرْدَان)

٨ ـ { أبو جَعْفَر البَصْرِى } ـــــــــــــــ}

ـــــــ (ابن جَمَّاز)

ـــــــ (رُوَيْس)

٩ ـ { يعقوب البَصْرِى } ـــــــــــــــ}

ـــــــ (رَوْح)

ـــــــ (إسحاق)

١٠ ـ { خَلَف } ـــــــــــــــ}

ـــــــ (إدْرِيس





قائِمَة المَصادِر والمَراجِع

١ـ أيْسَر التَّفاسِير ـ أبو بَكْر جابِر الجزائِرِىّ ـ مكتبة العلوم والحكم ـ ط ١سنة ١٤٢٤ هـ

٢ـ تَفْسِير القُرْآن العَظِيم ـ أبو الفِداء إسْماعِيل بن كَثِير القُرَشِىّ الدِّمَشْقِىّ (ت : ٧٧٤ هـ) ـ جمعية إحياء التراث الإسلامى – الكويت ـ ط ٥ سنة ١٤٢٩ هـ

٣ـ مُخْتَصَر تَفْسِير ابن كَثِير ـ محمد على الصَّابُونِى ـ دار القرآن الكريم ـ بيروت ـ ط ٨ سنة ١٤٠٢ هـ

٤ـ روائِع البَيان تَفْسِير آياتِ الأحْكام ـ محمد على الصَّابُونِى ـ جمعية إحياء التراث الإسلامى ـ ط ١

٥ـ تَيْسِير الكَرِيم الرَّحْمَن فى تَفْسِير كلامِ المَنَّان ـ عبد الرحمن بن ناصر السعدى (ت : ١٣٧٦ هـ) ـ دار الحديث ـ القاهرة سنة ١٤٢٢ هـ

٦ـ زُبْدَة التَّفْسِير مِن فَتْح القَدِير للشَّوْكانِى (ت : ١٢٥٥ هـ) ـ د / محمد سُلَيْمان عبد الله الأشْقَر ـ جمعية إحياء التراث الإسلامى دار النفائس ـ الكويت ـ ط ٣ سنة ١٤٢٤ هـ

٧ـ صَفْوَة التَّفاسِير ـ محمد على الصَّابُونِى .

٨ـ مُخْتَصَر تَفْسِير البَغَوِىّ المُسَمَّى بـ (مَعالِم التَّنْزِيل) (ت : ٥١٦ هـ) ـ اختصار د / عبد الله بن أحمد بن على الزَّيد ـ جمعية إحياء التراث الإسلامى ـ ط ١ سنة ١٤٢٦ هـ

٩ـ المُفْرَدات فى غَرِيب القُرْآن ـ الرَّاغِب الأصْفَهانِىّ (ت : ٥٠٢ هـ) ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ط ٢ سنة ١٤٢٠ هـ

١٠ـ مُخْتار الصِّحاح ـ محمد بن أبى بكر بن عبد القادِر الرَّازِى ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ ط ٢ سنة ١٤١٧ هـ

١١ـ المُعْجَم الوَجِيز ـ مَجْمَع اللُّغَة العَرَبِيَّة ـ وَزارَة التَّعْلِيم المِصْرِيَّة ـ ط سنة ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م

١٢ـ القواعِد الأساسِيَّة فى النَّحْو والصَّرْف .



١٣ـ الدَّلِيل المُفَهْرَس لألْفاظ القُرْآن الكَرِيم ـ د / حُسَيْن محمد فَهْمِى الشَّافِعِىّ ـ دار السلام ـ ط ١سنة ١٤١٨ هـ

١٤ـ أسْباب النُّزُول ـ أبو الحَسَن عَلِىّ بن أحمد الواحِدِىّ النَّيْسابُورِىّ (ت: ٤٦٨ هـ) ـ دار الحديث ـ ط ٤ سنة ١٤١٩هـ - تحقيق الشيخ / أيمن صالِح شَعْبان

١٥ـ مجموع الفتاوى ـ شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَة (ت : ٧٢٨ هـ)

١٦ـ أُصُول المَنْهَج الإسْلامِى ـ د / عبد الرَّحْمَن بن عَبد الكَرِيم العبيِّد ـ جمعية إحياء التراث الإسلامى ـ ط ٤ سنة ١٤١٨هـ

١٧ـ المُلَخَّص الفِقْهِى ـ الشيخ د / صالِح بن فَوْزان الفَوْزان ـ جمعية إحياء التراث الإسلامى ـ ط ٢ سنة ١٤٢٦هـ

١٨ـ مجموعة رَسائِل الشيخ / عبد الله بن زَيْد آل مَحْمُود ـ المكتب الإسلامى ـ ط ٢

١٩ـ تَيْسِير العَلَّام شَرْح عُمْدَة الأحْكام ـ الشيخ / عبد الله صالِح البَسَّام ـ جمعية إحياء التراث الإسلامى ـ ط ٣ سنة ١٤٢٤هـ

٢٠ـ الوَجِيز فى فِقْهِ السُّنَّةِ والكِتابِ العَزِيز ـ الشيخ د / عبد العظيم بَدَوِى الخَلَفى

٢١ـ عِلْم أُصُول الفِقْه ـ الشيخ / عبد الوَهَّاب خَلاَّف.

٢٢ـ مَعالِم أُصُول الفِقْه عند أهْل السُّنَّة والجَماعَة ـ محمد بن حُسَيْن بن حَسَن الجِيزانِى ـ جمعية إحياء التراث الإسلامى ـ ط ١ سنة ١٤٢٦هـ

٢٣ـ صَحِيح الجامِع الصَّغِير وزيادته ـ محمد ناصِر الدِّين الألْبانِى ـ المكتب الإسلامى ـ ط٣ سنة ١٤٠٨هـ

٢٤ـ ضَعِيف الجامِع الصَّغِير وزِيادته ـ محمد ناصِر الدِّين الألْبانِى ـ المكتب الإسلامى ـ ط٣ سنة١٤١٠هـ

٢٥ـ اللُّؤْلُؤ والمَرْجان فيما اتَّفَقَ عليه الشَّيْخان ـ محمد فُؤاد عبد الباقِى ـ جمعية إحياء التراث الإسلامى ـ ط ٣ سنة ١٤٢٤هـ





٢٦ـ مختصر صحيح مسلم ـ عبد العَظِيم المُنْذِرِى (ت : ٦٥٦ هـ) تحقيق الألبانى – جمعية إحياء التراث الإسلامى ـ المكتب الإسلامى ـ ط ٧ سنة ١٤٢٦هـ

٢٧ـ عُلُوم الحَدِيث وَمُصْطَلَحه ـ د / صُبْحِى الصَّالِح ـ دار العلم ـ بيروت ـ ط ٧ سنة ١٩٧٣ م

٢٨ـ مَعارِج القَبُول ـ حافِظ حَكَمِى (ت : ١٣٧٧ هـ) جمعية إحياء التراث الإسلامى ـ ط ١سنة ١٤٢٦هـ

٢٩ـ مختصر مَعارِج القَبُول ـ أبو عاصِم هِشام بن عبد القادِر بن محمد آل عُقْدَة ـ دار الصفوة بالقاهرة ـ ط ٥ سنة ١٤١٥هـ

٣٠ـ الصِّراط فى أُصول مَنْهَج أَهْل السُّنَّة والجَماعَة فى الاعْتِقاد والعَمَل ـ عبد الرَّحْمَن بن عبد الخالِق اليُوسف

٣١ـ فَتْح المَجِيد شَرْح كِتاب التَّوْحِيد ـ عبد الرَّحْمَن بن حَسَن آل الشيخ ـ جمعية إحياء التراث الإسلامى ـ ط ٥

٣٢ـ عَقِيدَة المُؤمِن ـ أبو بَكْر الجزائِرِى.

٣٣ـ أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسانَكَ ـ ناصِر الشَّمَّرِى و مَشْعَل الظَّفِيرِى ـ دار إيلاف الدولية ـ ط ١

٣٤ـ البَحْر الرَّائِق فى الزُّهْد والرَّقائِق ـ الشيخ د / أحمد فَرِيد ـ مكتبة الإيمان ـ الإسكندرية ـ ط ١

٣٥ـ رَوْضَة الأَنْوار فى سِيرَةِ النَّبِيِّ المُخْتار ـ صَفِىّ الدِّين المُبارَكْفُورِى ـ دار السلام ـ ط ٣

٣٦ـ الفَوائِد المُخْتارَة ـ عبد الله سُليمان العتيقى ـ جمعية الإصلاح الإجتماعى ـ الكويت .

٣٧ـ الفَوائِد البَدِيعَة فى فَضْل الصَّحابَة وَذَمِّ الشِّيعَة ـ الشيخ د / أحمد فَرِيد .

٣٨ـ احْذَرُوا أَقْوال وأَفْعال واعْتِقادات خاطِئَة ـ الشيخ د / طَلَعَت بن عَبد الرَّازِق زَهْران ـ ط ١

٣٩ـ البُدُور الزَّاهِرَة فى القِراءاتِ العَشْر المُتَواتِرَة من طَرِيقِ الشَّاطِبِيَّة والدُّرَّة ـ الشيخ/ عبد الفتاح القاضى





٤٠ـ الشِّيعَة الخَطَر القادِم ـ الشيخ د / طَلَعَت بن عَبد الرَّازِق زَهْران ـ دار الرياض ـ الإسكندرية ط١

٤١ـ البَهائية والبابِيَّة ـ الشيخ د / طَلَعَت بن عَبد الرَّازِق زَهْران ـ دار الرياض ـ الإسكندرية ـ ط ١

٤٢ـ الصَّلاة قُرَّة عُيون المُؤمِنين ـ الشيخ د/ طَلَعَت بن عَبد الرَّازِق زَهْران ـ دار العقيدة ـ الإسكندرية

٤٣ـ إخوانى ! احذروا الشِّرْك الخَفِىّ ـ الشيخ د / طَلَعَت بن عَبد الرَّازِق زَهْران

٤٤ـ هو الله فى أسمائه الحسنى ـ محمود سيد على الرفاعى

٤٥ـ المقدمة فى علم القراءات ـ بدرية الحسن ـ البحرين ـ ط ١

٤٦ـ رسالة التوبة ـ شيخ الإسلام ابن تيمية .

٤٧ـ فتاوى الشيخ ابن عُثَيْمِين رواها عنه الشيخ / محمد صالح المُنَجِّد فى شريط بعنوان (مائة فائدة من ابن عثيمين)

٤٨- السِّراج المُنِير فى ترتيب أحاديث صحيح الجامِع الصَّغِير – عصام موسى هادى ـ جمعية إحياء التراث الإسلامى ـ دار الصديق ط٣ سنة ١٤٣٠هـ

٤٩- عُمْدَة التَّفْسِير مِن الحافِظ ابن كَثِير ـ الشيخ / أحمد شاكِر ـ دار الوفاء ـ ط ٢ سنة ١٤٢٦هـ

٥٠- زاد المَعاد فى هَدْيِ خَيْرِ العِباد ـ ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة (ت : ٧٥١هـ) ـ جمعية إحياء التراث الإسلامى ـ ط ٣ سنة ١٤٢٩هـ

انتهت قائمة المصادر والمراجع





فهرس أَطْرَافِ آياتِ النِّدَاءَاتِ الإِلَهِيَّةِ للمُؤْمِنين

* آياتِ النِّداءاتِ الإلهية للمُؤمِنِينَ كُلُّها مَدَنِيَّة النُّزُولِ.

رقم النداء	طَرَف الآية (النداء)	رقم الآية	اسم السورة	رقم السورة	رقم الصفحة
١	يا أيُّها الذِينَ آمَنُوا لا تقُولُوا راعِنَا وَقُولُوا انظُرْنا ...	١٠٤	البقرة	٢	١٦
٢	يا أيُّها الذِينَ آمنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ والصَّلاةِ ...	١٥٣	البقرة	٢	٢٠
٣	يا أيُّها الذِينَ آمَنُوا كلُوا مِن طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُم	١٧٢	البقرة	٢	٢٤
٤	يا أيُّها الذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِصَاصُ فِي القَتْلَى..	١٧٨	البقرة	٢	٢٦
٥	يا أيُّها الذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ	١٨٣	البقرة	٢	٣١
٦	يا أيُّها الذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كافَّةً	٢٠٨	البقرة	٢	٣٧
٧	يا أيُّها الذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناكُم	٢٥٤	البقرة	٢	٤١
٨	يا أيُّها الذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالمَنِّ والأَذَى...	٢٦٤	البقرة	٢	٤٧
٩	يا أيُّها الذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّباتِ ما كَسَبْتُم ...	٢٦٧	البقرة	٢	٥٢
١٠	يا أيُّها الذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِن الرِّبا ..	٢٧٨	البقرة	٢	٥٨
١١	يا أيُّها الذِينَ آمَنُوا إذا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ	٢٨٢	البقرة	٢	٦٢





١٢	يا أيُّهــا الذِيــن آمَنُــوا إن تُطِيعُــوا فَرِيقــاً مِــنَ الذِيــنَ أُتُــوا الكِتَــابَ ..	١٠٠	آل عمــران	٣	٦٦
١٣	يا أيُّهــا الذِيــن آمَنُــوا اتَّقُــوا اللهَ حَــقَّ تُقاتِــهِ	١٠٢	آل عمــران	٣	٦٩
١٤	يا أيُّهــا الذِيــن آمَنُــوا لا تَتَّخِــذُوا بِطَانَــةً مِــن دُونِــكِم	١١٨	آل عمــران	٣	٨٤
١٥	يا أيُّهــا الذِيــن آمَنُــوا لا تَــأْكُلُوا الــرِّبا أَضْــعَافاً مُضَــاعَفَةً ...	١٣٠	آل عمــران	٣	٨٦
١٦	يا أيُّهــا الذِيــن آمَنُــوا إنْ تُطِيعُــوا الذِيــن كَفَــرُوا	١٤٩	آل عمــران	٣	٨٧
١٧	يا أيُّهــا الذِيــن آمَنُــوا لا تَكُونُــوا كالذِيــن كَفَــرُوا	١٥٦	آل عمــران	٣	٨٩
١٨	يا أيُّهــا الذِيــن آمَنُــوا اصْــبِرُوا وَصَــابِرُوا وَرَابِطُــوا ...	٢٠٠	آل عمــران	٣	٩١
١٩	يا أيُّهــا الذِيــن آمَنُــوا لا يَحِــلُّ لَــكُم أَنْ تَرِثُــوا النِّســاءَ كَرْهــاً ..	١٩	النســاء	٤	٩٣
٢٠	يا أيُّهــا الذِيــن آمَنُــوا لا تَــأكُلُوا أمْــوَالَكُم بَيْــنَكُم بِالباطِــلِ ..	٢٩	النســاء	٤	٩٨
٢١	يا أيُّهــا الذِيــن آمَنُــوا لا تَقْرَبُــوا الصَّــلاةَ وَأَنــتُمْ سُــكَارَى ...	٤٣	النســاء	٤	١٠٠
٢٢	يا أيُّهــا الذِيــن آمَنُــوا أَطِيعُــوا اللهَ وَأَطِيعُــوا الرَّسُــولَ وأُولى..	٥٩	النســاء	٤	١٠٦
٢٣	يا أيُّهــا الذِيــنَ آمَنُــوا خُــذُوا حِــذْرَكُمْ فَــانفِرُوا ثُبَــاتٍ	٧١	النســاء	٤	١١١
٢٤	يا أيُّهــا الذِيــن آمَنُــوا إذا ضَرَبْــتُم فِي سَــبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُــوا .	٩٤	النســاء	٤	١١٤
٢٥	يا أيُّها الذِين آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالقِسْطِ . ..	١٣٥	النساء	٤	١١٩



٢٦	يا أيُّها الذِين آمَنُوا آمِنُوا باللهِ وَرَسُولِهِ....	١٣٦	النساء	٤	١٢٢
٢٧	يا أيُّها الذِين آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الكافِرِين أَوْلِياءَ	١٤٤	النساء	٤	١٥٧
٢٨	يا أيُّها الذِين آمَنُوا أَوْفُوا بِالعُقُودِ	١	المائدة	٥	١٥٩
٢٩	يا أيُّها الذِين آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعائِرَ اللهِ	٢	المائدة	٥	١٦٢
٣٠	يا أيُّها الذِين آمَنُوا إذا قُمْتُمْ إلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُوا ...	٦	المائدة	٥	١٦٤
٣١	يا أيُّها الذِين آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاءَ ..	٨	المائدة	٥	١٦٩
٣٢	يا أيُّها الذِين آمَنُوا اذكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُم ..	١١	المائدة	٥	١٧٠
٣٣	يا أيُّها الذِين آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وابْتَغُوا إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ ..	٣٥	المائدة	٥	١٧٢
٣٤	يا أيُّها الذين آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ والنَّصَارَى أَوْلياءَ .	٥١	المائدة	٥	١٧٥
٣٥	يا أيُّها الذِين آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ	٥٤	المائدة	٥	١٧٧
٣٦	يا أيُّها الذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُم هُزُواً ولَعِباً	٥٧	المائدة	٥	١٧٩
٣٧	يا أيُّها الذِين آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللهُ لَكُم ...	٨٧	المائدة	٥	١٨٠
٣٨	يا أيُّها الذِين آمَنُوا إنَّما الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ والأَنْصَابُ والأَزْلامُ	٩٠	المائدة	٥	١٨١
٣٩	يا أيُّها الذِين آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بِشَيءٍ مِنَ الصَّيْدِ	٩٤	المائدة	٥	١٨٥





٤٠	يا أيّها الذِين آمَنوا لا تقْتُلوا الصَّيْدَ وَأنتُم حُرُمٌ	٩٥	المائدة	٥	١٨٦
٤١	يا أيّها الذين آمَنُوا لا تَسْألُوا عَن أَشْيَاءَ إنْ تُبْدَ لَكُم ...	١٠١	المائدة	٥	١٩٠
٤٢	يا أيّها الذِين آمَنُوا عَلَيْكُم أَنفسَكُم	١٠٥	المائدة	٥	١٩٢
٤٣	يا أيّها الذين آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُم إذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ	١٠٦	المائدة	٥	١٩٣
٤٤	يا أيّها الذين آمَنُوا إذا لَقِيتُم الذِين كَفَرُوا زَحْفاً	١٥	الأنفال	٨	١٩٨
٤٥	يا أيّها الذِين آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ	٢٠	الأنفال	٨	٢٠٣
٤٦	يا أيّها الذِين آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَللرَّسُولِ	٢٤	الأنفال	٨	٢٠٥
٤٧	يا أيّها الذِين آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ والرَّسُولَ	٢٧	الأنفال	٨	٢٠٩
٤٨	يا أيّها الذين آمَنُوا إنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُم فُرْقاناً	٢٩	الأنفال	٨	٢١١
٤٩	يا أيّها الذين آمَنُوا إذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا	٤٥	الأنفال	٨	٢١٢
٥٠	يا أيّها الذين آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آباءَكُم وإخوانَكُم أوْلِياءَ ...	٢٣	التوبة	٩	٢١٤
٥١	يا أيّها الذين آمَنُوا إنّما المُشْرِكُون نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُواالمَسْجِدَ ..	٢٨	التوبة	٩	٢١٧
٥٢	يا أيّها الذين آمَنُوا إن كثيراً مِنَ الأحْبارِ والرُّهْبان ...	٣٤	التوبة	٩	٢٢٠
٥٣	يا أيّها الذِين آمَنُوا مَا لَكُمْ إذا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا	٣٨	التوبة	٩	٢٢٣
٥٤	يا أيّها الذين آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونوا مَعَ الصَّادِقِينَ....	١١٩	التوبة	٩	٢٢٩





٥٥	يا أيُّها الذِين آمَنُوا قَاتِلُوا الذِينَ يَلُونَكُم مِنَ الكُفَّارِ	١٢٣	التوبة	٩	٢٣٨
٥٦	يا أيُّها الذِين آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا	٧٧	الحج	٢٢	٢٤٠
٥٧	يا أيُّها الذِين آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطان	٢١	النور	٢٤	٢٤٣
٥٨	يا أيُّها الذِين آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُم حَتَّى	٢٧	النور	٢٤	٢٤٩
٥٩	يا أيُّها الذِين آمَنُوا لِيَسْتَئْذِنكُمُ الذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم ...	٥٨	النور	٢٤	٢٥٤
٦٠	يا أيُّها الذِين آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُم	٩	الأحزاب	٣٣	٢٥٨
٦١	يا أيُّها الذِين آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً	٤١	الأحزاب	٣٣	٢٦٠
٦٢	يا أيُّها الذِين آمَنُوا إذا نَكَحْتُمُ المُؤْمِناتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ	٤٩	الأحزاب	٣٣	٢٦٦
٦٣	يا أيُّها الذِين آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إلا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُم ..	٥٣	الأحزاب	٣٣	٢٧٠
٦٤	يا أيُّها الذِين آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً	٥٦	الأحزاب	٣٣	٢٧٢
٦٥	يا أيُّها الذِين آمَنُوا لا تَكُونُوا كالذِينَ آذَوْا مُوسَى ...	٦٩	الأحزاب	٣٣	٢٧٧
٦٦	يا أيُّها الذِين آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدَاً	٧٠	الأحزاب	٣٣	٢٨٠
٦٧	يا أيُّها الذِين آمَنُوا إن تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُم	٧	محمد	٤٧	٢٨٢
٦٨	يا أيُّها الذِين آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ..	٣٣	محمد	٤٧	٢٨٣
٦٩	يا أيُّها الذِين آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِّ اللهِ وَرَسُولِهِ	١	الحجرات	٤٩	٢٨٥
٧٠	يا أيُّها الذِين آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ..	٢	الحجرات	٤٩	٢٩٤









انتهى فهرس أطراف آيات النداءات الإلهية للمؤمنين



فهرس الموضوعات





الموضوع **الصفحة**





الموضوع **الصفحة**



الموضوع **الصفحة**







